NURUOSMANIYE
734/6
1022

الجلد السادس من الصحاح للجوهري

١٤٢

عدد ورقه
٢١٧

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESI

Kısmı :	Nuruosm.
Yer numarası	734/6
Eski kayıt No.	1022
Tasnif No.	297.2 (077) = 927

١٠٢٢

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقف عمدة ملوك الدوران وسلسل نخبة آل عثمان محيي السنة امام الامة السلطان
ابن السلطان السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
لا زالت ايامه مصابيح الاقبال ومساعيه الجميلة مفاتيح ابواب
الآمال وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم
حنيف المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين
عفا

ابراهيم حنيف

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل وسلم على محمد واله وصحبه

الباب الثالث في ماورد من صحيح الاخبار اللام فيها للعهد اي الاخبار المنقولة عن النبي
صلى الله عليه وسلم والا فالخبر قد يطلق على مانقل عن غيره واضافة صحيح الى الاخبار من اضافة
الصفة الى الموصوف اي الاخبار الصحيحة والمراد بالصحيح المقبول المحتج به سوا كان صحيحا
لذاته بان اشتمل من صفات القبول على اعلاها اوصحيحا لغيره بان كان راويه قد اتهم
بسوء الحفظ واتى من طريق اخرا وحسنا لذاته اوحسنا لغيره ويطلق على جميع ذلك اسم
الصحيح جمع من الفقهاء واذا تاملت مافي الباب لم تجد كله جامعا لشروط الصحة الذاتية
فتعين حمله على ماذكر **ومشهورها** اي الاخبار اي الاخبار المشهورة وهي التي اتت من ثلاثة
طرق فاكثر مالم تبلغ حد التواتر ويسميها بعض الفقها المستفيضة **بعظيم قدره** متعلق
بورد **عند ربه** حال من قدره لانه مفعول في الحقيقة ~~لان اضافة عظيم الى قدره من اضافة
الصفة الى الموصوف اي بقدره العظيم ولكن قدره معمولا لورد فصح وقوعه ذا حال~~ **ومنزلته** عطف
على قدره عطف تفسير **وماخصه به** يجوز ان يعود الضمير المنصوب الى الموصول والمجرور الى محمد
صلى الله عليه وسلم فهو موافق للاستعمال الفصيح من دخول البا على المقصور عليه واذا اعاد
الضمير المنصوب الى محمد صلى الله عليه وسلم والمجرور الى الموصول فالبا دخلت على المقصور وهو
خلاف الفصيح الا انه ورد كثيرا في العبارات **في الدارين** اي الدنيا والاخرة **من كرامته** بيان لما
خصه به اي قربه من الله وجلالته عنده **لا خلاف** بين من يعتد بقوله من الفرق الاسلامية
وغيرهم والمعاند من اهل الكتاب لاعبرة بقوله واشار بذلك الى ان افضليته انعقد عليها
الاجماع وهو كاف في ثبوتها فكيف وقد انضم اليه من الاخبار الاحاد التي بلغ مجموعها حد
التواتر ما لا حصر له **انه** اي في انه وحذف حرف الجر في مثله قياسي **اكرم البشر** اي اجمعهم
لانواع الخير والفضائل والشرف والبشر الانسان واحدا كان او اكثر ذكرا او انثى ودخل فيهم
ادم **وسيد ولد ادم** الولد هنا جمع لانه لفظ يستوي فيه المفرد والجمع والسيد الذي نال الرفعة

والجلال

دخول البا على المقصور

والكمال فان قلت كيف اطلق عليه صلى الله عليه وسلم السيادة بلفظ سيد وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن
ذلك بقوله لما قالوا له انت سيدنا قولوا نبينا ورسولنا ولا تسموني سيدا كما تسمون روساكم قلت
معنى النواهي
ذاك لتسمية السيد بالمعنى الدنيوي والا فهو سمى نفسه سيدا بقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر
وافضل الناس منزلة عند الله الناس يطلق على الانس والجن فهذه المقالة وما بعدها
اعم مما قبلها وفي نسخة وافضل الخلق فهي اعم مما قبلها ومن ما في هذه النسخة ~~فان قلت الاصح ان~~
~~يسلم نفي الخلاف فان المعتزلة وغيرهم معتد به لانهم من الفرق الاسلامية يفضلون الملائكة~~
~~عليه قلت كانه اراد بنفي الخلاف على هذا نفيه عند اهل الحق~~ **واعلاهم درجة واقربهم زلفى** هي
القربة وليس منصوبا على التمييز كما في درجة ومنزلة فان مادة اسم التفضيل تغني عنه ولا معنى
لتفسير الاقرب بالقربة بل هو مفعول مطلق او حال اي اقرب الناس عند الله تقريبا او مقربا
او قريبا فهي حال موكدة لعاملها **واعلم ان الاحاديث** جمع حديث وهو ما اضيف الى النبي صلى
الله عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا او صفة في الحركات والسكنات في اليقظة والمنام **الواردة
في ذلك** اي في عظيم قدره **كثيرة جدا** اي كثرة محققة مبالغا فيها فهو منصوب على انه مفعول
مطلق **وقد اقتصرنا منها على صحيحها** اي المحتج به منها **ومنتشرها** اي مشهورها وقد عرف
معناهما فيما سبق **وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا** حصر الكل في اجزائه لا حصر
الكلي في جزئياته لان كل فصل منها فيه معنى من المعاني والمعاني عبارة عن مجموعها **الفصل
الاول في ما ورد من ذكر مكانته** اي منزلته عند ربه **والاصطفاء** عطف على مكانته اي الاختيار
واللام فيه عوض عن المضاف اليه اي اصطفاه من اضافة المصدر الى مفعوله **ورفع الذكر**
اي ذكره **والتفضيل** اي على سائر الانبيا المستلزم للتفضيل على سائر الخلق **وسيادة ولد ادم**
اي النوع الانساني الشامل لادم نفسه **وماخصه به** يجوز في ضميريه المنصوب والمجرور
الوجهان **في الدنيا من مزايا** جمع مزية وهي الفضيلة **الرتب** جمع رتبة **وبركة اسمه الطيب** صفة
لاسم وليس بدلا وان كان الطيب من اسمائه لان المراد اسمه المشهور وهو محمد واحمد فالطيب صفة

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه قول المصنف
ذا الزلفى بالضم القربة ... زلفى مفعول مطلق من غير لفظه ... منزلة ... فعيل بمعنى فاعل
... والقرب ... بالنسبة لغيره ...
... الكاتب ...
لا القرب

حدثنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه اي اجازة بلفظ لا بكتابة
ووقع فيها خلاف بين المتقدمين واجمع المتاخرون على العمل بها حتى قال الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه
لو بطلت الاجازة لضاع العلم قوله عن يحيى هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون ابو زكريا
الحماني بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون ثم يا النسبة روى عن شريك وعنه ابو حاتم
وابن ابي الدنيا وثقه يحيى بن معين وضعفه الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه باسوا التجريح حدثنا قيس
ابن الربيع هو ابو محمد الكوفي روى عن حبيب بن ابي ثابت وعمرو بن ابي مرة وخلق وعنه
ابو نعيم وعفان اثنى عليه شعبة وقال ابن معين ليس بشي وابو حاتم ليس بقوي توفي سنة
بضع وستين ومائة اخرج له ابو داود والترمذي والدارقطني عن الاعمش هو سليمان بن
مهران تقدم بعض ترجمته عن عباية بن ربعي بكسر الراء ثم موحدة ساكنة ثم يا مشددة روى
عن علي وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة الشيعة عن ابن عباس هو عبد الله
الحبر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق اي المخلوقات واللام
فيه للعهد فالمراد الجن والانس اذ الملائكة لا يدخلون في هذه القسمة قسمين قسما اصحاب
اليمين وقسما اصحاب الشمال فجعلني من خيرهم اي الخلق قسما فذلك اي تقسيم الله الخلق
قسمين قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فاصحاب اليمين هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى
الجنة واصحاب الشمال الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمين الذين كانوا
عن يمين ادم واصحاب الشمال الذين كانوا عن شمال ادم حين اخرجت ذريته من صلبه في عالم
الذر وقال هولاء الى الجنة ولا ابالي وهولاء الى النار ولا ابالي وقيل اصحاب اليمين هم الذين اخذوا
من شق ادم الايمن واصحاب الشمال هم الذين اخذوا من شقه الايسر في يوم الذر وقيل
اصحاب اليمين من اعطي كتابه بيمينه واصحاب الشمال من اعطي كتابه بشماله وقيل اصحاب
اليمين الذين ارواحهم عن يمين ادم في البرزخ واصحاب الشمال الذين ارواحهم عن شماله
وفي صحيح مسلم في حديث الاسرا عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء

الدنيا

الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا
نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا قال
قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاساودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة
والاسودة التي عن شماله اهل النار فانا من اليمين اي من اصحابه على حذف مضاف ومن هنا
للتبعيض ويجوز ان تكون لابتدا الغاية اي نزلت من يمين ادم فلا مضاف محذوفا وانا خير
اصحاب اليمين الذين من جملتهم جميع الانبيا فهو خير جميع الانبيا المستلزم لافضليته على
الملائكة لان الافضل من الافضل افضل ثم جعل القسمين اثلاثا لانه جعل اصحاب اليمين
قسمين قسما خصه باسم السابقين والمقربين مع دخوله في اصحاب اليمين وقسما اصحاب الشمال
فجعلني في خيرها اي الاثلاث ثلثا وهم السابقون وذلك اي التقسيم الى ثلاثة
اقسام قوله تعالى واصحاب الميمنة اي اليمين واصحاب المشامة اي اليسرة وكذلك المشامة اي
بالف بغير همزة والعرب تقول لليد الشمال الشومى والجانب الشمال الشوم ومنه سميت
الارض المقدسة بالشام لانها عن شمال الكعبة والسابقون السابقون اصح ما قيل فيهم ما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس
كحكمهم لانفسهم وقيل هم الانبيا وقيل الذين سبقوا الى الايمان والطاعة من كل امة وقيل الى الصلوات
الخمس وقيل الى التوبة واعمال البر ووجد في كثير من نسخ الشفا ذكر السابقين مكررا على طبق الاية
والاول منهما مبتدا والثاني خبر ولا بد من مغايرة بينهما كان يراد بالسابقون الاول الذين سبقوا
الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وبالسابقون الثاني السابقون الى دخول
الجنة فانا من السابقين وانا خير السابقين الذين منهم جميع الانبيا فهو خير من جميعهم ثم
جعل الاثلاث قبائل جمع قبيلة وهي طائفة من الشعب والشعب الجمع العظيم المنتسبون
الى اصل واحد فالقبيلة دونه وهي تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ

وعباس فصيلة فجعلني من خيرها قبيلة وذلك اي جعل الناس قبائل قوله تعالى وجعلناكم شعوبا
فانا وقبائل فلفانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله لان من كان اتقى كان اكرم عند الله واكرم يتعدى تارة بعلى
هنا و وتارة بعند وهو بمعنى اعز المتعدي بعلى ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى
لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر كما كان العرب يفتخرون بمآثرهم ثم جعل
القبائل بيوتا البيت يطلق على الشرف وهو المراد هنا اي جعلهم ذوي بيوت اي اصحاب شرف
ومجد فجعلني في خيرها اي القبائل بيتا اي مجدا وشرفا يعني جعل مجدي خيرا من مجد سائر
القبائل لان كل قبيلة مجدها اما دنيوي فقط واما اخروي فقط وان جمع بينهما فلم يصل في الجمع الى
النهاية واما مجد نبينا وشرفه فانه جامع بين الدارين وبالغ في الجمع الى النهاية والغاية فذلك
اي كون شرفه خيرا من شرف كل احد قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا ففي هذه الاية من بيان شرف بيته الراجع اليه كثير من انواع الشرف منها اذهاب
الرجس الذي هو الذنب المدنس للعرض وطهارة العرض نعمة دنيوية اخروية ومنها تعبيره
بالرجس المعرف باللام الاستغراقية اي كل رجس وحملها على الاستغراق هو الاليق بمقام المدح ومنها
التعبير بالاذهاب الذي هو الازالة بالكلية بحيث لا يبقى منه شيء ومنها حذف مفعول يريد
للتعميم اي رفعتكم وشرفكم ونزاهتكم وتقريبكم فتذهب النفس كل مذهب ومنها نصبه اهل البيت
على المدح او النداء فالجملة الندائية معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه للتسديد والتقوية
واللام في البيت للعهد اي يا اصحاب البيت المحمدي ومنها تعبيره بالتطهير موكدا بالمصدر
ومنها تعبيره بصيغة التفعيل المقتضية للمبالغة والتكثير وياتي كلام اطول من هذا على هذه
الاية واعلم ان هذا الحديث رواه الطبراني في معجمه والبيهقي في الدلائل وعن ابي سلمة هو
عبد الله بن عبد الرحمن احد الفقهاء السبعة تقدم ذكره عن ابي هريرة هو عبد الرحمن بن صخر
على الاصح من ثلاثين قولا تقدم الكلام عليه قال قالوا يا رسول الله متى اي في اي وقت وجبت
اي ثبتت ونفذت لك النبوة هل ثبتت لك بعد ظهورك الى العالم الحسي او قبل ذلك قال وآدم بين

الروح

الروح والجسد جملة حالية عاملها محذوف دل عليه السوال اي وجبت لي والحالة هذه هذا المعنى جاء
بروايات متعددة فعن العرباض بن سارية عنه صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله وخاتم النبيين وان
آدم لمنجدل في طينته وفي رواية متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد وفي رواية بين
الماء والطين واما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين بهذا اللفظ فلا اصل له كما قاله ابن تيمية
والزركشي وكذا حديث كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا اصل له ومعنى منجدل ساقط على الجدال
وهو الارض ثم انه ليس المراد كونه نبيا في علم الله لانه لا خصوصية له بذلك بل المراد ان الله
خلق نوره قبل ان يخلق آدم باربعة عشر الف عام جاء مصرحا به في رواية علي بن الحسين بن علي
رواها ابن القطان في احكامه وفي رواية ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق
آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه رواه محمد بن ابي عمر العدني شيخ مسلم في مسنده
فهذا يقتضي ان الله خلق نوره وجعله شيئا موجودا يسبح وعرفته الملائكة واشتهر بينهم وظهر له
الوجود العيني قبل وجود آدم فكان خلقه قبل خلق آدم كما في حديث ابن ابي حاتم عن ابي هريرة قال
كنت اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا فان قلت هل سبق آدم في خلق روحه او في جسده قلت
فيهما اما في الروح فظاهر واما في الجسد فلان مادة جسده الشريف خلقت قبل مادة جسد
آدم وهي القبضة البيضاء وهي الطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فقد روى
ابن الجوزي في الوفا عن كعب الاحبار قال لما اراد الله ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل
ان ياتيه بالطينة البيضاء فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين
انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي
والسموات والارض فعرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ابا البشر والحاصل
ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وروح آدم مقتبسة من روحه وخلق نوره قبل آدم
ومادة جسده قبل جسد آدم حتى ان الملائكة لم يكونوا يعرفون نبيا قبله اذ هو النبي المطلق

الكلي وسائر الانبيا خلفاؤه والشريعة شريعته وظهرت في كل زمن على لسان نبي على قدر استعداد
اهل ذلك الزمن وجعل النبي صلى الله عليه وسلم نبوته في ذلك الوقت وهو وقت كون ادم بين الماء
والطين لا ينافي وجودها قبله والا في موجوده قبله ومعنى كونه بين الما والطين انه لم يكن ماء
صرفا ولا طينا صرفا وهو كناية عن بدء خلقه فان قلت ما معنى كون ادم منجدلا في طينته فان المنجدل
هو الساقط وما معنى سقوط ادم في طينته قلت لا يشكل الا اذا علقنا الجار بقوله منجدل
وجعلناه لغوا اما اذا جعل مستقرا على انه خبر بعد خبر او حال من الضمير المستكن في منجدل فلا
اشكال فتامل وعن واثلة بن الاسقع اي روي عنه وقد رواه عنه مسلم في صحيحه وواثلة هو ابن
الاسقع بن كعب الليثي اسلم قبل تبوك وكان من اهل الصفة غزا تبوك عاش ثمانيا وتسعين
سنة ومات سنة خمس وثمانين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى اي اختار
من ولد ابراهيم اي الذين هم صفوة بني ادم اسماعيل لانه الذبيح على الاصح عملا بقول النبي صلى الله عليه
وسلم انا ابن الذبيحين وهو اكبر من اسحق وكان التابوت عنده بوصية ابيه ابراهيم واصطفى اي
اختار من ولد اسمعيل بني كنانة وهم اربعة النضر وعبد مناة ومالك وملكان فهم ومن كان من
ذريتهم مصطفون من ولد اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا وهو النضر بن كنانة ثم اطلق على
القبيلة كلها سميت بذلك لتقرشها اي اجتماعها في التجارة وغيرها وقيل سموا بذلك باسم دابة بحرية
تعبث بالسفن تعلو ولا يعلى عليها وهكذا شان هذه القبيلة وقيل قريش ولد فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة واصطفى من قريش بني هاشم وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فهاشم وبنوه مصطفون من ولد قريش
واصطفاني اي اختارني من بني هاشم لانه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ومن حديث انس اي ابن مالك بن النضر ابي حمزة الصحابي خادم النبي صلى الله عليه وسلم خدمه
عشر سنين مدة اقامته بالمدينة ودعا له صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره وادخله
الجنة قال فاكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل مرتين في السنة وولد لصلبي مائة وستة اولادي

انس بن مالك رضي الله عنه ه

لاجو الاخرى

كذا

لاجو الاخرى مات وقد جاوز المائة من عمره سنة ثلاث وتسعين انا اكرم اي اعز واشرف ولد
ادم اي اولاده والولد يطلق على الجمع ايضا على ربي ولا فخر لانه ليس من قبل نفسي بل هو محض
فضل الله تعالى وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر فان قلت لم عبر في حديث
انس بمن وفي حديث ابن عباس بفي قلت ليشير الى ان الاول بعض من حديث طويل والثاني
الى انه حديث مستقل وقع في مسنده وحديث انس وابن عباس اخرجها الترمذي في سننه
وعن عائشة اي روي عنها ورواه عنها الطبراني في الاوسط وابو نعيم والبيهقي في الدلائل عنه
اي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال قلبت اي فتشت قلوب مشارق
الارض اي سكان البلدان المشارق اي التي في جهة الشرق ومغاربها اي سكان مغارب الارض
اي الساكنين بجهة المغرب والمراد انه وقف على ما تكنه ارواح جميع ولد ادم من وجد منهم ومن
لم يوجد وقلبها ظهرا لبطن وعلم عيبها وكمالها ونقصها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم
اي لا احد من الرجال افضل منه فان رجلا نكرة وقعت في سياق النفي فعمت فان قلت لا يلزم من
نفي الافضل نفي المساواة قلت جرى العرف على استعمال هذه العبارة في نفي الافضل والمماثل
ويلزم من كونه افضل من كل رجل ان يكون افضل من كل امراة لان الافضل من الافضل افضل ولم ار
اي اعلم فهي قلبية لا بصرية لان الافضلية لا تبصر وانما تعلم بني اب مفعول اول افضل مفعول
ثان من بني هاشم اي من هذه القبيلة الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قررنا وعن انس
اي روي ورواه الترمذي وقال حديث حسن ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق اي اتاه به
جبريل عليه الصلوة والسلام والبراق دابة دون البغل وفوق الحمار ركبه النبي صلى الله عليه وسلم
والانبيا قبله ماخوذ من البرق الذي يلمع في الغيم سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل
لسرعة حركته كحركة البرق ليلة اسري به ظرف متعلق باتي قيل انها ليلة سبع عشرة من رمضان
وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وذلك قبل الهجرة وقال الزهري بعد مبعثه بخمس سنين وقيل بعد
المبعث بخمسة عشر شهرا فاستصعب عليه اي تحول صعبا عليه غير ذلول منقاد اليه كانقياده

مطلب في لم ار افضل ه

البراق بضم البا

الى غيره من الانبيا بل شمس وامتنع من ركوب سيد المرسلين عليه قيل فعل البراق ذلك لبعد عهده
بالانبيا وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقيل ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
حين شمس البراق لعله يا محمد مسست الصفر اليوم يعني الذهب وفي مسند البزار انه صنم
بعضه من ذهب فكسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال ما مسستها ولكن مررت
بها فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله تعالى فقال له جبريل بمحمد متعلق بقوله تفعل هذا اي
الاستصعاب وهذا الاستفهام توبيخ وبخ البراق على ما صدر منه وتقديم الجار والمجرور على عامله
للاختصاص اي اتفعل هذا الاستصعاب بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تفعله بغيره من الانبياء
مع انه افضل منهم بقرينة قوله فما ركبك احد اكرم على الله منه وقد تقدم ان العرف جرى على استعمال
هذه العبارة في نفي المساواة ايضا فارفض عرقا اي البراق اي سال عرقه وجرى وعن ابن عباس
اي روي عنه ورواه بسنده اليه ابو عمر العدني في مسنده عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض يعني ان الله تعالى لما خلق نوره وروحه
جعله الطاهر النور مادة جسده الشريف فعجنها الله في طينة آدم ثم لما كمل خلق ادم جعله في صلبه
ومع ذلك بقي يتلألأ على وجهه الكريم ثم حمل ادم على اكتاف الملائكة وامرهم الله فطافوا به
السموات ليرى عجائب ملكوته وهو في كل ذلك معه يعقل ويفهم فقد ذكر ابو سعيد في كتاب الشرف
ان النور المحمدي كان يسجد لله كل سجدة مائة عام يقول في سجوده سبحان العليم الذي لا يجهل
سبحان الحليم الذي لا يعجل سبحان الجواد الذي لا يبخل وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في النار في صلب ابرهيم فان قلت كيف يعلق جاران بمعنى واحد بفعل واحد
وقد تعلق هنا في في الموضعين بقذف قلت في الاولى متعلقة بقذف والثانية بفعل من الافعال
العامة لانه في محل نصب حال من اليا في بي اي رمى بي حال كوني في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني
في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة استدل به على ايمان اسلاف النبي صلى الله عليه وسلم
كلهم لانه وصف آباءه بالكرم والكافر لئيم دميم وامهاته بالطهارة والكافر نجس وقيل في معنى قوله

تعالى

مطلب دعاء النور المحمدي اذ ذاك

تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد
وقيل معناه تردد في احوال المتهجدين فقد روي انه لما نسخ قيام الليل طاف النبي صلى
الله عليه وسلم ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت
الزنابير فعليه لا دلالة على ذلك فان قلت من آبائه ابو ابرهيم آزر وهو كافر وفي الحديث
انه مات على الكفر قلت آزر لم يكن ابا ابرهيم وانما هو عمه حتى اخرجني بين ابوي عبد الله
الذبيح الثاني توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل تم له شهران وقيل توفي وهو في المهد
وقيل وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة اشهر ذهب الى تجارة الشام مع قوم فرجع
ضعيفا فمر بيثرب فتخلف عند اخواله بني النجار فمات بها ودفن في دار النابغة وقيل
بالابوا وآمنة امه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ماتت لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربع سنين او ستا وقيل خمسا وقيل سبعا وقيل تسعا وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا
وعشرة ايام ماتت بالابوا وقيل بشعب ابي دب بالحجون وصرح في القاموس في حرف
الدال انها دفنت بدار رابغة والكلام على ايمان ابويه يذكر في غير هذا المحل وحاصله
ان ذلك ثبت باحاديث طعن في صحتها اهل الحديث ولكن ذلك هو الاليق بما اعطي
محمد صلى الله عليه وسلم من المآثر والكرامات والفضائل والمعجزات ومن هنا قال
بعض اهل الاسلام حبا الله النبي مزيد فضل ٭ على فضل وكان به عطوفا ٭ فاحيا امه وكذا اباه ٭
باحسان وكان به رؤوفا ٭ فسلم فالقديم بذا قدير ٭ وان كان الحديث به ضعيفا ٭ لم يلتقيا
على سفاح اي زنا قط اي لم يجتمع لي ابوان قريبان ولا بعيدان على سفاح اي ما يقتضي
الاسلام انه زنا بل تناكح كل ابوين بتناكح الاسلام فقد روى البيهقي في سننه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام
فان قلت من اين علم الزنى قبل النبي صلى الله عليه وسلم بنكاح الاسلام قلت يمكن ان يكون

ان الزنى لم ... قوله لعله على

ابوا النبي صلى الله عليه وسلم

على ح

الذين فاعل ولا احتياج الى تقدير انه فتامل كاتبه

ذلك بالهام من الله تعالى او باوصياء الانبياء فان قلت جملة لم يلتقيا على سفاح ما محلها
قلت النصب على انها حال لامن ابوي لما فيه من اختصاص هذا الوصف بابويه مع ان مراده
ثبوت ذلك لكل ابوين له بل هو حال من ابوين فهما من قوله لم ازل انتقل من صلب كريم الى رحم
طاهر حال كون ذي الصلب وذي الرحم لم يلتقيا على سفاح قط وعدم التقائهما على سفاح مقارن
لانتقاله من صلب الى رحم والى هذا اي الى كون نوره قديما كان مع ادم ونوح وابرهيم اشار
العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم هو اسن منه بثلاث سنين مات سنة
ثلث وثلثين وقيل اربع وثلاثين بقوله فيه وقد دخل المدينة قافلا من غزوة تبوك يا رسول
الله اني اريد ان امتدحك بابيات فقال له صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك ولا يفضض
بفتح اليا وضم الضاد الاولى من فض يفض يقال فضضت جموعهم اذا فرقتها قال تعالى
لانفضوا من حولك اي تفرقوا اي لا يفرق الله اسنانك بل يبقيها والابيات المذكورة سبعة وقيل
ثمانية وهي من قبلها اي من قبل هذه النشأة التي انت الان فيها او من قبل الدنيا والضمير عائد
الى معلوم وان لم يصرح به والجار متعلق بقوله طبت اي تطهرت من الادناس في الظلال اي
ظلال الجنة واراد ان الطينة البشرية التي هي مادة جسدك انغمست في تلك الظلال وانها رها
كما تقدم انها غمست في معين الجنة ثم جعلت في صلب ادم وهو في الجنة قبل ان يهبط الى الارض
وليس المراد من الظل ما تنسخه الشمس لان الجنة لا شمس فيها وانما المراد ان في الجنة حالة
تشبه الظل كغدوات الصيف قبل طلوع الشمس وفي الحديث ظل الجنة سجسج اي معتدل لا حر
فيه ولا برد وقوله تعالى وظل ممدود اي لا تنسخه شمس كظل الدنيا وفي الحديث ان في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اي في ذراها كقولك لرجل انا في ظلك اي ناحيتك
وذراك والعرب تجعل الليل ظلا وهو لا شمس فيه قال ذو الرمة • قد اعسف النازح المجهول معسفه
في ظل اخضر يدعو هامه البوم • والاخضر هنا الليل فاراد في ستر ليل وفي مستودع متعلق
بطبت اي الوضع الذي استودع فيه ادم وحوا من الجنة وقيل المراد الرحم الذي وضعت وانت

نطفة

شرح ابيات العباس بما الامر لديه عليه

[illegible]

من البسيط

نطفة فيه كما في قوله تعالى فمستقر ومستودع اي مستقر في الصلب ومستودع في الرحم حيث يخصف
الورق ظرف متعلق بطبت اي في مكان يخصف ادم وحوا الورق اي يلزقان الورق ورقة على ورقة
ليكون كالستر عوراتهما ثم هبطت اي دخلت البلاد يقال هبط بلد كذا اذا دخله وليس بمعنى
النزول لان ذلك لازم وهذا متعد اي دخلت في صلب ادم اذ كان نورك معه البلاد المعهودة التي
دخلها ادم كارض الهند التي نزل بها ادم ومكة فان قلت البلد اسم للابنية المجتمعة ولم يكن ثم
ابنية فكيف اطلق عليها اسم البلد قلت باعتبار ما يؤول اليه او باعتبار محالها التي بنيت فيها
لا بشر خبر مقدم وانت مبتدا مؤخر والجملة حال من فاعل هبطت اي هبطت حال كونك غير بشر اي
انسان ولا مضغة اي قطعة لحم تكثفت اليها العلقة ولا علق جمع علقة وهي دم اصله مني لان
المني لا يصير علقة ومضغة الا بعد القائه في رحم المراة والنبي صلى الله عليه وسلم كان نورا في جبين ادم
يستمع ادم تسبيحه ونطفة في صلبه بل انت حينئذ نطفة اي ماء صاف في صلب ادم وغيره
من ابائه كشيث ونوح تركب السفين جمع سفينة اي تركبها مع نوح حين نجاه الله من الغرق وسلم
ببركتك وحفظه الله مما عذب به اهل الارض لانك في صلبه وقد الجم نسرا وهو صنم كان يعبده
قوم نوح وهو المذكور في قوله ويغوث ويعوق ونسرا ومعنى الجم وصل الغرق الى فيه وفي فمه
ومنعهم من الكلام كاللجام الذي يكون في فم الدابة واهله اي عابديه الغرق بسبب الطوفان الذي
اهلك به قوم نوح ونجا نوح ببركته في السفينة وكان اذ ذاك نور النبي صلى الله عليه وسلم على جبينه
ومادة جسده الشريف في صلبه ووقعت النجاة لمن وقعت ببركته صلى الله عليه وسلم تنقل
اي ينقلك الله من صالب اي صلب وهو عظم من لدن الكاهل الى عجب الذنب واللغتان مذكورتان
في القاموس وفي نهاية ابن الاثير ان الصالب قليل وابن قتيبة قال لم اسمعها الا في شعر
العباس ومن سمع حجة على من لم يسمع الى رحم متعلق بتنقل وهو بيت منبت الولد ووعاؤه
اذا مضى عالم اي قرن بدا اي ظهر طبق اي قرن اخر اي اذا مضى قرن ظهر قرن وانما قيل للقرن
طبق لانهم طبق الارض ثم ينقرضون ويأتي طبق للارض اخر يريد ان الله لم يقطع ذكرك في القرون

موضوع

افواه اوفي

الماضية بل كلما مضى طائفة اتت اخرى وذكرك شائع بينهم الى ان اراد الله ظهورك في النشاءة
الانسانية وقد ذكر بعد قوله بل نطفة تركب السفين الى اخره بيتا اخر وهو وردت نار الخليل مكتتما
تجول فيها ولست تحترق ه وجا بعد الابيات ثلاثة اخرى وهي قوله حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء دونها النطق ه وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق ه
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق ه احتوى اي حاز وبيتك اي شرفك ومنه
قول الفرزدق ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول ه اي شرفا قال ابن الاعرابي
بيت العرب شرفها يقال بيت بني تميم في بني حنظلة اي شرفها والمهيمن الشاهد على
فضلك وخندف بكسر الخا المعجمة وكسر الدال المهملة وهي في الاصل مشية سريعة كالهرولة
وليس هذا مرادا هنا وانما المراد امراة الياس بن مضر واسمها ليلى بنت عمران وكل اولاد
الياس منها فهو غير منصرف للتانيث المعنوي والعلمية وعلياء اي عزا وشرفا دونها اي
تحتها النطق بضم النون والطا جمع نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواح
واوساط منها شبهت بالنطق التي تشد بها اوساط الناس ضرب مثلا له في ارتفاعه وتوسطه
في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال فعلياء مفعول احتوى وحاصله ان شرفك حوى
من نسب خندف علياء تحتها الجبال الشوامخ وانت مبتدا وهو فاعل معنوي لانه مفسوخ
عن تاكيد لفظي للتا في ولدت فافاد الحصر اي انت لا غيرك بمعنى ان هذه المنقبة لم تثبت لاحد
غيرك لما ولدت اشرقت الارض بالانوار المعنوية وهو معلوم ظاهر وبالانوار الحسية فقد
روى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطا وابن عباس ان امنة بنت وهب قالت لما
فصل مني رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب واخرج
ابو نعيم عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان امنة قالت رايت كانه خرج من فرجي
شهاب اضاءت له الارض حتى قصور الشام ونحوه عن همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله وانما
خرج هذا النور عند وضعه للاشارة الى ما جاء به من النور الذي اهتدى به اهل الارض

وازال

من الكامل

الجملة خبرانت واشرقت

رايت ح

وازال الله به ظلام الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه واضاءة قصور بصرى منه للاشارة الى ان
الشام دار ملكه وضاءت لغة في اضاءت بنورك الافق فاعل ضاءت وفي النهاية انث الافق ذهابا
الى الناحية كما انث جرير السور في قوله لما اتى خبر الزبير تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع
ويجوز ان يكون الافق واحدا وجمعا كالفلك فنحن ~~مبتدا ونخترق خبره والجار والمجرور متعلق بنخترق~~
~~والمراد بالنور النور الذي ظهر عند ميلاده فانه اورث ايمانا به في غالب الاقارب واعمامه حتى ان الشفا~~
~~قابلته اسلمت هي وابنها عبد الرحمن بن عوف من اجل ذلك النور~~ وسبل الرشاد اي طرقه لا نزال
نخترق اي نسير ونسافر في درجات الايمان ومراتب الايقان من علم اليقين الى عينه الى حقه فنحن
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر رواه عنه احمد بن حنبل رضي الله عنه والبزار والبيهقي
وابو ذر جندب بن جنادة الذي شهد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما اقلت الغبراء اصدق
لهجة من ابي ذر توفي بالربذة وحيدا وعاش وحيدا ويحشر يوم القيمة وحيدا كما اخبر بذلك النبي
صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وثلاثين وابن عمر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ابو عبد الرحمن
العدوي شهد الاحزاب والحديبية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عبد الله رجل صالح وقال
جابر ما منا احد الا قد مال الى الدنيا ومال بها الا عبد الله بن عمر مات سنة اربع وسبعين
وحديث ابن عمر اخرجه الطبراني وابو نعيم في الدلائل وابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
ترجمان القران توفي بالطائف سنة ثمان وستين وابو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر مات
سنة سبع وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين ثم ان حديث ابن عباس اخرجه
احمد والبزار وابن ابي شيبة والبيهقي وحديث ابي هريرة اخرجه الشيخان وجابر
ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري مات سنة ثمان وسبعين وحديث جابر اخرجه
البخاري واقول هذا الحديث ورد ايضا عن علي رضي الله عنه اخرجه احمد والبيهقي وعن ابي موسى
الاشعري اخرجه احمد وعن السائب بن يزيد اخرجه الطبراني في الاوسط وعن عبد الله بن

من الكامل

ابو ذر

ابن عمر

ابن عباس

ابو هريرة

جابر

غزوة تبوك آخر غزواته

عمرو بن العاص اخرجه احمد **انه قال** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم **أُعْطِيتُ خمساً** قاله في غزوة
تبوك وهي اخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه **وفي بعضها** اي الروايات **ستاً**
والجمع بين الروايتين ان يقال لعله اطّلع اولاً على بعض ما اختص به ثم اطّلع على الباقي بعد ذلك
على ان المختار ان العدد لا مفهوم له فيندفع الاشكال من اصله **لم يُعْطَهُنّ نبي قبلي** وفي رواية
احد قبلي اي من الانبيا والمراد لم يعط واحدة من الانبيا احد فكل واحدة منهن مختصة بي لا يشاركني
في واحدة منهن احد **نُصِرْتُ بالرُّعْبِ** اي بفزع اعداي مني **مسيرة شهرٍ** اي اذا بلغت مسافة
ما بين اعداي وبيني شهرا فانهم يفزعون مني ويفزعون فيما دونها بالطريق الاولى وهذه خصوصية
حاصلة له على الاطلاق حتى اذا كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه
احتمال وانما قدر المسافة بشهر لانه لم يكن بينهم وبين احد من اعدايه اكثر منها **وجُعِلَتْ لي الارض**
اي كلها **مسجدا** قيل اراد موضع سجود فاينما اردت سجدتُ وصليتُ سواكان المحل متيقن
الطهارة ام مظنونها وسواكان المحل بيعةً ام كنيسةً ام مسجداً بُني للصلوة بخلاف من قبله فانه
منهم من كان لا يصلي الا في محل متيقن الطهارة وهذه الامة خفف عنها فجاز لها الصلوة الا
في متيقن النجاسة ومنهم من كان لا يصلي الا في بيعة او كنيسة او حيث يبلغ محرابه كما جاء
مصرحا به في بعض الروايات وقيل اراد انه يجوز له ان يصلي حيث كان فالارض كلها له كالمسجد
الذي هُيِّئ للصلوة فهو من مجاز التشبيه اما ان يكون استعارة او هو تشبيه بليغ على
الخلاف فيه **وطَهُوراً** اي مُطَهِّرةً حكماً لا حقيقة فالتيمم مبيح للصلوة لا رافع للحدث وقد
استدل به من اجاز التيمم بجميع اجزاء الارض وخص الشافعي رضي الله عنه بالتراب لرواية وتربتها
طهورا فقد جاءت مقيدة بالتراب وحملوا الرواية المطلقة عليها للقاعدة المقررة من حمل المطلق
على المقيد **فايما رجل من امتي** لم يقيد بالرجال لاختصاص هذا الحكم بهم بل لان الرجال هم
الافضل وكثيرا ما يذكر الرجال ويكون الحكم شاملا للنساء للعلم بذلك **ادركته الصلوة فليُصَلِّ**

اي اذا

اي اذا دخل وقت صلوة على احد من امتي فليصل حيث ادركته لا يوخرها لاجل وضوء ولا لاجل
مكان معين وهذا عام في الاماكن لكن جاءت احاديث صحيحة بالنهي عن الصلوة في اماكن كالمقبرة
التي لم تنبش والمجزرة والطرق والوادي الذي نام النبي صلى الله عليه وسلم فيه عن الصلوة وقيل كل
وادٍ واعطان الابل والمزبلة والحمام ونحو ذلك **واُحِلَّتْ** اي احل الله **لي الغنائم** وفي رواية

الفرق بين الغنيمة والفيء

المغانم وهي جمع غنيمة وهي عند الفقهاء ما حصل من الكفار بقتال او ايجاف اي اسراع خيل
وركاب بخلاف الفيء فانه حصل بلا قتال وايجاف والمراد بالغنيمة هنا ما يشملها فانهما
اذا ذكر احدهما يراد منه ما يشملهما بخلاف ما لو جمع بينهما فيفسر كل واحد بتفسيره المذكور **ولم تُحَلَّ
لنبيٍّ قبلي** بل كان من قبله من الانبياء على ضربين من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من
اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم ان ياكلوه بل تاتي نار من السماء فتاكله وكانت في
صدر الاسلام حلالا للنبي صلى الله عليه وسلم فقط ثم استقر امرها بعد ذلك على ما هي عليه
الآن واقتصر على عدم حلها للنبي ولم يذكر عدمه للرسول لانه يلزم من عدم حلها للاعم عدمه
للاخص لانه اذا انتفى حكم عن الاعم انتفى عن الاخص ولا عكس **وبُعِثْتُ** اي ارسلني الله **الى

عموم رسالته صلى الله عليه وسلم

الناس كافّةً** في القاموس الناس يقال للانس والجن اي لانه ماخوذ من النوس وهو
الحركة اما ارساله الى الانس فمعلوم واما الى الجن فدليله قبل الاجماع قوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا والجن منهم بلا خلاف واية الاحقاف والجن مصرحان بذلك وقد روي في هذا الحديث
وارسلت الى الخلق كافة وقيل الناس ماخوذ من الانس فهو خاص بالانس ولا يطلق
على الجن على هذا وعليه تعبير هذا الحديث بالناس وقوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا ينبغي لمفهومه رسالته الى الجن واقول على تقدير تخصيص الناس بالانس لا ينفي
ارساله الى الجن لان مفهومه مفهوم لقب وهو غير حجة عندهم الا الدقاق فانه عنده حجة وبالجملة
فلا يُنكِر ارساله الى الجن الا من لم يخالط بشاشة الايمان قلبه على ان التقي السبكي من مجتهدي
مذهبنا رجح القول بارساله الى الملائكة لعموم قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا فان قلت ما فائدة

الرسالة الى الملائكة وهم معصومون والمعصية لا تقع منهم والرسالة انما تكون للانقاذ من المهالك قلت الرسالة لا تنحصر في ذلك بل ربما تكون لرفعة درجات المرسل اليهم ودلالتهم على امور تقربهم الى الله تعالى لم يكن لهم بها علم والاكثر من معصوم ممن هو افضل من الملائكة دخل تحت دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم اما حقيقة كعيسى والخضر على القول بنبوته وهو الاصح والياس واما حكما كموسى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي فهذا الذي ندين الله به ولا نبالي بما وقع لفخر الدين الرازي من الشافعية والنسفي من الحنفية في تفسير اية الفرقان **واعطيت الشفاعة** قيل اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى وهي التي تكون في فصل القضاء بعد ذهاب اهل الموقف قاطبة الى ادم ثم نوح ثم ابرهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يأتون اليه فيشفع فيهم تلك الشفاعة التي تشمل كل من في الموقف ويحمده في ذلك المقام كل منهم وهو المقام المحمود والظاهر ان اللام فيها ليست للعهد وانما هي لاستغراق خصائص الجنس كقولهم انت الرجل علما اي الشفاعة الكاملة فان له شفاعات مشاركه في بعضها بعض الانبيا والغالب لم يشاركه فيه احد على ان العدد الذي وقعت الشركة فيه لا يقاس ما ناله غيره منه بما ناله هو وكانه هو الحائز له والمستبد به الاولى الشفاعة العظمى الثانية في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب وهذه ايضا لا يشاركه فيها احد لانه لا يدخل احد الجنة بغير حساب من غير امته بدليل حديث عرضت علي الامم الحديث الثالثة في جماعة استحقوا دخول النار فلم يدخلوها وهذه لا تختص به بل قال القرطبي والمصنف في شرح مسلم يشاركه فيها من شا الله غير انه لا يبعد فيها احد كما تشهد لذلك الاخبار الرابعة في جماعة دخلوا النار فيخرجون منها وهذه يشاركه فيها غيره غير انه يختص منها باخراج من في قلبه مثقال خردل من ايمان والخامسة في رفع درجات اناس وهذه ايضا خاصة به والسادسة تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كابي طالب بدليل قوله في شانه ولولا انا لكان في الدرك الاسفل فهو في ضحضاح

الخضر نبي على الاصح

مبحث الشفاعة

من نار

من نار يغلي منه دماغه ولا يبعد اختصاصه به **السابعة** في من مات بالمدينة المشرفة فقد روى الترمذي وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن مات بها وهذه مختصة به قطعا **الثامنة** شفاعته لمن صبر على لاواء المدينة فقد روى مسلم من حديث ابي سعيد الخدري وغيره مرفوعا لا يثبت احد على لاوائها وجهدها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة **التاسعة** شفاعته في فتح باب الجنة **العاشرة** شفاعته لمن زار قبره ففي صحيح ابن خزيمة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي **الحادية عشر** شفاعته لمن صلى عليه وسلم بعد الاذان وبعد اجابة المؤذن ثم سال الله له الوسيلة فانه من يفعل ذلك وجبت له الشفاعة يوم القيمة **وفي رواية بدل هذه الكلمة** اي بدل قوله اعطيت الشفاعة سماها كلمة باعتبار اللغة وايضا الجملة اذا اريد لفظها فهي كلمة حكما **وقيل لي** اي قال الله لي حذف الفاعل للعلم به **سل تعطه** اي سلني ما تريد تعطه وهذه تؤدي مؤدى قوله اعطيت الشفاعة لان هذه المقالة يقولها النبي صلى الله عليه وسلم لما تحصر فيه الشفاعة ويقول انا لها انا لها فيخر تحت العرش ساجدا فيقول ارفع راسك محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع وانما ذكر هذه الرواية لان فيها الاشارة الى انه لم ينل الشفاعة الا بسواله ولم اسال ربي الا بامره لان في السوال بالامر كمال الادب **وفي رواية اخرى عرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع** اي عرفتهم كلهم لانهم اما تابع واما متبوع وانا عرفت الفريقين او يقال معناه اني كما عرفت ذواتهم عرفت صفاتهم بل ذكر العراقي في شرح المهذب انه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخلق من لدن ادم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم ادم الاسما بل روى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولا وانه ليكون منه الشي فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا

غاب عنه اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود **وفي رواية بعثت** اي ارسلت **الى الاحمر** اي الى كل فرد فرد من افراد الاحمر فاللام للاستغراق **والاسود** اي الى كل فرد فرد من افراده ويساعد ذلك معونة المقام اذ المقصود عموم رسالته الى العرب والعجم او الى الجن والانس واما عموم رسالة نوح فلم يكن في اصل بعثته وانما عرض بسبب انحصار اهل الارض في من كان معه في السفينة بعد انقضاء الطوفان بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فان عموم رسالته من اصل البعثة. فان قلت كيف يقول اهل الموقف لنوح عليه الصلوة والسلام انت اول الرسل اي الى اهل الارض فثبت بذلك عموم رسالته قلت لا دليل في هذه المقالة على عموم رسالته وانما فيها ثبوت اصل الرسالة ولم يكن قبله رسول الى غيره ولاده واما ادم فانه رسول الى اولاده فقط فان قلت لم عذب الله اهل الارض بتكذيبهم نوحا بالغرق فلو لم يكن مرسلا اليهم لم يستحقوا العذاب لان الله تعالى قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قلت الادلة ناصة على خصوص رسالته الى قومه والاصل عدم العموم والتعذيب المذكور لا يلزم ان يكون لتكذيبهم نوحا بل يجوز ان يكون قومه عذبوا لتكذيبهم اياه وغيرهم عذب ايضا لان الله تعالى جرت عادته انه لا يخص بالعذاب الدنيوي مستحقه بل يعم بالعذاب المستحق وغيره قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة او يقال ان نوحا استقبح الكفر من كل احد سواء ارسل اليهم ام لم يرسل فدعا على كل كافر فاستجيبت دعوته في كل اهل الارض واما القول بجواز ان يكون ارسل اليهم نبي فكذبوه فعذبوا ففيه نظر لانه لم يثبت انه كان في زمنه رسول وفي هذا رد ظاهر على طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية يزعمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل الى العرب خاصة ووجه الرد ان يقال انكم اعترفتم بنبوته فيجب تصديقه فيما ادعى من عموم الرسالة والا لكان كاذبا والكاذب لا يكون رسولا **قيل السود** الذي وقع في الحديث معنى فانه عبر بالاسود واللام فيه للاستغراق فكأنه عبر بالسود **العرب لان الغالب على الوانهم** اي العرب **الادمة** بضم الهمزة

ولكون

مطلب
عموم العذاب الدنيوي

وسكون الدال وهي في الادميين السمرة وفي الظباء بياض يشوبه سمرة **فهم السود والحمر العجم وقيل المراد البيض والسود من الامم** واطلق على البيض لفظ الحمر لان العرب تقول امراة حمراء اي بيضاء وسئل ثعلب لم خص الاحمر دون الابيض فقال لان العرب لا تقول رجل ابيض من بياض اللون انما الابيض عندهم الطاهر النقي من العيوب فاذا ارادوا الابيض من اللون قالوا الاحمر قال ابن الاثير وفي هذا القول نظر فانهم قد استعملوا الابيض في الوان الناس وغيرهم واقول لعل مراد ثعلب انهم يستعملون الاحمر في محل اللبس فانه صلى الله عليه وسلم لو قال بعثت الى الابيض والاسود لتوهم ان المراد النقي من العيوب وغيره فاراد وضوح مقالته الى حد لا يقع فيها توهم غير المقصود فعبر بالاحمر **وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر** رواه البخاري ومسلم **عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم** من اضافة الصفة الى الموصوف اي الكلم الجوامع يعني انه اعطي كلمات موجزة جامعة لمعان كثيرة وهو القران لان الله تعالى جمع فيه بلطفه في الفاظه اليسيرة معاني كثيرة وفي حديث اخر كان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم اي ان كلامه قليل الالفاظ كثير المعاني وفي حديث اخر كان يستحب جوامع الدعاء وهي التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة او تجمع الثناء على الله واداب المسئلة **وبينا** اصل بينا بين اشبعت الفتحة فتولدت الالف وهي بمعنى بينما وما زائدة وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجاة ويضافان الى جملة اما فعلية واما اسمية ولا بد لهما من جواب يتم به المعنى والغالب في الجواب ان يكون باذ واذا كقوله استقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر اذ دارت مياسير وقول الشاعر فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف وقد يخلو الجواب عنهما فقد سمع من العرب كثيرا بينا زيد جالس دخل عليه عمرو وجملة **انا نائم** في محل جر باضافة بينا اليها وقيل بين مضافة الى زمن محذوف مضاف الى الجملة اي بين اوقات العمر موجود **اذ** حرف مفاجاة **جيء** اي جاء ملك من عند الله تعالى **بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي** قيل المراد ان امته تملك الارض وترتفع الاديان الادنية وتوضع الجزية وذلك في زمن عيسى

عليه الصلوة والسلام ولا يبقى في الارض قدر انملة الا وهي مذعنة لهذه الامة وفي المواهب اللدنية لشيخ
اشياخنا الشهاب القسطلاني قال بعضهم هي خزائن اجناس العالم فيخرج لهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم
فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح
كما اختص الله تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص
باعطائه مفاتيح الخزائن واقول الذي يظهر لي ان المراد بخزائن الارض العناصر وما تولد منها
واعطاؤه المفاتيح كناية عن انه استولى عليها غاية الاستيلاء وانه تعالى مَنّ عليه بذلك فان قلت هل
قبل ذلك او لا قلت الذي يتراءى من سيرة المصطفى انه لم يقبل ذلك بل كان ديدنه ايثار مقام
العبودية وترك الاختيار مع الله كما يظهر ذلك لمن تامل مقاصده الشريفة وفي رواية عنه وختم بي النبيون
اي ختمهم الله بي فان وجد بعده نبي فمن اتباعه كالخضر والياس وعيسى عليهم الصلوة والسلام فان قلت
كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدي الا ما شاء الله فما معنى هذا الاستثناء قلت المراد بالنبوة
ما كان من خواصها وقد بقي منها الرؤيا الصالحة والاطلاع على بعض المغيبات لبعض الاولياء وفي صحيح
مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا
موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة وفي رواية فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وانما ختم به النبيون
لانه اكمل النوع الانساني فجعله الله اول النوع باعتبار الروح وسائر الارواح مقتبسة منه وختم
بهيكله العنصري اكمل النوع الانساني وهم الانبياء مع بقاء انواره سارية في خواص امته الى يوم القيمة
او الى ان ياتي امر الله وعن عقبة بن عامر هو الجهني وهو صحابي كبير امير شريف فصيح مقرئ فرضي
شاعر ولي غزو البحر مات سنة ثمان وخمسين بمصر وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود
والنسائي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم اليه
والجار والمجرور متعلق بفرطكم باعتبار تضمينه معنى منتظركم ويمكن ان يكون مستقرا حالا من الضمير
المستكن في فرط لانه صفة مشبهة اي انا متقدمكم حالة كوني على الحوض يقال فرط يفرط فهو فارط وفرط

انظر معنى وضع مفاتيح خزائن الارض بيده

كلام الشارح

عقبة بن عامر

اذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والارشية وانا شهيد عليكم اي يوم القيمة
روى البخاري في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى
نوح يوم القيمة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما
اتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فتشهدون انه بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا
فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وحاصله ان الشهادة للانبياء بالتبليغ خاصة بهذه الامة وانه لا يزكي هذه الامة الا نبيها
صلى الله عليه وسلم لا يشاركه في ذلك مشارك وليست هذه الشهادة خاصة بنوح بل هي لهود
ولوط وسائر الانبياء كما جاء في رواية الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يجيء النبي ومعه الرجلان والنبي ومعه
اكثر من ذلك قال فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال للنبي ابلغتهم فيقول نعم فيقول من يشهد
لك ثم ذكر قوم هود ولوط فان قلت هذا الفعل شهادة لهم لا عليهم قلت لما كان الرسول
كالرقيب عليهم والمهيمن ضمن الشهيد معنى الرقيب فعدي بما عدي به واني والله لانظر الى
حوضي اي انا مله ببصري والحوض الذي اضافه النبي صلى الله عليه وسلم الى نفسه الشريفة هو
حوض في ارض الموقف يرد الناس عليه عطاشا وهو قبل الصراط قال القرطبي قال علماؤنا
كل من ارتد عن دين الله او احدث فيه ما لا يرضى الله تعالى ولم ياذن به فهو من المطرودين عن
الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والرافضة والمعتزلة على اختلاف
فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق واذلال اهله والمعلنون
للكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة اهل الزيغ والبدع وانما اضافه الى نفسه للدلالة على انه مختص
به صلى الله عليه وسلم وان كان لكل نبي حوض الا ان الحوض العظيم الذي يكون معظم شرب الناس منه
وورودهم عليه خاص به صلى الله عليه وسلم وقوله الآن ظرف لانظر ونظره اليه في الدنيا بطريق الكشف
كنظره الى سرير النجاشي وهو بالحبشة والى قتل اصحابه وهم بمؤتة من ارض الشام وهو صلى الله
عليه وسلم بالمدينة ورؤيته لامته الذين لم ياتوا بعد في صورة سواد ورؤيته للفتن واخباره عنها

ولفظه ح

حوض صلى الله عليه وسلم ه

واحدة واحدة وقوله صلى الله عليه وسلم واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض تقدم الكلام عليه
آنفا واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا اي من ان تشركوا بعدي ظرف لتشركوا والخطاب منه صلى
الله عليه وسلم للاصحاب اولا ولامته لانهم معصومون عن الاجتماع على الضلال ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
اي من المنافسة وهي الرغبة في الشي والانفراد به وهو ماخوذ من الشي النفيس الجيد فيها اي في
الدنيا فانها تودي الى الهلاك الابدي والطرد عن باب الله تعالى وعن عبد الله بن عمرو اي روي عنه
ورواه احمد بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا محمد النبي الامي اي المنسوب الى الام
لكونه غير كاتب ولا قاري ويسمى نبي الاميين لان الكتابة في العرب عديمة او عزيزة كذا في النهاية
قلت الصواب انها عزيزة فقد كان فيهم من هو كاتب كعمر بن الخطاب فانه كان كاتبا في جاهليته
لا نبي بعدي لاني خاتم الانبيا ويلزم من نفي الانبيا بعده نفي الرسل لانه يلزم من نفي الاعم نفي
الاخص ولا عكس كما يلزم من ثبوت الاخص ثبوت الاعم ولا عكس اوتيت اي اعطاني الله تعالى
جوامع الكلم تقدم الكلام على معناه قريبا وخواتمه اي الكلم جمع خاتم اي حسن ختامه فلا كلام
اتكلم به الا واختمه بخاتمة حسنة كآمين فاني اختم بها الدعاء وهي من خواصه ففي حديث انس
رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله اعطاني خصالا ثلاثا
اعطاني صلوة في الصفوف واعطاني التحية انها لتحية اهل الجنة واعطاني التأمين ولم يعطه
احدا من النبيين قبلي الا ان يكون الله اعطى هرون وموسى يدعو موسى ويؤمن هرون رواه
ابن خزيمة في صحيحه وفي سنن ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حسدتكم اليهود على شي ما حسدتكم على آمين فاكثروا من قول آمين ومن
خواصه خواتم سورة البقرة اوتيها من تحت كنز العرش والضمير في خواتمه راجع الى الكلم وذكر
الضمير وافرده باعتبار ان الكلم اسم جنس لا جمع ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والتاويل خلاف الظاهر وعلمت خزنة النار اي ذواتهم بان رايتهم ويدل على ذلك وصفه لهم
بصفات مقتضية لعلمه بهم اتم علم فقد روي عنه ان خزنة جهنم تسعة عشر ما بين منكبي

احدهم

لم يتقدم للمصنف ذكر
خزان فينبغي الاتيان
الى آخره

خزنة جهنم

احدهم مسيرة مائة خريف ليس في قلوبهم رحمة انما خلقوا للعذاب يضرب الملك منهم الرجل
من اهل النار الضربة فيتركه طحينا من لدن قرنه الى قدمه واخرج ابن المنذر عن مجاهد قال
حدثت ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان جهنم فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم
الصياصي يجرون اشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل احدهم بالامة من الناس يسوقهم على
رقبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم ورئيس خزنة جهنم مالك له اصابع
بعدد اهل النار يرسل الى كل جهنمي اصبعا يعذبه بها اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم وحملة العرش
اي وعلمت حملة العرش ورايتهم ولم يعلمهم احد غيري من الانبيا قال تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى
قال ابن زيد ثمانية املاك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان هم صح
يوم القيمة ايدهم الله باربعة آخرى وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها
يسال الرزق لذلك الجنس وفي الخبر ان فوق السما السابعة ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن
مثل ما بين سما الى سما وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرجه الترمذي وعن ابن عمر
اي روي عنه ورواه احمد بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي
الساعة اي القيمة يشير بذلك الى ان دينه خاتم الاديان وانه اخر دين يعبد الله به على وجه
الارض بحيث انه مرتبط بالساعة لا يفترق احدهما عن الاخر بدين غير دينه ولهذا شبه هذا
الارتباط بالسبابة والوسطى فانه كما لا فاصل بينهما لا فاصل بين دينه وبين الساعة
فان قلت قد جا في الاخبار ان دينه ينقطع ولا يبقى على وجه الارض الا الكفر فهذا فاصل واي فاصل
قلت المراد انه لا فاصل بدين اخر ويتضمن ذلك ختمه للانبيا وذلك من كرامته على الله تعالى ولهذا
اورد المصنف هذا الحديث في هذا الباب وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا
والساعة كهاتين قال قتادة في قصصه اي وعظه كفضل احداهما على الاخرى وروى المستورد بن
شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه

بيان حملة العرش

اخرى فكانوا ثمانية وفي الحديث
ان لكل ملك منهم اربعة صح

ترجمة ابن وهب

واشار باصبعيه السبابة والوسطى ومن رواية ابن وهب خبر مقدم وان واسمها مبتدا مؤخر
وجوبا لئلا يلتبس ان المفتوحة بالمكسورة وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم القرشي
مولاهم المصري احد الاعلام يروي عن ابن جريج ويونس الايلي وحيوة بن شريح والسفيانين ومالك
والليث وخلق وعنه احمد بن صالح وحرملة والربيع قال يحيى بن بكير هو افقه من ابن القاسم طلب للقضا
فجنن نفسه وانقطع مات سنة سبع وتسعين ومائة وانما اتى بمن التبعيضية لان هذا بعض حديث
طويل رواه ابو هريرة وذكر فيه قصة الاسرا بتمامها وهذا الحديث رواه البيهقي في الدلايل انه اي النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى مكلما له من غير واسطة كما يشهد له سياق الحديث فانه ذكر ذلك
عند روية الله تعالى سل يا محمد حذف مفعولي سل اما احدها فللتعميم في المطلوب اي سل كلما تطلبه واما
الاخر فللعلم به انه الله عز وجل فقلت ما اسال ما استفهامية وهي مفعول مقدم وجوبا يارب هذا
كناية عن ان الكمالات استوعبها الانبيا فلم يبق كمال الا ونال نبي ثم فصل ما اجمل فقال اتخذت ابرهيم
خليلا اي اصطفيته وخصصته بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال فانه
ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو
الطريق في الرمل فانهما يتوافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال روي ان
ابرهيم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه
لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحا لينة فملاوا منها
الغراير حيا من الناس فلما اخبر ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت
حوارى فاختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك
فقال بل من خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا وكلمت موسى تكليما اي كلمته بكلامي القديم الازلي
واكد بالمصدر لرفع توهم ان يراد خلق الكلام الذي سمعه من الشجرة بان يخلق في الشجرة كلاما كما زعمه
بعض المعتزلة قال وهب بن منبه ان موسى قال يا رب لم اتخذتني كليما فقال الله اما تذكر اذ ند منك
جدي فاتبعته اكثر النهار واتعبك ثم اخذته وقبلته وضممته الى صدرك وقلت له اتعبتني

معنى الخلة

قول بعض المعتزلة ... هذا القول الى القدرية فليحرر

والتعبت نفسك ولم تغضب عليه من اجل ذلك اتخذتك كليما واصطفيت نوحا اي اخترته من بين
اهل الارض واهلكت اهل الارض بدعائه حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده اي لا يتيسر ولا يسهل لكونه معجزة له لا يصلح
لاحد من بعده لعظمه فقال الله تعالى ما اعطيتك اي الذي اعطيتكه فعائد الموصول محذوف
والموصول مبتدا وخير خبر من ذلك اي ما اعطيتك منفردا به من بين الانبيا واما ما شارك
الانبيا فيه فما من كمال اعطيه نبي من الانبيا الا وقد شاركه فيه كما يذكر في باب المعجزات
اعطيتك الكوثر تفصيل لما اعطاه الله اياه وهو نهر في الجنة اعطاه الله لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم حافتاه قباب اللولو المجوف عليه قصر من لولو وزبرجد ترابه مسك اذفر
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل انيته عدد نجوم السما في بطنان الجنة اي
وسطها حصباوه الدر والياقوت عليه طير اعناقها كاعناق البخت صح لهذه الاوصاف
في احاديث صحيحة وقيل الكوثر القران وقيل النبوة والكتاب وقيل غير ذلك وجعلت اسمك
مع اسمي اي مقرونا معه ينادى به اي باسمك كما ينادى باسمي في جوف السما يجوز ان يراد
بالسما الاماكن العالية فيشمل محال الاذان والمنابر كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله
تعالى ورفعنا لك ذكرك قال يقول الله تعالى لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة
والتشهد ويوم الجمعة ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى
الصفا والمروة وان يراد بالسما السما المعروفة فالمراد بجعل اسمه مع اسمه المناداة في
اجواف السما على السنة الملايكة العلويين بحيث انهم كلما يذكرون الله عز وجل يصلون
عليه اذ ما من ملك الا وله السنة يذكر الله بها والسنة يصلي بها على النبي صلى الله عليه وسلم
وجعلت الارض طهورا لك من غير التزام ان يكون طهورك بالما ولامتك فلا يكون جواز التطهر
بغير الما من خواص النبي صلى الله عليه وسلم بل هو شامل له ولامته وقد مضى شرح هذا الحديث
في هذا الباب وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك مما تعاتب عليه

الكوثر

والخاص من هذا قبيل المغفرة فلم يغفر الله لنبي ما يعاتب عليه وقبل التصريح بالمغفرة فلم يصرح
الله لنبي بمغفرة ذنبه بل اخفى ذلك عنهم ولهذا يقول كل نبي منهم نفسي نفسي لعدم امنه بعدم التصريح
له بالمغفرة في الدنيا ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول انا لها لامنه من جهة الله تعالى بقوله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه انه اخبره الله تعالى
بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي وقال ابن كثير
انه الفتح لم يشاركه فيها اي في نعمة فتح مكة غيره وقد اخرج ابو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السما وعلى الانبيا قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله يقول لاهل
السما ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له براءة قالوا فما فضله على الانبياء
قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فارسله الى الانس والجن ثم اوضح ذلك بقوله **فانت تمشي في
الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك** اي الاعلام بالمغفرة ويجوز عود الاشارة الى جميع ما تقدم
لاحد من الانبيا **قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها** هذا كناية عن تيسير حفظ القران
لهذه الامة وعسر حفظ باقي الكتب بحيث نقل ان الحافظين التورية معدودون لقلتهم فان
قلت الحافظ انما هو الخيال فانه خزانة الحس المشترك وهو في الدماغ فكيف جعل القلب هو
الحافظ قلت هذا على راي من اثبت الحواس الباطنة وهم الحكما والمسلمون ينكرونها
ويجعلون الحافظ العقل بل يسندون مطلق الادراك الى العقل سوا كان ادراك جزئي ام كلي
والعقل محله القلب على راي جمهور العلما فاطلق القلب واراد ما حل فيه من هذه القوة المسماة
بالعقل ومثله حديث وجعلت صدور امتك مصاحفها لان العقل في القلب والقلب في الصدور
فيكون من اطلاق المحل وارادة الحال على الروايتين ومعنى الحديث جعلت عقول امتك كالمصاحف
لجامع حفظ القران ابلغ حفظ كان المصحف يضبط الفاظ القران على وجه الصحة كذلك قلوب

امتك

بلغ مقابلته على خط المولف

امتك فجعل القلوب مصاحف تشبيه بليغ بسبب حذف اداته او استعارة تصريحية على الخلاف
في حمل المشبه به على المشبه في نحو زيد اسد وعلى هذا ففي الكلام مجازان الاول مرسل وهو
اطلاق المحل وارادة الحال والثاني استعارة على احد القولين **وخبات** اي ادخرت في عالم الغيب
شفاعتك بان جعلتها يوم القيمة لم تظهر في الدنيا كما ظهرت اثار دعوات الانبيا السابقين
فكانت شفاعته من الغيب الذي يجب الايمان به ومن ثم انكرتها المعتزلة والمراد بشفاعته
التي ادخرها له الشفاعة العظمى في فصل القضا ونحوها من الشفاعات الخاصة كما تقدم
الكلام عليها بدليل قوله **ولم اخباها لنبي غيرك** وان كان للانبيا شفاعات لكن تلك الشفاعات
لا يشاركه فيها احد منهم وهو يشاركهم في شفاعاتهم **وفي حديث اخر رواه حذيفة** هو ابن
اليمان بن الحسيل بن جابر بن اسد ابو عبد الله العبسي ثم الاشهلي حليفهم صاحب السر لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعه على علم المنافقين لم يشهد بدرا هو ولا ابوه استخلاف
المشركين لهما مات سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم **لبشرني يعني ربه** ولم يذكر الفاعل في نفس الحديث مظهرا بل اضمره
وهو راجع الى الله تعالى وان لم يتقدم له ذكر للعلم به على حد قوله تعالى حتى توارت بالحجاب اي الشمس **اول من يدخل
الجنة** مبتدا وسبعون الفا خبره اي بشرني بمضمون هذه الجملة **معي** ظرف ليدخل **من امتي** حال من
الضمير المستكن في يدخل الراجع الى من وجملة قوله **مع كل** الى اخره صفة لسبعون الفا او حال منه
الف سبعون الفا وجملة **ليس عليهم حساب** صفة لسبعون الفا الثانية ويلزم ان تتصف
به الاولى لان التابعين اذا كرمهم الله بنفي الحساب عنهم فلان تكرم المتبوعين به بالطريق الاولى
وقد بين هولا السبعين الفا في حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت
علي الامم فرايت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع
لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا
سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وفي رواية

حذيفة بن اليمان

سبعون الفا

للبخاري سبعمائة الف ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب
ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم
الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله تعالى وذكروا اشيا فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال
انت منهم ثم قام رجل اخر فقال سبقك بها عكاشة رواه الشيخان وعن ابي امامة الباهلي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين
الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي
رواه ابو بكر بن ابي شيبة وروى مثله الطبراني عن ابي سعيد الانماري وقد حسب ذلك
في حديث بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفي بعض
الروايات ان الله قادر على ان يدخل الامة كلها الجنة بحفنة واحدة وسئل يحيى بن معين
عن اصحاب الحثيات قال قال صالح هم الذين وقعوا في القبضة الاولى التي قبضها يحانه
يوم القبضتين وانما عدد القبضة يوم القيمة وكانوا في عالم الذر قبضة واحدة اعتنا
بهم لانهم لقوا الله بالايمان واظهارا للتفاوت بين مراتبهم فمن كان من حثيته الاولى كانت
اعماله اكثر واحسن ومما اجاب به ابن القيم في حادي الارواح من انه انما عدد القبضة
لانهم صاروا اجسادا او كبرت هياكلهم وكانوا قبل ذلك كالذر فتعقب بان قبضة الله
لا تتفاوت بالنظر الى كبر هيكل المقبوض وصغره بل احد ملائكته خلق فيه قدرة على ان
يقبض اولاد آدم من اولهم الى اخرهم في قبضة واحدة فلا يعجز عن قبضهم كلهم فضلا عن
السعدا منهم **واعطاني** اي الله تعالى **ان لا اجوع امتي** لا يخفى ان ان المصدرية تخص المضارع
للاستقبال فالمراد اعطاني نفي الجوع عن امتي في الزمن المستقبل الصادق على ايام الدنيا
كلها والبرزخ والاخرة وهذه النعمة ينبغي امتياز النبي صلى الله عليه وسلم بها من بين ساير

الانبيا

الانبيا اما في الدنيا فلان الله تعالى لم يسلط على هذه الامة جوعا يهلكها عن اخرها او غالبها كما وقع
لبعض الامم واما في البرزخ فان الله جعل لشهدائهم ماكلا من الجنة واما في الاخرة فلهم من الكرامة
عند الله تعالى ما تضيق عنه العبارة **ولا تغلب** اي لا يغلبهم احد من لعين منهم غلبة تدوم
وان غلبوا اياما يسيرة فعاقبته النصر لهم بحيث يدوم ملك هذه الامة لهم الى قيام الساعة
واعطاني النصر اي على من يعاديني مع قلة عدد اتباعه في بدء امره **والعز** اي الغلبة والقوة
عليهم **والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا** الظاهر انه شهرا منصوب على انه مفعول مطلق
وليس ظرفا لما لا يخفى اي اذا كان عدوهم في مكان بينه وبينه مسيرة شهر فزعوا منه
وهذا من خواصه وخواص امته وانما خص هذه المسافة بالذكر لانه لم يكن في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم مكان مسافته اكثر من شهر واهله اعداوه صلى الله عليه وسلم وفي
هذه الرواية دليل على ان هذه الخاصة ليست له صلى الله عليه وسلم وحده بل له وللامة
واندفع توقف الشهاب القسطلاني في المواهب عن ان تكون شاملة للامة ايضا
بقوله وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال **وطيب** اي احل **لي المغانم** اي الاموال
الحاصلة من الكفار اعم من ان تكون حاصلة بقتال او ايجاف خيل اولا وهذه من خصائصه
التي لم يشاركه فيها احد لان من كان قبله منهم من لم يوذن له في الجهاد ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا
اذا غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوه وجات نار فاحرقته **واحل لنا** معشر المحمديين **كثيرا مما شدد**
اي من الامور التي شددها **على من قبلنا** فعائد الموصول محذوف والمراد بالتشديد بها تحريمها
عليهم وقد احلها وخفف امرها علينا فقد كان عليهم تكاليف شاقة منها تعيين القصاص
في العمد والخطا فخفف الامر علينا اما في العمد فوجبه اما القصاص واما الدية المغلظة
على القاتل ولا قود في الخطا بل فيه الدية مخففة على العاقلة ومنها قطع الاعضا الخاطئة
ومنها قرض موضع النجاسة **ولم يجعل علينا في الدين من حرج** اي شدة وضيق فقوله علينا اتى
بضمير المتكلم مع الغير يريد به اياه وامته فان نفي الحرج كما هو عنه وقع عن امته ايضا بدليلها

انظر السعي بين يدي امته النصر مسيرة شهر اي عمل له وللامة به صلى الله عليه وسلم

روى معمر عن قتادة قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا نبي كان يقال للنبي اذهب فلا حرج
عليك وقيل لهذه الامة لتكونوا شهدا على الناس ويقال للنبي سل تعطه وقيل لهذه الامة ادعوني
استجب لكم والحرج المنفي عنها هو ما احل لنا من النسا مثنى وثلاث ورباع وما ملكت يمينك وقيل
المراد قصر الصلوة والافطار للمسافر وصلاة الايما لمن لا يقدر على غيره وحط الجهاد عن الاعمى
والاعرج والمريض والعديم الذي لا يجد ما ينفق ومن له والدان وحط الاصر الذي كان على
بني اسرائيل وعن ابي هريرة عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي ما نافية ومن زائدة
ونبي مبتدا مرفوع محلا مجرور لفظا سوغ الابتدا به وقوعه في سياق النفي من الانبيا الجار
والمجرور صفة لنبي الا وقد اعطي الجملة خبر نبي والواو زائدة في الخبر لتاكيد اللصوق والضمير
المستكن في اعطي هو المفعول الاول لاعطي وما اسم موصول في محل نصب مفعول ثان له ومثله
آمن عليه البشر ومثله مبتدا والجملة بعده خبره والجملة صلة الموصول والمثل هنا المساوي
والمعنى ان كل نبي اعطي اية او اكثر من شان من يشاهدها من البشر ان يومن به لاجلها وعلى في
قوله عليه بمعنى اللام او البا الموحدة والنكتة في التعبير بها تضمينها معنى الغلبة اي يومن بذلك
مغلوبا عليه بحيث لا يستطيع دفع ذلك عن نفسه لكن قد يخذله الله فيعاند كما قال تعالى
جحدوا بها واستيقنتها انفسهم قال الطيبي الراجع الى الموصول الضمير المجرور في عليه وهو
حال اي مغلوبا عليه في التحدي والمراد بالايات المعجزات وانما كان الذي اوتيت عائد الموصول
محذوف وهو ضمير منصوب اي اوتيته وحيا خبر كان والمراد بالوحي الموحى لا المعنى المصدري
بقرينة قوله اوحاه الله الي اي ما كان الذي اوتيت من المعجزات الا وحيا وهذا الحصر بالنظر الى المعجزة
العظمى كانه عد باقي المعجزات كالعدم بالنسبة الى القران ويمكن ان يجعل الحصر بالنظر اليه صلى الله عليه وسلم
اي الذي اوتيته انا لا غيري اي انفردت به من بين سائر الانبيا الوحي المعهود وهو القران وان
شاركني باقي الانبيا في اصل الوحي وليس المراد حصر معجزاته في الوحي والافكل معجزة اعطيها
نبي من الانبيا شاركه فيها نبينا وانفرد بالقران الذي هو معجزة تدرك بصائر من حضر نزوله ومن لم

يحضه

زيادة الواو في خبر المبتدا ه

يحضه من ياتي بعد ذلك اعجازه بحيث يدركها كل احد حتى العوام تدرك اعجازه بالهيبة التي تحصل
عند تلاوته والنور الذي يخالج القلب عند قراءته والاعجم الابكم ربما يدرك من اعجازه امرا غريبا
وهذا امر مسلم بالاستقرا فارجو اي اتوقع من الله تعالى ان اكون اكثرهم اي الانبياء تابعا يوم القيمة
وذلك لان القران الذي اوتيته اعظم واظهر من كل معجزة اعطيها نبي لان كل نبي معجزته مدركة
بالبصر كالعصا والناقة واليد البيضا والبساط او بالسمع كتاويب الجبال لداود ونحو ذلك
فاذا مات صاحب المعجزة او قطع التحدي غابت المعجزة عن الادراك وصارت من الاخبار ولم
يات احد بمعجزة اذا جا من بعده يدرك اعجازها واما التورية والانجيل والزبور وسائر الصحف
التي نزلت على الانبيا فلا اعجاز فيها ولهذا قدر كثير من علما اليهود والنصارى على تبديل ما
شاؤا منها وكتبت بلغات مختلفة لان كل معجزة لها نظير بحسب الصورة يمكن ان تسند
الى السحر ما عدا القران فانه لا يشاركه شي لا صورة ولا حقيقة فلا جرم انه صلى الله عليه وسلم
يكون اكثر الانبيا تابعا لجلالة هذه المعجزة ولبقائها ودوامها وقد حقق الله تعالى رجاه كما يدل
عليه حديث عرضت علي الامم الحديث وسياتي منا كلام طويل في بيان اعجاز القران لا مزيد عليه
في محله ان شا الله تعالى معنى هذا الحديث اي مضمونه وما يلزم معناه المطابقي عند المحققين
اي التابعين للحق بقا معجزته ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها فان قلت القران يندرس قبل فناء
الدنيا فقد روى ابن ماجة بسنده الى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلوة ولا نسك ويسرى
على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الارض اية ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير
والعجوز يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله فنحن نقولها قال له صلة ما تغني
عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلوة وما صيام وما نسك ولا صدقة فاعرض عنه حذيفة
ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة تنجيهم
من النار ثلاثا فهذا الحديث صريح في ذهاب القران وارتفاعه من الارض قلت ان بقا الدنيا

بلغ الشيخ العلامة زين الدين الاشعافي قراءة على شرحي على الشفا الى هنا حسبه مؤلفه عمر العرض ان مع

رجال الغيب نفعنا الله بهم

بعدا رتفاع القران كلا بقا وان ذلك البقا فنا وعن علي رضي الله عنه قال اي علي فالحديث موقوف
لكنه في حكم المرفوع باعتبار ان مثل هذه المقالة لاتكون الاعن توقيف كل نبي اعطي اي اعطاه الله
سبعة نجبا جمع نجيب اي رفقا نجبا يصحبونهم في المهمات ويعاضدونهم في الشدائد فكان لكل نبي
سبعة منهم واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا اي رفيقا فاضلا كاملا وهولا
غير النجبا الذين هم من اوليا هذه الامة وهم سبعون رجلا مسكنهم مصر ففي تاريخ بغداد للخطيب
عن الكتاني قال النقبا ثلثماية والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار سبعة والعمد
اربعة والغوث واحد فمسكن النقبا المغرب ومسكن النجبا مصر ومسكن الابدال الشام
والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة
من امر العامة ابتهل فيها النقبا ثم النجبا ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل
الغوث فلا تتم مسلمته حتى تجاب دعوته منهم اي من هولا الاربعة عشر ابو بكر بن ابي قحافة
التيمي الصديق وعمر بن الخطاب الفاروق وعبد الله بن مسعود المعروف بابن ام عبد وهو
من السابقين الاولين واحد العبادلة المشهورين ومن فقها الصحابة المعتبرين مات بالمدينة
سنة اثنتين وثلاثين وعمار هو ابن ياسر العنسي ابو اليقظان مولى بني مخزوم اسلم هو
وابوه وامه وكانوا ممن يعذب في الله تعالى احد السابقين البدريين وهو الذي قال في حقه
صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية قتل بصفين مع علي بن ابي طالب عن
ثلاث وتسعين سنة سبع وثلاثين وقال صلى الله عليه وسلم لم يبين راوي هذا الحديث لانه
معلوم اذ الحديث في الصحيحين عن ابي شريح وقد قال صلى الله عليه وسلم هذه المقالة يوم فتح مكة
الواقع يوم الجمعة في رمضان لتسع عشرة ليلة خلت منه سنة ثمان من الهجرة حبس اي منع عن مكة
سميت بذلك لقلة ماءها ولانها تمك الذنوب ومن اسمائها بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي
تدقها والبك الدق او لازدحام الناس فيها في الطواف يبك بعضهم بعضا وقيل مكة غير بكة
فقيل الاولى الحرم كله والثانية المسجد خاصة وقيل الاولى البلد والثانية البيت الفيل هذا

عبد الله بن مسعود اعاد ترجمته في حديث الاسراء

عمار بن ياسر

مسلمة لم يسمه مسكة

الحيوان

الحيوان المعروف وفي رواية القتل بالقاف والتا وذلك لما عزم ابرهة ملك الحبشة على هدم البيت
وصمم عليه وكان جلدا قادرا جبارا فمنعه الله تعالى بان ارسل عليهم طيرا ابابيل بحجارة من سجيل ومع كل طير
ثلاثة احجار واحد في منقاره واثنان في يديه كل حجر قدر العدسة فيلقيه على راس الرجل منهم فيخرج
من دبره فيقع ميتا ولم ينج منهم سوى رجل واحد فذهب الى النجاشي ذلك العصر فاخبره الخبر فلما تم خبره
تبعه طائر منها فالقى عليه حجرا فوقع ميتا لوقته وفي ذلك العام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الاصح وسلط عليها رسوله اي محمدا صلى الله عليه وسلم فقط لانها لم تحل لاحد قبله كما نص عليه في رواية
اخرى وانها اي مكة لم تحل لاحد بعدي من امتي بل ذلك من خواصه فان قلت لم النفي الفعل في الزمن
الماضي فلم لم يقل لن تحل قلت الحل حكم من احكام الله تعالى وهي قديمة اي لم يقع في الزمن الماضي حلها
لمن هو بعدي بمعنى انه لم يتعلق بفعل مكلف بعدي تعلقا معنويا وانما لم تحل لانها باقية على حرمتها
حرمها الله تعالى في زمن ابرهيم على لسانه كما صرح به في الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم حرم مكة
ولا ينافي هذا ما جا في الحديث ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض لان ذلك كناية عن قدم تحريمها
وان ذلك ظهر في زمن ابرهيم وانما احلت اي ما احلها الله لي الا ساعة من نهار ظرف متعلق باحلت
فان قلت الساعة المذكورة ليست ظرفا لاحلال الله اياها لان ذلك ازلي قلت تقدير الكلام احل
القتال لي في مكة ساعة من نهار فالساعة ظرف للقتال اي قتالي في تلك الساعة وهي من الصبح
الى العصر يوم الفتح حلالا احله الله لي يوم خلق السموات والارض وعن العرباض بن سارية
هو بكسر العين من بني سليم ومن اهل الصفة مات في سنة خمس وسبعين وهذا الحديث رواه احمد
والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جملة يقول
في محل نصب حال من رسول الله اني عبد الله صدر التحدث بهذه النعم الاتية بكونه عبد الله للاشارة
الى ان نيل هذه النعم بمحض جود الله وفضله واني اي وان نلت من الكمالات ما نلت فانا غير خارج عن
العبودية وحرصا على امته من ان يطروه اذا سمعوا ما اوتي من الكمالات بما لم يصل اليه كما وقع للنصارى
مع انبيهم عيسى عليه الصلوة والسلام لما ذكر ما من الله عليه به صدره بقوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية

العرباض

وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته اي ساقط فيها وتقدم الكلام على هاتين الفضيلتين في صدر
الباب ودعوة ابي ابرهيم اي حصلت ووجدت بسبب دعوة ابرهيم فاطلق على نفسه انه
الدعوة من اطلاق السبب على المسبب وذلك لان ابرهيم دعا الله تعالى ان يجعل من ذريته وذرية
اسمعيل رسولا وذلك في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا اي في هذه الامة المسلمة المشار اليها في قوله
تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك ثم قال ربنا وابعث فيهم اي في هذه الامة المسلمة رسولا ولم يبعث الله
من ذرية ابرهيم واسمعيل رسولا الا محمدا صلى الله عليه وسلم وباقي الانبيا الذين بعد ابرهيم المشار اليهم
بقوله تعالى ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف الاية وان كانوا من ذرية ابرهيم الا انهم ليسوا
من جهة اسمعيل بل من جهة اسحق والدعوة خاصة بمن اجتمع كونه من جهتهما وذلك لم يوجد الا في
محمد صلى الله عليه وسلم وبشارة اي مبشر عيسى بن مريم من اطلاق المصدر على اسم المفعول وعن
ابن عباس هو عبد الله حبر هذه الامة قال اي ابن عباس فالحديث موقوف ان الله فضل
محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء اي الملائكة الذين هم في السما كلهم حتى خواصهم ورسلهم
وفيه رد على المعتزلة والحليمي من اصحابنا القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم
ولم يخالف احد في تفضيل الانبيا على الملائكة السفليين وعلى الانبياء كلهم حتى ابرهيم وموسى
وعيسى ونوح فاللام للاستغراق اي على كل فرد فرد من افراد الانبيا قالوا اي من سمع مقالة
ابن عباس هذه فما فضله على اهل السماء اي ما الدليل على فضله عليهم من النقل فان العقل ربما
يخفى عليه ذلك قال اي ابن عباس ان الله تعالى قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
اي القائل نجزيه جهنم فان هذه المقالة لا تنبئ عن ان المقولة في شانه له مرتبة ولا عزة عند من
قالها كما يشهد بذلك الذوق السليم بخلاف افتتاح سورة الفتح فان فيها من التنويه بقدره والتعظيم
لشانه ما يقضي بانه اعظم خلق الله تعالى قالوا فما فضله على الانبياء اي كلهم قال ان الله قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم ليفقهوا عنه ما بلغ ويبلغوه لغيرهم
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس كافة صفة موصوف

محذوف

فيه ح

محذوف اي الا ارسالة كافة اي عامة لهم فللناس متعلق بكافة وكافة مفعول مطلق ماخوذ من
الكف لان الرسالة اذا عمت الناس فقد كفتهم عن ان يخرج منها احد ويجوز ان يكون حالا من الكاف في
ارسلناك والتا فيه ليست للتانيث ليمتنع جعلها حالا وانما هي تا المبالغة كتا علامة ولا يجوز جعلها
حالا من الناس لان الحال لا تتقدم على صاحبها المجرور وعلى كل تقدير فهذه الاية ناطقة بعموم رسالته
والاية الاولى لا تشعر بان احدا من الرسل الا جا مبلغا لقومه وتبليغه لغيرهم لم يقم عليه دليل وان ٢
كان لا يلزم من بعثته بلسان قوم فقط ان يكون مرسلا اليهم فقط والحاصل ان ابن عباس فهم
التفاوت بين ما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وبين ما قيل لغيره من الانبيا فان الاية الاولى ناطقة
بان كل رسول لم يبلغ غير قومه ولم يخرج من هذا العموم الا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لا يلزم
من كون الرسول ارسل بلسان قوم ان لا يرسل الى غيرهم قلت نعم لكن الاية نطقت بانه بلغ
قومه بسبب كونه جا بلسانهم وهل امر بان يبلغ غيرهم الاصل عدمه حتى يقوم دليل على انه امر
بتبليغ غير قومه ولم يقم دليل على ذلك الا في محمد صلى الله عليه وسلم فظهر التفاوت بين ساير
الانبيا وبين محمد صلى الله عليه وسلم وعن خالد بن معدان هو حمصي التابعي روى عن معوية وابي امامة
كان يسبح في كل يوم اربعين الف تسبيحة وقال ادركت سبعين رجلا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم مات سنة اربع ومائة ويرسل عن كبار التابعين ان نفرا اي جماعة دون العشرة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك اي شانك من بدايتك
وقد روي نحوه اي مثل ما رواه خالد بن معدان عن ابي ذر هو جندب الغفاري وهو الذي قال
في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اقلت الغبرا ولا اظلت الخضرا اصدق لهجة من ابي ذر
مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وشداد بن اوس هو ابو يعلى الانصاري صحابي ابن
صحابي غلط من عده بدريا مات سنة ثمان وخمسين وانس بن مالك هو خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم نعم اي اخبركم بذلك انا دعوة ابي ابرهيم
بدل من ابي اي انا اثر دعوة ابرهيم يعني اي النبي صلى الله عليه وسلم قوله اي ابرهيم ربنا وابعث

خالد بن معدان

شداد بن اوس

فيهم رسولا منهم ويبشرى عيسى اي مبشر عيسى في قوله يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ورات امي اي هي امنة بنت وهب حين حملت انه خرج
منها نور اضاءت له قصور جمع قصر وهو كل بيت من حجر وحذف التانيث الفعل لان الفاعل مونث
غير حقيقي التانيث مع وجود الفاصل بين الفعل والفاعل بُصرى بضم اوله والقصر مدينة معروفة
بين المدينة ودمشق وهي اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة من ارض الشام
وهو الاقليم المعروف وهو بهمزة ساكنة مثل رأس ويجوز تخفيفها بحذفها كما في راس وشبهه
وفيه لغة اخرى وهي شآم بالمد حكاها جماعة وشينه مفتوحة على كل حال قال ابن فرقول
وابأها الكرام وحده من العريش الى الفرات طولا وقيل الى بالس واما عرضه فمن احاء
وسلى الى بحر الروم وما سامت ذلك قال ابن عساكر في تاريخه ان الشام دخله عشرة
الاف عين رات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخله النبي صلى الله عليه وسلم اربع مرات الاولى
مع عمه ابي طالب واجتمع به بحيرا الراهب الثانية في تجارة لخديجة قبل ان يتزوجها مع
غلام لها يقال له ميسرة الثالثة ليلة الاسرا على الصحيح انه يقظة الرابعة في غزوة
تبوك واعلم ان في تاريخ ابن عساكر وكتاب انباء نجباء الابناء ان روية امنة النور كان
حين وضعته وهذا الحديث دال على ان ذلك حين حملت به لكن نقل الواقدي ان رويتها
حين الحمل كانت منامية واما الروية البصرية فقد وقعت حالة الوضع فانها اتيت في
النوم وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة واية
ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من ارض الشام فحقق الله لها يقظة ما راته مناما
واسترضعت في بني سعد بن بكر ارضعته منهم حليمة بنت ابي ذويب وهو عبد الله بن الحرث
ابن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وزوج حليمة ابو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع
الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن هلال بن ناصرة واخوته من الرضاع عبد الله وانيسة

وحرامة

نسخة الكشف

حوالي الشام

ليس فيما راته في المنام انها رات نورا وانما قيل لها انه يخرج معه نور فتامل

وحرامة وهي الشيما وهي التي سبيت يوم حنين فقالت انا اخت نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد
ارضعته قبل ذلك ثويبة مولاة ابي لهب فبينا انا مع اخ لي اي من الرضاعة لا من النسب اذ هو صلى
الله عليه وسلم منفرد ليس له اخ من النسب ولا اخت خلف بيوتنا ادخل نفسه في اضافة البيوت
اليه على طريق المجاز باعتبار حلوله فيها ومبيته ايام الرضاعة والكفالة بها وليس له فيها ملك
نرعى بهما هي بفتح الباء صغار المعز السخال قال المجنون ليلى ٭ تعشقت ليلى وهي غر صغيرة ٭ ولم
يبد للاتراب من ثديها حجم ٭ صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا ٭ الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم ٭ لنا ادخل
نفسه في اضافة الغنم له والظاهر انه لم يكن مالكا لشيء منها وانما اضافها للمجاورة اذ جاءني رجلان
سماهما رجلين باعتبار الصورة وان كانا ملكين حقيقة عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال
والظاهر انهم جبريل وميكائيل واسرافيل بطست من ذهب واستعمال الطست الذهب جائز
للصغير وقيل كان هذا الطست من زمردة خضرا وصب عليه من ابريق من فضة وهذا الغسل وقع
لغيره من الانبيا كما يشهد لذلك قصة التابوت والطست اصله الطس بسينين والتاء فيه بدل من سين
مملوءة ثلجا قيل ان الثلج مجه الملك الاخر من منقاره ورواية الابريق تدل على ان الغسل وقع بماء ولا
منافاة لجواز ان يكون وقع الغسل بهما لكمال التطهير والنظافة فاخذاني فشقا بطني قيل كان الشق
لا له بمنقار جبريل قيل ان الملكين نزلا عليه في صورة كركيين وقيل اشار جبريل اليه فانشق قال في غير
هذا الحديث من نحري النحر هو اعلى الصدر الى مراق بطني هو بتشديد القاف ما رق من اسفل البطن
ولان ولا واحد له وميمه زائدة ثم اي بعد شقه استخرجا اي من بطني قلبي مفعول استخرجا فشقاه
اي قلبي فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها اي لانها مغمز الشيطان وعلق الدم ثم غسلا
بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه والحكمة في هذا الشق الواقع في حال الصبي واستخراج هذه
العلقة السودا تطهيره عن حالات الصبي حتى يتصف في حال الصبا باوصاف الرجولية وينشا
على اكمل احوال العصمة وقال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيا فاذا خاتم هذه الرواية
لم نذكر فيها ان صدره الشريف خيط بخيط وفي صحيح مسلم عن انس انه خيط بخيط وان انسا كان

من الطويل

سياتي عن الشارح كلام غير هذا في الطست في ٨ اوراق فليراجع

هشم صح

يرى اثر المخيط في صدره الشريف في يده اي في يد الملك من نور اي مادته التي خلق منها من نور يحار الناظر
اي يغشى من ينظر الى ذلك الخاتم لبهائه بل يعشى بنظره فيما دونه بهاء ونورا فختم به اي بذلك الخاتم قلبي
حفظا له من تطرق مكايد الشيطان اليه واشارة الى ختم الرسالة به ان كان لختم خاصا به والى امتيازه
عمن ليس نبيا فامتلا ايمانا اي تصديقا بالغيبيات وحكمة اي علما يورث معرفة الله تعالى والمراد
تكييف جميع اجزا قلبه بذلك بحيث لا يبقى منه جزو الا وقد اشرب بالايمان والعلم اللدني ثم اي بعد ان
ختم قلبي اعاده اي الخاتم مكانه اي في موضعه الذي اخرجه منه اولا العقلا وطرحه منه وامر الاخر يده
على مفرق صدري اي وسطه في محل تشابك الاضلاع وهو محل الشق فالتام اي انسد شقه الذي
حصل بفعل الملك اولا وفي رواية ان جبريل يجوز فيه كسر ان بنا على ان المراد اللفظ وفتحها على ارادة
المعنى قال اي عند هذا الشق قلب اي هذا القلب اي قلب محمد صلى الله عليه وسلم قلب وكيع اي شديد
وفسره ابن الاثير بالمتين المحكم قال ومنه قولهم سقا وكيع اذا كان شديد الخرز فيه عينان تبصران
واذنان سميعتان لا يخفى ان القلب فيه قوة ادراكية الا انه انما يدرك المعقولات والامور المعنوية
ولا يدرك المحسوسات نفسها ويحتمل ان يكون لقلب النبي صلى الله عليه وسلم زيادة ادراك على غيره فيدرك
ايضا المحسوسات اما بزيادة قوته وقد كنى عن تلك الزيادة بالعينين والاذنين فليستا
عينين حقيقيتين ولا اذنين حقيقيتين ويمكن ان يكون الامر على ظاهره والقدرة صالحة
لذلك وان قلبه الشريف اختص من بين ساير القلوب بهاتين الحاسيتين اللتين لا يوجدان لقلب
من القلوب ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته اي قابل بينه وبين عشرة من امته
الذين اجابوا دعوته وامنوا به ليظهر فضله عليهم وتعلم كمية كماله فوزنني بهم فرجحتهم فان قلت
من اين راى الملك امته مع انه لم يوجد واحد منهم في ذلك الوقت قلت ان الملايكة يطلعون على الارواح
فالمقابلة انما هي بين كمالات روحه الشريف وروحهم وان لم يدخل في الاجساد لان الارواح خلقت
قبل الاجساد فان قلت من اين للملايكة اطلاع على كمالات بني ادم قلت الملايكة لا تقاس احوالهم
على احوال البشر وهذا كما تراهم يعلمون كمية الايمان في قلوب الجهنميين وهم في جهنم اعاذنا الله منها

حين

جواز كسرانه وفتحها في مثل هذه العبارة

حيث يقول الله تعالى اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه مثقال شعيرة من خير الى اخر الحديث
وكما يعلمون المومن من الكافر يوم القيمة مع اشتراك الجميع في اظهار الايمان يومئذ هذا وفي رواية اخرى
البدا بواحد فقال زنه بواحد من امته ويمكن ان يكون هذا وزنا حقيقيا وان يكون لله عز وجل ميزان
يعلم به الكامل من الناقص من الرجال اذا وزنت ارواحهم واجسادهم كما جا في رواية اخرى ذكرها
السهيلي في الروض قال حتى جعلوا ايتساقلون علي من كفة الميزان اي يتساقطون منها
وفي الحديث يوتى يوم القيمة بالسمين العظيم فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم قال اي احدهما
لصاحبه زنه بمائة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فوزنتهم اي
غلبتهم في الوزن وليس المراد ساويتهم في الوزن بقرينة ما ياتي ولتصريح رواية الروض الانف بقوله
من الالف فرجحتهم ثم قال دعه اي اترك وزنه عنك ويمكن ان يعود الضمير الى محمد صلى الله عليه وسلم
اي اترك محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تزنه فلو وزنته بامته اي بجميعهم لوزنها اي غلبها في الوزن ثم
اعلم انه ليس في ظاهر هذا الحديث الا تفضيله على امته والظاهر ان المراد امة الاجابة فقط ويلزم
منه تفضيله على جميع الامم لان امته افضل من كل الامم بدليل كنتم خير امة اخرجت للناس والافضل
من الافضل افضل ومن امته عيسى عليه السلام وهو من اولي العزم فهو افضل من جميع الانبياء
الذين ليسوا اولي عزم فهذا الحديث دل على تفضيله على ساير الامم وعلى الانبيا الذين ليسوا
اولي عزم مطابقة والتزاما ويمكن ان يكون المراد ما هو من الامة بالقوة او بالفعل فيدخل في امته
موسى عليه السلام لانه من امته بالقوة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان موسى ما وسعه الا
اتباعي وكل نبي من اولي العزم وغيرهم يعد من امته بالقوة وان لم يكونوا منهم بالفعل ونعني بالقوة
انه لو فرض انه وجد النبي صلى الله عليه وسلم في زمن احد منهم لوجب عليه ان يكون من تابعيه المنقادين
اليه الممتثلين امره بدليل قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم
رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية فانها صريحة في انه يجب على كل نبي راه ان يتبعه
فكلهم من امته بالقوة بهذا المعنى الذي ذكرنا فالوزن بينه وبين ساير الناس المومنين امته

وغيرها من الانبيا وقد رجحهم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر ثم صنوني الى صدورهم اي
الرجال الثلاثة لان نص هذ الحديث على ان الاتين اليه كانوا ثلاثة وقبلوا راسي وانما قبلوه لانه جامع
للقوى الدراكة بل قيل ان العقل محله الدماغ ورجح الشافعي ان محله القلب وما بين عيني اي قبلوا ما
بين عيني وانما قبلوه انه محل التقا البصر الواصل الى الحدقتين وتكريما للبصر الشريف لانه يرى الله في
الدنيا به ثم قالوا يا حبيب الله اي محبوبه لم تُرَعْ بصيغة المبني للمفعول اي لم نرد بما فعلنا معك من
شق الصدر ونحوه ترويعك اي افزاعك وانما قصدنا تكميلك وايناسك ثم اتى بجملة مضمونها جواب سوال
فكانت مستانفة استينافا بيانيا كانه سال وقال انكم فعلتم معي ما يروعني وشققتم صدري
واخرجتم قلبي فقالوا انك لو تدري اي تعلم ما يراد بك من الخير لقرت عيناك اي لسررت به وفرحت من
القر وهو البرد اي لبردت دمعة عينيك لان دمعة السرور باردة وفي القاموس قرت عينه تقر بالكسر
والفتح قرارا وقرورا بردت وانقطع بكاوها او رات ما كانت متشوقة اليه وفي بقية هذ الحديث
هذا خبر مبتدا محذوف وتقديره في بقية هذا الحديث مقالة اخرى وقوله من قولهم بيان لتلك المقالة
فمن بيانية ما اكرمك على الله تعالى ما تعجبية وهي مبتدا والجملة بعدها خبرها ان الله معك اي بالمعونة
والتاييد وملائكته فيكونون انصارك بحيث لم يقاتلوا مع نبي قبلك وانما قاتلوا معه يوم بدر
وحضروا معه كثيرا من الغزوات تاييدا وامدادا قال في حديث ابي ذر فما هو اي فعلهما
بعد ذلك الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة اي مرئيا بالعين والبصر فان قلت رويته لهما
لم تكن الا بالعين لانها وقعت يقظة لا منا ما بل اخوه من الرضاع راهما كما صرح به في الحديث
الاخر فكيف ياتي بحرف التشبيه المشعر بان رويته لها شبيهة بالمعاينة قلت المراد تشبيه
حالته حين اخبر اصحابه بهذه القصة في تحقيق هذا الخبر اذ ذاك بحال من يشاهد الامر بعين راسه
في هذا الوقت يعني كاني الان ابصره بعيني وحكى ابو محمد مكي هو حموش بحا مهملة مضمومة
وفي اخره شين معجمة ابن محمد بن مختار القيسي المقرئ ويكنى ابا محمد اصله من القيروان وسكن قرطبة من اهل
التبحر في علوم القران والعربية حسن الفهم جيد الدين كثير التاليف في علوم القران ولد لسبع بقين من شعبان سنة خمس

وخمسين

ابو محمد مكي هو

وخمسين وثلثمائة عند طلوع الشمس او قبل طلوعها بقليل وكان مولده بالقيروان واشتغل بالديار المصرية
ثم عاد الى بلده وانتفع به اهلها جدا وكان صالحا مجاب الدعوة كثير التاليف من تاليفه الهداية الى بلوغ
النهاية ستين جزأ ومات في محرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة ان ادم عند معصيته ظرف متعلق بقال
اللهم بحق محمد اغفر لي اي بما استحقه عندك من الزلفى والكرامة وبهذا يرد على من افتى من علما عصرنا من
الحنفيين بانه لا يجوز ان يقال بحق كذا اغفر لي لانه لا يثبت لاحد على الله حق فيقال له ليس المراد
من الحق هذا المعنى وانما المراد به ما ذكرنا خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت
محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة الظاهر ان راى هنا بصرية ومفعولها مكتوبا وفي كل موضع
متعلق به ولا اله الا الله نائب الفاعل لمكتوبا محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت بسبب قرن اسمه مع اسمك انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له اي ذنبه وهذا
اي القول الذي قاله ادم عند قائله ظرف لقوله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات اي استقبلها
بالاخذ لها والقبول لها والعمل حين علمها وهي استقبلته بان علم الله اياها بنا على قراة ابن كثير بنصب
ادم ورفع كلمات وقوله عند قائله احترازا عن اقوال اخر في الكلمات المذكورة قيل هي قوله ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذا قول الحسن وقتادة وابن زيد وقيل هي
قوله اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وهذا قول مجاهد وقيل ان ادم
قال حين عصاه رب ارايت ان تبت واصلحت فقال ربه اذا جعلك الى الجنة فكانت هذه الكلمات
تلقاها من ربه وفي رواية الاجري فقال ادم عليه السلام اي عند سوال الله اياه من اين عرفت محمدا
في جوابه لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك قيل خلقه من ياقوتة حمرا وقيل هو من زمردة خضرا وقوائمه
من ياقوتة حمرا وخلق له الف لسان وهو سقف الجنة المعبر عنه بقوله تعالى والسقف المرفوع فاذا فيه
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله الجار في مكتوب ان يكون مبتدا وهو صفة موصوف محذوف تقديره
فاذا فيه شي مكتوب ويكون كلمة التوحيد بدلا منه والجار والمجرور خبرا وان يكون لا اله الا الله مبتدا ومكتوب

لا ندري في اي فن من فنون العلم
هذه الهداية اليسه

علم انه
بحق فلان اغفر لي وكحو

وفي رواية اخرى

صفة العرش
وفي الورقة التي بعد هذه
كلام طويل في العرش

خبره وفيه متعلق بمكتوب فان قلت من اين علم ادم الكتابة قلت علمه اياها من علمه اسما كل شي سبحانه لا اله الا
هو وغالب الانبيا كانوا يحسنون الكتابة واعرفهم بالكتابة عيسى عليه السلام وعدم معرفة نبينا صلى
الله عليه وسلم لها كان معجزة له كما سياتي فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع
اسمك فاوحى الله اليه اما بواسطة او بدونها وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين اي في الوجود والظهور
الجسماني وان كان اولهم خلقا وانه من ذريتك اي باعتبار الهيكل البشري وهو اب لادم باعتبار ان
روحه خلقت من روحه صلى الله عليه وسلم ولولاه ما خلقتك اعلم ان لولا اذا وليها ضمير فحقه ان يكون ضمير
رفع نحو لولا انتم لكنا مومنين وسمع من العرب قليلا لولاي ولولاك ولولاها خلافا للمبرد واذا
وليها ضمير غير ضمير الرفع فهي جارة له عند سيبويه ولا تجر غير هذا الضمير ولا تتعلق بشي والضمير المجرور
بها محله الرفع بالابتدا والخبر محذوف وقال الاخفش الضمير مبتدا ولولا غير جارة ولكن الضمير المجرور ناب عن
المرفوع وسيبويه يمنع النيابة في غير الضمائر المنفصلة قال وكان ادم يكنى بابي محمد نظرا الى اشرف اولاده
وقيل يكنى بابي البشر بفتح الشين المعجمة اي الانسان واحدا كان او جمعا وتكنية ادم بابي محمد رواها
البيهقي عنه علي مرفوعا وحديث قول ادم عند معصيته ما تقدم رواه البيهقي والطبراني من حديث
عقبة عنه بسند ضعيف وروى عن سريج بن يونس هو بالسين المهملة وبالجيم في اخره لا شريح
بالشين المعجمة وبالحا كما وقع على ما وجد في بعض النسخ فانه وهم وسريج هذا وصفه ابو حاتم
بالصدق واخرج له البخاري ومسلم والنسائي كان قدوة عابدا من ائمة الحديث المشهورين مات
سنة خمس وثلاثين ومايتين انه اي سريجا قال اي سريج او الضمير راجع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان لم يتقدم له ذكر وان عاد الضمير الى سريج كان في حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل
الاجتهاد لان الاجتهاد لا مجال له في ذلك ان لله ملائكة سياحين اي دابهم السياحة في الارض
وهي السير فيها عبادتهم بالبا المثناة من تحت اي زيارتهم ويجوز ان يكون بالبا الموحدة والضمير
المونث عائد الى الملائكة باعتبار انها طائفة اي عبادة هذه الطائفة من بين الملائكة كل دار مفعول العيادة
ان كان بالمثناة من تحت وعيادتهم مبتدا وخبره محذوف اي حاصلة او مستمرة واما ان جعل بالبا

فعلى حذف مضاف اي عبادتهم الله زيارة كل دار فيها احمد او محمد اي سكن فيها من يسمى بذلك وقدم احمد
لان النبي صلى الله عليه وسلم سمي به قبل ان يسمى بمحمد على لسان موسى وعيسى اكراما مفعول له للعيادة
منهم لمحمد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكرامة والتي تاتي ليست خاصة بمن يسمى بهذين الاسمين من
اسمائه صلى الله عليه وسلم بل هي لكل من تسمى باسم من اسمائه اعم من ان يكون محمدا او احمد ونحوهما من اسمائه
التي تاتي نعم لمجرد محمد واحمد مزية على باقي اسمائه فقد روى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الاسما ما حمد او عبد وقال مالك سمعت اهل المدينة يقولون ما من اهل بيت فيهم اسم محمد الا
رزقوا رزق خير قال محمد بن رشد يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك بالتجربة او عندهم في ذلك اثر وروى
ابن قانع القاضي هو عبد الله بن قانع اختلط اخر عمره مات في سنة مايتين واحدى وخمسين عن
ابن الحمرا الظاهر انه هلال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو داود وغيره لم يصح حديثه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا على العرش هو لغة سرير الملك وهو خلق
عظيم خلقه الله على كيفية وردت الاخبار بها واختلف هل هو الكرسي او غيره ثم على تقدير انه غيره اختلف
ايضا هل هو فوقه او تحته اما كيفيته فقد اخرج ابو الشيخ في كتاب العظمة وابن ابي حاتم في تفسيره عن
وهب بن منبه قال ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسي بالعرش ملتصق والما كله في جوف
الكرسي والما على متن الريح وحول العرش اربعة انهار نهر من نور يتلالا ونهر من نار تتلظى ونهر من
ثلج ابيض تلمع منه الابصار ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الانهار يسبحون الله وللعرش السنة
بعدد السنة الخلق كلهم فهو يسبح الله ويذكره بتلك الالسنة وقال سعد الطائي العرش من
ياقوتة حمرا وقال مجاهد ما اخذت السموات والارض من العرش الا كما تاخذ الحلقة من ارض الفلاة
وقال ابن عمر خلق الله اربعة اشيا بيده ادم والعرش والقلم وجنة عدن وقال لسائر الخلق كن فكان
وقال عمرو بن العاص ان العرش مطوق بحية والوحي ينزل في السلاسل وقال كعب الاحبار ان السموات
في العرش كالقنديل معلق بين السما والارض هذا والاكثر من العلما على ان الكرسي المشار اليه بقوله تعالى وسع
كرسيه السموات والارض تحت العرش وقد روي عن ابن مسعود قال ان السموات والارض في جوف

قوله بحث في لولا ه

سريج ه

ابن قانع

الكرسي والكرسي بين يدي العرش وقال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه الكرسي موضع القدمين له اطيط كاطيط
الرحل اي انه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير وليس فيه اثبات المكان لله تعالى وتقدس قال ابن عطية
يريد ابو موسى انه من عرش الرحمن كموضع القدمين في اسرة الملوك فهو اي الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش
والعرش اعظم منه واخرج الآجري وابو حاتم البستي في صحيحه والبيهقي في مسنده عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر ما السموات السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة وفي حديث صحيح ما يقتضي ان الكرسي فوق
العرش وقال البيهقي لله كرسيان احدهما فوق العرش والاخر تحت العرش مكتوب يجوز ان يكون
صفة موصوف محذوف اي شيء مكتوب وما بعده بدل ويجوز ان يكونه ما بعده مبتدأ ومكتوب خبر مقدم لا اله
الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي هذا الحديث دلالة على ثبوت العرش وانه ليس على طريق
التمثيل حيث وردت به النصوص وصرح بذكره في ايات كثيرة وقد ثبتت كتابة اسمه الشريف على
العرش في احاديث منها ما قال ابن عباس رضي الله عنهما اوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلوة والسلام
لولا محمد ما خلقت ادم ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
فسكن ومنها ما روي عن ميسرة قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض
واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله
خاتم الانبياء وخلق الجنة التي اسكنها ادم وحوا كتب اسمي على الابواب والاوراق والقباب
والخيام وادم بين الروح والجسد فلما احياه الله نظر الى العرش فرأى اسمي فاخبره انه سيد ولدك فلما
غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه ذكره ابن الجوزي في فضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم
وفيه دلالة ظاهرة على فضل علي بن ابي طالب وانه مؤيد للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يلزم منه كل افضليته
على من قبله من الخلفاء الراشدين اذ لا يلزم من حصول فضيلة لاحد ان يكون افضل من غيره مطلقا
كثبوت اهتزاز عرش الله تعالى لسعد بن معاذ ولم تثبت هذه المزية لغيره فلم الصديق والفاروق
وذي النورين من مزايا لم يثبت ما يقاربها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وعنهم على انهم شاركوه

في هذه الفضيلة اما ابو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن عرفة العبدي والحافظ الثقفي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بي الى السماء فما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول
الله ابو بكر الصديق من خلفي وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي
مكتوبا حول العرش في فرنده خضرا بقلم من نور لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق واخرج الملاعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقاق كل شقة منها
ما بين السماء والارض على الشقة الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الثانية لا اله الا الله محمد
رسول الله وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي المرتضى وفي التفسير اي كتبه
وانما لم يخص كتابا منها بالنقل عنه لوجوده في غالبها اوكلها سيما كتبه المتقدمة عن ابن عباس حبر الامة
وهذا وان كان موقوفا لكنه في حكم المرفوع لانه لا يقال من قبل الراي وقد رواه عنه الخطيب في الرواة
عن مالك وقد ورد مرفوعا من حديث ابي ذر واخرجه البزار موقوفا على عمر بن الخطاب وعلي بن
ابي طالب رضي الله عنهما اخرجها البيهقي في الشعب في قوله تعالى وكان تحته اي تحت الجدار كنز لهما اي للغلامين
اللذين كان ابوهما صالحا قال اي ابن عباس هو اي الكنز الذي كان تحت الجدار لوح من ذهب
اطلق عليه كنز لان الكنز في اللغة المال المدفون واللوح المذكور مال وكان مدفونا ولا يشترط فيه
الكثرة فاطلاق الكنز على هذا اللوح حقيقة فيه اي في اللوح وهو متعلق بقوله مكتوب عجبا اي
اعجب عجبا فهو منصوب بفعل محذوف وجوبا سماعا لانه استعمل متعديا باللام لمن ايقن اي ادرك
ادراكا لا يحتمل النقيض بالقدر كيف يتعب تعديته بالباء بناء على تضمين ايقن معنى آمن والمراد
بايقانه ان يحصل له درجة من درجاته الثلاث بل الاربع فان لليقين اربع درجات علمه وعينه
وحقه وحقيقة حقه فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق
الكشف والنوال وحقه ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال
وقال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي اودعه الله الاسرار والعلم
اذا انفرد من نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين

ح
قوله وهذا الخ
هذا التركيب يقع كثيرا
من الشارح رحمه الله تعالى
بل ومن غيره من المصنفين
وعندي في جوازه وقفة
فتامل لكاتبه

الفرق بين علم اليقين وعين اليقين الخ

هو حقيقة ما يشير اليه عين اليقين وعلم اليقين وقيل علم اليقين للاوليا وعين اليقين لخواص الاولياء
وحق اليقين للانبيا وحقيقة حقه لمحمد صلى الله عليه وسلم والحاصل ان من حصل له يقين بان الله تعالى
قدر الامور في الازل من رزق وغيره فكيف يليق به ان ينصب اي يتعب في تحصيل رزقه مع علمه بانه
لا يصيبه من الرزق الا ما قدر له وما كتب له ولا يمكن تغييره اي في ام الكتاب عجبا لمن ايقن بالنار
كيف يضحك اي بان لله دارا تسمى بالنار معدة لكل انسان وجني مومن وكافر فيها مقعدا ومستقرا
كما ان الجنة كذلك وكل وان كان مومنا يحتمل ان يدخلها بسلب الايمان منه والعياذ بالله فكيف يضحك من
هو داخل تحت هذا الاحتمال لان الضحك انما ياتي لمن لا يداخله نوع حسرة ومن يحتمل ان يكون من المخلدين في
النار لا يليق ان لا يداخل قلبه حسرة ابدا عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها اي بحيث لا تثبت على
حال كيف يطمئن اليها اي يسكن قلبه اليها بعد ما راى منها ما راى انا الله لا اله الا انا محمد عبدي
ورسولي هذا التعبير يشعر بان ما كتب في هذا اللوح من كلام الله من الاحاديث القدسية ويمكن ان
يكون ذلك اوحاه الله تعالى الى بعض انبيائه ونقل هذه القصة في تفسير القرطبي بهذا اللفظ
وعن ابن عباس قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب اي برفع عجب وهو
جائز على انه مبتدا على حد سلام عليك لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يومن بالرزق كيف
ينصب عجب لمن امن بالموت كيف يفرح عجب لمن امن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا
وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب
اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها الضمير راجع الى هذه المقالة المتضمنة
لتوحيد الله والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة اي لا اعذب من قالها قولا عن اعتقاد مواطئ القلب
فان قلت لو كان من قالها ممن فعل الكبائر ووقع في العظائم كيف لا يعذب مع نطق الاحاديث بدخوله
جهنم قلت لا منافاة بين دخوله اياها وعدم تعذيب الله اياه لانه اذا دخل جهنم يموت فيها فيقع
فيها غير مدرك لعذابها ولا متالم به على ان المراد بما في الاحاديث استحقاقه العذاب لا انه واقع به
قطعا لجواز المغفرة قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله

يغفر

المكتوب ح

باهلها ح

راجع شرح مسلم للامام النووي من جهة موت من يدخل جهنم ه

يغفر الذنوب جميعا وذكرانه بالبنا للمجهول والضمير فيانه للشان ويجوز ان يكون بالبنا للفاعل على ان الضمير
راجع الى ابن عباس اي ذكر ابن عباس فيحتاج الى ان يكون ذلك نقل عنه وجد اي رؤي وابصر
على الحجارة القديمة اي السابقة وجود نبينا صلى الله عليه وسلم والا لم يكن في ذكر الاقدم على كماله الجواز ان
يكون كتب هذا واحد من امته محمد تقي اي فعال للاوامر مجتنب للنواهي مصلح للدنيا بالعدل والقانون
الشرعي والاخرة بتوفيق الله خلقا كثيرين للاهتدا بهديه والسعادة به في تلك العرصات وسيد السيد
يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس
والمقدم وهو من ساد يسود واصله سيود اجتمعت الواو واليا في كلمة واحدة وسبقت
احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا في اليا امين اي موصوف بكمال الامانة وقد
تقدم الكلام على امانته وذكر السمنطاري بسين مكسورة ثم ميم مكسورة ايضا ثم نون ساكنة
ثم طا مهملة ثم را وهو عتيق بن علي بن داود بن علي الصقلي مات سنة اربع وستين واربعمائة
انه شاهد اي ابصر بعينه في بعض بلاد خراسان بضم الخا وفتح الرا المشبعة ثم سين مهملة هو
الاقليم المعروف ويقال له خرسان بسكون الرا وحذف الالف وردا احمر وهو الزهر المعروف
وفي بعض الاحاديث ان الورد خلق من عرق النبي صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق قال النووي
هذا الحديث لا يصح وابن عساكر وتبعه ابن حجر انه موضوع باطل وهو في مسند الفردوس بلفظ
الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق
من عرق البراق وفي الحديث عن انس رفعه قال لما عرج بي الى السما بكت الارض من بعدي فنبت
اللصف من بكائها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم
رائحتي فليشم الورد الاحمر قال ابو الفرج اللصف الكبر ولابي الحسين بن فارس ايضا ما عزاه
لهشام بن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر مكتوب
عليه بالابيض اي باللون الابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وفي تاريخ حلب للكمال ابن العديم
في ترجمة الحسين بن احمد بن حسن وقيل الحسين بن علي الوراق بعد ان ترجم قال اخبرنا ابو نصر

السمنطاري ه

قوله بسين كذا ينبغي ان يقول مهمله ه

مطلب نفيس

استغرب الشارح كلام المتن وعبارته وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب ... هذا الشاهد ... تتبعنا ذلك بعون الله وصححنا منه ما ادركناه واعلم ذلك

محمد بن هبة الله بن محمد اذنا قال انا ابو القاسم علي بن ابي محمد انبانا ابو محمد الاكفاني ونقلته من
خطه انا ابو الحسن علي بن الحسين الخواص المصيصي في مسجد باب الجابية ثنا ابو الحسن علي
ابن عبد الله الهاشمي الرقي بالرملة قال دخلت في بلاد الهند الى بعض قراها فرايت شجر ورد اسود
ينفتح عن وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب كما يدور بخط ابيض لا اله الا الله محمد
رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه عمل معمول فعمدت الى
جنبذة لم تفتح ففتحتها وكان فيها وردة سوداء مكتوب بخط ابيض مكتوب كما رايت في سائر الورد
وفي البلد منه شيء عظيم واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله عز وجل انتهى وذكر
بعضهم عن الحافظ المزي قال اخبرني بعض من سافر الى الهند ان هنالك شجرة معروفة يسقط
منها في كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله قال وعن بعض الشيوخ قال
دخلت بلاد الهند فوصلت الى مدينة رايت فيها شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسرت
خرجت منها ورقة خضراء مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة خلقية واهل
الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا استسقوا الغيث ويتضرعون عندها فحدثت بهذا
الحديث ابا يعقوب الصياد فقال وانا ايضا كنت بالابلة فاصطدت سمكة مكتوب
على اذنها اليمنى لا اله الا الله وعلى اليسرى محمد رسول الله فلما رايتها قذفت بها الى الماء
انتهى كذا في شرح البرهان الحلبي هنا وروي عن جعفر هو الصادق وتقدم ذكره ابن محمد اي الباقر
وتقدم ايضا عن ابيه محمد المذكور اذا كان اي وجد فكان تامة يوم القيامة سمي بذلك لقيام الخلق
فيه من قبورهم وقيامهم لرب العالمين فيه ما شاء الله تعالى وقيام الروح والملائكة فيه صفا
نادى مناد الا حرف استفتاح وتنبيه ليقم من اسمه محمد الظاهر ان هذا القول يقال
قبل احيائهم بدليل التعبير بالقيام اي ليقم من قبره ويمكن ان يكون في ارض المحشر والامر
بالقيام مع ان الناس قيام فيه لامكان ان يعرض عليهم قعود بكثرة الاهوال او المراد بالقيام
الامتياز عن غيره من اهل الموقف وعبر عنه بالقيام بطريق الكناية فليدخل الجنة ويكون مجرد هذه

التسمية

التسمية يستحق بها دخول الجنة وظاهر ان ذلك حيث قارن الايمان والا فالله تعالى حرم الجنة على كل
نفس كافرة لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام يمكن ان يكون هذا من تتمة الحديث وان يكون
مدرجا فيه من كلام جعفر الراوي له واذا كان من الحديث فيمكن ان يكون من كلام المنادي وان
يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مقتضى الظاهر ان يقول على هذا التقدير لكرامة اسمي الا انه
عبر عن الضمير بالظاهر على طريق التجريد وروى ابن القاسم هو فقيه مصر الامام ابو عبد الله عبد الرحمن
ابن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك احد رواة الموطا الذي انفق في الخروج اليه اثني عشر
الف دينار وهو ثقة ذكره ابن حبان في الثقات مات في سنة احدى وتسعين ومائة وابن وهب
هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولى ريحانة وقد قيل انه مولى بني فهر كنيته ابو محمد يروي عن
الثوري ومالك والليث روى عنه الليث بن سعد كما انه روى عنه فكل منهما روى عن الاخر ولد
سنة خمس وعشرين ومائة في ذي القعدة ومات سنة سبع وتسعين ومائة في شعبان وكان ممن جمع
وصنف حفظ عن اهل مصر والحجاز حديثهم وعني بجمع ما رووا من المسانيد والمقاطيع وكان
من العباد قرئ عليه كتاب الاهوال من تصنيفه فمات منه قال ابن وهب جعلت على نفسي ان
اصوم يوما ان اغتبت احدا فهان علي الصوم فجعلت على نفسي درهما صدقة فامسكت
في جامعه هو كتاب الفقه على الابواب بخلاف ما الف على الصحابة فانه مسند عن مالك هو ابن انس
صاحب المذهب المشهور امام دار الهجرة تقدمت ترجمته سمعت هذا لفظ مالك اهل مكة
يقولون ما من بيت بيت الرجل داره وقصره وشرفه كذا في النهاية والمراد هنا الدار
فيه اسم محمد الاضافة بيانية اي اسم هو محمد او على بابها اي اسم نبينا صلى الله عليه وسلم
ولو بغير محمد من اسمائه فالمزية على التقدير الثاني ليست خاصة بلفظ محمد بخلافه على التقدير
الاول اي فيه رجل مسمى بهذا الاسم الا نما اي زاد ذلك البيت وارتفع اي كثرت بركة من يسكنه
وعلا مقدارهم بجميل الافعال ورزقوا اي رزقا خاصا بان يكون كثيرا مباركا هنيئا لا يشوبه
كدر والا فالرزق على الله لكل نفس منفوسة ورزق جيرانهم اي مجاوروهم فالمراد بالجار الجار

ابن القاسم فقيه مصر هكذا

ابن وهب

اللغوي اي من كان بيته ملاصقا لداره ويمكن ان يراد به الجار الشرعي وهو اربعون دارا من كل جانب
وبركة النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من ذلك واوفر وعنه اي روي ونقل عنه عليه الصلوة والسلام ما
ضر احدكم يتعين ان تكون ما نافية ولا يجوز ان تكون موصولة ولا استفهامية لانها حينئذ تكون
مبتدا والجملة بعدها خالية من ضمير عائد اليه واحدكم مفعول ضر وقوله ان تكون في تاويل المصدر
في محل الرفع فاعل ضر في بيته اي داره وهو خبر يكون محمد اي رجل مسمى بهذا الاسم ومحمدان
وثلاثة لتحصيل بركة اسمه وذلك انه جرت العادة ان لا تتكرر الاسما في دار واحدة لحصول
الاشتباه عند المناداة فنبينا صلى الله عليه وسلم نفى هذا الضرر وازجر عوائد اهل الجهل
بالتضرر بذلك فكانه حثنا على تكرير هذا الاسم غير مبالين بهذا الضرر العادي رامين لتحصيل بركته
واقول في هامش نسختي من الشفا ما لفظه ثبت في بعض النسخ وعن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه
في مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب انتهى واقول السبب في ذلك ان من
تسمى بهذا الاسم ولاحظ من سماه به التاسي باسم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم افاض الله عليه
رايا سديدا وبركة كلية وسعد اهنا ونا فمن اعرض عنه في المشورات ندم وخسر فلا جرم انه حرم
البركات وان يعرض عن نهج السداد وعن عبد الله بن مسعود ان الله هذا وان اورده المصنف
موقوفا لكنه في حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الراي فهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم حكما وان لم
يكن منه حقيقة نظر الى قلوب العباد اي ارواحهم لان القلب هو الروح كما صرح به الغزالي
في الاحيا فاختار اي ارتضى واصطفى منها اي من قلوب العباد قلب محمد اي روحه فاصطفاه
لنفسه اي لتبليغ اوامره ونواهيه ولايجا وحيه والقا سره كان الرجل اذا كان له خل يلقى
اليه سره يقال فلان اخذ فلانا لنفسه فاطلاق اصطفاه لنفسه على مثل هذا استعارة تمثيلية
فبعثه برسالته وحكى النقاش هو محمد بن زياد تقدم ذكره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
نزلت وما كان لكم اي ما صح لكم ان تؤذوا رسول الله نزلت في رجل قال لو قبض رسول الله صلى الله

عليه وسلم

[هامش:] تقدم منا التنبيه على ان هذا التركيب فيه وهن ولا اعتقد انه تركيب عربي وفيما دخل هذا التركيب جامن لعظ لكنه فليحرر كاتبه

[هامش:] هذا في علي ...

عليه وسلم تزوجت عائشة فنزلت قيل هذا الرجل هو طلحة بن عبيد الله احد العشرة المبشرين بالجنة
فلما نزلت ندم فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله تعالى واعتق رقيقا فكفر الله
عنه واقول حاشا طلحة بن عبيد الله من ذلك فانه من اكابر الصحابة وفضلائهم ولا يصدر هذا من رجل
جاز ادنى درجات الايمان فكيف بمن شهد له سيد الاولين والاخرين بالجنة نعم الذي صح وقوع
ذلك منه بعض المنافقين ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال ابن فهمي لا يحل لاحد نكاح من
مات النبي صلى الله عليه وسلم عنها من زوجاته ومن استحل ذلك كان كافرا وذلك لانهن زوجاته في الجنة
وان المراة لاخر ازواجها وقيل لان زوجيته لا تزول بالموت بل نساؤه ازواجه وان مات
وليس عليهن عدة ونفقتهن وكسوتهن باقية عليه الى موتهن قام اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيبا اي اتيا بكلام منثور مسجع فوق منبر فقال يا معشر اهل الايمان المعشر الجماعة ان الله
فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا المراد بنسائه ازواجه وهن افضل
النسا من المومنين كذا فصل في تفضيله على سائر النبيين بما اي بسبب الامر
الذي تضمنته اي اشتملت عليه فان القصة كل وما اشتملت عليه اجزاؤها فهي تدل عليه دلالة الكل
على الجزو هي تضمنية كرامة الاسرا اي ما اكرمه به من الاسرا وليس المراد به ان الاسرا كرامة وهي
خارق يحصل على يد من لا يدعي النبوة لتقواه فان الاسرا معجزة لا كرامة والاسرا لغة السير
بالليل في اي وقت كان منه وقيل السير من اوله والاول اعرف والمراد السير بمحمد صلى الله عليه وسلم
صحبة جبريل راكبا على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم منه الى السما واطلق الاسرا
على ما يشمل العروج الى السما تغليبا ولانه الثابت بالنص القطعي فنسبت القصة كلها اليه
وسميت باسمه من المناجاة بيان لما تضمنته القصة المذكورة وهي مكالمة الله تعالى له سرا
بحيث لم يسمعها احد ولا كانت بواسطة ملك والروية اي النظر بالعين او القلب وعبر بها دون
الرويا بنا على ما سيرجح من انها روية يقظة لا رويا منام لان رويا مصدر راى الحلمية والمراد
رويته لرب العالمين كفاحا وامامة الانبيا اي امامته اياهم وصلاته بهم اماما وهي ادل دليل

[هامش:] فصل
[هامش:] الحديث الاسرا
[هامش:] هنا م
[هامش:] قوله لان رويا مصدر راى الحلمية ظاهر بل صريحه ان رويا لا تكون مصدر لراى البصرية وهو المنقول عن جماعة لكن قال بعضهم تكون مصدر البصرية لقوله تعالى وما جعلنا الرويا التي ... قال ابن عباس هي رويا عين ...

بحث سدرة المنتهى

على انه افضلهم ومن ثم استدل الصحابة على استحقاق ابي بكر للخلافة الدنيوية بتقديم النبي صلى الله
عليه وسلم له في الصلوة في مرض موته قائلين رجل ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه
لدنيانا **والعروج** اي الارتقاء **به** اي بالنبي صلى الله عليه وسلم **الى سدرة المنتهى** السدرة شجرة النبق
وهي في السما السادسة وجا في رواية انها في السما السابعة وجمع بينهما بان اصلها في السادسة
واغصانها في السابعة بنقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة يخرج من اصلها نهران
ظاهران ونهران باطنان اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات يسير
الراكب في ظل الفتى منها مائة عام يغشاها فراش من ذهب وانوار من نور الله لا يستطيع احد
النظر اليها كذا ثبت في الحديث وقال الشيخ محيي الدين بن عربي قدس الله روحه في الفتوحات المكية
وهذا الاسم يعني الرب اعطى السدرة نبقها وورقها وخضرها ونورها منه ثم قال ومن اسم الله
اصولها وزقومها لاهل جهنم وقد جلل الله هذه السدرة بنور الهوية فلا تصل عين الى مشاهدتها
فتحدها او تصفها والنور الذي كساها نور اعمال العباد ونبقها على عدد نسم السعد الابل على عدد
اسما السعدا الابل هي عين اعمال السعدا وما في جنة الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من اغصان هذه
السدرة داخل فيه وفي داخل الغصن من النبق على قدر ما في العمل الذي هذا الغصن صورته من الحركات
وما من ورقة في ذلك الغصن الاوفيها من الحسن بقدر ما حضر هذا العبد مع الله تعالى في ذلك العمل
واوراق الغصن بعدد الانفاس في ذلك العمل وشوك هذه السدرة كله لاهل الشقا واصولها فيهم
والشجرة واحدة ولكن يعطي اصولها بالنقيض ما يعطيه فروعها واسعد الناس بهذه السدرة اهل
بيت المقدس كما ان اسعد الناس بالمهدي اهل الكوفة كما ان اسعد الناس برسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل الحرم المكي كما ان اسعد الناس بالحق اهل القران واذا اكل اهل السعادة من هذه الشجرة
زال الغل من صدورهم ومكتوب على ورقها سبوح قدوس رب الملائكة والروح والى هذه
السدرة تنتهي اعمال بني ادم ولهذا سميت سدرة المنتهى والحق فيها تجل خاص عظيم يقيد
الناظر ويحير الخاطر والى جانبها منصة وتلك المنصة مقعد جبريل عليه السلام وفيها من الايات

ما لا عين رات

بحث البيت المعمور المسمى بالضراح

لهما نبي في خامس ورق كلام من ... على البيت المعمور

ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها انه غشيها
من نور الله ما غشي فلا يستطيع احد ان ينعتها انما ينظر الناظر اليها فيدركه البهت واوجد الله في هذه
السما البيت المعمور المسمى بالضراح وهو على سمت الكعبة كما ورد في الخبر لو سقطت منه حصاة لوقعت
على الكعبة ثم انتقل الشيخ محيي الدين الى كلام اخر وفي سبب تسمية هذه السدرة بسدرة المنتهى ثمانية اقوال
قيل لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها وقيل لانه يخفى على الانبيا ما وراها وقيل لان
الاعمال تنتهي اليها وتقبض منها وقيل لانتهآ الملائكة اليها ووقوفهم عندها وقيل لانتهآ ارواح الشهدا
اليها وقيل لانتهآ ارواح المومنين اليها وقيل لانه ينتهي اليها كل من كان على منهاج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل لانه ينتهي اليها علم الخلائق وقيل لانه من ينتهي اليها فقد بلغ غاية الكرامة **وما راى** تجوز
في ما ان تكون موصولة والعائد المنصوب محذوف اي والذي راه وان تكون مصدرية اي ورويته
وهو الاولى لاستقامته على وجهي ان يكون الكبرى مفعولا لراى و**من ايات ربه** حال منها وان يكون
مفعول راى محذوفا اي راى شيا من ايات ربه الكبرى و**الكبرى** صفة لايات ربه والتقدير على الوجهين
ورويته الكبرى من ايات ربه او رويته شيا من ايات ربه الكبرى ولا يستقيم على جعلها اسما موصولا
الا ان يكون مفعول راى ضميرا راجعا اليها والكبرى صفة لايات ربه والوجه الاخر لا ياتي على جعل ما
مصدرية لما لا يخفى من انه حينئذ يخلو الموصول الاسمي من عائد فان قلت ما المراد بالكبرى التي راها
من ايات ربه قلت قيل راى رفرفا اخضر سد افق السما وقيل راى جبريل في حلة رفرف اخضر
سد السما والرفرف البساط وقيل راى جبريل في صورته على رفرف اخضر وقيل راه مالئا للسما
والارض وقيل راى سدرة المنتهى وقيل ما غشي السدرة وهو فراش من ذهب **ومن خصائصه**
التي اختص بها فلم توجد في نبي غيره **قصة الاسرا** بالنظر الى مجموعها والا ففي بعضها ما وجد لغيره
من الانبيا كركوب البراق فانه وجد في ابرهيم وكمكالمة رب العزة جل جلاله فانها وجدت في موسى
ومجموعها لم يجتمع الا لمحمد صلى الله عليه وسلم **وما انطوت** اي قصة الاسرا **عليه من درجات الرفعة** اي
العلو في الرتبة والدرجة وضعت للمرقاة الحسية فتشبه ما اعطيه صلى الله عليه وسلم من العلو المعنوي

مما انبه عليه الكتاب العزيز

بالدرجة فهي استعارة مصرحة واضافتها الى الرفعة قرينة الاستعارة **مما انبه عليه في كتابه** في سورة الاسرا اجمالا وفي سورة النجم تفصيلا اخفيا **وشرحته** اي كشفته **صحاح الاخبار** من اضافة الصفة الى الموصوف اي الاخبار الصحاح وهي بكسر الصاد جمع صحيح وهو في الاصل الرجل الخالي من العاهة واطلقه اهل الحديث على حديث سلم من الشذوذ والعلة القادحة مع عدالة ناقله التامة وضبطه الضبط التام واتصال سنده من الراوي الى النبي صلى الله عليه وسلم ان كان مرفوعا والى الصحابي ان كان موقوفا والى التابعي ان كان مقطوعا تشبيها له بالرجل السالم من العاهة وجمعوه كجمعه فقالوا صحاح بالكسر واما الصحاح بفتح الصاد فهو مصدر صح يصح وقد يكون صفة مشبهة كصحيح ولا يجوز ان يراد هنا هذا المعنى ولا المعنى السابق **قال الله تعالى سبحان** منصوب على المصدرية بفعل واجب الترك وهو هنا اسم مرادف التسبيح وليس علما له لاضافته لان الاعلام لا تضاف وقد يقطع عن الاضافة فيكون علما ممنوعا من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون كقوله

قد قلت لما جاءني فخره ۝ سبحان من علقمة الفاجر ۝ من السريع

والمراد تنزيه الله تعالى عن ان يكون في جهة جسما لما عسى ان يتوهم من قصة الاسرا **الذي اسرى** هو بمعنى سرى اي سار ليلا **بعبده** وهو محمد صلى الله عليه وسلم قيل لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية وفي معناه انشدوا

يا قوم قلبي عند زهراء ۝ يعرفه السامع والرائي ۝ لا تدعني الا بيا عبدها ۝ فانه اشرف اسمائي ۝ ها من السريع

قال العشيري لما رفعه الله الى حضرة السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية **ليلا** نصب على الظرفية وتنكيره لافادة تقليل مدة الاسرا فهو على حد ورضوان من الله اكبر اي رضوان قليل **من المسجد الحرام** قد يطلق المسجد ويراد به ارض الحرم كلها وقد يطلق على المسجد نفسه وهو المتبادر والمراد هنا بنا على انه لما اسرى به كان في بيت ام هاني بنت ابي طالب فعلى هذا اطلق عليه المسجد الحرام بالمعنى الثاني وقد جمع بعضهم بين الروايتين بانه كان نائما في بيت ام هاني فايقظه جبريل حتى اتى المسجد ثم نام حتى ادركه النوم فايقظ ثانيا فلا منافاة **الى المسجد الاقصى** وهو بيت المقدس سمي اقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام **وقال تعالى والنجم** الواو للقسم واللام في النجم

للاستغراق

[illegible] المسجد في [illegible] الروايات وفي بعض [illegible]

للاستغراق اي اقسم بكل فرد فرد من افراد النجم وقيل المراد بالنجم الثريا لانه علم بالغلبة على الثريا **اذا هوى** اي غرب وقيل انتثر وذلك يوم القيمة وقيل انقض وقيل طلع وقيل مراده بالنجم من نجوم القران واذا هوى اي نزل من السما على النبي صلى الله عليه وسلم **الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه الصلوة والسلام** اي ان الامة اجمعت على وقوع الاسرا به من المسجد الحرام الى بيت المقدس ثم منه الى السما وان اختلفوا في ان ذلك كان مناما او يقظة بالجسد او بالروح والامانع من وقوع ذلك فانه قد اخبر به واجب الصدق الذي صدقته معجزته بل معجزات الجمة والا يحيله العقل بل هو داخل في حيز الامكان وان عدته العادة محالا ومن ثم وقع في اذهان قريش استحالته قال القاضي البيضاوي ولا تحيله موقوعه بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في فن الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله انتهى وبهذا يرد على من استبعد ما يقع في الجنة للانسان من قطع مسافات بعيدة في لحظة واحدة ونحو ذلك **اذ هو نص القران** تعليل لعدم وقوع الخلاف في صحته لان ما كان منصوصا عليه في القران لا يجحده مسلم فصار معلوما من الدين بالضرورة وجاحده كافر مراق الدم والذي جاء به النص الاسرا في الجملة **وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة منتشرة رايناً** من الراي وهو النظر في الامور المهمة **ان نقدم** اي تقديمنا **اكملها** صحة لانه وان عزاه الى مسلم وصحيح البخاري اكمل من صحيح مسلم الا ان هذا الحديث مما اتفق على رواية الشيخان على انه يجوز ان يكون هذا الحديث بخصوصه اصح من حديث رواه البخاري لانه قد يعرض على المفوق ما يصيره فائقا وعلى المفضول ما يصيره فاضلا ونشير الى زيادة من غيره تجب ذكرها لانها مفيدة سديدة **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي** هو ابن سكرة وتقدم ذكره **والفقيه ابو بحر** هو ابو بحر بن العاص **سماعاً عليهما** خبر مبتدا محذوف اي تحديثهما اياي سماعي عليهما فان صيغة حدثنا جوز القاضي استعمالها في السماع من لفظ الشيخ وفي القراة عليه وفي السماع عليه وان خصها الجمهور بالسماع من لفظ الشيخ فاتى بهذه المقالة لرفع

قوله لانه الخ تركيب فيه ما فيه فتدبر

توهم غيره والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري قال حدثنا
ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم ذكره حدثنا ابن سفيان تقدم ايضا حدثنا مسلم بن
الحجاج تقدم ايضا وهو صاحب الصحيح ثنا شيبان بن فروخ هو ابو محمد بن ابي شيبة الحبطي مولاهم الايلي
كان عنده خمسون الف حديث قال ابو زرعة صدوق مات سنة ماتين وخمس وثلاثين وفروخ بالتشديد
الراء غير منصرف للعجمة والعلمية حدثنا حماد بن سلمة هو ابو سلمة حماد بن سلمة بن دينار الخراز من اهل
البصرة والده سلمة مولى حميد بن كراهة بن تميم وقيل مولى قريش وقيل انه حميري يروي عن ثابت البناني
وقتادة مات في ذي الحجة لاحدى عشرة ليلة بقيت من سنة سبع وستين ومائة وكان من العباد المجابي
الدعوة وهو ابن اخت حميد الطويل راوي انس بن مالك قال ابو حاتم ولم ينصف من جانب حديثه واحتج
بابي بكر بن عباس وبابن اخي الزهري فان منزلة حماد اجل ومقامه اعلى وان كان قد ساء حفظه اخرا
ثنا ثابت البناني نسبة الى بنانة قبيلة تنتسب الى بنانة بن سعد بن لوي بن غالب روى عنه الناس
مات سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة واخرج له الائمة الستة وهو ثقة بلا مدافعة
عن انس بن مالك هو خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
مشتق من البرق الذي يلمع في الغيم سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته لتشبيهها ببرق
السحاب في سرعة مروره وهو دابة لغة لا عرفا اما لان العرف خصها بالخيل والبغال والحمير واهل
اللغة قالوا هي كل ما يدب على وجه الارض ابيض روي انه بادر البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس
وقوائمه كالابل واظلافه وذنبه كالبقر وصدره ياقوتة حمرا فلا يشبه جنس الدواب وقوله ابيض خبر بعد خبر وليس
صفة لدابة والالقال بيضا طويل اي طويل الهيكل من ذنبه الى راسه وليس المراد طول القامة فوق الحمار
ودون البغل وانما لم يكن على هيئة الفرس للتنبيه على ان الركوب في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار
الاية في الاسراع العجيب في دابة لا توصف بالاسراع العجيب فان قلت قد ركب النبي صلى الله عليه وسلم البغلة
في حرب قلت ذلك لتحقيق ثباته وشجاعته وانما كان فوق الحمار ولم يكن على هيئته لانه مركوب الاذلاء
يضع حافره ذكر الضمير باعتبار البراق لا باعتبار الدابة فهو خبر بعد خبر والمراد بالحافر هنا القدم والا فالبراق

له ظلف

حماد بن سلمة

ثابت البناني

لتشبيهها

مطلب صفة البراق

بلغ مقابلة على خط المولف

له ظلف كظلف البقر وقد شاع استعارة القدم كما في قوله فما رقد الولدان حتى رايته على البكر يمريه بساق وحافر
اي قدم وهذا كما استعير الظلف لذي الحافر في قول عمرو بن معدي كرب وخيل تطاكم باظلافها مع ان الخيول
من ذوات الحوافر عند منتهى هو مصدر ميمي والمراد موضعه اي محل انتها طرفه وهو في الاصل العين والمراد
هنا النظر الصادر من البصر الكائن في العين اي عند انتها روية بصره ويوخذ من هذا انه اخذه من الارض الى
السما في خطوة واحدة والى السموات السبع في سبع خطوات وبه يرد على من استبعد من المتكلمين احضار عرش
بلقيس في لحظة واحدة وقال انه اعدم ثم اوجد وعلله بان المسافة البعيدة لا يمكن قطعها في هذه اللحظة
وهذا اوضح دليل على الرد عليه فركبته اي وحدي وظاهر هذه الرواية ان جبريل لم يركب معه على البراق وجاء
في بعض الروايات انه كان رديفه قيل كان جبريل هو المقدم والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه وقيل بالعكس
نظرا الى انهما صاحب الدابة فقيل صاحبها جبريل لانها في يده وصاحب الدابة احق بمقدمها وقيل صاحبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون هو المستحق لمقدمها ويجوز ان يقدم جبريل لعدم الفه بركوب البراق
فان قلت جبريل قوي متين لا يحتاج الى ان يركب قلت لا يلزم من ركوبه احتياجه الى ذلك فقد ركب
يوم بدر فرسا والملايكة الذين قاتلوا يوم بدر ركبوا ايضا ويكون الركوب لمجرد الكرامة حتى اتيت
بيت المقدس بفتح الميم وكسر الدال على وزن منزل وهو في الاصل مصدر ميمي بمعنى القدس اي الطهارة
اي بيت الطهارة ويجوز فيه مقدّس على وزن معظّم ومقدّس على وزن محدّث وهو في الاصل الراهب فاسم
مقدس اي مطهر من الذنوب ومطهر لغيره من الذنوب اي بيت الرهبان او بيت من اتاه تطهر من الذنوب
ويسمى ايضا ايليا بكسر الهمزة وسكون اليا وبعد اللام يا والمد ويجوز فيها القصر ويجوز فيها اليا بحذف
اليا والمد ومعناه بيت الله تعالى وانما اتى الى بيت المقدس لان باب السما الذي تصعد منه الحفظة
تجاه بيت المقدس ليحصل المعراج مستويا فربطته اي البراق بالحلقة باسكان اللام على الاصح واما
فتح لامها فنقل الجوهري عن يونس انه حكى عن ابي عمرو بن العلا جوازه وقال ثعلب كلهم يجيزه على ضعف
وقال الشيباني ليس في الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق التي يربط بها كذا في نسخ الشفا وفي نسخة من صحيح
مسلم شرح عليها النووي يربط به وفي اخرى بالضمير المذكر وهو جائز بالنظر الى انها شي يربط به فتذكير

من الطويل

من المتقارب

بيت المقدس

الضمير بالنظر الى الشي الانبيا اي براقهم بنا على انهم كلهم ركبوه او بعضهم ركبه وعود الضمير اليهم بالنظر الى المجموع والمراد
حلقة باب المسجد الاقصى فان قلت البراق دابة لا يمنعها من مرادها ربط ولا غيره واي حلقة او حبل يمنع
البراق عن مراده اذا اراد فرارا قلت يمكن ان يمنعه الله عن الفرار بربطه مثل محمد صلى الله عليه وسلم او ان هذا
الربط وقع تشريعا للامة في الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان المحتاط
معتمدا في قلبه على الله تعالى ثم دخلت المسجد اي المسجد الاقصى فصليت فيه ركعتين هما تحية المسجد وهذا لا ينافي ان
فرضية الصلوة لم تقع بعد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم الصلوة قبل ذلك غير انها كانت لم تفرض على امته
الا تلك الليلة وهذه الصلوة يمكن ان تكون هي الصلوة التي صلاها بالانبيا اماما بهم وان يكون صلى هذه الصلوة
منفردا لكن ان كانت هي الصلوة التي صلاها بهم فيبعد ان تكون تحية المسجد فانه لا تشرع فيها الجماعة
فان قلت فما هي حينئذ قلت يمكن ان تكون صلاة العشا وانه قصرها لانه مسافر او انها كانت مفروضة
عليه ركعتين فقط فان قلت الصلوة لم تكن فرضت اذ ذاك قلت نقل ابن الملقن عن القزاز انه
قال فرضت الصلوة اولا ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي الى ليلة الاسرا فرضت عليه الخمس بغير اوقات .
فكان الرجل يصليها في وقت واحد ان شا وان شا فرقها ثم لما هاجر صلاها باوقاتها انتهى ثم خرجت اي
من المسجد لان الاكل في المساجد مكروه فلهذا لم يقع شربه للبن فيه فجاني جبريل باناء من خمر من للتبعيض وليس
الانا نفسه بعضا من خمر بل الذي فيه فاطلق المحل الذي هو الانا واراد الحال فيه وهو الخمر وهو المشتد من ماء
العنب واتيان جبريل بالخمر كان قبل تحريمها ولان هذه الخمر لم تكن من خمر الدنيا ولانه فعل ذلك ليطلع على
طبعه الشريف حيث لم يمل الى امر يحرمه الله او يحرم ما يشاركه في الاسم وما سيصير ام الخبائث واناء من
لبن فاخترت اللبن اي الهمني الله اختياره على الخمر فقال جبريل اخترت الفطرة اي الدين والاستقامة
ودل اللبن عليهما لانه طعام سهل طيب طاهر حلالا وما لا سائغ للشاربين سليم العاقبة ثم عرج بفتح
العين والرا اي جبريل بنا اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والبراق اي صعد بهما ويجوز ان يعود الضمير في عرج الى البراق
اي عرج البراق بي وبجبريل ونسبة العروج الى البراق لانه الحامل فالبا في بنا يجوز ان يكون للتعدية مثلها في الى ان البا للمعي الاول [?] او الذي
مررت به وان يكون للمصاحبة ومعناه حينئذ عرج مصاحبا لنا الى السما اي المعهودة وهي السما الدنيا [?] للملابسة على الثاني

ولم يقيدها

ولم يقيدها كما فعل بالسما الثانية والثالثة وغيرهما لانها المعروفة عند الاطلاق فاستفتح جبريل اي طلب من
البواب ان يفتح له الباب فقيل اي فقال البواب من انت ايها المستفتح قال اي جبريل جبريل خبر مبتدا محذوف
والجملة معمول لقال والتقدير المستفتح جبريل او انا جبريل ففيه من الادب ان المستفتح لا يقول انا بل يسمي نفسه
وقد وقع النهي عنه في حديث وفيه ان للسما ابوابا حقيقة وان السما تقبل الخرق والالتئام قيل ومن معك
استدل البواب باستفتاحه على ان معه من لم يعتد الخروج الى السما لان جبريل لا يحتاج الى الاستفتاح
لانه من اهل السما قال اي جبريل محمد اي معي محمد فتقدير الخبر مقدما لافادة الحصر اي ما معي الا محمد
فان قلت معه البراق قلت معيته البراق تبعية لانه مركوب قيل يحتمل ان يكون القائل البواب او هو وغيره
من الملائكة وقد بعث اليه اي ارسل الله تعالى اليه للاسرا وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن اصل
البعثة فان ذلك لا يخفى عليه بهذه المدة وجوز الحافظ ابن حجر ان يكون استفهاما عن اصل البعثة ولم
يطلع عليها البواب لاشتغاله بشانه وان كان عالما ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وهمزة الاستفهام هنا
محذوفة لدلالة الكلام عليها فهو على حد قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب اي من الخفيف
اتحبها قال اي جبريل قد بعث اليه فتح لنا بالبنا للمفعول ونائب الفاعل اما ضمير راجع الى الباب م ت
ويجوز ان يكون نائب الفاعل الجار والمجرور ويجوز ان يكون بالبنا للفاعل اي فتح البواب الباب فاذا انا
بادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم فرحب بي اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله مكانك مرحبا بك اي واسعا
ودعا لي بخير وروى مسلم في رواية ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علونا السما الدنيا فاذا
رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال
مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم صلى الله عليه وسلم وهذه الاسودة
عن يمينه وعن شماله نسم بنيه واهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى وظاهر هذا ان ارواح بني ادم في السما الدنيا وقد صح ان
ارواح المومنين منعمة في الجنة وارواح الكفار في سجين فيمكن ان يقال انها تعرض على ادم اوقاتا او انها
تكشف له وهي في مقامها فيراها وهو في السما الدنيا والارواح التي لم تجتمع باجسادها بعد فيبكي على اشقائها

مطلب شريف في مقر الارواح

ويفرح بما يصير اليه من السعادة وتفصيل مقر ارواح بني ادم في البرزخ ان يقال اما الكفار فهم متفاوتون
في مقر ارواحهم فمنهم من روحه في حواصل طير سود يرد النار كارواح ال فرعون ومنهم من هو في سجين وهو
تحت الارض السابعة ومنهم من هو في بئر برهوت باليمن واما المومنون فمنهم الانبيآ في اعلى عليين
بحضرة رب العالمين يتنعمون بمشاهدته ويتلذذون برويته ومنهم الشهدا وهم متفاوتون فمنهم
من هو في الجنة نفسها وكذلك خواص المومنين من الاوليآ والصديقين كخديجة زوجة النبي صلى الله
عليه وسلم وكحبيب النجار ومن قتل مع النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من هو على بارق على باب الجنة ومنهم
من روحه في حواصل طير خضر واما باقي المومنين من الصالحين التائبين عن الكباير ففي السما السابعة
وكذلك اطفال المومنين في كفالة ابرهيم في ظل شجرة في السما السابعة ومنهم في السما الدنيا
عند ابيه ادم ومنهم من هو على افنية القبور ومنهم من يسبح في الارض ولم يوذن له بالخروج الى
السما وقد نطقت بهذا التفصيل احاديث كثيرة هذا ملخصها ثم اي بعد ما ذكر عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا لان عيسى بن مريم
بنت حنة بنت فاقود ويحيى بن سياح بنت فاقود فعيسى ابن بنت خالة يحيى ويطلق عليه
انه ابن خالته بالواسطة قال الازهري قال ابن السكيت يقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال
ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة انتهى واقول سبب ذلك ان من كان ابن عم انسان كان الاخر ابن عمه
ايضا فكل منهما ابن عم الاخر وكذا من كان ابن خالة انسان كان الاخر ابن خالته بخلاف من كان ابن
عم انسان لا يكون الاخر ابن عمته بل يكون ابن خاله وكذا من كان ابن خال انسان لا يكون الاخر ابن
خاله فرحبا بي ودعوا لي بخير لم نقف على كيفية دعا ادم ولا على دعا يحيى وعيسى للنبي صلى الله عليه وسلم والعلم
مجرد قولهم له مرحبا فانه يتضمن دعا كما لا يخفى وانما كان عيسى ويحيى في سما واحدة لانهما متشاركان
في العلم متصاحبان في حياتهما وبينهما خلة تقتضي الاشتراك والمراد في البرزخ مع قربه في العمل ولانهما
متقابلان في الصفة لان عيسى كان جمالي المشرب ويحيى جلاليه وكان يظهر على عيسى البشر والسرور ويظهر على
يحيى البكا

يحيى البكا والخشوع حتى راه ذات يوم ضاحكا فقال له عيسى ايست من رحمة
الله فاوحى الله اليهما احبكما الي احسنكما ظنا بي ثم عرج بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح
لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن الشطر النصف وقد يطلق
على الجزء مطلقا والمراد بالحسن الجمال والبهآ وذلك ان الحسن اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم كله كما تقدم في
اول الكتاب شي كثير من ذلك واعطي يوسف نصف حسن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث رواه
ابو سعيد الخدري انه كالقمر ليلة البدر وفي حديث اخر كان اذا مشى في ازقة مصر تلالا وجهه على الجدار
كما تتلالا الشمس وهذا لا ينافي كونه اعطي نصف الحسن فان قلت قد جا في حديث صحيح ان ادم راه
حين عرضت عليه ذريته فاعطاه ثلثي حسن ذريته واعطى الباقي ذريته كلهم الثلث فهذا يدل على انه اعطي
ثلثي الحسن قلت لا منافاة بين هذا الحديث وحديث مسلم لان الاقل لا ينفي الاكثر ويجوز ان يكون
المراد من الشطر شطر حسن ادم ومن الثلثين ثلثي حسن ذريته فيكون حسن يوسف نصف حسن
ادم وثلثي حسن ذريته وقيل ان هذا الحسن انتقل اليه من اسحق واسحق انتقل اليه من امه سارة
وسارة انتقل اليها من حوا وان الحسن قسم نصفين فنصفه لادم ونصفه لحوا فحسن حوا آل الى
يوسف بواسطة سارة فان قلت ايما احسن يوسف ام نبينا صلى الله عليه وسلم قلت الذي
في الحديث ان نبينا صلى الله عليه وسلم احسن قيل لبعض الحكما يوسف احسن ام محمد صلى الله عليه
وسلم قال يوسف من احسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم احسن الناس يدل عليه حديث جابر
رضي الله عنه قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمرا ورايت الى القمر ليلة البدر فهو
احسن في عيني من القمر وقد جا في حديث صحيح ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم مدد من العرش وحسن يوسف
عليه الصلوة والسلام مدد من الكرسي ولا شك ان ما كان مددا من العرش فهو اكمل فان قلت حسن يوسف
قد شاع نباه وذكر بين الخاصة والعامة حتى قيل كان بين عينيه شامة بيضا تتلالا مثل القمر ليلة
البدر واهداب عينيه مثل قوادم النسور واذا تبسم رئي النور من ضواحكه ولم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم شي من ذلك قلت ان الله قد ستر حسنه ليظهر للناس معجزته العظمى ولا يلتفتوا الى

الحسن الصوري وكان يظهر عند التامل له من الحسن اضعاف ما ليوسف وهذا كما ستر الله تجريفه في الجن
والانس بضعف ما اعطى سليمان حتى يستتر جلاله يوسف وسليمان في قلوب الناس وكذلك لم
يذكر نبينا بانه علم كل شي مع انه احاط بالمسميات فكيف بالاسما قال الابوصيري ۝ لك ذات العلوم
من عالم الغيب ومنها لادم الاسماء ۝ ثم عرج بنا الى السما الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
هو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ قيل هو مشتق من الدرس وهو مردود بانه ممنوع
من الصرف للعجمة والعلمية ولو كان مشتقا من الدرس لكان عربيا فلم يكن فيه حينئذ الا سبب
واحد وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس ولا يعقوب من العقب ولا اسرايل من الاسل كما
زعم ابن السكيت ويجوز ان يكون معنى ادريس في اللغة قريبا من ذلك وهو اول من خط بالقلم واول من
خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب واول من اعطي النبوة من بني ادم فرحب بي
ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا اي في السما الرابعة وقيل في السما السادسة
وقيل في الثانية قال القرطبي والصحيح انه في السما الرابعة وقصة رفعه الى السما مذكورة في كتب التفسير
وقصص الانبيا ثم عرج بنا الى السما الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور وهو بيت في السماء
السابعة وقيل الرابعة بحيال العرش وبحياله بيت في الارض هو الكعبة والبيت المعمور يسمى بالضراح
بضاد معجمة ساقط بعدها راء خفيفة واخره حاء مهملة على وزن غراب بل كل ما حاذى ارض الحرم
من السما الى العرش فهو حرم ايضا لكن احترام ما في السموات بحرمة تليق به والافليس ثم صيد ولا
شجر ليعضد وفي الحديث دليل على جواز استدبار القبلة وسمي معمورا لانه عامر بكثرة الحاجين اليه
من الملائكة واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه كانه لكثرة الحاجين اليه لا يتيسر
الحج لهم الا مرة واحدة اولان الملائكة معظم شغلهم التسبيح والحج لا يعتنون به لعلوهم على ما خلقوا
ثم ذهب بي ولم يقل عرج بي لان سدرة المنتهى في السما السابعة الى سدرة المنتهى تقدم سبب

تسميتها بذلك

تسميتها بذلك فاذا ورقها كاذان الفيلة فان قلت لم خصت السدرة بهذا الامر دون غيرها من الشجر
قلت لاختصاص السدرة باجتماع ثلاثة امور ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فاشبهت الايمان
الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها يشبه العمل لانه يتجاوزها كما ان العمل يتجاوز عن العامل وطعمها
يشبه النية لكونه فيها ورائحتها تشبه القول لظهوره وتشبيهها باذان الفيلة من تشبيه الغائب
بالحاضر في مجرد الكبر والافي مسند الحرث لو غطيت بورقة من ورقها هذه الامة لغطتهم فان اذان
الفيلة هنا واذا ثمرها كالقلال جمع قلة وهي الجب العظيم واعظمها قلال هجر تسع الواحدة منها
مزادة سميت قلة لانها تقل اي ترفع وتحمل وهجر بفتح الهاء والجيم قال النووي قرية بقرب مدينة النبي
صلى الله عليه وسلم كانت هذه القلال تعمل بها اولا ثم عملت بالمدينة وغيرها وليست هذه هجر البحرين التي
جا في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوسها فتلك هجر اخرى قال فلما غشيها اي غطاها من
امر الله ما غشي فيه تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد قيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها قال النبي صلى الله عليه وسلم غشيها فراش من ذهب وقال
الحسن غشيها نور رب العالمين فاستنارت وقال الربيع بن انس والملائكة تقع عليها كما تقع الغربان
على الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم رايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح وقال انس جراد من ذهب
وقال مجاهد رفرف اخضر وقال صلى الله عليه وسلم رفرف من طير اخضر وقيل هو تعظيم الامر كانه قال اذ
يغشى السدرة ما الله عالم به من دلايل الملكوت ولان السدرة بهذه المرتبة من الجلالة نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قطع سدر الارض فقال من قطع سدرة صوب الله راسه من النار تغيرت اي عما كانت عليه
فما احد من خلق الله اي من مخلوقاته يستطيع ان ينعتها من حسنها اي لاجله فهو تعليل لعدم قدرة
احد ان ينعتها نعتا مستقصيا جميع صفاتها وان امكن نعتها في الجملة لكن استيعاب محاسنها
متعذر على المخلوقين وقد تقدم عن ابن عربي الصوفي افاض الله علينا من معارفه ان ما غشيها نور
الاحدية ونور الاحدية يستحيل استقصاؤه فائدة مما يسال عنه كثيرا انه صلى الله عليه
وسلم لاقى ادم عليه السلام في السما الدنيا ولابرهيم في السابعة وما الحكمة في تخصيص كل من الانبيا

من الخفيف

اول من خط بالقلم ادريس عليه الصلوة والسلام

وكذا اول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب واول من اعطي النبوة من بني ادم

البيت المعمور يسمى بالضراح

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

بالسما التي رئي فيها وما الحكمة في روية هولا الانبيا دون غيرهم من الانبيا فنقول ان الله عرفه بكل نبي راه
ما جرى لذلك النبي وانه يلقى ما لقي ذلك النبي فاول احواله ان يخرجه قريش من دار الامن والنعمة وهي مكة
كما وقع لادم الذي كان في الجنة في دار الامن فاخرجه عدوه فكانه قيل له اول احوالك ان يجري لك ما جرى
لادم بعينه ثم لقي في السما الثانية يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني
احواله ما لقي ابنا الخالة اما عيسى فان اليهود هموا بقتله فنجاه الله تعالى كما هم اليهود بقتل سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واراد والقا الحجر عليه فنجاه الله تعالى واما يحيى فانهم قتلوه بالفعل كما فعلوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم سموه ولا زالت تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت ابهره ومات بها وهي ثاني
احواله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة ثم ان الله تعالى عرفه بثالث احواله وهي النصرة على
اقاربه الذين كانوا سببا لابعاده واخراجه من داره فاراه يوسف الذي اخرجه اخوته من دار ابيه
وكفاه الله ثم انتصر عليهم وظفر بهم وهكذا وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان قومه جابوه اذلة ومنهم
من اسره كعباس وعقيل وذلك في يوم بدر ووقع تمام النصر والظفر في يوم الفتح فلهذا قال لهم يوم فتح مكة
لا تثريب عليكم اليوم كما قال يوسف بل صرح بذلك حيث قال اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم ثم
اخبره برابع احواله وهي الرفعة والعلو كما وقع لادريس اذ رفعه الله مكانا عليا فخافته الملوك وذلت
له الجبابرة فلقيه في السما الرابعة ثم انه عرفه بخامس احواله وهي انه يصير محبوبا عند قوم بعد ان كان
مبغوضا كما وقع لهارون الذي كان محبوبا عند بني اسرايل وهكذا وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
كان محبوبا لقومه كهارون ثم عرفه بسادس احواله وهي غزو الشام ودخول ارض غير ارضه
حيث دخل تبوك وغزا ارض غسان كما وقع لموسى فانه غزا الجبارين ودخل ارض الكنعانيين
ثم عرفه بسابع احواله وهي الحج الى الكعبة فاراه ابرهيم الذي هو بنى الكعبة واسند ظهره الى البيت
المعمور الذي هو بحيال الكعبة فعرفه ما يصير اليه اجمالا كما يقع مفصلا والله اعلم فاوحى الله الى ما
اوحى فيه دلالة على ان الضمير في قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى المستكن في اوحى راجع الى الله
تعالى لا الى جبريل كما قيل به ثم قيل هذا الوحي مبهم لا نطلع نحن عليه وانما يجب علينا الايمان به على الجملة وقيل هو

معلوم

لعله
تعاوده

معلوم مفسر فقال سعيد بن جبير اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك
ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة حرام على الانبيا حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الامم
حتى تدخلها امته ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة انما فرضت الصلوة في السما تنبيها
على جلالة قدرها حيث لم تفرض الا في حضرة مقدسة وذكر الفرض عليه دون امته لان الفرض
عليه يستلزم الفرض على امته وبالعكس الا ما كان من خصايصه فنزلت الى موسى عليه السلام فان موسى في
السما السادسة قال ما فرض ربك على امتك علم موسى عليه السلام ان اجل المفروضات وهي الصلوة انما تقع
في اجل الاماكن واكمل الحضرات فمن ثم سال عن الكمية قلت خمسين صلوة اي فرض خمسين صلوة فقال
ارجع الى ربك فسله التخفيف انما شفع موسى في هذه الامة لانه سال الله ان يجعله منهم فاعطاه سوله
وذلك في الطور فانه راى ما لهم من الصفات الكاملة فطلب من الله ان يجعلهم امته فلم ينل ذلك بل قيل
له تلك امة احمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك طلب ان يجعله من امة احمد صلى الله عليه وسلم فنال ذلك فلما
فرض الله عليهم فريضة ثقيلة خاف عليهم من التقصير فاذا قصروا الحقهم النقص فيلحقه نقص ايضا من
حيث كونه من هذه الامة لكن قال السراج البلقيني ان موسى عليه الصلوة والسلام قصد مع التخفيف عن
هذه الامة تكرار روية محمد صلى الله عليه وسلم فانه منع روية الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم راى الله
عز وجل بعينه وهو قصد رويته عملا بقول من قال لعلي اراهم او ارى من يراهم انتهى فان قلت موسى راى الله
بعد موته قطعا وانما منع منها وهو حي حيوة جسدية قلت روية نبينا له روية جسدية لان
الصحيح ان اجساد الانبيا صعدت الى السما حتى تلاقي محمدا صلى الله عليه وسلم فكان جسد موسى حيث
حرم روية الله تعالى في الدنيا والبرزخ قنع برويته من راه لكن قال الشهاب ابن حجر فيما ابداه البلقيني
يحتاج الى ثبوت تجديد الروية في كل مرة لكن قال شيخنا مصلح الدين اللاري فيه نظر اذ ما ذكره البلقيني
لا يتوقف على تجديد الروية بل يكفي حصول اصل الروية فانه امتك لا يطيقون ذلك فان قلت لم
خص الامة بذكر عدم الاطاقة قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم يطيق ذلك بل اكثر منه فان قلت كيف

يكلفهم بما لا يطيقون قلت هو جائز وفائدته الاخذ من المكلف في المقدمات وقد اخذ واحد منهم في المقدمات
حتى رضي بما كلفه الله به ورجع فان قلت هو ليس منهم اذ هو نبيهم قلت هو منهم باعتبار البشرية التي
فيه فلا يطيق بهذا الاعتبار وخارج عنهم باعتبار القوة الملكية التي فيه فهو مطيق لذلك والاكثر منه
بهذا الاعتبار فاني تعليل لما تضمنه قوله فان امتك الخ اي انما حكمت على امتك بانهم لا يطيقون ذلك
لاني قد بلوت اي اختبرت بني اسرايل الذين هم انهم لم يكونوا اشد قوة من امتك في مثلهم وخبرتهم عطف
تفسيري لبلوت وفي الكلام اختصار بحذف شي لدلالة المقام عليه اي فلم احد لهم قوة على امثال هذه
المشاق قال فرجعت الى ربي هذا من المتشابه الذي يجب الايمان به ونكل معناه والمراد منه الى الله
تعالى ولا نقول بالتاويل فقلت يا رب خفف عن امتي حذف مفعول خفف للعلم به اي خفف عنهم ما
اوجبت عليهم من خمسين صلوة فحط عني خمسا وهذا نسخ للواجب قبل تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم
الامة وهي مسئلة اختلف فيها وهي ان النسخ قبل تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم الامة هل يثبت في حقه
فقط او في حقهم لعدم علمهم به الاصح هذا وهو انه يثبت في حقه لا في حقهم وقيل يثبت في حقهم وحقه
بمعنى استقراره في الذمة لا بمعنى الامتثال فرجعت الى موسى فقلت حط اي الله تعالى عني خمسا
قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى
وبين موسى حتى قال اي الله تعالى انهن خمس صلوات كل يوم وليلة فيه دلالة على عدم وجوب ما
زاد على الخمس كالوتر بكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة في الاعتنا والاعتبار وان كانت
خمسا في الفعل والعدد لان الحسنة بعشر حسنات امثالها كما سياتي توضيحه ومن هم بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا فان عملها
كتبت سيئة واحدة الهم قصد الفعل من غير تصميم فان صمم فهو عزم واعلم ان مذهب القاضي ابي بكر
الباقلاني ان من عزم على معصية بقلبه ووطن نفسه عليها فهو آثم بذلك وما في هذا الحديث محمول
على من قصدها من غير تصميم وهو المسمى بالهم فان قلت لو عزم انسان على الزنا مثلا ايكتب عليه
الزنا قلت لا وانما يكتب عليه العزم عليه فان زنى كتب معصية اخرى فان تركه من خوف الله كتب له

النسخ قبل التبليغ

فقوله حم

يا محمد

حسنة

حسنة كما في الحديث لقول الله تعالى انما تركها من جراي اي من اجلي وانكار بعض الفقها ان الانسان يواخذ
بعزمه مردود بالنصوص المتظاهرة على المواخذة بعزم القلب المستقر ومن ذلك قوله تعالى ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم وبالاجماع على تحريم الحسد واحتقار المسلم وقوله كتبت له حسنة اي كتبها الملكان
فيه قال الطيبي وفي هذا الحديث وامثاله دليل على ان الحفظة يكتبون اعمال القلب خلافا لمن
قال انهم لا يكتبون الا الاعمال الظاهرة وظاهر هذا الحديث ان مضاعفة الحسنات لا تتجاوز عشرا
لكن في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز
وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده
حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبع مائة ضعف الى اضعاف
كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة فان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة
فهذا الحديث صريح في ان المضاعفة لا يقتصر فيها على عشر بل صريح اية الانفاق في سبيل الله يقتضي
ذلك غير انها مصرحة ببلوغها سبعمائة ضعف وهذا اصرح بعدم وقوف المضاعفة على
سبعمائة وما نقله الماوردي عن بعض العلما من ان التضعيف لا يتجاوز سبعمائة غلط ودعوى
القرطبي حصر المضاعفة في سبعمائة ضعف في المال الذي ينفق في سبيل الله تعالى ممنوعة على ان هذا
الحديث المجمع على صحته قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي
حتى استحييت منه قال القاضي جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شا اي روى ثابت
هذا الحديث عن انس رواية جميلة خلية عن الاعتراض وقوله ما شا كناية عن كثرة التجويد اي اتى به
مجودا تجويدا كثيرا فمن ثم اختاره دون رواية غيره من الرواة والا فالحديث مذكور في البخاري
بابسط مما ذكره مسلم وفي مسلم ايضا من غير طريق ثابت ولم يات احد من الرواة بحديث
اصوب من هذا الحديث فان قلت لا يلزم من نفي الاتيان بالاصوب نفي الاتيان بالمساوي

مطلب في مضاعفة الحسنات

هذه الفائدة كررها الشارح رحمه الله في هذا الشرح

ومراد القاضي تفضيل رواية ثابت على غيره قلت هذه العبارة قد شاع استعمالها في نفي المساواة
عرفا وان لم تدل عليه وضعا ومطابقة كما يقال ليس في البلد اعلم من فلان فمراده نفي ان يكون في البلد
من يساوي فلانا في العلم وان لم يدل هذا اللفظ على ذلك وضعا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا

شريك بن ابي نمر

كثيرا لاسيما من رواية شريك بن ابي نمر تسميته ابن ابي نمر مجاز فانه شريك بن عبد الله بن ابي نمر
هو ابو عبد الله المدني وثقه ابن سعد وابو داود وقال ابن معين والنسائي لا باس به وقال
النسائي ايضا وابن الجارود ليس بالقوي وقال يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه قال لان في روايته
عن انس لحديث الاسرا مواضع شاذة مات سنة اربعين ومائة وقد اخرج له البخاري ومسلم
والدارقطني ثم بين سبب تخليطه في هذا الحديث فقال فقد ذكر اي شريك فيه اوله مجي الملك له
اللام لتقوية العامل لان جاء متعد بنفسه وشق بطنه وغسله بماء زمزم اعلم ان سبب
طعن من طعن في حديث شريك هذا حتى ادى ذلك الى ان قام النكير على شريك وقدح في حديثه مخالفته
لاصحاب انس في اسناده ومتنه اما في الاسناد فان قتادة يجعله عن انس عن مالك بن صعصعة
والزهري يجعله عن انس عن ابي ذر وثابت يجعله عن انس من غير واسطة لكن سياق ثابت لا
مخالفة بينه وبين سياق قتادة والزهري وسياق شريك يخالفهم في التقديم والتاخير والزيادة المنكرة
وقد اخرج مسلم اسناده فقط تلو حديث ثابت وقال في اخره فزاد ونقص وقدم واخر وكما قدح القاضي
فيه قدح فيه ابن حزم لكن انتصر له الحافظ ابو الفضل بن طاهر وصنف فيه جزءا قال فيه تعليل
الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم ان الافة من شريك لم يسبق اليه فان شريكا قبله ائمة
الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه وادخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به وروى عبد الله
ابن احمد الدورقي وعثمان الدارمي وعباس الدوري عن يحيى بن معين انه قال لا باس به وقال
ابن عدي مشهور من اهل المدينة حدث عنه مالك وغيره من الثقات وحديثه اذا روى عنه
ثقة لا باس به الا ان يروي عنه ضعيف قال وحديثه هذا رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال
قال وعلى تقدير تسليم تفرده بقوله قبل ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع

من الحديث

من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولاسيما ان كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ولو وهم حديث من
وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من ائمة المسلمين ولعله اراد ان يقول بعد ان اوحي اليه فقال
قبل ان يوحى اليه انتهى قال العلامة الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد سبق الى التنبيه على ما في رواية
شريك من المخالفة مسلم في صحيحه فانه قال بعد ان ساق سنده وبعض المتن ثم قال فقدم واخر
وزاد ونقص وسبق ابن حزم ايضا الى الكلام في شريك ابو سليمان الخطابي وقال فيه النسائي وابو محمد
ابن الجارود ليس بالقوي وكان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه نعم قال محمد بن سعد وابو داود
ثقة فهو مختلف فيه فاذا انفرد عد ما يرويه متفردا به شاذا او منكرا على راي من يقول هما سوا
والاولى التزام ورود المواضع التي خالف فيها غيره والجواب عنها اما بدفع تفرده واما بتاويله على
وفاق الجماعة ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة اشيا بل تزيد على
ذلك امكنة الانبيا في السموات وقد افصح بانه لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض

الاول

ما ذكر الثاني كون المعراج قبل البعثة وقد سبق الجواب عن ذلك واجاب بعضهم عن قوله قبل
ان يوحى اليه ان القبلية هنا هي في امر مخصوص وليست مطلقة واحتمل ان يكون المعنى
قبل ان يوحى اليه في شان الاسرا والمعراج مثلا اي ان ذلك وقع بغتة قبل ان ينذر به ويويده
قوله في حديث الزهري فرج سقف بيتي الثالث كونه مناما وهذا قول قيل به الرابع مخالفته
في محل سدرة المنتهى وانها فوق السما السابعة بما لا يعلمه الا الله والمشهور انها في السابعة او السادسة
كما تقدم الخامس مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وان عنصرهما في السما الدنيا والمشهور في
غير روايته انهما في السما السابعة وانهما تحت سدرة المنتهى السادس شق الصدر عند الاسراء
وقد وافقه رواية غيره كقتادة عن انس عن مالك بن صعصعة السابع ذكر نهر الكوثر في
السما الدنيا والمشهور انه في الجنة الثامن نسبة الدنو والتدلي الى الله تعالى عز وجل والمشهور
انه جبريل التاسع تصريحه بان امتناعه صلى الله عليه وسلم من الرجوع الى سوال ربه التخفيف كان
عند الخامسة ومقتضى رواية ثابت عن انس انه كان بعد التاسعة العاشر قوله فعلا به الى

الجبار فقال وهو مكانه وفيه ما فيه الحادي عشر رجوعه بعد الخمس والمشهور في الاحاديث ان موسى
عليه السلام امره بالرجوع بعد ان انتهى التخفيف الى الخمس فامتنع فهذه المواضع التي خالف فيها شريك
غيره من الثقات قوله وهذا اي شق الصدر انما كان اي وجد وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم صبي
وقبل الوحي اتى بانما المفيدة للحصر المقتضية لنفي ان يكون ذلك وقع ليلة الاسرا والحق في هذا مع شريك
فان الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم شق صدره ليلة الاسرا بل شق خمس مرات الاولى وهو
طفل صغير يلعب لازالة حظ الشيطان منه الثانية وهو ابن عشر سنين لازالة رعونة الطفولية عنه
عند قربه من الرجولية الثالثة عند البعثة لثبات قلبه للوحي الرابعة ليلة الاسرا للثبات على لقاء
ما لقي الخامسة في المنام وضعفها ابن حجر في فتح الباري وتوافق حافظا عصرهما البرهان الحلبي
وابن حجر على صحة الاربعة الاولى وقال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة
الاسرا عبارة شريك في حديثه هكذا قال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يقول ليلة اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد
الى ان قال فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى الى اخره فقوله قبل ان يوحى اليه ظرف
متعلق بجاءه ثم افاد انه لم يقع تلك الليلة اسرا وانما وقع في ليلة اخرى فقوله اتوه مرتين ولم يعين
المدة التي بين المجيئين فيحمل على ان المجيء الثاني كان بعد الوحي وانه كان يقظة ويسقط تشنيع
من شنع على شريك فان قلت قد قال بعض شراح الحديث انه بين المجيئين سبع وقيل ثمان وقيل
تسع وقيل عشر فحملها هذا الشارح على انها كانت ليالي قلت فليحمل ما في هذه الرواية على ارادة
السنين ومن اين لهذا الشارح تخصيصها بالليالي ولا خلاف انها اي في انها بحذف حرف الجر قبل
ان اي واقعة الاسرا كانت بعد الوحي وقال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا روي عن الزهري موسى بن عقبة انه اسري الى بيت المقدس قبل خروجه الى المدينة
بسنة وقال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة وفي القبائل والصحيح ان خديجة ادركت
فرض الصلوة وقال الحربي اسري به صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل

الهجرة

عدد شق صدره صلى الله عليه وسلم

البرهان الحلبي وابن حجر العسقلاني حافظا عصرهما رحمهما الله

انه في رواية حم [illegible]

الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بثمانية عشر شهرا والمختار انه قبل الهجرة بسنة وانه في ربيع الاول
ولا تعتمد ما في التذكرة الحمدونية انه في رجب وروى ثابت اي البناني عن انس من رواية حماد
ابن سلمة ايضا اي كما روى عنه قصة الاسرا مجي جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
وهم اخوته من الرضاعة عند ظئره هو بالظا المشالة مهموز العين مختوم براء مهملة وهي العاطفة
على ولد غيرها المرضعة ويطلق على المرضعة وعلى صاحب اللبن ويجوز اراد بها هنا بان يكون
عند ابيه من الرضاعة او عند امه منها وهي حليمة السعدية وشقه اي جبريل قلبه اي النبي صلى
الله عليه وسلم تلك القصة بدل من مجي بدل اشتمال مفردة حال من تلك من حديث الاسرا متعلق بمفردة
كما رواه الناس اي الاكثر ولم يشذ كما شذ شريك فجود في القصتين اي في قصة الاسرا وشق
القلب وهو طفل اذلم يخلط واحدة بواحدة وفي ان الاسرا اي وجود في ان الاسرا الى بيت
المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس خلافا لما في رواية
شريك من انه صعد الى السما ولم يذكر وصوله الى بيت المقدس ثم صعوده فازاح اي ثابت اي
اذهب وبعد كل اشكال اوهم اي اوقع في وهم الناس اي ذهنهم غيره كشريك الذي وقع في
روايته الاشكال الماضي وقد روى يونس هو ابن يزيد بن ابي النجار الايلي القرشي كنيته ابو يزيد
وقيل ابو يونس بن يزيد بن ابي النجار يروى عن الزهري ونافع روى عنه ابن المبارك والليث بن سعد
مات بمصر سنة تسع وخمسين ومائة عن ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب
ابن عبد الله بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة الزهري ابو بكر راى عشرة من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وكان من احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا للمتون الاحاديث فقيها فاضلا روى عنه
الناس مات ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اربع وعشرين ومائة
في ناحية الشام ودفن في قرية يقال لها شعب وبدا على قارعة الطريق وقبره مشهور يزار
واوصى ان يدفن بقارعة الطريق لنيل دعا المارين عن انس هو ابن مالك خادم رسول الله صلى
الله عليه وسلم تقدم الكلام عليه قال كان ابو ذر هو الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ن

م ت

يونس

ابن شهاب هو الزهري

تقدم هذا في ترجمته

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في شانه ما اظلت الخضرا ولا اقلت الغبرا اصدق لهجة من ابي ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي اي شق وفتح بضم الفا وبالجيم والحكمة فيه ان الملك انصب اليه انصبابة واحدة ولم يعرج الى شي سواه مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع عن غير ميعاد ويحتمل ان يكون ذلك تمهيدا لما وقع من شق صدره وكان الملك اراه بانشقاق السقف والتيامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا وتثبيتا لئلا يحصل له رعب فنزل جبريل ففرج صدري بفتح الفا والجيم اي شقه وقد تقدم من القاضي انكار كون فرج صدره وقع ليلة الاسرا وبينا ثم وقوعه مرات وان انكار القاضي مردود ثم غسله اي صدره الشريف من ماء زمزم اي بماء زمزم وهي بير في المسجد الحرام زادها الله شرفا بينها وبين الكعبة زادها الله شرفا ثمان وثلاثون ذراعا قيل سميت زمزم لكثرة مائها يقال ماء زمزم وزمزوم وزمازم اذا كان كثيرا والحكمة في غسله بماء زمزم دون غيره من المياه لانه طعام طعم وشفاء سقم وشراب الابرار فهو مقو للقلب فغسل به لاذهاب اثر ما عسى ان يكون حصل من رعب شق قلبه ثم جاء بطشت من ذهب الطشت بفتح الطا وكسرها الة معروفة للغسل وانما كان من ذهب لانه اعلى اواني الجنة وقد ابعد من استدل به على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب لان المستعمل له الملك فيحتاج الى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به وعلى تقدير ان المستعمل له النبي صلى الله عليه وسلم فلم يستعمله وهو حرام لان تحريمه لم يقع الا بالمدينة وكان استعماله قبل الهجرة حلالا ممتلي اي ذلك الانا فتذكير الضمير العايد الى الطشت باعتبار الانا والا فالطشت مونثة ولو روعي لفظه لقال ممتلئة حكمة وهي العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاد البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك وقد يطلق الحكمة على القران وهو مشتمل على ذلك كله وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط وايمانا وهما منصوبان على التمييز من نسبته ممتلي الى الانا اي حصل في ذلك الانا شي يحصل به كمال الايمان والحكمة فسماه ايمانا وحكمة على طريق المجاز او مثل له كما تمثل المعاني كالموت يمثل كبشا ويذبح بين الجنة والنار والحاء تمثل بعجوز فافرغها اي الطشت في صدري وفي النهاية يقال

افرغ

اوعت الانا افراغا وفرغته تفريغا اذا قلبت ما فيه ثم اطبقه اي صدري قيل اشار اليه فالتام ولم يكن بالة كما ان شقه لذلك وقيل كان شقه بالة هي منقار جبريل اذ جاءه في صورة كركي وطبقه كان بخيط حتى قال انس بن مالك كنت ارى اثر المخيط في صدره ثم اخذ بيدي فعرج اي صعد بنا الى السما الدنيا فذكر القصة وروى قتادة هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو السدوسي من اهل البصرة كنيته ابو الخطاب وكان اعمى من علما الناس بالقران والفقه من حفاظ زمنه جالس سعيد بن المسيب مات بواسط سنة سبع عشرة وهو ابن ست وخمسين سنة وكان مدلسا الحديث بمثله عن انس بن مالك ذكر سابقا عن مالك بن صعصعة هو الانصاري الخزرجي ثم المازني من بني مازن بن النجار الصحابي المدني قال النووي في تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث اتفق البخاري ومسلم على احدها وهو حديث الاسرا والمعراج وهو احسن احاديث الاسرا انتهى وفيها اي في رواية قتادة المذكورة فالضمير راجع الى ما دل عليه لفظ روى تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف لما في الروايات في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود من باقي الروايات وقد خالف النووي فرجح رواية قتادة كما عرفت وقد وقعت في احاديث الاسرا زيادات نذكرها نكتا جمع نكتة بالتا المثناة في اخرها وهي في الاصل ضربة بقضيب اثرت في الارض تاثيرا ظاهرا ثم اطلقت على الفايدة المستغربة بطريق المجاز والعلاقة وجود وصف لازم للضربة وهو التاثير في هذه الفايدة وجودا ظاهرا فذكر النكتة استعارة مصرحة اي نذكرها مسايل مستغربة شبيهة بضربة بقضيب تؤثر هذه في القلب كما تؤثر تلك في الارض ولم يذكر من اركان التشبيه الا المشبه به وهو النكت معقلة في غرضنا الذي هو استقصا ما ورد من صحيح الاخبار في علو مقام سيد المرسلين منها اي من تلك النكت المعقلة في حديث ابن شهاب هو الزهري وتقدم انفا ذكره والجار والمجرور في محل رفع صفة لموصوف محذوف اي منها نكتة في حديث ابن شهاب فنكتة المحذوف مبتدا ومنها خبر مقدم وفي حديث ابن شهاب صفة نكتة فان قلت يلزم حذف الموصوف مع ان صفته ليست مفردة وهذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر كما في قوله انا ابن جلا

قتادة

مالك بن صعصعة

تعريف النكتة

بير زمزم

وطلاع الثنايا قلت نعم هو جائز في النثر ايضا اذا كان الموصوف بعضا من مجرور بمن او في والنكتة هنا
بعض من حديث ابن شهاب وفيه اي في حديث ابن شهاب قول كل نبي له متعلق بقوله مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وذلك لان كل نبي من هولا الانبيا ليس له
ابوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذين فقط لكن استشكل قول ادريس له والاخ الصالح
فانه مخالف لقول اهل النسب والتاريخ ان ادريس اب من آبا النبي صلى الله عليه وسلم وانه الجد
الاعلى لنوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو عندهم ادريس وقد اجيب عن ذلك بانه
يحتمل بانه قاله تلطفا وهو اخ وان كان ابا وقد قيل ان ادريس هو الياس وهو ليس من آبا النبي
صلى الله عليه وسلم فناسب ان يسمى اخا وفيه اي في حديث ابن شهاب من طريق ابن عباس ثم عرج بي
حتى ظهرت اي علوت ومنه اسم الله تعالى الظاهر اي العالي ومنه قوله • وتلك شكاة ظاهر عنك عارها •
اي مرتفع لمستوى متعلق بظهرت باعتبار تضمينه معنى اقمت وصرت بمستوى اي مصعد
هكذا ابا ذر في ضبطه
وقيل هو المكان المستوي اسمع فيه صريف الاقلام اي تصويتها حال الكتابة قال الخطابي
هو صوت ما يكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ او ما
شا الله من ذلك قال المصنف في شرح مسلم وفي هذا حجة لمذهب اهل السنة في الايمان بصحة
كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ وما شا بالاقلام التي هو تعالى عالم
بكيفيتها على ما جات به الايات والاحاديث الصحيحة وان ما جا من ذلك على ظاهره ولكن كيفية
ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن اطلعه على شي من ذلك من ملائكته ورسله وما
يتاول هذا ويحيله عن ظاهره الا ضعيف النظر والايمان اذ قد جات به الشريعة ودلايل
العقول لا تحيله والله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فان قلت سماع صريف الاقلام هل هو خاص
بنبينا صلى الله عليه وسلم او وجد في غيره من الانبيا ايضا قلت صح ان موسى عليه السلام سمع
صريف القلم حين نادى له الله عز وجل التورية وعن انس اي روي عنه هذا اللفظ وهو قوله ثم
انطلق اي جبريل بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال اي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم ادخلت الجنة فيه ان الجنة موجودة وانها في السما وقد تقدم منا الكلام على سدرة
المنتهى بما لا مزيد عليه فاعلمه وفي حديث مالك بن صعصعة تقدم الكلام عليها انفا هذا اللفظ فلما
جاوزته يعني موسى بكى هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي
استدل موسى عليه الصلوة والسلام بوجود الملزوم الذي هو دخول الجنة من امة النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ممن
يدخلها من امة موسى على وجود اللازم وهو افضلية محمد صلى الله عليه وسلم فانه يلزم من وجود
الملزوم وجود اللازم واستشكل اطلاق الغلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مع انه كان حينئذ
كهلا او شيخا فان الكهل من جاوز الثلاثين او جاوز اربعا وثلاثين الى احدى وخمسين وقيل من وصل
الى الاربعين يسمى شيخا واجيب بان العرب يتجوزون فيطلق الرجل الكبير على من هو اصغر سنا منه
لفظ الغلام والصبي ونبينا صلى الله عليه وسلم اصغر سنا من موسى وتاخرت ايام وجوده
عن ايام وجود موسى بقرينة قوله بعثته بعدي وقيل المراد انه قوي كقوة الغلمان فان لفظ
الغلام يطلق على القوي كما قاله ابن قرقول فكان موسى عليه السلام حزن على قومه لقلة المومنين
منهم مع كثرة عددهم فان مومنيهم قليلون بالنسبة الى مومني هذه الامة بدليل ما في الصحيحين والسياق
لمسلم من طريق ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي الامم فرايت النبي ومعه الرهط
والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل
لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب الحديث وفي رواية فاذا هم قد ملوا السهل والجبل وعن بريدة
ابن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها
ثمانون صفا رواه احمد والترمذي واسناده على شرط الصحيح والحاصل ان بكا موسى عليه الصلوة
والسلام كان حزنا على قومه وغبطة لنبينا صلى الله عليه وسلم على كثرة اتباعه والغبطة في الخير محبوبة
والغبطة هنا انه ود ان يكون امته من المومنين مثل هذه الامة لا انه ود ان لا يكونوا اتباعا له
وليس لنبينا مثلهم والمقصود انه انما بكى حزنا على قومه وعلى فوات الفضيلة العظيمة والاجر

الجزيل بتخلفهم عن طاعته فان من دعا الى خير وعمل الناس به كان له مثل اجرهم كما جاءت به الاحاديث
الصحيحة وعلى مثل هذا فلينح ويبكي وفي حديث ابي هريرة هذا اللفظ وقد رايتني بضم التاء وهو ضمير
فاعل والياء مفعول فان قلت هذه الرؤية بصرية على الاصح فكيف اجتمع ضميران متصلان متحدان
في المعنى وهذا انما يجوز في افعال القلوب وفي راى الحلمية وراى هذه بصرية لان جميع ما وقع في
اليقظة قلت قد يقع ذلك في راى البصرية كقول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان التمر والماء وقوله ولقد اراني للرماح دريئة من عن
يميني مرة وامامي قال الجوهري الدرية حلقة يتعلم عليها الطعن في جماعة من الانبياء فحانت
الصلوة اي قربت قيل كانت تلك الصلوة صلاة العشاء وانها كانت مفروضة على النبي صلى الله عليه وسلم
دون امته وقد فرضت على امته تلك الليلة ومضارع حان يحين ومعناه قرب فاممتهم اي صليت
بهم اماما بتقديم جبريل فقال قائل قيل هو جبريل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه
فالتفت فبداني بالسلام مالك هو رئيس خزنة جهنم خلق لغضب الله اذا زجر جهنم زجرة
اكل بعضها بعضا واخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله تعالى خلق مالكا وخلق له اصابع
على عدد اهل النار فما من اهل النار معذب الا ومالك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع
مالك اصبعا من اصابعه على السماء لاذابها وهو الذي يستغيث به اهل النار يقولون يا مالك ليقض
علينا ربك قال انكم ماكثون بعد ان استغاثوا بباقي الخزنة بقولهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فاجابوهم بقولهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء
الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا دعوا مالكا فاجابهم بعد الف عام وقيل بعد ثمانين سنة كل سنة
ثلثمائة وستون يوما كل يوم كالف عام اللهم اجرنا من غضبك يا رب العالمين وانما بدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالسلام للاشارة الى انك آمن مني فان السلام يفيد الامان فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم
آمن منه على كل حال قلت هذا الامان لامته وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه ملك من
الملائكة الا ضاحكا مستبشرا الا مالكا خازن النار وذلك انه لم يضحك لاحد قبله ولا هو ضاحك لاحد

بعده قال ويعارض هذا ما اخرج الدارقطني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلوة فلما انصرف
سئل عن ذلك فقال رايت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه
والجمع بين الحديثين ان يكون لم يضحك منذ خلق الله النار الا هذه المرة التي ضحك فيها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فالحديث عام وخص او اخباره بضحكه وقع متاخرا او لم يره مالكا على الصورة التي يراه عليها
المعذبون في الآخرة ولو راه على تلك الصورة ما استطاع ان ينظر اليه واقول لا مانع ان يكون راه على
تلك الصورة والله اقدره على ذلك كما اقدره على رؤية جبريل على صورته التي خلق عليها كيف وقد قدر على
رؤية رب العزة جل جلاله وفي حديث ابي هريرة وهذا الحديث اخرجه البيهقي وغيره ثم سار اي جبريل
حتى اتى بيت المقدس فربط فرسه اطلق على مركوبه اسم الفرس مع انه براق كما سبق على طريق المجاز
وكانه اخبر بهذا من علم ان مركوبه البراق والا لافتقر الى قرينة ولعل القرينة حالية او كان المخاطب علم ان
النبي صلى الله عليه وسلم ركب البراق وصعد السماء اجمالا ففصل له في هذا الخبر الامر تفصيلا واطلق عليه اسم
الفرس مجازا الى صخرة تعديته ربط بالى لتضمينه معنى ضم ويجوز ان يكون بمعنى الباء بناء على جواز نيابة
بعض حروف الجر عن بعض فصلى مع الملائكة اي النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضيت الصلوة اتى بضمير
المتكلم على طريق الالتفات قالوا من هذا معك فمن مبتدا وهذا خبره ومعك خبر بعد خبر ولا يجوز ان يكون
حالا من الضمير المستكن في الفعل الذي هو بمعنى اسم الاشارة او حرف التنبيه لانه ليس المراد الاشارة
او التنبيه اليه بتقييد كونه معه وانما المراد الاشارة اليه مطلقا والاخبار عنه بالمعية قال اي جبريل هذا محمد
رسول الله خاتم النبيين اي لا نبي بعده ويلزم منه نفي الرسل لانه يلزم من نفي الاعم نفي الاخص ويجوز في
خاتم فتح التاء فهو كالخاتم والطابع يعني انهم ختموا به كما يختم الاناء بخاتم وكسرها اي انه ختمهم وفرغوا به
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدي الا ما شاء الله والمراد بالمستثنى الرؤيا كما قال صلى الله عليه وسلم
لم يبق بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة واما عيسى عليه الصلوة والسلام فهو تابع لشريعته وماش على
سننه وطريقته اذا نزل في آخر الزمان وكذا الخضر والياس وهما حيان فهما تابعان له ومن عداه
امته وان كانوا انبياء فالمراد لا يجيء بعده نبي بشريعة مستقلة خارجة عن شريعته ولا يجدد بعده بعثة

قالوا اي الملائكة وقد ارسل اليه يجوز ان يكون الكلام استفهاميا وحرف الاستفهام محذوف على حد قوله ثم قالوا
تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصا والتراب اي احبها والتقدير هنا اوقد ارسل اليه فان قلت علام عطف
قوله وقد ارسل اليه قلت هو معطوف على مقدر تقديره قالوا اصدقت اوقد ارسل اليه بناء على قول
الجمهور المجوزين تاخير العاطف عن همزة الاستفهام لان ذلك من تمام صدارتها واما على قول الزمخشري فيقدر
المعطوف عليه بعد همزة الاستفهام وتقديره اسري به وقد ارسل اليه قال اي جبريل نعم اي ارسل اليه
قالوا اي الملائكة حياه الله اي ابقاه من الحيوة وقيل من استقبال المحيا وهو الوجه وقيل ملكه
وفرحه وقيل سلم عليه من التحية مرحبا من هنا بيانية فانه بين بها جهة الدعا وتسمية الملائكة له اخا
لمشاركتهم له في الايمان وخليفة هو من يخلف غيره وينوب منابه والها فيه للمبالغة لانه خليفة الله في
ارضه استخلفه لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة اليهم
بل لقصور المستخلف عليهم عن قبول تلقي اوامر الله تعالى بغير واسطة والرسل لعلو مقامهم ورفعة
شانهم لهم قبول لمكالمة الله تعالى بغير واسطة كموسى في الجبل ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج والحاصل
ان محمدا صلى الله عليه وسلم خليفة الله في ايصال كلامه الى عباده الذين ليس لهم قبول تلقي كلام الله بلا
واسطة فنعم الاخ اي محمد صلى الله عليه وسلم ونعم الخليفة اي هو ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين جعله رحمة لان ما جا به من الشرع القويم والطريق المستقيم سبب لنزول الرحمة
بالناس والجن لانه الداعي لاسعادهم ومقتضى اي اقتضا لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل هو
رحمة للمومن بالسعادة الابدية والكافر بالامن من الخسف والمسخ وعذاب يوجب استيصالهم
وكافة للناس اي ارسالة كافة اي عامة فانها اذا عمتهم فقد كفتهم من ان يخرج منها احد فكافة مفعول
مطلق لارسلني والناس حال من اليا في ارسلني اي ارسلني حال كوني كافا للناس اي جامعا لهم في
الابلاغ وعلى هذا لا تكون التا للتانيث بل هي للمبالغة ولا يجوز ان يكون حالا من الناس على الاصح

من الكشف

قوله اي ارسالة كافة كذا قدر الزمخشري وقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس غلطه ابن هشام في المغني [illegible] منه

لان

لان الحال لا تتقدم على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا يجوز ان يكونا حالين متداخلين من الضمير في كافة
وان يكونا حالين مترادفين من اليا في ارسلني والبشير المخبر بالخير ليفعل والنذير المخبر بالشر ليحذر
وانزل علي الفرقان هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القران لفصله بين الحق
والباطل بتقريره والمحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال
وقيل لا يختص بالقران بل يطلق على كل الكتب السماوية لكن الظاهر انه علم للقران بالغلبة لوجود
المعنى الوضعي في باقي الكتب ايضا لكن غلب على القران فان قلت القران في ذلك الوقت لم يكن
نزل قلت نزل بعضه وعلم نزول الباقي كما لا يخفى فيه تبيان كل شي اي بيانه بيانا بليغا قال
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي وذلك لان الله تعالى بين فيه كل امور الدين اما بتفصيله وايضاحه
واما باجماله والرسول صلى الله عليه وسلم بينها او الاجماع او من القياس فلم يدع شيئا الا وهو
بينه فيه حتى اكمل الله الدين كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وجعل امتي خير امة اي خيرها في علمه وتقديره
وقد بين سبب كونها خير امة في كتابه العزيز فقال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتومنون بالله فجملة تامرون بالمعروف الى اخره مستانفة لبيان سبب
كونهم خير امة وهو مما استدل به على ان اجماعهم حجة لان اللام في المعروف لام الاستغراق وكذا اللام
في المنكر اي تامرون بكل معروف وتنهون عن كل منكر فلو اجمعوا على باطل لكان امرهم بخلافه لكن وجعل امتي
امة وسطا اي عدولا خيارا جامعين بين العلم والعمل وهو في الاصل اسم لمكان تستوي فيه
المساحة من سائر الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمونث وهو يدل على ان اجماعهم حجة اذ لو اجمعوا على باطل لانثلمت عدالتهم به
وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون اعلم ان هم في هذا التركيب صيغة فصل ولا محل لها من الاعراب
عند جمهور النحاة ويجعلون ما بعدها جاريا على ما قبلها تقول ظننت زيدا هو العالم بنصب العالم
على انه مفعول ثان لظننت وهنا يجعل هم مبتدا خبره ما بعده والمجموع في محل نصب على انه مفعول

ثان لجعل لانه بمعنى صير وهو يتعدى الى مفعولين فهو على حد ما قرئ في غير السبعة ولكن كانوا هم الظالمون
وان ترني انا اقل منك مالا برفع اقل ومعنى كونهم اولين اي في القيام من القبور وفي سبق الامم الى الكتب وفي
الجواز على الصراط وفي دخول الجنة وفي الحساب وفي فصل القضا ومعنى كونهم اخرين اي في الوجود
البشري وفي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم
اوتوا الكتاب قبلنا والحديث في البخاري وشرح لي صدري اي فتحه للاسلام وقيل لينه فصار
رقيقا وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قال
هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعداد للموت قبل
نزول الموت وقيل ملاه حكما وعلما وقيل شرحه اذ شقه جبريل وغسله وملاه ثلجا وايمانا
ويقينا ووضع اي حط عني وزري اي ذنبي فغفره قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قيل هي ذنوب كانت جميعها قبل النبوة وقيل ما كان من امر الجاهلية فقد وافق قومه في
اشيا وان لم يعبد صنما ولا وثنا وليس ذلك بذنب في حقه اذ ذاك لعدم علمه بحرمته وقيل وزر
امته واضيف اليه لشغل فكره به وقيل وضع وزره ان الله عصمه منه فلم يقع منه ذنب وقيل
وضعه عنه تخفيف اعبا النبوة عنه فلم يثقل عليه القيام بها بعد ان ثقلت عليه في ابتدا
امره ورفع اي اعلى لي ذكري فلا يذكر الله الا واذكر معه في حالات منها الاذان الذي يوذن به المسلمون
في الارض وفي العرش كما نطقت به الاحاديث ففي معجم الطبراني وتاريخ اصبهان عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان لله ديكا ابيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللولو جناح بالمشرق وجناح بالمغرب
راسه تحت العرش وقوائمه في الهوى يوذن في كل سحر فيسمع تلك الصيحة اهل السموات والارض
الا الثقلين الجن والانس فعند ذلك تجيبه ديوك الارض فاذا دنا يوم القيمة قال الله تعالى ضم جناحيك
وغض صوتك فيعلم اهل السموات والارض الا الثقلين ان الساعة قد اقتربت والى هذا اشار حسان بن م ت
ثابت رضي الله عنه بقوله ° اغر عليه للنبوة خاتم ° من الله مشهور يلوح ويشهد ° وضم الاله اسم النبي الى اسمه
اذا قال في الخمس المؤذن اشهد ° وكذا في الاقامة والتشهد وخطبة الجمعة وعيد الفطر والاضحى وعند

اي لجار

ربي لجار ولو ان رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشي من ذلك
وكان كافرا مخلدا في جهنم وجعلني فاتحا للنبوة فلم تعط النبوة لاحد قبلي وخاتما لها فلم يجي نبي بعدي فقال اي
عقب سماعه لكلام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا فضلكم اي زاد عليكم في الفضل محمد صلى الله عليه وسلم الحصر بالاضافة
الى التفضيل الله اياه ليس بمحض تفضل بل مع ذلك بصفات قامت به مع من الله تعالى وفضله ثم ذكر اي
النبي صلى الله عليه وسلم انه اي جبريل او والله عرج اي صعد به من سما الى سما نحو اي مثل ما تقدم ويجوز م ت
في نحو النصب على انه بدل من مفعول ذكر والرفع على انه خبر مبتدا محذوف وفي حديث ابن مسعود وانتهى
اي وصل بي الى سدرة المنتهى وهي اي سدرة المنتهى في السما السادسة وقيل في السابعة وقد
تقدم الجمع بينهما اليها ينتهي ما يعرج به من الارض بالبنا للمفعول اي ما يعرج به الملايكة منها فيقبض
منها اي من سدرة المنتهى اي ان الامور التي يقدرها الله تعالى يعطيها للملايكة الاربعة وهم اسرافيل
وجبريل وميكايل وملك الموت وهم يدفعونه من سدرة المنتهى الى جنودهم ثم ان جنودهم
يصعدون بالامر من الارض فينا ولونه اياهم والحرفي ذلك سدرة المنتهى قال اذ يغشى السدرة
ما يغشى تعبيره بالموصول للتعظيم والتكثير بحيث لا يكتنفها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملايكة قال فراش من ذهب ° على فعل محذوف اي غشيها فراش اي صورة
الفراش وهو دواب مثل البعوض تطير وتتهافت في السراج بسبب ضعف ابصارها في بسبب
ذلك تطلب ضو النار فاذا رات المسكينة السراج بالليل ظنت انها في بيت مظلم وان السراج كوة
في البيت المظلم الى الموضع المضي ولا تزال تطلب الضو وترمي بنفسها الى الكوة فاذا جاورتها
ورات الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة اخرى حتى تحترق
قال الغزالي رضي الله عنه ولعلك تظن ان هذا النقصان لجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها
بل صورة الانسان في الاكباب على الشهوات صورة الفراش في التهافت على النار فلا يزال يرمي بنفسه
فيها الى ان ينغمس فيها ويهلك هلاكا موبدا فليت جهل الادمي كان كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر
الضو ان احرقت خلصت في الحال والادمي يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان رسول الله

اخر الرابع من الاصل المنقول منه

من الطويل

ابرهيم

وبجار متعلق بفضل وتقديمه لافادة الحصر

الى السما الرابع وحد

والبها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها

ضبط الفراش

صلى الله عليه وسلم يقول انكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم انتهى وفي رواية ابي هريرة من

طريق الربيع بن انس اي البكري وهو بصري نزل خراسان يروي عن انس وابي العالية وحدبه زياد وبريد

وام سلمة ولم يدركها وروى عنه الثوري وابن المبارك وليث بن ابي سليم وسليمن التيمي قال ابو حاتم صدوق

وقال النسائي ليس به باس وقد ذكره ابن حبان في الثقات حبس بمرو ثلثين سنة فمات سنة تسع

وثلثين ومائة فقيل لي هذه السدرة المنتهى كذا في نسخ الشفا بتعريف السدرة بغير اضافة على

ان المنتهى بدل منها اي هذه المنتهى وتنبيه على ان هذه المنتهى لبعلم بجزيل فضله وكمال جلالته حيث

وصل الى حد ينتهي اليه جميع الخلق ثم ان جاوزه دل على انه افضل واقرب الى الله من كل مخلوق

حيث جاوز في لاقتراب حدود جميع الخلائق وانفرد بمقام لم يشاركه فيه ولله در ابي القاسم البوصيري

حيث قال حتى اذا لم تدع شاوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم ه خفضت كل مقام بالاضافة اذ

نوديت بالرفع مثل المفرد العلم ه ينتهي اي يصل اليها كل احد من امتك خلا اي مضى ومات على

سبيلك اي على طريقك وسنتك وهي السدرة المنتهى يعني ان من مات من هذه الامة وهو على سبيل رسول

الله صلى الله عليه وسلم وسنته غير متبع طريق الابتداع اخذت روحه مع الملائكة الى السماء الدنيا ثم منها الى

السماء الثانية ثم من سما الى سما حتى ينتهي الى سدرة المنتهى وهو في صحبة الملائكة المقربين فيقولون هذا

عبدك فلان ابن فلان فياتيه صك مختوم بامانه من العذاب فذلك قوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين

وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون والابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر

الله تعالى وفي حديث البرمن لا يوذي احدا يخرج من اصلها يمكن ان يكون خروج هذه الانهار من اصل

الشجرة نفسه ويمكن ان يكون حاجبا وقد اطلق عليه اصلها باعتبار مجاورته له انهار من ماء غير آسن

اي غير متغير الرائحة والآسن من الماء الاجن المنتن المتغير وليس المراد نفي الاسنية عنه في الحال فان

هذا موجود في انهار الدنيا بل المراد انه لا ياسن في الاستقبال اذا افرد في آنا وطال مكثه بخلاف ماء

الدنيا وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض بطول المقام كما تتغير البان الدنيا الى الحموضة وانهار من

خمر لذة للشاربين اي لم تدسها الارجل ولم تمزجها الايدي كخمر الدنيا فهي لذيذة الطعم طيبة المشرب

ولا

الربيع بن انس ه

ولا يكرهها شاربها وانهار من عسل مصفى اي من الشمع والقذى خلقه الله كذلك لم تطبخه نار ولا دافته

النحل وفي الترمذي عن حكيم بن معوذ عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل

وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد وقال حديث صحيح شجرة يسير في ظلها سبعين عاما وان

ورقة منها مظلة الخلق اي ينتشر ظلها الى حيث لو اراد الجمع الكثير ان يستظل بها لوسعهم ظلها من كبرها

وسعتها فقد شاع اطلاق الخلق على الجمع الكثير فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ

يغشى السدرة ما يغشى وقد تقدم في حديث ثابت معنى قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى وبيان ما

غشيها فقال تبارك اي تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على كل شي وعلا عنه في صفاته

وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة ولا يسند هذا اللفظ بهذه الصفة الا الى الله تعالى وتعالى

اي جل عن افك المفترين وعلا شانه وقيل جل عن كل وصف وثنا له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم سل

حذف المفعول به اي سل ما تشا وما تامل لافادة التعميم فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا اي

اصطفيته وخصصته بكرامة الخلة الماخوذة من الخلال فانه وده تخلل النفس وخالطها ومنه

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا ه وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد

خلل الاخر او من الخلة وهي الخصلة فانهما يتوافقان في الخلال اي الخصال قيل سبب اتخاذ الله اياه

خليلا انه بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد

لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحا لينة

فملاوا منها الغرائر حيا من الناس فلما اخبروه ساه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة

منها فاخرجت حوارى فاختبزت فاستيقظ ابرهيم عليه الصلوة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال

من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل من خليلي الله عز وجل فاتخذه الله خليلا واعطيته

اي ابرهيم ملكا عظيما في الدنيا بان اهلكت نمرود الملك العظيم بدعائه بعد ان قويت حجته عليه في مناظرته

اياه واحجامه عنه وجعل النار العظيمة عليه بردا وسلاما وجعله الهمة جزاذا من غير ان يقدر واعلى

ايذائه بوجه وجعل النبوة في ذريته كما قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى اخر الايات وقال في آية اخرى

وهي الى سدرة المنتهى

اطلاق الخلق على الجمع الكثير

من خفيف

دقيقا هو

تقدم هذا او ان كتاب ديناما

وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشا ان ربك حكيم عليم الايات وجعل الله له لسان صدق
في الاخرين فليس من نبي يجري ذكره على السنة الخلق كلهم بتصديقه والايمان به غيره وابتلي باربع من
البلا وشهد له بالوفا فقال تعالى وابرهيم الذي وفى وقال في حقه ان ابرهيم كان امة اي اجتمع فيه
من خلال الخير وخصاله ما اجتمع في امة كما قيل ٥ ليس من الله بمستنكر ٥ ان يجمع العالم في واحد ٥ وفي
القيمة هو اول من يكسى حلة يغبطه فيها الاولون والاخرون الى غير ذلك مما لا يحصى فصلى الله عليه وعلى نبينا
وسلم تسليما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فحسن النغمة
وطيب الصوت فكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا يفيق المحموم والمغشي عليه وكانت الجن تحضره
والسباع والوحوش والبهائم وتقف المياه عن الجري وتسكن الرياح عن الهبوب وتسخير الجبال
والطير والانة الحديد وتاويب الجبال والنصر على اعدائه ومن الولد مثل سليمان وفي الاخرة له الشان
الرفيع ويسمع صوته الاولون والاخرون والنت له الحديد عطف خاص على عام لان الانة الحديد من الملك
الذي اوتيه والله تعالى الانه له حتى صار عنده كالشمع وقيل كالعجين من غير نار فكان يعمل الدرع في بعض
يوم او بعض ليل ثمنها الف درهم وسخرت له الجبال فكانت تسبح معه فكان اذا تخلل الجبال يسبح والجبال
تجيبه بالتسبيح واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن فكانوا يعملون له ما يشا من محاريب
وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اما المحاريب فهي مساجد وابنية مرتفعة فمنه
بيت المقدس ابتداه داود وختمه سليمان بناه له الجن بالرخام مزخرفا بالجواهر واللالي مضمخا
بالمسك والعنبر وكان يضيء في الليلة المظلمة كالقمر حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه الى دار
مملكته بالعراق واما التماثيل فهي الصور كصورة السبع والنسر وقيل صور الانبيا والملائكة
فان تحريم اتخاذ الصور طارئ في هذه الشريعة واما الجفان فهي القصاع والجوابي الحياض والقدور
الراسيات الثابتات في اماكنها والانس اي وسخرت له الانس فكانوا رعاياه لا يخالفون امره
منقادين اليه غاية الانقياد والشياطين وهم مردة الجن فسخرهم له فكانوا يغوصون له اي
يدخلون تحت الما فيخرجون له من قعر البحر جواهر وكان الله تعالى يحفظهم من ان يخربوه كما قال تعالى

وكنا

من السريع

بناء بيت المقدس ٥

وكنا لهم حافظين والرياح اي وسخرت له الرياح فكانت تجري بامره تارة عاصفة وتارة تكون رخاء
وتبعد كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوة وشهر رواحا كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر ::
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وذلك بسؤاله حيث قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي اي لا يتسهل له ليكون معجزة لي خاصة بي وقدم الاستغفار على سؤال هذا الملك
اهتماما بامر الدين وقد بين الله الملك المذكور فقال تعالى فسخرنا له الريح الى قوله وحسن ماب وعلمت
عيسى التورية والانجيل اي جعلته يحفظهما عن ظهر قلب وذلك من كراماته بل معجزاته فانه لم يحفظهما
نبي غير عيسى عليه السلام وجعلته يبرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى فيمن الله عليه بالابصار بدعائه
والابرص وهو الذي به برص وهو علة تعتري الجلد فيصير به ابيض وهو داء عضال شنيع
جوز الشافعي رضي الله عنه لاحد الزوجين فسخ النكاح اذا وجده بالاخر واعذته اي حفظته واجرته
وامه مريم من الشيطان الرجيم فلم ينخسه الشيطان عند الولادة في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا
من نخسه الا ابن مريم وامه قال ابو هريرة ان شئتم اقرأوا واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم فافاد هذا الحديث ان الشيطان ينخس جميع ولد ادم حتى الانبيا والاوليا الا مريم وابنها
قال قتادة يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى وامه جعل بينهما حجاب فاصابت
الطعن الحجاب ولم ينفذ لهما منه شي ولا يلزم من هذا ان نخس الشيطان يلزم منه اضلال
الممسوس واغواؤه فان ذلك ظن فاسد فكم تعرض الشيطان للاوليا والانبيا بانواع
الافساد والاغوا ومع ذلك يعصمهم الله منه كما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان هذا مع
ان كل واحد من بني ادم قد وكل به قرينه من الشياطين كما قال صلى الله عليه وسلم فمريم وابنها وان سلما
من نخسه فلم يعصمها من ملازمته لهما ومقارنته اياهما وان كانا سالمين منه غير منقادين اليه ولم يثبت ان
قرينهما اسلم كما اسلم قرين النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن له عليهما اي على عيسى وامه سبيل اي وصول الى
اضلالهما وايقاعهما في معصية ما صغيرة او كبيرة والسبيل الواقع في هذا الحديث اعم من السلطان

ب

يريد الشيطان ح

وقوله ح
هذه الكلمة في اصل الح
ولا ادري ما اراد بها ٥

الواقع في الاية في قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لان ذلك في عباد الله الاتقيا وهذا خاص بالانبيا
بل باولي العزم منهم فان الله تعالى قد حفظ الاتقيا من غلبة الشيطان عليهم الى حد الاستيلا والوقوع في
الكفر والكباير من المعاصي فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا اي محبوبا لي فهو اي محمد اي نعته وصفته
مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة تقدم منا شرح هذا الحديث في
اول الباب الثالث بما لا مزيد عليه وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
هذا ظاهره مشكل وتقرير اشكاله ان يقال ان اراد انهم لا تصح لهم خطبة الا ان يكونوا مقرين بانك عبدي
ورسولي حتى ان خطبة الكافر باطلة لعدم شهادته انه عبد الله ورسوله فهو كذلك الا انه بعيد علينا
تعبيره باحتمل فكانه قال جعلت المقرين بانك عبدي ورسولي لا يجوز لهم خطبة حتى يقروا بانك عبدي
ورسولي وهذا مشكل باعتبار انه جعل الغاية امرا حاصلا وان اراد انهم يقرون بذلك حال
الخطبة فيلزم ان يكون الاتيان بشهادة ان محمدا عبده ورسوله فرضا وهذا لم يقل به احد من الائمة فان
الشافعي رحمه الله الذي اشترط في الخطبة ما لم يشترط غيره لم يقل باشتراط الاتيان بالشهادتين لكن
اقول ان المراد بالشهادة بذلك ضمنا فان الشافعي رضي الله عنه يشترط الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم في الخطبة والصلوة عليه متضمنة لشهادة انه عبده ورسوله كما لا يخفى والمراد بالامة امة الدعوة
لا امة الاجابة اي جعلت من دخل تحت دعوتك لا يجوز لهم خطبة الا ان يقروا بانك عبدي ورسولي
فخطبة اليهودي او النصراني او المشرك وان اشتملت على ذكر ودعا لا تصح وذكره بل كل عمله مردود
وجعلتك اول النبيين خلقا بفتح الخا المعجمة واخرهم اي النبيين بعثا اي ارسالا وقد سبق معنى كونه
اول النبيين بعثا في شرح قوله كنت نبيا وان ادم لمنجدل في طينته بما لا مزيد عليه واعطيتك سبعا
من المثاني قيل هي الفاتحة سميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة وفي حديث اخرجه الترمذي من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وقال هذا حديث
حسن صحيح وقيل هي السبع الطوال البقرة وال عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والانفال
والتوبة معا لانه ليس بينهما تسمية وسميت بها لان العبر والاحكام والمواعظ ثنيت فيها وعلى هذين

القولين من في قوله من المثاني للتبيين اي سبعا هي المثاني وقيل المثاني القران كله فمن فيه للتبعيض ولم
اعطها نبيا قبلك والظرف صفة نبيا واعطيتك خواتيم سورة البقرة اي الايات الثلاث اللاتي ختم الله بهن
سورة البقرة في حديث ابن عباس واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش وخصصت به دون
الانبيا واعطيت المثاني مكان التورية والمبين مكان الانجيل والخواتيم مكان الزبور وفضلت بالمفصل
رواه ابو نعيم في الدلائل والحاصل ان القران ثلاثة اقسام مفصل ومبين ومثاني فالمثاني ما زاد على
المفصل ونقص عن المبين وفي الحديث من قراها اي الايتين من اخر سورة البقرة كفتاه قيل عن قيام
الليل وقيل من الشيطان وفي حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انزل الله
علي ايتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من
قراهما بعد العشا مرتين كفتاه من شر الشيطان ولا يكون له عليه سلطان واسند ابو عمرو الداني
عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل كتب كتابا قبل ان يخلق
السموات والارض بالفي عام فانزل منه هذه الايات التي ختم بها سورة البقرة من قراهن في نفسه
لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هذه الايات من اخر
سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا للانبياء
اذ لم يعرف الملائكة والملا الاعلى نبيا قبلك وخاتما لهم في البعثة فلم يبعث الله نبيا بعده وفي الرواية
الاخرى قال واعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اي من الكرامات والفضائل الصلوات الخمس
اي اجتماعها له ولامته ولم يجمع وجوبها لامة قبل امته ولا لنبي قبله وان كان بعض الانبيا صلى بعضها
الا انها جميعها لم تكتب على امة غير امته وقد اخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال ان ادم
لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدي اسحق عند الظهر فصلى اربع ركعات فصارت
الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال يوما فراى الشمس فقال او بعض يوم فصلى اربع ركعات
فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام يصلي اربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت
المغرب ثلاثا واول من صلى العشا الاخرة نبينا صلى الله عليه وسلم واخرج ابو داود في سننه وابن ابي شيبة

من كنز تحت عرشي

في مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة ليلة
حتى ظن الظان انه قد صلى ثم خرج فقال اعتموا بهذه الصلوة فانكم فضلتم بها على سائر الامم ولم تصلها
امة قبلكم وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته بيان لمن المقحمات على صيغة اسم الفاعل اي الذنوب
العظام التي تقحم اصحابها في النار اي تلقيهم فيها ويصدقه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فظاهر الاية ان ذلك واقع بتوبة وبدونها وقال ما كذب الفواد ما راى
اي لم يكن ما راه تخيلا ووهما اي جبريل في صورته اي التي خلق عليها لا التي تشكل بها فان للملائكة
قوة التشكل في اي صورة ارادوا مع ان لهم صورة خلقوا عليها له ستمائة جناح قال الشمني قال
السهيلي في قوله صلى الله عليه وسلم في حق جعفر قد ابدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث
شاء ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين انهما ليسا كما يسبق الى الوهم مثل جناح الطائر وريشه
لان الصورة الادمية اشرف الصور واكملها ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية
اعطيها جعفر كما اعطيها الملائكة وقد قال اهل العلم في اجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من
اجنحة الطير وانما هي صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع فكيف تكون كاجنحة الطير ولم ير طائر له ثلاثة اجنحة ولا اربعة فكيف
بستمائة جناح كما في صفة جبريل فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر انتهى كلام الشمني
وما نقله عن السهيلي واقره ما كان ظني ان مثل السهيلي وهو جبل من جبال السنة ان
يلتفت الى هذه المقالة التي هي اشبه شيء بمقالات الفلاسفة المنكرين لتجسم الارواح وجوزوا
ان الله تعالى يخلق لها صورة يزيد بها نعيمها في البرزخ ولا مانع ان الله تعالى يعطي بعض الارواح
شكلا يحصل لذي الروح به نعيم كما يعطي الشهيد صورة طير خضر يرعى في نعيم الجنة ويسرح في رياضها
فان قلت لم لم يبقها على تشكلها الانساني فان الشكل الانساني اشرف من شكل الطير قلت نعم هي
باقية على شكلها الانساني وضم اليها جناحا يزيده قوة ويستفيد به الطيران من روضة الى روضة
وانما لم يرزق الله الانسان جناحا في الدنيا لان مبناها على الابتلا وضعف الهياكل ليحصل لها نوع

مشقة

مشقة بالتكليف واي مانع يمنع من ان الله يبدل جعفرا عن يديه بجناحين يفيدان ما يفيده اليدان
مع زيادة القوة على الطيران وان يكون ذلك على ظاهره واي مانع يمنع من ان يكون اجنحة جبريل على
ظاهرها ولا يلزم ان تكون كاجنحة طيور الدنيا فان الجناح في اللغة اليد ففي القاموس الجناح اليد وان
يكون هذه اليد التي خلقت لجعفر كيد الانسان الا انها افادت مع قوة البطش الطيران وان يكون لجبريل
اجنحة مخصوصة يطير بها وان يكون بالريش وبدونه والاحاديث التي تقتضي ان يكون اجنحة جبريل
على ظاهرها اكثر من ان تحصر ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورته له ستمائة جناح واخرج ابو الشيخ عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لجبريل وددت اني رايتك في صورتك قال وتحب ذلك قال نعم قال موعدك كذا وكذا من الليل
ببقيع الغرقد فلقيه موعده فنشر جناحا من اجنحته فسد افق السما حتى ما يرى من السما شيء
واخرج الطبراني عن ابن عباس عن ورقة النصراني قال قلت يا محمد كيف ياتيك الذي ياتيك يعني
جبريل قال ياتيني من السما جناحاه لولؤ وباطن قدميه اخضر واخرج ابو الشيخ عن شريح بن
عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد الى السما راى جبريل في خلقته منظوم اجنحته بالزبرجد
واللولو والياقوت قال فخيل الي ان ما بين عينيه قد سد الافق وكنت اراه قبل ذلك على صور
مختلفة واكثر ما كنت اراه على صورة دحية الكلبي وكنت احيانا اراه كما يرى الرجل صاحبه
من ورا الغربال واخرج ابو الشيخ ايضا من طريق اسحق الهاشمي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال جبريل له ستمائة جناح من لولو قد نشرها مثل ريش الطواويس واخرج ابن ابي حاتم عن
حذيفة وابن جريج وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه حبك
حبك مثل المرجان وهو اللولو كانه الثلج وقدماه الى الخضرة فهذه الاحاديث وما في معناها مصرحة بان
جناحي جبريل بل اجنحته واجنحة سائر الملائكة اجنحة حقيقية جسمانية وانه لا ينكرها الا من
انكر ان الملائكة اجسام وقال انهم من المجردات واي مانع من اجرا الكلام على ظاهره لا سيما في مقام الامتنان

يمنع

فيه الى التاويل ووصف جبريل بهذه الالوان صريح في انه جسم يعرض عليه ما يعرض للاجسام وفي حديث
شريك انه اي النبي صلى الله عليه وسلم راى موسى في السابعة الجار والمجرور حال من موسى اي راه حال كون
موسى في السابعة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم بتفضيل كلام الله متعلق بمحذوف اي نال موسى
هذه الرفعة بتفضيل كلام الله تعالى وتفضيل مصدر مضاف الى فاعله اي بان كلام الله فضله على غيره
من الانبيا ويمكن ان يكون هذا من كلام شريك بين به سبب رفعة موسى عليه السلام على غيره قال
اي شريك ثم علا اي جبريل به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم فوق ذلك ظرف لقوله علا وذلك اشارة الى
السما السابعة التي راى فيها موسى بما اي بمقدار لا يعلمه اي لا يعلم نهايته احد الا الله تعالى فكان مقامه
ارفع من مقام موسى فقال موسى عند ما راى صلى الله عليه وسلم هذه الرفعة الزائدة لم اظن ان يرفع علي احد ومنشأ
هذه الشبهة ظنه انه انفرد بكلام رب العزة فشاركه فيه محمد صلى الله عليه وسلم وساد عليه بامور اخرى
وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز اي طعن وضرب بين كتفي
فان قلت ما الجمع بين هذا و رواية بينا انا نائم قلت لا منافاة لجواز ان يكون قاعدا وهو نائم ويدل
عليه ان جبريل نبهه بالوكز حتى استيقظ فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
اي في زاوية واحدة وقعدت في الاخرى اي الزاوية الاخرى فنمت اي ارتفعت حتى سدت
الخافقين اي المشرق والمغرب وقيل طرفي السما والارض وفي الحديث منكبا اسرافيل يحكان الخافقين
وخوافق السما الجهات التي تخرج منها الرياح الاربعة ولو شئت لمسست اي باشرتها بيدي
وانا اقلب طرفي بسكون الرا اي عيني في ملكوت السما والارض وهو لا يثنى ولا يجمع لانه في الاصل
مصدر ونظرت الى جبريل كانه حلس لاطي الحلس بكسر الحا وسكون اللام الكسا الذي يوضع على ظهر
البعير تحت البرذعة ويبسط في البيت تحت الثياب واللاطي اللاصق بالارض وجملة كانه حلس لاطي في
محل نصب حال من جبريل اي الجبرية حال كونه مشابها في تواضعه لعظمة الله وتصاغره لدى هيبته
بالكسا الملقي على الارض اللاصق بها وما اصابه ذلك الا لخشيته الله ومن خشي الله كان عالما به ولذا قال
صلى

صلى الله عليه وسلم فعرفت فضل علمه بالله تعالى علي متعلق بفضل اي عرفت ان علمه بالله زايد علي اي على علمي
به حيث شاهد منه الخشية التي صيرته كالحلس اللاطي وخشيته الله لازمة لعلمه به وزيادة الخشية
دليل على زيادة العلم فان قلت يلزم منه تفضيل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مقالة داحضة
لان من زاد علمه بالله زاد فضله قلت لا يلزم لجواز ان يكون قاله النبي صلى الله عليه وسلم قبل علمه
بافضليته على الملائكة او قاله تواضعا منه او ان الله تعالى اعطاه بعد ذلك علما بالله اكثر من جبريل
وغيره وفتح لي باب السما ورايت النور الاعظم الكائن في العالم العلوي لانه فيه من النور ما ليس
في الارض او اراد نور العرش فانه اعظم الانوار الحسية او الله تبارك وتعالى فانه النور الاعظم لان
من اسمائه تعالى النور وقد اطلق على نفسه تعالى النور فقال الله نور السموات والارض والنور في الحقيقة
هو اسم لهذه الكيفية التي يضادها الظلام وهو كيفية قائمة بالجسم محتاجة اليه قابلة للزيادة
والنقصان والله منزه عن ذلك كله كيف وهو تعالى قد اضافه الى نفسه فقال مثل نوره فيلزم اضافة الشي
الى نفسه فتعين حمل النور الذي اطلق على الله تعالى على غير ما وضع له لغة وهو المظهر لانه تعالى
يظهر كل خفي ولا خفي كالمعدوم وهو يظهر المعدومات الى صفة الايجاد وحده لا شريك له
واذا دوني اي قريب مني الحجاب سياتي معنى الحجاب وتاويله قريبا وفرجه الدر والياقوت
اي لم يتخلل بين اجزائه الا الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شا ان يوحى وقد تقدم ان في ذلك
تفخيما للوحي وذكر البزار بالموحدة ثم زا معجمة مشددة وفي اخره را نسبة الى عمل البزر والكتان زيتا
بلغة اهل بغداد وهو الحافظ الصدوق المشهور احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند
الكبير المعلل مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين عن علي بن ابي طالب اي ذكره
مسندا الى علي بن ابي طالب قال البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد قال حدثنا ابي عن زياد بن
المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب قال لما اراد الله ان يعلم رسوله اي يعرفه
الاذان جاه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب اي النبي صلى الله عليه وسلم يركبها فاستصعبت عليه
اي لم تنقد اليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم

البزار

بلغ مقابلة على خط المولف

فركبها حتى اتى بها اي مصاحبا لها او بسببها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى كبيان بما يدفع ما في هذا الحديث
من الاشتباه فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من
هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه هذا دال على افضلية جبريل على غيره من الملائكة حتى اسرافيل وهو الاصح فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا
انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وانما لم يذكره لان جوابهما لا حول ولا قوة الا بالله
اي لا يقدرنا على السعي اليهما الا الله ومثل هذا الجواب لا يليق الا بالمخلوق وباقي الفاظ الاذان تناسب
ان يجيب عنها رب العزة جل جلاله وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم
ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على
اهل السما اي حيث رفعه الى مكان لم يصل اليه جبريل الذي هو افضل اهل السما والارض وذلك
ظاهر واعلم ان هذا الحديث دال على ان الاذان شرع ليلة الاسرا وان ذلك كان قبل الهجرة مع ان
ابن المنذر قد جزم بانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلوة بمكة الى ان هاجر الى
المدينة عملا بما صح من حديث ابن عمر الذي في الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون
فيتحينون الصلوة ليس ينادى لها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل
ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل بوق اليهود فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلوة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلوة وفي حديث ابن اسحق ما هو اوضح
من ذلك فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة انما يجتمع الناس اليه للصلوة لحين
مواقيتها لغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل بوقا كبوق اليهود الذي يدعون به
لصلاتهم ثم كرهه ثم امر بالناقوس فنحت ليضرب به المسلمون لصلاتهم فبينما هم على ذلك اذ راى عبد الله
ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه اخو الحارث بن الخزرج النداء فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا

بحث في زمن مشروعية الاذان

رسول

رسول الله اني قد طاف بي الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا
عبد الله اتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قال قلت ندعو به الى الصلوة قال افلا ادلك على خير من
ذلك قال قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الى اخر الاذان فلما اخبرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى منك صوتا
فلما اذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر
رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رايت مثل الذي راى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلله الحمد وهذا حديث صحيح وان لم يخرجه الشيخان لانه ليس على شرطهما ووقع في المعجم الاوسط للطبراني ان
ابا بكر رضي الله عنه راى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه راه بضعة عشر رجلا والجيلي في شرح التنبيه
قال انهم اربعة عشر وانكر النووي وابن الصلاح ثبوت شيء من ذلك الا لعبد الله بن زيد وكذا لعمر بن
الخطاب في بعض طرقه هذا هو الصحيح الذي يعول عليه في ذلك عليه وقد جاء احاديث تخالف ذلك
وتدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة منها هذا الحديث الذي ذكره القاضي عن البزار وهو حديث
ضعيف لان في اسناده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد مال السهيلي الى صحته لورود ما يشاكله
ويناسبه من احاديث الاسرا وعلى تقدير الصحة لا يلزم ان يكون ذلك بمكة لجواز تعدد الاسرا وان
ذلك وقع بالمدينة قاله ابن حجر العسقلاني رحمه الله واما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسرا
ان يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله في اوله لما اراد ان يعلم رسوله الاذان واقول لا مانع من
ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم الاذان ليلة الاسرا وان يكون الله اراد ذكره في الملا الاعلى
وان مثل هذا الملك الذي هو عند الحجب التي لا يصل اليها مثل جبريل قد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الموطن ليتنوه بفضله وكمال عزه ومرتبته لكنه لم يومر بان يامر المومنين بالاذان لعجزهم عن اظهار
الاذان يومئذ فاخر القضية الى ان يكثر المسلمون ويستقلوا ببلادهم ثم جعل ذلك ظاهرا على لسان
رجل من المسلمين ليظهر مدحه على لسان غيره ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انها رؤيا حق فتصديقه
دليل على ان عنده منها علما ولعله انما علم ذلك ليلة الاسرا وقول المحب الطبري يحمل الاذان ليلة الاسرا

على المعنى اللغوي فيه نظر لتصريحه بالفاظ المشروعة فهو اذا شرعي لا لغوي كما زعم قال القاضي رضي الله عنه
ما اي الذي في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق وذلك ان ظاهر الحديث
يقتضي ان لله حجابا وان الله محجوب به وكذا الحديث الذي في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه
يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ومعنى الحجاب الذي وضع له لغة محال على الله
تعالى اذ هو في اللغة المنع ولذا يقال لمن يمنع الداخلين الى الامير الا باذنه حاجب والحاجبان
اللذان يمنعان الاذى عن الحدقتين فلابد ان يكون محيطا بالمحجوب فلابد ان يكون جوهرا او جسما
محدودا لان ما ستر الحجاب فالحجاب اكبر منه ويكون متناهيا محدودا جائزا عليه المماسة
والمفارقة وهذا خاص بالمحدثات فتعين حمل الحجاب الواقع في كلام المعصوم على المخلوقين فهم
اي المخلوقون المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه ولذا ورد عن علي رضي الله عنه انه مر
بقصاب وهو يقول لا والذي احتجب بسبعة اطباق فعلا علي على راسه بالدرة وقال له مطلب
ويلك يا لكع ان الله لا يحتجب عن خلقه فقال له القصاب افلا اكفر عن يميني فقال لا انك لم تحلف
لانك حلفت بغير الله تعالى اذ يحجب تعليل لاستحالته في حق الله تعالى انما تحيط بمقدار محسوس
ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم فلا تحيط به ابصارهم ولا تدركه بصائرهم وادراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم اي الكفار عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان الاية
مصرحة بان الحجاب من جانبهم لا من جانب الله تعالى فلا يقدر الله الكافر على رؤيته يوم القيمة
بخلاف المؤمن فانه يرى الله تعالى فقوله في هذا الحديث الحجاب واخرج ملك من الحجاب يجب
ان يقال ان حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع متعلق بحجب على ما دونه من
سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه اي على ان المراد حجب من وراءه من الملائكة
وان الله تعالى اخفى عنهم ما دون هذا الحجاب من الاي ذكره من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج

٢.

به من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فان قلت قوله منذ خلقت مغن عن
قوله قبل ساعتي هذه فلم اتى به بعد قوله منذ خلقت قلت لانه يفيد انها غاية عدم رؤيته له قوله
ان هذا الحجاب اي على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات اي لم يكن حاجبا للذات مختصا بها كاختصاص
الحجاب بالمحجوب بل هو حجاب لبعض سلطان الله الذي اراد ان لا يظهر عليه احدا من خلقه ويدل
عليه اي على ان المراد حجب الملائكة عن بعض سلطانه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها
ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم اي وهم محجوبون عما وراءها
والحاصل ان الله لم يطلع خواص ملائكته على جميع سلطانه بل منع ملائكته من الاطلاع على بعضه
وجعل بين ما اطلعهم عليه وما لم يطلعهم عليه حجابا واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
مضاف اي من اللفظ وتقديره بحسب المعنى وذلك لانه اذا ورد عن الشارع لفظ يستحيل
حمله على ظاهره فلابد فيه من تقدير ما يصح معناه كما قدروه في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن
امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه اي المواخذة بها لا ذات الخطا والنسيان لانهما
واقعان من امته وقد اشار الى تقدير المضاف هنا بقوله اي يلي عرش الرحمن او امرا من عظم
ملحوا علم به اياته او مبادي حقائق معارفه كما قال تعالى واسال القرية اي اهلها بناء على ان القرية هي الابنية
المجتمعة فيكون من مجاز الحذف وان كانت القرية مرادا بها هنا اهلها من اطلاق اسم المحل على الحال
كان مجازا مرسلا فان قلت الخبر الذي ذكره الشيخان عن ابي موسى الاشعري قال صلى الله عليه وسلم
حجابه النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه يؤذن بان الحجاب
في حقه لا في حق المخلوقين قلت هذا ليس حقيقة بل هو على طريق التمثيل اي لو اطلع خلقه
على كمالاته وكشفها عليهم لاضمحلوا في جناب الله تعالى فيصيرون كالمحترقين وذلك ان كل كمال في
الاثر فهو مستفاد من المؤثر وثبوته للمؤثر اولى من ثبوته للاثر واقوى واكمل ولا شك ان معطي
الكمالات كلها ومفيضها هو الله تعالى فكل كمالات الممكنات بالنسبة الى كمال الله تعالى كالعدم لان
جملة الممكنات عالم الاجسام وعالم الارواح وكمال عالم الاجسام بالنسبة الى كمال عالم الارواح

كالعدم وكمالات العناصر بالنسبة الى كمالات عالم الافلاك كالعدم وكمال اهل الربع المسكون بالنسبة
الى كمالات كل العناصر كالعدم وكمال الشخص المعين بالنسبة الى كمال الربع المسكون كالعدم فيظهر من
هذا ان كمال الانسان المعين بالنسبة الى كمال الله تعالى اقل من ان يقال انه كالعدم فروح الانسان
وجسده لا يطيق قبول ذلك الكمال ولا يمكنه مطالعته بل الارواح البشرية كلها تضمحل في ادنى
مرتبة من مراتب تلك الكمالات فهذا هو المراد بقوله لاحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى اليه بصره
كذا قيل ويظهر لي ان المراد بالنور في قوله حجابه النور الاظهار يعني انه احتجب عن خلقه باظهار
غيره من الممكنات كما قالوا في قوله الله نور السموات اي مظهر السموات والارض فلو اظهر
وجود نفسه لاضمحلت الموجودات كما تضمحل الكواكب عند ظهور الشمس فافهم فان قلت
قد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال احتجب الله عن خلقه بنار وظلمة ونور وظلمة فما
معنى ذلك قلت قد تكلموا في معناه والذي يظهر ان المراد انه احتجب عنهم بالدلائل العقلية
الصرفة التي لم يعضدها مقالات الشرع وهي نار والظلمة الجهل بها والنور الدلائل المعتضدة
بالشرع والظلمة الجهل بها وقوله فقيل اي قال الله تعالى من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من ورا الحجاب وانما قال فظاهره لاحتمال ان يكون النبي
صلى الله عليه وسلم علم ذلك بالهام او بوحي من جبريل ولا يلزم ان يكون سمعه من الله ولكن الظاهر
انه سمع الله يقول ذلك اذ الاصل وصول علم ذلك اليه بالطريق المعتاد كما قال اي الله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله اي ما صح له ذلك الا وحيا اي كلاما يلقيه في روعه او من ورا حجاب اي كلاما
كائنا من ورا حجاب ككلام الله لموسى اذ سمعه من الشجرة او يرسل رسولا كجبريل اذ
ارسله الى نبيه والى باقي الانبيا فالقى اليهم كلام الله تعالى اي وهو لا يراه يعني ان هذه الاية
فيها منع روية البشر لله وان الله لا يكلم انسانا شفاها الا باحد هذه الاحوال الثلاثة يويد ذلك
سبب نزول الاية فانها نزلت كما قال الواحدي بسبب ان يهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى عليه الصلوة والسلام ونظر اليه فانا لن نومن لك حتى تفعل
ذلك

ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صلى الله عليه وسلم لن ينظر اليه فنزلت حجب اي الله تعالى بصره اي بصر
البشر عن رويته اي الله تعالى اي في الدنيا فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير
هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه لان الاصح ان الاسرا متعدد وانه وقع يقظة
ومناما فصل ثم اي بعد بيان وافعة الاسرا وقصته نذكر وقوعه على اي كيفية
من يقظة او منام فنقول اختلف السلف اي العلما والصحابة الذين تقدمت وفاتهم على من عداهم
من الامة المحمدية والعلما الذين جاوا من بعدهم هل كان الاسرا بروحه اي في المنام او جسده اي في
اليقظة فان قلت اختلف يتعدى بفي فيقال اختلف العلما في كذا فاين متعلق متعلق اختلف
هنا قلت محذوف والتقدير اختلفوا في جواب قول القائل هل كان الاسرا بروحه او جسده
كما قالوا في قول القائل علمت ازيد قائم ام عمرو اي علمت جوابه على ثلاث مقالات فذهبت
طائفة اي قطعة من العلما ففي القاموس الطائفة من الشي القطعة فصاعدا او الى الالف
واقلها رجلان او رجل الى انه اي الاسرا اسرا بالروح وانه اي والى انه رويا منام مع اتفاقهم
ان رويا اي على ان رويا الانبيا حق ووحي اي وليست كرويا غيرهم فانها مشوبة بالنقائص
وغفلة القلب والانبيا لا تنام قلوبهم قال صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا
تنام قلوبنا قال ابن عباس رويا الانبيا حق واستدل بقوله تعالى اني ارى في المنام اني اذبحك
فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تومر فان قلت حيث كانت روياهم حقا ووحيا فما
بال ابرهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام لما امر بذبح ولده في المنام اصبح متفكرا وروى في ان
هذا من الشيطان او من الله تعالى فسمي يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ثم عرف
الحق في تاسعه فسمي عرفة ثم هم بنحره في العاشر فسمي يوم النحر قلت لما كان ذبح الولد
يبعد ان يامر الله تعالى به لانه قتل نفس لم يقدم على الذبح واستبعد ان يكون هذا من الله تعالى فلما
تحققه اقدم امتثالا لامر الله تعالى والى هذا اي الى انه رويا منام ذهب معاوية هو ابن ابي سفيان
صخر بن حرب بن امية ابو عبد الرحمن الاموي من مسلمة الفتح وقيل اسلم زمن الحديبية عاش ثمانيا

معنى الطائفة

يوم التروية وعرفة والنحر

معاوية

الحسن بن علي رضي الله عنهما ﻫ

وسبعين سنة مات سنة ستين رضي الله عنه **وحكي عن الحسن** هو ابن علي بن ابي طالب السيد ابو محمد
الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشبه الناس وجها برسول الله صلى الله عليه وسلم ولد
في نصف رمضان سنة ثلاث وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني احبه فاحبه وقال ابني هذا سيد
وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقال الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة
وحج خمس عشرة حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه مات سنة خمسين رضي الله عنه
ونفعني به وبمحبته **والمشهور عنه** اي عن الحسن **خلافه** لان المشهور عنه ان الاسرا بالجسد
بل هو المشهور عن جميع اهل البيت **واليه اشار محمد بن اسحق** هو صاحب السير المشهورة وهو
محمد بن اسحق بن يسار ابو بكر ويقال ابو عبد الله المطلبي مولاهم المدني الامام راى انسا وروى عن
ابيه وعطا والزهري وابان بن صالح وخلق كثير قال الذهبي كان صدوقا من بحور العلم وله غرائب
في سعة ما روى تستنكر واختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وقد صححه جماعة وما نقل عند كل
منصف انه ثقة وغاية ما قيل فيه انه يدلس في العنعنة واما اذا صرح بالتحديث فلا اختبار على
صحة حديثه مات سنة احدى وخمسين ومائة وقيل سنة اثنتين **ووجهه قوله تعالى وما**
جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وجه الاحتجاج به ان اللام في الرويا للعهد وهي ما
وقع له ليلة المعراج فانه افتتن بها ضعيفوا الاسلام فارتدوا وكانت مناما بدليل تعبيره
بالرويا التي هي مصدر رأى الحلمية ولو كانت يقظة لعبر بالروية **وما حكوا** معطوف على قوله تعالى
عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في نسخ الشفا ولا وجه للاستدلال
به بحال لما سيأتي ولان عائشة كانت احدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم فلا يلزم من عدم
فقدها عدم فقد غيرها لا عقلا ولا عادة فان اغلب لياليه كانت عند غيرها ثم في الروض الانف
ان عائشة قالت لم يُفقَد بدنه بصيغة البنا للمفعول اي لم يفقده احد ثم بينت ذلك
بقولها وانما عرج بروحه تلك الليلة فهذا الاحتجاج به وجه **وقوله** اي النبي صلى الله عليه وسلم
بينا انا نائم وجه الاحتجاج به ظاهر **وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام** هذا مقتطع من حديث

ترجمة ابن اسحق ﻫ

كون الرويا لا تكون مصدرا لغير رأى الحلمية فيه كلام فليحرر

طويل

طويل ذكره البخاري مقتضى ان الاسرا انما كان مناما لا يقظة عن انس بن مالك قال ليلة اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو هذا
وهو خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه
وكذلك الانبيا عليهم السلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم
فتولاه منهم جبريل **وذكر** اي انس **القصة ثم قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم **في اخرها** اي القصة **فاستيقظت**
وانا في المسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين اي اكثرهم **الى انه** اي اسرا النبي صلى الله عليه
وسلم **اسرا بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس** حبر الامة وترجمان
القران **وجابر** هو ابن عبد الله الصحابي المكرم مات سنة ثمان وسبعين **وانس** هو ابن مالك خادم النبي
صلى الله عليه وسلم **وحذيفة** هو ابن اليمان العبسي ثم الاشهلي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرج مسلم من حديثه قال لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكون حتى تقوم الساعة غير اني
لم اساله ما يخرج اهل المدينة منها واني لاعلم كل فتنة هي كائنة [كذا] وفضائله ومناقبه كثيرة منعه
واباه شهود بدر استحلاف المشركين لهما مات سنة ست وعشرين رضي الله عنه **وعمر** هو
امير المومنين ابن الخطاب مناقبه مشهورة تملأ اسفارا رضي الله عنه **وابي هريرة** تقدم ذكره مرارا
ومالك بن صعصعة هو شيخ انس في حديث المعراج وهو من بني مازن بن النجار صحابي مشهور سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يذكر حديث المعراج **وابي حبة البدري** هو الانصاري وهو بالحاء المهملة ثم بالموحدة
وليس بنون بعد الحا كما زعم الواقدي **وابن مسعود** هو عبد الله بن مسعود بن شمخ حليف
ابن زهرة كنيته ابو عبد الرحمن سكن الكوفة ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين واوصى ان
يدفن بجنب قبر عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع وكان له يوم مات نيف وستون سنة وصلى
عليه الزبير بن العوام **والضحاك** هو ابن مزاحم الهلالي لقي جماعة من التابعين ولم يشافه احدا من
الصحابة ومن زعم انه لقي ابن عباس فقد وهم وكان اصله من بلخ وكان يقيم بها مرة وبسمرقند اخرى
وببخارى مرة وهم اخوة ثلاثة مسلم ومحمد والضحاك وكان الضحاك يعلم الصبيان ولا ياخذ منهم شيا

ترجمة حذيفة بن اليمان ﻫ رحمه الله

ترجمة ابو حبة رحمه الله

ابن مسعود رحمه الله

الضحاك رحمه الله

سعيد بن جبير رضي الله عنه

مات سنة خمس ومائة وسعيد بن جبير هو الوالبي مولاهم لقي جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وروى عنهم كان فقيها عابدا ورعا فاضلا كان يكتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود حيث كان قاضيا
على الكوفة ثم لابي بردة بن ابي موسى الاشعري حين كان قاضيا بها ثم خرج مع ابن الاشعث في جملة
القراء فلما هزم ابن الاشعث بدير الجماجم هرب سعيد بن جبير الى مكة فاخذه خالد بن عبد الله القسري بعد
مدة وكان واليا لعبد الملك بن مروان على مكة وبعث به الى الحجاج فقال له الحجاج اختر لنفسك اي قتلة تريد
فقال اختر انت فان القصاص امامك فقتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة خمس وتسعين وهو
ابن تسع واربعين سنة ثم مات الحجاج بعده بنحو اسبوع قال سعيد بن جبير قرأت القران في ركعة
واحدة في الكعبة قال القاسم الاعرج كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش وكان يختم القران
فيما بين المغرب والعشاء في رمضان وقتادة هو ابن دعامة الاعمى هو من علماء الناس بالقران والفقه
من حفاظ السنة جالس سعيد بن المسيب اياما وجالس الحسن ثنتي عشرة سنة مات بواسط
على قدر فيه سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة وكان مدلسا وابن المسيب
هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي من سادات التابعين فقها ودينا وورعا وعلما
وعبادة وفضلا وكان ابوه يتجر في الزيت وكان سعيد سيد التابعين وافقه اهل الحجاز واعبر الناس
للرؤيا ما نودي للصلوة اربعين سنة الا وسعيد في المسجد ينتظر الصلوة وقد حكى ابن النجار في
تاريخه ان الاذان ترك في ايام الحرة ثلاثة ايام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال
سعيد فاستوحشت فدنوت الى القبر فلما حضرت الصلوة سمعت الاذان من القبر فصليت
الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر لكل صلوة حتى مضت الليالي الثلاث ورجع الناس
وعاد المؤذنون فسمعت اذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم مات سعيد في سنة ثلاث او
اربع وتسعين وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء من كثرة من مات فيها من الفقهاء وابن شهاب هو ابو بكر محمد
ابن مسلم الزهري راى عشرة من الصحابة وكان من احفظ اهل زمنه واحسنهم سياقا لمتون الاخبار مات ليلة
الثلثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اربع وعشرين في ناحية الشام وقبره ببدا وشغب ومزار على قارعة

قتادة رحمه الله مكررة

ابن المسيب رحمه الله

ابن شهاب رحمه الله مكررة

الطريق

[illegible]

الطريق دفن بوصيته عليها اغتناما لدعوات المارة وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المدني قال ابو حاتم
كان في نفسه صالحا له ترجمة في الميزان مات سنة اثنتين وثمانين ومائة والحسن هو ابن ابي الحسن البصري راى
مائة وعشرين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بدريا الا عثمان فانه بدري حكما واجرا وان لم يشهد بدرا
مات في رجب سنة عشر ومائة وهو ابن تسع وثمانين سنة وابرهيم هو النخعي تقدم ذكره ومسروق هو ابن الاجدع
ابو عائشة الهمداني احد الاعلام قال الشعبي ما ولدت همدانية مثل مسروق وقال ما علمت احدا طلب للعلم منه وهو
اعلم بالفتيا من شريح مات سنة ثلاث وستين وقيل سنة اربع وستين اخرج له الائمة الستة ومجاهد
هو ابن جبر مولى عبد الله بن السائب يروى عن جمع من الصحابة كان فقيها عابدا ورعا متقنا مات وهو
ساجد بمكة سنة اثنتين او ثلاث ومائة وكان مولده سنة احدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب
وعكرمة هو مولى ابن عباس كان من علماء الناس في زمنه بالقران والفقه قدح فيه يزيد بن ابي زياد نقلا
عن علي بن عبد الله بن عباس انه يكذب عن ابيه لكن لا يقدح فيه هذا القدح فان يزيد مجروح وعكرمة عدل
ولا يجرح في العدل قول المجروح وما عيب عليه الا دعابة كانت به مات هو وكثير عزة في يوم واحد فاخرجت
جنازتهما فقال الناس مات افقه الناس واشعرهم وذلك سنة سبع ومائة وقيل سنة خمس ومائة
وسنه اربع وثمانون سنة وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي مات سنة تسع واربعين
ومائة وقد جاوز السبعين وهو دليل قول عائشة اي مدلوله فانها قالت ما فقد جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه ثم قائلا بانه اسرى به بجسده وهو قول الطبري هو الامام البارع في انواع
العلوم ابو جعفر محمد بن جرير الطبري هو في طبقة الترمذي والنسائي له التفسير الذي قيل في شانه لو سافر
انسان الى الصين لتحصيل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا قال محمد اسحق بن خزيمة ما تحت اديم السما اعلم
من ابن جرير ولد سنة اربع او خمس وعشرين ومائتين ومات سنة ست عشرة وثلثمائة وابن حنبل هو
صديق هذه الامة المجمع على امامته وجلالته وورعه وزهادته وحفظه ووفور علمه وسيادته الصابر في المحنة
الزاهد في الدنيا الذي كان يحفظ عن ظهر قلبه من مروياته الف الف حديث منها مائة الف حديث صحيح مات رضي
الله عنه في ثاني عشر من ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وولد سنة اربع وستين ومائة وقد افردت

ابن زيد رحمه الله

الحسن البصري رحمه الله

مسروق رحمه الله

مجاهد رحمه الله

عكرمة رحمه الله

ابن جريج رحمه الله

الطبري رحمه الله

الامام ابن حنبل رضي الله عنه وارضاه

مناقبه بالتاليف في عدة مجلدات رضي الله عنه **وجماعة عظيمة من المسلمين** اي كثيرة فالكثرة نزلنا ماهو كثير في
الكمية منزلة العظيم في الهيكل والجسم لان ماكثر كميه عظم جسمه ويجوز ان يكون عظمها بعظم قدرها ونباهة شانها
في العلم والتحقيق وهذا هو الاليق لما لايخفى **وهو قول اكثر المتاخرين** اي الذين زمنهم متاخر عن زمن الائمة
الاربعة ومن في طبقتهم **من الفقها** اي المستنبطين للاحكام الشرعية العملية عن ادلتها التفصيلية **والمحدثين**
اي الماهرين في الحديث الذي هو عبارة عما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا او صفة في الحركات
والسكنات واليقظة والمنام **والمتكلمين** اي الماهرين في علم الكلام الذي هو علم يبحث فيه عن ذات
الله وصفاته وسمي بعلم الكلام لان اول مسلة وقع الخلاف فيها مسلة الكلام **والمفسرين** اي الماهرين في
تفسير القران **وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة** اي في زمن يقظته ويجوز ان يكون حالا من فاعل
الاسرا اي متيقظا **الى بيت المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية** اي مضمون قوله الى المسجد والا
فالغاية المسجد الاقصى لاقوله الى المسجد ومثل هذا التسامح يقع في عبارات القوم **الذي وقع التعجب فيه**
الظاهر ان يقال التعجيب فان الله عجب المخاطبين في عظيم القدرة اي اوقعهم في التعجب ونبههم على امر عجيب
فان قلت من اين استفيد هذا التعجيب قلت من قوله سبحان فانه ياتي لذلك قال البيضاوي في قوله تعالى قل
سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا تعجبا من اقتراحهم **بعظيم القدرة** اي بسببه حيث قطع جسده
الشريف في الزمن اليسير ما يقطع غيره من الاجساد في مدة طويلة **والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه
وسلم به واظهار الكرامة بالاسرا اليه قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زائد على المسجد الاقصى
لذكره فيكون ابلغ في المدح** وحاصل هذا الاحتجاج ان الله اراد ان يقرر لنا امرا عجيبا وقع لنبينا صلى الله
عليه وسلم من به عليه وسعة قدرته او ان سبحان هنا للتنزيه اي نزه نفسه عن ان يكون عاجزا عما اوقع
من الكرامة لنبينا صلى الله وسلم عليه فلو كان هذا الاسرا وقع زائدا على بيت المقدس لكان ابلغ في التعجيب والتنزيه فكان
الله تعالى يجعله غاية لاسرائه واقول في رد هذه الحجة ان الله القى هذه المقالة الى اناس منهم الكفار الذين
ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم ضعيفو الايمان والمومن الخالص القوي الايمان كان اذ ذاك

قليلا

قليلا فلو اخبرهم بما زاد على بيت المقدس لعظمت الفتنة كيف وكثير منهم من ارتد مستبعدا للاسرا الى هذه
الغاية فكيف بما زاد عليها فاقتصر الله تعالى على هذه الغاية حفظا لايمان من هو ضعيف الايمان وقوي
الايمان يعلم ما زاد على هذه الغاية من اخبار النبي صلى الله عليه وسلم مع ان الاسرا الى بيت المقدس
والى السما متسا وبان في الاستبعاد عادة والجواز عقلا **ثم اختلفت هاتان الطائفتان** القائلة
بان الاسرا كله بالجسد والقائلة بانه الى بيت المقدس بالجسد والى السما بالروح **هل صلى ببيت
المقدس ام لا** اي في جواب هذا السوال واعلم ان هل ليس لها معادل وام لا يوتى بها الا في مقابلة
الهمزة فما وقع من المصنف هنا سهو او محمول على ان ام منقطعة والتقدير بل ام لم يصل او ان
هل مستعملة هنا استعمال الهمزة كما حمل ابن مالك عليه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هل تزوجت بكرا
ام ثيبا **ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته** بيان لما فيه اي في بيت المقدس **وانكر ذلك
حذيفة بن اليمان** هو صاحب السر وعلم المنافقين الذي كان لا يعلمه احد مثله **وقال** اي حذيفة مشعرا
بهذا الانكار **والله ما زالا** اي تحولا اي جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم **عن ظهر البراق حتى رجعا الى
الارض** فيه ان جبريل كان ايضا راكبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب غيره الى انه كان ماشيا
قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شا الله ان قلت في هذه العبارة ما ينافي بعضها
بعضا فان تعبيره بالحق مشعر بان ما يقابله باطل وتعبيره بالصحيح مشعر بان ما يقابله ضعيف لا يصل
الى درجة البطلان قلت للصحيح اطلاقان يطلق على ما يقابل الضعيف وعلى ما يقابل الفاسد وهو
المراد هنا والباطل والفاسد من واد واحد بل هما مترادفان عند الشافعي رضي الله تعالى عنه وغير متنافيين
عند غيره واتى بمشية الله تبركا واعتيادا لاستعمال هذه الكلمة لا لعدم الجزم بان هذا القول حق كما في قوله
صلى الله عليه وسلم وانا بكم ان شا الله لاحقون **انه** اي الاسرا بالنبي صلى الله عليه وسلم **اسرا بالجسد
والروح في القصة كلها** اي من المسجد الحرام الى بيت المقدس ومنه الى السما **وعليه تدل الاية** حيث قال
بعبده والمتبادر انه بجميع عبده روحه وجسده ولو كان مختصا بشي من اجزائه لعينه وتقديم الجار
والمجرور في قوله عليه لافادة الحصر اي لا دلالة للاية الا عليه **وصحيح الاخبار** اي الاخبار الصحيحة **والاعتبار**

الفرقتان

مبحث
وقوع ام بعد
هل

صلى الله وسلم عليه

بالرفع عطف على الاتى اي يدل عليه الاعتبار اي التتبع لاقوال السلف ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
عطف تفسيري الى التاويل اي الحمل على المعنى المجازي الا عند الاستحالة اي استحالة المعنى الحقيقي وذلك لان
الاصل في الكلام هو الحقيقة حتى اذا تعارض المعنى الحقيقي والمجازي فالحقيقي اولى ومعنى قولنا المجاز خلاف
الاصل اي خلاف الغالب لان المجاز انما يتحقق عند نقل اللفظ من شي الى شي لعلاقة بينهما وذلك
يستدعي ثلاثة امور الوضع الاول والمناسبة والنقل ويكفي في الحقيقة امر واحد وهو الوضع وما يكفي
فيه شي واحد اغلب وجودا مما يتوقف على ثلاثة اشيا وايضا الحمل على المجاز يتوقف على القرينة
الحالية او القالية وقد تخفى هذه القرينة على السامع فيحمل اللفظ على المعنى الحقيقي هذا اذا لم يكن
المجاز غالبا فان غلب على الحقيقة فهو اولى عندالث في خلافا لابي حنيفة فانه قدم الحقيقة
المرجوحة على المجاز الغالب فقوله بعبده المعنى الحقيقي له ان الاسرا وقع بجسده ولو كان بالروح
وقد اطلق عليه العبد لكان من قبيل اطلاق الكل وارادة الجزء وهو خلاف الظاهر مع عدم القرينة
والاستحالة بل قامت قرائن على المراد به الروح والجسد واعتضد ذلك بما في صحيح الاثار
ومشهور الاخبار وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة وذلك ان من جعل الاسرا منا ما انما
حمله على حمل لفظ القران على المجاز توهم استحالة قطع هذه المسافة الطويلة في هذه المدة اليسيرة وجعل
ذلك من قبيل الامور المستبعدة بحسب العادة ونحن نقول ان الانبيا خصوصا نبينا صلى الله عليه وسلم
لا يقاس احوالهم على احوال الناس كيف وخرقا لعوائد وطي المستبعدات كثير منهم ودابهم ظهور
المعجزات على يديهم ولا شك ان المعجزة امر ممكن مخالف للعادة والاسرا بجسده من هذا القبيل فان عد
ذلك من المستحيلات من جهل عادة الله في انبيائه كيف وقد ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي الشمس
ضعف ما بين طرفي كرة الارض نيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل
من ثانية وقد تقرر في علم الكلام بالدليل والبرهان ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى
قادر على جميع الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما
يحمله وان كان ذلك امرا عجيبا وشانا غريبا فان التعجب من لوازم المعجزات اذ لو كان مناما لقال بروح

عبد

عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى فان فيه دلالة على ان ما راى من الايات انما كان بهذا
البصر الذي هو من القوى الجسمانية ولو كان بالروح لكان ذكر البصر هنا على غير حقيقة ولو كان مناما
لما كانت فيه اية اي خارقة للعادة دالة على صدقه ولا معجزة اذ الرؤية مثل هذا المنام تقع لكثير ممن لا
يدعي النبوة مع ان قصة الاسرا مما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز معجزة لنبيه وعدها من الامور الغريبة
العجيبة بدليل استفتاحها بقوله سبحان الذي اسرى ولما استبعده الكفار وكذبوه ولما ارتد به ضعفاء
من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم اي لم يوجد هذا الانكار والاستبعاد
وارتداد الضعفاء الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث يجوز ان يكون
الى بمعنى مع اي مع ما ذكر في الحديث فيكون على حد قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم وان يكون لانتهاء
الغاية والابتدا مقدر والتقدير استبعده الكفار من اسرائه الى بيت المقدس الى ما ذكر اي ابتدا استبعادا
قصة السير الى بيت المقدس وانتهاؤه ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بيان لما ذكر في الحديث بالانبياء
ببيت المقدس في رواية انس او في السما على ما روى غيره اي صلاته بهم في السما وذكر مجي جبريل بالبراق
فان فيه ذكر مجيئه به وشموسه ثم ركوبه اياه وليس المتبادر من المجي الا المجي بجسده الى بيت المقدس
فان ما يراه النائم من الصور المخصوصة يسمى طيفا والمتبادر من الركوب انما هو علو هذا الجسد المخصوص
على ظهر البراق ولواحق الحق الخفي وخبر المعراج المذكور فيه اخذ بيدي جبريل وعرج بي الى السما الدنيا اي
صعد فان المتبادر من العروج انه عروج جسدي واطلاقه على غيره مجاز واستفتاح السما اي طلب فتح
بابها فيقال اي يقول له البواب ومن معك فيقول محمد اي معي محمد فان المتبادر من المعية المعية بالجسد
واما حملها على غير هذه المعية في قوله تعالى ان الله مع المتقين ونحوها لاستحالة ارادة المعنى الحقيقي
هنا ولما امكن في قصة الاسرا لم يحمل الا عليه ولقائه الانبيا فان المتبادر من اللقا اللقا الجسدي واجتماع
الارواح لا يعدونه لقاء ومن ثم لا يعدون من اجتمع بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد موته في النوم واليقظة صحابيا
لعدم صحة اللقا فلا يصدق عليه تعريف الصحابي وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة فان قلت
الراجح انه راى ارواح الانبيا فلم حمل اللقا من جانبهم على المجاز قلت لانه المتبادر من حيث انهم اموات ومن

ثم حكم باللقا الحقيقي لعيسى عليه الصلوة والسلام حتى عد من الصحابة واشار اليه من قال ٥ من باتفاق جميع الخلق افضل من
شيخ الصحاب ابي بكر ومن عمر ٥ ومن علي ومن عثمان وهو فتى ٥ من امة المصطفى المبعوث من مضر ٥ وهو عيسى
عليه الصلوة والسلام لامكان ذلك فيه عقلا وعادة وحيوهم اي الانبيا معه اي مع النبي صلى الله عليه وسلم وترحيبهم به
اي قول كل منهم له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ماعدا ادم وابرهيم فانهما قالا له والابن الصالح فان المتبادر
من لفظ مرحبا اي اتيت مكانا واسعا ان يكون ذلك الاتيان جسديا وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى
في ذلك فانه انبا عن ذهاب وعود ومكالمة لسانيه ونحو ذلك والمتبادر من ذلك كله ان يكون بالجسد
وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع
فيه صريف الاقلام فان المتبادر من اليد اليد الجسمانية اذ هي حقيقة في هذا العضو المخصوص وكذا المتبادر
من العروج الصعود والارتقا الجسماني وكذلك قوله ظهرت اي علوت المتبادر منه العلو الجسماني والمستوى
بفتح الواو ومنون ودرجة وهو المصعد والمكان العالي يقال استوى في الشي وعليه اذا علا عليه وهو عبارة
عن فضا فيه استوا وكذا المتبادر من السماع ان يكون بهذه الحاسة الجسمانية وحمله على خلافها غير
ظاهر يحتاج الى قرينة وصارف ولا صارف هنا والصريف بفتح الصاد المهملة وكسر الرا وبالفا في اخره وهو
صوت حركة الاقلام وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من اقضية الله من اللوح المحفوظ من
امره وتدبيره ومن قال صرير بالرا فقد سها فان قلت المشهور ان لله تعالى قلما واحدا فلم جمع قلت اما تعظيما
لشانه لانه يكتب ما يكتبه اقلام كثيرة فكانه اقلام متعددة ويحتمل ان يكون لله اقلام متعددة يكتب الملائكة
بها من تقدير الله ما يشا وانه وصل الى سدرة المنتهى فان الوصول عبارة عن تقارب الجسمين اي دنا جسمه
من سدرة المنتهى وحمله على خلافه لكونه مجازا مفتقر الى الصارف وانه دخل الجنة فان المتبادر من الدخول ان
يكون بالاجسام وراى فيها ما ذكره والمراد من الجنة التي دخلها منازل امته واما الوسيلة التي هي منزلته فلا
يدخلها الا بعد الموت بدليل حديث في صحيح البخاري قال ابن عباس هي رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رويا منام وهذا حصر قلب بالاضافة الى من يعتقد انها منام وعن الحسن هو البصري حديث فيه هذا اللفظ
بينا انا نائم في الحجر اي حجر الكعبة زادها الله شرفا والصواب انه بكسر الحا واسكان الجيم وسمي بذلك

لاستدارة

[illegible]

لاستدارة وعرضه ملتصق بالكعبة متقوسة على صورة نصف الدائرة عليه جدار ارتفاعه من الارض
نحو ستة اشبار وعرضه نحو خمسة اشبار وقيل خمسة وثلث وللجدار طرفان ينتهي احدهما الى الركن
البيت العراقي والاخر الى الركن الشامي وبين كل واحد من الطرفين وبين الركن فتحة يدخل منها الى
الحجر وتدوير الحجر تسع وثلاثون ذراعا وشبر وطول الحجر من الشاذروان الملتصق بالكعبة الى الجدار
المقابل له من الحجر اربع وثلاثون قدما ونصف قدم وما بين الفتحتين اربعون قدما الا نصف قدم
وميزاب البيت يصب في الحجر وقد اختلفت الروايات واقوال الفقها في ان الحجر كله من البيت او ست اذرع
فحسب او سبع اذرع والخلاف في ذلك مبسوط في كتب الفقه جاني جبريل فهمزني اي نخسني ودفعني
بعقبه بفتح العين وكسر القاف وهو مؤخر القدم فان قلت هذا الفعل فيه سوء ادب حيث همزه بعقب
رجله قلت سوء ادب بالنظر الى البشر والملائكة لما جبلوا على النقا من النقايص كان همزه بجميع اعضائه
سوا فقمت اي من هيئة النائم فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي في القاموس العضد بالفتح وبالضم وبالكسر وككتف وندس وعنق ما بين المرفق الى الكتف
فخرج بي الى باب المسجد فاذا بدابة فذكر خبر البراق وانما اقتصر من هذا الخبر على هذا القدر لانه محل الشاهد اذ
فيه دلالة ظاهرة على ان الاسرا جسدي فان الهمز بالعقب يشعر بالانتباه من النام وان منامه قد انقضى
وان ما راه بعد ذلك انما كان يقظة لا سيما وقد صرح بانقضا المنام بقوله فقمت ثم قوله فاخذ بعضدي
فان هذا صريح في ان القضية كانت في اليقظة وانها كانت بالجسد وعن ام هانئ بالهمزة في اخره هي
فاختة وقيل هند وقيل فاطمة او عاتكة بنت ابي طالب بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم اسلمت يوم الفتح
وهرب زوجها هبيرة بن عمر المخزومي الى نجران ولها منه اولاد وهلك على كفره وفي الكاشف عاشت بعد
الخمسين اخرج لها الائمة الستة واحمد في المسند وروى عنها ابنها جعدة وغيره ما اسري اي ورد
عن ام هانئ هذا اللفظ وهو ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة ظرف
متعلق بما تعلق به الجار والمجرور السابق صلى العشا الاخرة هذا مشكل من جهة ان الصلوة لم تكن
فرضت بعد ولعلها ارادت الصلوة اللغوية اي دعا الله او ذكره في وقت العشا الاخرة ونام بيننا فلما

ام هانئ رحمها الله

كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ايقظنا من منامنا يقال هب اذا استيقظ واهبه
اذا ايقظه فلما صلى الصبح وصلينا معه هذا مشكل من حيث انها لم تكن اسلمت اذ ذاك لان
اسلامها كان يوم الفتح فكيف تصلي ولم تكن من اهل الصلوة ولعلها ارادت الصلوة اللغوية اي ذكر الله
وذكرنا معه او الشرعية ونسبة الصلوة اليها بطريق التكلم مع الغير باعتبار الجموع كما قال الحسن
البصري خطبنا علي بن ابي طالب مع ان الحسن لم يشهد ذلك فالمراد خطب اهل البصرة وانا فيهم
وهكذا يقال هنا المراد صلى قومي وانا فيهم قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشا الاخرة رايت بهذا
الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترى وهذا بين في
انه اي الاسرا بجسمه وعن ابي بكر رضي الله عنه هو الصديق افضل من وطي الغبرا بعد النبيين في رواية
شداد بن اوس عنه اي عن ابي بكر وهو شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو النجاري
الخزرجي الانصاري كنيته ابو يعلى ابن اخي حسان بن ثابت سكن الشام ومات ببيت المقدس سنة
ثمان وخمسين في ولاية معاوية بن ابي سفيان وقبره بها رضي الله عنه وهذا الحديث رواية صحابي عن
صحابي لان شدادا لم يدرك ايام الاسرا لانه من مسلمي المدينة والاسرا كان بمكة انه اي ابا بكر رضي الله عنه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طرف لقال طلبتك البارحة هو اسم لليلة الماضية قال
ثعلب والجمهور لا يقال البارحة الا بعد الزوال ويقال فيما قبله الليلة وقد ثبت في صحيح مسلم في اخر
كتاب الرويا متصلا بكتاب المناقب عن سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الصبح اقبل علينا بوجهه فقال هل راى احد منكم البارحة رويا فيحمل قول ثعلب على انه حقيقة وهذا
مجاز والا فقوله مردود بهذا الحديث في مكانك متعلق بطلبتك فلم اجدك اي ابصرك فاجابه اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ان جبريل اي بان جبريل حملني الى المسجد الاقصى وجه
الاستشهاد بهذا الحديث ان المتبادر من الحمل الحمل بالجسد وارادة غير ذلك منه خلاف الظاهر
وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
اي اوله فيما يلي الباب ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه النقرة

ظاهرة

شداد بن اوس

ظاهرة في ان الاسرا كان بجسده الشريف وان لم تكن نصا في المراد غير مستحيلة فان من القواعد المقررة
انه اذا ورد عن الشارع نص ظاهره شي ويحتمل غيره فان امكن حمله على ظاهره لا يعدل عنه الى غيره
واسرا النبي صلى الله عليه وسلم بجسده وردت به احاديث فيحمل على ظاهرها ولا احتياج الى حملها على غيره
وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري اي شقه
ثم غسله بما زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي فان المتبادر من شرح الصدر صدره جسماني
وكذلك المغسول وكذلك اليد وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتيت اي اتاني جبريل كما
صرح به في باقي الروايات فانطلقوا بي يجوز ان يكون مع جبريل ملائكة اخر او جبريل فقط
وجمع تعظيما له الى زمزم هي بير في المسجد الحرام بينها وبين الكعبة ثمان وثلاثون ذراعا سميت
بذلك لكثرة ماها وزمها اياه وقيل لزمزمة جبريل وتسمى هزمة جبريل وفي الحديث طعام طعم وشفا سقم
وفيه ما زمزم لما شرب له معناه من شربه لحاجة نالها فشرح عن صدري اي شق وعن ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر راي هنا بصرية ويجوز ان يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين
متحدين في المعنى فهو من قبيل قول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام
الا الاسودان التمر والما وقول الشاعر ولقد اراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وامامي وقريش
تسالني عن مسراي هو مصدر ميمي اي عن اسرائي اي كيفيته فسالتني عن اشيا لم اثبتها اي لم اعلمها
لعدم التفاتي اليها فكربت بالبنا للمفعول اي اصابني كرب اي حزن كربا ما كربت مثله قط لان عدم
اجابتي لهم بما سالوه عنه مود الى تكذيبهم اياه وهو احرص الناس على ان يصدقوه فرفعه الله لي
انظر اليه اي انا انظر اليه فراى جميع اجزائه ووقف على ما سالوه عنه فاجابهم عن سوالهم ونحوه روي
عن جابر اي ابن عبد الله الانصاري وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام رجعت الى
خديجة وما تحولت عن جانبها هذا كناية عن قصر مدة الاسرا بحيث ذهب هذه المسافة الطويلة ولم
تتحرك عن جنبها الذي كان ضجيعها وهي عليه واعلم ان حاصل ما ذكره العلما في الاسرا خمسة اقوال
الاول انه يقظة وهو الصحيح بل الحق والثاني منام والثالث مرة في اليقظة ومرة في المنام والرابع

تقدم بعض هذا فراجعه

من الكامل

حاصل ما ذكره العلما في الاسرا خمسة اقوال

الاسرا بجسده الى بيت المقدس في اليقظة وبروحه الى فوق سبع سموات والخامس وحكاه ابن القيم في
الهدى ليس يقظة ولا مناما قال والفرق بين كونه مناما وبين كونه بالروح دون الجسد ان النبي صلى الله عليه
وسلم الملكان في مقام خرق العادات حتى شق بطنه وهو حي لا يتالم بذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة
من غير اماتة ولا منام ومن سواه لا تنال روحه الصعود الا بعد الموت والمفارقة والانبيا لما استقرت
ارواحهم بعد مفارقة الابدان وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم صعدت الى هناك في حال الحيوة ثم عادت
وبعد وفاته استقرت في الرفيق الاعلى مع ارواح الانبيا ومع هذا فلها اشراف على البدن واشراق وتعلق
به بحيث يرد السلام على من يسلم عليه وبهذا التعلق راى موسى قائما يصلي في قبره كما انه صلى الله عليه وسلم
في اعلى مكان في الرفيق الاعلى مستقر او بدنه في ضريحه غير مفقود واذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه
حتى يرد السلام ثم مثل ذلك بالشمس في محلها وتعلقها وتاثيرها في الارض وحياة النبات والحيوان
وشان الروح فوق هذا ثم مثل ذلك بالنار تكون في محلها وحرارتها تؤثر في الجسم البعيد عنها مع ان
الارتباط بين الروح والبدن اقوى واكمل واتم انتهى **فصل في ابطال حجج** جمع حجة
وهي الدليل وهو ما يلزم من العلم به او الظن العلم بالمدلول او الظن به فيشمل القطعي والظني **من قال انها**
اي واقعة الاسرا **نوم** اي رويا نوم **احتجوا** اي القائلون بانها في النوم اي استدلوا فاعاد الضمير الى من
باعتبار معناها **بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس** وجه الاستدلال ان
الله اطلق عليها رويا بالالف وهي مصدر راى الحلمية والاكثر من المفسرين على ان المراد بالرويا ما راه النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجايب والايات وانها كانت رويا منامية واعظم متمسك له التعبير
بلفظ رويا الذي توهم المستدل اختصاصه براى الحلمية لا البصرية **قلنا في ابطال حجتهم قوله سبحان
الذي اسرى بعبده يرده** وحاصل هذا الرد انه ابطال لمقدمة مطوية يتضمنها استدلال المستدل مضمونها
ان الرويا نص في انها رويا منام وحاصل الابطال منع كونها نصا في ذلك فانها كما انها مصدر لراى الحلمية هي
مصدر لراى البصرية فان العرب تقول رايت بعيني روية ورويا فهي في الاية محتملة لكليهما من غير
ترجيح وقوله سبحان الذي اسرى بعبده ظاهر في انه اسرا بالجسد لان المتبادر من لفظ عبده اذ هو عبارة

علوه

عن

عن مجموع الروح والجسد واللفظ اذا اطلق لا يتبادر منه الا معناه الحقيقي عند عدم استحالة ارادته وانها
في اليقظة اذ لا يقال في المنام اسرى بفلان فترجح احد الامرين المحتملين من تلك الاية بهذه الاية فانها
اظهرت المراد ثمة والقران يبين بعضه بعضا مع ما اعتضد به من الاحاديث الصريحة في ذلك فتعين ان
الرويا الواقعة في الاية ليست نصا في انها حلمية وبطل استدلالهم بها **وقوله فتنة للناس** يعني
انك استدللت بهذه الاية على مدعاك وفيها ما يرد عليك لانك زعمت ان ذلك رويا منامية مع ان الله
تعالى سماها وحكم عليها بانها فتنة والمراد بالفتنة ههنا اما الاضلال واما الاعجاب واما التحير اي
اضللنا بها الناس فالناس معهودون وهم الذين ضلوا لما سمعوا القصة او الاعجاب فاللام في
الناس للجنس اي عجبا للناس اذا سمعوها تعجبوا فهذا القول **لو كانت رويا عين واسرا شخص اذ
ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى في منامه مثل ذلك من الكون في ساعة
واحدة في اقطار متباينة** اي متباعدة على ان المفسرين اختلفوا في هذه الاية اي لم يقطعوا
بانها في قصة الاسرا ولم يتفقوا عليه فلا يكون ذلك حجة بل اختلفوا في هذه الرويا **فذهب قوم الى انها
نزلت في قصة الحديبية** وهي بضم الحا وفتح الدال وتخفيف اليا كذا قاله الشافعي رضي الله عنه واهل
اللغة وبعض اهل الحديث واكثر المحدثين على انها بتشديد اليا وهي قرية ليست بكبيرة وسميت ببير
هناك عند مسجد الشجرة قال وهي على نحو مرحلة من مكة وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة وهي تسمى بيعة الرضوان يوم الحديبية الفا واربعماية وقيل الفا وخمسماية
وقيل الفا وثلثماية وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما هذه الروايات الثلاث في باب غزوة
الحديبية والاشهر الف واربعماية وفي البخاري عن جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنا الفا واربعماية وكذا قال البيهقي اكثر الروايات ان اهل
الحديبية كانوا الفا واربعماية رضي الله عنهم **وما وقع** اي ونزلت فيما وقع **في نفوس الناس من ذلك**
اي من ذلك المنام الذي راه في قصة الحديبية بعد ان علم الصحابة كلهم ان رويا النبي صلى الله عليه وسلم بل
الانبيا كلهم وحي وانها لا تختلف وان ما وقع فيها مثل ما وقع في اليقظة بلا فرق ولا تمييز وذلك

تختلف

لم يتبين حمل الاية على تقدير حمل الفتنة على الحيرة مع ذكرها في النوم بينها على تقدير فيتم الحيرة ابرهيم ابن الملا

ذكر الحيرة في النوم ولم يبين انها من الاضلال والاعجاب

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في منامه بالمدينة قبل ان يخرج منها الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه
المسجد الحرام امنين محلقين روسهم ومقصرين فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وتبادر الى اذهانهم ان هذا
واقع في ذلك العام فلما وصل الى الحديبية وهو محرم صده المشركون وصالحوه في قصة طويلة على ان لا
يدخل هذا العام ويأتي العام المقبل معتمرا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وافتتن كثير من الناس
فعند ذلك اخبر الله ان تحقيقها في العام الاتي وفي شانها نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون وقيل غير ذلك فقيل انه
راى مصارع المقتولين بغزوة بدر فاخبر بها هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان وقيل راى بني امية
يرقون فوق منبره كالقرود واما قولهم اي القائلين بانها منام انه قد سماها في الحديث مناما وقولهم
بين النائم واليقظان وقوله وهو نائم وقوله ثم استيقظت اي فان هذه المقالات كلها مشعرة
بان الواقعة منامية فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم كان هنا تامة
بمعنى وجد والجملة حال من فاعل كان او اول حمله والاسراء به وهو نائم يعني اولا وضع على ظهر البراق كان
متلبسا بالنوم ثم استيقظ بعد ان خرج من بين اظهر الناس وليس في الحديث انه كان نائما في القصة
كلها حتى يلزم ان يكون صعوده الى السماء والى سدرة المنتهى والى ما فوق ذلك مناما والكرامة الكلية
انما هي في وقوع هذه الامور يقظة وان هذا الصعود كان بجسده الشريف وليس في الحديث انه كان
نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام اي ليس في الاحاديث
التي تمسك بها من جعل الاسراء مناما ما يدل على ان القصة كلها وقعت له في النوم سوى قوله ثم استيقظت
فانه يدل بظاهره على انه قبل الاستيقاظ كان نائما وان استيقاظه وقع بالمسجد الحرام وكان ذهبا قبل
ذلك نائما وقوله فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت مشير الى الجواب لان الاستيقاظ لما كان
يقع غالبا في وقت الصباح اطلق على دخوله في وقت الصباح استيقاظا او يراد الاستيقاظ
الحقيقي لكن استيقظ من نوم اخر كان يكون نام بعد نزوله من السما كما هو شان من ياتي بعد ان
وقع في مشاق كثيرة فانه بمجرد خلاصه منها ينام فلعله نام بعد نزوله من العالم العلوي ثم

استيقظ

استيقظ من ذلك المنام وهو في المسجد الحرام ويدل عليه اي على انه نام بعد ان نزل ان مسراه لم يكن طول الليلة
اي في جميع ليله الطويل وانما هو كان في بعضه اي بعض ليله ولما انقضى مسراه نام بعد ذلك في اخريات
ليله ثم اصبح وهو في المسجد الحرام وقد يجاب عنه ايضا بان يكون قوله استيقظت وانا بالمسجد الحرام
يعني ان يكون معنى الاستيقاظ الانتباه من النوم كما هو المتبادر بل الاستيقاظ من غمرات الاختلاط بالملا
الاعلى المنافي للبشرية ولا شك ان ذلك يوجب الغيبة عنها فاستمر النبي صلى الله عليه وسلم مغمورا
في مخالطة الملا الاعلى الى ان استيقظ وهو بالمسجد الحرام فيكون غائبا عن بشريته لما كان غمره
اي غلب عليه من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض اي ملكها وربوبية الله تعالى فيها
وعجائب صنعته والملكوت ابلغ من الملك فالتا فيه للمبالغة وخامر باطنه اي خالط من مشاهدة
الملا الاعلى اي الملائكة المقربين وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق من ذلك ويرجع الى حال بشريته
الا وهو بالمسجد الحرام فان قلت هذا مناف لمقام التمكين فان الثبات لروية الملائكة وعدم الاخذ
عن البشرية هو الاليق بمقام اهل التمكين قلت البشرية من حيث هي منافية لاحوال الملائكة فكل
بشر راهم وخالطهم لا بد ان يوخذ عن بشريته في الجملة والنبي صلى الله عليه وسلم كان اشد الناس تمكينا
في ذلك فكان اذا لقي الملك يوخذ عن بشريته لكن عقله ورايه وقواه باقية على حالها ووجه ثالث
مبتدا خبره محذوف تقديره لنا او عندنا او للعلماء اي وللعلماء وجه ثالث غير الوجهين اللذين سبقا
في الجمع بين اضطراب الروايات المقتضي بعضها لان يكون الاسراء مناما وبعضها لان يكون يقظة وهو
ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة اي يراد برواية انه في المنام النوم الحقيقي وفي رواية اليقظة
اليقظة الحقيقية على مقتضى لفظه فانه ذكر في لفظ الرواية الواحدة النوم والمتبادر منه انه نوم
حقيقي وفي لفظ الاخرى الاستيقاظ والمتبادر انه حقيقي ما لم يصرفه عن معناه صارف ولكنه
استدراك عما عسى ان يتوهم من ان ارادة النوم الحقيقي تنافي اليقظة الحقيقية فان قلبه بمقتضى
احدى الروايتين فقد كذبته الاخرى ودفعته مقتضاها فاجاب دافعا لهذا الوهم بان الجمع بين الحالتين
ممكن وذلك بان يكون بشريته نائمة وعيناه مغمضتين وقلبه يقظ لا فرق بين قلبه في هذه الحالة

وبينه في يقظة في الادراك وتنبه الذهن واخذ جسده محمولا على البراق وهو مغمض العينين منبه القلب حال
صافي السر وسار الملك بجسده هذا المسير الى ان حضر مع الانبيا فرد الى يقظة بشريته وفتح عينيه
حتى صلى بالانبيا اذ الصلوة لا تصح ممن هو نائم ثم عاد الى تغميض العينين الى ان استيقظ من نومه
البشري مع يقظته الباطنية في المسجد الحرام وهذا معنى قوله لكنه اسري بجسده اي حال كونه متلبسا
بالنوم الظاهر بغمض العينين وقلبه حاضر فقلبه قلب يقظان وعينه عين نائم ورويا الانبيا حق
ووحي تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فان قلت هل من فرق بين هذا الوجه وبين القول بانه منام
صرف قلت نعم فمن قال انه منام صرف لا يقول بانتقال جسده من مكانه والقائل بهذا الوجه يلتزم
انتقال جسده من مكانه وصعوده الى السموات لكن عيناه مغمضتان وقلبه في غاية اليقظة
فرواية انه في اليقظة معناها يقظة القلب ورواية انه في النوم معناها نوم العين وتغميضها
مع القول بارتحال الجسد وركوبه على البراق وانتقاله الى السموات العلى وقد قال بعض اصحاب
الاشارات وهم العارفون بالله سموا بذلك لان دابهم استخراج الحقائق من ظواهر النصوص اذ
ما من نص الا وله اشارة الى جانب الحقائق الى نحو من هذا فقال تغميض عينيه لئلا يشتغل بشي من
المحسوسات ولا يبعد هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت له في هذا الاسراء عن الله
حالات وحاصله ان الروايات صحت بصلاته بالانبيا عليهم الصلوة والسلام ولا يمكن ان يكون صلى لهم
وعيناه نائمتان اذ صلاة النائم باطلة لانه لا يبقى معها وضوء فان قلت هذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم
ظاهر لان غيره ينتقض وضوءه بالنوم واما هو فان وضوءه لا ينتقض بالمنام فان عينيه تنامان
وقلبه لا ينام قلت للصلوة اركان قولية واركان فعلية وكلاهما لا يتاتى الا باليقظة فان النائم لا
يتصور منه ركوع ولا سجود ولا قراءة واذا فعل هذه الافعال بالقلب لم يعتد بها لانها افعال جسدية
ولا توجد الا من جسد متيقظ فالحق انه حينئذ كانت له حالات متفاوتة ووجه رابع اي للعلماء في الجمع
وهو انه يعبر بالنوم ههنا اي الواقع في قوله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم عن هيئة النائم اي هيئة
هيئة نائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد بن نصر الحافظ الجوال روى عنه في صحيح عبد بن حميد

البخاري

همام

البخاري حديث حنين الجذع وسماه عبد الجليل مات سنة خمس واربعين ومائتين عن همام هو ابن منبه
ابن كامل الانباري ابو عقبة الصنعاني ثقة صدوق مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة بينا انا نائم
وربما قال مضطجع فذكر الاضطجاع في احدى الروايتين كانه مفسر للنوم فان قلت ما الصارف هنا الى ذلك
قلت اعتضاده بما تقدم من الدلائل القاطعة على انه يكاد ان يكون نصا في ان القصة وقعت في اليقظة

هدبة

وفي رواية هدبة هو هدبة بن خالد بن الاسود القيسي البصري ابو خالد الحافظ المسند يقال
له هداب يروي عن حماد بن سلمة وروى عنه البخاري ومسلم وابو داود صدوق لا باس به مات سنة
خمس وثلثين ومائتين رحمه الله تعالى عنه اي عن همام بينا انا في الحطيم وهو الموضع المشهور
بالمسجد الحرام بقرب الكعبة روى الازرقي عن ابن جريج قال الحطيم ما بين الركن الاسود والمقام
وزمزم والحجر سمي حطيما لان الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا والدعاء فيه
مستجاب قال وقل من حلف هناك [illegible] الا عجلت عقوبته وفي القاموس الحطيم حجر الكعبة
او جداره او ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت
الجاهلية تتحالف هناك انتهى وربما قال في الحجر ولا تنافي بين الروايتين لما لا يخفى مضطجع هو خبر انا
وقوله في الحطيم متعلق بمضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته اي
هيئة النوم بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا والاظهر من نام نيام وهو غير مضطجع وذهب بعضهم الى
ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية
شريك عن انس وهي منكرة من رواياته المنكر عند المحدثين ما كان راويه متهما بسوء الحفظ او كان
مستورا او خالف فيه الثقات وتفرد بما لم يوافقه عليه ثقة بخلاف الشاذ فان راويه ثقة
وخالف فيه من هو اوثق منه وتفرد هو بروايته فيكون المنكر والشاذ مشتركين في وقوع
التفرد بهما غير ان المنكر راويه مطعون فيه وانضم الى ذلك مخالفة الثقات والشاذ راويه
ثقة وخالف من هو اوثق منه فان قلت شريك ثقة وقد ذكره ابن حبان في الثقات فلم عد رواياته
المتفرد بها منكرة قلت شريك اختلف فيه حتى ان ابن حبان قال عنه ربما اخطا ولعل القاضي

بيان موضع حطيم

آثام

تعريف المنكر

يقول بانه ليس بثقة وعلى تقدير توثيقه اياه فاطلاق النكارة على روايته بنا على ما اصطلح عليه المتقدمون من اطلاق المنكر على الشاذ والشاذ على المنكر حتى فهم بعضهم من هذا الاطلاق تساوي القسمين **اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره** تعليل لحكمه على نكارة رواية شريك فانه اثبت فيها ان بطنه شق عند الاسرا مع انه لم يصح ان بطنه شق الا في صغره حين كان عند ظئره حليمة واقول لم ينفرد شريك بذكر شق البطن ليلة الاسرا بل ذكرها الزهري عن انس في روايته المذكورة في صحيح البخاري في اول باب الصلوة فشقه وقع في صغره عند ظئره لنزع العلقة التي قيل انها حظ الشيطان وشق ايضا حين كان عمره عشر سنين واشهرا ثبت وصح من رواية ابي هريرة وذكره ابو نعيم في الدلائل والضيا المقدسي في الاحاديث الجياد وفي مسند احمد من رواية عبد الله ابنه ونقل القرطبي المفسر وصاحب التذكرة عن مسند ابي داود الطيالسي انه شق صدره لجبرا حين جاه الملك قال واتفق له ذلك ثلاث مرات عند حليمة ومرة بحرا ومرة ليلة الاسرا انتهى فثبتت هذه المرات الثلاث وثبت الشق حين كان ابن عشر واشهر وروية مرة اخرى في النوم قال الحافظ ابن حجر ولم تثبت لحصر القاضي الشق في صغره وتعيينه لما عداه مردود وقد سبق لانكاره السهيلي واعجب من هذا دعوى تفرد شريك بالشق عند الاسرا مع ان عدم التفرد مذكور في الصحيح **ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا كان باجماع بعد البعث** اقول ليس في حديث شريك قبل ان يبعث بل عبارته هكذا قال شريك سمعت انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه الى اخر الحديث ولم يذكر قبل ان يبعث ولا يلزم من ذلك وقوع الاسرا قبل البعث اذ لعله اراد قبل ان يوحى اليه في شي مخصوص في شان الاسرا اي انهم جاوه بغتة ولم يوحوا اليه شيا قبل مجيئهم بل المجي قبل الوحي والوحي وقع بعد ذلك ولم يرد قبل ان يوحى اليه مطلقا كذا قيل **فهذا كله يوهن** اي يضعف **ما وقع في رواية انس** اقول رواية انس لم توهن مطلقا وانما وهنت من طريق شريك بسبب ما وقع فيها من الشذوذ حتى قيل ان الآفة من شريك والصحيح ان شريكا ثقة وان روايته هذه لا وهن فيها بنا على تعدد قصة الاسرا وهو الحق وبه يجمع بين الروايات جمعا لا غبار عليه ولا تعسف فيه فيجوز ان يكون

مناقشة في المتن

وقع

وقع مرة مناما واخرى يقظة ومرة قبل البعثة واخرى بعدها وان يكون شق البطن وقع فيهما قوله **مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة** اي جازما بذلك من غير شك **وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث** واقول لا شك ان انسا كان صحابيا ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون قد سمعه منه ولا شك انه لم يحضر كائنة الاسرا لانها كانت قبل الهجرة وانس انما اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة فلعله سمعه من كبار الصحابة الذين اسلموا قبل الهجرة كمالك بن صعصعة وابي ذر ونحوهما فان رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فلا مانع من ذلك وروايته عن مالك وابي ذر لا تكون قادحة في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة كعكسه نعم رواية شريك عن انس المذكورة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري قد طعن فيها وقد بينا فيما سبق سبب الطعن فيها **واما قول عائشة ما فقدت** واقول لا شبهة للمستدل بذلك على نفي كون الاسرا بجسده لان عائشة لم تحضر كائنة الاسرا نعم في بعض الروايات ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة البنا للمفعول وعائشة هذه هي ام المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت ابي بكر الصديق وامها ام رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس اصدقها النبي صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم **فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة** فان قلت الفقد لا يشاهد فكيف يتصور ان يحدث به عن مشاهدة قلت المراد نفي انها كانت من حاضري الوقعة بالقوة او بالفعل **لانها لم تكن زوجه حينئذ** لان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بها في شوال سنة عشر من النبوة **ولا في سن من يضبط** اي يفهم الامر حق الفهم **ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان في اول الاسلام على قول الزهري بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت ثمانية اعوام وقيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه كان لخمس** وثمرة الخلاف ان موسى بن عقبة روى عن الزهري انه قبل خروجه الى المدينة بسنة وروى عنه يونس بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت توفيت خديجة قبل ان تفرض الصلوة وذكر

عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها

الاسرا في اي سنة وقع وفي اي شهر وقع

بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة اعوام وروى عن الرقاشي قال اسري به بعد مبعثه بخمس سنين
قال ابن اسحق اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وقد فشا الاسلام بمكة
وفي القبايل وروى عنه يونس بن بكير قال صلت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر
هذا يدل على ان الاسرا كان قبل الهجرة باعوام لان خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل
بثلاث وقيل باربع وقول ابن اسحق مخالف لقول الزهري قال الحربي اسري به لليلة سبع وعشرين
من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال الذهبي في تاريخه بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا وشنع عليه ابن
عبد البر ومجموع ما في سنة الاسرا سبعة اقوال بعد المبعث بسنة ونصف وقيل بخمس وهو الاشبه
عند القاضي وقيل قبل الهجرة بعام وقيل بعد المبعث بخمسة عشر شهرا ونقل العراقي عن السدي
قبل الهجرة بستة اشهر وقال ابن الجوزي قبلها بثمانية عشر شهرا وقيل بسنة وشهرين ومجموع
ما في شهره خمسة اقوال ربيع الاول ربيع الاخر رجب رمضان شوال جزم النووي في الروضة انه
في رجب وفي الفتاوى انه في ربيع الاول وفي شرح مسلم انه في ربيع الاخر وعايشة رضي الله عنها
ولدت بعد البعثة باربع سنين فعلى بعض الاقوال لم تكن ولدت وعلى البعض الاخر ولدت لكن لم تكن في
سن من يميز ويضبط والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها اي
دل عدم مشاهدتها على انها حدثت بذلك عن غيرها ممن شاهد الحادثة والمراد انه شاهد ايامها وزمنها
والا فالحادثة لم يشاهدها احد والمراد انه ذكر المشاهدة واراد بها السماع اي سمع بها حين
الوقوع فلم يرجح خبرها على خبر غيرها لانه مشتمل على الواسطة وخبر غيرها خال عنها وغيرها يقول
خلافه اي خلاف خبر عايشة كما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وحاصل ذلك ان خبر عايشة
لا يعول عليه لامور الاول انها نافية فقد جسده الشريف وغيرها مثبت والمثبت مقدم على النافي عند
جمهور الاصوليين الثاني ان عايشة مخبرة عن غيرها ومثل ام هاني وابي ذر مشاهد للقصة
حاضر للقضية الثالث المشار اليه بقوله وايضا فليس حديث عايشة بالثابت اي بالكامل في الثبات
اي الصحة لانه ليس في الصحيحين المشتملين على اعلى درجات الصحيح بخلاف حديث انه بالجسد

فانه

فانه في الصحيحين في عدة اماكن واذا تعارض حديثان رجح مقتضى اصحهما فان قلت من اين لك ان المراد
بالثابت الكامل في الثبات ولم يحملوه على نفي اصل الثبات قلت ذلك بقرينة قوله والاحاديث الاخر
اثبت حيث اتى بصيغة افعل التفضيل المقتضية لحصول اصل الثبات في المفضل عليه فالمنفي
انما هو الثبات الكامل لسنا نعني حديث ام هاني اي فان حديث عايشة اثبت من كل حديث ذكرت
فيه خديجة لان خديجة لم تحضر الاسرا ولا علمته بناء على قول الجمهور ان الاسرا قبيل الهجرة بعام وخديجة
ماتت قبل الهجرة بثلاثة اعوام وايضا فقد روى في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى
الله عليه وسلم الا في المدينة وكل هذا يوهنه حاصله ان عايشة قد اسندت في حديثها الفقد اليها
بقولها ما فقدت ونحن نوافقها على ذلك وكلامها هذا لا يدافع مقالنا ولا يرده ولا ينافي
كونه بالجسد لان الاسرا الذي ندعي انه بالجسد كان بمكة وعايشة لم تضاجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا في المدينة لانه دخل بها فيها فاستدلال من قال انه منام بخبر عايشة استدلال
مردود لان قول عايشة لا ينافي ان الاسرا الواقع بمكة بالجسد لانها اخبرت عما وقع لها منذ
دخل بها ولم تخبر بما قبل ذلك نعم جا في رواية ما فقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة البناء
للمفعول فهو مناف لرواية انه بالجسد فترجح تنافي المرجحات السابقة بل الذي يدل عليه
صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كان عندها مناما لم
تنكره حاصل هذا انه ترقى عما سبق اذ مضمون ما سبق توهين خبر عايشة وترجيح غيره من
الاخبار عليه ومضمون هذا جعل عايشة قايلة بانه بالجسد وذلك لازم من قول نقل
عنها بنقل صحيح وهو انها انكرت ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعين راسه
فيلزم من هذه المقالة ان يكون حصل الاسرا بالجسد غير انه لم ير ربه عز وجل ولو كان في
المنام لجوزت ان يكون راه تلك الليلة ولا يقول ذو عقل بعدم جواز رؤية الله عز وجل في المنام
فكانها قالت انا اعرف انه اسري بجسده الشريف غير انه لم ير ربه كما يتبادر من قولها لقد قف شعري
مما قلت فهي لم تنكر الا رؤيته لربه يقظة والمنام لا ينكره احد فكم من صالح من صلحا هذه الامة راى الله

اي فان حديث عايشة
اثبت من حديثها
وما ذكرت في
خديجة ح

اخر السادسة من الاصل

في المنام والمستبعد انما هو الرؤية في اليقظة فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى معنى
الاية على قراءة هشام بتشديد الذال ان ما راه محمد صلى الله عليه وسلم بعينه صدقه قلبه وما مفعول
به موصولة والعائد محذوف وفاعل راى ضمير يعود الى الرسول وعلى قراءة الجمهور بتخفيف الذال
فالمعنى كذلك وكذب يتعدى بنفسه وقيل هو على اسقاط الخافض اي فيما راه وجوز ان تكون
ما موصولة او مصدرية فقد جعل ما راه محمد صلى الله عليه وسلم للقلب وهذا اي اسناد الرؤية للقلب
يدل على انه اي الاسراء رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس هذا مبني على ان فاعل راى ضمير يرجع
الى القلب واما اذا جعل ضميرا راجعا الى البصر فلا يرد اي ما كذب الفؤاد ما راى البصر فقد جعل
الرؤية على هذا للبصر لا للقلب قلنا يقابله ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد
قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه والحاصل ان في معنى الاية اوجها نقل القاضي منها
ثلاثة الاول ان يجعل ضمير راى الى القلب اي ما كذب الفؤاد ما راى اي فيما راه ومعناه ان رؤية
القلب صادقة الثاني ان يجعل ضمير راى للبصر والمعنى لم يكذب القلب البصر اي لم يوقع القلب البصر
في دائرة الكذب بان ادخل عليه الاوهام وثبطه عن تحقيق ما راى الثالث ان العين لما رات لم ينكر
القلب رؤيتها بل صدقها الرابع اشار اليه القاضي البيضاوي وهو ان الامور القدسية انما تدرك
بالقلب اولا ثم ان القلب يرسلها الى البصر اي القلب يحكيها للبصر فلما راى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه راه بقلبه ثم القى القلب الى البصر ذلك لم يكذب فيما نقل بل صدقه فان حملتم الاية على ان
الرؤية للقلب تعارض ذلك بقوله ما زاغ البصر المقتضي لان الرؤية بالبصر والجمع بينهما بان
يجعل فاعل راى البصر وتسند الرؤية اليه فاطلق القاضي المقابلة واراد بها المعارضة وهي ان
ياتي المستدل بدليل تثبت نقيض ما يدعيه الخصم فصل واما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها هل وقعت اولا ثم على تقدير وقوعها هل وقعت
بالقلب او بالبصر فانكرته اي الوقوع فالضمير راجع الى المصدر المستفاد من الفعل الذي هو متعلق

فصل

اختلف

اختلف عائشة هي بنت ابي بكر الصديق ثم اتى بسند صحيح منه الى عائشة رضي الله عنها لئلا يتطرق
الى الاوهام ان عائشة لم تقل بذلك فقال حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه
قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل
الصقلي بتشديد اللام نسبة الى صقلية بتشديدها جزيرة بالمغرب كما قال في القاموس حدثنا
ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قال ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن ادم هو المروزي يروي
هو م عن ابن عيينة واهل بلده مات سنة ثمان وخمسين ومائتين غرة رمضان ثنا وكيع ابن الجراح بن مليح
ابن عدي روى عنه احمد بن حنبل كان حافظا متقنا قال حماد بن زهير ما رايت بيد وكيع كتابا قط
انما كان يحدث من حفظه ولد سنة تسع وعشرين ومائة ومات سنة ست او سبع وتسعين ومائة
بطريق مكة وهو من اهل الكوفة عن ابن ابي خالد هو الكوفي كان شيخا صالحا مات سنة خمس او ست
واربعين ومائة عن عامر عن مسروق هو ابن الاجدع الهمداني التابعي الكبير راى ابا بكر وعمر وروى
عن عبد الله وعائشة وهو من اهل الكوفة ويروى عنه اهلها مات سنة ستين وقيل سنة ثلاث
وستين انه اي مسروقا قال لعائشة سائلا منها يا ام المؤمنين هل راى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه الظاهر ان السؤال عن وقوع ذلك يقظة وبعين راسه بقرينة جوابها المقتضي لان سؤاله
امر مستبعد فقالت لقد اللام وقعت في جواب قسم مقدر اي والله لقد قف شعري مما قلت
اي قام شعري من فزع وهال قولك فيجوز في ما ان تكون مصدرية وان تكون موصولا اسميا
اي من الذي قلته ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه
فقد كذب ثم قرات اي مستدلة على مدعاها لا تدركه الابصار لا يستقيم ان يستدل بهذه
الاية على نفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل الا اذا فسر الادراك بمطلق الرؤية اي لا
تراه الابصار فلا يراه محمد صلى الله عليه وسلم والحق ان الادراك هو الاحاطة اي لا تحيط به الابصار
وان اللام في الابصار للاستغراق اي لا يدركه كل بصر فهي سالبة جزئية لان رفع الايجاب الكلي
سلب جزئي والسلب الجزئي لا ينافي وقوعها لبعض الاشخاص في بعض الاحيان فان قلت

محمود بن ادم ه
وكيع ه
ابن ابي خالد ه
مسروق ه

كيف يصح استدلال عائشة بالاية مع ان القضية سالبة جزئية قلت يمكن ان تجعل القضية
موجبة كلية معدولة المحمول اي كل بصر لا يدركه اي حكم عليه بعدم الادراك فيكون في الاية عموم
فشملت محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر اي مسروق الحديث هو في صحيح مسلم هكذا بسنده عن
مسروق قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن
فقد اعظم على الله الفرية اي الكذب قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى
ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني
الم يقل الله تعالى ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال ::
عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير
هاتين المرتين رايته منهبطا من السما سادا عظم خلقه ما بين السما والارض فقالت اولم
تسمع ان الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير اولم تسمع ان الله
تعالى يقول ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا الى قوله
علي حكيم قالت ومن زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيا من كتاب الله تعالى فقد
اعظم على الله الفرية والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما
بلغت رسالته قالت ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقال جماعة من العلما بقول عائشة
وهو اي قول عائشة المشهور عن ابن مسعود ومثله اي مثل قولها روي عن ابي هريرة
انه انما راى جبريل خبر مبتدا محذوف وهو ضمير راجع الى مثله اي هو انه انما راى جبريل وقع
منه ذكره في تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى رادا على من قال انه راى الله عز وجل فقال بصيغة
الحصر الجامع لنفي واثبات انما راى جبريل تلك الليلة جبريل اي لا رب العزة جل وعلا واختلف
عنه اي اختلف العلما في النقل عن ابي هريرة فمنهم من نقل عنه انه قال بقول عائشة ومنهم من نقل
عنه انه قال بقول ابن عباس وقال بانكار هذا وامتناع رويته في الدنيا جماعة من المحدثين

والفقها

والفقها والمتكلمين فانها مسلة يبحث عنها كل من الطوائف الثلاث اما المحدثون فمن جهة صحة
النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم واما الفقها فقد ذكروها في باب الردة فيما لو قال انه يرى الله
عز وجل هل يكفر اولا واستطردوا الى جواز الروية في الدنيا وانها وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم
واما المتكلمون فانها مسلة اختلفوا فيها مع المعتزلة ولكل دلايل طويلة تذكر في محلها وعن
ابن عباس انه راه بعينه اي بحدقتيه وروى عطا عنه راه بقلبه ولا منافاة لجواز ان يكون
ذهب الى هذا قبل ان يطلع على انه راه بعينه مع ان روية القلب لا تنافي روية العين لجواز ان
يكون راه بهما وعن ابي العالية عنه اي عن ابن عباس راه بفواده اي بقلبه مرتين وذكر
ابن اسحق ان ابن عمر عبد الله ارسل الى ابن عباس يسالهم هل راى محمد ربه فقال فجوابه نعم
والمتبادر انه السوال عن الروية البصرية لانها المحتاجة الى البحث والمفتقرة الى الفحص
والاشهر عنه اي عن ابن عباس انه اي النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه بعينه روي ذلك عنه اي عن
ابن عباس من طرق بخلاف كونه راه بفواده فانه اقل طرقا من القول الاول وكثرة الطرق من المرجحات
فلا رجح عن ابن عباس انه قال بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بعينيه وقال اي ابن عباس
ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالروية مراد ابن عباس ان موسى اشتهر
بصفة الكلام والا فنبينا صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام ليلة الاسرا بالاتفاق مع زيادة القرب
والدنو وكان مقام مناجاة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلا وسدرة المنتهى
والمستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وحجب النور والرفرف ومقام موسى عليه السلام
طور سينا وفرق ما بين المقامين واما الخلة فكانت لنبينا صلى الله عليه وسلم منها الحظ الاوفر
وزاد بمقام المحبة وقد روى في حديث الشفاعة ان الخليل ابرهيم عليه الصلوة والسلام
اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا يقول حينئذ انما كنت خليلا من ورا ورا اذهبوا
الى غيري الى ان تنتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على ان نبينا ::
صلى الله عليه وسلم كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا ولو كان خليلا من ورا ورا لا عتذر

بحث الخلة

كما اعتذر ابرهيم وفيه تنبيه ظاهر على انه صلى الله عليه وسلم فاز برؤية الله تعالى وكشف له الغطاء
حتى راى الله بعيني راسه والملخص من هذا ان نبينا صلى الله عليه وسلم نال درجة الخلة التي
اشتهرت لابرهيم على وجه نطق ابرهيم بان نصيبه صلى الله عليه وسلم منها الاعلى وحظه
الاوفر بمفهوم قوله عن نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع ففيه دليل على انه انما يشفع
من لم يكن حظه من الخلة وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حضرة القدس وذلك
مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان وحجته اي ابن عباس قوله تعالى ما كذب الفؤاد الاية
وقد تقدم منا قبيل هذا الفصل تفسيرها على وجه يظهر الاحتجاج بها وانضم اليها ما يتبادر من
الاية التوقيف وما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بواسطة وبدونها وانما اسند
الاحتجاج الى الاية فقط لان ما عداها من تعلقاتها قال الماوردي وكان من اجل الشافعية
الماوردي
في عصره وهو صاحب التفسير المشهور والحاوي الكبير والاحكام السلطانية وادب الدين
والدنيا قيل ان الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فراه محمد صلى
الله عليه وسلم مرتين وكلمه موسى عليه الصلاة والسلام مرتين فان قلت لا ينبغي نقل
هذا القول فان الماوردي لم يرتضه حيث نقله بقيل المشعر بضعف القول قلت لا نسلم بل
في كلامه ما يشعر بالرضى به وموافقته فانه نقله واقره ولم يظهر مخالفته ولا اشار اليها
ولو كان لا يقول بهذا القول لاعقبه بما يرده لا سيما وهو قول متعلق بالواجب جل ذكره
ولله در القاضي حيث نقل هذا القول عن الماوردي فانه قد عزا اليه بعض من يشنيه
الاعتزال وفي نقل هذه المقالة عنه مع اقراره لها عليها التصريح ببراءته من ذلك وسلامة ساحته
براءة ساحة الماوردي مما نسب اليه من الميل الى الاعتزال
منه وقد برأه السبكي في طبقاته وقد صرح في تفسيره بان الجنة مخلوقة وهي مقالة مخالفة
للمعتزلة ولم ينقل عنه في موافقة المعتزلة شيء الا انكار القدر وهي بلية غلبت على
البصريين وهو كان بصريا فسبحان من حكم بما شاء على من شاء وحكى ابو الفتح الرازي لعله
انكار القدر بلية غلبت على البصريين
فخر الدين صاحب التفسير المشهور المفسر الاصولي المتكلم الفقيه وابو الليث السمرقندي

الفقيه الحنفي

الفقيه الحنفي الحكاية التي اشار اليها الماوردي بقيل عن كعب متعلق بحكى والمراد به كعب الاحبار
وروى عبد الله بن الحرث هو ابو الوليد البصري قريب ابن سيرين زوج اخته وثقه
ابو زرعة قال اجتمع ابن عباس وكعب لم يبين مكان الاجتماع وقد بينه في جامع الترمذي
انه كان بعرفة فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم كذا وجدناه في النسخ مرفوعا على انه بدل
من نحن ولو نصبه على الاختصاص لجاز ولعل الرواية هكذا فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد راى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب سرورا بهذه المقالة التي وافقت ما عنده مما وجده في
الكتب الالهية فان كعبا كانت له الخبرة التامة بما في الكتب المنزلة لا سيما وقد نقله
ابن عباس عن اهل البيت وهم ادرى الناس بقصة الاسرا وما جرى فيها حتى جاوبته الجبال
بصوت صداها من رفع صوته بالتكبير وقال مؤيدا لما قاله ان الله قسم رؤيته وكلامه بين
محمد صلى الله عليه وسلم وموسى فكلمه موسى ورآه محمد المراد بالكلام الذي انفرد به موسى الكلام
المخصوص الذي سمعه من الشجرة على جبل الطور والا فمحمد صلى الله عليه وسلم شاركه في هذه
الصفة بل زاد عليه فيها بخصوصها كما اشرنا اليه قريبا وروى شريك عن ابي ذر في تفسير
هذه الاية قال راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والمتبادر من الرؤية الرؤية البصرية لانها
الاصل وحكى السمرقندي الفقيه الحنفي عن محمد بن كعب القرظي هو تابعي وربيع بن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي ولم اره بعيني فان قلت
هذا صريح في نفي رؤية العين قلت مراده نفي رؤيته بمجرد العين او نفي رؤيته كسائر الاشياء
التي ترى بالعين فان البصر يراها اولا ثم يلقيها الى القلب وهنا راى بقلبه ثم القاه الى بصره
مالك بن يخامر
وروى مالك بن يخامر بضم المثناة تحت ثم خاء معجمة مخففة وبعد الالف ميم مكسورة ثم راء لا
ينصرف لوزن الفعل والعلمية سكسكي حمصي يقال له صحبة والاصح انه تابعي مات سنة
سبعين وقيل سنة اثنتين وسبعين عن معاذ هو ابن جبل الصحابي المكرم سيد العلماء عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث هذا الحديث

رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولفظ ما رواه ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاني آت من ربي وفي رواية رايت ربي في احسن صورة فقال لي يا محمد قلت لبيك
رب وسعديك قال هل تدري فيما يختصم الملا الاعلى قلت لا اعلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها
بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض او قال ما بين المشرق والمغرب
قال يا محمد اتدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت نعم في الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجماعات
واسباغ الوضوء في السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير
ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته امه فقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني فعل الخيرات وترك
المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات
افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام روى هذا الحديث الترمذي وقال
حسن غريب انتهى وتوضيحه ان قوله في رواية المصنف رايت ربي وذكر كلمة هي قوله في
احسن صورة وانما لم يصرح بها القاضي لانها من المتشابه فكانه يلزمه بعدها ان يذكر احد
المذهبين في المتشابه اما التفويض واما التاويل فيطول عليه المقال بما ليس هو في صدده وفي
الحديث ما يفتقر الى التاويل لكونه من المتشابه منها اثبات الصورة لرب العزة سبحانه والمراد
اتاني ملك في احسن صورة وفي رواية رايت ربي في احسن صورة اي صفة وقوله فيم يختصم
الملا الاعلى اي في اي شيء يتفاخرون ويتباهون والملا الاعلى هم الملائكة المقربون وقوله
فوضع يده اي منته ونعمته وقوله بين كتفي اي في قلبي لان القلب بين الكتفين وبرد يده كناية
عن ظهور اثر نعمته على ظاهره والمراد بالكفارات الامور التي تكفر السيئات كالصلوات الخمس
وصوم رمضان وصلاة الجمعة والدرجات فسرها في الحديث والسبرات بفتح السين وكون
الباء جمع سبرة وهي شدة البرد هذا والاول في مثل هذا الحديث من المتشابه الذي ظاهره
مستحيل على الله كاليد والقدم والوجه والاصبع واليمين والرداء والازار والضحك والتعجب
والغضب والفرح والصورة والدار كجنة عدن فانه اطلق عليها انها دار الله والنزول

والاستوا

[Margin: اسالك حب]

[Margin: مطلب]

والاستوا والرحمة فانها لغة رقة القلب وهي مستحيلة عليه تعالى ان نثبتها لله تعالى بالطريق الذي هو
اثبتها لنفسه حسبما يعلمه واحاط به علمه مؤمنين بها ولا نتعرض للتاويل فانه يحتاج الى
تكلفات ونقف على قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله فان قلت لا يلزم من علمه بما في السموات
والارض ان يعلم حكم ما ساله عنه قلت سبحان الله هل الدرجات والكفارات تقع في غير السموات
والارض فهذا اجهل من سائله وقد رايت من تعرض لهذا السؤال واستشكله غاية الاشكال
فافهم وحكى عبد الرزاق هو الصنعاني صاحب التصانيف المشهورة ان الحسن هو البصري امام
الائمة في زمنه كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحلف مثل هذا الحبر انما هو عن يقين ولم
ينشا هذا اليقين الا مما سمعه من الصحابة بكثرة فانه كان من كبار التابعين فسمع منهم من
هذا المعنى ما اورث عنده اليقين التام وحكاه اي الحلف المذكور ابو عمر الطلمنكي بطاء مهملة
مفتوحة ثم لام ثم ميم مفتوحتين ثم نون ساكنة ثم كاف مكسورة هو عالم قرطبة وراسهم
في علوم القران عن عكرمة فانه كان يحلف بالله لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وحكى بعض
المتكلمين هذا الحديث اي الحلف المذكور عن ابن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وحكى
ابن اسحق صاحب المغازي ان مروان بن عبد الحكم الاموي احد خلفاء بني امية سال ابا هريرة
هل راى محمد ربه فقال نعم اي راه وكلام ابي هريرة حجة في ذلك لان مثله انما يقال عن توقيف
وابو هريرة ادرى بالامور التوقيفية لكثرة ملازمته لمجلس النبي صلى الله عليه وسلم وحكى النقاش
هو محمد بن الحسن بن زياد عن احمد بن حنبل اشتهر هذا الامام بالنسبة الى جده فانه احمد بن
محمد بن حنبل بن هلال صديق هذه الامة والقائم باعباء الدين في المحنة انا اقول بحديث ابن عباس
اي اراه واعتقد مضمونه وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه ثم قال احمد بعينه
راه راه حتى انقطع نفسه اي نفس احمد تجوز في قوله بعينه ان يكون تاكيدا لحديث ابن عباس
وان يكون متعلقا براه وقدم المتعلق لدفع توهم ان يكون راه بقلبه فان تقديم المعمول يفيد الحصر
اي راه بعينه لا بغيرها من قلبه ومنامه وبهذا يرد على من نقل عنه البرهان الحلبي حيث قال

[Margin: هذا كله مبني على اختيار مذهب السلف في المتشابه وهو التفويض الى الله سبحانه وتسليم ذلك هو الاسلم دون التاويل ويأتي من الشارح معترفا ذكر ذلك ايضا في مواضع متعددة كتبه ابراهيم ابو الانوار الشيخ]

[Margin: مطلب اشتهر هذا الامام بالنسبة الى جده]

قال بعض الحنابلة العلى كلاما معناه ان احمد لم يقل انه راه ليلة الاسرا وانما راه في النوم
قال ابو عمر الظاهر انه الطلمنكي السابق ذكره لا ابن عبد البر ولو اراده لزاده اوصافا تذهب
التباسه قال احمد بن حنبل راه اي محمد صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه وجبن عن القول برويته في
الدنيا بالابصار اي لم يحصل له اقدام عليه اي بوقوع رويته في الدنيا بها وان كانت جائزة
عقلا فلم تقع على هذا الزعم ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم وسياتي رد هذه المقالة بما هو فوق
الموصل من ذلك وقال سعيد بن جبير هو احد الائمة الاعلام المقتول على يد الحجاج بن يوسف ظلما
وقتل بسببه على شعير جهنم مائة قتله وقتل في سنة خمس وتسعين لا اقول راه ولا
اقول لم يره بل اتوقف عن القطع بشي من القولين لتعارض الدليلين فان قلت هو في
صدد تاييد القول بانه راه بعيني راسه فلم نقل هذه المقالة التي صنيعه بالتوقف قلت
لان التوقف من مثل هذا الامام مشعر بقوة دليل الروية في الجملة وقد اختلف في تاويل
الاية وهي قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عن ابن عباس وعكرمة مولى
ابن عباس والحسن هو البصري وابن مسعود هو ابن ام عبد احد العبادلة رضي الله
عنه فحكى عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه فقد روى مسلم في صحيحه عن ابي العاليه عن
ابن عباس قال ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين فقوله
نزلة اي بعود الى محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان له صعود وهبوط مرارا بحسب اعداد الصلوات
المفروضة فلكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله عند سدرة المنتهى اي ومحمد صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى
وعن الحسن اي البصري وابن مسعود راى جبريل نقل هذا في صحيح مسلم عن ابن مسعود
وابي هريرة وقال القرطبي قال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت جبريل بالافق
الاعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت ذكره المهدوي وحكى عبد الله
ابن احمد بن حنبل عن ابيه عبد الله هذا هو امام العراق ومحدثه ونادرة زمنه وابن امام
العلما في عصره الثبت الثقة ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات في شهر ابيه في جمادى

الاخرة

(في الهامش: سعيد بن جبير رحمه الله تعالى — اخرى — عبد الله بن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهما)

الاخرة سنة تسعين ومائتين انه اي اباه احمد بن حنبل قال راه اي محمد صلى الله عليه وسلم
ربه والظاهر ان مراده من الروية ما يتبادر منها وهو الروية البصرية وقد فسرها بما وقع
منه انفا انه قال بعينه راه راه حتى انقطع نفسه واما ما رواه ابو عمر من انه جبن عن القول
برويته في الدنيا بالابصار فلا ينافي قوله بانه راه ببصره لجواز ان يكون جبنه لعلة ولا يلزم من
الجبن القول بالنفي وعن ابن عطا في قوله الم نشرح لك صدرك قال في تفسيرها شرح صدره
للروية لان الاستفهام الداخل على لم نشرح لك استفهام انكاري يفيد نفي مدخوله ونفي النفي
اثبات فصار المعنى شرحنا لك صدرك ومنه اليس الله باحكم الحاكمين اي الله احكم الحاكمين
ولهذا قيل ان قول الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح مدح لهم بل
قيل انه امدح بيت قالته العرب وشرح صدر موسى للكلام المسموع من الشجرة اي ثبت جنانه
على الروية والكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري نسبة الى ابي موسى الاشعري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو الحسن هو امام اهل السنة له ترجمة حافلة في طبقات
الشافعية لتاج الدين السبكي وجماعة من اصحابه انه اي النبي صلى الله عليه وسلم راى الله
ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبيا عليهم السلام فقد اوتي مثلها
نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الروية ووقف بعض مشايخنا
عن هذا اي لم يقدم على القول به وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون اعلم ان الردد
في ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حاويا لجميع معجزات الانبيا وقد زاد عليهم بامور كثيرة انما هو
لخفا حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم فنقول يجب على كل مسلم ان لا يرتاب في ان محمدا صلى
الله عليه وسلم قطب الاقطاب وان حقيقته صورة الاسم الجامع لسائر الاسما وهو متصرف
فيها ومنه تستفيض وسائر صور العالم تستمد من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم وهي
مدبرة لسائر صور العالم بربها الظاهر فيها وهو رب الارباب وله صلى الله عليه وسلم ظاهر
وباطن فبظاهره يتصرف في العالم ظاهر صور العالم وبباطنه يتصرف في باطن العالم لانه صاحب

(في الهامش: من الوافر — الاشعري — مطلب معتقد في ان كل معجزة لنبي فلمحمد صلى الله عليه وسلم مثلها)

الاسم الاعظم وله التصرف المطلق ولكن هذا التصرف في العالم انما هو من حيث حقيقته لا من جهة
بشريته فانه من تلك الجهة عبد مربوب محتاج الى ربه وقد نبه الله سبحانه عن هذه الجهة بقوله
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي ولا يتصور هذا التصرف التام الا بان يعطى لكل ذي حق حقه
ويعيض جميع ما يحتاج اليه العالم وهذا لا يمكن الا بقدرة تامة وصفات الهية بل كل
الصفات الالهية وجدت فيه فهي محيية مميتة رافعة خافضة للانبيا
لطمعهم تارة فان قلت هذا كفر لانكم جعلتم محمدا صلى الله عليه وسلم ربا واثبتم له الصفات
الالهية وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم واي فرق بينكم
وبين النصارى حيث قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قلت معاذ الله ان نثبت الها يعبد
غير الله تعالى وانما نقول ان هذه الصفات لله تعالى اولا وبالذات وقد من على محمد صلى الله عليه
وسلم بان امده بها فهي لمحمد صلى الله عليه وسلم بطريق الخلافة والنيابة وقد ظهرت الحقيقة
المحمدية في كل زمن بما يليق به فظهرت في المظهر الادمي ثم ثم الادريسي ثم النوحي ثم الابراهيمي
ثم الموسوي والداوودي والهاروني والسليماني الى غير ذلك وما ظهر على ايديهم من الايات
فهو محض امداده لانهم مظاهره وخلفاؤه وهو صاحب الخلافة الحقيقية فاي معجزة
كانت لواحد منهم فهي له اولا وبالذات ومنه جاءت اليهم وعلى يديه انفصل امرها ولله
در ابي القاسم الابوصيري حيث قال ° وكل آي اتى الرسل الكرام بها ° فانما اتصلت من نوره بهم °
ومثالهم معه كالقمر وسائر الكواكب مع الشمس فان انوارها مستفادة من نور الشمس
فظهور الكواكب في الليل انما هو ظهور للشمس بشيء جزئي من نورها لعدم قابلية الوقت
لظهوره كله وكذلك من مضى منهم عليهم الصلوة والسلام وعليه اضعاف ذلك انما
ظهروا مستمدين من نوره فلما ظهر انطمست اثارهم وامحت اياتهم ولله در الابوصيري
حيث قال ° كانه شمس فضل هم كواكبها ° يظهرن انوارها للناس في الظلم ° وبهذا ظهر
ان كل معجزة جا النبيون بها فهو المتفضل بها عليهم بطريق الخلافة عن رب الارباب

جا ذكره

جا ذكره فهي له في الحقيقة مع انه جا بالمعجزة السرمدية وهي القران ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم ما من نبي الا وقد اوتي ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا
فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة فان قلت من اين لك هذه المقالة قلت الدلائل
الحديثية تنادي بذلك كقوله صلى الله عليه وسلم انا افضل الناس يوم القيمة قلنا ان نثبت
له ما جاز ان تثبت للمخلوقين ونوصله الى كل مقام ما عدا رتبة رب الارباب جل جلاله
وبالجملة فالذي ندين الله به ان كل معجزة اعطيها نبي وكل خارقة وكرامة نالها ولي
فهي على يديه جرت ومن مدده وصلت ومن افاضته حصلت وما اعطي نبي خارقة
الا وللمظهر المحمدي مثلها او خير منها وسياتي منا في فصل المعجزات تفصيل ذلك في كل نبي نبي ان
شا الله تعالى قال القاضي الامام ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امترا فيه اي لا شك فيه
ان رويته تعالى في الدنيا جائزة عقلا يعني انه لا مانع عقلا من ان ينكشف الله لعباده
انكشافا تاما مع انه تعالى وتقدس وتنزه ليس بجسم ولا في جهة ويستحيل عليه
مقابلة ومواجهة وتقلب حدقة ونحو ذلك وليس في العقل ما يحيلها يؤيد ذلك قول
الامدي اجمعت الامة من اصحابنا على ان روية الله تعالى في الدنيا والاخرة جائزة
عقلا واختلفوا في جوازه سمعا في الدنيا فاثبته بعضهم ونفاه الاخرون وهل
يجوز ان يرى في المنام فقيل لا وقيل نعم والحق انه لا مانع من هذه الرويا وان لم تكن
روية حقيقية قال ولا اختلاف بيننا في انه يرى ذاته والمعتزلة حكموا بامتناع
رويته عقلا لذي الحواس واختلفوا في رويته لذاته والدليل على جوازها في الدنيا
سوال موسى عليه الصلوة والسلام لها ومحال ان يجهل نبي التنكير للتعظيم اي نبي
عظيم لانه من اولي العزم ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جائزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال
له الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحمل رويتي توضيح تقرير الدليل ان يقال ان موسى

عليه السلام سال الرؤية ولو كانت مستحيلة لما سالها لانه اما ان يعلم امتناع كونه مرئيا او
يجهله فان علم فكيف فكيف يطلب العاقل ما يعلم استحالته سيما في حضرة لا يسع فيها
الا غاية الادب وان جهل فالجاهل بما يستحيل على الله تعالى كيف يكون نبيا كليما من
اولي العزم فان اعظم مقاصد البعثة دعاء الخلق الى العقائد الحقة والجاهل بالعقائد
الحقة كيف يدعو اليها فثبت ان موسى عليه السلام كان عالما بجوازها غير انه لا يعلم بوقوعها
لم فطلب ذلك حين اهله الله للكلام مجوزا ان من تاهل للكلام تاهل لرؤية الله تعالى
وانكرت المعتزلة ذلك خذلهم الله وحملوا الرؤية المسؤولة في الاية على العلم الضروري
مجازا لانه لازمها فاطلق الملزوم واراد اللازم وهذا تاويل ابن الهذيل العلاف والجبائي
ومعتزلة البصرة وهو مردود لان تعدية الرؤية بالى يمنع من ان يراد بها العلم فحملها
على العلم الضروري خلاف الظاهر ومخالفة الظاهر لا ترتكب الا عند الاحتياج اليها مع
ان حملها على العلم الضروري ممتنع لان موسى عليه السلام كان عالما بربه علما ضروريا
ويلزم من سواله ان لا يكون عالما وكيف لا وهو يخاطبه ويكالمه فكيف يكالم من لا
يعلمه علما ضروريا وكيف يسال العلم الضروري وهو يجيبه بقوله لن تراني فيكون جوابه
غير مطابق لسواله فان قالوا ساله علما من علومه التي لا يعلمها الا هو كالعلم بالساعة
فكانه قال ارني انظر الى علمك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما في واسال
القرية قلنا هذا خلاف الظاهر مع عدم مطابقة الجواب وهو قوله لن تراني له وان
قالوا هو كان عالما بامتناعها وانما سالها لاجل جهل قومه حيث قالوا لن نومن لك حتى
نرى الله جهرة قلنا جهالة قومه قد ردها الله تعالى باخذ الصاعقة لهم فانهم لم يكملوا
طلب الرؤية من موسى عليه الصلوة والسلام الا والصاعقة قد اخذتهم ومع ذلك فان
كان موسى عليه الصلوة والسلام مصدقا عندهم يكفي في رد جهلهم قول موسى ان الله لا يمكن
رويته ولا ينبغي حينئذ لموسى عليه الصلوة والسلام ان يتهجم على الله بما هو مستحيل عليه

وان ظن

وان كان هكذا عندهم فلا يصدقونه في قوله ان الله تعالى قال لن تراني وان قالوا ان موسى
عليه الصلوة والسلام سالها مع علمه باستحالتها عقلا ليتاكد دليل العقل بالسمع
كما فعل ابراهيم حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين
قلبي قلنا ان العلم لا يقبل التفاوت والخليل عليه الصلوة والسلام انما قال ذلك حين
اوحى الله اليه اني متخذ خليلا وعلامته اني احيي الموتى بدعائه فطلب ذلك من الله
تعالى حتى يطمين قلبه انه هو ذلك الخليل مع ان موسى عليه الصلوة والسلام كان يمكنه طلب
الدليل بغير هذا السوال كان يطلب من الله تعالى بيان دليل امتناع الرؤية وقد تجاسر
بعض المعتزلة على نبي الله وكليمه ومصطفاه للتكليم موسى عليه الصلوة والسلام
فقالوا ان رؤية الله مستحيلة وموسى كان جاهلا باستحالتها ولا يضره ذلك مع علمه
بوحدانية الله تعالى او كان عالما باستحالتها ولكن تجريه على السوال ذنب صغيرة لا تستحيله
على النبيين فنقول خذلهم الله كيف تجراوا على من اصطفاه الله لرسالته وكلامه وجعله
اول من يفيق يوم القيمة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فجوزوا عليه جهلا لا يرضاه ادنى المعتزلة
مع بدعتهم الشنعا وضلالتهم التي تسود وجههم يوم القيمة ومع ذلك جوزوا عليه قلة
ادب وارتكاب ذنب وهذا داب هولاء الخبثاء لا ينفكون عن انتقاص انبياء الله تعالى
اللهم املا قلوبنا من تعظيمهم وجههم يا رب العالمين ثم ضرب له اي لموسى مثلا بما هو اقوى
من بنية موسى واثبت وهو الجبل يعني ان الله تعالى لما نفى ان يراه موسى بين له ان من
هو اقوى منك واثبت لا يثبت لرويتي فان ثبت ذلك الاقوى لرويتي فربما انت تثبت
والا فلا تقع لك رويتي وقد يوخذ منه استدلال اخر على امكان رؤيته تعالى حيث علق روية
موسى عليه الصلوة والسلام لربه على استقرار الجبل واستقرار الجبل امر ممكن في نفسه
والمعلق على الممكن ممكن اذ لو كان ممتنعا لامكن صدق الملزوم بدون اللازم وكل هذا
ليس فيها دليل اي يمنع رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة فان موسى لو لم يعلم

بلغ مقابلة على خط المولف

ان روية الله جائزة لما سالها وهو اعلم من كل الامة بالله فكيف لا يكون اعلم من انقص هذه
الامة واجهلهم وهم المعتزلة بالله تعالى وتعليق الله تعالى الروية على استقرار الجبل تعليق على
امر ممكن وذلك اوضح دليل على جوازها **وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا**
امتناعها اي امتناع وقوعها **اذ كل موجود فرويته جائزة غير مستحيلة** وذلك لان الموجود
اما جوهر واما عرض وكل منهما يرى بالضرورة وروية كل منهما لا بد لها من علة مصححة مشتركة
بين الجوهر والعرض لئلا يلزم تعليل الامر بعلل مختلفة وهي اما الوجود واما الحدوث ولا جائز
ان تكون الحدوث لانه عبارة عن وجود مسبوق بعدم ولا دخل للعدم فيها فتعين ان يكون الوجود
وهو مشترك بين المحدثات وبين الباري تبارك وتعالى فيصح ان يرى كما يصح ان نرى وهذا
الدليل يوجب صحة روية كل موجود كالاصوات والروائح والملموسات والطعوم والاشري
المستدل بهذا الدليل يلتزم ذلك وانما لم تقع رويتها لعدم جري العادة بها **ولا حجة لمن**
استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية هذا رد لاعظم
شبه المعتزلة القائلين بمنع روية تعالى واستحالتها في الدارين وهو هذه الاية وتقرير
استدلالهم بهذه الاية من وجهين الاول ان الاية سيقت للتمدح لمضمونها وهو انه تعالى
لا تدركه الابصار لانه تعالى ذكره في اثناء المدائح وما كان عدمه مدحا كان وجوده نقصا
يجب ان ينزه الله تعالى عنه فكانت رويته نقصا الثاني ان الادراك المضاف الى
البصر انما هو الروية اذ ليس في البصر قوة ادراكية خاصة به غيرها فكانت الروية
والادراك متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الاخر لعدم صحة نفي احد المتلازمين مع
اثبات الاخر فلا يجوز ان يقال رايته وما ادركته ببصري ولا ادركته ببصري وما رايته
فيلزم ان يكون الله تعالى نفى ان يرى بالابصار وهو يتمدح ول جميع الابصار اذ اللام للجنسية
مقتضية لذلك في جميع الاوقات والجواب عن الاول بمطالبة الدليل بان يقال هذا
مدعاكم فاين الدليل عليه بل نتافيه الحجة على صحة الروية لانه لو امتنعت رويته لما

حصل

حصل المدح بنفيها عنه اذ لا مدح للمعدوم بانه لا يرى حيث لم يكن له ذلك وانما المدح في
امتناع المتعذر لحجاب الكبريا وعن الثاني بان الادراك هو الروية على نعت الاحاطة
بجوانب المرئي وهو في الاصل الوصول ثم نقل الى الروية المحيطة والروية المحيطة
اخص مطلقا من الروية المطلقة ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم فلا يلزم من نفي الادراك
نفي الروية المطلقة على ان قوله تعالى لا تدركه الابصار موجبة كلية لان اللام في موضوعها
سور اذ هي للاستغراق وقد دخل عليها النفي ورفع الايجاب الكلي سلب جزئي ويحتمل ان
يكون سالبة كلية بان يلاحظ اولا دخول النفي ثم ورود العموم عليها وقوله لاختلاف
التاويلات اي بها اي واختلافها يمنع الاستدلال بها على مدعاهم لانه لا بد ان يكون قطعية
الدلالة **وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الروية وعدم استحالتها على الجملة**
وذلك انه سبحانه وتعالى ذكرها في سياق التمدح ومعلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية
واما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وانما يمدح الرب تعالى بالعدم اذا تضمن امرا
وجوديا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال
الحياة ونفي اللغوب والاعيا المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد
والظهير المتضمن كمال الربوبية والهيمنة وقهره ونفي الاكل والشرب المتضمن
لكمال صمديته وغناه ولهذا لم يتمدح سبحانه بعدم محض لا يتضمن امرا ثبوتيا فان المعدوم
يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بامر يشترك فيه هو والمعدوم فلو كان
المراد بقوله لا تدركه الابصار انه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال في مشاركة المعدوم
في ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الابصار فتعالى رب العالمين الذي اختص باعظم
انواع الكمال ان يمدح نفسه الكريمة بما شاركه فيه العدم الصرف فاذن المعنى انه يرى ولا
يدرك ولا يحاط به ففارق سائر من اتصف بالوجود بهذا الكمال الذي لا يشاركه فيه مشارك
فالرب تبارك وتعالى يرى ولا يحاط به كما انه يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة

والامة من الائمة قال ابن عباس رضي الله عنه معناها لا تحيط به الابصار وقال عطية
ينظرون الى الله ولا تحيط ابصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم **وقيل لا تدركه**
الابصار اي ابصار الكفار فاللام في الابصار للعهد والحامل لهذا القائل على جعلها للعهد
نطق الاحاديث بوقوع الرؤية في الاخرة وبعض الايات ظاهر في ذلك فجمع بين النصوص
المتخالفة بجعل هذه اللام للعهد وثبوت الرؤية واقع لمن يكون مؤمنا **وقيل لا تدركه**
الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وتقدم نقله عن عطية ايضا **وقيل لا تدركه**
الابصار وانما يدركه المبصرون اراد هذا القائل بادراك المبصرين له بالقلب فهذا
التاويل لا ينفي استدلال المعتزلة بهذه الاية وبالجملة فهو تاويل غير مقبول **وكل هذه**
التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وقد ذكرنا الحق من التاويلات
ما فيه كفاية **وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية** يعني ان المعتزلة ونحوهم من نافي
الرؤية احتجوا على مدعاهم بقوله تعالى لموسى عليه السلام لن تراني قالوا لان يراه موسى
عليه السلام بلن المفيدة للتابيد واذا لم يره موسى لم يره غيره اجماعا والجواب انه لا حجة
لهم في ذلك لانا نمنع ان لن تفيد تابيد النفي وانما تفيد تاكيده في المستقبل فقط وكذا المنع
قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت في جهنم بدليل قوله تعالى ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك الاية **وقوله تبت اليك** يعني ان نفاة الرؤية استدلوا على مدعاهم
بان موسى عليه السلام لو لم يقع في ذنب لما تاب وذلك الذنب ليس الا سوال امر مستحيل
وهو رؤية الله تعالى فاجاب المصنف بانه لا حجة لهم في قوله تبت اليك اذ لا يلزم من
توبته ان تكون ذلك لسوال الرؤية لكونها مستحيلة وانما هي لسوال امر لم ياذن به الله
تعالى **ولانها** اي قوله تعالى لن تراني **ليست على العموم** اي لم يقل الله تعالى لا يراني احد
ولا بشر بل خص موسى عليه السلام بهذا الخطاب ولا يلزم من نفي ان يراه موسى عليه السلام نفي
ان يراه كل احد لان في عباد رب العالمين من هو افضل من موسى عليه السلام كمحمد صلى الله عليه وسلم

ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل يعني ان مقتضى ما قال بعضهم في تفسير
الاية ان معنى لن تراني لن تراني في الدنيا ان رؤيته في الدنيا مستحيلة فبين المصنف ان هذا
ليس بنص ولا حجة فيه فانه تاويل يصرف بها عسى ان يتوهم ان موسى عليه السلام لا يرى الله
في الاخرة مع ان اهل السنة قائلون بوقوعها لاحاد المؤمنين فكيف بمن هو من اخص
المرسلين ولا يلزم من هذا التاويل الا نفي الوقوع في الدنيا لا نفي الجواز والقول بالاستحالة كما
هو مدعى المستدل بهذه الاية **وايضا فليس فيها نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى**
عليه الصلاة والسلام ولا يلزم من نفي وقوعها لموسى عليه الصلاة والسلام نفي وقوعها مطلقا ولا
نفي الجواز لان وقوعها لموسى عليه الصلوة والسلام اخص من وقوعها مطلقا والوقوع اخص من
الجواز ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم **وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات**
فليس للقطع اليه سبيل يعني ان الدلائل التي تثبت بها العقائد الدينية لا تكون الا
قطعية ومتى طرقها الاحتمال سقط الاستدلال بها لان الاحتمال يخرجها عن وصف القطع
ويجعلها ظنية **وقوله تبت اليك اي من سوال ما لم تقدره لي** اي لانك قدرت الرؤية في الدنيا
لمحمد صلى الله عليه وسلم وانا سالتكها فقد سالتك ما لم تقدره لي وهذا وان لم يكن ذنبا فهو
سوء ادب بالنسبة لموسى عليه الصلاة والسلام لان حسنات الابرار سيئات المقربين **وقد**
قال ابو بكر الهذلي نسبة الى هذيل قبيلة او الى هذيل الصحابي **في قوله لن تراني اي ليس لبشر**
ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين
ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة
غرضا للافات والفناء فلم يكن لها قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا
اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم لان اهل الدارين الجنة والنار قواهم بلغت
الغاية وابصارهم وصلت الى ادراك عجيب بدليل ان اهل الجنة يرون اهل النار واهل النار
يرونهم مع بعد المسافة بين الفريقين **وقلوبهم** فان لاهل الدارين قلوبا ادراكها يعجز عن

قوله لها
في ما عندي من نسخ المتن
لم يكن لهم هـ

فمما راه الوهم قوواها اي يقلوبهم وابصارهم على الروية ويويد ان المانع من الروية ضعف قوى
البشر عن ذلك قصة طلب موسى عليه الصلوة والسلام الروية فانه نزول الملائكة من السموات
ولقد يدهم لموسى عليه الصلوة والسلام بقولهم له يا ابن النسا الحيض اتقدر على روية الله تعالى
وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم يرفى الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية راى الباقي بالباقي حاصله انه لا بد ان يكون بين
الرائي والمري نوع مناسبة وابصار البشر في هذه الدار فانية يطرا عليها الاضمحلال ثم
يمن الله عليها بالعود ويمنحها صفة الدوام والبقا ويكسوها قوى تحتمل روية الحي القيوم
فاذا صار لها نوع مناسبة بالمري وان كان بقاوه ذاتيا وبقاها عرضيا راته لعدم المانع
والحاصل ان الله تعالى لا يمنع من فضله احدا وانما الدار لا تقبل وفي الاخرة تحصل القوابل
وفي محمد صلى الله عليه وسلم لم يحصل مانع فمن ثم راه في الدارين وباقي الناس يراه في الاخرة
فان قلت هل يراه الملائكة قلت في الدنيا فلا ويوم القيمة يرونه كباقي النبيين والمومنين
بدليل حديث جبريل وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة فاذا قوى الله
من شا من عباده واقدره على حمل اعبا جمع عب وهو الثقيل من كل شي الروية لم يمتنع في
حقه وقد تقدم ما ذكر من قوة بصر موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة
الهيبة مني كالادراك ما ادركاه وروية ما راياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر هو
الباقلاني المعروف بابن الطيب الذي قيل انه كتب من حفظه عشرين الف ورقة وقد قيل
لو مدحس رثي نعشه انظر الى جبل يمشي الرجال به وانظر الى القبر ما يحوي من الصلف
وانظر الى صارم الاسلام منغمدا وانظر الى درة الايمان في الصدف والمشهور انه كان مالكي
الفقه وانه من اتباع الاشعري في الاصول غير ان التاج السبكي في طبقاته رجح انه شافعي
تبعا لامامه الاشعري فانه كان شافعي الفقه في اثنا اجوبته عن الايتين ما معناه ما
اسم موصول في محل نصب مفعول ذكر معناه مبتدا خبره قوله ان موسى عليه الصلوة والسلام

القاضي ابو بكر الباقلاني

من البسيط

المشهور ان الباقلاني كان مالكي الفقه

راى

راى الله الى اخره والجملة صلة الموصول فلذلك قال خر صعقا اذ لو لم يره لما صعق وان الجبل
راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله فيه متعلق براى ربه اي كيف وقعت له الروية مع انه
جماد فقال خلق الله فيه ادراكا ونحوه بحيث يرى فراى الله تعالى لكن قال ابن عباس ظهر نور ربه
للجبل وهو جبل زبير قال الضحاك اظهر الله من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار ما تجلى من عظمة الله للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال
السدي ما تجلى الا قدر الخنصر وفي الحديث عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه
وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل وعن سهل بن سعد
الساعدي ان الله تعالى اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا اي
مستويا بالارض وقال سفيان ساخ الجبل وقال الحسن اوحى الله الى الجبل هل تطيق
رويتي فغار الجبل وساخ في الارض وموسى عليه الصلوة والسلام ينظر حتى ذهب اجمع
وقال السدي ما تجلى للجبل الا مقدار جناح بعوضة فصار الجبل دكا قال ابن عباس
ترابا وقال سفيان ساخ في الارض حتى وقع في البحر وقال عطية العوفي صار رملا هالا
وقد صار الجبل ستة اجبل وقع منها ثلاثة بالمدينة احد وورقان ورضوى وثلاثة بمكة ثبير
وثور وحرا واستنبط ذلك والله اعلم اي روية الجبل لربه عز وجل من قوله ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول فان تجلى ماخوذ
من قولك جلوت العروس ابرزتها وجلوت السيف ابرزته من الصدا وتجلى الشي انكشف
وقيل من تجلى امره وقدرته اذا ظهرا وقال جعفر بن محمد شغله اي الله موسى عليه الصلاة
والسلام بالجبل حيث قال له انظر الى الجبل حتى تجلى فلولا ذلك اي لولا اشغله بالجبل لمات
صعقا بلا افاقة حاصله ان موسى عليه الصلوة والسلام كان متوجها لمكالمة رب
العالمين فلما ساله الروية امره بالنظر الى الجبل ليلتهي به فلا يتجلى الله له فاذا وقع التجلي لا

اي قوله بادراك متعلق براى ربه كما لا يخفى

مطلب انقسام جبل موسى ستة اجبل

يحصل لموسى عليه الصلوة والسلام ضرر ولو لم يشغله به لمات بالكلية ولم يبق وهذا يدل على
ان المراد بقوله صعقا مغشيا عليه لا ميتا مع انه ذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم
احياه الله والذي يظهر من كلام المفسرين خلاف ما قاله جعفر فانه لم يامر موسى عليه
الصلوة والسلام بالنظر الى الجبل الا ليريه عدم قدرته على روية الله تعالى التي سالها فان
الجبل مع كونه من حجر يابس لا يقدر عليها فكيف بضعف موسى فان قلت القدرة على روية
الله مرجعها الى ثبات الجنان والبصر لا الى القوة الهيكلية ليلزم من عدم ثبات الجبل عدم
ثبات موسى فان جنان موسى اقوى من جنان الجبل قلت لا يقدر على روية الله الا من له عقل
بلغ قصارى الادراك وغاية الثبات او بصر بلغ غاية القوة كبصر محمد صلى الله عليه وسلم واما
من لم يكن ذا عقل فانه يجوز ان يثبت لرويته والله تعالى كانه قال لموسى عليه الصلاة والسلام
من ليس له عقل ولا بصر لا يقدر على رويتي فكيف يقدر عليها ذو بصر وعقل الا ان يكون
ثابت العقل والبصر مويدا بقوة من عندي كاهل الجنة ومحمد صلى الله عليه وسلم وقوله اي
قول جعفر بن محمد هذا وهو قوله شغله بالجبل حتى تجلى الى اخره يدل على ان موسى قد راه
اقول لا دلالة فهذا القول على روية موسى لربه فان جعفرا قال حتى تجلى ولا يلزم ان يكون
تجليه لموسى عليه الصلاة والسلام بل المراد حتى اوقع التجلي وتجليه للجبل وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه راه فان قلت كيف يراه جبل جماد ويمنع من رويته نبي من اولي العزم
قلت روية الله من جملة الجزا على صالح الاعمال والدنيا ليست دار الجزا فلا يليق ان يقع
فيها شي للمومن من احوال الاخرة التي من جملتها روية رب العالمين تمنعه منها ليس
استخفافا به بل ادخرها له في يوم يليق بها واما محمد صلى الله عليه وسلم فروية الله تعالى
ملحقة باحوال الاخرة لانه راه في غير العالم الدنياوي وما تجلى له الا في مقام يتجلى فيه
لاهل الاخرة وبروية الجبل له اي لله تعالى استدل من قال بروية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
له اي لله تعالى اذ جعله ذلك المستدل دليلا على الجواز تجوز وان يراه محمد وموسى عليهما

الصلاة

الصلاة والسلام لانه اذا جاز ان يراه الجبل بل وقع روية الجبل له فكيف لا يجوز ان
يراه نبي كامل من اكمل الانبياء ولا مرية في الجواز المرية بكسر الميم وضمها الشك اي ولا
شك في الجواز واما شبه المعتزلة النافية للجواز فهي ضعيفة مردودة لا توجب للمطلع
عليها بعد وقوفه على دلائل اهل الحق نوع تردد فضلا عن الشك الذي هو استوا الطرفين
اذ ليس في الايات نص بالمنع بل في الايات ما ظاهره وقوع ذلك في الاخرة وفي الاحاديث
نصوص صريحة في وقوع ذلك في الدار الاخرة مما لو استقصى لاوقع سامعه في الملل ويلزم
من وقوع ذلك في الاخرة الجواز في الجملة من غير تفرقة بين الدارين واما وجوبه اي وجوب
الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد
وقوع الروية لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه راه بعينه اي بحدقته فليس فيه اي
في اثباته قاطع اي دليل قطعي ايضا اي كما انه ليس في منع الجواز دليل قطعي اذ المعول
فيه اي في وقوعه لنبينا صلى الله عليه وسلم على ايتي النجم وهما قوله تعالى افتمارونه على
ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى الى اخره والتنازع
فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن وحاصله ان ايتي النجم ليس فيهما قطع بانه راه لاحتمال
ان يكون راى جبريل في صورته ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس هذا الحديث لا يتوهم وروده لان حديث ابن عباس ليس متواترا
وهو قد نفى الاثر المتواتر القاطع فلا حاجة الى ان يقال انه خبر عن اعتقاده اي اخبر
ابن عباس عما يعتقده في ذلك فيجب العمل باعتقاد مضمنه والحاصل ان روية محمد
صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل لم يرد بها اية هي نص في ذلك بحيث لا تحتمل غيره ولا
حديث قطعي متواتر فلا نحكم بكفر منكرها ولا اخراجه عن عداد اهل القبلة بل هو
معدود من جملة المومنين اذ لم ينكر امرا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة
كمن انكر الاسرا فانه جاحد فيه كافر وان كان انكار عروجه الى السما ليس كفرا

ومسئلة الرؤية وقع فيها خلاف بين فحول العلماء فمن المنكرين لها عائشة رضي الله عنها
وابو هريرة وابن مسعود وجماعة من المحدثين والمتكلمين لكن قال النووي في شرح مسلم
الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه ليلة الاسرا
لحديث ابن عباس وهو منقول عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي
مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل ونقل القاضي عياض في شرح مسلم عن
بعض مشايخه انه توقف في ذلك وقال ليس عليه دليل واضح واقول انه يتراأى من كلام
القاضي هنا وفي شرحه على مسلم الميل الى عدم اثبات الرؤية وليس هذا حميدا منه فانه خالف
ميل اكثر العلماء فقد نقل النووي عن صاحب التحرير انه اختار اثبات الرؤية ثم قال
والحجج في هذه المسئلة وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث
ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه
وسلم وعن عكرمة سئل ابن عباس هل راى محمد ربه ليلة الاسرا قال نعم وقد
روي باسناد لا باس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه وكان الحسن يحلف لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل في الباب حديث
ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهما في
هذه المسئلة وراسله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فاخبره انه راه ولا يقدح في هذا
حديث عائشة لانها لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت
ما ذكرت متاولة لقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا ولقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار والصحابي اذا قال
قولا وخالفه غيره منهم فيه لم يكن قوله حجة واذا صحت الروايات عن ابن عباس في
اثبات الرؤية وجب المصير اليه فان قلت هذه عقيدة ابن عباس لا تسري على غيره
كما زعم هنكو في شرح مسلم قلت هذا انما يقال في ما للاجتهاد فيه مجال فان اقوال
الصحابة

الصحابة لا تكون حجة على غيرهم اذا كان للاجتهاد فيه مجال واما مثل كون محمد صلى الله عليه وسلم
راى ربه فهذا لا يقوله ابن عباس من اجتهاده ولو لم يسمعه من واجب الصدق بواسطة
او بدونها لما تجرا على امر مستبعد وقوعه للبشر لم ينله موسى نبي الله وكليمه ووافقه
على ذلك انس بن مالك وحمل ابي النجم على رؤية جبريل في صورته بعيد لان رؤية
جبريل ولو في صورته ليس امرا عظيما بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الامر
الذي يليق حمل الاية الكبرى التي راها محمد صلى الله عليه وسلم على رؤية رب العالمين
فانها اكبر الايات ولما ذكر لمعمر بن راشد الخلاف بين عائشة وابن عباس رضي الله
عنهم قال ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس هذا مع ان ابن عباس مثبت
وعائشة نافية ومن القواعد المقررة تقديم المثبت على النافي وقد تقدم حسنا
الجواب عن احتجاج عائشة بالاية بيتين وهذا امر مال اليه غالب علماء الامة كحجة
الاسلام الغزالي وامام الحرمين والامام النووي واما اهل الكشف فقد اتفقت
كلمتهم على ذلك من غير ان يقع بينهم خلاف ومثله حديث ابي ذر المروي في صحيح مسلم
قال ابو ذر سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال نور انى اراه وفي
الرواية الاخرى رايت نورا وحديث معاذ الذي المروي عن ابن عباس ايضا وقد وقعت
روايته في الشفا عن مالك بن يخامر عن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت
ربي عز وجل فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وقد سبق منا الكلام عليه بما لا مزيد
عليه محتمل التاويل لان فيه الفاظا يستحيل حمل ظاهرها على الله تعالى كالصورة واليد ووضع
اليد بين الكتفين ووجود بردها بين الثديين وهو مضطرب الاسناد والمتن اعلم ان
حديث معاذ الذي وافقه عليه ايضا ابن عباس صريح في ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه
عز وجل لان فيه رايت ربي في احسن صورة وقد ذكرنا الحديث بطوله فيما مضى وهو حديث
رواه احمد بن حنبل والترمذي وقال الترمذي في حديث ابن عباس حسن غريب وقال في

قوله بردها بتثنية
الضمير محل تامل

حديث معاذ صحيح الاسناد فهو من احسن ما يتمسك به في اثبات الروية لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقول القاضي فيه انه مضطرب ان اراد به معناه اللغوي اي المختلف فهذا لا يقدح في الحديث
فان الحديث اذا اختلفت الفاظه بمعان لا ينافي بعضها بعضا فهذا غير ممض لقادح
في الحديث فكم من حديث في الصحيحين الفاظه مختلفة وان اراد بالمضطرب معناه
الاصطلاحي عند المحدثين وهو ما اختلف فيه راويه او راويان له فاكثر فروي بوجه
مخالف للاخر وتساوت الروايتان ولم يترجح احداهما على الاخرى وهذا الحديث لم يقع
في رواياته هذا الاختلاف ولا في اسناده شي من ذلك كيف ولو كان مضطربا لكان ضعيفا
لان الاضطراب من موجبات الضعف لاشعاره بعدم ضبط الراوي وكيف يكون
ضعيفا مع تصحيح الترمذي له تارة وتحسينه له اخرى والحسن يحتج به كالصحيح وكيف
يلتفت الى حمل القاضي له مضطربا ضعيفا مع ان الترمذي احد نقاد هذا الشان
صححه وذكره كثير من الائمة في احتجاجاتهم وذكره المنذري في الترغيب والترهيب
بعبارة تشعر بقبوله واحتماله للتاويل لا ينقص مرتبته بحال ولم نر احدا يقدح في
حديث باحتماله للتاويل غايته انه من المتشابه وكم متشابه ورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكم اية متشابهة جاءت من رب العالمين فما استحال في حق ربنا اولناه
وما جاز في حقه ابقي على ظاهره فرويته تعالى جائزة فتثبت بهذا الخبر لمحمد صلى الله عليه
وسلم واما الصورة واليد والبرد فلما كان كل منها مستحيلا في حقه تعالى اولناه وحديث
ابي ذر الاخر مختلف فيه محتمل مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي
نوراني اراه وفي الحديث الاخر سالته فقال رايت نورا اعلم ان هذا الحديث لا يشعر
برويته ولا بعدمها فان الروايتين المقبولتين التي اتفقت الاصول عليها نور بالتنوين اي
هو نور ثم قال انى اراه اي كيف اراه وهو نور وغايته ان رويته له امر عجيب اذ
كيف يتمكن الرائي من رويته من حجابه النور وحاصله انه لم يخبر الا بان رويته امر

عجيب وهو لذلك فانه من اعجب العجب وسكت عن ثبوت الروية لامر دعا الى ذلك كان
يكون في المجلس من لا يفهم الخطاب باثبات الروية كان يكون فيه حديث عهد بالاسلام
او نحو ذلك فان قلت ما الذي حملك على ذلك ولم لم تحمله على نفي الروية قلت عملا برواية
نوراني اراه وبرواية رايت نورا فان فيهما اثبات الروية ولو حملنا هذه الرواية على
النفي لتنافت الروايتان فان قلت ليس في رواية رايت نورا اثبات الروية بل
فيه نفيها اذ مراده كما قال المازري في شرح مسلم رايت النور فحسب ولم ار غيره
قلت لا يخفى عليك ما في هذا الحمل من التكلف لان سوال ابي ذر عن رويته لربه
فاجاب صلى الله عليه وسلم بقوله رايت نورا اي رايت الله فان من اسمائه تعالى النور
وقد ذكر في عداد اسمائه الحسنى المروي في الترمذي وغيره وهذا امر اينكره احد فقول
القاضي في شرح مسلم ومن المستحيل ان يكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام
والله تعالى يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين ومعنى قوله تعالى الله نور
السموات والارض ما جاء في الاحاديث من تسميته الله نورا معناه ذو نورهما وخالقه
وقيل هادي اهل السموات والارض وقيل منور قلوب عباده المومنين وقيل معناه
ذو البهجة والجمال انتهى كلام القاضي مردود بانه صلى الله عليه وسلم لم يرد من قوله رايت
نورا ما يراد من قوله الله نور السموات والارض اي رايت المسمى بالنور ولو كان مراده
نفي الروية لبادر اليها بقوله لم اره لان هذا امر من تعلقات الاعتقاد فلا ابهام فيه
التصريح ولا يجوز ان يوتى في هذا المقام بما يوهم المقصود وغيره وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منهما على صحة الروية اي ثبوتها للنبي صلى الله عليه وسلم فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن روية الله تعالى لا يخفى ان وقوع
رايت نورا في جواب السوال بهل رايت ربك غير ملايم لا سيما ممن هو معدن البلاغة
ولا نسلم انه بذلك اخبر انه لم ير الله كما قررنا انفا وانما اخبر انه راى الله واطلق عليه

عليه اسم النور واستحالة اطلاق النور عليه بالمعنى الحقيقي لا يستلزم انه لا يطلق عليه النور
فكم من اسم يستحيل ارادة المعنى الحقيقي ويطلق عليه تعالى باعتبار لازمه كالرحيم فان
معناه في اصل اللغة رقيق القلب وهو مستحيل عليه تعالى وقد اطلق عليه تعالى باعتبار لازمه
ونحو ذلك فان احتيج الى التوقيف بناء على ان اسماء الله توقيفية فقد ورد النص به
ووقع ذلك في الاحاديث الصحيحة قوله والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اي كيف
اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور هو حديث
اصله في مسلم بل وفي البخاري عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط
ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه فهذا حديث صحيح اخرجه الشيخان قال
الاشاعرة يجوز ان يقال ان الله تعالى محتجب ولا يجوز ان يقال محجوب لان لفظ الاحتجاب
مشعر بالقدرة والقوة والمحجوب مشعر بالعجز والذلة يقال احتجب السلطان عن عبيده
ويقال فلان محجوب عن الدخول على السلطان وحقيقة الحجاب بالنسبة الى الله تعالى محال
لانه عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين اخرين بل هو محمول على ان لا يخلق في العين
قدرة تتعلق بالابصار به ورويته والمراد بالنور في قوله حجابه النور الكمال المطلق
فانه ليس بين الله تعالى وبين المخلوقات حجاب الا الكمال المطلق الذي اتصف به تعالى
والنقص الذي اتصفوا به واطلق على الكمال النور لانه لا يشان بنقيضه فلو ظهر
كماله لاحترقت الكائنات بالنقص والعجز واضمحلوا في جناب عزته تعالى وتقدس قوله
وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر
على خلق الادراك الذي في البصر في القلب اوكيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين
في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى

واقول ما الذي يريد بالنص البين فان اراد به القطعي وهو كلام الله او الخبر المتواتر فمسلم انه لم
يرد سوى ان الاية محتملة احتمالا راجحا ولا يلزم ورود شي من ذلك فكم من امر معتقد ورد
بخبر صحيح احاد لم يبلغ درجة التواتر كاثبات عذاب القبر ورؤية الله تعالى في الجنة ونحو ذلك
وان اراد الحديث الصحيح فقد ورد من ذلك شي كثير منها حديث معاذ السابق فانه صريح في
ذلك وبينا ان قدحه فيه ليس بقادح ومنها حديث ابن عباس الذي رفعه بالصريح الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول صحيح صححه الترمذي والثاني حسن حسنه الترمذي
ومنها مقالة ابن عباس في تفسير الاية وبينا ان قول القاضي انه اخبار عن اعتقاده
غير سديد لانه ان كان ما اخبر به عن اجتهاده فهو مردود لان الاعتقادات ليس
للاجتهاد فيها مجال فوجب ان يكون ما اخبر به مسموعا اما بلفظه او بمعناه من واجب
العصمة والصدق صلى الله عليه وسلم بواسطة او بدونها ومنها ما في مصنف الترمذي
عن كعب الاحبار قال ان الله قسم رويته وكلامه بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
ومنها ان عروة بن الزبير كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه واذا قيل له ان
عائشة انكرت ذلك يشتد ذلك عليه وعروة صحابي لو لم يكن عنده بذلك علم لما قال به
ولما ساغ له ان يشتد على ام المومنين ومنهل العلم وهي خالته اخت امه ومنها ما روى
يونس عن ابن اسحق عن داود بن الحصين قال سال مروان ابا هريرة هل راى محمد
صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم ومنها ما في رواية يونس ان ابن عمر رضي الله عنهما
ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهما يساله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم
راه فقال ابن عمر رضي الله عنهما وكيف راه فقال ابن عباس الكلام السابق مما لا يكون
المنتشا به وهو قول الزهري وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل انه سئل هل راى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه فقال راه راه حتى انقطع صوته فاذا علمت هذا مع ما سبق هنا علمت ان الحق الذي يجب
ان لا يتنافى الله به هو انه راه بعيني راسه ۝ فصل واما ما ورد في

القول الحق انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه ۝

هذه القصة اي قصة الاسرا من مناجاته لله بيان لما فيها ورد والمناجاة الكلام السر
الخفي واتيانه بصيغة المفاعلة مشعر بوقوع ذلك من الجانبين لان تاسيسه على ان يكون بين
اثنين فعل احدهما بصاحبه ما فعل الاخر به والذي وقع فاعلا هو الباري تعالى وكلامه معه بقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث اما الاية فانها مشعرة بان الله تعالى
كلمه بنا على ان الضمير في فاوحى راجع الى الله اي اوحى الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى
واما احاديث الاسرا كقصة المراجعة في الصلوات فانها ايضا مشعرة بوقوع مكالمة بين
الله تعالى وبين نبيه صلى الله عليه وسلم فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل الى
محمد صلى الله عليه وسلم الا شذ وذا منهم اي الا جماعة من المفسرين شاذين عن جمهور اي
نادرين منفردين عن اكثرهم والشذوذ مصدر شذ واطلق المصدر على اسم الفاعل مبالغة في
الانفراد فكانهم من اتصافهم بالانفراد والندرة صاروا نفس الندرة وجعل من قال ان الموحى
الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة شذا خالفه فيه حافظ وقته وعلامة دهره
ابو العباس احمد بن حجر العسقلاني فقال في فتح الباري والحاصل ان ابن مسعود كان
يذهب في ذلك الى ان الذي راه النبي صلى الله عليه وسلم هو جبريل كما ذهبت اليه عائشة والتقرير
على رايه فاوحى اي جبريل الى عبده اي عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم لانه يرى ان الذي دنا فتدلى
هو جبريل وانه هو الذي اوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم وكلام اكثر المفسرين من السلف يدل على
ان الذي اوحى هو الله اوحى لمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى
اليه بلا واسطة اي كلمه كلاما خفيا بلا واسطة من ملك او غيره والا فلا يلزم من الوحي الكلام لان
اثبات الاعم لا يوجب اثبات الاخص ونحوه عن الواسطي اي نقل قريب مما نقل عن جعفر عن
الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسرا ان
وما بعدها في محل جر بدل من هذا وحكى عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه عليه الصلوة والسلام

فقوله

فقوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي ليهدى روعك
يا محمد ادن ادن اي ليسكن نفسك فان نفسه الكريمة حين دنت من اسرار الملكوت ورات
عجائب الملا الاعلى اضطربت وتحركت فامره الله تعالى متلطفا به ان يسكن ليحصل له ما يروم
من جود الله تعالى وقوله ادن ادن امر من دنا يدنو اي قرب وسياتي ان ارادة المعنى الحقيقي للدنو
مستحيلة على الله تعالى فيحمل على ما يليق به في اخر الباب وقد احتجوا بجوازان يعود الضمير
الى من سبق من العلما والصحابة القائلين بان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه عز وجل وان يعود
الى العلما على الاطلاق مع ان الصحابة لم يقولوا بذلك الا بسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكتفوا بمجرد الاستنباط من الاية الكريمة لان مثل ذلك لا يتهجم عليه صحابي بلغ من الورع
والتقوى اعلى الذرى الا بما يسمعه بين يدي الله يوم ينبؤا الانسان بما قدم واخر في هذا اي
في ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه عز وجل شفاها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فقالوا في وجه الاحتجاج بالاية
هي اي اقسام الكلام المثبتة بعد نفي جميع ما عداها بما كان اي ما صح وما ينبغي ثلاثة اقسام
الاول منها الكلام من وراء حجاب بان يسمع الكلام من غير ان يرى ذاته المقدسة ولكنه بغير
واسطة كتكليم موسى عليه الصلاة والسلام فانه سمعه من الشجرة من الله تعالى اليه
من غير واسطة ملك ومن غير ان يرى ذاته المقدسة والقسم الثاني ان يكلمه بارسال
الملائكة اليه كحال جميع الانبيا اما مع روية الملك واما مع احتجابه فان بعض الانبيا
اوحى اليه ولم ير الملك كذا قيل واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان ياتيه في
اغلب الاوقات الملك اما في صورة رجل واما ان يكلمه مثل صلصلة الجرس واحترز بالاكثر
عن الاقل فان له مع هاتين الصورتين خمس صور اخر الاول ان ينفث في روعه الكلام
كما جا ان روح القدس نفث في روعي وهو بضم الرا القلب والخلد اي في نفسي وخلدي
وروح القدس هو جبريل وهذا الحديث رواه ابن ابي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث

وفي حديث انس في الاسرا نحو منه صح
متن اعظم الشارح

اي كتكليم الله موسى صح

ابن مسعود ولفظهما مختلف الثانية ان يترآى له جبريل في صورته التي خلقه الله عليها
له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت الثالثة ان يكلمه الله تعالى من وراء حجاب الرابعة
وحي اسرافيل كما ثبت عن عامر بن شراحيل الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم وكل به
اسرافيل فكان يترآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة ثم وكل به جبريل الخامسة الالهام
وعن الحليمي ان الوحي كان يأتيه على ستة واربعين نوعا الثالث من اقسام الكلام
قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وذلك لان قوله وحيا
معناه الكلام الخفي وهو شامل للقسمين لا ثالث لهما المشافهة والذي من وراء حجاب لكن
عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصصه بالاول وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في
قلب ~~الموحى~~ النبي دون واسطة واقول فيه نظر لان المتبادر من الكلام ما كان صفة قائمة
بذات الله تعالى وما يلقيه الله في القلب حادث يخلقه الله في القلب فلا يعد من اقسام هذا
الكلام فكيف يستثنى منه والاصل في الاستثناء الاتصال وحمله على الانقطاع مع مخالفته
للاصل لا يناسب ما عطف عليه وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما معقول
ذكر هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام ربه من الآية متعلق باوضح وهو المفضل
عليه فذكر اي البزار فيه اي في حديثه الذي اخرجه عن علي رضي الله عنه فقال هذا ابتدا المذكور
الملك بفتح اللام الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في
سائر كلمات الاذان اي باقيها مثل ذلك وقد تقدم في اول حديث الاسرا هذا الحديث مع ما
قيل في بدء الاذان بما لا مزيد عليه فقف عليه ان اردته ويجي الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا من بيان الحجاب وتوضيحه بطريق التاويل مع ما يشبهه من كل ما لا يجوز
ظاهره على الله تعالى في اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه اي اصطفاه من
انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد
عليه وكلامه تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام كائن حق مقطوع به نص على ذلك في الكتاب

العزيز

العزيز واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة وذلك لان قوله تعالى وكلم الله موسى يحتمل المجاز فاكده بالمصدر
لدفع توهم المجاز فان التاكيد يدفع هذا التوهم ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء الرابعة
بسبب كلام لكن بعد موته ومفارقة الدنيا ولم يرفعه في الدنيا بل كلمه وهو في الارض ورفع محمدا
فوق هذا كله وهو في هيكله البشري لم يفارقه حتى بلغ مستوى سمع فيه صريف الاقلام
وقد سبق شرحه في حديث الاسرا فكيف يستحيل في حق هذا اي من رفعه الله هذه
الرفعة وهو في هيكله البشري مرات متعددة على الصحيح تارة في النوم وتارة في اليقظة او يبعد
سماع الكلام اي سماعه لكلام رب العالمين كفاحا مشافهة مع ما انضم الى ذلك من الاحاديث
الصحيحة الصريحة في سماعه ورؤيته لرب العالمين فسبحان من خص من شاء بما شاء
ورفع بعضهم فوق بعض درجات هذا اقتباس من قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقوله منهم من كلم الله قال البيضاوي هو موسى
عليه الصلاة والسلام وقيل هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور
ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقوله ورفع بعضهم
درجات قال القاضي البيضاوي بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة
وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة
والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائقة للحصر والابهام
لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل هو ابراهيم
اذ خصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا
وقيل اولوا العزم من الرسل انتهى فصل واما ما ورد في حديث الاسرا دم
وظاهر الآية من الدنو والقرب بيان لما ورد من قوله من المتعيين دنى اي قرب جبريل
من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فتعلق جبريل به يعني انه عرج بالنبي صلى الله عليه
وسلم ولم ينفصل عن محل من سدرة المنتهى ففي ذلك تقرير لشدة قوته فان التدلي

استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة فكان قاب قوسين اي مقدارهما او ادنى من ذلك
فاكثر المفسرين ان الدنو اي على ان المدنو فحذف حرف الجر لان حذفه قبل ان مطرد والتدلي
ينقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام او مختص باحدهما من الاخر او
من السدرة المنتهى يعني الدنو والتدلي دائر بين محمد وجبريل محمد دنى وتدلى من جبريل
وجبريل دنى وتدلى من محمد وذلك ان جبريل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة
الادميين كما كان يأتي النبيين فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على
صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في
الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه اليه وهو تدلى جبريل اليه
وجعل يمسح الغبار عن وجهه واما في السما فعند سدرة المنتهى فحاصل ذلك ان كلا
من جبريل ومحمد دنا من صاحبه واما التدلي فجبريل تدلى من محمد صلى الله عليه وسلم
اما من الافق واما من سدرة المنتهى من مقامه وانا اقول يمكن ان يكون محمد صلى الله
عليه وسلم تدلى لجبريل كما ان جبريل تدلى له فجبريل تدلى له من الافق او من سدرة المنتهى ومحمد
تدلى من المقام المحمدي الى سدرة المنتهى فانه اعلى منها فعلى هذا ضمير دنى وتدلى لاحدهما
ويمكن عوده الى محمد صلى الله عليه وسلم خاصة والى جبريل خاصة واما اذا كان متعلق
دنى وتدلى السدرة فالضمير فيهما راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا ولا يعود
الى جبريل لان دنوه من السدرة امر معلوم بخلاف دنو محمد صلى الله عليه وسلم منها وقال الامام
فخر الدين الرازي صاحب المحصول والتفسير الكبير وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه
وسلم دنا من ربه فتدلى من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما
بمعنى واحد اي قرب فان قلت فما فائدة العطف حينئذ المشعر بالمغايرة قلت فائدته

كلام الشارح رحمه الله

التأكيد

التأكيد والاخبار عن قرب بليغ كانه قال قرب من ربه فقرب قربا اخر وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو اي فاعل دنا المضمر راجع الى الرب اي الرب دنا من محمد صلى الله
عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه بضم الحا وسكون الكاف وحكى النقاش عن الحسن
اي البصري قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء وراى
هنا بصرية وتعدت بسبب الهمزة الى مفعولين ولولاها لتعدت لواحد واول المفعولين
الضمير وثانيهما الموصول ويمكن ان تكون قلبية والمفعول الثالث محذوف اي اراه ما
شاء الله ظاهرا مشاهرا من قدرته وعظمته ان جعلت رأى قلبية فالامر ظاهر هو اي علم
ما شاء من قدرته وعظمته انفسهما بخلاف ما لو جعلت بصرية فالمراد بما اثار قدرته
وعظمته الكائنة في الملكوت الاعلى قال اي النقاش وقال ابن عباس هو اي الكلام
مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم الرفرف قيل هو المجالس وقال ابن عباس
فضول الفرش والبسط وقال الحسن هو البسط وقال ابن عيينة الزرابي
وابن كيسان هي المرافق وابو عبيدة هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب
الخضر يبسط وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض فهو رفرف مأخوذ من
رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر لتحريكه جناحيه وفي الخبر في وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط والمراد
بالرفرف فيما يقع لاهل الجنة شيء يكون مستقر الاولياء الله تعالى اذا استوى عليه
الولي رفرف به اي طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح والرفرف الذي استوى
عليه النبي صلى الله عليه وسلم اصل هذه الرفارف كلها وهو شيء بين يدي الله عز وجل فقد
روى في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ السدرة المنتهى جاءه
الرفرف فتناوله من جبريل فطار به الى سند العرش فذكر انه طار بي يخفضني
ويرفعني حتى وقف بي على ربي عز وجل ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا

ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبريل صلوات الله عليه وسلامه وجبريل يبكي ويرفع صوته
بالتمجيد فعلى هذا الرفرف خادم من الخدام بين يدي الله عز وجل له خواص الامور في محل الدنو
والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبيا مخصوصة بذلك والرفرف الذي سخره الله لاهل
الجنتين الدانيتين من هذا القبيل يرفرف باوليا الله على حافات تلك الانهار وشطوطها
حيث شا الى خيام ازواجهم الخيرات الحسان والحاصل ان تدلى الرفرف وقع اولا ثم رفع اي محمد
صلى الله عليه وسلم الى مقام فوق ما كان عليه مع جبريل فدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ثم
استشهد ابن عباس على ما فسر به الاية بمقالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات اي سماعها لبعدها بيني وبين ذوي
الاصوات والمراد بها اصوات الملائكة وزجلها بالتسبيح وسمعت كلام ربي مشافهة من غير
ان اسمعه من شي كشجرة ونحوها وعن انس اي روي عنه رواية كائنة في الصحيح اللام للعهد
اي صحيح البخاري وهو مذكور في حديث شريك الذي تكلمنا عليه وعلى ما اورد عليه فيما سبق
عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى وقد سبق هنا الكلام عليها بما لا مزيد عليه ودنا الجبار رب
العزة اي الغلبة والقوة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه
فتدلى اي زاد دنوه حتى كان محمد صلى الله عليه وسلم منه اي من الله عز وجل قاب قوسين او
ادنى اي قدرهما والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار والقوس هو ما
يرمى به وهو اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد
الصفا والعهد خرجا يقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل
واحد منهما عن صاحبه وقيل القوسان الذراعان والحاصل ان كان الدنو من جبريل فهو
على بابه وان كان من الله تعالى فالمراد تمثيل قربه من الله بهذا القرب الحسي فاوحى اي
الله عز وجل اليه اي الى محمد صلى الله عليه وسلم ما شا واوحى اليه خمسين صلاة اي فرضها
وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب القرظي هو اي الداني الذي تسب اليه الدنو في الاية

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد اي الصادق ادناه
ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن
العباد بالحدود وقال اي جعفر بن محمد ايضا اي كما قال اولا اما قال انقطعت الكيفية
عن الدنو اي عن دنو محمد من ربه فان الدنو من الامور الاضافية ولا يتعقل الا بتعقل الداني
والمدنو منه وتعقل الرب عز وجل محال فكيفية الدنو مجهولة الا ترى كيف حجب جبريل عن
دنوه فلم يدنه منه حتى جا الرفرف واخذه فلم يعلم جبريل ما جرى ودنا محمد الى ما اي الى حضرة
اودع فيها من المعرفة والايمان اي منح فيها معرفة زائدة على معرفته التي كانت ثابتة له
قبل ذلك وايمانا زائدا على ايمانه الذي كان اعطيه قبل ذلك بناء على ان التصديق يقبل الزيادة
والنقص وهو مذهب اكثر السلف فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب يعني ان المراد من قوله فتدلى زيادة التقريب الى حد سكن بعده الذعر والخوف
فان البشرية تنافي ما دنا اليه وما قرب منه فذكر انه سكن قلبه بعد الروع وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم الف جبريل وكان مطمئنا حين كان رفيقه بمقتضى الالف الذي بينه
وبينه فلما اختطفه الرفرف من جبريل وقع في قلبه شك في انه هل يريد الله به كرامة
او يريد به سواها هو شان كمل الانبيا فانهم لا يفارقون صفة الخوف من الله ومن مكره
وان كانوا اكمل خلق الله تعالى فلما وقف في تلك الحضرة التي وقع فيها التجلي التام وسمع
اشرف الكلام زالت عنه تلك الريبة واطمان وعلم ان مراد الله به محض الاجلال والانعام
ومزيد الطول والاكرام وليس المراد بالشك الشك في الاعتقادات والريب فيها فانها
عبارة لا يجوز ان تعزى لاحاد المومنين فضلا عن حبيب رب العالمين واكمل جميع
المخلوقين ولا يجوز ان يعتقد في جعفر بن محمد وهو من سادات اهل العلم والدين ان
ينسب الى جلالة سيد المرسلين انه كان في قلبه شك او ريب ثم زال ذلك الوقت فانها مقالة
موجبة للكفر واراقة الدم نسال الله ان يملا قلوبنا من تعظيم انبيائه قال القاضي ابو الفضل

رضي الله عنه اعلم ان ما وقع في اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله يعني انه وقع
منه فيما سبق انه اضاف الدنو والقرب الى الله تعالى اما بان يكون الدنو والقرب منه عز وجل
الى محمد صلى الله عليه وسلم او من محمد صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل وكلاهما بحسب معناهما
المتبادر محال عليه تعالى فلا جرم كان ذلك من المتشابه الذي جاءت به النصوص واشكل
حمل ظاهره على الله تعالى ومن البين ان للعلما فيه خلافا فمذهب السلف ان مراد الله
ورسوله منها غير ظاهرها ويجب تفويض معناها الى الله تعالى ولا يجوز الخوض في تفسيرها
ذاهبين الى وجوب الوقف على قوله تعالى الا الله بدليل ان الله قد ذم متبع المتشابه
بقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه مستدلين بسكوت الصحابة عن
تاويلها وهم اولى الناس بفهم كلام الله مع انه لم ينقل عن احد منهم الخوض وهذا امام كل من
انس رضي الله عنه امام دار الهجرة لما ساله سائل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
فقال الاستوا معلوم والكيف مجهول والسوال عنه بدعة اخرجوه من المسجد ومع
ذلك يتقيدون باللفظ الذي ورد حتى لا يجوز ترجمة لفظ ورد بالعربية بالفارسية
لان الترجمة انما هي للمعنى الحقيقي الذي وضع له واضع لغة العرب وهو غير مراد هنا
قطعا وهذا المذهب اسلم والتاويل اعلم اي احوج الى مزيد علم لانه يحتاج الى اللغة
والنحو والكلام والبلاغة ونحو ذلك ثم ان المصنف لما كان من الاشاعرة القائلين
بوجوب التاويل شرع في تاويل الدنو والقرب الواقعين في حديث الاسرا واتيه فقال
انه ليس بدنو مكان ولا بقرب مدى اي غاية بل هو كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو حد وانما دنو النبي من ربه عز وجل وقربه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى اي والقرب
اذا كان من الله عز وجل له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم مبرة وتانيس وبسط واكرام واعلم
ان الدنو والقرب قد وقع في كثير من الاحاديث والايات منها ما روي صفوان بن يحيى بن

بشارة عظيمة

محرز انه كان يماشي عبد الله بن عمر فقال له يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول في النجوى قال سمعته يقول يدنو المومن من ربه يوم القيمة حتى يضع الجبار
كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول رب اعرف فيقول عز وجل اني سترته
عليك في الدنيا واني اغفرها لك ويعطى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون
فينادى لهم على رؤس الاشهاد هولاء الذين كذبوا على الله فمعناه انه يقرب من رحمته
وكرامته وعطفه ولطفه وهذا سائغ في اللغة ان يقال فلان قريب من فلان ويراد به
قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده وعلى هذا يقال ان اوليا الله قريبون الى الله كما يقال
ان اعدا الله بعيدون من الله ويطلق القرب على علم الله عز وجل بظواهرهم وبواطنهم
وقدرته على اوائل امورهم واواخرها وعليه يتاول قوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا
تبصرون وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد لان ذلك يرجع الى القرب بمعنى العلم والقدرة
والسمع والبصر واما القرب بمعنى العزة والكرامة فكما في قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى واما قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فعلى التوسع قوله ويتاول فيه
ما يتاول في قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى السما الدنيا على احد الوجوه نزول
افضال واجمال وقبول واحسان يعني ان هذا الحديث مفتقر الى التاويل وتاويله
ان للنزول معاني منها الانتقال كما في قوله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا اي نقلناه
وصولنا منها الى الارض ومنها الاعلام كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك اي اعلم
به الروح الامين محمدا صلى الله عليه وسلم ومنها الاقبال على الشي كقولهم فلان نزل مكارم
الاخلاق ونزل الى سفسافها اي اقبل عليه وههنا اما ان يراد الاقبال على اهل الارض
بالرحمة والاستعطاف بالتذكير والتنبيه الذي يلقى في قلوب اهل الخير منهم من اسعادهم
بتوفيقه لطاعته حتى يزعجهم الى الخير والانكماش في القربة والاقبال على الطاعة
والاخبار عما يظهر من الطاف الله ورحمته ومعونته وتاييده لاهل ولايته في مثل

هذا الوقت بالزواجر التي يلقيها في نفوسهم والمواعظ التي يسمعها عليهم بقوة الترغيب والترهيب ويحتمل ان يكون المنادي ملكا بامر الله تعالى واسند النزول والندا اليه لانه صدر منه بامره تعالى كما يقال ضرب الامير اللص اذا ضربه الجلاد بامره واعلم ان ذكر النزول وقع في عدة احاديث فمنها ما في شرح السنة للبغوي عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اجتمع قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله في من عنده ثم قال ان الله تعالى يمهل حتى اذا كان ثلث الليل الاخير نزل الى هذه السما الدنيا فنادى فيقول هل من مذنب يتوب عليهم هل من مستغفر هل من داع هل من سائل الى الفجر ثم قال هذا حديث متفق على صحته وفي الباب ايضا عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ثم قال وهذا حديث متفق عليه وروي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث المذكور وزاد فيه ثم يبسط يديه تبارك وتعالى ويقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم وعن عائشة رضي الله عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فاذا هو بالبقيع فقال اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت انك اتيت بعض نسائك فقال ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب قال الواسطي من توهم اي وقع في وهمه اي ذهنه انه اي الله تعالى بنفسه دنا اي لا يريد دنو اللطف ومزيد الجود والكرم جعل ثم بفتح المثلثة اي هناك اي بين الله تعالى وبين محمد صلى الله عليه وسلم مسافة لان المتبادر من الدنو عند الاطلاق المعنى الحقيقي وهو قرب المسافة بين الجسمين بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ

لادنو

لادنو للحق ولا بعد لاقتضائهما المسافة المستحيلة على الله تعالى وقوله قاب قوسين او ادنى من جعل الضمير المستكن في قوله فكان قاب قوسين او ادنى عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول اعلم ان هذا بعض من حديث صحيح رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فيما يحكي عن ربه سبحانه قال الكبريا ردائي والعظمة ازاري ومن نازعني في واحد منهما قذفته في النار ومن اقترب مني شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب مني ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه والطيب ومن جاني يمشي جئته اهرول ومن جاني يهرول جئته سعيا ومعنى هذا الحديث قوله الكبريا الخ اي هما صفتان من صفاتي اختص بهما دون غيري ومعنى منازعة غيره له فيهما اتصافه بان يتكبر ويتعاظم وهذا كما تقول العرب فلان الزهد والعبادة شعاره ودثاره اي صفته وحده لا يشاركه فيه مشارك كما يختص الانسان بالردا والازار ومنه قول كثير عزة غمر الردا اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال و اما قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه من اراد البقا ولا بقاء فليخفف الردا وليباكر الغدا وليقل غشيان النسا فالمراد به الدين وقوله من تقرب مني شبرا الخ فهو اخبار بسرعة الاجابة لمن اطاعه ودعاه وتقرب اليه واراد بالاقتراب قرب المنزلة والحضور لديه لا قرب المسافة والمساحة فيكون من باب التمثيل او اخبار بسرعة الاتيان بالثواب فكانه قال من اتاني مسرعا بالطاعة اتيته مسرعا بالثواب اسرع من اتيانه ويحتمل ان يكون اخبارا عن زيادة الثواب على العمل كما ان الذراع

اكثر من الشبر والباع اكثر من الذراع والهرولة اسرع من المشي كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها وقوله ومن ذكرني الخ معناه من اطاعني مخلصا من الريا والنفاق اثبته ثوابا
خفيا كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقوله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه واستدل بظاهر هذا الحديث من فضل الملائكة على مطلب
البشر خواصهم كالانبيا وعوامهم كالاوليا وقد اجيب عن هذا الاستدلال بان خير الذي
الذي هو افعل التفضيل ليس صفة للملا بل هو صفة موصوف محذوف تقديره ذكره في
ملا يذكر خير من ذكره اياي ومن البين ان ذكر الله خير من ذكر العبد **فصل**
في ذكر تفضيله يوم القيمة بخصوص الكرامة اي بالكرامة التي اختص صلى الله عليه وسلم
بها ولم يشاركه فيها مشارك من الانبيا فاضافة خصوص الى الكرامة من اضافة الصفة
الى الموصوف **حدثنا القاضي ابو علي** هو الحافظ ابن سكرة **ثنا ابو الفضل** هو ابن خيرون
وابو الحسين هو المبارك بن عبد الجبار وفي نسخة ابو الحسن بغير تصغير والصواب ما في
هذه النسخة التي شرحنا عليها **حدثنا ابن يعلى** هو احمد بن عبد الواحد المعروف
بابن زوج الحرة **ثنا السنجي ثنا ابن محبوب** هو ابو العباس المحبوبي راوي جامع
الترمذي عنه **حدثنا الترمذي** هو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة صاحب الجامع
المشهور **حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي** هو المعروف بالطحان **ثنا عبد السلام بن حرب**
هو الفهري **عن ليث** هو ابن ابي سليم القرشي **عن الربيع بن انس عن انس** خادم النبي
صلى الله عليه وسلم **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا**
بعثوا اي اخرج من قبري قبل كل الناس عندما يبعث الله الناس من قبورهم فترد
اليه الحياة البشرية قبل كل الناس حتى انه يخرج قبل موسى عليه الصلوة والسلام على
الاصح وسنذكر تتمة شرح حديث موسى عليه الصلوة والسلام بعد ذلك **وانا خطيبهم**

اذا

اذا وفدوا اي قدموا على الله تعالى والمراد بالخطيب هنا المتكلم على رؤس الاشهاد بالثناء
على الله وكونه خطيبا دليل على افضليته على كل من حضر وعلى انه ولي امر يوم القيمة لانه
لا يخطب الا ولي الامرا ومنصوبه وعلى انه لم يثقله من هول يوم القيمة شي اصلا اذ كونه
خطيبا دليل على انشراح صدره وانفساح سره بحيث يكون عامة الانبيا مشغولين بهول
يومئذ وهو متقلب في انواع المسرات بحيث لا يخطب بهم غيره **وانا مبشرهم اذا ايسوا**
اي وقعوا في الياس من ادراك رحمة الله تعالى وهو القنوط فان ادركتهم هذه الحالة
اذهبها الله بمحمد صلى الله عليه وسلم بحيث يخبرهم بسعة رحمته وترادف الائه للمومنين
منهم وهو ادل دليل على انه المقرب عند الله العالم بما يريد ان يجريه على اهل ذلك الموقف
لوا الحمد بيدي اللوا الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش والمراد انه يشتهر بصفة الحمد
والثنا على الله تعالى لان الحامدين هم امته وهو نبيهم ولو اشتهر عليهم علامة تسمى
باللوا ولا مانع ان يكون لوا حسيا وقد ذكر الطبري في الرياض النضرة صفته وان
عليا يمسكه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يتبع لبغيته والعرب تضع اللواء
مكان الشهرة وفي الاخرة لكل متبوع لواء يعرف به ان كان قدوة حق او اسوة باطل
وفي الحديث امرؤ القيس حامل لوا الشعر يوم القيمة وفيه لكل غادر لوا يوم القيمة ولا
مقام اعلى وارفع من مقام الحمد ولما كان صلى الله عليه وسلم احمد الخلائق في الدنيا والاخرة
شق له من اسم الحمد واعطي لوا الحمد ليأوي الى لوائه الاولون والاخرون **وانا اكرم**
ولد ادم الولد هنا جمع لان الولد يستوي فيه المفرد والجمع **على ربه** الضمير لادم ويجوز
ان يعود الى الاكرم اي على رب ادم او رب الاكرم **ولا فخر** هو دعوى العظمة بما هو
خارج عن المدعي كالمال ونحوه وخبر لا محذوف اي لا فخر فيه بل نلت هذه الفضيلة
من فضل الله لا بسعيي فلا فخر لي بل الفضل لربي الذي اعطاني هذه المزية وانالني
هذه المرتبة فليس لي ان افتخر بما ليس بسعيي بل اخبرتكم تحدثا بنعمة الله تعالى

قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وفي رواية ابن زحر هو بزا مفتوحة ثم حا مهملة ساكنة
ثم را وهو عبيد الله بن زحر الافريقي العابد له ترجمة في الميزان عن الربيع بن انس في
لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا القائد هو
الذي يقود الجيوش ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قريش قادة ذادة والوفد هم القوم
الذين يجتمعون فيردون البلاد وانا خطيبهم اذا انصتوا اي سكتوا سكوت مستمع
وانا شفيعهم اذا حبسوا اي منعوا عن دخول الجنة فاشفع لهم حتى يدخلوها
وانا مبشرهم اذا ابلسوا اي اتصفوا بالابلاس وهو عدم الخير اي اذا وقع في نفوسهم
انهم صاروا في شر وعدم خير يبشرهم برضى الله ورحمته لوا الكرم اي رايته بيدي وانا
اكرم ولد ادم على ربه ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لولو مكنون اي مستور محفوظ
بكنه اي ستره لم تلمسه الايدي فاستمر على نضارته وبهائه وجا في احاديث اخر ان
للنبي صلى الله عليه وسلم من الخدم اكثر من ذلك وهذا الحديث لا ينافي ثبوت الاكثر لان الاقل
لا ينفي الاكثر وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة الحلة في الاصل من برود اليمن و لا
يسمى حلة حتى يكون ثوبين من جنس واحد ثم اطلقت على كل ما كان ثوبين من جنس
واحد سوا كان من برود اليمن او لا نقلا من الخاص الى العام وهو قليل فان الاكثر النقل
ما كان عاما الى الخاص ثم اقوم عن يمين العرش وهو اشرف مكان في ارض الموقف
وقوله ليس احد استيناف من قوله ثم اقوم كان سائلا سال وقال هل يختص ذلك
المقام به او يشاركه فيه احد فاجاب به من الخلائق جمع خليقة وهي الناس وجمعه باعتبار
القرون كلها كانه قال ليس احد من كل القرون امتي وغيرها يقوم ذلك المقام نصب على
الظرفية غيري صفة لاحد وجملة يقوم ذلك المقام خبر ليس وعن ابي سعيد هو الخدري
الصحابي المكرم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم يوم القيمة ظرف متعلق بسيد وتخصيصه بالذكر لان السيادة مسلمة له حينئذ

نقل الخاص الى العام وعكسه

سبحان الله ما احسن تكرار ذلك وربما عند قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر لمحرره

فان

فان قلت ما باله لما جاه رجل فقال له انت سيد قريش قال السيد هو الله تعالى وايضا
لما قالوا له انت سيدنا قال قولوا بقولكم اي ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله ولا تسموني
سيدا فقد كره بمقتضى ذلك ان يسمى سيدا قلت الذي كرهه ما وقع في افواههم انه من
سادة الدنيا ورؤسائها واما سيادة الناس يوم القيمة فهي في شان اخر فقاله اخبارا
عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عليه واعلاما
للامة ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله في بعض الروايات ولا
فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي
فليس لي ان افتخر بها وبيدي لوا الحمد اي ليس لواء الا بيدي لا بيد غيري فتقديم الخبر لافادة
الحصر ولا فخر اي لا فخر لي بكل من الفضيلتين من حيث نفسي فاني نلتها بمحض فضل الله تعالى
وما من نبي ادم فمن سواه بدل من نبي الا تحت لواي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا
فخر وتقدم شرح هذا الحديث وعن ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام انا سيد
ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع اي انا اول
من توجد منه الشفاعة واول من ياذن الله له فيها فان قلت اما يلزم من كونه اول من يوقع
الشفاعة ان يكون اول من ياذن الله له فيها قلت لا لجواز ان ياذن الله في الشفاعة لاثنين
معا او متعاقبا فيشفع الماذون له ثانيا قبل الماذون له اولا وما من نبي لا يخفى ان النكرة
اذا وقعت في سياق النفي افادت العموم ظاهرا الا ان ما لم تدخل عليها من الجارة الزائدة
لفظا او تقديرا فانها تكون حينئذ نصا في العموم كما هنا يومئذ ظرف لقوله تحت لواي
او مستقر على ان يكون صفة نبي اي نبي كائن يومئذ ادم فمن سواه بدل من نبي وذكر
ادم لانه اول الانبيا الا تحت لواي خبر لقوله نبي لان نبي مبتدا وسوغ الابتدا به مع كونه
نكرة وقوعه في سياق النفي وافادته للعموم وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
وعن ابي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من

يتشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنه انا حامل لوا الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة بفتح الحا واللام
ويجوز ان تكسر الحا كبدر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر قاله في القاموس
وليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او لغة ضعيفة فان قلت حلق اي باب من
ابواب الجنة يحركه صلى الله عليه وسلم هل يحرك حلق بابه او باب امته فانه قد صح ان له بابا
خاصا به ذكره الترمذي الحكيم يسمى باب الرحمة ويسمى ايضا باب محمد صلى الله عليه وسلم
ولامته ابواب متعددة يدخلونها على قدر اعمالهم قلت الظاهر بل الحق انه يحرك حلق
الكل اما بابه فلنفسه واما ابواب امته فلهم لقصور همتهم عن ان يحركوها علما منهم
بانها لا تفتح الا له فتفتح لي اتيانه بالفا مشعر بالتعقيب من غير مهلة فيقع الفتح بعد
تحريك الحلق من غير مهلة ولا تراخ فيلزم ان يكون اول من تفتح له وفي حديث الطبراني عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن
من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد ولا اقوم لاحد بعدك فهذا الحديث
يدل ان الخازن الكبير الذي هو رضوان لا يقوم لفتح باب الجنة لاحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم
ولا بعده وهو صريح في انه يسبق في فتح باب الجنة فادخلها كذلك الفا هنا مشعرة بان
دخولها عقب فتح الباب من غير تراخ ولا مهلة فلا يسبقه لدخولها احد وفي حديث
الدارقطني عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء
كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي فان قلت ما تقول في الحديث الذي
صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا
بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية
الا سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة قلت ج اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه
صلى الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعو الى الله عز وجل اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يديه

صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه يعلن بالاذان فتقدمه انما هو
كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهار لشرفه لا سبقا من بلال له صلى الله عليه وسلم قوله صلى الله ج ت
عليه وسلم ومعي فقرا المومنين اي الذين لا مال لهم ولا كسب او لهم كسب يقع موقعا من
كفايتهم ولا يكفيهم ليشمل المساكين فان اطلاق الفقرا يشمل المساكين غالبا وهو دليل على ان
الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر كما ذهب اليه الجمهور ومن ثم اختار ابو بكر رضي الله
عنه الخروج من صفات الاغنيا الشاكرين الى ان عد من الفقرا الصابرين بانفاق ماله كله
في سبيل الله تعالى فنال درجة انه اول من يدخل الجنة من هذه الامة فقد روى ابن ابي شيبة
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني
باب الجنة الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتى انظر اليه
فقال صلى الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل من امتي فان قلت قوله ومعي فقرا
المومنين جملة حالية والحال مقارنة لعاملها لا سيما ولفظة مع اشعرت بذلك اي شعور
فيلزم ان يقارن المومنون النبي صلى الله عليه وسلم في الدخول مع ان سبقه عليهم معلوم قلت لا
مانع من ان يقارنوه على انهم خدم له واتباع والتفاوت بين الداخلين معلوم ويجوز تخلفهم عنه
قليلا و يعد هذا مقارنة عرفا وانا اكرم الاولين والاخرين اي اعزهم واعلاهم مقاما عند
ج ت الله تعالى والمراد الاولين من الناس والاخرين منهم ولا فخر لي بذلك بل هو بمحض فضل الله تعالى
وعن انس انا اول اي قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اول الناس يشفع في الجنة وشفاعة
الناس بعضهم لبعض مقدمة على شفاعة الملائكة كجبريل والقران وكرب العرش جل جلاله
فانهم يشفعون ايضا لكن بعد شفاعة النوع الانساني لان المشفوع فيهم من نوعهم
فاقتضى ذلك الحنو والشفقة عليهم وقوله في الجنة اي في دخولها على حذف مضاف ويجوز ان
يكون ظرفا ليشفع اي ان شفاعتي كائنة في الجنة لانه جا في حديث الشفاعة انه صلى الله عليه وسلم

مطلب ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر

خبر ان من يدخلون من باب واحد عليه

حين يريد الشفاعة يوخل الجنة ويقع ساجدا فيقال له ارفع راسك محمد وقل يسمع واشفع تشفع **وانا اكثر الناس تبعا** اي تابعي على ديني اكثر من تابعي سائر النبيين وانما عد كثرة التابعين من نعم يوم القيمة لان كثرتهم تستلزم كثرة الاجور وذلك من مقتضيات الرفعة يومئذ فان قلت لم كانت اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اكثر من اتباع سائر النبيين قلت مع سريان انوار نبوته في الارواح وتجاذب القلوب الى تصديقه جعل الله معجزة من معجزاته مرئية مشاهدة للعيان مسموعة بالاذان وهي القران ولهذا رتب رجا كثرة الاتباع في حديث صحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا اوتي ما مثله علية امن البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا بخلاف معجزات غيره من الانبيا فانها غابت عن العيان وسر ذلك وروحه انتشاق الارواح من نسيم انواره في الازل ولم يغب ذلك الا عن ارواح الاشقيا اللهم اجعلنا من سعدا عبادك **وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس** اي احلمهم واعلمهم واعلاهم قدرا **يوم القيمة** لياتي سبب التقييد بيوم القيمة **وتدرون لم ذلك** اي وتدرون لم سبب ذلك حذفت همزة الاستفهام لان الكلام ظاهر في الاستفهام فكان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم هل يعلمون سبب ذلك اولا فحذفت همزة الاستفهام كما حذفت من قول الشاعر ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصا والتراب اي اتحبها فكانهم قالوا لا فافادهم صلى الله عليه وسلم السبب بقوله **يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة** ولم يذكر القاضي هنا تتمته مع ان فيها من بيان تفصيل يوم القيمة امورا كثيرة اكتفا بذكره في بحث الشفاعة لانه احص به مع انه احال عليه هنا **وعن ابي هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبيا اجرا** لا يخفى ان المعصوم لا يطمع في جناب الله الا في ما اطمعه الله فيه فان الطمع بغير مقتضى من الغرور الذي لا يليق بشان من وعقه الله فكيف بمن فضله الله على جميع الكائنات وانما كان اكثرهم اجرا لان له مثل اجر من تبعه

قوله سائلين سبب التقييد اقول عنه قوله ولا فخر وانا سيد الناس والتقييد حيث قال يعم القيمة مع ثبوت السود دله على الاطلاق لظهور ذلك وتسليم له في ذلك اليوم بحيث لا يبقى منكر الى اخر ما قاله بل تقدم لحديث الصادق فيما قبل ذكر السائل كاسمه السبب

بل تقييد ... ذكر ... التقييد بقوله صلى الله عليه وسلم ... ولد ادم يوم القيمة ... [illegible]

ولا يخفى ان تابعيه اكثر من تابعي سائر الانبيا مع تضعيف الحسنات لامته فيلزم تضعيفها له لان له اجرا من عمل بامره الى يوم القيمة **وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم** اي من جملتكم بان يكونا من امة محمد صلى الله عليه وسلم **يوم القيمة** وان لم يكونا منهم في الدنيا نعم عيسى عم من امة محمد صلى الله عليه وسلم في الدارين واما هنا فيجوز ان يكون حرف الاستفتاح بمنزلة الا ويكون ما بعدها خبرا فكانه اخبرهم بانكم ترضون بذلك ويجوز ان تكون مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والاستفهام انكاري يفيد نفي ما دخلت عليه ومدخولها ما النافية ونفي النفي اثبات فكانه قال ترضون بذلك وذلك بشارة عظيمة لهذه الامة لان هذين النبيين عليهما الصلاة والسلام لما رايا ما لهذه الامة من الفضل والثواب العظيم سالا الله ان يكونا من جملتهم **ثم قال انهما** اي عيسى وابرهيم **في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي** اي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك **وذريتي** اي فتكاثر له بذلك يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهها التبشير مع ان احد اسباب وجود النبي صلى الله عليه وسلم الحادية دعوة ابرهيم هذه ولما راى ابرهيم ما لهذه الامة من الماثر طلب ان يكون منهم بقوله **فاجعلني من امتك** ولا مانع من طلب الفاضل ما اعطي المفضول لان ابرهيم لا يخرج عن نبوته لكونه من هذه الامة فيجمع بين الصفتين **واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات** هو بفتح العين وتشديد اللام وفي اخرها تا ممدودة قال ابن قرقول والعلة الضرة واولاد العلات اولاد الضرائر من رجل واحد وهذا من باب التمثيل فكانه شبه الهيئة الحاصلة للانبيا بسبب اتفاقهم على اصل واحد وهو التوحيد واصول الدين وما يقع يوم القيمة وفي البرزخ واختلافهم في فروع الدين كان يحرم نبي ما احلته شريعة نبي اخر بالهيئة الحاصلة لاخوة ابوهم واحد وامهاتهم مختلفة بجامع ان الاختلاف في الامهات لا ينفي اصل الاخوة والاتحاد في النسب المعتد به كما ان الاختلاف في فروع الدين لا ينفي الاتفاق في اصوله التي هي

قوله ودينهم واحد ليس في بعض نسخ المتن ه

شتى صح

المعتبرة في الدين وقد اوضح بقوله امهاتهم ودينهم واحد فقوله صلى الله عليه وسلم بنو علات
استعارة تمثيلية تصريحية وقد قيل في سبب اولوية محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه الصلاة
والسلام تقاربهما في الزمن وبذلك تتم المناسبة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وكان
عيسى مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم فما كان باطنا لنبينا صار ظاهرا لعيسى كالزهد
وعدم الالتفات الى الدنيا وغير ذلك مما تكلم به العارفون بالله ولهذا بطنت نبوته
وصار من عداد امة محمد صلى الله عليه وسلم ويقرأ القرآن ويحكم بشريعته اذا كان
اخر الزمان وقد ذكروا ان الاخوة على ثلاثة اقسام بني علات وبني اخياف وبني اعيان
فبنو العلات تقدموا وبنو الاخياف الذين اتفقوا في الام واختلفوا في الاباء
وبنو الاعيان الذين اتفقوا في الجهتين وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا
اولى الناس به اي لانه لا واسطة بيني وبينه فحصلت المناسبة التامة بينهما فلهذا
كان اولى الناس به فان قلت قد ذكر الشيخ العارف بالله محي الدين بن عربي في كتاب
الفصوص نبيا بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم اسمه خالد بن سنان كان يسكن مع
قومه بلاد عدن فخرجت نار عظيمة من مغارة فاهلكت الزرع والضرع فالتجا اليه قومه فاخذ
خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة منه الى المغارة التي خرجت منها ثم قال
لاولاده اني ادخل المغارة خلف النار حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة
فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا ثلاثة ايام يخرج سالما فلما دخل صبروا
يومين واستفزهم الشيطان فلم يصبروا اتمام ثلاثة ايام فظنوا انه هلك فصاحوا فخرج
صلى الله عليه وسلم من المغارة وعلى راسه الم حصل من صياحهم فقال ضيعتموني
واضعتم قولي ووصيتي واخبرهم بموته وامرهم ان يقبروه ويرقبوه اربعين يوما
فانه يأتيهم قطيع من الغنم يقدمها حمار ابتر مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره ووقف
فلينبشوا عليه فانه يقوم ويخبرهم باحوال البرزخ والقبر عن يقين ورؤية

مبحث خالد بن سنان العبسي الذي هو نبي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم

فانتظروا

فانتظروا الاربعين يوما فجاء القطيع ويقدمه حمار ابتر ووقف حذاء قبره فهم مؤمنوا
قومه ان ينبشوا عليه فابى اولاده خوفا من العار لئلا يقال لهم اولاد المنبوش قبره
فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته واضاعوه فلما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاءته بنته فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه فهذا يدل
على وجود نبي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قلت المراد هنا نفي وجود نبي بينهما
مشرع بعث لتبليغ الاحكام وخالد ليس مشرعا وما ادعاه بعضهم من وجود
انبياء بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فلم يصح شيء من ذلك وكذا لم يصح ما قيل ان لقمان
كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قوله انا سيد الناس يوم القيمة هذا جواب
عن سؤال مقدر تقريره ان قوله صلى الله عليه وسلم يوم القيمة هذا الظرف اعني قوله يوم القيمة
اذا اعتبر بمفهومه يقتضي ان لا يكون سيدهم في غير القيمة مع انه سيدهم في الدارين وتقرير
الجواب ان يقال هو سيدهم في الدنيا ايضا كما هو سيدهم يوم القيمة ولكن اشار بتقييده
السودد بيوم القيمة الى انفراده فيه اي في يوم القيمة بالسودد والشفاعة في
الخلاص من هول الموقف وفي النجاة من جهنم وفي رفع الدرجات دون غيره اي ان غيره
من الانبياء وان شفع فلا يشفع كشفاعته لانفراده بالمقام المحمود الذي هو الشفاعة
العظمى التي يتبرأ منها نوح وابرهيم وغيرهما وينفرد هو بها من بينهم قائلا انا لها انا لها
اي لا غيري اذ لجأ الناس اليه اي لاذوا به واذ هنا ظرف لما مضى من الزمن وان
كانت القصة مستقبلة وعبر بها مع ذلك لتحقق الوقوع كانها مضت وجرت في ذلك
اي في الشفاعة ويمكن ان يكون لجأ بمعنى اضطر فان الناس لا يقصدونه الا اضطرارا
لياسهم من كل نبي غيره ولعدم الصبر على ما راوا من هول يومئذ فلم يجدوا سواه اي شافعا
غيره لان من عرف بالسودد يومئذ تبرأ منها والسيد هو الذي يلجأ اليه الناس في
حوائجهم لتقدمه عليهم في الفضل والكمال وفي النهاية الاثيرية والسيد يطلق على الرب

والمالك والشريف والفاضل والكريم والعليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس
والمقدم واصله من ساد يسود فاصله سيود اجتمعت الواو واليا في كلمة واحدة
والسابق ساكن قلبت الواو يا وادغمت فكان اي النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ اي
حين اذ لجا الناس اليه سيدا منفردا من بني البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه
ولا ينافيه تقدم ابرهيم عليه الصلاة والسلام في الكسوة فانه اول من يكسى ثم النبي
صلى الله عليه وسلم يكسى حلة هي ارقى واعلى واغلى والتقدم بها لانه عري في الله ولا
يلزم من نيل بعض الانبيا فضيلة واحدة ان تقدم على ذي الفضائل الجمة التي لا تقدر
الافكار على حصر كلياتها فضلا عن جزئياتها كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
يعني قوله النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة مشابه لقوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار في انه قيد اختصاص الملك بالله بذلك اليوم مع انه مختص به تعالى في الدارين
من غير مشارك والجواب عن هذا الاستصعاب ان الملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن
في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا يعني ان الله تعالى خلق في الدنيا
الاسباب والمسببات فرب مالك للدنيا ملكها بسبب من الاسباب والتعذ في ملكه
الى ذلك السبب وزعم انه ملك بقوته بسبب غلبة الجهل وخفا الحقائق فاذا قامت
الساعة ذهبت الاسباب وانجلت الحقائق على ما هي عليه في نفس الامر وعلم العبد
عين اليقين انه عبد وعلم ان الله هو المنفرد بالربوبية ليس له فيها مشارك
وانكشف الغطا بان غيره مملوك وليس بمالك فحينئذ انقطعت الدعاوي ولم
يبق احد بر ولا فاجر ولا مومن ولا كافر الملك الا لغيره تعالى وتقدس قبل ذلك او حل
وقوله لمن الملك الحكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر
الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط لما لا نطقت به حقيقة الحال
فانها ناطقة بذلك دائما ولذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة
العظمى

العظمى وهي في فصل القضاء
فكان سيدهم في الاخرة دون دعوى يعني ان الناس في الدنيا اقسام منهم المنكر للنبوة مطلقا
ويجعل الانبيا كسائر البشر ومنهم من يقربها وينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم المقر
بها ويوم القيمة تنحصر الشفاعة العظمى فيه بعد ان يعجز عنها غيره ويضطر اهل
الموقف اليه ويأتي اليه خواص من حضر في ذلك المحشر العظيم ذليلا طالبا اثار جاهه
العريض فيذهب ظلام الجهل من قلوب المبطلين المنازعين في انه افضل من دخل
تحت كلمة كن فيعترفون بالحق ولات حين انكار فتنقطع الدعاوي ويعرف جميع الخلق
بانه سيدهم بغير دفاع والكل بلا انتزاع هذا الحديث رواه مسلم وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح اي اطلب من خزنتها الفتح
فيقول الخازن اي الذي فوض اليه حفظ باب الجنة وهم جماعة كثيرون كما قال تعالى
وقال لهم خزنتها وفي الحديث المتفق على صحته قال رسول الله صلى الله عليه من انفق مطلب
زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اي قل هلم الحديث
والقائل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو الخازن الاعظم وهو رضوان عليه السلام
كما ان رئيس خزنة جهنم مالك من انت فاقول محمد اي انا محمد فيقول بك امرت
تقديم الجار والمجرور للاختصاص اي لم اومر بفتح الباب لاحد قبلك ويمكن ان يكون
المعنى بك امرت ان اقوم بنفسي لفتح باب الجنة له واما من سواك فيفتح له باقي الخزنة
لكمال الاعتنا بك ويدل عليه حديث اخرجه الخليلي في مشيخته عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يقرع باب الجنة فيقوم الخازن فيقول من
انت فاقول انا محمد فيقول اقوم فافتح لك ولم اقم لاحد قبلك ولا اقوم لاحد
بعدك لكن قوله في هذا الحديث لا افتح لاحد قبلك يدل على ان المامور به الخازن الاعظم
جعل النبي صلى الله عليه وسلم سابقا على كل احد في دخول الجنة وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما هذا الحديث اخرجه الشيخان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة

شهر اعلم ان ذكر احاديث الحوض فيما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من خصوص الكرامة في
يوم القيمة يدل على ان الحوض خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم وبه صرح القرطبي في شرح
مسلم لكن في الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واخرج ابن ابي الدنيا مرسلا
بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم
على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني
لارجو ان اكون اكثرهم تبعا فان صح ذلك فالمختص به نبينا صلى الله عليه وسلم الحوض
الاعظم الذي لا يقايس وايضا قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم حوضان احدهما في ارض
الموقف والثاني بعد الصراط وهو الذي يتشخب فيه ميزابان من الكوثر الذي هو
نهر في الجنة فهم وان شاركوه في ثبوت اصل الحوض لم لكن حوضه انفرد بكيفية
وكمية لا يشاركه فيها مشارك وزواياه سوا هذا يشعر بان شكله مربع لتعرضه ذكر
الطول والعرض وماوه ابيض من الورق فيه لغات اربع لغات كتف الثلث
الجارية في كل ما كان على وزن فعل ولم تكن عينه حرف حلق ككتف وكبد فان كان مع ذلك
عينه حرف حلق ففيه لغة رابعة ويجوز في هذا خاصة ورق كجبل وهي الفضة المضروبة
وابيض افعل تفضيل بني من الالوان على غير قياس والقياس اشد بياضا وريحه
اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما اي في العدد والكثرة بدليل ما جا في حديث البرا بن
عازب الذي اخرجه الطبراني في الاوسط حيث قال انيته عدد نجوم السما ويمكن ان
يكون وجه الشبه الاشراق والاضاءة اي انيته تضي كما تضي نجوم السما والاول اولى
لان المقصود بيان كثرة ساكنيه وان المشرب منه سهل التناول لا تكثير كثير الماطيب
الطعم والرائحة كثير الاواني مع كثرة العطش ووجود الدواعي جعلنا الله منه احوا قنا في
يوم العطش الاكبر من شرب منه لم يظما ابدا اما لان كان في مائه خاصية رفع اسباب
العطش وقطع دواعيه واما لان شربه يعقبه دخول الجنة بلا مهلة ولا تراخ ممن

اين

لان ما كان الجامع ابيض للبرلع

اين يأتي العطش وقوله لم يظما ابدا مما يستشكل حيث عبر بلم المفيدة لنفي الفعل في الماضي
والمقصود نفي ظماه في المستقبل بدليل تعبيره بابدا الموضوع لاستغراق الزمن
المستقبل ويمكن ان يقال مراده نفي الظما في الماضي اي كانه من لذة هذه الشربة لم
يذق ظما فيما مضى ونسي كل ما مضى له من الظما في الدنيا وفي عرصات القيمة حتى يصح
لم ولعله ان ينفى عنه الظما في الزمن الماضي واما ابدا المنافية لذلك فانها استعملت في
نفي الماضي كما ان عوض اختها تستعمل في ذلك كما نص عليها ابن مالك في تسهيله واما رواية
لن يظما ورواية لا يظما فلا اشكال فيهما وعن ابي ذر نحوه وقال اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحو رواية ابي هريرة فان حديث ابي ذر مروي في صحيح مسلم ولفظه قال ابو ذر قلت يا رسول
الله ما انية الحوض قال والذي نفسي بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السما وكواكبها
في الليلة المظلمة المصحية انية الجنة من شرب منها لم يظما اخر ما عليه يشخب فيه
ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظما عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماوه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعمان بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة
بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو صقع اي ناحية عند البحرين
وايلة هي بفتح الهمزة ثم مثناة ساكنة تحت ثم لام مفتوحة بلدة معروفة في طرف
الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ودمشق وبينها
وبين دمشق اثنتا عشرة مرحلة وبينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة
وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل قال ابو عبيدة مدينة من الشام فعمان في هذه الرواية
بتخفيف الميم وضم العين لان المراد بها فيها البلدة التي عند البحرين لكن جا في رواية
اخرى عرضه من مقامي الى عمان فذاك ضبطه صاحب النهاية بالتشديد الميم مع فتح
العين يشخب فيه ميزابان المشخب في الاصل ما خرج من تحت يد الحالب عند كل
غمزة وعصرة لضرع الشاة والمراد هنا السيلان الشديد من الجنة اي من نهر
الكوثر الذي هو ملك النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وعن ثوبان مثله وقال اي رسول

م ت

م ش

معرم

الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ثوبان احدهما اي احد الميزابين من ذهب والاخر من
ورق اي فضة وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا هي صنعاء
اليمن لا صنعا الروم وهي قرية في الجانب الغربي من دمشق في ناحية الربوة وقال
انس ايلة وصنعا وقال كما بين الكوفة والحجر الاسود فان قلت هذه مسافات
متفاوتة فبايها يعمل واضطراب الاحاديث من موجبات الرد قلت ليس مراد
واجب العصمة صلى الله عليه وسلم التحديد بل مراده تقرير مسافة عرضا وطولا
بالتقريب وهذه مسافات متقاربة وان تفاوتت وقال النووي ليس في
ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح
فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم
بالمسافة الطويلة والاعتماد على اطول المسافة وروى حديث الحوض ايضا
انس هو ابن مالك الانصاري خادم النبي صلى الله عليه وسلم اخرج حديثه مسلم
فان قلت تقدمت الاشارة الى رواية انس في قوله وقال انس ايلة وصنعاء
ولفظة ايضا تشعر بمغايرة ما بعدها قلت اشار هنا الى تعدد الطرق عن
انس فان حديثه رواه مسلم وروى عنه بسند اخر احمد واخر الترمذي واخر
الطبراني واخر البزار فلفظ ايضا اشارت الى تعدد الطرق عنه وجابر بن سمرة
هو ابن جناده السوائي الصحابي كابيه واخرج حديثه مسلم وجعل مسافته في
هذا الحديث كما بين صنعا وايلة وابن عمر هو عبد الله احد العبادلة ابن عمر بن الخطاب
روى حديثه الشيخان ومسافته فيه كما بين جربا واذرح قال في النهاية هما قريتان
بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليالي وقال في القاموس جربا قرية بجنب اذرح وغلط
من قال بينهما ثلاثة ايام فان قلت هذه مسافة قليلة جدا سيما قلنا بتفسير
صاحب النهاية ام لم نقل قلت هنا قد حذفه ابتدا المسافة فان جربا واذرحها

لم يضبط لفظ الحريتين فليحرر

نهاية

نهاية المسافة والتقدير بين المدينة وجربا واذرح كما جاء مصرحا به في رواية الدارقطني
فهي حينئذ متقاربة لما ورد في باقي الروايات وعقبة بن عامر هو الجهني الصحابي الكبير
الامير الشريف الفصيح المقري الفرضي الشاعر روى حديثه مسلم وذكر فيه مسافة ما
بين ايلة الى الجحفة اما ايلة فهي بلدة بين ينبع ومصر واما الجحفة فهي ميقات اهل الشام
للاحرام وكانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة وكانت تسمى مهيعة
فنزل بها بنو عبيل وكانوا اخوة عاد وكان اخرجهم العماليق من يثرب فجاء سيل
الجحاف فاجتحفهم فسميت الجحفة لذلك وحارثة بن وهب الخزاعي صحابي جليل منسوب
الى خزاعة اي حي من الازد سموا به لانهم تخزعوا اي تخلفوا عن قومهم واقاموا بمكة
والمستورد هو ابن شداد الفهري نزل الكوفة منسوب الى فهر قبيلة من قريش
وحديثهما رواه الشيخان وقرن المستورد بحارثة لان الشيخين روياه عنهما معا
ولفظ الحديث بعد سوق السند عن حارثة سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضه ما
بين صنعا والمدينة فقال له اي لحارثة المستورد الم تسمعه قال فيه الاواني قال لا
قال المستورد ترى فيه الانية مثل الكواكب وابو برزة الاسلمي هو نضلة بن عبيد الصحابي
الجليل وحديثه اخرجه ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وجعل فيه مسافة ما بين
ايلة الى صنعا مسيرة شهر وحذيفة بن اليمان هو العبسي ثم الاشهلي حليفهم
صاحب السر وحديثه اخرجه مسلم وابن ماجة ولفظه عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان حوضي ابعد من ايلة من عدن والذي نفسي بيده لانيته اكثر من
عدد النجوم ولهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل اني لاذود عنه الرجال كما
يذود الرجل الابل الغريبة عن حوضه قيل يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا
محجلين من اثر الوضوء ليست لاحد غيركم وابو امامة هو صدي بن عجلان ابو امامة
الباهلي من بقايا الصحابة وحديثه اخرجه الطبراني ولفظه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال حوضي كما بين عدن وعمان فيه اكاويب عدد نجوم السما من شرب منه لم يظما بعده ابدا
وان ممن يرده علي من امتي الشعثة روسهم الدنسة ثيابهم لا ينكحون المنعمات ولا يحضرون
السدد يعني ابواب السلطان الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم **وزيد**
ابن ارقم هو الخزرجي الصحابي الذي صدقه الله في شان عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق
غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة وحديثه اخرجه احمد بن حنبل والحاكم
وصححه ولفظه عن زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتم بجزء من مائة الف جزء
ممن يرد علي الحوض **وابن مسعود** هو عبد الله الصحابي الجليل اخرج حديثه الشيخان
بلفظ انا فرطكم على الحوض **وعبد الله بن زيد** الصحابي الذي اري في منامه الاذان
وحديثه اخرجه الشيخان بلفظ انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على
الحوض **وسهل بن سعد** هو الساعدي نسبة الى بني ساعدة قوم من الخزرج اليهم
تنسب السقيفة التي اجتمع فيها الصحابة يوم بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
والسقيفة صفة عليها سقف وحديثه اخرجه الشيخان **وسويد بن جبلة** قال
البرهان الحلبي قال الذهبي في تجريد الصحابة سويد بن جبلة الفزاري لا يصح له صحبة حديثه
مرسل وبعضهم يقول له صحبة لم يروله الاحديث واحد انتهى ووجدت مكتوبا على
هامش نسخة من الشفا مصححة ما لفظه لعله سويد بن غفلة وسويد بن جبلة
مختلف في صحبته له حديث واحد واقول لم اقف على حديث سويد بن جبلة هذا نعم
وقفت على حديث في الحوض اخرجه الماوردي وابن فتحون في الصحابة عن سويد بن
عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي اشربهم يوم القيمة **وابو بكر**
الصديق حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ورفيقه في الغار وروى حديثه
ابن ابي عاصم في السنة بلفظ انه ليرد على الحوض اكثر ممن بين صنعا واليه رفعه الى النبي
صلى الله عليه وسلم **وعمر بن الخطاب** صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ومعز الاسلام وروى حديثه

في الحوض

في الحوض ابو يعلى والبزار وروى له ابن ابي عاصم حديثا اخر **وابن بريدة** اعلم ان لبريدة
ابنين الاول سليمان والثاني عبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ان
يسرد ابين الصحابة وحديث ابن بريدة هذا رواه احمد في مسنده عن عبد الله بن بريدة
قال قد شك عبيد الله بن زياد في الحوض فارسل الى زيد بن ارقم فساله عن الحوض فحدثه
عن الحوض حديثا مونقا اعجبه فقال له سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا
ولكن حدثنيه اخي فلعل القاضي اراد بابن بريدة هذا قال البرهان الحلبي في شرحه ولعل
القاضي اراد بريدة فزيد عليه ابن مع اني لم ار لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض
في الكتب الستة ولا في المسند والله اعلم انتهى واقول وقفت على حديث اخرجه البزار
عن بريدة بدون ابن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الحوض فقال فيه اباريق عدد نجوم السما
وابو سعيد الخدري احد اصحاب الشجرة اسمه سعد بن مالك منسوب الى خدرة حي
من الانصار وروى حديثه في الحوض ابن ابي عاصم في السنة **وعبد الله الصنابحي**
بضم الصاد ثم نون وبا وحا مهملة منسوب الى صنابح وهو ابو بطن من العرب واعلم انه
وجد في نسخ الشفا هذا الاسم ولم اقف عليه وتتبعت فلم اجد في الصحابة من ينسب الى
هذا البطن سوى رجلين احدهما صفوان بن عسال الصنابحي والصنابح باسم الاحمر
جبلة ابن الاعسر الصنابحي نعم وجد في التابعين من اسمه عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي
ابو عبد الله قدم بعد خمس من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلعل اسمه التبس على القاضي
فجعله عبد الله وانما هو عبد الرحمن لكن يعكر علينا ذكره وهو تابعي بين الصحابة ولعله
لما كان تابعيا كبيرا ذكره بين الصحابة ويظهر لي ان هذا الحديث لم يرد كما قلنا الا عن صنابح
ابن الاعسر الصنابحي وقد اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انا فرطكم على الحوض فسماه القاضي عبد الله ولم يشتهر اسمه الا
صنابح باسم جبلة ولعله وقف على انه يسمى بعبد الله **وابو هريرة** اخرج حديثه مسلم عنه

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ابعد من ايلة الى عدن لهو اشد بياضا من
الثلج واحلى من العسل باللبن ولآنيته اكثر من عدد نجوم السما واني لاصد الناس عنه كما
يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله اتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما
ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثر الوضو **والبراء** هو ابن عازب
الانصاري ممن شهد احدا وحديثه في الحوض اخرجه الطبراني في الاوسط وليس فيه
زيادة على ما سبق **وجندب** هو ابن عبد الله بن سفيان البجلي الصحابي المكرم وفي
الصحابة من اسمه جندب غيره الا ان هذا هو المراد هنا منسوب الى بجلة ابي حي من
العرب وحديثه اخرجه الشيخان بلفظ انا فرطكم على الحوض **وعائشة** ام المومنين **واسما**
ذات النطاقين زوجة الزبير بن العوام **بنتا ابي بكر** الصديق رضي الله عنهم اما عائشة
فاخرج حديثها مسلم بلفظ اني على الحوض انتظر من يرد علي منكم واما اسما فاخرج حديثها
البخاري بلفظ قريب من لفظ حديث اختها **وابو بكرة** هو نفيع بن الحارث كناه النبي صلى
الله عليه وسلم بابي بكرة لانه تدلى ببكرة في الطائف من حصن حسين فيه ومنع من
الخروج الى النبي صلى الله عليه وسلم الا هكذا فكناه النبي صلى الله عليه وسلم به وكان من المعتزلين
يوم الجمل فلم يقاتل مع فريق منهما وحديثه في الحوض اخرجه ابن ابي شيبة والطبراني
بلفظ لم يزد على ما سبق **وخولة بنت قيس** بن فهد بن قيس الانصارية النجارية
وهي امراة حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخرج حديثها في ذلك
احمد بن حنبل في مسنده والطبراني ولفظه قالت خولة جانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فقلت يا رسول الله بلغني عنك ان لك يوم القيمة حوضا ما بين كذا الى كذا قال نعم
واحب الناس الي ان يروى منه قومك يعني الانصار **وغيرهم** كابي بن كعب واسامة بن
زيد وحذيفة بن اسيد وزيد بن ثابت وحمزة بن عبد المطلب والحسن بن علي بن
ابي طالب وسلمان وسمرة وابو الدردا وابن مسعود واحاديثهم في الطبراني واسيد بن

حضير

حضير في الصحيحين وابن عباس في البخاري وام سلمة في مسلم وجابر بن عبد الله وعبد الله
ابن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم في المسند ولقيط بن عامر في زيادات المسند
وخباب بن الارت في المستدرك وكعب بن عجرة في الترمذي والنسائي وبريدة في مسند
البزار وعتبة بن عبد والعرباض بن سارية في صحيح ابن حبان وعمر بن الخطاب في البعث
للبيهقي والنواس بن سمعان لابن ابي الدنيا وعثمان بن مظعون ذكره ابن كثير في تاريخه
وعبد الرحمن بن عوف ذكره ابن منده في مستخرجه ومعاذ بن جبل ذكره ابن القيم في حادي
الارواح **فصـــــل في تفضيله على غيره بالمحبة** اي بمحبة الله اياه **والخلة** اي
مخاللة الله اياه **جات بذلك** اي بانه حبيب الله وخليله **الاثار الصحيحة** جمع اثر وهو هنا
ما يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع كما هو اصطلاح المحدثين في اطلاق الاثر على ما يشمل
المرفوع والموقوف والمقطوع واما اطلاق الفقها الاثر على ما هو موقوف فقط فاصطلاح
لهم لم يوافقوا عليه فان قلت ما تقولون في ما في الجامع للخطيب من حديث عبد الرحيم بن
حبيب الفاريابي عن صالح بن بيان عن اسد بن سعيد الكوفي عن جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده مرفوعا ما جا عن الله تعالى فهو فريضة وما جا عني فهو حتم وفريضة وما
جا عن اصحابي فهو سنة وما جا عن اتباعهم فهو اثر وما جا عمن دونهم فهو بدعة فهذا
الخبر صريح في اختصاص الاثر بما جا عن اتباع الصحابة قلت لا يعول على هذا الخبر لانه
موضوع نص على وضعه العلامة حافظ الاسلام الشهاب بن حجر وتلميذه الشمس السخاوي
والفاريابي راوي الحديث مرمي بالوضع **واختص صلى الله عليه وسلم على العشرة المذكورين بحبيب الله**
مع مشاركته لابرهيم عليه الصلوة والسلام في الخلة **اخبرنا ابو القاسم** التكنية بابي القسم
مع نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مبنية على اختصاص النهي بزمن النبي صلى الله عليه
وسلم **ابرهيم الحطيب وغيره** وهو خلف بن ابرهيم بن خلف بن سعيد المقري المعروف
بابن النخاس **عن كريمة بنت احمد** هي المروزية سمعت صحيح البخاري من الكشميهني

الاثر

وسمعت زاهد بن احمد السرخسي كانت مجاورة بمكة وماتت وهي على مجاورتها حدثنا
ابو الهيثم هو الكشميهني وحدثنا حسين بن محمد هو الحافظ بن سكرة وهذا اسناد اخر للقاضي
للقاضي في هذا الحديث حدثنا القاضي ابو الوليد هو الباجي حدثنا عبد بن احمد هو ابو ذر
الهروي وابن احمد صفة لعبد وليس مضافا اليه عبد حدثنا ابو الهيثم هو الكشميهني
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري ثنا محمد بن اسماعيل هو البخاري ركن الاسلام
والملة ثنا عبد الله بن محمد هو المسندي حدثنا ابو عامر هو العقدي بفتح العين والقاف والدال
المهملة ثنا فليح هو ابن سليمان العدوي ثنا ابو النضر هو سالم بن ابي امية المدني عن بسر بن سعيد
هو العدل الزاهد عن ابي سعيد هو الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا
غير ربي خليلا مفعول ثان لمتخذ او غير مفعول اول له لاتخذت ابا بكر لا يخفى ان لو حرف مقتض
لامتناع ما يليه وهو جملة الشرط ثم ان لم يكن للجزا سبب الا الشرط لزم من امتناعه امتناعه
وان كان له سبب غيره فلا يلزم من امتناعه امتناعه فاتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خليلا
غير ربه امتنع فيلزم امتناع اتخاذ ابي بكر خليلا يعني انني لا اصرف محبة لاحد من خلق الله
تعالى الى حد الخلة بل ولا اجعل هذا الحد منها الا لربي عز وجل ولو فرض اني جعلتها
لغيره تعالى لكان احق الناس بها بل احق جميع الخلق بها ابا بكر الصديق لانه لم يسبقه اليه احد
معروفا كما سواه من الصحبة بالبدن وبذله بدنه في مرضات النبي صلى الله عليه وسلم لمشاهدة
ما جرى له ليلة الغار ومناضلته عنه في اماكن عديدة وصحبته في الهجرة وبذله كل ماله لله
تعالى في سبيله وطاعته وتزويجه ابنته وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها
مع التصديق القلبي الذي انفرد به فسمي بسببه صديقا فان قلت كان الاولى بالخلة
لولا اتخاذ ربه خليلا جبريل والانبيا السابقين كابرهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة
والسلام قلت لا يلزم فان المنن التي اسداها الصديق الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يسدها
اليه نبي ولا ملك وان كانوا في حد ذاتهم افضل والمنفعة التي جرت لهذا الدين على يديه

الصديق

الصديق لم تجر على يد غيره وهذا الحديث يكاد ان يكون صريحا في تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر على غيره وفي حديث اخر وان صاحبكم يعني نفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم خليل الله ومن
طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اورد هذين الحديثين لما فيهما من
التصريح بثبوت الخلة له من جانب الله تعالى فان الحديث الاول مشعر بثبوتها له من جانبه
لان مفهوم الاول لا اتخذ غير ربي خليلا لكن لا يلزم ان يكون الله تعالى اتخذه خليلا فاتى بهذين
الخبرين المصرحين بذلك فثبت انه اتخذ الله عز وجل خليلا والله اتخذه خليلا غير ان الحديث
الثاني منهما اصرح في اتخاذ الله اياه خليلا وعن ابن عباس اي فيما اخرجه الترمذي قال
جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه الجملة حال من ناس وصح وقوع
ناس ذا حال لتخصيصه بوصف كونهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اي ابن عباس
فخرج اي النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا دنا اي قرب منهم سمعهم يتذاكرون اي كل منهم يذكر
صاحبه ما عسى ان يكون نسيه حقيقة او حكما او كل منهم يذكر لصاحبه ما عنده من العجب
فسمع اي النبي صلى الله عليه وسلم حديثهم فقال بعضهم عجبا اي اعجب عجبا ان الله اتخذ
من خلقه خليلا اي محبوبا حبا بليغا فانه قلت العجب ادراك امر غريب واي غرابة في ذلك
قلت ان من دخل الرحمة عزة جناب الله عز وجل وقدوسيته تعجب واستبعد ان
يدنو البشر من حضرات قدسه هذا الدنو بحيث يصير خليلا له ولا يخفى ان معنى الخلة الحقيقي
مستحيل على الله تعالى لكن يجوز ان الله تعالى يرتضي من عبد من عباده ويكرمه اكرام
من اتخذه خليلا كما وقع لابرهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقال اخر ماذا باعجب نفي
للاعجبية ويجوز ان يساوي ما قبله في اصل العجب ويجوز ان يكون تكليم الله البشر اعجب
من اتخاذ خليل من جنس البشر من كلام الله موسى اي تكليمه اياه فان الكلام قد يكون
مصدرا او يعمل عمل الفعل قال الكامل عهدا وهي مصغيره لتشغيل قلت صحيح ذاك لو كان اه
كلمه الله تكليما استيناف يفيد تحقيق ما سبق ولا شك ان تكليم الله موسى اعجب من

البسيط

اتخذ الله ابرهيم خليلا لانه تجلى الله لموسى بصفة من صفاته الذاتية القديمة الازلية واعجب
من هذا بمراتب تجليه بذاته المقدسة لمحمد صلى الله عليه وسلم ورؤيته اياه اما بعيني راسه كما
هو المذهب المنصور او بقلبه كما قال الكثير من الفحول **وقال اخر فعيسى كلمة الله** سمي كلمة الله
تعالى لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه المبدعات التي هي عالم الامر **وروحه** سمي
روحا لانه ذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة وقيل لانه كان يحيي الموتى
وقال اخر فادم اصطفاه الله اي اختاره على العالمين وفضله حتى على الملائكة ولهذا اسجدهم
له **فخرج عليهم** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجماعة المتذاكرين **فسلم** بحضرة وجه **وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله** يجوز ان تكون الجملة مستانفة فكان سائلا سال ما قلنا
او ما تكلمنا به فاجاب بقوله ان الله وان تكون مقول قول محذوف اي قلتم ان الله **اتخذ
ابرهيم خليلا وهو** اي ما قلتموه **كذلك** اي ثابت في نفس الامر ومطابق للواقع **وموسى
نجي الله** النجي هو المناجي المخاطب المحدث للانسان يقال ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج
والنجي فعيل منه وفي الحديث لا يتناجى اثنان دون الثالث اي لا يتساران منفردين
عنه لان ذلك يسوءه **وهو** اي ما قلتموه في شان موسى **كذلك** اي مطابق للواقع **وعيسى
روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله** فاسجد له الملائكة **وهو كذلك الا** حرف
استفتاح يفيد تقوية الكلام الذي بعده وتحقيق الخبر الواقع تاليا له فكانه صلى الله عليه
وسلم فهم منهم الغفلة عن مقامه الشريف حيث ذكروا هولا الانبيا ولم يذكروه او عدم
العلم به فنبههم ببعض ما اعطاه الله تعالى من المقامات التي لم يشاركه فيها مشارك بقوله
الا **وانا حبيب الله** اي فلا اساوى بغيري فان من قاس الحبيب بالخليل فقد اخطا
فان الخليل مشتق من الخلة وهي الحاجة وهذا مقام لا يساوي المحبة من الله كما لا
يخفى **ولا فخر** اي لم اقصد بذلك الافتخار بل التحدث بالنعمة واعلام امته بما فرض الله تعالى
عليهم من اعتقاد افضليته على كل الخلائق والانبيا **وانا حامل لوا الحمد يوم القيمة**

ولا فخر

ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي هذه
الالفاظ تقدم عليها الكلام في الباب قبله بما لا مزيد عليه وفي حديث اخر **فيدخلنيها** بضم اليا
متعد الى مفعولين ليس ثانيهما عين الاول فيجوز في الثاني الفصل والوصل وهو المختار
خلافا لسيبويه فانه جعله لازما ويؤيد جواز الفصل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ملككم
اياهم ولو شا لملككم اياكم **ومعي فقرا المومنين** جملة حالية من المفعول الاول في يدخلني
وانما كانوا معه كرامة لهم ولان النبي صلى الله عليه وسلم اختار الفقر حين عرضت مفاتيح
خزائن الارض فاختار ان يجوع يوما ويشبع يوما وفيه دلالة على فضل الفقير الصابر
على الغني الشاكر **ولا فخر** اي لي بذلك بل اوتيته بمحض فضل الله تعالى **وانا اكرم الاولين
والاخرين** اي اصحاب مظاهر النبوة ومظاهر الولاية لانه في ما قبل ظهوره كانت تظهر
شمس النبوة الى ان ختم ظهورها وافلت هذه الشمس ثم بعد ان غاب عن عالم الحس
ظهرت شمس الولاية من مدده كل ولي على قدم نبي حتى عيسى والخضر فانهما الان وليان
ونبوتهما بطنت وليست الان الا من اوليا هذه الامة فهو اكمل الفريقين وخير القسمين
ومقتدى اصحاب المنهجين **ولا فخر** اي ليس تحدثي بذلك الا من باب التحدث بالنعمة
لا للفخر واظهار العظمة على من سواي **وفي حديث ابي هريرة** رواه البيهقي **من قول الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم** يعني انه ابا هريرة روى ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
مقالة طويلة وهذه المقالة منها **ان اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت محمد حبيب
الرحمن** وحاصل ما ذكر من الدلائل اثبات وصفي الخلة والمحبة لنبينا صلى الله عليه وسلم
لكن وصف المحبة لا يشاركه فيه احد ووصف الخلة شاركه فيه ابرهيم وقد اثبت
صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لنفسه في اخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام
فقال بعد حمد الله تعالى والثنا عليه عز اسمه انه قد كان لي فيكم اخوة واصدقا
واني ابرا الى الله تعالى ان اتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت

تقدم هذا قريبا

مطلب

بلغ مقابلته على خط المولف

ابابكر خليلا ان الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا او تيت البارحة مفاتيح خزاين
الارض والسما فكان ذلك تعريفا منه باكمل احواله واعلى مقاماته ثم ان الفرق بين خلة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلة ابرهيم عليه السلام ان خلة ابرهيم عليه الصلاة والسلام
كانت مستفادة من حيث الباطن من الخلة المحمدية الثابتة لحقيقة محمد صلى الله عليه
وسلم كنبوته بل نبوة جميع الانبيا وكمالاتهم ومن تحقق ان روحه صلى الله عليه وسلم
ابو الارواح جميعا لا يستغرب انه يكون كماله اصل جميع الكمالات فخلته ذاتية وخلة
غيره عرضية كنبوته فان غيره لا يكون نبيا الا عند الاتصاف بالوجود الشهادي وهو نبي
حال كونه في الغيب لان غيره مادام في الغيب محكوم بحكمه ولذلك كان جميعهم تحت عليه ع
لوايه ليطابق الاخر الاول ولذلك قال الخليل عليه السلام حين التجا الناس اليه
وقالوا اشفع لنا فانك خليل الله قال انما كنت خليلا من ورا وراء اي كنت خليلا
خارجا واما الخليل الخلة الذاتية فذاك غيري وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة اي تعريفها بما يوصل معناها الى الاذهان
ويميزها عما يشاركها ويلتبس بها كالمحبة واصل اشتقاقها اي ماخذها فانها يلاشك من
المعاني التي وقع فيها نقل عن اصل فقيل في تفسيرها الخليل اي من حيث خلته فان قلت
هو في صدد تفسير الخلة لا الخليل قلت اذا عرف معنى المشتق من حيث قيام
المشتق منه به عرف معنى المشتق منه بطريق المقايسة المنقطع الى الله اي الذي
انقطعت اماله من الناس وانتهت الى الله فكان هو منتهى غاية اماله الذي ليس
في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال اي نقص بل يكون صادقا مخلصا في ذلك نافيا عنه
صفتي الريا والعجب وقيل الخليل المختص اي خليل الشخص من اختص فلا يعرف
شيا منه لغيره فخليل الله من انفاسه لله وافعاله له واقواله له وحبه له وامالـه
فيه وحاجاته يرفعها اليه ليس الا واختار هذا القول غير واحد من الايمة وقال بعضهم

اصل

اصل الخلة الاستصفا اي خلوص المحبة والموده وتصفيتها من كدورات القطيعة
وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي اي يحب فيه اي في الله ويعادي فيه اي في الله
فيحب من اطاعه ويعادي من عصاه وخلة الله له نصره على معاديه كنمرود حيث نجاه
من ناره وجعله اماما لمن بعده اي بعد ان ابتلاه بكلمات واتمهن من عليه بان جعله
اماما يقتدي به من بعده فطمع ان يكون ذلك في كل ذريته فقال الله له لا ينال عهدي اي
الامامة الظالمون وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع فان قلت ما الفرق بين
هذا التفسير والتفسير الاول قلت الخليل على الاول لم يعتبر فيه الفقر بخلافه على الثاني ماخوذ
من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة اي الاحتياج الى الغير والفقر اليه والخصاصة وفي المثل
الخلة تدعو الى السلة اي الى السرقة ورجل خليل اي فقير معدوم واختل اليه احتاج
وفي الحديث اللهم ساد الخلة اي الحاجة اي جابرها وفي حديث الدعا للميت اللهم
اسد خلته واصلها التخلل بين الشيئين وهي الفرجة فسمي ابرهيم بها اي نعت بها
او المراد سمي بما اخذ منها وهو الخليل لانه قصر حاجته على ربه اي حبسها عليه ولم
يجاوزها الى غيره وانقطع اليه بهمه اي جعل همته منقطعة عن غيره ووصلها به تعالى
وتقدس ولم يجعله قبل غيره اي لم يجعل همه متوجها الى جهة غيره اذ ظرف متعلق
بيجعل اي لم يجعل همه متوجها الى جهة غيره وقت مجي جبريل وذلك وقت تراكم البلا
به ونزوله بساحته والنفس من شانها ان تتشبث في الشدايد باينا جنسها
او بكل من ينقذها وقد جاه جبريل وهو في المنجنيق هو بفتح الميم وبكسرها اله يرمى
بها الحجارة كالمنجنوق معرب فارسيتها من جي نيك اي ما اجودني ليرمى في النار اي نار
نمرود حين اوقدها نارا لينتصر لالهته كما حكى الله عنه حيث قال حرقوه وانصروا
الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فقال اي جبريل ابرهيم
الك حاجة قال اي ابرهيم اما الحاجة اليك فلا احتاج اليك لانك مخلوق مربوب

١٠

مثلي وانا لا احتاج الا الى الله تعالى ومقالة ابرهيم هذه رواها ابو نعيم في الحلية **وقال ابو بكر**
ابن فورك قال البرهان الحلبي فورك بضم الفا وواو ساكنة ثم را مفتوحة ثم كاف وهو
مصروف بالقلم في النسخة التي وقفت عليها الان وقد سبرتها من اولها الى اخرها فلم
اجد فيها مكانا فيه ابن فورك الا وقد صرفه بالقلم وفيه نظر فيما اظن لان فيه العلمية والعجمة
واقول ليس كل ما فيه العلمية والعجمة يكون ممنوعا من الصرف بل بشرط ان يكون مع ذلك علما
في العجمة وفورك استعملته العرب اسم جنس ثم ان العلمية طرات عليه بعد ذلك الا ترى
ان حيدرا اسم اعجمي ولو جعل علما لكان منصرفا مع اجتماع السببين فيه لانه لم ينقل من
العجمية الى العربية الا اسم جنس وطرو العلمية بعد ذلك لا يفيد **الخلة صفاء المودة**
التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار اي هي ان يود الخليل الخليل ودا خاصا
به لا يشاركه فيه احد او مع ذلك يتخلل الاسرار بالمودة ويكون ذلك الود صافيا ليس
مشوبا بشي من ريا او نفاق او مداهنة فمجموع ذلك يسمى بالخلة **وقال بعضهم اصل**
الخلة المحبة اي فهما مترادفان **ومعناها** اي المحبة الذي هو معنى الخلة ايضا باعتبار
الملاق على الله تعالى ليس هو المحبة البشرية الطبيعية اذ ذلك المعنى مستحيل على الله بل
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع فالاسعاف تسهيل الامور العسرة
والالطاف ارادة الخير بالعبد والترفيع اتمام واعلا المقام والتشفيع قبول شفاعة
المحبوب والاذن له فيها **وقد بين ذلك** اي كون محبوب الله ذا اسعاف والطاف
وترفيع وتشفيع الله تعالى **في كتابه العزيز بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا**
الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم قيل المضارع هنا بمعنى الماضي وعبر به لحكاية
الحال الماضية وتنبه من الاية دليل يسمى عندهم برهان الخلف تقريره لو كنتم ابناه
واحباه لما عذبكم بذنوبكم في الماضي بالمسخ والخسف لكنه عذبكم فلستم ابناه ولا
احباه لانه ينتج من استثنا نقيض التالي انتاج نقيض المقدم ويجوز ان يبقى

المضارع

المضارع على بابه والمراد انه يعذبكم بذنوبكم في الاخرة باعترافكم فانهم يقرون بان من عصى
الله منهم يعذب في الاخرة ولو كان محبوبا لله لما واخذه الله بذنبه كما غفر الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تاخر بل غفر الله لامته ما تقدم من ذنوبهم وما
تاخر فان قلت المشهور عن اليهود انهم جعلوا عزيرا ابن الله وعن النصارى انهم جعلوا
المسيح ابن الله فكيف نصت هذه الاية على ان الفريق كلهم جعلوا انفسهم ابناه واحباه
قلت كلا الامرين مشهور عنهم غير ان العلما اعتنوا بردّ كون النبيين المذكورين
ابنين لله لانه يلزم من ابطال كون هذين الكاملين ابنين له تعالى ابطال كون الذين
غيرهم الناقص ابنا له تعالى وتقدس وسبب وقوعهم في هذه الشبهة الشنيعة
انهم وجدوا في التورية يا ابنا [redacted] احباري فبدلوها بقولهم يا ابنا الكاري **وقال هذا**
اي هذا البعض **والخلة اقوى من البنوة** التي هي عبارة عن تولد شخص من اخر
لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا
يصح ان يكون عداوة مع خلة والحاصل ان الخلة والعداوة ضدان وهما لا يجتمعان وان
جاز ارتفاعهما وليس البنوة من حيث هي بنوة ضد العداوة بل هي وصف اخر يصاحب المحبة
غالبا بمقتضى الطبع البشري وقد تفارق المحبة لوازع كما اذا كان الاب مومنا والابن كافرا او
بالعكس فان استيلا سلطان الايمان على القلب يوجب ان يعادي المومن كل من اتى بما يناقض
الايمان كما هو مشاهد فقد عادى عبد الله بن عبد الله بن ابي ابن سلول اباه في الله تعالى
واراد قتله حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل زاعما لعنه الله
انه الاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب ثم كذب فان العزة لله ولرسوله
وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون **فاذا** اي بعد ان عرفت معنى الخلة بحسب الوضع
فلم سمي محمد وابرهيم صلى الله عليهما وسلم بالخليل فنقول **تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام**
قدم ابرهيم لانه ظهر اتصافه بالخلة قبل محمد صلى الله عليهما وسلم بالزمن وان كان محمد صلى الله

عليه وسلم اتصف بالخلة وبسائر الكمالات قبل سائر الكائنات في نفس الامر ولو قدم القاضي محمدا
صلى الله عليه وسلم لكان اولى لان خلة ابرهيم مكتسبة من خلة محمد صلى الله عليه وسلم امسا
بانقطاعهما الى الله تعالى اي بانقطاعهما عن التمسك بالكائنات ملتجئين الى الله تعالى وحرف
الانفصال اعني اما هنا لمنع الخلو للمنع لجمع والا فيجوز ان يكون اجتمع فيهما ما يوجب الخلة
جميع ما ذكر ووقف حوائجهما عليه اي جعلها لا تتجاوزه ولا تتعداه والانقطاع عمن هو
دونه من المخلوقين والاضراب عن الوسائط اي الاعراض عمن يجري الله على يديه الضر
والنفع فالمرء يرى له ادنى تاثير في ضر ولا نفع كما اقتضته الطبيعة البشرية من شهود
الوسائط فيرفع همته الى مالك الملك وحده لا شريك له والاسباب اي العادية والا
فالمومن لا يرى للكائنات سببا حقيقيا الا الله تعالى او لزيادة الاختصاص عطف على
قوله بانقطاعهما منه تعالى لهما اي لمحمد صلى وابرهيم صلى الله عليهما وسلم وخفي بالخاء المعجمة
ضد الظاهر ويجوز ان يكون بالحاء المهملة اي سريع الطافه بكسر الهمزة مصدر وبفتحها
جمع لطف وهو ارادة الخير بالعبد وما خالل بواطنهما من الاسرار الالاهية ومكنون
غيوبه اي مستورها ومعرفته والاستصفاء اي اختياره لهما من بين خلقه واستصفا
قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطها حب لغيره اي جعل قلوبهما صافية من كدورات حب السوا
وذلك لان القلوب جبلت في اصل خلقتها على حب مولاها وحبها لغيره انما هو من مولدات
الطبع البشري والخلق النفساني فهو كدورة محضة بخلاف حبها لمولاها فانه صفاء
تلك الكدورة ورجوع الى احسن تقويم ولهذا اي ولان الخلة الانقطاع عن السوى
والاعراض عن تاثير الغير قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر لكن اخوة الاسلام
يعني لو كنت اجعل قلبي متعلقا باحد تعلقا كليا بحيث لا يبقى فيه الا ذكر الاحد لكان
اللائق بهذا المقام والمستحق له من الكائنات ابا بكر بن ابي قحافة الصديق رضي الله عنه

لكن

لكن انا لا اتخذ احدا من الكائنات بهذه المنزلة ولا اتعلق باحد بهذا التعلق فلم اتخذ ابا بكر
خليلا وانما اتخذته اخا في الاسلام والصحبة واختلف العلما وارباب القلوب اي الباحثين
عن احوال القلب ايهما ارفع اي في جواب من سال وقال في سواله ايهما ارفع درجة الخلة
او درجة المحبة فجعلهما اي الدرجتين بعضهم سوا لا مزية لاحداهما على الاخرى فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكن خص في التسمية ابرهيم بالخلة مع انه حبيب ايضا
ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة مع انه خليل ايضا وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وحبه
الاحتجاج ان لو تفيد امتناع مدخولها وقد يلزم من امتناعه امتناع الجزا اذا كان لازما
مساويا والتقدير انا لا اتخذ خليلا غير ربي فلم اتخذ ابا بكر خليلا فانه فرد من افراد غير ربه
فامتنع ان يتخذ خليلا غير ربه على الاطلاق مع انه اتخذ حبيبا غير الله كاتخاذه لفاطمة
وحبه لابي بكر ولعائشة ولاسامة وللحسنين ولعمر بن الخطاب وغيرهم واكثرهم اي
اكثر العلما وارباب القلوب عددا وعلما جعل المحبة ارفع من الخلة واحتج بان درجة الحبيب
نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق
المحب ولكن هذا في حق من يصح منه الميل والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته
وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجاب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر ببصره فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به اعلم ان شواهد
القران والسنة متظاهرة على ان الله يحب بعض عباده فلابد من معرفة معنى هذه
المحبة اما محبة العبد لربه فهي حقيقة ليست بمجاز اذ هي في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس الى الشي الموافق والعشق عبارة عن هذا الميل باذا طاهو

قول بان هنا ايضا قال الشارح التوجيه فلو قدم بانه تقديم بني اسرائيهم عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا تفضيل والاعتذار عنه والمبالغة فيه لمحمد ومنه ابرهيم الى الحال

قوله وينظر ببصره وقع في ما عندي من النسخ مكانه وينظر اليه ببصيرته فاعلم ذلك

اخص من المحبة والله تعالى محسن جميل والاحسان والجمال موافق للنفس ولكن في
ادراك جماله ادراك البصيرة واما حب الله تعالى العبد فلا يتصور ان يكون بهذا
المعنى بل الاسما والصفات كلها اذا اطلقت عليه تعالى وعلى غيره لم تنطلق عليهما بمعنى
واحد حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاشيا اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق
على وجه واحد بل كل ما سواه تعالى فوجوده مستفاد من وجوده تعالى فوجود
التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما المساواة في اطلاق الاسم كاشتراك
الفرس والشجر في اسم الجسم وهذا التفاوت في سائر الاسما اظهر كالعلم
والارادة والقدرة وكل ذلك لا يشابه فيه الخالق للخلق ثم ان واضع اللغة انما
وضع هذه الاسما اولا للخلق فان الخلق اسبق للعقول والافهام من الخالق فكان
استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل فالمحبة في اصل الوضع
ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فانها تميل الى ما
يوافقها لتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال
وجمال وبهاء وجلال فهو حاضر فيه وحاصل بل واجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور
تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غير بل نظره الى ذاته
وافعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد
الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا
نفسه على معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه
وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما
ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن
قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل
فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا

العبد

العبد من سلوك طريق القرب كما قال ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفا باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله في درجة
القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى فهو معنى حبه وقوله في الحديث كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به اقول هذا قطعة من حديث
قدسي رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشي
احب الي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها وان سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت في شي
انا فاعله ترددي عن نفس المومن يكره الموت وانا اكره مساته فقوله من عادى لي
وليا اصله من عادى وليا لي فكان الجار والمجرور صفة وليا ثم بتقديمه انقلب حالا
والولي العبد المومن المواظب بالاخلاص على الطاعات المعرض عن الانهماك في
الشهوات وعادى صيغة فاعل اصلها ان تكون بين اثنين فعل احدهما بصاحبه
ما فعل الاخر به والبادي الفاعل فالمعاداة بدات من غير الولي للولي ويجوز ان يكون
الولي فعل العداوة مع الذي يراه بها والمراد اتخاذ الولي عدوا يفرح بمساته وينغم
لمسرته ويتمنى زوال نعمته فالغضب من علة نفسانية لا يصل الى هذا
الحد يجوز ان يفعل مع الولي كما وقع من التغاضب بين ابي بكر وعمر وبين عائشة وعلي
وبين سعيد بن المسيب وابيه وبين الحسن وابن سيرين وربما يقع بين رجلين
صالحين عداوة ونفرة لظنهما او ظن احدهما في صاحبه سوا كبغض علي لمعاوية ومعاوية
لعلي وبغض احمد بن حنبل للزعفراني صاحب الشافعي رضي الله تعالى عنهم وقوله فقد
اذنته بالحرب هذا من المجاز لانه ذكر الملزوم وهو الحرب واراد اللازم وهو الهلاك لان

من حارب الله محو هالك لا محالة وقوله ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل ان قيل
لاريب ان الفرض افضل من النفل فكيف لا ينتج محبة الله تعالى قلنا المراد من النوافل
المورثة محبة الله تعالى ما كان حاويا للفرائض ومكملا لها فكانه اتى بما اوجبه الله تعالى
وزاد بهذه النوافل ولهذا قيل من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن
الفرض فهو مغرور وقوله كنت سمعه تمثيل لتوليه امره واعتنائه بشانه او مشير
الى غنائه عن سمعه وبه فان هذه الاعضاء مجمع المساوي والخصال الذميمة فاذا كثرت طاعة
العبد استنارت مشاعره وتخلص من الخصال الذميمة وتلبس بالحميدة ولم يبق في
سمعه وبصره الا ما يرضي الله تعالى ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل
لي في سمعي نورا وفي بصري نورا الحديث وقيل غير ذلك وقوله ما ترددت الخ
قال الخطابي التردد في حق الله تعالى غير جائز والبدا عليه في الامور غير سائغ ولكن له
تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل
به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا
فيتردد ثم يبدو له فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله
قد كتب الفناء على خلقه واستاثر سبحانه بالبقاء الدائم الثاني ان يكون معناه ما رددت
رسلي في شيء انا فاعله كترديدي اياهم في نفس المومن كما روي في قصة موسى عليه
الصلوة والسلام وما كان من لطمه ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة
المعنى على الوجهين عطف الله تعالى على العبد المومن ولطفه به وشفقته عليه وقيل
كني بتردد الله عن ان الانسان جبل على بغض الموت فلا يزال العبد ينتقل من حال الى حال
الى ان يحبب الله اليه الموت فيميته على هذه الحالة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من
احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه **ولا ينبغي ان يفهم من
هذا الحديث سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله**

وصفا

**وصفا القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله
عنها كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط**
يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توكل اراداته في القران وفنيت مراداته فيه فهو
ياتمر باوامره وينتهي بنواهيه لا بل يغضب بغضبه ويرضى برضاه بحيث صار له
ذلك كالخلق لان اخلاقه الطبيعية اضمحلت وذهبت وصارت مرضيات القران ومسخطاته
هي خلقه ثم ان في قولها رضي الله عنها كان خلقه القران سرا كبيرا وعلما غامضا ما نطقت
بذلك الا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحي السماوي وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك ان النفوس مجبولة على
غرائز وطبائع هي من لوازمها وضروراتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت
من صلصال ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حما مسنون ومن صلصال كالفخار وبحسب
تلك الاصول التي هي مبادي تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية
والشيطانية والصفات الشيطنة في الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار
لدخول النار في الفخار وقد قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار والله تعالى بخفي لطفه وعظيم
عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل عليه ما ورد من حديث
حليمة بنت الحرث انها قالت في حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم مع اخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء اخوه يشتد فقال اخي القرشي
قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد
نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال يا بني ما شانك قال جاءني رجلان عليهما
ثياب بياض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان
فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا قد اصيب انطلقي بنا
فلنرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع امه الا به قد قدمنا

عليها قالت ما ردكما وقد كنتما حريصين عليه قلنا لا والله يا ظئر الا ان الله عز وجل قد ادى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الاتلاف والاحداث نرده الى اهله فقالت ما ذا بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان الا اخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا قط اخف منه فاريت بالنوم حين حملت به كانه خرج مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه مولود معتمدا على يديه رافعا راسه الى السماء فدعاه عنكما فبعد تطهير الله رسوله عن نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات واخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود امهات تلك الصفات في نفوس الامة بمزيد من الظلمة لتفاوت حال النبي وحال الامة فاستمدت تلك الصفات المبقاة بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزيل الايات المحكمات بازائها لتقمعها تاديبا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم رحمة خاصة له وعامة للامة موزعا نزول الايات على الانات والاوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفواد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات له ارتباط صالح بين القلب والنفس وعند كل اضطراب اية متضمنة لخلق صالح سني اما تصريحا او تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله سبحانه ليس لك من الامر شيء فاكتسى القلب النبوي لباس الاصطبار ووفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على ظهور الصفات في مختلف الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقران ليكون خلقه القران ويكون في ابقا تلك الصفات في

نفس

نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى من قوله عليه الصلوة والسلام انما انسى لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة استنزلت الايات لتاديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تتزكى نفوسهم وتتشرف اخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة عند الله فاذا اراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال عليه الصلاة والسلام انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وروي عنه عليه الصلاة والسلام ان لله تعالى مائة وبضعة عشر خلقا من اتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتحديدها لا يكون الا بوحي سماوي لمرسل ونبي والله تعالى ابرز الى الخلق اسماه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما اظهرها لهم ليدعوهم اليها ولولا ان الله تعالى اودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما ابرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشا ولا يبعد والله اعلم ان قول عايشة رضوان الله عليها خلقه القران فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالاهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله فعبرت المعنى بقولها كان خلقه القران استحيا من سبحات الجلال وستر الحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال ادبها وبين قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وبين قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مناسبة مشعرة بقول عايشة كان خلقه القران قال الجنيد رحمة الله عليه سمي خلقه عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله وقال الواسطي لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق ومن هذا عبر بعضهم عن الحالة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

هذان البيتان من بحر الخفيف ومعناهما انه يقول لمخاطبه انك دخلت في مسلك روحي فكما سلكت الروح التي بها حياتي من خلال جسدي تخللك داخل في ذلك الموضع بحيث استوليت علي وصرت معك كالشيء وجدت فكري ونظري وعملي وتوجهاتي كلها

لك فاذا تكلمت كنت انت حديثي فلا انطق الا بذكرك واحوالك وبما يوصلني الى رضائك
ويباعدني من عقابك وطردك واذا سكت ولم انطق كنت حبك وكان سكوتي على
اضمار محبتك فكنت بمنزلة حقوي وصفاتي التي اكنها في قلبي فان المراد بالغليل
هنا الضغائن والحقد ولا يستقيم المعنى الا على طريق الاستعارة والتشبيه فاذا ثبوت
الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار
الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى الباء زائدة في فاعل
كفى وزعم بعضهم انها للتعدية وان كفى بمعنى اكتف قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وجه الاستدلال بهذه الاية انها تدل على ان الله تعالى يحب نبيه صلى الله عليه
وسلم لانه من بها على من يتبعه فكيف لا يكون ثابتة له اذ لا يحب من اتبعه الا لمحبته
له حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه
حنانا اي نتعطف عليه ونحبه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
غيظا لهم نصب على انه مفعول له اي انزل الله ذلك ايقاعا لهم في الغيظ وهو غضب
كامن للعاجز ورغما على مقالتهم بفتح الراء ويجوز كسرها وضمها اي غضبا على مقالتهم
اي عليهم بسبب مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته اي طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرنها بطاعته اي طاعة الله تعالى
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وجه ارغامهم بها
انهم لما استنكفوا ان يتخذوه معتقدا لهم يتبركون به اخبرهم الله تعالى ان محمدا صلى الله
عليه وسلم اجل من ذلك واعلى من هذا المقام ودلت هذه الاية على انه نال مقامات
الاول ان طاعته قرينة طاعة الله تعالى فمن اطاعه اطاع الله الثاني ان من تولى
واعرض عنه كفر لانه قال فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ولا يخفى ان قوله فان
الله لا يحب الكافرين ليس مسببا عن توليهم بل هو من لواحق المسبب والتقدير فان

تولوا كفروا وصاروا بسبب التولي من الكفار ومن كان كافرا فالله تعالى لا يحبه وان عدم
المحبة بسبب الكفر لان الحكم اذا علق بمشتق اشعر بعلية المأخذ فصار التقدير ان من
اعرض عن طاعة الله ورسوله لا يحبه الله لكفره وليس لكفره الا بسبب الاعراض
فيؤخذ من مفهومه ان من لم يعرض بل اطاع الله ورسوله واتبع نبيه صلى الله
عليه وسلم يحبه الله فكان مفهومه موافقا لمنطوق قوله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض
المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول صفة لكلاما وفاعله ضمير مستكن
راجع الى كلاما جملة اشارته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منها
اي من الاشارات طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة
اخذا له من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى اقول في هذا الفرق نظر لانه ما
قاله ابرهيم عليه الصلوة والسلام ليس ليستدل حتى يصل فان الانبيا لا يجوز عليهم
الجهل بالله بل هم عارفون بالله منحة من الله تعالى من احتياج الى الاستدلال وما صنعه
ابرهيم انما كان للرد على قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب والاصنام فاراد ان
ينبههم على ضلالهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وقوله هذا ربي
ليس على ظاهره فان الانبيا خصوصا مثل ابرهيم معصومون عن ذلك قبل البعثة
وبعدها بل قاله على سبيل الوضع الذي يذكره علماء الجدل كانه يذكر المستدل مقالة الخصم
بعينها ثم يردها ويبطلها بالافساد ويمكن الجواب بان هذا الفرق انما يستقيم على
قول من قال ان هذه المقالة قالها قبل البلوغ وانه قالها مستدلا لا معتقدا وان
حاكيا فاستدل اولا على عدم الالهية الكوكب بافوله لان الانتقال والاحتجاب
بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية ثم تبرا اخرا مما يشركون به

من الاجرام الحادثة المحتاجة الى محدث لجوثها ومخصص لخصصها ثم توجه لعبد ذلك الى
موجدها ومبدعها بقوله اني وجهت وجهي الاية واما آية النجم فمبني ما قاله على ان النبي
صلى الله عليه وسلم رأى الله وان هذا القرب من الله لا من جبريل وقد تبق ذلك وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته اي مغفرة الله ذنبه في حد الطمع اي لم يجاوز الطمع والرجا
ولم تصل الى حد القطع والجزم اخذا لهذا الفرق من قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين اقول هذا الكلام صدر من خليل الله صلى الله عليه وسلم هضما
لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم
ما يفرط منهم والا فالواجب على الانبياء عليهم الصلوة والسلام انه يعتقدوا في
انفسهم ما يجب على الامة ان يعتقدوا فيهم فيجب على ابرهيم عليه وعلى نبينا افضل
الصلاة واتم السلام ان يعتقد في نفسه انه معصوم عن الذنوب وان وقع منه ذنب
فيجب عليه ان يعتقد انه مغفور له وحمل بعضهم الخطيئة على كلمات الثلاث التي
سماها في حديث الشفاعة كذبات وهي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله
عن سارة هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا والحبيب الذي مغفرته
في حد اليقين من قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر هذه مقالة لم يخاطب الله بها احدا الا محمدا صلى الله عليه وسلم فالذي خص به النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك البشارة به في الدنيا بحيث قطع وجزم ان الله راض عنه واخفى الله
الامر عن باقي الانبياء فلذلك لم يتجرا احد منهم يوم القيمة على مقام الشفاعة العظمى في فصل
القضاء ولما وجهوها اليه صلى الله عليه وسلم قالوا في علة توجيهها اليه بخصوصه انه عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما اطمان قلبه في شان نفسه وعلم ببشارة الله
له ان ذنبه مغفور وان الله تعالى واجهه بهذا الخطاب قبل خروجه من الدنيا التفت
الى مصلحة غيره فان قلت كان ينبغي ان يلتفت الى مصلحة امته فقط لانهم اتباعه ولم

يطمئن

يطمئن قلبه من جهتهم فما باله عمم في فصل القضاء امته وغيرهم قلت هو صلى الله عليه وسلم
لم يخرج من الدنيا حتى حصلت له الطمانينة من جهة نفسه ومن جهة امته بالنجاة
والسعادة الابدية ففي الترمذي عن انس رضي الله عنه قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد انزلت علي اية احب الي مما على وجه الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل
الله تعالى ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما
قال الترمذي حديث حسن صحيح والخليل قال ولا تخزني اي تعذبني بما تبقى على فرطات
صدرت مني وطلب من الله ذلك مع انه من الامنين لجواز التعذيب عقلا وقيل بتعذيب
ابيه وبعثه في عداد الضالين ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلقى ابرهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني انك لا تخزني يوم يبعثون
واي خزي اخزى من ان يقال ابو الابعد في النار ثم يقال يا ابرهيم ما تحت رجليك
فينظر فاذا هو بذيخ بالذال المعجمة المكسورة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء
معجمة ذكر الضباع يتمرغ في نتنه وفي رواية ايوب فيمسخ الله اباه ضبعا فياخذ
بانفه فيقول يا عبد الله ابوك هو فيقول لا وعزتك وفي حديث ابي سعيد فيحول
في صورة قبيحة وريح منتنة في صورة ضبعان فاذا راه تبرا منه والحكمة في مسخه
لتنفر نفس ابرهيم منه فيذهب الحنو الطبيعي منه ولئلا يبقى في النار على صورته
فيكون فيه غضاضة على ابرهيم وقيل الحكمة في ذلك ان الضبع من احمق الحيوان وآزر
كان من احمق البشر فان قلت ابرهيم عليه الصلوة والسلام كان من اعلم الناس بسنة
الله في عباده وكان قاطعا بان الله حرم الجنة على كل نفس كافرة فما باله سال الله ما
يمتنع قلت ادركته يوم القيمة رقة البشر على الاب حيث راه في هذه الصفة ثم لما

فيقول الله اني حرمت الجنة على الكافرين وفي رواية يلقى ابرهيم [illegible] وعلى وجهه غبرة وقترة [illegible] فيقول له ابرهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون صح

حفظ ابرهيم افندي والاشفاع [illegible]

مسخ وخرج عن طور البشرية ذهب عنه الم الرقة مع الوفا بوعيد الله تعالى ويستفاد من
قوله تعالى في حق حبيب الله صلى الله عليه وسلم يوم لا يخزي الله النبي ان ابوي النبي صلى
الله عليه وسلم في الجنة لا سيما وهما من اهل الفترة لم يريا ايات ابنهما صلى الله عليه وسلم
ولم يكذبا به فلا جرم انهما في عداد الداخلين الى النعيم المقيم مع جده عبد المطلب وقوله
يوم يبعثون اي العباد كلهم والحبيب قيل له اي في حقه يوم لا يخزي الله النبي فابتدى بالبشارة
قبل السوال فان قلت قد ذكر المفسرون ان المراد بالخزي المنفي العذاب وعدم تعذيب
النبي صلى الله عليه وسلم امر محقق فما فائدة هذه البشارة قلت الخزي المنفي اعم من العذاب
فيشمل العتاب ويشمل تعذيب الابوين بل الاقارب فان قلت ابو طالب عمه وهو
في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه قلت انقطعت الموالاة بينهما بسبب الكفر
كعمه ابي لهب فان ما بينهما من القرب النسبي قطعه كونهما حتى لو راهما صلى الله عليه
وسلم يومئذ لما ادركته عليهما رقة لان خلقه الكريم كخلق الله تعالى فيحب من احبه الله
ويبغض من ابغضه الله والقرب الطيني انما يفيد اذا اعتضد بالقرب الروحي وانا
اقول ان الخزي ماخوذ من الخزاة وهو الخجل والحيا والمراد بنفي الخزي عنه صلى الله
عليه وسلم نفي تعذيب احد من امته وان كانوا عصاة ما لم يكتسبوا موجبه وهو
الكفر والعياذ بالله ولهذا عطفهم عليه صريحا بقوله والذين امنوا معه فهذا صريح في
ان الله تعالى لا يدخل احدا من المومنين الى النار لان الله لا يخزيهم وقد قال تعالى ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته والخليل قال في المحنة اي حين القي في النار حسبي الله والحبيب
قيل له اي قال الله له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيمة وقد اجيبت دعوته فكل امة متمسكون
به تعظيما وقيل معناه صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعو
اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال القشيري اراد الدعا الحسن الى يوم القيمة فان زيادة

الثواب

الثواب مطلوبة لكل احد وقد فعل الله ذلك معه اذ ما من مصل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة التشهد الا وهو يصلي على ابرهيم حتى انها هي افضل كيفيات الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم عندنا وفي الاية دليل على انه يسن للانسان ان يعمل عملا
صالحا يكتسب الثنا من بعده اذا كانت النية صالحة وفي الحديث الصحيح اذا مات
ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اي اعلينا شانك اعلا بليغا فان قلت من اين التعيين
المبالغة قلت من التعيين بعد الابهام حيث قال اولا ورفعنا لك اي رفعنا لك شيئا
هائما ثم بينه بقوله ذكرك وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
جبريل عن هذه الاية فقال اذا ذكرت ذكرت معي وفي الاذان والاقامة والخطبة
وكل صلاة ولو ان عبدا عبد الله جهده ولم يشهد ان محمدا رسول الله كان كافرا خالدا
في جهنم وهذا دائم الى يوم القيمة فقد اعطي مضمون قوله واجعل لي لسان صدق في
الاخرين بغير سوال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي اجعلني واياهم في جانب
من عبادة الاصنام وهو طلب التبعيد عنها والمراد ببنيه معناه الحقيقي وهم الذين من
صلبه وكانوا ثمانية فما عبدها منهم احد ولا يتناول الاحفاد لان من احفاده
وذريته من عبدها والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اللام فيه للاستغراق
اي كل ذنب يوجب تدنيس عرضكم وهذه الجملة استيناف قصد به بيان سبب امرهم
ونهيهم فلذلك عبر فيه بالعموم المستفاد من قوله اهل البيت اذ ليس ذلك خاصا
بنسا النبي صلى الله عليه وسلم المسوق في احوالهن الاية ولا بالحسنين وابيهما وامهما كما
زعمت الشيعة بدليل قصة الكسا لان سياق الاية يخالفه بل الاية عامة وهي ابلغ
مما ناله ابرهيم عليه الصلوة والسلام لان ذاك تجنب عبادة الاصنام عن بنيه الذين
من صلبه وهذه الاية تجنب كل ذنب وهي عامة لكل اهل البيت من نسائه وولديه

للحسنين وامهما الزهرا وابيهما المرتضى رضي الله عنهم مع انه اعطى ذلك بلا سوال وفي ما ذكرنا
تنبيه على مقصد اصلي بهذا المقال من تفضيل العلمآ وهي الصفات الثابتة والاحوال وهي
الصفات الزايلة وكل يعمل على شاكلته اي طبيعته وعادته سميت شاكلة لانها تشاكل
المزاج اي تخالطه واقول غاية ما ذكره ابن فورك يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على
ابرهيم في جودانه من غير نظر الى ما جعله علة معنوية لذلك من تفضيل المحبة على
الخلة والحق ان الخلة اعلى واكمل من المحبة قال ابن قيم الجوزية الحنبلي واما ما يظنه
بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابرهيم خليل ومحمدا حبيب الله فمن
جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه ولو كان متخذه لكانت هذه
المرتبة لابي بكر الصديق رضي الله عنه مع انه قال حين سُئل من احب الناس
قال عائشة رضي الله عنها قال من الرجال قال ابوها فاثبت لابي بكر الحب ونفى عنه
الخلة ومثله اخباره بحبه لعمر بن الخطاب وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب
المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المتقين وان الخلة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم
اولا وبالذات وهو صاحبها بالاستحقاق والطبع وان خلة ابرهيم بطريق الخلافة عنه
والنيابة حين ظهر في زمنه وفي يوم القيمة يقول انما كنت خليلا من ورآ ورآ وهذا
هو الحق الذي ندين الله به وربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا والله اعلم **فصل**
في تفضيله اي حصول الفضل التام له **بالشفاعة** التي هي اعم من ان تكون خاصة به
او يشاركه فيها باقي الانبيآ فعطف قوله **والمقام المحمود** عليها من قبيل عطف الخاص
على العام لنكتة هي بيان شرف المقام المحمود على ان المقام المحمود شفاعة ايضا
في فصل القضا ويجوز ان يراد تفضيله على الانبيآ فيكون المراد بالشفاعة الشفاعة
المعهودة وهي العظمى التي لا يشاركه فيها مشارك وهي في فصل القضا ~~ويجوز ان~~

فعطف

مطلب ان الخلة اعلى واكمل من المحبة

بلغ

بلغ

فعطف قوله والمقام المحمود عليها عطف تفسيري وقد اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم على ثبوت
اصل الشفاعة وهي عند اهل السنة من الاشاعرة وغيرهم لاهل الكباير منهم في اسقاط
العقاب عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكباير من امتي فانه حديث صحيح
ولقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين اي ولذنب المومنين والاستغفار للذنب شفاعة
للمذنب وزعمت المعتزلة وقوعها لكن في زيادة الثواب لا للدرء العقاب لقوله
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها شفاعة وهي نكرة وقعت في سياق
النفي فعمت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره والضمير في منها راجع الى النفس التي وقعت
في سياق النفي ايضا والتقدير لا يقبل من كل نفس كل شفاعة واجاب الرازي في
تفسيره جوابا اجماليا مضمونه ان دلايلكم معشر المعتزلة في نفي الشفاعة عامة
ودلايلنا خاصة لانا لا نثبت الشفاعة لكل احد والخاص مقدم على العام قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي مقاما يحمده كل من عرفك والمشهور بل قال القرطبي
انه الاصح انه الشفاعة العظمى وانتصاب مقاما محمودا على الظرفية لفعل محذوف اي
فيقيمك مقاما محمودا او بتضمين يبعثك معناه ويجوز ان يكون على الحال اي ذا مقام
محمود اعلم ان للعلمآ في المقام المحمود اقوالا الاول انه الشفاعة العامة في فصل
القضا والشفاعة في اخراج المذنبين من النار الثاني اعطاوه لوا الحمد بيده
وتعقبه القرطبي بان هذا لا ينافي الاول الثالث حكى الطبري عن فرقة منهم مجاهد ان
الله تعالى يجلس محمدا معه على كرسيه وقيل على عرشه قاله الواحدي وهو قول
رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل على فساده
وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت الجالس والبارك فانبعث ويقال
بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد
وهو فاسد الثاني انه يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد

صلى الله عليه وسلم لكان محمودا ممتناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى عن ذلك علوا كبيرا
الثالث انه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع
القعود الرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح
مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا
قليل العقل عديم الدين انتهى كلام الواحدي واقول لا وجه لانكار الواحدي هذا القول
بل قال ابو داود منكر هذا القول متهم في دينه وذلك لان في النصوص المحكم والمتشابه
فانكاره لهذا القول ان كان من جهة نسبة الجلوس الى رب العزة جل ذكره فهو قد نسب
ذلك الى نفسه بقوله الرحمن على العرش استوى غايته ما في الباب ان ذلك بمعنى يليق
بجلاله وقدسه وكماله لا كاستوا الاجسام ولا كالجلوس المتبادر الى الاذهان فان
الله منزه عن ذلك ولكن ينسب اليه ذلك كما نسبه الى نفسه منزها عما لا يليق ولا ينبغي
لجلاله وان كان من جهة جلوس محمد صلى الله عليه وسلم على العرش فهذا ليس بمنكر ولا
ينكره الا متهم في دينه في بلوغ النبي صلى الله عليه وسلم اعلى ما يمكن من مقامات الرفعة
الجائزة على المخلوق وان كان بسبب قوله معه فلينكر قول آسية رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة وقوله ان الله مع الذين اتقوا وقوله انني معكما اسمع وارى
وحاصلها انها معية تنبئ عن مزيد الخصوص وكمال الاعتنا وتمام الكرامة مع تنزيه
الله تعالى عما لا يليق بجلاله وقدسه وكبريائه والقائل بهذا القول لم يفسر البعث
بالاجلاس وانما فسر المقام بالاجلاس فمعنى قوله يبعثك اي يخرجك من قبرك
ويحييك ويقيمك في مقام محمود اي ينزله منزلة محمودة ولا يلزم ان يكون ذلك
مقيدا بحالة القيام فلك ان تقول اقام الله فلانا في نصيحة العباد ودعواه
لزوم ان يكون الله تعالى محدودا متناهيا باطلة وانما يلزم لو اريد معنى الجلوس المتبادر
وليس هذا مرادا وانما قائل هذا القول مجاهد وامثاله وهم من كبار اهل السنة المنزهين

الله

الله عما لا يليق بقدسه وكبريائه ومثل هذه المقالة لا يتجرا عليها مجاهد الا بعد ثبوتها عن
واجب الصدق صلى الله عليه وسلم وحمل على لازم معناها المطابق وهو امتيازه صلى الله
عليه وسلم بمرتبة لا يشاركه فيها مشارك ثم استبعاد الواحدي ذلك بان قال مقاما
ولم يقل مقعدا اقول رذل لان المراد بالمقام الرتبة المعنوية والشرف الرتبي وليس
المراد به موضع القيام فيقال لمن جلس بجانب السلطان انه ذو مقام عال وهذا
امر يدرك بالبديهة واما الوجه الرابع من وجوه استبعاده فهو وجه غير معول
عليه لانه لم يفسر البعث بذلك وانما فسر المقام المحمود وقد سبق منا ما يفهم منه رده
القول الرابع انه اول من ينادى يوم القيمة حدثنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني
هذا الرجل من مشايخ القاضي ولم يسمع منه مع امكان ان يسمع منه لكونه عصريه والغساني
نسبة الى غسان وهو ابو قبيلة الازد سموا باسم ما نزلوا عليه والغساني الجميل
الصورة جدا والجياني نسبة الى جيان بجيم مفتوحة بعدها يا مشددة على زنة
شداد بلدة بالاندلس منها ايضا امام العربية الجمال ابن مالك صاحب التسهيل
والخلاصة وابو حيان شارح التسهيل فيما كتب الي بخطه اي اخبارا كائنا في ضمن
اشيا كتبها الي بخطه واعلم ان كتابة الشيخ بالحديث الى اخر نوع من انواع التحمل التي
اجازها العلما الرواية ويصير الحديث بها متصلا اسناده وقد اجاز الرواية بها قوم
كثيرون بل اكثر العلما على اجازتها منهم ايوب السختياني ومنصور والليث ومن
الشافعيين ابو المظفر السمعاني وجعلها اقوى من الاجازة وهو قول صاحب
المحصول وفي صحيح مسلم عشرة احاديث بالمكاتبة وفي كتاب الايمان والنذور
من صحيح البخاري وكتب الي محمد بن بشار ولا فرق بين ان يكون المكتوب اليه
حاضرا ام غائبا وبين ان يضم الى الكتابة الاجازة ام لم يضم فيجوز له ان يروي
بالكتابة الحديث ويكون متصلا بشرط ان يعرف خط الكاتب ويكتفي بمجرد ذلك

خ اجزنا

حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد ثنا محمد بن
يوسف هو الفربري ثنا محمد بن اسمعيل هو البخاري ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص
عن ادم بن علي ولا يخفى ان عنعنة البخاري متصلة لان البخاري ليس مدلسا قال
سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة الى اخره اعلم ان هذا حديث
رواه البخاري في التفسير موقوفا على ابن عمر وهو موقوف ظاهرا مرفوع حقيقة لان
ما جا عن الصحابة موقوفا عليهم ومثله لا يقال من قبل الراي وليس للاجتهاد فيه
مجال كحديث من اتى عرافا او ساحرا فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو محمول
على انه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم تحسينا للظن به فان قلت اما يجوز ان يكون
ذلك الصحابي سمعه من اهل الكتاب قلت لم تكن الصحابة في ما شاع من طريقتهم
يعتمدون اهل الكتاب في اخبارهم ولم يكونوا معولين عليها الا اذا وافقت خبر نبيهم
صلى الله عليه وسلم واما قوله صلى الله عليه وسلم حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج فمحمول
عن خبر عنهم وصل اليهم من نبينا صلى الله عليه وسلم فان قلت اما يجوز ان يكون سمعه
من صحابي اخر وهو سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قلت اذن هو مرسل صحابي وهو
في حكم المرفوع جثا بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة جمع جثوة بالضم وهو الشي
المجموع وتروى هذه اللفظة بضم الجيم وتشديد الثا جمع جاث وهو الذي يجلس
على ركبتيه اي يصيرون جماعات كل امة تتبع نبيها يقولون حال من ضمير تتبع
يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني بالمسؤل عنه قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي
انث الضمير الراجع الى المقام المحمود باعتبار الرتبة الشفاعة اي فيها للعهد اي
الشفاعة العظمى في فصل القضا او الشفاعة في اخراج المذنبين الذين

استوجبوا

استوجبوا النار منها وروي عن كعب بن مالك هو احد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة
تبوك وتاب الله عليهم بنص القران عنه عليه الصلوة والسلام قال يحشر الناس يوم
القيمة فاكون انا وامتي عطف على الضمير المستكن في اكون وقد اكد بالضمير المنفصل
ليصح العطف عليه على تل اي في مكان عال ليرتجي الله من زحمات الناس وما يلقاه
اهل الموقف من مشقات الزحام فيؤخذ منه امن هذه الامة من زحمة الناس
ويكسوني ربي حلة خضرا الحلة هي ثوبان احدهما فوق الاخر او ثوب واحد وبطانة
وكسوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابرهيم في الزمن لكنها اعلى من حلته في كيفيتها وبعدها
في الزمن لا يستلزم الافضلية فان ذلك يقع جبر الما عرى في الله حين القاه عدو
الله نمرود في النار ثم يؤذن لي اي ياذن الله لي فاقول ما شا الله ان اقول اي
في طلب الشفاعة من ربي وقيل في الثنا على ربي ويؤيده ما جا في رواية البخاري
فاحمده بمحامد يعلمنيها فذلك اي امنه وامن امته من زحمة الناس بوقوفهم على تل
وكسوة الحلة الخضرا والاذن لهم في الشفاعة المقام المحمود الواقع في اية الاسراء
وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة بسكون اللام
وفتحها الجنة اي بابها فيومئذ اي يوم ياخذ بحلقة الجنة ولهذا اقتصر على محل الشاهد
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وانما كان اخذه بحلقة باب الجنة مقاما
محمودا لازدحام الناس على باب الجنة مع انه مغلق والناس خارجون من هول
الموقف وكثرة الحسرات ومشقة الجواز على الصراط ففتح الباب له دون غيره مقام
عظيم لكن لا يخفى ان الحامدين له المسلمون فقط الذين استحقوا دخول الجنة واما م ش
الكفار فلا يكونون حاضري تلك الحالة لانهم القوا في النار قبل وصولهم الى باب الجنة
ويمكن ان يكون دخوله الى الجنة لاجل الشفاعة فان الجنة دار الرحمة فيدخلها
ليشفع ولا ترد شفاعته ولهذا استحب للداعي ان يتحرى اماكن الخير والارض

التي لم يعص الله تعالى عليها فيدعو ثم كما استحب العلماء للمستسقي الخروج الى الصحرا فانها
ارض قلت المعصية عليها وعن ابن مسعود عنه عليه الصلوة والسلام انه اي المقام
المحمود قيامه اي وقوفه قائما عن يمين العرش ويمكن ان يراد منه معنى الاقامة وهي
المكث في ذلك المكان فلا ينافي ذلك ما جاء انه صلى الله عليه وسلم يجلس على منبر عن
يمين العرش مقاما اي في مقام لا يقومه غيره ولهذا اخص بالامتنان به عليه
ولو لم يكن هذا المقام خاصا به لما كان للامتنان به عليه كبير فائدة يغبطه فيه
الاولون والاخرون الغبطة حسد خاص وهي ان تشتهي ان يكون لك مثل ما
للمغبوط مع تمنيك بقا نعمة الله تعالى عليه بخلاف الحسد المذموم فانه تمنيك مثل
ما للمحسود مع تمنيك زوال النعمة الله تعالى عنه فانه معصية وفي الحديث سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط يريد صلى الله
عليه وسلم ان الغبط لا يضر ضر الحسد وان ما يلحق الغابط ضرر بنقص الثواب
بخلاف الحسد فانه محبط للثواب بقدر ما يلحق العضاه من خبط ورقها الذي
هو دون قطعها واستيصالها ولانه يعود بعد الخبط فالغبط وان كان فيه طرف
من الاثم الا انه دون الحسد وهذا دليل على ان بعض الصفات النفسانية يعود
يوم القيمة وهو موجود في الملا الاعلى ولهذا الحق موسى عليه الصلاة والسلام
نفاسة لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا فقال ما قال وبكى عندما راى ما
راى كما تقدم والمراد من الاولين من كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الانبيا ء
والامم ومن الاخرين من كان بعده من الامم ونحوه عن كعب اي نظير هذا القول
وقريب منه روي عن كعب قال البرهان الحلبي هو كعب الاحبار واظنه
كعب بن مالك احد الثلاثة الذين خلفوا عن تبوك والحسن هو ابن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما سيد شباب اهل الجنة وفي رواية هو اي قيامه عن يمين العرش مقاما

لا يقوم

لا يقومه غيره ويجوز عود الضمير الى المقام المحمود الذي اشفع لامتي فيه ويمكن ان
يريد الشفاعة في فصل القضا وهي وان لم تكن خاصة بامته الا انهم المقصودون
وعليهم التعويل في امر الشفاعة وغيرهم يشفع فيه بالتبع لهم وهي المرادة بقوله
صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وخبات دعوتي شفاعة لامتي وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك
يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث لم يكمل المصنف الحديث مع انه في التكلم محل
التشاهد جريا على عادته من التحرج من الاحاديث المتشابهة وهذا لا يليق بجلالة
القاضي مع انه من جبال العلم والدين واي ضرر يضر المومن اذا وقف على حديث
متشابه مع علمه بتنزيه الله تعالى عما لا يليق به وبجلاله وقدسه ولو كان في
المتشابهات ضرر لما ذكرها الله تعالى في القران والامر في المتشابه معلوم مقرر في
كل الكتب الكلامية اما تاويله وهو احوج الى مزيد علم واما تفويض معناه الى الله تعالى
وهو مذهب السلف وهو اسلم واما هذا الحديث فقد رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده
ولفظه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل له ما المقام المحمود قال ذاك يوم
ينزل الله تعالى على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو يسعه
ما بين السما والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابرهيم فيقول صلى الله عليه وسلم
الله تعالى اكسوا خليلي فيوتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره
ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطني الاولون والاخرون قال البغوي في المصابيح هو غريب
ذكر تفسير ما اشكل من هذا الحديث لغة ومعنى اما الكرسي فهو جسم ثابت نطقت
به الاحاديث والقران وجاءت به الاثار لا ينكره الا ملحد او حكيم زنديق قيل هو فوق
العرش وقيل تحته وقيل بجانبه عن يمينه ففي تاريخ ابن عساكر عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرسي لؤلؤ والقلم لؤلؤ وطول القلم سبعمائة سنة

ولهو الكرسي حيث لا يعلمه العالمون وروى حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ابن مسعود
قال بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء الى بعده وبين الكرسي خمسمائة عام
وبين الكرسي والعرش خمسمائة عام والعرش فوق الما والله تعالى فوق العرش
يعلم ما انتم فيه وعليه وفي خبر ابن ابي حاتم ان الكرسي ملتصق بالعرش وان الما كله
في جوف الكرسي وفي حديث ابن جرير وابن مردويه وابي الشيخ عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في
ارض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة واخرج
ابن جرير عن الضحاك في الكرسيه التي توضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه
اقدامهم وفي المستدرك للحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكرسي موضع القدمين
والعرش لا يقدر احد قدره واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابي موسى الاشعري
قال الكرسي موضع القدمين وله اطيط كاطيط الرحل وقوله في الحديث فيئط
هو مضارع اط المدغم اذ اصله اطط واصل مضارعه يأطط من باب ضرب يضرب
نقلت كسرة الطا الاولى الى الهمزة قبلها ثم ادغمت الطا في الطا ومعنى يئط يصوت
كما يصوت الرحل الجديد يعني كور الناقة والغرل جمع اغرل وهو الاقلف الذي
لم يختن والربطة بكسر الرا بعدها مثناة ملاءة لم تلفق بلفقين بل هي قطعة
واحدة وظاهر هذا الحديث مشكل لانه من المتشابه التي اتت به السنة
الصحيحة فالاولى ان نؤمن به ونصدق بوقوعه كما اراده واجب الصدق صلى
الله عليه وسلم مع الاعتصام بالتنزيه لله تعالى عما لا يليق به ومن اوّل يقول ان نزوله
كناية عن تجلي اثار عظمته على الكرسي وظهور مملكته في حكم محسوس مشاهد
بلا حجاب بينه تعالى وبين عباده فيتضايق الكرسي عن احتمال ما يغشاه ويئن
انين الرحل الجديد وهذا على طريقة التمثيل وقوله من تضايقه به اي تضايق

الكرسي

الكرسي بالله اي بملائكته واثار جلالته وعظمته وهو يسعهم الى اخره اشارة
الى عظمة الكرسي ومع ذلك يضيق نطاقه بما يشاهد من عظمة الله تعالى فكيف بهذه
الاجسام الضعيفة وهذه الاجرام الضئيلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان
الكرسي وهو بهذه العظمة يصير به هكذا ومع ذلك فانا لا ارى من الله تعالى في ذلك الا
العز والرفعة بحيث اقوم في مقام لا يقوم فيه الا من هو عزيز عند الملك جليل لديه
وعبر عنه بقوله عن يمين الله تمثيلا لمزيد قربه وبهذا علم ان جواب النبي صلى الله عليه وسلم
مطابق للسؤال فانه اتى فيه بالجواب وزيادة فان قلت حكم البغوي على هذا
الحديث بانه غريب هل يقدح فيه قلت لا لان مجرد الغرابة في الحديث التي هي
عبارة عن كونه جا فردا من هذا الوجه لا يقضي بضعف الحديث وعن ابي موسى
هو الاشعري عنه عليه الصلاة والسلام قال خيرت اي خيرني الله تعالى بين ان
يدخل نصف امتي اي امة الاجابة الجنة وبين الشفاعة لهم هذه الشفاعة غير
الشفاعة في فصل القضا فان تلك لامته ولغيرهم واما هذه فانها شفاعة في
اناس مذنبين استوجبوا دخول النار بسبب غلبة سيئاتهم على حسناتهم
فاخترت الشفاعة على دخول نصف امتي الجنة لانها اي الشفاعة اعم في
المنفعة من دخول نصف امته الجنة ثم اقام دليلا على عمومها وكثرة منفعتها
بقوله اترونها الهمزة للاستفهام الانكاري اي اتظنونها اي لستم تظنون هذا
الظن للمتقين اي الذين اجتنبوا الكبائر بعد الاسلام والاصرار على الصغائر
وفي نسخة صحيحة من الشفا للمنقين من النقاء بالنون ثم القاف اي النقيين
من المعاصي الخالين من التلويث بها لا اي ليست كذلك او لا تظنوا ذلك
بنا على انها ناهية او لا تظنون ذلك بنا على انها نافية ولكنها للمذنبين الخطائين
اي الذين دابهم وحرفتهم الخطا والحاصل ان امته صلى الله عليه وسلم قسمان الاول

المتقون فهو لا دخولهم الجنة بمقتضى وعده الكريم بصفتهم التي اتصفوا بها ولا
يفتقرون بحسب الظاهر الى شفاعة شافع والثاني المذنبون وهم قسمان قسم
غلبت ذنوبهم على طاعتهم وقسم لم تغلب وكلهم تشمله شفاعة محمد صلى الله عليه
وسلم فبسبب شفاعته يدخل كل امته الى الجنة وهو اشمل من دخول نصفهم الا
وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك اي جاءك من عند الله من
عليها فقال شفاعتي لمن قال لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت اي اراني الله واطلعني
ما تلقى امتي من بعدي اي بعد موتي وخروجي من الدنيا وسفك بعضهم دماء
بعض فسبق لهم من الله اي قضى الله عليهم في سابق الازل قبل خلقهم وايجادهم
ما سبق في علمه وقضائه للامم قبلهم فسالت الله تعالى ان يوتيني شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل قال حذيفة هو ابن اليمان الصحابي صاحب السر فهذا الحديث
موقوف صورة مرفوع حقيقة لان مثله ليس للراي فيه مجال فالصحابي لم يقله
الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس ان قلنا بشموله الناس للجن
فيكون تخصيص الثقلين بالذكر لانهم المكلفون وان قلنا بتخصيصه بالانس
فذكرهم مع ان الله يجمع يومئذ الجن والبهائم وكل ذي روح ايضا لكونهم اشرف
من حضر في ذلك الموقف في صعيد واحد اي ارض واحدة حيث يسمعهم الداعي
مضارع اسمع فهو بضم اليا وينفذهم البصر بفتح اليا مضارع نفذ مختوم بذال
معجمة من نفذ السهم مرماه اذا جاوزه وعداه اي يجاوزهم البصر يقال نفذني
بصره اذا جاوزني وبلغني وانفذت القوم اذا خرقتهم ومشيت في وسطهم
فان جزتهم حتى تخلفهم قلت نفذتهم بلا الف وقيل بالالف قيل المراد ينفذهم
بصر الرحمن حتى ياتي عليهم كلهم وفيه نظر لانه لا ميزة لذلك اليوم في ذلك فان بصر

الرحمن

الرحمن عز وجل محيط بهم ذكر اليوم وغيره وفي النهاية الاثيرية وحمل الحديث على
بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان الله تعالى وتقدس يجمع الناس يوم القيمة في ارض
يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده ويرون ما يصير اليه انتهى
ويجوز ان يكون مضارع نفد بالدال المهملة ماخوذ من نفد المال اذا استغرقه مالكه في
الانفاق اي يستغرقهم البصر في الاحاطة ولا يترك منهم احدا الا ويحيط به حفاة
يجوز ان يكون جمع حاف وهو المتصف بالحفا بالمد وهو الذي يمشي بلا نعل ولا
خف وان كانت رجلاه سالمتين من ضرر المشي بدونهما وان يكون جمع حف وهو
المتصف بالحفى بالقصر وهو الذي رق جلد قدميه او حافره من كثرة المشي لكن بقرينة
ضمه الى العراة تتايد ارادة الاول عراة جمع عار اي لا ثياب عليهم فان قلت هذا
مناف لما اخرجه ابو داود عن ابي سعيد الخدري انه لما احتضر دعا بثياب جدد
فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الميت يبعث في ثيابه
التي يموت فيها واخرج ابن ابي الدنيا بسند حسن عن معاذ بن جبل انه دفن
امه فامر بها فكفنت في ثياب جدد وقال احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون
فيها قلت حمل هذه الاحاديث على ثياب الشهيد التي قتل فيها وان ابا سعيد سمع
الحديث في الشهيد فحمله على العموم وقال البيهقي يجمع بان بعضهم يحشر عاريا
وبعضهم بثيابه او يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم
عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة قال وبعضهم حمل الحديث ان الميت يبعث في
ثيابه على العمل الصالح لقوله ولباس التقوى ذلك خير بسكوتا لا تكلم نفس الا باذنه
اصله تتكلم بتائين فحذف احدى التائين تخفيفا وفيه حذف والتقدير لا تتكلم في يوم
القيمة نفس الا باذنه وفيه من حسن الكلام لانهم ملجؤن الى ترك القبيح
وقيل المعنى لا تتكلم بحجة ولا شفاعة الا باذنه وقيل ان لهم في الموقف وقتا

يشعون فيه من الكلام الا باذنه فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى واقبل
بعضهم على بعض يتلاومون وقال سبحانه في موضع اخر يوم تاتي كل نفس تجادل عن
نفسها قلت ما ورد من نفي الكلام انما هو بالنسبة الى بعض المواضع او بالنسبة
الى بعض الكلام كاقامة الحجة وامكان العذر عما وقع منهم وما ورد من اثباته فانما
هو بالنسبة الى الاعتراف بذنوبهم ونحو ذلك فينادى محمد يجوز في محمد الرفع بالضم
والتنوين على انه نائب الفاعل لينادى ويجوز فيه ان يكون مبنيا على الضم لانه
منادى مفرد معرفة وحرف النداء محذوف على حد يوسف اعرض عن هذا وقوله
محمد تقول نفسك كل نفس ٥ اذا ما خفت من امر تبالا ٥ ونائب الفاعل ضمير مستتر يرجع
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ
واعاد الضمير اليه مع انه لم يسبق له ذكر لانه معلوم مشهور ويجوز ان يكون نائب الفاعل
المصدر المستفاد من الفعل اي ينادى النداء فان قلت اي الوجهين اولى قلت
الثاني لانه يبين كيفية النداء ولانه يكون استينافا والكلام على تقديره يكون
جملتين الثانية منهما مستانفة استينافا بيانيا وهو مشعر بتقدير سؤال نشا
من الاولى وهذا له عند علماء البلاغة وقع عظيم وهو قريب من ترجيح قراءة يسبح
له فيها بالغدو والاصال رجال ببناء يسبح للمفعول على قراءة يسبح له ببنائه للفاعل
فيقول اي محمد صلى الله عليه وسلم في اجابة النداء لبيك هو من التلبية وهي اجابة المنادى
اي اجابتي لك يا رب ماخوذ من لب بالمكان والب اذا اقام به والب على كذا اذا لم
يفارقه ولم يستعمل الا على لفظ التثنية في معنى التكرير اي اجابة بعد اجابة منصوب
على المصدر بعامل لا يظهر كانك قلت الب البابا بعد الباب والتلبية من لبيك كالتهليل
من لا اله الا الله وقيل معناه اتجاهي اليك وقصدي يا رب من قولهم داري تلب دارك
اي تواجهها وقيل معناه اخلاصي لك من قولهم حسب لباب اذا كان خالصا محضا

ومنه

الكلام على لبيك وسعديك وسياتي الكلام عليهما في اول الجز الذي بعد هذا المجلد فراجعه

ومنه لب الطعام ولبابه وسعديك اي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة واسعادا
بعد اسعاد ولهذا لزم التثنية وهو من المصادر المنصوبة بفعل لا يظهر والخير في يديك
اي انت مالك ملكا تاما حقيقيا لكل فرد فرد من افراد الخير عملا وثوابا خلقا وايجادا
وايصالا والشر ليس اليك اي لا يليق نسبته اليك ادبا لا اعتقادا والا ففي الحقيقة
الله تبارك وتعالى خالق الخير والشر فكل منهما بمحض خلقه وايجاده وارادته لكن الخير
وجد مع ذلك برضاه ومحبته والشر ليس برضاه ومحبته خلافا للمعتزلة في ذلك
ودليلنا ودليلهم مذكوران في الكتب الكلامية والمهتدي اي الموفق الى الايمان
والطاعة من هديت اي وفقته وخلقت فيه التوفيق وهذه العبارة مشعرة بالحصر
اي لا مهتدي الا من هديت اي لا موفق الا من وفقت وعبدك يعني نفسه صلى الله عليه
وسلم بين يديك اي في مقام الذلة والفقر ولك اي عبدك لك اي ملكك ذاتا وفعلا
وحالا واليك اي مفتقر وهو خبر مبتدا محذوف اي عبدك مفتقر اليك لا ملجا

تمام المتن
ولا منجا منك الا اليك
تباركت الخ

تباركت اي تكاثر خيرك من البركة وهي كثرة الخير وقيل معناه تزايدت عن كل شي وتعاليت
عن سواك في الافعال والصفات التي يتصف بها غيرك فان البركة فيها معنى الزيادة
وتعاليت اي علا قدرك وجل مقامك عن افك المفترين سبحانك رب البيت اي انزهك
عما لا يليق بجلال ذاتك يا رب البيت وانما ذكر التنزيه عند ندائه الله تعالى برب البيت
لان اضافة رب الى البيت مشعرة في الجملة بالحلول الذي تعالى الله عنه قال اي النبي صلى
الله عليه وسلم وان لم يسبق له ذكر لان هذه المقالة ليس لحذيفة ان يقولها من عند نفسه
او حذيفة وهي من قوله لكنها في حكم المرفوع فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل اهل النار النار بكفرهم واهل الجنة وهم الذين

امنوا ولم يفعلوا كبيرة او فعلوها ثم تابوا الجنة فيبقى اخر زمرة بضم الزاي وهي الفوج
والجماعة في تعرضهم للجنة اي من اهلها وهم الذين امنوا واصروا على الكباير ولم يتوبوا منها
واخر زمرة من النار اي من اهلها وهم الذين كفرهم دون كفر من تقدمهم من اهلها كالنصارى
بالنسبة الى اليهود و يهود بالنسبة الى المجوس وهم بالنسبة الى اهل الشرك فتقول
زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم بالانبيا ويجوز في ما ان تكون استفهامية ويكون
الكلام معها انشايا وان تكون نافية والكلام معها خبري والمراد نفي النفع من جهة
دخول الجنة والا فالايمان وان كان مقرونا بمعاص ينفع في ارض المحشر والا مرة
من حشر الكافر على وجهه اعاذنا الله واحبابنا من ذلك ونحو ذلك من الكرامات التي
ينالها المومن في الحشر قبل دخول الجنة فيدعون اي المومنون ربهم ويضجون بفتح اليا
مضارع ضج المجرد من الضجيج وهو الصياح عند نيل امر مكروه من فزع ونحوه
بخلاف اضج المزيد فانه الصياح الذي لا ينشا عن امر مكروه فيسمعهم اهل الجنة
الذين دخلوها بسوابق اعمالهم فيسالون ادم وغيره من الانبيا كنوح وابرهيم
وموسى وعيسى كما ثبت مصرحا به في كثير من الروايات فكل يعتذر بما سبق ذكره
حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود لانه يشترك في حمده المسلم والكافر
ولا يبعد ان يكون هذا المقام يتمنى فيه الكافر ان لو كان مومنا ويكون من افراد قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن
حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني رواه مرفوعا وان كان غيره رواه موقوفا على
هولاء الصحابة لكنه كما تقدم في حكم المرفوع وقال جابر بن عبد الله قيل هو اخر من مات
من الصحابة بالمدينة ليزيد الفقير اي الموصوف بوجع فقار الظهر سمي بذلك لانه شكا وجعا
في فقاره فلقب به وكان ممن روى عنه ابو حنيفة رضي الله عنه سمعت بمقام محمد
صلى الله عليه وسلم بحذف حرف الاستفهام اي اسمعت به فهو على حد قوله تعالى فوالله ما ادرى من الطويل

وان

وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان. يعني الذي يبعثه الله فيه اي ليس المراد
بالمقام المرتبة بل المراد به تفسير ما وقع فيما وعده الله به بقوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا وفي قوله فيه اشارة اي الى ان نصب مقاما على الظرفية بتقدير في قال نعم
اي سمعت به اجمالا غير عارف بالمراد منه ففسره له جابر بقوله فانه اي المقام المحمود
الواقع في الاية مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم اي بسببه
او بسبب نيله لهذا المقام من يخرج اي الذي يخرجه يعني جابر بذلك من النار وذكر
حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين اي المستحقين لدخول جهنم من المومنين وهذا
حديث اقتطعه القاضي من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه ولم يذكر المصنف منه الا
محل الشاهد ولفظ الحديث هكذا قال يزيد الفقير كان قد شغفني راي من راي
الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة
فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس الى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
هذا الذي تحدثون والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال فقال اتقرا القران قلت نعم قال فهل
سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال ثم نعت
وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك قال غير انه
قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كانهم عيدان
السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس
فرجعنا فقلنا ويحكم اترون الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا
والله ما خرج منا غير رجل واحد انتهى قوله في الحديث شغفني هو بالغين المعجمة
ويروى بالمهملة اي دخل رايهم شغاف قلبي اي غلافه وراي الخوارج الذي دخل

قلبه هو انكارهم للشفاعة وقولهم بتخليد المصر على الكبيرة من غير توبة الى الموت في النار
وقوله ثم نخرج اي نخرج على الناس بالدعوة الى راي الخوارج وقوله جالس كذا هو بالرفع
في اصلنا من صحيح مسلم وهو خبر مبتدا محذوف والجملة حال من الضمير المستكن في يحدث
ويجوز ان يكون خبرا عن جابر المذكور بعد اذا الفجائية وجملة يحدث حال من ضمير جالس
قدمت عليه وان يكون يحدث خبرا وجالس خبرا بعد خبر وقوله كانهم عيدان السماسم
هو بالسينين المهملتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وهو جمع سمسم الحب الذي
يستخرج منه الشيرج وفي النهاية الاثيرية معناه والله اعلم ان السماسم جمع سمسم
وعيدانه تراها اذا قلعت وتركت ليوخذ حبها دقاقا سودا كانها محترقة فشبه بها
هولاء قال وطالما طلبت هذه اللفظة وسالت عنها فلم اجد فيها كلاما شافيا قال وما
اشبه ان تكون هذه اللفظة محرفة وربما كانت عيدان الساسم وهو خشب اسود
كالابنوس وفي المطالع قال بعضهم السماسم كل نبت ضعيف كالسمسم والكزبرة
قال النووي المختار انه السمسم وقوله كانهم القراطيس اي في البياض وقوله ما خرج
منا غير رجل واحد اي عن الحق ودعا الى مذهب الخوارج وعن انس نحوه وقال اي انس في
الحديث الذي رواه عنه احمد بن حنبل فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان رضي الله
عنه المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة والظاهر ان المراد الشفاعة في اخراج
الجهنميين منهم من النار لان شفاعة فصل القضا لا تختص بامته ومثله عن ابي هريرة
رضي الله عنه وقال قتادة كان اهل العلم يرون اي يعتقدون المقام المحمود شفاعة
يوم القيمة في اخراج مذنبي امته بالذنوب الكبائر من النار وعلى ان المقام المحمود هذا
ليس من كلام قتادة وانما هو استيناف من كلام المصنف والجار والمجرور خبر مقدم مبتداه
قوله مذاهب السلف هو مقامه عليه الصلوة والسلام للشفاعة من الصحابة بيان
للسلف وعامة ائمة المسلمين وبذلك اي بان المقام المحمود الواقع في الاية هو مقامه صلى

الله عليه وسلم للشفاعة جاءت اي الاية مفسرة في صحيح الاخبار عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم
وجاءت اي وردت مقالة في تفسيرها اي الاية ويجوز عوده الى المقام المحمود باعتبار
انه مرتبة شاذة اي مخالفة لسائرها فسرت الاية به عن بعض السلف وهو من الصحابة
ابن عباس رضي الله عنهما نقله عنه ابو الشيخ وابن مسعود نقله عنه الثعلبي ومن التابعين
مجاهد يجب ان لا تثبت اي تنقل في هذا الكتاب لضعفها وشذوذها او لم يعضدها
اي يقويها صحيح اثر ولا بد من نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما في
النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الاثار يرده وان كان معناها بعد التاويل صحيحا غير مستنكر
لان فيها مخالفة لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات في
كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقالة به امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنع
وهي اسم مصدر هو الشناعة ذكره في الصحاح وهي الفضاعة واقول لم يبرح القاضي
بهذا القول ولم يشر اليه الا باقامة النكير عليه وهذا القول هو ما حكاه الطبري عن فرقة
منهم مجاهد ان الله يجلس محمدا صلى الله عليه وسلم معه تعالى وتقدس على عرشه وقيل كرسيه
مستدلين في ذلك بحديث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيمة
ينادي مناد اين حبيب الله فيتخطى صفوف الملائكة حتى يصير الى العرش حتى يجلسه
الله معه على العرش حتى يمس ركبته وقد تقدم منا انكار الواحدي له والرد عليه في
اول البحث وفي رواية انس وابي هريرة وعن غيرهما دخل حديث بعضهم في بعض وكصير في
ذلك لان الكل شمله وصف الصحة قال عليه الصلوة والسلام يجمع الله الاولين والاخرين
اي الذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وبعدها يوم القيمة فيهتمون اي يدخل
عليهم هم بليغ لان صيغة افتعل تاتي للمبالغة كقولك اكتسب فانه ابلغ من كسب
او قال فيلهمون اي يلهمهم الله تعالى طلب الشفاعة من صاحبها الحقيق بها
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا لو هنا شرطية لا مصدرية وجواب الشرط محذوف

اي لو استشفعنا لاسترحنا من هول ما نحن فيه ومن طريق عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ماج الناس بعضهم في بعض في الصحاح ماج البحر يموج موجا اضطربت امواجه وكذلك
الناس يموجون انتهى فهو اخبار عما ينال الناس من المشقة التي تداخل جميعهم حتى يصيروا
في الحركات كامواج البحر والمراد ان ذلك يصير لمجموع الناس لا لجميعهم والا فبعض
الناس لا يحزنهم الفزع الاكبر جعلنا الله منهم برحمته وهو ارحم الراحمين وبعضهم
بدل من الناس بدل بعض من كل وفي بعض متعلق بماج والمراد ان الضرر اللاحق لهم
يومئذ ليس المشقة اللاحقة لهم في انفسهم بل كل منهم يصيبه ضرر صاحبه فوق ضرر
نفسه وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم بايذ لعول ما لا يطيقون
ولا يحتملون هذا بيان للسبب الداعي الى طلب الشفاعة في فصل القضا وذلك ان
الشمس تدنو من روسهم قدر ميل في مساحة الارض وقيل الميل الذي يكتحل به وقد
تردد بينهما المقداد بن الاسود راوي الحديث ويكون الناس في العرق على قدر اعمالهم
فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يلجمه الجاما قال العلماء
هذا من الخوارق يوم القيمة فان الجماعة اذا وقفوا في الما الذي على ارض معتدلة كانت
تغطية الما لهم على السوا وفي حديث سلمان تدنو الشمس كقاب قوس او قوسين
وتعطى حر عشر سنين ويذهب العرق في الارض سبعين باعا فان قلت هذا الضرر
يلحق كل احد او الكافر فقط او هو وبعض المومنين قلت مقتضى ما في حديث
اخرجه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر
العرق قيل له فاين المومنون قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام ان
ذلك خاص بالكافر والمومن لا يناله شي من ذلك ان شا الله تعالى وفي حديث اخرجه
هناد عن ابن مسعود قال ان الفجار ليلجمهم العرق يوم القيمة قبل الحساب قيل
فاين المومنون قال على كراسي قد ظلل عليهم بالغمام ما طول ذلك اليوم عليهم الا
كساعة

كساعة من نهار واخرج هناد ايضا عن سلمان رضي الله عنه قال تدنى كذا الشمس من روس
الناس يوم القيمة قاب قوس او قوسين وتعطى حر عشر سنين وليس احد من الناس
عليه يومئذ طحربة اي خرقة ولا ترى عورة مومن ولا مومنة ولا يجد حرها مومن ولا
مومنة واما الكفار والاخرون فتطبخهم طبخا حتى يسمع اجوافهم غق غق وفي النهاية
الاثيرية الطحربة بضم الطا والرا وبكسرهما وبالحا المهملة والخا المعجمة اللباس وقيل
الخرقة واكثر ما يستعمل في النفي وقد اراد الفارسي العج قال القرطبي قوله ولا يجد حرها
مومن اي كامل الايمان او من استظل بظل العرش وليس على عمومه فقد قال ابن
ابي جمرة اشد الناس في العرق الكفار ثم اصحاب الكبائر ثم المصرون عليها من غير
توبة ثم من بعدهم يستثنى الله تعالى الانبيا عليهم الصلاة والسلام ثم الشهدا ومن شا
الله فلا ينالهم من العرق شي واقول لو استدل القرطبي على مقالته بحديث اخرجه
احمد والطبراني عن ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تدنو الشمس
يوم القيمة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرقون
فيها على قدر خطاياهم الحديث فهو مقتض لان مذنبي المومنين ينالهم ضرر العرق
لكان اولى من جعل كلام ابن ابي جمرة سندا مع وجود حديث صحيح وقوله ما لا
يطيقون اي من كثرة العرق وشدة الزحام مع طول المدة فقد اخرج البزار والحاكم عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول
يا رب ارسالك بي الى النار اهون علي مما اجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون مقول قوله يقولون في هذه
الرواية اشفع لنا زاد بعضهم انت ادم ابو البشر فان قلت من الاتون الى ادم ومن
القائلون هذه المقالة الطالبون للشفاعة من الانبيا قلت ذكر حجة الاسلام الغزالي
في كشف علوم الاخرة انهم العلما العاملون وذكر ابن برجان في الارشاد ان روس اهل

المحشر يلهمون بطلب من يشفع لهم وهم رؤسا اتباع الرسل فان قلت لم يطلب العلماء
العاملون الشفاعة من الاراحة من هول الموقف وهم جالسون على كراسي من نور لا يرون م ت
طول ذلك اليوم الا كصلاة في الدنيا في ظل عرش الله تعالى قلت طلبهم ذلك ليس لاراحة
انفسهم فانهم في راحة لكنه شفقة على غيرهم ممن حاضره ذلك الهول فيكونون على
اسلوبهم في الدنيا من توسل الناس بهم الى مصالحهم اقدر من غيرهم عليها اولانهم في
مشقة من اشتياقهم الى دخول الجنة وطمانينة النفس والمكث في دار القرار
والنعيم الابدي جعلنا الله منهم واحبابنا واعلم ان حجة الاسلام ذكر في كشفه
ان بين اتيانهم من ادم الى نوح وبين كل نبي ونبي الف عام قال الحافظ ابن حجر ولم اقف
لذلك على اصل قال ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا تغتر بشي
منها خلقك الله بيده اي بنفسه من غير واسطة كاب وام وهو كناية عن كمال
الاعتنا فان الرئيس اذا بالغ في الاعتنا بالشي باشره بيده وليس المراد منها الجارحة
المخصوصة فان الله تعالى وتقدس منزه عن ذلك ونفخ فيك من روحه قال البيضاوي
اصل النفخ اجرا الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح ولا تتعلق بالبخار
اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها
في تجويف الشرايين التي في اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا اذا قال وقوله
من روحه اي الروح التي هي ملكه لا شريك له فيها ظاهرا وباطنا واسكنك جنته
التي جعلها دار الثواب وهي جنة الخلد على الاصح وقيل الجنة لم تخلق وهو قول المعتزلة
وجنة ادم جنة بين كرمان وفارس او بستان بارض فلسطين وحمل القائل
بالاول الهبوط على النزول من السما والثاني على الانتقال من ارض الى ارض كقوله تعالى
اهبطوا مصرا واسجد لك ملائكته اي امرهم بالسجود ذلك قيل وقع ذلك حين انباهم
باسما كل شي وعلمهم ما لم يعلموا اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا اليه مما قالوه فيه

اولا

اولا وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله فان قلت اي سجود سجد الملائكة
لادم اهو السجود الشرعي الذي هو وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة ام اللغوي
الذي هو التذلل مع التعاظم قلت الوجهان جائزان هنا فان اريد الشرعي فالمسجود
له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم فاللام حينئذ في قولك مثلها في قول
حسان بن ثابت يمدح علي بن ابي طالب ٥ اليس اول من صلى لقبلتكم ٥ واعرف الناس
بالقران والسنن ٥ وان اريد اللغوي كان كسجود اخوة يوسف له وعلمك اسماء
كل شي لانه خلقه من اجزا مختلفة وقوى متباينة مستعدة لادراك انواع
المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشيا وخواصها واسماها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
الاتها اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الذي نحن مقيمون به الان اي
تبصر ما نحن فيه من الشدة والهول فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت هذه الشجرة الحنطة
وقيل الكرمة وقيل التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير
م ت قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه نفسي نفسي اي اسالك
فهو منصوب على انه مفعول لفعل محذوف والاولى ان يقدر مؤخرا لافادة الحصر
فان مقصوده لا اسالك الا نجاة نفسي ونفسي الثاني تاكيد لفظي لنفسي الاول
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا اي طالبين منه الشفاعة فيقولون اي
بعد اتيانهم انت اول الرسل الى اهل الارض استشكل ذلك بسبق ادم عليه وشيث
وكذا ادريس على الاصح مع ان ادم مرسل الى بنيه وشيث مرسل بدليل ما تواتر من
انه نزل عليه صحف وهي من لوازم الارسال المساوية له واجيب بوجوه الاول
منع ارسال من ذكر وانما كانوا انبيا وانزال الصحف المشتملة على المواعظ المجردة

عن الاحكام ليست من لوازم الارسال والثاني ان المراد من الرسل الرسل الكاملون الذين هم
اولوا العزم وهو اولهم بلا شك الثالث ان الاولية متوجهة الى قوله اهل الارض فانه كان
اول الرسل الذين رسالتهم عامة وهو مرسل الى الجن ايضا ومن قبله لم يكن كذلك وسماك
الله عبدا شكورا اي وصفك الله تعالى في كتابه بقوله سبحانه ذرية من حملنا مع نوح انه كان
عبدا شكورا وهو الذي يشكر الله تعالى على مجامع حالاته وقد ذكر ذلك في معرض تعليل النجاة من
الغرق ليتاسى به ذريته وفي هذا الحديث رد على من زعم ان الضمير في قوله تعالى انه كان عبدا
شكورا راجع الى موسى عليه الصلوة والسلام كما نقله القاضي البيضاوي في تفسيره بصيغة
الضعف الا ترى الى ما نحن فيه تنوين ليستفاد منه بيان سبب سؤالهم نوحا الشفاعة
الى ربهم وترى هنا بصرية ويجوز ان تكون قلبية الا ترى الى ما بلغنا قال النووي هو بفتح
الغين المعجمة هذا هو الصحيح المعروف وضبطه بعض الائمة المتاخرين بالفتح والاسكان
وهذا له وجه ولكن المختار ما قدمناه ويدل عليه قوله في رواية اخرى الا ترون الى ما قد
بلغكم ولو كان بالاسكان لقال بلغتم انتهى قلت معناه على تقدير فتح الغين الا ترى ما
وصل الينا من الضر والمشاق فعائد الموصول الضمير المستكن المرفوع والضمير المذكور في
محل نصب مفعول به لبلغ وعلى تقدير سكون الغين فنا في محل رفع فاعل بلغ وعائد
الموصول محذوف وهو ضمير مجرور بالى وانما جاز حذفه مع كونه مجرورا لانه جر بما جر به
الموصول والتقدير الى ما بلغنا اليه اي وصلنا اليه من المشاق الا تشفع لنا الى ربك
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
استشكل اسناد الغضب الى الله فانه من الطبائع التي ينزه الله تعالى عنها لكن قال
ابن فورك واما وصف الله بالغضب فقد ورد به الكتاب ومعناه ارادة العقوبة
لاهلها ومن علم انه يعاقبهم على غضبه بهم وكذلك نقول في الرضا ارادة التنعيم والتفضل
لمن علم انه اهل لذلك وذلك من صفات الذات لانه تاويله يرجع الى الارادة وارادة
الله تعالى من صفات ذاته وقد يسند الاشتداد الى غضب الله فيقال اشتد غضب الله

فالمراد

فالمراد به ما يبدو من زيادة العقوبة على بعضهم دون بعض واما ما هو صفة الذات
فلا يجوز وصفه بالتزايد وانما يرجع التزايد الى الافعال الصادرة عن الارادة نفسي
نفسي اي اسال فيقدر نفسي مفعولا به لفعل مقدر مؤخر ليفيد الحصر اي لا اسال الا م ست
نفسي فان قلت من اين لك تقديره مؤخرا مع انه خلاف الاصل اذ الاصل ان يكون العامل
في محله قلت بقرينة المقام كما لا يخفى وفي رواية انس ويذكر خطيئته فيكون علة لعدم
سؤاله الا نفسه كانه يقول لا اسال الا نفسي لان لي خطيئة التي اصاب اي كسبها
وجناها من قولهم اصاب زيد المال اي كسبه وعائد الموصول محذوف سؤاله ربه
بغير علم بدل من خطيئته وذلك ان الله تعالى وعد نوحا عليه الصلاة والسلام بان
يركب معه في السفينة اهله الا من سبق عليه القول منهم فلما تزايد الماء ذهب
كنعان ابنه وقيل كان ربيبه من زوج اخر لزوجته بنكاح لا بسفاح كما في اكاذيب
بعض اهل الكتاب لعصمة فراش الانبياء عن هذا العار عليهم الصلاة والسلام الى معزل
ظانا انه اذا اوى الى جبل من الجبال يغنيه عن السفينة في حصول النجاة بل لم يكن يعتقد
ان من ركب السفينة ينجو لعدم الفهم اذ ذاك بالسفن ولم يكن له ايمان يحمله على الثقة
بوعد الله تعالى فعند ذلك سال نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وانت وعدتني
بنجاة اهلي من الغرق وان وعدك الحق الذي لا يتطرق اليه الخلف فما بال ابني لم ينج فقال له
الله تعالى انه ليس من اهلك لقطع الموالاة بين الكافر والمومن والله تعالى وان وعده بنجاة
اهله الا انه استثنى من سبق عليه القول فلم يقع في وعده خلف فان قلت اي ذنب جنى
نوح في هذا السوال حتى انه اعاقه عن ان يكون شفيعا وزجره الله تعالى بقوله اني اعظك ان تكون
من الجاهلين قلت ذكر البيضاوي في تفسيره وانما سماه جهلا وزجر عنه لان استثنا
من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السوال لكن اشغله حب الولد حتى اشتبه
عليه الامر واقول قد قلد البيضاوي في هذه العبارة الزمخشري الذي بدعته تحمله على سوء

الادب في حق اولي العزم من الرسل ولعمري ان حب الولد لم يشغل احاد الصلحاء عن طريق
الحق ونهج السداد فضلا عمن يكون من اولي العزم من الرسل بل الحق في ذلك ان نوحا عليه
الصلاة والسلام كان يظنه مومنا بدليل قوله يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين اي لا تكن
مع من لست منهم قال القرطبي انه كان يظنه مومنا ولم يكن نوح يقول لربه ان ابني من
اهلي مع اعتقاده كافرا اذ محال ان يسال الله تعالى هلاك الكفار ثم يسال في انجا بعضهم
وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الايمان فاخبر الله تعالى بما هو متفرد به من علم الغيوب اي علمت
من حال ابنك ما لم تعلمه انت فيكون هذا عتابا من الله على نوح اذ كان الاولى في حقه
تفويض الامر الى الله تعالى واما قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي في المستقبل بعد
ان اعلمه الله تعالى بباطن امره وانه ان سال بعد ذلك كان من الجاهلين وقد كانت لي دعوة
دعوتها على قومي اي والشفاعة لا تليق بمن صرف دعوته في الدنيا ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم لكل نبي دعوة وخبات دعوتي شفاعة لامتي فان قلت دعوات الانبيا مجابة فلم
جعل الله لكل نبي دعوة قلت هذه الدعوة المجعولة لكل واحد منهم متيقنة الاجابة واما
باقي دعواتهم فهم على طمع من اجابة الله لها وليسوا على يقين من اجابة شي من دعائهم
الا تلك الدعوة وفي شرح المصنف على مسلم انه يحتمل ان يكون المراد لكل نبي دعوة لامته انتهى
فان قلت نوح دعا على امته فكيف كان دعاوه لامته قلت المراد امة الاجابة ودعا
نوح في الحقيقة دعا للمومنين الذين امنوا وان كانوا قليلين فانه اذا هلك الكافرون
استراح منهم المومنون وتمكنوا من الدين اتم تمكين بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم
فانه صبر على اذى الكافرين وامر المومنين بالصبر عليه وجعل دعوته لامته في الاخرة فصلى
الله عليه وسلم وجعلنا من الداخلين الجنة في شفاعته اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم
فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا
الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا وذكر مثله ويذكر ثلاث

كلمات

كلمات كذبهن فذكر الكذبات معينة مبينة في صحيح البخاري من رواية ابي هريرة قال
لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى عز وجل قوله اني سقيم وقوله
بل فعله كبيرهم هذا وذكر قصة سارة حين اخذها الجبار فقال عنها انها اختي ثم اخدمها
هاجر فان قلت في صحيح مسلم في حديث الشفاعة الطويل ذكر من الكذبات قوله في
حق الكوكب هذا ربي فذلك مقتض لكونها اربعا وقد جا في صحيح البخاري من طريق محمد بن
سيرين حصرها في الثلاث بقوله فيها لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات فيحتاج ذكر الكوكب
الى تاويل قلت في فتح الباري الذي يظهر ان رواية مسلم وهم من بعض الرواة وانما لم
يدخلها في الكذبات الجمهور لانه قالها في حال الطفولية وكان غير مكلف وقيل ليست
بكذب لانه قالها على طريق الاستفهام اي اهذا ربي واما اطلاق الكذب على الامور
الثلاثة فلانه قال قولا يعتقده السامع كذبا لكنه اذا تحقق لم يكن كذبا لانه من باب المعاريض
المحتملة للامرين فليس بكذب محض فقوله اني سقيم اراد ساسقم واسم الفاعل يستعمل
بمعنى المستقبل كثيرا او يحتمل انه اراد اني سقيم بما قدر علي من الموت وحكى النووي في شرح
مسلم عن بعضهم انه كان تاخذه الحمى في ذلك الوقت وفيه نظر لانه يكون حينئذ صدقا
ظاهرا وباطنا ولم يكن كذبا لا صورة ولا حقيقة واقول لو كانت الحمى فيه خفية جدا
بحيث لا يترآى منه الا الصحة لكان قوله اني سقيم كذبا ظاهرا وان كان في نفس الامر
ليس من الكذب في شي كما في الكذبات وقوله بل فعله كبيرهم هذا تمهيد للاستدلال
على ان الاصنام ليست الهة وقطع لقومه في قولهم انها تضر وتنفع وعن الكسائي
انه كان يقف عند قوله بل فعله ويجعل للفاعل الضمير المستكن اي فعله فاعله اي فاعل
كان وقوله كبيرهم مبتدا وهذا خبره وكلامه وان كان فيه تكلف الا انه قصد اراده
ويكفي في التفصي عن الكذب وقوله هذه اختي اي في الاسلام والدين ولو كان ما
ذكر كذبا صريحا لما كان حراما فان الكذب المحض جائز في مثل هذه الحالات التي عرضت على

ابرهيم فانه يجوز تحمل اخف الضررين لدفع اعظمهما وقد اتفق الفقهاء على انه لو جا
ظالم يطلب انسانا مختفيا ليقتله او يطلب وديعة لانسان ليأخذها غصبا
وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك اخفاؤه وانكار العلم به وهذا كذب جائز بل واجب
لكونه في دفع الظالم والثنتان اللتان هما في ذات الله تعالى هما عدا قصة سارة
فانها وان كانت ايضا في ذات الله تعالى فان فيها دفع ضرر كافر عن مؤمنة وعن تدنيس
فراشه الطاهر لكنها تضمنت حظا لنفسه في الجملة نفسي نفسي اي اسأل وبعد ر
العامل موضوا البعيد لحصر كما تقدم نظيره لست لها اي لست مستحقا لها ولكن عليكم
بموسى اي استمسكوا به فانه كليم الله اي مكلمه بصيغة اسم المفعول وهو اولى
من ان يكون فعيلا بمعنى فاعل وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه وقربه
نجيا اي مناجيا من المناجاة وهي الكلام الخفي وقيل من النجو وهو الارتفاع اي رفعه
الى السماء السابعة حتى سمع صريف الاقلام قال فياتون موسى فيقول لست
لها اي مستحقا ويذكر في سبب عدم استحقاقه لها خطيئته التي اصاب اي كسبها
وجناها وقتله النفس اي القبطي فان قلت قتله القبطي هل كان حراما او لا فان
كان حراما فهو مناف لعصمته وان كان غير حرام فكيف سماه ذنبا مانعا من الشفاعة
معيقا له عن نيل رتبتها قلت القبطي كان كافرا الا ان موسى عليه الصلوة والسلام
لم يؤمر حينئذ بقتل الكفار وقيل قتله خطأ اي ليس قتله له عمدا لانه ضربه بما
لا يقتل غالبا فانه ضربه لم كان بكفه وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر
عنه على عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام في استعظام المحقرات التي فرطت منهم
ومع ذلك فكان هذا قبل النبوة بل قبل البلوغ لانه حين صدر منه ذلك كان سنه
اثنتي عشرة سنة فعطف قتله النفس على خطيئته عطف تفسير نفسي نفسي اي
اسأل ولكن عليكم بعيسى اي استمسكوا به فانه اي عيسى روح الله اي الروح

الذي

الذي اوصله الله اليه لم يكن بواسطة ما يجري مجرى المادة فحمل الروح عليه حمل هو ذو
لا حمل هو هو وقيل حمل هو هو ويكون عيسى عليه الصلوة والسلام نفسه روحا لانه
يحيي الموتى والقلوب بنور العلم وكلمته سمي بذلك لانه خلق من كلمة اوصلها الى مريم
عليها السلام فياتون عيسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست لها اي لست مستحقا لها ولكن
عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم اي استمسكوا به في ذلك عبد خبر مبتدا محذوف اي هو
عبد والجملة مستأنفة بين فيها سبب امره بالاستمساك بمحمد صلى الله عليه وسلم اي امركم
بالاستمساك به لانه عبد وعنون وصفه بصفة العبودية لانها كانت احب النعوت اليه
وللاشعار بان امته لم تخرجه مع تعظيمهم له عن العبودية كما فعلت النصارى بابن مريم والدال
عليه بهذا الوصف امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قيل معناه ما تقدم من ذنبه قبل الرسالة وما تأخر بعدها قال مجاهد
وقيل ما تقدم في الجاهلية وما تأخر مما لم تعمله الى الان وقيل ما تقدم قبل الفتح وما تأخر بعد الفتح
وقيل ما تقدم قبل نزول هذه الاية وما تأخر بعد نزولها وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنوب
ابيه ادم وما تأخر من ذنوب امته وقيل ما تقدم من ذنبك يوم بدر وما تأخر منه يوم حنين فالذنب
المتقدم يوم بدر انه جعل يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض
وجعل يردد هذا القول دفعات فاوحى الله تعالى اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابة
لا اعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب المتأخر فيوم حنين لما انهزم الناس قال
لعمه العباس ولابن عمه ابي سفيان بن الحرث ناولاني كفا من حصبا الوادي فناولاه فاخذه
بيده ورمى به في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم القوم عن اخرهم فلم
يبق احد الا امتلأت عيناه حصبا ثم نادى في اصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم لو لم ارمهم
لم ينهزموا فنزل قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا هو الذنب المتأخر فاوتى
اي فياتوني اهل الموقف الطالبون للشفاعة فاقول اي بعد ان تطلب مني الشفاعة انا لها

اصله للشفاعة استحق انا فالجار متعلق باستحق واللام زائدة للتقوية بسبب تقدم المعمول
فزيادة لام التقوية في مثله مطرد على حد ان كنتم للرويا تعبرون وفاعل استحق ضمير مستكن فيه
وانا توكيد لذلك الضمير ثم فسخ فصار مبتدا فافاد تقديمه الاختصاص والحصر مثل قولك انا
فعلت وتقديم للشفاعة على عامله ليس للحصر بل للاهتمام فصار المعنى لا يستحق الشفاعة
الا انا فان قلت ما الذي حملك على هذه التكلفات قلت اقتضا المقام للحصر ولا يستقيم
الحصر في تقديم للشفاعة لعدم اقتضا المقام اياه فانطلق فاستاذن على ربي ظاهر الحديث
مشكل من جهة اقتضائه ان ربه في مكان فيستاذن عليه كما يستاذن على الملوك ولكن
لا اشكال فيه اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة وفيها يخر ساجدا ويطلب الشفاعة
من الله تعالى فمعنى قوله فاستاذن على ربي اي ادخل الدار التي لها مزيد اختصاص بربي من
حيث كمال ظهور رحمته فيها سيما لعباده الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان طلب
الشفاعة في الجنة فان قلت لم يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت اما لان هذا
الذي يدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب الشفاعة لا يدخله احد الا باذنه واما لانه لم يات
وقت دخول النبي صلى الله عليه وسلم الجنة لانه انما يكون بعد فصل القضا وفي المواهب لشيخ
اشياخنا الشهاب القسطلاني فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه
الى الجنة اجيب بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مقام مخافة
واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مكان كرم انتهى فيوذن لي فاذا رايته اي
تجلى لي تجليا لائقا بجلاله وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا لا
منافاة بين هذا وبين ما تقدم ان ذلك في الجنة لان الجنة تحت العرش وفي شرح البرهان
الحلبي على البخاري وعلى هذا الكتاب هذه السجدة والسجدة التي بعدها مقدار كل سجدة جمعة
من جمع الدنيا كما جا في مسند احمد وجا في بعض الاجزا ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان
السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة واقول المنصوص في مسند احمد ان كل سجدة جمعة

من جمع الدنيا الا جمعة من جمع يوم القيمة فارجع اليه ان شئت وفي رواية فاقوم بين يديه كناية
عن مزيد التذلل لعظمته فاحمده بمحامد جمع محمد على غير قياس كمحاسن جمع حسن كذلك او جمع
محمدة لا اقدر عليها الان اما لان الهام الله له اياها مشروط بمجي اوانها واما لانها غير لائقة لان
تظهر في هذه الدار الفانية يلهمنيها الله اي يلقيها في روعي اشارة الى انها لم تكن بواسطة
ملك وانما هي تعليم من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من غير واسطة وفي رواية فيفتح الله
علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي اي الذين وجدوا في الظهور
الجسماني قبلي من الانبيا وان كنت سابقا على كلهم في الظهور الروحاني وفتح هذه المحامد عليه
يشعر به تسميته محمدا واحمد كما سياتي ذلك في بحث اسمائه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ابي هريرة
فيقال حذف فاعل القول للعلم به انه الله تعالى او تعظيما له اي فيقول الله عز وجل يا محمد ارفع
م ت راسك اي من السجود سل تعطه اي المسوول فالضمير راجع الى المسوول الذي دل عليه سل
فاقول يا رب امتي يا رب امتي اي ارحم امتي وفي رواية اخرى فاقول امتي امتي من غير
ذكر يا رب وجوزوا فيها وجهين احدهما ان تكون امتي مفعولا لفعل محذوف اي ارحم امتي
كهذه الرواية والثاني ان تكون نادى امته ليقربوا منه فيسلموا من نار غضب الله تعالى
ببركة قربهم منه من نوره لان نوره صلى الله عليه وسلم يطفي كل نار لكن هذا الوجه لا يتاتى
في هذه الرواية فان قلت هذه الشفاعة انما هي في فصل القضا وفصل القضا لجميع
الناس فكيف خص امته قلت لان امته هم مقصودة وباقي الامم بطريق التبع لامته
من م فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس
فيما سوى ذلك من الابواب اما صفة من لا حساب عليه من هذه الامة فتقدم ذكره بعد ذكر
شرح ابيات العباس في الباب الثالث واما ابواب الجنة فقد اخرج ابو يعلى والطبراني
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجنة ثمانية ابواب سبعة مغلقة وباب
مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد يتوضا فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يدخل من ايها شاء وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال اشهد ان لا اله الا الله وحده وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وابن امته
وكلمة القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله من اي ابواب الجنة
الثمانية شاء ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق
فمن كان في قلبه مثقال ر في النهاية المثقال في الاصل مقدار من الوزن اي شيء كان من قليل وكثير
فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والناس يطلقونه على الدينار خاصة وليس كذلك حبة من برة مرت
او شعيرة من ايمان فاخرجه قال الخطابي هو مثل ليكون عيارا في المعرفة لا في الوزن لان ما
يشكل في العقول يرد الى المحسوس ليفهم وقال امام الحرمين الوزن للصحف المشتملة على
الاعمال ويقع وزنها على قدر اجور الاعمال وقال بعضهم يجوز ان تجسم الاعراض فتوزن
وما ثبت من امور الاخرة بالشرع لا يدخل العقل فيه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل
ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل يريد بذلك ما زاد على
اصل التوحيد لقوله في المرة الرابعة ائذن لي في من قال لا اله الا الله فافعل وذكر في المرة
الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه وفي هذا الحديث تاييد
بل دلالة لمذهب السلف واهل السنة ومن وافقهم من المتكلمين في ان الايمان يزيد وينقص
وهي مسالة اختلف فيها العلماء قال الرازي وكثير من المتكلمين انه فرع تفسير الايمان
فان قلنا انه نفس الاعمال كما هو مذهب المعتزلة فان العلاف وعبد الجبار منهم ذهبا
الى ان الطاعات باسرها فرضا كانت او نفلا واليه ذهب الخوارج وذهب الجبائي وابنه واكثر

المعتزلة

المعتزلة البصرية الى ان الطاعات المفروضة من الافعال والتروك دون النوافل وكذلك ان
قلنا ان الاعمال داخلة فيه كما هو مذهب السلف واصحاب الحديث فان مذهبهم ان الايمان
مجموع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقبوله للزيادة والنقصان ظاهر
بقي الكلام فيما اذا كان الايمان نفس التصديق فقط فنقول قال الرازي يستحيل التفاوت
في نفس التصديق لان التفاوت فيه انما هو لاحتمال النقيض وهو محال ولو بابعد وجه
لمنافاته لليقين الواجب في الايمان وان كان التفاوت بحسب متعلقه فهو محال ايضا لانه
جميع ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به والجميع من حيث هو جميع لا يتصور فيه
تعدد والا لم يكن جميعا كما ان التفاوت في الحد التام ممتنع ايضا لذلك قال المحقق المولى عضد الدين
الايجي الحق في ذلك ان الايمان قابل للزيادة والنقصان سوا اعتبر فيه الاعمال او كان
عبارة عن التصديق فقط اما اذا اعتبر فيه الاعمال فظاهر لتفاوت الاعمال بالزيادة
والنقصان واما اذا كان عبارة عن التصديق فلوجهين الاول تفاوته بالنظر الى ذاته وذلك
لان التصديق من الكيفيات النفسانية وهي مما يتفاوت قوة وضعفا وبيان التفاوت
هنا ان التصديق يوجد اولا ضعيفا يحتمل النقيض لو قدر بدله ثم يترقى الى اعتقاد امتناع
النقيض اعتقادا في صدد الزوال بتشكيك المشكك ثم يترقى الى اعتقاد الحكم مع
امتناع نقيضه اعتقادا ثابتا مامونا عن الزوال وايضا لو صح ان التصديق لا يقبل
التفاوت يلزم ان يكون تصديق الانبياء بوجود الصانع وصفاته مساويا لتصديق احاد
الامة في عدم احتمال التفاوت وانه باطل اجماعا وايضا يبطل القول بعدم التفاوت قول
ابرهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي فانه يدل على ان اليقين القلبي يحتمل الزيادة لان الوهم له سلطان
على القلب باحداث الوساوس والدغادغ عند علم اليقين فطلب اراءة احيا الموتى ليترقى
بسببها تصديقه الى مرتبة تقع مع حدوث الوساوس كذا الى مرتبة انه لا يقع الا كذا
مع اعتقاد امتناع ان يكون كذا بل الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض بالبال وان

وان جوزه على تقدير الاخطار حكمه حكم اليقين فان اكثر العوام ايمانهم هكذا الثاني التفاوت بحسب
المتعلقات فان التصديق التفصيلي في افرادها علم مجيئه به جزء من الايمان يثاب عليه ثوابه
على تصديقه بالاجمال ولاشك ان التصديقات التفصيلية تقبل الزيادة فكذا الايمان واما
النصوص فانها مصرحة بذلك واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فاقول يارب ائذن لي فيمن
قال لا اله الا الله اي في الشفاعة فيهم واخراجهم من النار قال ليس ذلك اي اخراج رر
القائلين لا اله الا الله اليك اي مفوضا اليك لكن رفع العصيان يتوهم ماسبق انهم لا
يخرجون من النار وعزتي وكبريائي اي الكبرياء كمال الذات وكمال الوجود ولا يكون ذلك لموجود
الا الله رب العالمين جل جلاله وعظمتي عظمة الله تعالى عن صفات الحوادث وجبريائي اي
قهري لعبادي وقودهم الى مرادي ونهيي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله اي قولا منضما
الى اعتقاد مضمونه فمجرد النطق لا يكفي خلافا للكرامية المستدلين بظواهر امثال هذا
الحديث ورد عليهم بالاجماع على كفر المنافق وعلى ايمان من عزم على النطق به فمنعه منه مانع
من خرس وموت وفي الحديث رد على الخوارج القائلين بتخليد مرتكب الكبيرة من غير توبة
وخروجه عن الايمان الى الكفر وعلى المعتزلة القائلين بخلود مرتكب الكبيرة مع عدم التوبة عنها
مع خروجه عن الايمان لكن لا يصير كافرا وانما هو منزلة بين المنزلتين واستدل الفريقان بظاهر
قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فانه حصر الفلاح فيهم اي في المتقين الذين سبق
ذكرهم حيث انه بتعريف الجزئين اعني المسند اليه والمسند مع توسيط ضمير الفصل والفلاح
هو دخول الجنة فكانه قال لا يدخل الجنة غيرهم فكيف يدخلها مرتكب الكبيرة من غير تعقيب
توبة واجيب عنه بان المراد حصر الفلاح الكامل فيهم لا حصر اصل الفلاح وهذا كما ثبت
لهم الاصطفاء بقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وكيف يكون مصطفى من هو مخلد في النار
اجارنا الله من مقته وغضبه قال فاقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي

في سورة الملائكة التي يليها سورة يس

اجرنا

وجب عليه الخلود اي استحق ان يخلد وهذا تفسير قتادة راوي الحديث كما صرح به مسلم في صحيحه
وهم الكفار كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعن ابي بكر
وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال اي كل منهم ويجوز ان يكون القائل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يابأه قوله فياتون محمدا اذ مقتضى الظاهر ان يقول فياتوني كما لا يخفى
فياتون محمدا فيوذن له اي في الشفاعة وتاتي الامانة والرحم فتقومان بالتاء المثناة من
فوق لان الفعل مسند الى مونثين وان كان تانيثهما غير حقيقي فانه اسند الى ضميرهما اي لعظم
امرهما وفخامة شانهما وتاكيد ما يلزم العباد من رعاية حقهما تمثلان متشخصين على الصفة
التي يريدها الله تعالى لتطالبان كل من يريد الجواز بحقهما فان الصراط ممر الصالح والعاصي
وعليه يجوز الداني والقاصي وتشهدان للامين والمواصل وعلى الخائن والمقاطع وقيل
يرسل ملكين يحاجان عنهما وانهما على جنبتي الصراط الجنبة بفتحتين بمعنى الجانب وجنبتا
الصراط جانبه اليمين وجانبه اليسار تقوم احداهما من هذا الجانب والاخرى من ذلك الجانب
وفي هذا الحديث مع كثير من الاحاديث التي بلغت حد التواتر رد على المعتزلة الضالين النافين
لوقوع الصراط وهو جسر ممدود على ظهر جهنم تحته النار واعلاه من جهة الجنة يعبر عليه
جميع الخلائق المومن وغيره وانكره المعتزلة الا الجبائي منهم فان قوله تردد فيه فاثبته
مرة ونفاه اخرى وابو الهذيل منهم جوزه ولم يحكم بوقوعه قالوا مستدلين على انكارهم ان من
اثبته وصفه بانه ادق من الشعر واحد من حد السيف كما نطقت به الاحاديث وما كان
هكذا فلا يمكن العبور عليه عقلا وان امكن ففيه مشقة عظيمة وفيه تعذيب المومنين ولا عذاب
عليهم يوم القيمة ويحمل قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على طريق جهنم الموصل اليها واجيب
بان القادر المختار يمكن من العبور عليه لمن كان مومنا ويسهله عليهم بحيث لا يلحقهم مشقة
ولا نصب كما جاء في الحديث في صفات الجائزين عليه اذ منهم من هو كالبرق الخاطف ومنهم كالريح
الهابة ومنهم من هو كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من يحبو حبوا وذكر في رواية ابي مالك عن

رجليه

حوالته فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط اي ينصب تشبيها له بضرب البعث اي نصبه
على اوتاد مضروبة في الارض فيمرون اولهم كالبرق في سرعة مروره ثم كالريح في السرعة ايضا
لكن دون سرعة البرق والطير في سرعة مروره ايضا لكن دون سرعة الريح وكشد الرجال
اي عدوهم ومنه في حديث السعي لا تقطع الوادي الا شدا اي عدوا وفي رواية ابن ماهان
احد رواة مسلم الرحال بالحا المهملة قال القاضي في شرح مسلم ومعناهما متقارب اقول
لان المراد بالرحال الابل وعدوها قريب من عدو الرجال اذا كانوا سريعي العدو ونبيكم
صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول جملة حالية من فاعل يمرون وخبر المبتدا ويجوز ان يكون
الجار والمجرور وجملة يقول حال من متعلق الجار ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان
يكون الخبر يقول وعلى الصراط حال من فاعله اللهم سلم سلم فعل دعا ومفعوله محذوف ويجوز
ان يكون تقديره امتي ويجوز ان يراد عامة الناس المومنين وان لم يكونوا من امته
صلى الله عليه وسلم كيف وهو الرحيم الرءوف لكل مومن صلى الله عليه وسلم حتى يختار غاية لقوله
صلى الله عليه وسلم اللهم سلم سلم الناس اي يقطعوا الصراط عن اخرهم وذكر اخرهم جوازا ان قطعا
للصراط ومرورا عليه قال ابن الملقن هو جهينة من جهينة فيقول اهل الجنة عند
جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقي من الخلائق في النار احد وقال السهيلي اسمه هناد
قال البرهان الحلبي احدهما اسم والاخر لقب وفي رواية ابي هريرة فاكون الضمير راجع
الى المتكلم وهو النبي صلى الله عليه وسلم اول من يجيز لان الباء في الجواز الانبيا وهو
اسبقهم كما ان امته اسبق الامم في الجواز ويجيز لغة في يجوز لانه مضارع اجاز واجاز
وجاز بمعنى كذا في النهاية وحديث ابي هريرة هذا رواه الشيخان وعن ابن عباس اي
روي عنه والراوي له الحاكم والبيهقي في البعث عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبيا منابر
اي لاراحتهم فلا ينالهم مشاق ذلك اليوم ومع ذلك يرى الناس جلالتهم وكرامتهم على الله تعالى
فيحصل لمن امن بهم غاية المسرة ويلحق من كفر بهم غاية الندامة ويبقى منبري لا اجلس عليه

فأما

فأما بين يدي ربي لا يخفى ان قائما حال من الضمير في اجلس والنفي متوجه الى القيد اي لا اجلس
عليه في حالة قيامي واذا انتهى قيامي لاجل وقضى ربي اجلس عليه منتصبا لانه ابلغ في
التذلل بين يدي هذا الملك العظيم ولهذا افضل القيام في الصلاة على سائر اركانها ووجب
على الخطيب ان يقوم في الخطبة ليتاتى له زيادة التذلل والابتهال لربه تعالى وتقدس فيقول
الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم انما سال النبي صلى
الله عليه وسلم تعجيل حساب امته ليحصل له طمانينة القلب في خلاصهم من الخلود في النار
لانه لا يعقب الحساب الا دخول الجنة فقد اخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله
عنها مرفوعا قال لا يحاسب رجل يوم القيمة الا دخل الجنة ولا يعارض ذلك الاحاديث
المشهورة ان من نوقش بالحساب عذب لانه لا منافاة بين التعذيب ودخول الجنة
لان الموحد وان قضي عليه بالتعذيب لا بد له من دخول الجنة فهذا الحديث يبين ان
الكافر المخلد في النار لا يحاسب فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
بان يكون له اعمال صالحة يستحق بها ان يرحم فان العمل لا يكون سببا موثرا في دخول الجنة
والسبب فيه هو رحمة الله تعالى ليس الا واما قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون فمحمول على السبب العادي او على ان الباء للمقابلة لا للسببية ومنهم من يدخل
الجنة بشفاعتي فان قلت هذا القسم يدخلها برحمة الله فلم اسند الاول الى رحمة الله
والثاني الى شفاعته صلى الله عليه وسلم مع ان السبب الحقيقي في كل منهما رحمة الله
قلت انما اسند دخول القسم الاول الى رحمة الله حذرا من توهم تاثير العمل في دخولها
واما الشفاعة فالسبب الحقيقي فيها معلوم من السياق وقد خفي على كثير من المعتمدين
امر العمل حيث زعموا انهم يستحقون دخول الجنة بعملهم كما علم ذلك من حديث العابد
المنقطع في الجزيرة ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا بكسر الصاد اي كتبا جمع صك
وهو الكتاب برجال قد امر بهم الى النار اي فدخلوها واخرجهم منها بمقتضى تلك

الصحاك حتى ان خازن النار الظاهر ان الاضافة للعهد اي الخازن الاعظم وهو مالك ويمكن
ان يكون للاستغراق اي كل خازن من خزنتها ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك
من نقمة اصل الكلام من نقمة في امتك فقدم ليصير حالا ومن زائدة لاستغراق العموم
ويمكن ان يكون في امتك لغوا متعلقا بتركت ومن طريق زياد النميري عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض اي تنشق مجرده فلق اي شق
ومنه فالق الحب والنوى اي شاقه لاخراج الورق منه عن جمجمته اي قحف راسه وقيل
هي العظم الذي فيه الدماغ ولا فخر الفخر ادعا العظمة والكبر والشرف اي لا اقوله مفتخرا
ولا تبجحا ولكن شكرا لله تعالى وتحدثا بنعمته فان قلت هذا ينافيه حديث الانصاري
الذي خاصم اليهودي وفيه لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من
يفيق فاذا موسى باطش بساق العرش الحديث فانه مشعر بسبق موسى عليه الصلوة
والسلام النبي صلى الله عليه وسلم واجيب بان ذلك وقع منه قبل علمه بسبقه كل الناس
وبان حصول مجرد هذه المزية لموسى عليه الصلوة والسلام لا يوجب حصول مطلق المزايا
كما ان سبق ابرهيم عليه الصلاة والسلام على نبينا صلى الله عليه وسلم في الكسوة لا
يوجب له الافضلية المطلقة وانا سيد الناس يوم القيمة اي اجلهم وافضلهم
والتقييد بيوم القيمة مع ثبوت السودد له على الاطلاق لظهور ذلك وتسليم له
بحيث لا ينكره منكر ولا يتلعثم فيه معارض بخلافه في الدنيا فان المعارض المبطل
موجود ولا فخر ومعي لوا الحمد اما كناية عن كونه افضل الشاكرين لله تعالى واما
على حقيقته بان يكون للحمد لوا حسي يرى ويشاهد وتقدمت كيفيته وانا اول
من يفتح له باب الجنة ولا فخر فان قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث
بريدة بن الحصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم
سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك امامي الحديث قلت

قال

لعله فيه

لعله في ذلك اليوم خط ابن الملا ابرهيم

قال ابن القيم ان تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعو الى الله تعالى
اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب
والخادم قال وقد روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين
يديه بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهار الشرفه وفضيلته لا
سبقا من بلال له فاتي فاخذ بحلقة الجنة اي حلقة بابها وهي بسكون اللام على اللغة
الفصحى وقال ثعلب كلهم يجيز فتح اللام على ضعفه وقال الشيباني ليس في الكلام حلقة
بالتحريك الا جمع حالق كالكاتب وكتبة فيقال من هذا القائل رضوان خازن الجنة جا مصرحا
به في رواية اخرى فاقول محمد اي انا محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى هو الذي يقهر
العباد على ما اراد من امر ونهي تعالى جبر الخلق واجبرهم واجبر اكثر وقيل هو العالي
فوق خلقه وفعال من ابنية المبالغة ومنه قولهم نخلة جبارة وهي العظيمة التي تفوت يد
المتناول والمراد انه يتجلى له وعبر بالاستقبال دون التجلي اشعارا بكمال الاعتناء
وخص الجبار من بين اسمائه تعالى اشعارا بعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم حيث اظهر له
من هو جبار اللطف والكرم والعناية فاخر ساجدا اي فاسجد تعظيما لربه بالقيام مع ان القيام
افضل من السجود لان هذا المقام مقام تواضع والتواضع بالسجود اكثر واما القيام
فانما فضل على السجود في خصوص الصلاة لان القيام يشتمل على تلاوة القرآن
بخلاف السجود فانه يشتمل على التسبيح وقراة القرآن افضل وفيما عدا الصلاة فالسجود
افضل حالات الخضوع وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ومن
رواية انيس بالتصغير كذا هو في نسختي من الشفا وهو الصواب لموافقته
لماخذ الحديث وهو معجم الطبراني الاوسط فانه فيه من رواية انيس وما يوجد في
بعض نسخ الشفا من رواية انس فغير صحيح سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر اي في اخراجهم من النار

وذكر نحو ما تقدم مع اعظم الشارح

وادخالهم الجنة فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار اي الاحاديث المرفوعة حقيقة
او حكما ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر لان القلوب بلغتها اي وصلت اليها من
الشدائد كما قال تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر اي وصلت من
الاهوال الى الحلقوم فلا تعود الى اماكنها ليتروحوا ولا تخرج فيموتوا ويستريحوا منهم
وهي جمع حنجرة وهي الحلقوم ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغهم وذلك
قبل الحساب فيشفع حينئذ اي النبي صلى الله عليه وسلم لاراحة الناس اي لاراحة
الله الناس من الموقف الذي فيه هذه الشمس الدانية والعرق للازدحام وطول
الوقوف جعلنا الله في هذه الحالات من الامنين الآمنين بمحمد واله وصحبه ثم يوضع
الصراط وهو من شعرة من شعر جفون عين مالك عليه الصلاة والسلام ويحاسب
الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث المتفق فيشفع في
تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع في من
وجب عليه العذاب اي استحقه لغلبة معاصيه على طاعاته ودخل النار حسبما تقتضيه
الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله فانه تعلق ان الشفاعة فيمن قال لا
اله الا الله لم يعطها الله النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول له ائذن لي في من قال لا اله
الا الله قال ذلك ليس اليك علت ليس في الحديث الا ان اخراجهم من النار مفوض الى
الله عز وجل وان الله تعالى لم يفوضه الى نبيه صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى يخرجهم منها
بشفاعته صلى الله عليه وسلم وليس هذا المقام لسواه صلى الله عليه وسلم وحاصل ما ذكر
المصنف ان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع شفاعات الاولى شفاعته لاراحة الناس من
هول الموقف ويدل عليها حديث ابي هريرة وغيره وحديث انس عند البخاري الثانية
شفاعته في ادخال قوم الجنة بغير حساب ويدل عليها ما في اخر حديث ابي هريرة

عند

عند البخاري ومسلم وفيه فارفع راسي فاقول يا رب امتي امتي فيقال يا محمد ادخل
من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد الغزالي
والسبعون الفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ولا يأخذون صحفا
وانما هي براءة مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له
وسعد سعادة لا شقا بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر من ذلك المقام جعلنا الله
واحبابنا منهم بمنه وكرمه الثالثة شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم وجب عليهم العذاب
ودخلوا النار ان لا يعذبوا ولا يدخلوها فدلائلها اكثر من ان تحصى وقد روى عمران
ابن الحصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة
ويسمون الجهنميين وفي الصحيحين وغيرهما من ذلك شيء كثير الرابعة شفاعته في من
قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط فقد تقدم دليلها في الشفا وقد ذكروا له شفاعة
خامسة وهي شفاعته في قوم حوسبوا ان لا يعذبوا ويدل عليها حديث حذيفة
ونبيكم صلى الله عليه وسلم واقف على الصراط يقول رب سلم وسادسة وهي شفاعته
صلى الله عليه وسلم في رفع الدرجات ذكرها النووي في الروضة ولم يذكر لها مستندا
وسابعة ذكرها المصنف في شرح مسلم وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه
ابي طالب في تخفيف العذاب عنه لحديث الضحضاح وثامنة وهي شفاعته (الضحضاح)
لاهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت على لأوائها احد الا كنت له شهيدا
او شفيعا يوم القيمة وتعقب هذا الحافظ ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن
واحد من الشفاعات الاول وبانه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل
الطائف وفي الحديث المنتشر اي المشهور بين اهل الحديث الصحيح صرح به بعد
وصفه بالشهرة لانه لا تلازم بين الشهرة والصحة اذ رب مشهور غير صحيح بل ضعيف

باطل ورب صحيح غير مشهور وربما يجتمعان لكل نبي دعوة يدعوبها واختبات دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلموا انها تستجاب لهم والافكل ويبلغ فيه مرغوبهم
لكل نبي منهم دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها مالا يعد لكن حالهم عند الدعاء
بها بين الرجا والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة في ما شاؤه يدعون بها على يقين من
الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة
دعابها في امته وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية فاستجيب له
ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال الامة من اشيا
امور الدين والدنيا اشيا اعطي بعضها ومنع بعضها فقد روى مسلم في صحيحه عن ثوبان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها
وان امتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سالت
ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم
فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اذا قضيت قضا فانه لا يرد واني قد
اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى
انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها او قال من بين اقطارها
حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وروى النساى عن خباب
ابن الارت وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم الليلة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته
جاخباب فقال يا رسول الله لقد رايتك صليت الليلة صلاة ما رايتك صليتها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل انها صلاة رغب ورهب سالت الله عز وجل فيها

ثلاث

ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سالت ربي عز وجل ان لا يهلكنا بما اهلك
الامم فاعطانيها وسالت ربي عز وجل ان لا يظهر علينا من غيرنا فاعطانيها وسالت
ربي عز وجل ان لا يلبسنا شيعا فمنعنيها وروى انه لما نزلت هذه الاية وهي قوله تعالى
قل هو القادر على ان يبعث الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام
يا جبريل ما بقا امتي على ذلك قال له جبريل انما انا عبد مثلك فادع ربك وسله
لامتك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا واسبغ الوضوء وصلى واحسن الصلاة
ثم دعا فنزل جبريل وقال ان الله تعالى سمع مقالتك واجارهم من خصلتين وهما العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال يا جبريل ما بقا امتي اذا كان فيهم اهوا مختلفة ويذيق
بعضهم باس بعض فنزل جبريل بهذه الاية الم احسب الناس ان يتركوا الاية وادخرلهم
اي لامته هذه الدعوة ليوم الفاقة اي ليوم مزيد حاجتهم وخاتمة المحن وعظم السول
والرغبة والمراد بالدعوة المدخرة لهم الشفاعة فان قلت قد عرفت انه صلى الله عليه وسلم
شفاعات متعددة فاي شفاعة منها ادخرها لامته قلت هي الشفاعة في فصل القضا
فان قلت هي غير مختصة بهذه الامة قلت نعم ولكن هم المقصودون بها وغيرهم تبع لهم ويوبده
ما في اللفظ المنقول فيها فانه قال فيه يارب امتي يارب امتي وقيل هي شفاعة في اناس منهم
يدخلون الجنة بغير حساب بدليل اختصاص هذا الامر بامته وعدم تجاوزه غيرهم وقيل هي
شفاعة على الاطلاق وهي المشتركة بين الشفاعات الجنس وكون غير هذه الامة يشاركونهم
فيها او في بعضها لا ينافي ان يكون صلى الله عليه وسلم اخر دعوته شفاعة لامته فلعله لا
يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياوهم ويحتمل ان تكون الشفاعة لغيرهم تبعا كما تقدم في
الشفاعة العظمى واقول الذي يظهر لي في معنى هذا الحديث ان الله تعالى اعطى كل نبي دعوة لها
شان وظهر امرها وذكر حالها بين اهل الارض كدعوة نوح عليه الصلاة والسلام بهلاك
كل كافر على وجه الارض حتى استجيبت وصارت كانته الطوفان ودعوة ابرهيم عليه الصلاة والسلام

حتى انجاه الله من النار ودعوة موسى عليه الصلاة والسلام حتى اهلك الله تعالى فرعون والقبط
بالغرق ودعوة عيسى عليه الصلوة والسلام حتى اهلك الله قومه وصار منهم من صار قردة وخنازير
ونحو ذلك مما هو معلوم في شان كل نبي واما نبينا صلى الله عليه وسلم فلرافته التامة توجه منها
الى نجاة امته من العذاب الابدي او الطويل ومشاق الدنيا لم يسال نجاتهم منها لسهولة امرها
بالنظر الى دار الانصرام لها فادخر بل اماني الى الاخرة فصبر على اذى صناديد الكفر
حيث توجهوا الى ايذائه بكليتهم ولم يرد ان يكون هلاكهم بدعائه ومع ذلك فقد وكل امرهم في
الدنيا اليه تعالى وادخر عزه العظيم وشانه العميم الى الدار لا انفاد لها ولا انصرام فجعل دعوته
التي لها شان الرفيع والقدر مدخرة لامته فسال الله لامته ان يسعدهم في الاخرة فجعلهم اسعد
الخلق فيها فهم اول من يفيق من القبور ونورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وان تراكم البلا
فهم في روح وراحة يرون يوم القيمة مع طوله قصيرا وان تالم الناس من الحر فهم في ظل عرش
الله ويدخل منهم سبعون الفا بغير حساب مع كل الف سبعون الفا ويحثو الله تعالى بعد ذلك
ثلاث حثيات من حثياته تعالى وتقدس وفي حديث اخرجه احمد والطبراني عن ابي ايوب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال ان ربي خيرني بين سبعين الف
يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده لامتي فقال له بعض اصحابه ايخبا
لك ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال ان ربي زادني مع كل الف
سبعين والخبيئة عنده فقال ابو رهم يا ابا ايوب وما تظن خبيئة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاكل الناس بافواههم فقالوا وما انت وخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابو ايوب دعوه اخبركم بخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم اظنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقول رب ان من يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله مصدقا لسانه قلبه فادخله الجنة وفي حديث اخرجه الطبراني عن عمرو بن حزم الانصاري
ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه

الثلاثة

الثلاثة ايام المزيد فوجدت ربي ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا
قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب والحاصل ان الكرامة التي
تنالها امته بسببها في الدار الاخرة لا تخطر ببال وكل ذلك بالتضرع ابتهاله صلى الله عليه وسلم
وترادف دعواته لهم ولم يترك الدعا لهم جملة وقد ملا الله قلبه من الرافة بهم والرحمة
لهم فبذل في نصحهم جهده الموجود والذي لم يوجد وسال الله تعالى لهم النجاة في تلك المهام
والخلاص من هاتيك الشدائد ولو تتبعنا ما وردت به صحاح الاخبار بكرامة هذه الامة
من لدن الموت بل وفي الدنيا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم لعسر استقصاوه علينا
ولمل الناظر فيه فحق لنا ان نقول كما قال القاضي رحمه الله جزاه الله احسن ما جازى نبيا
عن امته وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وحاصل ما قلنا ان الدعوة التي خباها لامته لا
نعدها شفاعة مخصوصة من الشفاعات السابقة بل هي عبارة عن مجموع ما سال
لامته يوم القيمة مما ذكرنا بحيث يصدق عليهم قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا ارحم الراحمين

فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
وذكر الدرجة الرفيعة في الترجمة لا يغتر منه ان يدعى بها عقب الاذان كما يقع كثيرا ممن
لا خبرة له بالسنة فان ذكر الدرجة الرفيعة في الدعا لا اصل له في السنة كذا قال السخاوي
في المقاصد الحسنة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نسبة الى تميم قبيلة
تنتسب الى تميم بن ادبن طابخة والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليه اي
لسماعي من لفظه فانه اعلى درجات التحمل ودونه القراءة على الشيخ قالا حدثنا ابو علي
الغساني نسبة الى غسان قبيلة تنسب الى ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه
منهم بنو جفنة رهط الملوك حدثنا النمري نسبة الى نمر قبيلة وهذا هو الحافظ
ابو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نسبة

الى بيع التمر ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد
ابن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن تعبيره بالسماع يشعر بعدم اشتراط الفهم
حتى اذا سمع صوت المؤذن وان لم يفهم استحب له اجابته فقوله سمعتم يشمل الجنب اذ
الجنب لا يمنع من ذكر الله تعالى وشمل المصلي ونحوه الا ان الصلاة مانعة من الاجابة
فتكره الاجابة فيها الا في صدقت وبررت فتبطل لان فيه خطاب ادمي وقوله سمعتم لا
يلزم منه سماع جميع الفاظه حتى لو سمع بعضها فقط اجاب في الجميع مبتدئا من اوله وان
كان سمع اخره وقوله المؤذن يشمل المقيم لان الاقامة اذانه لغة وحكمها حكم الاذان شرعا
والتعبير بالسماع يشعر بان من لم يسمع كالاصم لا يجيب وشمل ذلك السامع المشغول
بقراءة وذكر وطواف وعلم فيقطع ما هو فيه ويجيب ويسن عدم التكلم بغيرها حتى
يفرغ وان قيل لا يجيب في ما اذا ثنى الحنفي المقيم لان تثنية الاقامة غير مشروعة
اي في القدر الذي زاده على ما يعتقده انه غير مشروع وتعبيره بالمؤذن شامل لما
اذا اذن مؤذنون مترتبون فانه يجيب في الكل فان اذنوا معا اجاب واحدا ويجيب
في اذاني الصبح والجمعة ودخل في عموم قوله مثل ما يقول الحيعلتان والتثويب وهو قوله
الصلاة خير من النوم وكلمتا الاقامة لكنها خصت من بين كلمات الاذان ففي الحيعلتين
يقول لا حول ولا قوة الا بالله لحديث رواه مسلم وفي التثويب صدقت وبررت
لحديث ورد فيه قاله ابن الرفعة وفي كلمتي الاقامة اقامها الله وادامها وجعلني من صالحي
اهلها لحديث ابي داود في ذلك ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو
قال الحافظ عماد الدين بن كثير الوسيلة علم على اعلى منزلة في الجنة وهي اقرب امكنة الجنة
الى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسلت اليه اذا تقربت يقال توسلت اليه اي تقربت

ويطلق

ويطلق على المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول
فان الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله تعالى فيكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم
له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله تعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم
امته ان يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها
له باسباب منها دعاء امته له بما نالوه على يده من الهدى والايمان واخرج ابن ابي حاتم عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال على منبر الكوفة ايها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احداهما
بيضاء والاخرى صفراء فاما الصفراء فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء
سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها من عرق
واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفراء فيها مثل ذلك هي لابراهيم
واهل بيته فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي اي استحقت وحلت او نزلت
عليه يقال حل يحل بالضم اذا نزل وفي رواية حلت له وهي بمعنى على واستشكل جعل ذلك ثوابا
لقائل ذلك مع ان الشفاعة للمذنبين واجيب بان له شفاعات اخرى كادخال الجنة بغير
حساب ورفع الدرجات فيعطى كل واحد ما يناسبه ونقل المصنف عن بعض شيوخه
انه كان يرى اختصاص ذلك بمن قاله مخلصا مستحضرا اجلال النبي صلى الله عليه وسلم لا من قصد
مجرد الثواب ونحو ذلك قال الحافظ ابن حجر وهو تحكم غير مرضي ولو كان اخرج الغافل
اللاهي لكان اشبه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في
الجنة وقع له ذلك ليلة الاسرا فتكون رؤيته للكوثر وقعت يقظة اذ عرض على وفي
رواية عرض لي اي ظهر لي وبدا لي وفي رواية اتيت على نهر حافتاه اي جانباه قباب
اللؤلؤ اي بيوت مستديرة على هيئة القبة من لؤلؤ مجوف والمراد ان القباب قريبة منه
ملتصقة به حتى كان لا حافة له الا هي قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله

[illegible]

مطلب في سؤال الامة الوسيلة

وفي حديث اخرجه ابو هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة

مما اغفله الشارح

ان بمعنى اعطى متصلين جريا على اللغة الفصحى في ذلك ولو فصل لجاز لكنه قليل ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ملككم اياهم ولو شا لملكهم اياكم والاعطا وقع قبل رؤيته
حين نزلت عليه سورة الكوثر والكوثر على وزن فوعل من الكثرة وهو في الاصل
اسم للكثير من كل شي ثم نقل الى هذا النهر بفرعلم عليه وادخال العلمية للمح الصفة
وسمي هذا النهر به لكثرة مايه وانيته وعظم قدره وحطره وكثرة خيره وتفسير ابن عباس
رضي الله عنهما للكوثر الواقع في الاية بالخير الكثير فهو وان كان اولى لعمومه الا انه ثبت
تخصيصه بهذا النهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه ففي صحيح مسلم
عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذا اغفى
اغفاة ثم رفع راسه متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي
انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل وجاء في
احاديث ان الكوثر هو الحوض والحق من اقوال تبلغ خمسة عشر ان الكوثر هو نهر
في الجنة وان الحوض في ارض الموقف او بعد جواز الناس على الصراط واطلاق
الكوثر عليه لان ماءه منه فان له ميزابين يشخبان فيه ووردت صفة الكوثر
في احاديث منها حديث اخرجه ابن ابي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل شاطئاه اللولو والزبرجد والياقوت خص الله تعالى به
نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الانبيا وفي حديث الترمذي عن انس ان طيره كالجزر
واعناقها كاعناق البخت ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا وذلك لان
الما من شانه ان يشتمل على كدورة من تراب الارض التي يجري عليها وارض الجنة
تربتها المسك لا سيما وانهار الجنة تتفجر من تحت جبال المسك ومجراه هو صدر

يعني

قال بعض

وعن عايشة وعبد الله
ابن عمرو مثله قاله صح

منه اغفله الشارح

يعني اي جريه على الدر جمع درة وهي اللولوة العظيمة والياقوت وهو من الجواهر النفيسة
نافع للخفقان والوسواس شربا ولجمود الدم تعليقا وماؤه احلى من العسل وابيض
من الثلج ونحوه عن ابن عباس وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا وهذا
شان انهار الجنة فقد اخرج ابو نعيم وابن مردويه والضيا عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض لا والله
انها لسايحة على وجه الارض الحديث عليه حوض ترد عليه امتي اي نابته للشرب
منه وذلك لما سبق ان ما الحوض مادته من نهر الكوثر فان في الكوثر ميزابين يشخبان في
الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله
اياه سوا كان الخيرات التي منفعتها تعود الى الجسد ام الى الروح كالعلم والقران والنصر
والتاييد وحاصل ما في الكوثر الذي من الله به على محمد صلى الله عليه وسلم بقوله انا
اعطيناك الكوثر ستة عشر قولا الاول النهر المذكور الثاني الحوض الذي مر الكلام
عليه الثالث النبوة والكتاب الرابع القران الخامس الاسلام السادس تخفيف
الشريعة السابع كثرة الامة والاتباع الثامن الايثار التاسع رفعة الذكر العاشر
نور في قلبه صلى الله عليه وسلم الحادي عشر كثرة المعجزات الثاني عشر الاجابة لدعائه
الثالث عشر ان الله تعالى وتقدس اعطاه صلى الله عليه وسلم كلمة لا اله الا الله محمد
رسول الله الرابع عشر الفقه في الدين الخامس عشر الصلوات
الخمس بعد ان لم تجتمع في نبي قبله السادس عشر العظيم من الامر قال القرطبي بعد ذكر
هذه الاقوال اصحها الاول اي القول بانه نهر في الجنة والثاني اي القول بانه الحوض
لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر وسمع انس قوما يتذاكرون الحوض فقال
ما كنت ارى اني اعيش حتى ارى امثالكم يتمارون في الحوض لقد تركت عجايز خلفي ما
تصلي امراة منهن الا سالت الله تعالى ان يسقيها من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وقال سعيد

ابن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله لكنه دخل فيه دخول خاص تحت عام
ولا يكون الاعتنا بالنهر الذي اعطيه من بين سائر الخلق وامتاز به دون الانبيا اذا كان
فيضمن عموم الخير كالاعتنا به لو اريد بمفرده وفضله وحده وعن حذيفة في ما ذكر عليه
الصلوة والسلام عن ربه واعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي اي الذي بارض
الموقف او بعد الصراط وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
الف قصر من لولو اي در مبنية منه ترابهن اي تراب تلك القصور المسك وفيه اي في
كل قصر منها ما يصلحهن وفي رواية اخرى ما ينبغي له من الازواج والخدم هذا الحديث نقله
المصنف موقوفا على ابن عباس لكن الاوزاعي رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا
اسماعيل بن عبد الله عن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه قال اري النبي صلى الله عليه وسلم
ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى الى قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه جل ثناؤه الف قصر في الجنة ترابها المسك في كل
قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وقيل هذه الاية وعد من الله تعالى شامل لما اعطاه
من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه الا الله وقيل
هو الفتح في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وقيل الشفاعة في
جميع المومنين وعن علي رضي الله عنه قال يشفعني في امتي حتى يقول الله سبحانه
لي ارضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابرهيم فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه الصلاة والسلام ان تعذبهم فانهم عبادك
ثم رفع وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله
ما يبكيك فاتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فاخبره فقال الله تعالى يا جبريل اذهب
الى محمد فقل له ان الله تعالى يقول لك انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال علي رضي الله

عنه

عنه لاهل العراق انكم تقولون ارجى اية في كتاب الله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية قالوا انا نقول ذلك قال ولكنا اهل البيت نقول ان ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الحديث لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذن والله لا ارضى وواحد من امتي في النار فصل يتضمن رد شبهة فص
ترد على ما تقدم وتقرر من انه افضل جميع الانبيا فانقلت معترضا على ما تقدم اذا تقرر
اي ثبت من دليل يجوز ان يكون الجار والمجرور حالا قدمت على صاحبه وهو كونه اكرم القرآن ح
البشر وان يكون مفعولا مطلقا اي ثبوتا كائنا من دليل القرآن او ماخوذا منه واضافة
دليل الى القرآن اضافة بيانية لان بين المضاف والمضاف اليه عموما من وجه كما لا يخفى
وصحيح الاثر معطوف على القرآن لا على دليل القرآن واجماع الامة اي اتفاق مجتهديهم
بحيث لم يخالف في ذلك سابق منهم ولا لاحق كونه اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى
الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما
حدثناه الجار والمجرور حال من قوله والعامل فيه ما في معنى الكاف من المشابهة
الاسدي نسبة الى اسد وهم قبيلة قال حدثنا السمرقندي قال حدثنا الفارسي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم اي ابن الحجاج صاحب الصحيح ثنا ابن مثنى
ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى
الله عليه وسلم يعني ابن عباس هو عبد الله احد العبادلة واحد المكثرين الستة او السبعة
وغالب ما رواه عن الصحابة واختلفوا في قدر ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة
ففي المستصفى للغزالي لم يرو عنه هذه الرواية الا اربعة احاديث لصغر سنه وعن يحيى
ابن معين وصلت روايته الى تسعة وعن غندر عشرة وفي الهدي لابن قيم الجوزية
بلغت احاديثه التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين حديثا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما ينبغي لعبد نكرة وقعت في سياق نفي فافادت العموم ان يقول انا خير من

يونس بن متى هو اسم ابيه على الاصح وقيل اسم امه انما خص يونس بالذكر تحذيرا لمن
سمع قصته ان يقع في نفسه منه شي من قلة الصبر وعدم الثبات للشدائد فبالغ في ذكر
فضله سدا للذريعة ويوخذ من قرينة المقام ان المنهي عنه انما هو التفضيل المؤدي
الى تنقيص المفضل عليه وقد روى الطبري قصة يونس باسانيد عن ابن مسعود
وغيره ولفظه ان الله بعث يونس الى اهل نينوى من اهل الموصل فكذبوه فاوعدهم
بنزول العذاب في وقت معين وخرج عنهم مغاضبا لهم فلما راوا اثار ذلك خضعوا
وتضرعوا وامنوا فرحمهم الله فكشف عنهم العذاب وذهب يونس فركب
سفينة فلججت به فاقترعوا فيمن يطرحونه منهم فوقعت القرعة عليه ثلاثا
فالتقمه الحوت وروى ابن ابي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود
باسناد صحيح اليه نحو ذلك وفيه واصبح يونس فاشرف على القرية فلم ير العذاب
واقعا عليهم وكان في شريعتهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا حتى ركب سفينة
وقال فيه فقال لهم يونس ان معهم عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه
فقالوا لا نلقيك يا نبي الله ابدا قال فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات فالقوه
فالتقمه الحوت فابتلع به قرار الارض فسمع تسبيح الحصا فنادى في الظلمات ان لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وروى البزار وابن جرير من طريق عبد الله
ابن نافع عن ابي هريرة رفعه لما اراد الله تعالى حبس يونس عليه السلام في بطن الحوت
امر الله تعالى الحوت ان لا يكسر له عظما ولا يخدش له لحما فلما انتهى به الى قعر البحر سبح
الله تعالى فقالت الملائكة يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذاك عبدي
يونس فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل قال ابن مسعود كهيئة الفرخ
ليس عليه ريش وروى ابن ابي حاتم من طريق السدي عن ابي مالك قال لبث في بطن
الحوت اربعين يوما ومن طريق جعفر الصادق قال سبعة ايام ومن طريق قتادة ثلاثة

ايام

ايام ومن طريق الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة
قال يعني الله تعالى فيكون الحديث قدسيا ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة
المروي في الصحيحين في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطم رجل
من الانصار وقال اتقول ذاك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى ولفظ الحديث بتمامه عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم
والذي اصطفى محمدا على العالمين في قسم يقسم به فقال اليهودي والذي اصطفى موسى
على العالمين فرفع المسلم عند ذلك يده ولطم اليهودي فذهب اليهودي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره الذي كان من امره وامر المسلم فقال لا تخيروني على موسى فان الناس
يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري
اكان فيمن صعق فافاق او كان ممن استثنى الله عز وجل وفي رواية فلا ادري
احوسب بصعقة يوم الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن
متى فقوله استب رجل وقع في رواية عبد الله بن الفضل ان ذلك كان عند
عرض اليهودي سلعة واما اليهودي فقال البرهان الحلبي في شرح الشفا لم اقف
على اسمه وقال الحافظ ابن حجر قال هو فنحاص بكسر الفاء وسكون النون وبعدهما
مهملتان واما اللاطم فهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما صرح به ابن ابي الدنيا في
كتاب البعث لكن يشكل ذلك بما في هذه الرواية ان اللاطم رجل من الانصار
وابو بكر ليس منهم ويجاب بان المراد بالانصار المعنى اللغوي اي رجل من ناصري
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه كان من اكبر ناصريه بل اكبرهم والحق
ان لطم ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لفنحاص وقع لكن في قصة اخرى كذا قال البرهان

الحلبي في شرح البخاري واما قوله لا تخيروني على موسى فسيأتي في كلام المصنف وكلامنا
ما لا مزيد عليه في الجواب عنه وقوله فان الناس يصعقون قال ابن فرقول اي يغشى
عليهم لانه انما يفيق من الغشي ويبعث من الموت فان موسى مات بلا اشكال وصعقة
الطور لم تكن موتا بدليل قوله فلما افاق وبدليل قوله ففزع ومرة فصعق وهذه
الصعقة والله اعلم في عرصات القيمة غير نفخة الموت والحشر ولعلها عند تشقق
الارض والسما انتهى لكن قال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح فان قيل كيف
تصنعون بقوله في الحديث الاخر ان الناس يصعقون يوم القيمة فاكون اول من
تنشق عنه الارض فاجد موسى باطشا بقائمة العرش قيل لا ريب ان هذا
اللفظ ورد هكذا ومنه نشا الاشكال ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث
فركب بين اللفظين نقله عن شيخه المزي وفي التذكرة القرطبية الذي يزيح الاشكال
ان يقال ان الموت ليس بعدم محض ولا فنا صرف وانما هو انتقال من حال الى حال
ويدل على ذلك ان الشهدا بعد قتلهم وموتهم احيا عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين
وهذه صفة الاحيا في الدنيا فاذا كان هذا في الشهدا كان الانبيا بذلك احق
واولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تاكل اجساد الانبيا وان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمع بالانبيا ليلة الاسرا في بيت المقدس وفي السماء
وخصوصا بموسى صلى الله عليه وسلم وقد اخبرنا صلى الله عليه وسلم بما يقتضي ان الله
تبارك وتعالى يرد عليهم روحهم حتى يردوا السلام على من يسلم عليهم الى غير ذلك مما يحصل من
جملته القطع بان موت الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم انما هو راجع الى ان غيبوا عنا
بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين وذلك كالحال في الملائكة فانهم موجودون احيا فاذا
نفخ في الصور نفخة الصعق صعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله فاما
صعق غير الانبيا فموت واما صعق الانبيا فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور

نفخ

نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه افاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم
والبخاري فاكون اول من افيق وهي رواية صحيحة وحسنة فنبينا صلى الله عليه
وسلم اول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم الانبيا وغيرهم الا موسى صلى الله عليه وسلم
فانه حصل له فيه تردد هل بعث قبل غشيته او بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة
الصعق مفيقا لانه حوسب بغشيته الطور وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى
ولا يلزم من ثبوت فضيلة من احد الامرين المشكوك فيهما فضيلة موسى على محمد صلى
الله عليه وسلم مطلقا لان الشي الجزئي لا يوجب امرا كليا والله اعلم وقوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث ومن قال نبيكم انا خير من يونس بن متى فقد كذب للعلما فيه تاويلات
احسنها واجملها ما ذكره القاضي ابو بكر بن العربي رحمه الله قال اخبرني غير واحد من
اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني رضي
الله عنه انه سئل هل الباري سبحانه وتعالى في جهة فقال لا هو متعال عن ذلك فقيل له
ما الدليل عليه قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى
فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر فقال لا اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار
يقضي بها دينا عليه فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق
عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس بن متى رمى نفسه في البحر فالتقمه
الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين كما اخبر الله تعالى ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى
به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه
واوحى اليه ما اوحى اقرب الى الله تعالى من يونس في ظلمة البحر وفي حديثه الاخر فجاءه رجل
فقال يا خير البرية في الصحاح قال الفرا ان اخذت البرية من البرا وهو التراب فاصلها
غير الهمز تقول منه براه الله يبروه بروا اي خلقه انتهى واما اذا اخذت من برا الله الخلق

مطلب حكاية امام الحرمين مع السائل الذي سأله هل الباري سبحانه في جهة وجوابه عن ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى

وهو الباري اي الخالق وقال تعالى من قبل ان نبراها اي نخلقها فهو بالهمز اصلا وحالا ومن
هنا وقع اختلاف في قراءة البرية فقرا نافع وابن ذكوان بالهمز وقرا الباقون بغيره وهل
يدخل الملائكة تحت لفظ البرية اولا مبنى على اختلاف الماخذ كما لا يخفى فقال ذاك ابرهيم
اي لا انا فافاد جوابه الحصر في ابرهيم لان تعريف الجزئين يفيد الحصر فاعلم ان للعلما في هذه
الاحاديث تاويلات تصرف هذه الاحاديث عن ظاهرها احدها انه نهى عن التفضيل
كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج التفضيل الى توقيف اي
نقل ونص من المفضل وهو رب العزة جل ذكره فان قلت كثرة العلوم والاتباع والمعجزات
اليست مودية الى التفضيل قلت هي امارات على التفضيل وليست قاطعة به والنبي
صلى الله عليه وسلم لم يرض لامته ان يستندوا في تفضيله الى مجرد الظن بل لا بد من دليل
قاطع ونص لا شبهة فيه فلما جاءت النصوص بالافضلية الصريحة وكذلك جاء الوحي بانه
اول من يشفع على الاطلاق من غير تردد اطلق الكلام فقال انا سيد ولد ادم واول من تنشق
عنه الارض ولا فخر فقد اذن حينئذ لامته ان يفضلوه من غير تلعثم ولا توقف حيث جاء
التوقيف وشهدت النصوص واتى الوحي بذلك وان من فضل بلا علم فقد كذب فان
قلت كيف يكون كاذبا وكلامه مطابق لما في نفس الامر والخبر لا يكون كاذبا اذا طابق ما في نفس
الامر قلت هو في حكم الكاذب حيث لم يعول على خبره اذ ليس له مستند ولا له حق وكذلك
قوله لا اقول ان احدا افضل منه اي من يونس بن متى لا يقتضي تفضيله وانما هو في الظاهر
كف عن التفضيل ولا يلزم من الكف عن التفضيل القول بافضلية المفضل عليه والكف
عن التفضيل انما هو لعدم الاذن من الله تعالى بالتفضيل لان مثل ذلك تهجم على اقرب الخلق
الى الله تعالى والتهجم عليهم بغير اذن من الله تعالى لا يجوز فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه حتى
يرد النص الوجه الثاني من التاويلات انه اي الحديث المذكور قاله صلى الله عليه وسلم على
طريق التواضع وهو كما قال الجنيد خفض الجناح ولين الجانب وقيل لابي يزيد البسطامي

متى يكون الرجل متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى ان في الخلق من هو
شر منه وقال الفضيل هو ان يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ونفي التكبر والعجب
والفرق بينهما ان التكبر من الامور النسبية المشعرة بمتكبر عليه كما هو مشعر بمتكبر وهو ان
يرى لنفسه مزية على غيره بغير حق والعجب استحسان المرء نفسه فهو وصف ثابت
للانسان نفسه ولا اشعار له بعلو على غيره وهذا التاويل لا يسلم من الاعتراض وذلك
من ثلاثة اوجه الاول ان التكبر والعجب صفتان ذميمتان لا توجدان ولا واحدة منهما في
احاد صلحا امته فكيف توجد في اطهر خلق الله تعالى نفسا على الاطلاق حتى يخرج الى
مجاهدة نفسه الكريمة من جهتهما ومخالفتها باظهار التواضع ونفي العجب ولا اظن ان
هذا الجواب يرضى به من عنده ذرة من الادب في حق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
الثاني ان التواضع ونفي العجب بكلام غير مطابق للواقع حرام لا ينسب الى سيد
المعصومين الا جهول ضال الثالث ان تعبيره بالنفي مشعر بوجود التكبر فيه لكن نفاه
عن نفسه بهذه المقالة وهذا جراة تنادي بجهل هذا المجيب وتفوهه بمقال مشعر
باحد امرين اما بجهله بادنى مقامات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي ان يتصدى
للجواب عما اشكل من احاديث سيد المرسلين واما بضلاله ورقة دينه حيث اجاب
بجواب يجاب به عن كلام من يجوز عليه التكبر والعجب حتى احتيج الى نفيهما عنه بكلام غير
مطابق للواقع الثالث ان لا نفضل تفضيلا يودي الى تنقص بعضهم او الغض منه
في الصحاح غض منه يغض بالضم اي وضع ونقص من قدره يقال ليس عليك في هذا
الامر غضاضة اي ذلة ومنقصة لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
بما اخبر لئلا تعليل لقوله لا نفضل الراجح يقع في نفس من لا يعلم اي الجاهل بمقامات
الانبيا وعصمة الرسل وتنزيه ساحتهم عن كل قصور مما يجوز عروضه لغيرهم منه بذلك
غضاضة فاعل يقع ومنه الجار والمجرور كان صفة فلما قدم على موصوفه صار حالا

وسوغ وقوعه ذا حال تاخيره عن الحال والخطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه
اذ ابق من الاباق وهو الهرب من السيد ولما كان هرب يونس من قومه وخروجه من
بينهم بغير اذن ربه تعالى وتقدس اطلق عليه الاباق تشبيها لهذه الحالة بحالة الهارب
من سيده فكان ذلك استعارة تصريحية تبعية الى الفلك المشحون الفلك بالضم السفينة
ويذكر وهو الواحد والجميع وقيل جمع فلك بضمتين والمشحون اي المملو صفته وذكره
على الاصل وانما انيثه في قوله تعالى والفلك التي تجري باعتبار انه بمعنى السفينة فظن
~~ان لن نقدر عليه الاية فمن ثم اخذ العلما في تاويل ما عسى ان يوهم نقصا فقيل ذهب~~
فربما تخيل من لا علم عنده حطيطته بذلك فانه يتراآى من الاية ما يقتضي صدور ذنب
منه وانه انحط من قدره فانه تعالى قال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه الاية فمن ثم اخذ العلما في تاويل ما عسى ان يوهم نقصا فقيل ذهب مغاضبا
قومه لاجل ربه ولم يكن غضبه على ربه وهذه المغاضبة كانت صغيرة او ارتكاب
خلاف الاولى اذ الاولى له حين راى العذاب ارتفع عن قومه التسليم لعذر الله تعالى
وارادته كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم حين اصاب اصحابه الذين هم على الحق ما
اصابهم يوم احد وقيل لما راى العذاب ارتفع ذهب على وجهه وكان من حقه ان
لا يذهب الا بامر جديد وقيل مغاضبا قومه من اجل كفرهم بالله تعالى وقيل لم يتجلد
عليهم ويبالغ في الصبر عليهم وعلى ايذائهم كعادة الانبيا الذين من شانهم المبالغة في
الصبر على تقرير الحق لاقوامهم ولهذا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكن
كصاحب الحوت واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فاحسن ما قيل في معناه ما قاله
كثير من ثقات العلما ان لن نضيق عليه كما في قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر اي يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه ولهذا قالوا قدر وقدر وقتر وقتر
بمعنى اي ضيق وقيل هو من القدر اي ظن ان لن نقدر عليه ابتلاع الحوت لا من

القدرة

القدرة وقيل هو من القدرة وهو على تمثيل حاله بحال من هو كذلك اي كان حاله حين
خرج من بين قومه مراغما لهم من غير ان يكون خروجه بامرنا شبيهة بحال من ظن ان لن نقدر
عليه واطلق المشبه به عليه على طريق الاستعارة التمثيلية والقرينة انه عليه الصلوة
والسلام من قوم هم اعلم الخلق بالله تعالى وبقدرته التامة فكيف ينسب اليه هذا الامر
على حقيقته ونقل البيضاوي قولا بانه خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا
للمبالغة وانا اقول الاولى بالبيضاوي ان ينادي ببطلان هذا القول الذي فيه ما
يوهم نقصا لا يليق نسبته الى ادنى المومنين فاي شيطان يقدر على الهجوم على قلب نبي
معصوم لاخطار مثل هذا الخاطر الردي الذي اعتقاده كفر صراح وكيف يسمي الله تعالى
هذا الخاطر ظنا والظن هو الطرف الراجح واي داع يدعو الى المبالغة ورضي الله تعالى
في كتابه ان نعظم الانبيا وان ننزه ساحتهم عما لا يليق الوجه الرابع منع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على حد واحد اذ هي شي واحد لا يتفاضل
وذلك لان النبوة صفة اختصاصية وهي امر كلي وجوده في افراده على السوا
فهي من قسم المتواطي وليس من قسم المشكك فلا تفاضل في اصل النبوة فكما
صفة زائدة على الحيوانية وجميع افراد الانسان فيها سوا وان كان لبعض افراد
الانسان افضل واكمل من بعض واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل اي موصوفون بالرسالة وهي صفة
زائدة على النبوة لان النبوة هي وحي بشرع والرسالة كذلك مع الامر بالتبليغ
وقيل النبوة هي وحي بالشرع مع الامر بالتبليغ وانفراد الرسول بالكتاب وقيل
انفراده بنسخ شرع من قبله ومنهم اولوا عزم اي اصحاب حزم واجتهاد وهم خمسة
نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وهم اصحاب الشرائع
وقيل اربعة نوح وهود وابرهيم ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقيل ستة ابرهيم وموسى

من الرسل

وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكمالات والرتب والالطاف وهذا الاخر [illegible]

وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب
ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا وقيل هم
نوح صبر على اذى قومه مدة وابرهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب
صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على البير والسجن وايوب صبر
على الضر وقيل هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكافحة ومجاهدة الكفرة وقيل هم
نجبا الرسل المذكورون في سورة الانعام واختاره الحسن لقوله عقب ذكرهم
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والاصح انهم الذين ذكرهم الله على نسق
واحد بالتخصيص في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى وفي الحديث الذي اخرجه ابو الشيخ عن عائشة رضي الله عنها
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل
محمد ان الله تعالى لم يرض لاولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم
يرض لي الا ان كلفني وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا
بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله ومنهم من كلم
الله وهو موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الحيرة والطور ومحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد ورفع بعضهم
درجات بتفضيله على غيره بوجوه متعددة ومراتب متباعدة وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة
على الاصح والحجج المتكاثرة التي زادت على الالف والمعجزة التي بقيت بعده وهي
القران بل وغيره من امور اخبر بها وقعت بعده كالشمس الظاهرة ولم يزل
ما اخبر به واقعا شيا بعد شي يعلم بذلك امته جيل بعد جيل والفضائل العلمية
والعملية الفائقة للحصر والابهام للتفخيم ومنهم من رفع مكانا عليا وهو ادريس وهو

الان

الان حي في السما فقد قالوا اربعة من الانبيا في الاحيا اثنان في الارض الخضر والياس
واثنان في السما ادريس وعيسى ومنهم من اوتي الحكم صبيا وهو يحيى اوتي النبوة
وهو ابن ثلاث سنين وبعضهم اوتي الزبر كموسى وعيسى وشيث وادريس
وداود ومحمد صلى الله عليه وسلم وبعضهم اوتي البينات اي الايات الدالة على
صدقه وكمال نبوته كسليمان ويوشع وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وانما قال تلك
ولم يقل ذلك مراعاة لتانيث الجماعة قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هاهنا
اي في هاتين الايتين في الدنيا اي بالنظر الى ما نعتقده في الدنيا ونحكم به وحاصله
ان حكمنا بافضلية بعضهم في الدنيا مفتقر الى استدلال وانتقال من جلي الى خفي واما
في الاخرة فان الحق فيها جلي والامر مكشوف لا نفتقر الى ما يستدل به عليه واستدلالنا
على حكمنا على افضلية بعضهم في الدنيا بثلاثة احوال ان تكون اياته اي دلائله الدالة
على صدقه فيما ادعى من انه رسول من الله تعالى ومعجزاته جمع معجزة وهي ما قصد
به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله واما البحث عن شرائطها وكيفية
حصولها ووجه دلالتها على صدقه فسياتي في فصل المعجزات ابهر اي اغلب
واشهر اي اظهر او تكون امته اي امة الاجابة وهم المتبادرون من اطلاق لفظ الامة
ازكى اي اطهر من الافعال الذميمة والاخلاق الرديه واكثر عددا لان كثرة الاتباع
مود الى كثرة الثواب والاجر او يكون في ذاته افضل بكثرة علمه ومزيد حلمه
وجميل اخلاقه وحسن شيمه وكثرة صبره على اذى اعدائه وتركه الاوطانه ومفارقته
لاهاليه واخوانه وقتله لقومه في ذات الله تعالى وفضله في ذاته راجع الى ما خصه
الله به من كرامته واختصاصه من كلام ~~او فضله او~~ كمحمد صلى الله عليه وسلم وابرهيم
عليه الصلاة والسلام ~~او~~ الذي كلمه الله تعالى حين كان قاب قوسين او ادنى

واطهر
اعطاه الشارح

ومو سى عليه الصلاة والسلام الذي كلمه الله على الجبل اوخلة لمحمد صلى الله عليه وسلم وابرهيم
عليه الصلاة والسلام اورؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم فقط من غير مشارك اوماشاء
الله من الطائف و تحف والايته واختصاصه في الصحاح التحفة ما اتحفت به الرجل
من البر واللطف وكذلك التحفة بفتح الحا والجمع تحف وقد روى ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال انه للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع هذا الحديث رواه
ابن ابي حاتم في تفسيره واثقال النبوة بسبب منافاتها لصفة البشرية والعبدية
منها وهي اثقل من درجة الولاية لان مقتضى الولاية التصرف في الارواح البشرية بالله
تعالى والانبيا يتصرفون في ارواح المرسلين اليهم مع السياسة الظاهرية وتقرير
امور الشريعة للناس ولهذا كان اكثر الانبيا تبعا افضل لمزيد تصرفه في ارواح
اتباعه وامدادها بانواع الالطاف على قدر استعداد المحل والربع بضم الرا وفتح الموحدة
الفصيل ينتج في الربيع وهو اول النتاج والجمع رباع وارباع مثل رطب ورطاب
وارطاب والانثى ربعة والجمع ربعات فاذا نتج الفصيل اخر النتاج فهو هبع
وهو تشبيه لما حصل ليونس عليه الصلوة والسلام من المشقة في حمل اعبا النبوة
بتفسخ البعير الصغير اذا ثقل عليه الحمل فهو استعارة تصريحية تبعية ويمكن ان
يقال انه شبه هيئة يونس عليه السلام في ثقل حمل اعبا النبوة حين حملها الله تعالى
اياها بحال الربع حين يتفسخ بوضع الحمل الثقيل عليه فهو استعارة تمثيلية
فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة اي الضلال من اوهام من لسبق اليه سببها
اي لسبب الفتنة او بسبب قصة يونس عليه السلام جرح في نبوته اوقدح في
اصطفائه على من ليس نبيا من البشر وتفضيله على الملائكة وحط من رتبته ووهن
في عصمته وذلك ان من سمع قوله تعالى في شانه وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه واعترافه بعد ذلك بكونه من الظالمين فالمغاضبة ذنب والشك في

حرية

قدرة الله كفر والظلم ذنب ولا شك ان الانبيا جميعا في العصمة سوا فيدخل الشيطان
الوهم من لا خبرة له بمقامات الانبيا عليهم الصلاة والسلام سوا في شان يونس عليه السلام
فيودي ذلك الى شقا ابدي وكفر سرمدي فاخبر صلى الله عليه وسلم ان نبوته كنبوته وانه
تفضلوني عليه فيها بمعنى ثبوت القدر المشترك لي وله كاشتراك ابي بكر الصديق
واحد اجلاف العرب الذي راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة في اصل
الصحبة والا فنبينا صلى الله عليه وسلم مظهر الروح الاعظم بذاته وسائر الانبيا مظهر
له بصفاته ولهذا كان جميع الانبيا مقتبسين منه مستمدين لمدده مترجمين عن كماله
في كل عصر مما مضى كاستمداد علما امته منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم علما امتي
كانبيا بني اسرايل فانما تدرج صلى الله عليه وسلم لتبرئة ساحته وبيان مكانته بقوله لا
تفضلوني على يونس بن متى وحمل غضبه بانه كان على قوم كفره بالغوا في العناد
والمكابرة حتى عيل صبره ولم يطق المصابرة معهم فهذا غضب لله تعالى على اعدائه
فلا يكون ذنبا ومعنى قوله فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق عليه في بطن الحوت
فهو من القدر لا من القدرة واني كنت من الظالمين اي لنفسي بترك الاولى
فاعترافه بالظلم هضم لنفسه واستعظام لما صدر منه مبالغة في التضرع وقوله
لا تكن كصاحب الحوت اي في قلة الصبر على الشدائد والمحن لينال المنهي اعني
محمدا صلى الله عليه وسلم اعلى الرتب وليس معناه لا تكن مثله في ارتكاب الذنب
وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك شفقة منه على امته حيث اوضح لهم الحق غاية
الايضاح وذلك انه صلى الله عليه وسلم قرر لهم ما يجب لجميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
من العصمة وامرهم باعتقاد ذلك ولما علم ان قصة يونس عليه الصلاة والسلام لم
يكلهم صلى الله عليه وسلم في تبرئة ساحته وعدم الهضم من قدره ومكانته الى ما قرر لهم
اولا من جلالة جميع الانبيا وعلو مقامهم على طريق العموم بل ذكره بخصوصه لان

ملخص
في معنى هذا الحديث

احدكم الخاص من العام فيه مشقة شديدة فعاملهم معاملة الحنو والشفقة فقال بنفسه الكريمة وقال لا تقولوا اني خير منه مع انكم تعتقدون اني افضل خلق الله تعالى ولا شك ان النهي متوجه الى اصل النبوة ولقد ذكر الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله في بعض رسائله ان جميع الانبيا سواقي نيل النور الاصلي وان جميع الاوليا يستفيدون ذلك مما يفيض عليهم وان استوى الفريقان في ان علمهم غير كسبي ومع ذلك تتفاضل الانبيا في المقامات مع استوا الكل في المحمد وذكر كلاما طويلا هذا حاصله وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القايل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكا اي الطهر من القبايح والعصمة اي الحفظ من الرذايل ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وحاصله ان غاية من ليس نبيا ان يكون وليا والولاية دون النبوة لان النبوة مستلزمة للولاية ولا تنفرد عنها بخلاف الولاية فانها تنفرد عن النبوة فان قلت ما نسبة الولاية من النبوة قلت نسبة الجزء من الكل وذلك لان النبوة عبارة عن وصف مركب من الانبا والولاية التي هي التصرف في الخلق بالحق واما الولاية فهي التصرف فقط ولا يسع الولي الا متابعة النبي في الظاهر وما ناله في الباطن فهو من مدد النبي وبواسطته وتصرفه فيه فان قلت كيف تقولون في ما شاع ان الولاية افضل من النبوة قلت قررنا لك ان مرتبة النبوة ذات جزئين وان احد الجزئين الذي هو الولاية افضل من الاخر اي الانبا للخلق ولا يلزم ان يكون افضل من المجموع فولاية النبي افضل من انبائه لا ولاية من ليس نبيا وكيف يفضل الممد على الممد وكيف يفضل التابع على المتبوع ولقد ذكر بعض العارفين ان قلوب بني ادم معلقة بنياط فيدخل الشيطان في بدنه ويجري منه مجرى الدم حتى يصل الى عروق القلب فيلقي وساوسه فيها وهي رطبة مملوءة دما فتصل بسرعة الى القلب فاذا ضيقت

بالجوع

[illegible]

بالجوع يضيق اللعين بها فتصل رطوبة بصاقه الى القلب وكلما زاد التضييق قل وصول الرطوبة وربما لا تصل لمزيد التضييق سيما ان ضيقت مجاريه ايضا بمزيد العمل بكلام الله مع توفيق الله تعالى واما الانبيا فان قلوبهم خلقت بغير نياط فلا سبيل للشيطان عليها بوجه والا طريق ففرق بين من للشيطان عليه سبيل ولو في الجملة وبين من لا سبيل له عليه وان تلك الاقدار اي الامور التي قدرها الله تعالى عليه لم تحطه اي يونس عليه السلام عنها اي عن درجة النبوة حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شا الله تعالى فقد بان لك العرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض اي المورد دليلا مقتضيا لافضلية غير نبينا صلى الله عليه وسلم او لعدم افضلية نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام

فصل

فصل في اسمايه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته هي جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازا مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا الابد من مراعاة اربعة اشيا الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو الموضوع للذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظة زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كذات زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي تخصيص ذلك اللفظ بتلك الذات وذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى بدليل قوله تعالى سبح اسم ربك والتسبيح انما لذات الرب تبارك وتعالى فدل على ان اسمه هو هو ورد بان سبح ضمن معنى اذكر والذكر لا يتعين ان يكون للذات وبالجملة هي مسالة طويلة الذيل لكل من القايلين ادلة ورد لادلة الفريق الاخر مذكورة في كتب التفسير سيما تفسير الفخر الرازي ثم لا شك ان كثرة الاسما دالة على شرف المسمى حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن

جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
فان قلت لم اخرج المصنف هذا الحديث عن مالك ولم يروه من طريق البخاري ومسلم
فانهما روياه من طريق مالك ولكن القاضي لو رواه عن الشيخين لحكم بانه جاز القنطرة بهـ
وقطع له بالصحة كما رجحه ابن الصلاح فلم اخرجه من طريق له الى مالك اجيب بانه لو رواه
من طريق البخاري لكان بينه وبين مالك ثمانية رجال وقد رواه من طريق بينه وبين
مالك ستة فقد اتفق له علو زائد وهو المسمى عند الاصوليين بالمستخرج فان قلت
لم خص هذه الاسما بالذكر مع كثرة اسمائه صلى الله عليه وسلم بحيث قال القاضي ابو بكر بن
العربي ان لله تعالى الف اسم ولرسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قلت لشهرة هذه
الاسما وكثرة دورها قيل غالب ما سمي به وادعى انه اسم له صفة ولكن اطلق عليه انه م ت
اسم مجازا واقول لا يلزم من كون معناها الوصفي صفة ان لا يكون خرجت عن ذلك
الوضع وطرا عليها غلبة الاسمية والمعنى الوصفي نسي ولهذا منع احمد الذي هو احد
اسمائه الذي كان وصفا في الاصل حيث صار اسما له صلى الله عليه وسلم للعلمية ووزن
الفعل وقوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي قيل المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة
والغلبة قال تعالى ليظهره على الدين كله وقيل المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر
بلاد العرب وما زوي له صلى الله عليه وسلم من الارض ووعد بان يبلغه ملك
امته وجاء في حديث اخر في تفسير الماحي بانه الذي محيت به سيئات من اتبعه فعلى
يكون المراد بمحو الكفر هذا القول تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وفي الصحيح الاسلام يهدم ما قبله وقوله صلى الله عليه وسلم وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ضبط بتشديد اليا على التثنية وتخفيفها
على الافراد ومعناه يحشرون على اثري وزماني نبوتي ورسالتي وليس بعدي

بني

كذا
بني وقيل معناه يتبعوني وجا في رواية في الصحيح على عقبي وقوله صلى الله عليه وسلم وانا
العاقب وهو الذي ليس بعده نبي اي جا اخرهم قال ابن الاعرابي العاقب هو الذي
يخلف من قبله في الخير وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فان قلت المسمى احمد
في القران هو عيسى عليه الصلاة والسلام كما نقله الله تعالى عنه في سورة الصف
قلت عيسى لم يطلق عليه هذا الاسم الا باذن من الله تعالى كيف وقد اوقع الله التسمية
فكان الله تعالى هو المسمي فمن خصائصه تعالى له لا يخفى ان خص يتعدى الى المفعول به
صريح بنفسه فاللام في له لام التقوية وزيادتها في هذا المقام قياس مطرد لان عمل
م ت المصدر فرعي ان ضمن اسماه ثناه اي ثنا الله تعالى عنه فالثنا مصدر مضاف
الى مفعوله وطوى اثنا ذكره اي ادخل في خلال ذكره عظيم شكره وذلك
لان الاسما انما جعلت لتعيين المسمى سيما اذا كانت اعلاما فلا يقصد بها الا
مجرد الدلالة على الذات ولا اشعار لها بما زاد على ذات المسمى لكن في بعض
الاعلام اشعار بوصف كان ملحوظا قبل طرو العلمية فمن ذلك معظم الاعلام التي
وضعت على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانها تشعر باوصافه المنيفة اي اشعار
ولهذا جاز دخول ال على بعضها للمح ذلك الاصل كالماحي والبار وسقط فبمجرد
اطلاق الاسم لتعيين المسمى ياتي لهم الوصف بحيث يكاد ان يكون دلالة ذلك
هذا العلم على الوصف بتضمنه فهذا معنى طي شكره اي الثنا عنه اثنا ذكره
والاثنا جمع ثني وهي في الاصل تضاعيف الثوب ثم توسع فيه فاطلق على ما يقع
خلال كل شي سوا كان حسيا ام معنويا فان ما اسمه احمد افعل اي فوزنه افعل
مبالغة من صفة الحمد لما فيه من التفضيل المنبي عن انه احمد من كل حامد والمفضل
عليه محذوف حذف لعمومه وعدم اختصاصه بما موفان صيغة افعل التفضيل
تنبئ عن مشاركة المفضل للمفضل عليه في اصل المادة وامتياز المفضل بالزيادة

فاشعر اسم احمد ان غيره وان شاركه في اصل الحمد الا انه اميز من كل حامد لله تعالى وانما
بدا بالكلام على احمد لانه سبق اسم محمد في الوجود لان الله تعالى سماه به حين حمله وقت
خلقه له ولم يكن ثمه مخلوق سواه فنباه حينئذ وشرفه حين لم يكن ادم ولا غيره
وجرى هذا الاسم على لسان موسى وعيسى عليهما السلام اما موسى عليه الصلوة والسلام
فحين قال له ربه تلك امة احمد قال اللهم اجعلني من امة احمد وعيسى عليه الصلاة
والسلام ففي سورة الصف ومحمد مفعل اي وزنه مفعل وهو في الاصل اسم مفعول
من صيغة التفعيل المنبئة عن المبالغة والتكثير وهو بمعنى محمود الا ان فيه
مبالغة لا توجد في محمود وتكرارا كالممدح والمكرم وهو من مدح مرة بعد اخرى
واكرم مرة بعد اخرى وقد عبر المصنف في الاسمين بصيغة الحمد وهي مصدر
محتمل لان يكون بمعنى الحامدية والمحمودية الا ان المحمودية تتعين ارادتها في الاسم
الثاني لانه اسم مفعول معناه من كثرت محموديته واما احمد فجوز ابن القيم ان يكون
بمعنى مفعول وان معناه اكثر الناس محموديه فيكون بمعنى محمد الا ان الفرق بينهما ان
محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها واحمد هو الذي يحمد افضل مما يحمد غيره فمحمد
في الكثرة والكمية واحمد في الصفة والكيفية فالاسمان واقعان على المفعول قال
وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى فلو اريد الفاعل لسمي الحماد فانه صلى الله عليه وسلم
كان اكثر الناس حمدا لربه واقول في هذا الكلام نظر اما اولا فجعل محمد للتكثير في
الكمية مسلم لكن جعل احمد للتفضيل في الكيفية ترجيح وتخصيص بغير مخصص
واما ثانيا فلان بنا اسم التفضيل من المبني للمفعول شاذ والشاذ يتوقف على
السماع ولم يسمع بنا احمد فيما هو اكثر محمودية كما سمع هو اشغل من ذات النحيين
واما ثالثا فكلامه متناقض لان حمادا ابلغ في الحامدية من احمد وهذا لا يعقل بيب
كيف وان احمد معناه الذي فضل غيره وزاد على من سواه في الحامدية ولو كثر الحمد

من غيره

من غيره ففي التفضيل من المدح ما ليس في التكثير كما لا يخفى وقوله فهو صلى الله عليه وسلم اجل
من حمد بفتح الحا وكسر الميم اي اجل الحامدين فهو صيغة الحمد وافضل من حمد بضم الحا على
صيغة البنا للمفعول وهذا على طريق اللف والنشر المرتب فان الاول راجع الى اسم
احمد والثاني الى محمد فان قلت من اين استفيد التفضيل الذي ذكره بقوله وافضل من
حمد من محمد قلت من التكثير ولم يطلق اسم محمد على غيره من الله تعالى فقد اثبت الله تعالى
له من المحمودية ما لم يثبت لغيره فكان افضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين
فيه ما في كلام ابن القيم من استعمال صيغة افعل التفضيل في المبني للمفعول من غير
سماع واحمد الحامدين هذا والاظهر ان اسم احمد ظهر قبل محمد في النشاتين اما
النشاة الاولى فان الله تعالى لما خلق نوره حين لم يكن ثمه مخلوق سواه حمد الله بمحامد
لم يسبق اليها بالهام الله تعالى اياه ذلك فكان احمد من كل مخلوق دخل تحت تعلق كلمة كن من
عالم الخلق والامر ثم لما ظهر للوجود كمل له وعرفه الجن والانس والملائكة حمدوا على السنتهم
فاستحق ان يسمى محمدا ثم اذا كان يوم القيمة حمد الله بمحامد كثيرة يلهمه الله اياها فهو
احمد من حضر ذلك الموقف لله تعالى فلا جرم ان معظم الناس يسميه اذ ذاك احمد فاذا شفع
في فصل القضا وخفف عن الناس هول ذلك اليوم بشفاعته وظهرت مكارمه كثر حمد
الناس وغيرهم له فلا جرم ان يسمى حينئذ محمدا وقد اظهر الله تعالى له في مادة الحمد شؤونا
غريبة كلها تنبئ عن انه اكثر خلق الله تعالى حامدية له واكثرهم محمودية كما اشار الى ذلك
المصنف بقوله ومعه اي تحت امره وفي يده لواء الحمد يوم القيمة وهو وان كان لواء
حقيقة فهو مشعر بانه ما نال هذه المرتبة الا لرسوخ قدمه في دائرة الحمد بالمعنيين
صلى الله عليه وسلم ليتم كمال الحمد فان حاضري ذلك الموقف وان كان فيهم من كان ينازع له ح
في حوزه دروه سنام الحمد في الدنيا بمقتضى ما قدر عليه من الجهل بمقامه الشريف
والشقا الابدي يسلمون له هذا المقام باعترافهم من غير تلعثم ولا تردد بسبب ان الله تعالى

اعطاه لواء الحمد الا انه سبحانه خلق الله تعالى قدرها في دائرة الحمد وليشهر في تلك العرصات
جمع عرصة وهي كل موضع واسع لابناء فيه بصفة الحمد ولا شك ان مواطن يوم القيمة
كثيرة فما من موطن منها الاوله صلى الله عليه وسلم فيه اليد البيضا والشان الارفع لاسيما
في موطن وزن الاعمال ونظاير الصحف ومشي الناس على الصراط واظلال من اراد الله
من امته تحت ظل العرش جعلنا الله منهم ويبعثه ربه هنالك مقاما محمودا كما وعده في قوله
تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يحمده فيه الاولون
والاخرون لشفاعته لهم في فصل القضاء وقد تقدم تقرير ذلك بما لا مزيد عليه ويفتح
عليه فيه اي في ذلك المقام من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى
امته في كتب انبيائه الذين سلفوا بالحمادين كما سبق نقله ذلك من التورية
والانجيل فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه
الضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وبدائع
اياته اي حسنها فن اخر اي نوع مغاير لهذا النوع وهو ان الله جل اسمه حمى اي
منع ان يسمى بهما اي بهذين الاسمين احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب
كالتورية والانجيل والزبور وبشرت به الانبيا فينبغي ان يكون الكاف والجر ومن به
مستقرا وليس صلة لبشرت لان المبشر به ذات النبي صلى الله عليه وسلم لكن مسمى بهذا
الاسم والتقدير بشرت مسميه به فمنع الله بحكمته التي استاثر بعلمها اذ ذاك
ثم اظهرها لعباده ولعلك التنبيه عليها في كلام القاضي ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به
مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب اي العاجز عن الاستدلال ومعرفة
الايات التي لو ظهرت على يد من تسمى باي اسم كان لم يتردد الناظر في صدق من
ظهرت على يديه او شك المراد بالشك مطلق التردد على طريقة ما يستعمله الفقهاء في
كتبهم وليس المراد مجرد استوا الطرفين كما يستعمله الاصوليون وعلماء المعقول اذ في

ذلك

كرر تسميته ... خطا ... الرعيم

ذلك دافع للظن ايضا والقدر الذي يجب تحصيله من الاذعان في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
الاعتقاد وهو الادراك الجازم الثابت القابل للتشكيك المشكك فهو منحط عن
درجة العلم واعلى من درجة الظن ويشمله والعلم اليقين وكذلك محمد ايضا لم يسم به
احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل تصغير قبل ليفيد تقريب ذلك جدا من زمن
وجوده وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك
رجا اي لرجائهم ان يكون احدهم خبر يكون هو اي النبي صلى الله عليه وسلم فهو اسم يكون
واحدهم خبر مقدم ويجوز ان يكون احدهم اسمها وهو خبرها واستعير المرفوع موضع
ضمير النصب وكان القياس ان يقول يكون احدهم اياه والله اعلم حيث يجعل رسالاته
اقتباس حسن من الاية الكريمة وهو رد على من زعم ان النبوة تنال بالاماني وبمجرد
تهيئة الظاهر لها فسموا ما اللفظ الاسمي وما علموا ان الله لا يضع رسالته الا في
الانفس الكاملة كمالا وهبيا حيث يعلم الله في العبد من الصفات ما يليق لتلقي كتابه
ونزول وحيه وممارسة تنزيله ومكالمة خيرة ملائكته فحيث وان كان ظرفا مكانيا
يكون منصوب المحل على الظرفية الا انه هنا وفي الاية منصوبة المحل على انها مفعول
به لفعل محذوف دل عليه المقام والتقدير الله اعلم يعلم حيث يجعل وليس منصوبا
بافعل التفضيل لضعفه في العمل عن نصب المفعول به وان كان ينصب الظروف من حيث
هي ظروف لتوسعهم فيها واكتفائهم فيها بادنى رائحة الفعل فان قلت لم يكن حيث
ظرفا قلت لان المعنى على تعلق علم الله تعالى بمكان رسالته لا على وقوع علم الله في مكان
الرسالة كما لا يخفى ثم اعلم ان الداعي لان يسمى هؤلا ابناهم بهذا الاسم اخبار صدرت
من كهان ورهبان ونطق الاصنام بسماع صوت منها وهتاف الجان ورويا ملوك
الارض واخبار احبار اليهود بذلك بحيث كانت اليهود في المدينة ينتظرون
انتظار رجل قريبه الغائب المشرف على القدوم وهم اي المسمون باسمه الكريم قبيل

محل تامل

ظهوره رجا ان يكون هو النبي المبشر بظهوره محمد بن أُحَيْحَة بن الجلاح الاوسي اما
احيحة فهو بضم الهمزة ثم حايين مهملتين مفتوحتين بينهما مثناة تحتية ساكنة واما
الجلاح فهو بضم الجيم وتخفيف اللام وحا مهملة في اخره واما الاوسي فهو نسبة الى
الاوس قبيلة من الانصار ومحمد بن مسلمة الانصاري فان قلت لم لم يصف محمد
ابن احيحة بانه انصاري مع انه اوسي وهم قبيلة من الانصار قلت لان اسم
الانصار انما يثبت لمن اسلم واما محمد بن احيحة فلم يسلم بخلاف محمد بن مسلمة
فانه من خيار المومنين على ان ذكر القاضي لمحمد بن مسلمة في هولا ليس في محله لانه في
صدد ذكر من سمي بهذا الاسم قبل مولده الشريف او في ايام المولد الشريف واما
محمد بن مسلمة فقد ولد بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بنحو عشرين سنة ومحمد بن برا
وقيل هو البر بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة
البكري العتواري والبكري

ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران بن ابي حمران ربيعة بن مالك الجعفي
المعروف بابن الشويعر والجعفي نسبة الى

ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حزابة السلمي من بني ذكوان لا سابع لهم فحصرهم المصنف في
ستة وضم اليهم فيما ياتي محمد بن اليحمد من الازد وقد تقدم انه واهم في ذكر محمد بن مسلمة
فلم يزد على ستة ما لنظر الى ما في نفس الامر وقد حصرهم السهيلي في روضه في ثلاثة
وهو حصر مردود مع انه متاخر الطبقة عن المصنف وقد جمع الحافظ ابن حجر
اسما من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرير في بعضهم ووهم
في بعضهم فيتخلص منهم خمسة عشر نفسا منهم محمد بن عداي بن ربيعة بن سواه

ابن جشم

ابن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي العدوي ومحمد بن الحارث بن حلاج بن
حويص ومحمد بن حرمان بن مالك اليعمري ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن يزيد بن عمرو
ابن ربيعة ومحمد الاسيدي ومحمد الفقيمي ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر
وكلهم لم يدركوا الاسلام الا محمد بن عدي والا محمد بن البرا فهو صحابي جزما ويقال ان
اول من سمي به اي بمحمد محمد بن سفيان واليمن اي اهله تقول لم يسم به اولا محمد
ابن سفيان بل سمي محمد بن اليحمد يجوز فيه لغتان ضم اليا وفتح الميم على صيغة المبنا
للمفعول وفتح اليا وسكون الحا كيمنع ويعلم وهو علم منقول من الفعل المضارع
المبدو بال الموصولة على الشذوذ فان كون صلة ال الموصولة فعلا مضارعا قليل وقد ورد
منه ما انت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا ذي الراي والجدل ۞ وقوله
يقول الخنا وابغض العجم ناطقا الى ربنا صوت الحمار اليجدع ۞ فان قلت الاعلام
لا تصدر باللام فلم لم تزل حالة العلمية قلت ذاك اذا لم تكن اللام داخلة في وضع العلم
فان وضع العلم خاليا من اللام فاكتسب التعريف بالعلمية امتنع دخول ال عليه
واما اذا كانت اللام داخلة في الموضوع علما كبنات الاوبر واصول الفقه الذي هو
علم لقبي لهذا الفن المخصوص فلا ضير في ذلك وتكون اللام حينئذ زائدة لازمة
اما كونها زائدة فلانها لم تفد تعريفا اذ التعريف مستفاد من العلمية واما كونها لازمة
فلعدم جواز حذفها بحال من الازد هو حي من اليمن ابوهم ازد بن الغوث ويجوز بالسين
وهو افصح ومن اولاده الانصار كلهم وازد شنوءة وعمان والسراة ثم حمى الله اي منع
كل من تسمى به ان يدعي النبوة اي من ان يدعيها او يدعيها احد له بان ينسبه اليها
او يظهر عليه سبب يشكل امرا اي يوقع في الشك في امره بان يظهر عليه شي من
امارات النبا به وخوارق النبوة التي ظهرت على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من
الانبيا في حال الطفولية وحال الحمل وحال الرضاع فلم يظهر على الانبيا كلهم مثل ما ظهر على

محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم عطف هذه الممنوعات باو ولم يعطفها بالواو قلت
ليفيد تعميم المنع كل واحد منها والتقدير منع من تسمى به من كل واحد منها ولو عطفه
بالواو لتوهم ان المنع انما كان من المجموع لا من كل واحد فكان على حد قوله تعالى ولا تطع
منهم آثما او كفورا فان قلت في الاية نهي صريح وليس في هذه العبارة نهي قلت لفظ
حمى يفيد ما افاده النهي كما لا يخفى حتى تحققت اي وجدت في الخارج السمتان له
صلى الله عليه وسلم اي العلامتان ولهذا قال المصنف اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم
النبيين اي آخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولهذا لم يجعل الله تعالى
الدالتان على انه المسمى محمد المبشر به على لسان الانبيا وفي الكتب السالفة احداها
التسمية بمحمد والثانية دعواه النبوة مع تسمية الناس اياه اياها وظهور خوارق على يديه
لم يبق احد الا وهو مصدق بنبوته او متردد له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما اي في العلامتين م ت
واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث اي بين معناه
الذي كان وصفيا قبل ان يكون علما اذ لا معنى له بعد جعله علما عليه صلى الله عليه وسلم
الا الذات المشخصة لافادته تعيين المسمى والقصد الان بيان المعنى المنقول عنه
لاشعاره بوصف ثابت له صلى الله عليه وسلم ويكون محو الكفر اما من مكة هذا جواب عن
شبهة يوشك ان تورد هنا فيقال ان الكفر لم يمح بل هو موجود في زمنه صلى الله عليه وسلم
وبعده الى الان بكثرة فكيف يقال انه محاه مع ان المحو مقتض لاعدامه فالجواب ان
المراد محوه من مكة وبلاد العرب التي كانت مملوة بالكفر بل باشنع الكفر وهو الشرك
فاستاصله صلى الله عليه وسلم ولم يبق منه ذرة وطهر تلك الارض من هذه الاقذار والارجاس
ولا شك ان في ذلك فضيلة عظيمة حيث ادخل التوحيد في قلوب قوم لم ياتهم نذير من
قبله مع انه صدورهم ملئت شركا ونفوسهم الفت الكفر مع زيادة قوتهم وعظيم شكيمتهم
وطغيان نفوسهم وما زوي له اي جمع له من الارض وذلك ان الله زوى له جانبا من الارض

واضح

واضح ان ملك امته سيبلغ ما زوى له فالله محا الكفر مما زوى له فان قلت ان في ما زوى
له من الارض كفر كثيرا فالجواب انه لم يوجد فيه الا كفر مضمحل داخل تحت القهر متروك
البلاد بصفة الصغار غير ملتفت اليه حكما فكانه لا وجود له ووعد انه سيبلغه ملك امته
فان قلت اذا بلغ ملك امته ما زوى له من الارض فالماحي للكفر منه امته لا هو
قلت امته لم تمح الكفر من تلك البلاد الا بعلمه الذي تلقوه منه وبكتابه الذي انزل الله
عليه وبيده الظاهر وبمعونة همته والاقامة من حيث هم عاجزون عن ذلك ولم
يعط شانهم الا بعده فالماحي في الحقيقة هو بفضل الله تعالى او يكون المحو عاما بمعنى
الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله هذا جواب ثان عن الشبهة
المذكورة تقريره ان المحو للكفر الذي اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم ليس خاصا بما
ذكر اذ تخصيصه به خلاف الظاهر بل يبقى على عمومه وشموله ويكون صلى الله عليه وسلم
قد محا رونق الكفر وان كان نفس الكفر باقيا الا انه لا رونق له حيث ذهبت سطوة
من اتصف به من اهل الارض وصاروا في زوايا الارض خائفين من اهل الاسلام
واهل الاسلام لم يبرحوا ظاهرين عليهم غالبين لهم وان كانوا في سلطانهم فهم في غاية
الذعر من المسلمين كما قال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
على الدين كله اي ليغلبه ويجعله غالبا على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا من غير دين
الاسلام من الاديان واظهار فساد ما كان باطلا منها او بتسليط المومنين على
اهل الاديان كلها اذ ما من اهل دين الا وقهرهم المومنون اتم القهر وها انت ترى
اعظم ملوك الارض من اهل الكفر الفرس والنصارى اما الفرس فاعظم ممالكهم بلاد
العجم وقد افتتحوا منها بل لم يبق لهم فيما نعلم ملك يستندون اليه وقد عدت ممالكهم
دار اسلام واما النصارى فاعظم ممالكهم الارض المقدسة وبلاد الروم والان هي منبع
الاسلام وقبة الايمان واصبحت النصارى فارين في زوايا الارض في جزائر البحار

حيث لا يرضى ان يتوطنه من له ادنى قوة الا فيما قل من بلادهم وقد ورد في تفسيره اي التفسير
الماحي الذي كان صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صار علما له انه الذي محيت به سيئات من اتبعه
فيكون اسناد المحو اليه مع ان الماحي الحقيقي هو الله تعالى اسناد الفعل الى سببه فيكون
مجازا عقليا يعني ان الله خص محمدا صلى الله عليه وسلم بان من اتبعه محي ذنوبه وغيره اتباعهم
يحاسبون على ذنوبهم اعتنا منه بهذه الامة اكراما لنبيهم صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي ليغفر لامتك ما تقدم من ذنوبهم وما
تاخر والدلائل في هذا المعنى كثيرة نذكر منها طرفا في بحث الخصائص ان شاء الله تعالى وقوله
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي شمل الناس المومن والكافر وتعميم دخول
الناس تحت جاهه في الحشر كتعميم دخولهم تحته في الشفاعة وذلك لظهور انه رحمة
للعالمين المومن والكافر والبر والفاجر وقد تقدم ان لفظ قدمي يروى بتشديد الياء على
صيغة التثنية وبتخفيفها على صيغة الافراد اي يحشر الناس على زماني اي في وقت
نبوتي وعهدي فان قلت حين يقع الحشر لا نبوة لانه لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض
من يقول الله الله قلت ذلك يقع من غلبة طغيان النفوس والا فهم مامورون باحكامه
داخلون تحت دعوته وغلبة طغيانهم لم تخرجهم عن كونهم من امته اي امة الدعوة ولهذا
قال المصنف اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين اي اخرهم الذي ختمهم او ختموا به على
قراءة عاصم بالفتح ولهذا لم يجعل الله تعالى له ابنا ولو كان له ابن للاق بمنصبه كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو عاش ابرهيم يعني ابنه لكان نبيا واما نزول عيسى عليه الصلوة والسلام
بعده فليس على طريق نبوته في بني اسرايل بل هو تابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ملته
وحاكم حين نزوله بشريعته على ان المراد اخر من نبئ وعيسى نبئ في الظاهر قبله وان
مات بعده وكذلك الخضر والياس وقيل معنى حشرهم على قدمه انه يتقدمهم وهم خلفه
وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله وحاصل ذلك انهم يتحققون انه الاشان ارفع

من شانه

من شانه فيلوذون به وقيل سمي حاشرا لانه حشر بني النضير من حصونهم المبنية في دار
هجرته صلى الله عليه وسلم الى حيث اذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء من الذلة وتخريب بيوتهم
بايديهم وايدي المومنين وهو اول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره واليه
يلجاون في محشرهم وقيل على طريقته في الحشر بان يذهبوا الى ارض الحشر على سننه
يقتفون اثره وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبيا في القاموس العاقب الذي
خلف السيد وكل من خلف من قبله في الخير كالعقوب ويمكن تطبيق الوصفين عليه
صلى الله عليه وسلم اما الاول فلانه خلف الله في تبليغ شرائعه واحكامه وهو الاحق
بمقام الخلافة من ادم واما الثاني فلانه خلف جميع الانبيا لجمعه اوصافهم وعلومهم
وكمالاتهم مع زيادة وقيل انه اسم عند اهل النار العاقب وقد روي ان قوما من حملة
القران يدخلون النار فينذكرون النبي صلى الله عليه وسلم باسم العاقب لان الله تعالى
انساهم اسم محمد فاذا اراد بهم خيرا ذكرهم اسم محمد فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب
وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي اي بمراى مني بحيث اراهم
لا من يبعثهم في القيام من القبر كما قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا الاستدلال بهذه الاية مبني على ان لفظ شهدا من المشاهدة لا
من الشهادة والجمهور على انه من الشهادة بدليل ما في الصحيحين من ان هذه الامة
تشهد للانبيا بالابلاغ والرسول صلى الله عليه وسلم يشهد للامة بالصدق فيما
شهدوا وذلك يكون علة لجعلهم وسطا اي عدولا خيارا ومعنى قوله لي خمسة اسماء
جواب عن شبهة تورد ههنا تقريرها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي خمسة اسماء
فحصر اسماءه في الخمسة مع ان في احاديث ما يقتضي زيادة على ذلك بل على مائة
وذكر هذا العدد ينفي ما سواه وتقرير الجواب قيل انها موجودة في الكتب اي انه
عني بهذه الخمسة اسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة

لابيان لمطلق اسمائه وما بين في باقي الاحاديث من الزيادة على ذلك فهو بيان لمطلق اسمائه صلى
الله عليه وسلم لا المخصوص اسمائه المرقومة في الكتب المتقدمة فان قلت لم صدر هذه المقالة
بقيل قلت لان الصحيح ان له اسما في الكتب المتقدمة غير هذه كما ستقف عليه والحق ان الحصر في هذه
الخمسة لا ينفي ما سواها الا ان العدد لا مفهوم له واقتصاره على هذا العدد لانه كذا حينئذ كان
لم يقف على ما زاد على ذلك وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس
كما حكي وتقيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي البخاري عن سعيد بن جبير انه
ان معناه يا رجل بلغه عك على قراءة من قراطه واما على قراءة من قراطه فحرفان من حروف
الهجا قيل معناه اطمئن وقيل طأ الارض والها كناية عنها وقال العز بن عبد السلام طه
معناه بالسريانية يا رجل فعرب وقيل بالنبطية وهي منسوبة الى النبط بفتح النون والباء
الموحدة ثم طا مهملة اهل الفلاحة من العجم وكانت اماكنهم سواد العراق والبطائح وقيل
معناه يا حبيبي بلغة عك وقيل طوبى لمن هدى وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي
وجعفر بن محمد وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله انيسين فاقتصر على شطره
لكثرة النداء به والعرب اذا كثر استعمالهم للفظ طلبوا فيه التخفيف بالحذف سيما في النداء
والقسم كما قالوا في ايمن الله م الله وعن ابن الحنفية معناه يا محمد وعن ابي العالية يا رجل
وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وذكر عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة اسما فذكر الخمسة
التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة لاني رسالة من الرحمة ما ليس في رسالة غيره في
الدنيا والاخرة ورسول الراحة لانه صلى الله عليه وسلم حصل برسالته من الراحة ما لم يحصل في
رسالة غيره فمن ذلك ستر المعاصي على الناس اذ كان فيما سبق لا يعصي الرجل ربه عز وجل فيصبح
والمعصية مكتوبة على بابه فعل فلان الليلة كذا وكذا ومن ذلك خلاص الناس ببركته من المسخ
والخسف والامن في هذه الدار من عذاب كان يأتي الامم قبلهم وفي الاخرة بمقتضى قوله
تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون

رسول

ورسول الملاحم اي الحروب وتسميته بها اشارة الى ما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد
نبي وامته ما جاهد صلى الله عليه وسلم وامته والملاحم التي وقعت وتقع بين امته وبين الكفار
لم يعهد مثلها قبله فان امته يقاتلون الكفار في اقطار الارض على تعاقب الاعصار حتى انهم
يقاتلون الاعور الدجال وانا المقفى ففيه النبيين اي تقفيت اثارهم وهو مشتق من
القفو يقال قفا يقفو اذا تاخر عنه ومنه قافية الراس وقافية البيت فالمقفى اي قفى من قبله
من الرسل فكان اخرهم ونبيهم وانا قيم والقيم الجامع الكامل ومنه ما في الحديث اتاني ملك فقال
انت قيم وخلقك قيم اي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم في جميع
اموره وهو مرادف للقيوم الذي هو من اسماء الله تعالى ولا يعدان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم
بما رادف القيوم لكن بمعنى يليق به صلى الله عليه وسلم وهذا كما شارك الله عز وجل في كثير من
اسمائه بمعنى يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم كذا وجدته اي لغيري من العلماء ولم اروه عن احد من
العلماء بطريق من طرق التحمل فان قلت الوجادة احد انواع التحمل قلت لا تقبل الصلاة الا
انه ليست بشيء وارى من الراي ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرنا بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة المراد بالفترة ههنا اما انقطاع الرسل وهي الزمن بين عيسى عليه السلام ومحمد واما
ترك العبادات فان ترك العبادة يسمى فترة ومنه حديث ابن مسعود انه مرض فبكى فقال
اصابني في حال فترة اي سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات والمراد مقيم السنة بعد
انقطاع الرسل او بعد فتور عزم الناس عن العبادات والطاعات فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه الصلوة والسلام لي في القران سبعة اسماء قلت فقد سمي في القران
رؤوفا رحيما وهما من اسمائه التي هي من اسمائه تعالى ايضا ومن بها عليه صلى الله عليه وسلم فلم حصرها
في هذه السبعة قلت لم يذكر في القران الرؤوف الرحيم الا بعنوان انهما صفتان له بدليل تعلق
الجار والمجرور بهما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم ثم جعلا اسمين واستفيد كونهما اسمين

من غير القران محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله اما الثلاثة الاول فتقدم الكلام
عليها واما المدثر فسمي به صلى الله عليه وسلم لا تصافه بالتدثر حين نزل عليه الوحي فاصله المتدثر
ادغمت التا في الدال روي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي
فلم ار شيا فنظرت فوقي فاذا هو اي الملك على عرش بين السما والارض فرعبت منه فرجعت الى
خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل فقال يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها فتدثرت
هذا الامر فقم به وقيل ناداه بالمزمل والمدثر في اول الامر فلما شرع خاطبه بالنبوة والرسالة
واما المزمل فاصله المتزمل ادغمت التا في الزاي وسمي به صلى الله عليه وسلم لما روى انه صلى الله
عليه وسلم كان يفرق من جبريل اول ما اجتمع به ويتزمل بالثياب وقيل اتاه وهو في قطيفة وقال
السدي معناه يا ايها النائم قال وكان متلفعا في ثياب نومه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
يعني المتزمل بالقران وعن عكرمة بالنبوة وقيل من الزمل بمعنى الحمل ومنه الزاملة اي المتحمل
اعبا النبوة وعلى هذا فالمزمل مجاز اعلاقة المشابهة فهو استعارة تصريحية تبعية لوقوعها يكون ع
في شبه الفعل وقال السهيلي ليس المزمل باسم من اسمايه صلى الله عليه وسلم يعرف به وانما هو
مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب
بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه لعلي رضي الله عنه وقد
نام والصق جنبه بالارض قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له لسبق وقوع شي بينه وبين بنته
الزهرا رضي الله عنها فقوله يا ايها المزمل تانيس وملاطفة واما ما روى عن عايشة رضي الله
عنها انها قالت كان متزملا مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه
عليه فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل كان بمكة في اول مبعثه ودخوله بعايشة رضي الله
عنها كان بالمدينة واما عبد الله فقد سماه الله تعالى به في قوله في اية التحدي وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وفي صدر سورة الفرقان في قوله تعالى تبارك الذي انزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وفي صدر سورة الكهف وغير ذلك ولو كان له اسم

ام فمن اسم

اشرف من اسم يتضمن انه عبد الله لما سماه في اعلى المراتب واجل الحالات كالاسرا في قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده وكالتحدي في الاية السابقة وكقدرته على انذار الجن في قوله تعالى
وانه لما قام عبد الله يدعوه ومن ذلك جلوسه كجلوس العبد واكله كاكل العبد وتخيير الله تعالى اياه
بين ان يكون نبيا ملكا وبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا وفي الحديث لا تطروني كما اطرت
النصارى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد
واحمد وحاتم وحاشر وعاقب وماحي فايدة ايراد هذا الحديث مع ان فيه من اسمايه صلى الله
عليه وسلم علم اشتماله على زيادة خاتم ولم يعلم مما سبق وفي حديث ابي موسى الاشعري
انه صلى الله عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة سمي به لانه تعالى قبل توبة من بني امته ما لم يغرغر احدهم ولم تطلع الشمس من
مغربها ويكفي فيها مجرد الرجوع عن الذنب والندم والعزم على عدم العود وامة غيره لا يكفي
فيها ذلك بل لا بد من ضم امر اخر كالعبادة الزايدة بعد التوبة والصدقة ونحو ذلك ولم يقبل
الله توبة بني اسرايل حين عبدوا العجل الا بقتل انفسهم وفيهم نزل قوله قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وتوبة احدهم
تجب ما قبلها وتقبل منهم التوبة ولو عاد الى الذنب الف مرة والله يحب مكثر التوبة
بمقتضى قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وكان ذلك حاصل لهم اعتنا
من الله تعالى به وتعظيما من الله تعالى صلى الله عليه وسلم ولا يغلق باب التوبة الا في اخر
دولة امته ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح انه عليه السلام الله تعالى ومعنى
المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة فهو المرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين لانه انما اتيت به كسبب لا سعادهم موجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقال سعيد
ابن جبير هو رحمة لمن تبعه ومن لم يتبعه فمن تبعه سعد في الدارين ومن لم يتبعه امن
مما كان يصير للكفار قبله من الخسف والمسخ والغرق وكما وصفه بانه يزكيهم اي يزكي امته

الجيدة

بيان تبيان عيها لعله بيانه

والتوبة ح

وتطهيرهم من الاخلاق المذمومة لقاله وحاله ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي المعرفة بمعاني
القران فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومتقدمه ومؤخره وقال مالك بن انس
رضي الله عنه هي المعرفة بدين الله تعالى والفقه فيه والاتباع له وفي مسند الدارمي عن ثابت
ابن عجلان الانصاري قال كان يقال ان الله تعالى ليريد العذاب باهل الارض فاذا سمع تعليم
الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم قال مروان احد رجال سنده يعني بالحكمة القران ويهديهم
الى صراط مستقيم اي الطريق لا اعوجاج فيه وهو طريق الوحي الذي اتاه من الله فمن تبعه نجز
ومن انحرف في دين الله برايه هلك وبالمؤمنين رءوف رحيم قصد بذلك الاقتباس من الاية
فان فيها تقديم الرءوف على الرحيم مراعاة للفواصل والا فالاولى تقديم الرحيم على الرءوف فان
معنى الرءوف شديد الرحمة فلو قدم الرحيم عليه لكان فيه ترق وهو الاولى في مقام المدح
وقد قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او الله تعالى لكن في غير القران في صفة امته انها امة مرحومة
وقال الله تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة لان جملة وتواصوا معطوف على الجملة
الواقعة صلة وهي امنوا فكانت صفة معنوية للذين امنوا ومعنى تواصوا اوصى بعضهم
بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة لجميع خلق الله فبعثه الله تعالى رحمة
امته اي رحم الله به امته رحمة خاصة لا يشاركون فيها بمقتضى قوله تعالى بالمؤمنين رءوف رحيم
والرحمة التي نالها امته به ان الله تعالى اسعدهم به سعادة ابدية دنيوية واخروية جعلنا
الله تعالى منهم ونصب رحمة على انه مفعول له اي بعثه الله الى امته لرحمة الله اياهم ويجوز
ان يكون حالا بتاويل رحمة براحما وحينئذ يجوز ان يكون حالا من الضمير الراجع الى النبي صلى
الله عليه وسلم وان يكون من الله فتدبر ورحيما بهم لانه لم يبرح يراجع ربه ليلة الاسرا في
الصلوات حتى جعلها خمسا بعد ان فرضها خمسين ولم يبرح عند الموت يراجع ربه في امر
امته حتى اتاه من الله تعالى خبر انا لا نسوءك في امتك ومن ثم استغفر لهم وجعل امته امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه الصلوة والسلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله

يحب

يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
ثم اعلم انه قد استدل بعضهم اخذا من كون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة انه لا يدعى له بالرحمة
فلا يقال ارحم محمدا اورده ابو زرعة العراقي بان كونه رحمة للعالمين من رحمة الله تعالى وكره
الجمهور ان يدعى له بالرحمة في خصوص التشهد لعدم وروده في تعليم الصلاة وفي الاعلام بها
مساواته لغيره وسياتي الكلام على هذا في بحث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وحديث
الراحمون الى اخره حديث حسن اخرجه البخاري في الكنى عن عبد الرحمن بن بشر واخرجه
ابو داود عن مسدد وابي بكر بن ابي شيبة واخرجه الترمذي عن محمد بن يحيى وهو الذي
يرويه المحدثون باسانيد ويسمى بالمسلسل بالاولية واما رواية نبي الملحمة فاشارة
الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وغيره من الانبياء وان قاتل
وفرض عليه القتال الا ان الملاحم التي وقعت له في الجهاد والغزو الذي نالها فيه لم ينلها
احد فلم نعلم نبيا قاتل معه الملائكة ولم نعلم نبيا اطلع الله على جنده اطلاعه فقال اعملوا ما
شئتم فقد وجبت لكم الجنة وان الله تعالى نصره بالرعب مسيرة شهر وثبت ذلك لامته ايضا
واحلت له فيها الغنائم التي لم تحل لنبي قبله فلا جرم له مزيد اختصاص بالملاحم فمن ثم اضيف اليها
وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى رضي الله عنه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم في اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم يعني ان تسمية النبي صلى الله عليه
وسلم بهذا الاسم معلومة في اهل بيته بحيث يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم مسمى بهذا
الاسم وهو منقول عن قثم بمعنى كثير العطا والجموع للخير وللعيال كالقثوم ويقال ايضا
للجموع للشر ضد ثم جعل علما على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عم له مات صغيرا وعلى ابن عمه
العباس ولما جعل علما اعتبر انه معدول عن قاثم لسماعه غير منصرف مع انه لم يتحقق فيه
من موانع الصرف سوى العلمية فقدر فيه العدل عن قاثم كما قالوا بمثله في عمر وزفر وقطام

في تميم فان قلت قيل جعله علما هل يعتبر العدل ايضا قلت نعم يعتبر لكن يكون بعد العلمية
ممنوعا من الصرف للعلمية والعدل التقديري وقبلها يكون ممنوعا للوصف والعدل والداعي الى
اعتبار العدل في الحالتين سماعه غير منصرف مع وجوب عدم وجود سبب سوى سبب واحد
غير قائم مقام سببين وقد جات من القابه عليه الصلاة والسلام جمع لقب وهو ما اشعر بمدح بلغ مقابلته على خط المولف
او ذم وسماته اي علاماته المادحة له في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرنا كالنور وقد وقع
ذلك في قوله تعالى قد جاكم من الله نور قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران فهو نور من الله تعالى
لا يطفا والسراج المنير وقد سماه الله به في قوله وسراجا منيرا لانه يستضا به وبشرعه
ودينه كما يستضا بالسراج فاطلاق السراج عليه كان قبل جعله لقبا له استعارة تصريحية
فان قلت من شان السراج الانارة فلم وصفه بالمنير قلت من السرج ما لا اضاة له اذا قل
سليطه ودقت فتيلته فهو حقيق بان يكون منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير
قلوب المومنين ببركته والعارفين بما جا به فهو نير في ذاته منير لغيره ولم يصفه بالوهاج
كالشمس لان المنير ينير من غير احراق بخلاف الوهاج والمنذر والنذير اي الموصوف بالانذار وهو
التخويف من عقاب الله تعالى وقد وقع الاول في قوله تعالى انما انت منذر ولكل قوم هاد والثاني في
قوله تعالى ونذيرا في سورة الاحزاب والمبشر والبشير اي الموصوف بالتبشير والبشارة
هي الخبر السار سمي بذلك لانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذا قال الفقها هي الخبر الاول
حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم زيد فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم بخلاف
ما لو قال من اخبرني بقدوم زيد عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم
او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والشاهد والشهيد وقد سماه الله تعالى بهما مصراع من الوافر
في كتابه العزيز في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا اي الى من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
ونجاتهم وهلاكهم وهدايتهم وضلالهم وفي قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الرسل فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو
اعلم

اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم
من اين عرفتم وانتم جيتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق محمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم كالرقيب المهيمن
على امته عدي بعلى وقدم المعمول للدلالة على اختصاص هذه الامة بكون الرسول
صلى الله عليه وسلم شهيدا عليهم والحق المبين وقد وقع في قوله تعالى حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال تعالى فقل اني انا النذير المبين وقال قد جاكم الحق من ربكم وقال فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران ومعنى الحق ضد الباطل
ماخوذ من حق يحق اذا ثبت والموصوف بالحقية انما هو ما جا به صلى الله عليه وسلم لكنه
لما نطق بالحق ووفاه به صار هو الحق بعينه والمبين اسم فاعل من ابان يبين وفي
القاموس ابان ياتي لازما ومتعديا ويصح تفسيره هنا بكلا المعنيين فان كان من ابان
اللازم فالمعنى الحق المتبين للناس الظاهر الجلي الذي اياته وبيناته تكاد زيتها
يضي ولو لم تمسسه نار نور على نور ولهذا قال من قال ٭ لو لم تكن فيه ايات مبينة ٭ من البسيط
لكان منظره ينبيك بالخبر ٭ وان كان من ابان المتعدي فالمعنى انه المبين للناس
والمبعوث اليهم الحق في قالب سهل الماخذ حلو المقتضى مع اشتماله على ايضاح
ظاهر ونكات عجيبة واحتوائه على جوامع الكلم وحذف المفعول به وصله باسم
الفاعل والمعنى المبين الحق للناس قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وخاتم النبيين
يجوز في خاتم كسر التا وفتحها فالفتح على انه صلى الله عليه وسلم شبيه بالخاتم الذي يختم
به والطابع الذي يطبع به والكسر على انه ختمهم وجاء اخرهم وهذه التسمية نص في انه
لا نبي بعده وفي الحديث لا نبوة بعدي الا ما شا الله تعالى وهي الرويا وفي صحيح مسلم عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاتمها

واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة حيث ختمت الانبيآء ونحوه عن ابي هريرة انه قال
فانا اللبنة وانا خاتم النبيين والرؤف الرحيم قد تقدم الكلام عليهما والامين مقتضى هذه عبارة
المصنف ان الامين من اسمائه المذكورة في القرآن ولا نعلم في القرآن موضعا وسمه فيه بالامين الا
ان يكون بطريق الاستلزام فان الله تعالى وصف في القرآن بالامانة من هو دونه وذلك يستلزم وصفه
به فقد وصف الله تعالى موسى بقوله اني لكم رسول امين نعم هو صلى الله عليه وسلم كان مشهورا
باسم الامين في الجاهلية فكانوا يلقبونه بذلك وبالمأمون كما وقع في شعر كعب بن زهير حين
كان كافرا وارسل الى اخيه بجير تلك القصيدة التي منها قوله • سقاك بها المأمون كأسا روية •
فانهلك المأمون منها وعلكا • فكان منهلا لودائع الناس لعظم امانته وايضا كون القرآن نزل
عليه وكون السنة من وحي الله اليه مشعر بامانته وقد اداها الى الناس بمقتضى قوله تعالى
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فقد جعله الله امينا لاهل السماء والارض صلى الله عليه
وسلم وقدم الصدق وقد وقع ذلك في قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم
قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم
وعن ابي سعيد الخدري هو شفاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن
سهل بن عبد الله هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة للعالمين
وقد تقدم الكلام عليه ونعمة الله وقد وقع تسميته به في قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
قال مجاهد والسدي اي يعرفون ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي ثم ينكرونه وفي قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال سهل اي نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم ولما تكاثرت ببعثته
وظهوره للعالم النعم وشملت بركته المؤمن سمي بنعمة الله كما سمي بالرحمة لشمول حمده الله
العباد بسببه والعروة الوثقى هي في الاصل الحبل الذي يقبض الدلو وصفها بالوثقى اي
المحكمة المتينة ثم اطلق على النبي صلى الله عليه وسلم لانه متمسك متين لا ينفصم فمن تمسك به لا يخل

من التمسك به

من التمسك به الا الى الجنة جعلنا الله منهم والصراط المستقيم الصراط في كلام العرب الطريق قال عامر
ابن الطفيل • شحنا ارضهم بالخيل حتى • تركناهم اذل من الصراط • والمستقيم الذي لا
اعوجاج فيه ولا انحراف وقد قال عاصم الاحول عن ابي العالية الصراط المستقيم الواقع في قوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده قال عاصم فقلت
للحسن ان ابا العالية يقول الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من
بعده قال صدق ووصفه بالمستقيم لان المتمسك به التابع لهديه ناج والمنحرف عنه لم
يبرح على غوايته حتى يدخل جهنم والنجم الثاقب المراد بالنجم الواقع في القرآن هو جنس
النجم والمراد بالثاقب المضي والعرب تقول اثقب نارك اي اضئها قال الشاعر
اذاع به في الناس حتى كانه • بعلياء نار اوقدت بثقوب • الثقوب ما يشعل به النار من
دقاق العيدان وقال مجاهد الثاقب المتوهج وقيل المراد به نجم مخصوص هو زحل سمي بذلك
لانه يثقب الظلام اي ينفذ فيه فيعرفه وقيل ينخفض الى النجوم ثم يرتفع الى محله ويعود
الى مقامه فالثاقب على هذا المرتفع فيمكن تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بجنس النجم في
الاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر او بزحل في علو مقامه وشرف قدره اذ هو
في السماء السابعة حتى لا يصل الى مقامه احد من النبيين صلى الله عليه وعليهم وسلم ثم ترك
التشبيه وجعل علما له صلى الله عليه وسلم ملاحظا فيه التشبيه وقد قال جعفر بن محمد
ان المراد بالنجم في قوله والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم اي اذا نزل من السماء ليلة
المعراج وحكى السلمي في قوله النجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم لانه يهتدى به كما يهتدى
بالنجم والكريم اخذ تسميته به من قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى قوة قدرته على تبليغ الوحي وهو مطاع
عند من بلغه الرسالة وقيل هو جبريل ويؤيد الاول انه قال بعده انه ليس بقول شاعر
ولا كاهن ولا يصح ان يكون هذا في مقابلة انه قول جبريل لان جبريل لم يكن يرميه المشركون

من الوافر

من الطويل

من الطويل

كتب ابن الملا كاتبه هنا قبل ان يرجع المصنف عاطر عليه فاعلم ذلك

بذلك وانما كانوا يرمون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي الامي هو منسوب الى الامة
الامية التي هي على اصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا القراءة وقال ابن عباس كان نبيكم صلى الله
عليه وسلم اميا لا يكتب ولا يحسب وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
وقيل نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام القرى ذكره النحاس وداعي الله وقد وقع وصفه
به في قوله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وذلك على لسان الجن والمراد بداعي الله محمد صلى
الله عليه وسلم وهو وصف اشتهر به صلى الله عليه وسلم حتى عند الجن وهذا يدل على انه صلى الله
عليه وسلم مرسل الى الجن ايضا قال مقاتل لم يبعث الله تعالى نبيا الى الجن قبل محمد صلى الله
عليه وسلم فان قلت ما تقولون في سليمن عليه الصلوة والسلام فانه مبعوث الى الجن اولا
قلت الذي ثبت انه كان مسلطا عليهم قاهرا لهم بقوة الملك والسلطنة ولم يثبت انه
مرسل اليهم وفي صحيح مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا
لم يعطهن نبي قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود
واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا
فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بين يدي مسيرة شهر واعطيت
الشفاعة قال مجاهد الاحمر والاسود الجن والانس واعلم ان اضافة داعي الى
الله على حد اضافة مصارع مصر وليست اضافة لفظية فيها لفساد المعنى لان
المراد الذي يدعو الناس الى الله وليس من اضافة الصفة الى معمولها في اوصاف
كثيرة اي هذه الاوصاف التي اثبتها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في قراننا كائنة
في اوصاف كثيرة كينونة المظروف في الظرف ويشير بذلك الى ان ما ذكر قليل من كثير ومن
شان الكثير ان يكون حاويا للقليل مشتملا عليه اشتمال الظرف على المظروف وسمات
جليلة جمع سمة وهي في الاصل علامة اثر الكي ثم نقل الى مطلق العلامة على عكس المشهور
في النقل من النقل من العام الى الخاص والمراد الاسما الموضوعة لاحضاره صلى

الله

الله عليه وسلم المشعرة في اصل الوضع بجلالة القدر وعلو الشان صلى الله عليه وسلم وان كانت
الان لا دلالة لها الا على مجرد ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وجرى منها في كتب الله المتقدمة اي
السابقة على القران وكتب انبيائهم اي الكلمات التي عن انبيائهم فان للانبياء غير نبينا
صلى الله عليه وسلم احاديث دونت اما في ايام نبوتهم وعدم نسخ احكامهم واما انا نحن معشر
المحمديين ذكرناها واحاديث رسوله واطلاق الامة ولا شك في انها لا تجتمع على ضلالة
ولا تتفق على جهالة وقد اطلقوا عليه اسما باجماعهم وان لم يرد اطلاقها عليه في كتاب ولا
سنة فان قلت لم لم تجوزوا اطلاق اسم على الله تعالى ما لم يرد به كتاب او سنة بناء على الحق
ان اسماء الله توقيفية قلت امر الربوبية وسمات رب العزة جل جلاله خفية علينا
ونحن في غاية العجز عن دركها او درك شي منها فليس لنا ان نجترى على ان نسميه باسم لا
يليق بقدسه وربما يطلق عليه ما لا يليق وهو عندنا مما يليق فلا جرم احجمنا عن ذلك
متمسكين في اسمائه بما سمى به نفسه او سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم اذ هو لا ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى جملة شافية اي تشفي من مرض الجهل فان الجهل من العمى
والمرض كتسميته بالمصطفى ففي صحيح مسلم عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم والمجتبى في القاموس
اجتباه اختاره فهو بمعنى المختار وفي معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار من بني ادم العرب ثم اختارني
من العرب فلم ازل خيارا من خيار وابو القاسم كنية له صلى الله عليه وسلم بولده القاسم
وهو اول ولده ولد قبل النبوة وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال
مجاهد مكث سبع ليال وخطاه العلائي في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا
وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث وفي مستدرك الفريابي ما يدل على

انه مات في الاسلام وهو اول من مات من ولده صلى الله عليه وسلم والحبيب ان قلت ليس ان
من اسمائه حبيب الله فما الفرق قلت الظاهر ان المراد بالحبيب المحبوب المطلق الذي
يحبه جميع الارواح سيما ارواح اهل التوفيق واما المخذولون فارواحهم محبة له لولا مانع
الشقاوة ودواعي نفوسهم الخبيثة ولو خليت ونفسها لكانت محبة له وكيف لا وقد رات
انواره البهية ومراتبه العلية في عالم الست بربكم فمن ثم وقعت محبته جميع الكائنات
له لكن لما دخلت الى ظلمة الاجساد وفق الله من وفق فنبههم على ما مضى وخذل من خذل
فانساه ذلك وغفل عنه ورسول رب العالمين ان قلت كان ينبغي ذكر هذا الاسم
مع الاسماء التي ورد بها القران فان الله سماه في القران رسولا في عدة اماكن قلت الظاهر
ان مراده الرسول المضاف الى رب العالمين ولم يرد في القران الرسول مضافا الى رب
العالمين والرسول انسان بعثه الله الى الناس لتبليغ الاحكام سواء كان معه كتاب اولا
وسواء نسخ شرع من قبله اولا بخلاف النبي فانه انسان اوحي اليه بشرع سواء امر
بتبليغه اولا وقيل انفرد الرسول بقيد ان معه كتابا وقيل بقيد نسخه لشرع من قبله
والقدر الذي اشتركا فيه الوحي بشرع فلا يوحى بشرع الا نبي او رسول واما مجرد
الوحي من غير ان يكون بشرع فقد وقع لغير الانبياء قال العراقي يعتقد كثير ان النبوة
مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم وليست بنبية على الصحيح قال تعالى ليس هو
فارسلنا اليها روحنا الاية وان الله يبشرك وفي صحيح مسلم بعث الله ملكا الى رجل على
مدرجته كان خرج في زيارة اخ له في الله تعالى وقال له ان الله تعالى يعلمك انه يحبك
لحبك اياه في الله والشفيع والمشفع سمي بهما لان الله ياذن له ان يشفع فيقع منه
الشفاعة فيشفعه الله ويقبل منه الشفاعة والمتقي وقد وصف نفسه صلى الله عليه
وسلم به في قوله ان اتقاكم واعلمكم بالله انا والمصلح لان الله تعالى ازال ببركته ما كان بين
اهل الارض من الضغائن فتالفت العرب مع العجم مع ما كان بينهما من غاية الخلاف وتالفت

فرق

فرق العرب بعضها مع بعض مع الخلاف التام بينها سيما بين الاوس والخزرج وقد قال تعالى
واذكروا نعمة الله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الاية والحاصل ان الله تعالى جمع الناس
عربهم وعجمهم على دين الاسلام وصاروا كلهم اخوانا متحابين لا ينظر احدهم الا الى ايمان
اخيه غير مبال بعجميته وعربيته ومخالفته لجنسه كل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم
والطاهر اي من الاخلاق الذميمة والشيم الدنية فوصفه به مستنبط من قوله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم سئلت عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القران وسئلت ايضا
عن خلقه فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات وقالت ما كان احد احسن خلقا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك وقيل
الطاهر من الذنوب وقد استنبط من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وهو بمعنى المطهر بفتح الهاء لكن جوز ان يسمى بالمطهر بكسر الهاء لانه طهر
كثيرا ممن اتصف بالارجاس المعنوية مما لا يحصيه الا الله تعالى وادخلهم الى حضرات
القدس بعد ان كانوا من اخوان الشيطان فجزاه الله عنا بافضل ما جازى به نبيا عن
امته والمهيمن وهو من اسمائه تعالى ايضا قال في القاموس هو في معنى المومن من امن
غيره من الخوف مؤأمن مهيمن قلبت الهمزة الثانية ياء ثم الاولى هاء وقد وقع
ايضا من صفات القران قال تعالى ثم انزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه ومهيمنا من الكتاب
عليه وقد فسر المهيمن الواقع صفة للقران بالرقيب اي رقيبا على سائر الكتب لانه
محفوظ عن التغيير والتبديل فهو نعم الشاهد من ~~[illegible]~~ العدل لها على الصحة والثبات
لمتانته وحفظه عن التغيير والتبديل وفسر ايضا بالعالي المرتفع على سائر الكتب بكثرة
العلوم وبلاغة الاسلوب وغير ذلك من المزايا التي لا تحصى وقيل معناه الحاكم وقيل
الحافظ وقيل المصدق قال بعض مادحي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥ ان الكتاب مهيمن لنبينا ٥ والحق يعرفه ذوو الالباب ٥ لكن لا يستقيم تفسير المهيمن

في الاية بالمصدق لتعديته بعلى والمصدق لا يتعدى بها وانما تزاد فيه لام التقوية الا ان
يضمن معنى العلو والارتفاع وجوز ان المهيمن الواقع في صفات القران فتح
الميم على انه اسم مفعول اي ان محمدا صلى الله عليه وسلم مهيمن على القران اي امين عليه فهو
مهيمن والقران مهيمن واقول كل ذلك جائز في تفسير المهيمن الواقع من سمات
النبي صلى الله عليه وسلم لانه امن غيره من الخوف فبوجوده امن من امن به من خوف
الدارين فسلموا من ذل الدنيا وعذابها الذي وقع لغيرهم من المسخ والخسف ومن
عذاب يوم القيمة بمقتضى وعد الله في كتابه وفيما اوحى الله الى نبيه صلى الله عليه
وسلم وهو رئيس على سائر الكائنات بما لا يخفى وهو ايضا عالي القدر رفيع المقام
حسا ومعنى اما حسا فبصعوده بجسده الى قاب قوسين او ادنى واما معنى
فللحال الذي لا ينحصر بكم ولا يدخل تحت ادراك ولا يكيف بكيفية وهو ايضا
شاهد لسائر الانبيا بالصدق ولسائر الكتب بانها حق وحافظ لمن امن به في الدنيا
بمدده وبعلمه وفي الاخرة بجاهه الذي يصغر عنده كل جاه وهو صلى الله عليه وسلم
مصدق لسائر الانبيا بالبلاغ ويجوز ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بالمهيمن بفتح الميم
لان الله تعالى راسه اي جعله رئيسا فهو مراس وحفظه فهو محفوظ ورفعه فهو
مرفوع والصادق والمصدوق اما الصادق فمعناه الذي صدق الامة فيما بلغهم
من ربه واما المصدوق فمعناه الذي صدقه جبريل فيما جاء به من عند الله تعالى وصدقه
الله تعالى في ما وعده به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد امسك بباب
الكعبة لا اله الا الله وحده صدق وعده الحديث وقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام فلا جرم كان صلى الله عليه وسلم مصدوقا صدقه الله تعالى
وجبريل ومن بلغه من الملائكة والهادي اي الموصوف بانه يهدي من بعث اليهم والهداية
الدلالة بلطف ولا تستعمل الا في الخير واما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فعلى التهكم

وهداية النبي صلى الله عليه وسلم للمبعوث اليهم بنصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل
والصلاح والفساد وقد قال الله تعالى في حق انبيا اسرايل وجعلنا منهم ايمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وسيد ولد ادم السيد من القوم
اجلهم والولد للجمع والواحد فان كان مفردا فينبغي ان تكون الاضافة للاستغراق بقرينة
المقام اي انا سيد كل ولد ادم وان كان للجمع للجنس فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد الاولاد
ادم سيادته على ادم نفسه اذ في اولاده من هو افضل منه بالاجماع كموسى وعيسى وابرهيم
عليهم الصلاة والسلام فاذا كان سيد الفاضل كان سيد المفضول وقد ثبت اطلاقه
في السنة الصحيحة روى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد الناس
يوم القيمة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين الحديث ونقل حديث الشفاعة
وفي حديث الشفاعة الذي اخرجه احمد في مسنده قال فيقول عيسى بن مريم ليس ذاكم
عندي ولكن انطلقوا الى سيد ولد ادم فانه اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة
انطلقوا الى محمد الحديث وسيد المرسلين تقدم ان السيد من القوم اجلهم فهو اجل المرسلين
ويلزم منه ان يكون اجل النبيين لان الرسل نبي وزيادة فاذا ساد على من انضم الى النبوة
وصف اخر فكيف لا يسود على من انفرد بوصف النبوة وانما كان سيدهم لان السيادة
ان كانت بكثرة المعجزات فهو اكثرهم معجزات ويكفيك في معجزاته معجزته القائمة الى يوم
القيمة وهي القران واخباره بغيوب نراها واقعة طبق ما اخبر به والقد بالعزة
وان كانت بكثرة الاتباع فهو اكثرهم تابعا كما يشهد له حديث السبعين الفا الذين يدخلون
الجنة بغير حساب وان كانت بكثرة المزايا فيكفيك تكليم الله تعالى اياه في مقام قاب
قوسين او ادنى وتكليمه موسى في الجبل ومع ذلك فقد قال اكثر العلما انه راه بعيني راسه
ومع ذلك فكلهم مستمد من روحه الكريمة وما اوتي احد فضيلة الا وهي مقتبسة من نوره

ماخوذة من مشكاة فضله حتى ادم فانه اب لمحمد صلى الله عليه وسلم في الوجود الطيني وابن له في
الوجود الملكي كما قال ابن الفارض على لسانه صلى الله عليه وسلم ٥ واني وان كنت ابن ادم صورة ٥
فلي فيه معنى شاهد بابوتي ٥ وامام المتقين اي قدوة لكل متق سبقه او لحقه فيشمل الانبياء
والاولياء والعباد والمجاهدين وسائر من اتصف بعنوان التقوى فاللام في المتقين للاستغراق
فان قلت قدوة من تاخر عنه به ظاهرة فما معنى قدوة من تقدم به قلت ما سار متق سيرا
باطنيا الا واشرف في سلوكه على مقام النفس المحمدي الذي محمد صلى الله عليه وسلم مظهره
الى العالم الحسي وهو عنوان الوصول الى الله وعند ذلك يعلم مقام محمد صلى الله عليه وسلم
من راه في العالم الحسي وسمع به فيه ومن لم يره ومن تقدم كبحيرة وبعض الطريق امن به كثير
من الرهبان النصارى حيث ساروا سيرا باطنيا اداهم الى الاشراف على مقامه الشريف
وشاهدوا ذروة عزه المنيف فلم يسعهم الا الايمان به بجذب توفيق الله تعالى وبالجملة فما
سعد من سعد من الاولين والاخرين الا بالاقتدا به وجعل الله تعالى طرق الوصول اليه
مسدودة الا على من سلك منهاجه وتبع طريقه وقائد الغر المحجلين اي الذي يمشي
امامهم الى الجنة وهم تابعوه وفيه اشارة الى ان ذهابهم الى الجنة على رضا منهم بخلاف
المجرمين فانهم يساقون الى جهنم كما قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي القاموس
القود نقيض السوق فهو من امام وذاك من خلف والغر جمع اغر وهو الموصوف
بالغرة وهي في الاصل بياض في وجه الفرس والتحجيل بياض في قوائمه وذلك مما
يكسبه حسنا وجمالا وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان امته يدعون يوم القيمة غرا
محجلين من اثار الوضوء ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع
منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي مسندي احمد بن حنبل والبزار عن ابي الدردا رضي الله
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يوذن له بالسجود يوم القيمة وانا

اول

اول من يرفع راسه فانظر الى بين يدي فاعرف امتي من بين الامم ومن خلفي مثل ذلك وعن
يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك فقال رجل كيف تعرف امتك يا رسول الله من بين الامم فيما
بين نوح الى امتك قال هم غر محجلون من اثر الوضوء ليس احد كذلك غيرهم واعرفهم انهم يوتون
كتبهم بايمانهم واعرفهم تسعى ذريتهم بين ايديهم فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم النور الذي
يكون يوم القيمة في اعضا الوضوء بالغرة والتحجيل ليفهم ان هذا البياض في اعضا الانسان
مما يزينه لا مما يشينه ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يدعون غرا محجلين اي ينادون
على روس الاشهاد بهذا الوصف فيكون غرا محجلين صيغة الدعا والندا وقيل المعنى
يدعون وهم على هذه الكيفية وهذا البياض الذي يحصل في وجوه هذه الامة من
اثار الوضوء غير البياض الذي يحصل في وجوههم من اثر السجود وهو المشار اليه بقوله
تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود قال الحسن هو بياض يكون في الوجه يوم
القيمة وفي البخاري في الحديث الطويل حتى اذا فرغ الله من القضا بين العباد واراد
ان يخرج برحمته من اراد من اهل النار امر ملائكته ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك
بالله شيا ممن اراد ان يرحمه ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم باثر
السجود تاكل النار ابن ادم الا اثر السجود حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود
وعن شهر بن حوشب يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر اللهم
اجعلنا منهم برحمتك يا ارحم الراحمين وحبيب الله اي محبه البالغ في محبته الى حد لا
يصل اليه قربة المخلوقين او محبوبه اي الذي اراد به غاية الخير بحيث لم يدع خيرا يمكن
ان يصل اليه المخلوقون الا وقد نال منه اوفر حظ وخليل الرحمن اي الذي تخللت
محبة الرحمن عز وعلا اجزا روحه وجسده وقد سبق الكلام على الخلة والمحبة
بما لا مزيد عليه وصاحب الحوض المورود انما سمي به لاختصاصه من بين الانبيا
بالحوض وان قلنا بان لكل نبي حوضا فتسميته به لجلالة حوضه وعظم شانه

كذا
دروعهم
لعله
نورهم

لعله
لا يصل اليه قربة
او قربة المخلوقين اليه

والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة
الرفيعة صح

متن اغفله
الشارح

بحيث ان حوض غيره في جنبه كلا حوض وسمي مورود الكثرة من يرد عليه ففي الحديث انه
ليرد على الحوض اكثر مما بين صنعا وايله ومعنى المورود اي الذي يكثر من الناس ورده اي
الاشراف عليه وهو بكسر الواو سواء دخلوه ام لم يدخلوه كذا في القاموس لكن المراد بورود
الناس حوض النبي صلى الله عليه وسلم الشرب منه اذ يلزم من وروده الشرب منه عادة اذ
الجواد اذا كان بين يديه ما وجاءه العطاش لا بد من ان يسقيهم لاسيما ان قارن الجود
الحلم والرافة وكان الوارد ذا حاجة شديدة فلا بد من سقيهم شربة لا يظما بعدها ابدا
وصاحب التاج سمي به لانه لم يضع العمامة من الانبيا غيره والعمائم تيجان العرب وقد
كان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس وقد دخل صلى الله
عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى راسه عمامة سودا وما في رواية انس انه كان على راسه
المغفر غير مناف لهذا فانه وضع العمامة عليه فوق المغفر او انه خطب اولا بالمغفر
ثم لبس العمامة والمعراج وهو السلم الذي تصعد عليه الملائكة الى السما لم يصعد عليه
هيكل بشري الا هيكل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تصعد عليه الارواح ولهذا
امتاز من بين الانبيا بهذه التسمية فانهم وان كانت ارواحهم الطاهرة عرجت عليه
فهو قد عرج عليه بجسده زاده الله شرفا واللوا هو العلم الذي يحمل في الحرب
يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر وقد يحمله هو بنفسه وقد
صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللوا والراية لكن روى احمد والترمذي عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء
ولواؤه ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة وزاد
مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير ونقل ابن اسحق
وابو الاسود عن عروة ان اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل
ذلك الا الالوية والظاهر لي ان المراد باللوا المضاف اليه صاحبه وصار بعد ذلك

اسمائه

اسمائه صلى الله عليه وسلم هو لواء الحمد الذي يكون بيده يوم القيمة ويمتاز بهذه الميزة التي
يغبطه فيها الاولون والاخرون وقد تقدم الكلام على لوا الحمد وصاحب القضيب يمكن ان
يراد به القضيب المعروف وقد يمسك صلى الله عليه وسلم بيده قضيبا من خشب وفي
القاموس القضيب اللطيف من السيوف ويمكن ان يكون مرادا هنا وقد سمي في الانجيل
بذلك فان قلت تسميته بذلك يشاركه فيها كثير من الناس فما الحكمة المادحة له صلى الله عليه
وسلم في هذه التسمية قلت المراد بالقضيب السيف الذي وقعت له فيه تلك القضية
العجيبة والنبا الغريب وهي انقلاب القضيب له سيفا في غزوتي بدر واحد اما بدر
فمع عكاشة بن محصن الاسدي قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدي
يوم بدر بسيفه حتى انقطع بيده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جزلا من
حطب فقال قاتل به فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل
به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به
المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده واما احد فقد صح انه
انقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا
فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى باعه التركي من امراء
المعتصم في بغداد بمائتي دينار فينبغي ان يسمى محمد صلى الله عليه وسلم بصاحب سيف
ظهرت فيه هاتان المعجزتان وراكب البراق في الصحيح ان ابرهيم كان يركب البراق
فتسمية محمد صلى الله عليه وسلم به مع وقوع ركوبه من غيره لانه صلى الله عليه وسلم ركبه
ركوبا مخصوصا لم يشارك فيه وهو ركوبه من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى
السموات الى ما فوق ذلك فلا جرم كان له به مزيد اختصاص فناسب ان يوصف
بكونه راكبه ثم انه يوصف يسمى به والناقة عطف على البراق اي وراكب الناقة
والنجيب عطف عليه ايضا اي وراكب النجيب وهو الناقة ايضا وهو في الاصل

اسم لكل كامل من الحيوان سميت به الناقة لانها خير اموال العرب سمي بذلك صلى الله عليه وسلم
لاكثاره من ركوب النوق فقد كان له من النجايب عدة والمراد بالنجيب هنا اما الناقة التي
كان يركبها وسمي براكبها لانه هاجر عليها ونزل وطنه الله تعالى عليها وهي العضبا ولم يكن
بها عضب ولا جدع وانما سميت باسم امراة كانت تملكها وقد نطقت للنبي صلى الله عليه
وسلم فقالت له يا رسول الله كنت لامراة اسمها العضبا وكنت كلما جيت الى حومة من
الكلا ارعاها نادتني الاخرى هلم الي يا ناقة محمد فعلمت انك سترتكبني من يوميذ
فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم مالكتها اسعارا بهذا النبا العجيب وقيل
المراد بالنجيب فرس كان يركبه صلى الله عليه وسلم اسمه النجيب وكان اشتراه من
اعرابي فانكر فشهد به له خزيمة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين
وصاحب الحجة اي البرهان والمراد معظم الدلايل القطعية التي لا تسلط للنقض
عليها لما فيها من افحام الخصوم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشهر سيفه في وجوه
الكفرة حتى افحمهم بالدلايل القاطعة والبراهين الساطعة فلم يدع لهم شبهة يتشبثون
بها الا ازالها ولا امارة يتمسكون بها الا جعلها هبا منثورا ولم يبق بعد ذلك الا
المكابرة والمكاثرة فلا جرم دفع مكابرتهم بالسيوف المرهفة ومكاثرتهم بجنود الله
المويدين والانصار والمهاجرين والسلطان اي وصاحب السلطان ففي القاموس
السلطان الحجة وقدرة الملك ويضم لامه والوالي مونث لانه جمع سليط للدهن كان
به يضي الملك اولانه بمعنى الحجة وقد يذكر ذهابا الى معنى الرجل انتهى وتسميته بصاحب
السلطان لانه ذو حجة بالغة وقدرة تامة وكان واليا على ارض الله وسمائه بتولية
الله اياه وقد سخر الله سلطانا على الجن والانس وحكم على العناصر الاربع وقهر
كل من صادمه بقدرة تامة تزيد على القدرة السليمانية والخاتم اي وصاحب الخاتم
واحسن ما يراد به خاتم النبوة لا الخاتم التي كان يلبسها بيده وهو خاتم بين كتفيه

يتم مسكا مثل زر الحجلة وفي صحيح مسلم جمع عليه ثاليل سود وفيه انه كبيضة الحمامة
وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمايل بضعة ناشزة وفي الترمذي ودلايل البيهقي
كالتفاحة وفي تاريخ ابن ابي خيثمة شامة خضرا محتفرة في اللحم وفيه ايضا شامة سودا
تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس وفي كتاب الترمذي الحكيم
كبيضة الحمامة مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها توجه حيث شئت
فانك منصور وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول
الله والعلامة اي وصاحب العلامة وهي خاتم النبوة لانها العلامة التي ذكرت في الكتب
السالفة واخبر بها عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام سلمان بانها من اعظم شواهد
انه النبي الذي ختمت به الانبيا والبرهان اي صاحب الادلة القطعية على صدقه في ما
ادعاه وصاحب الهراوة هي لغة العصا وقد كان صلى الله عليه وسلم يمسك في يده
القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا وتغرز له في الارض فيصلي اليها
والنعلين اي وصاحب النعلين سمي بذلك لانه كان له نعلان وكان يحب النعال
السبتية نسبة الى السبت بكسر السين اي جلد البقر سميت بذلك لان شعرها
قد سبت عنها اي حلق وازيل وقيل لانها قد انسبتت بالدباغ اي لانت وفي صحيح
مسلم والترمذي عن ابن جريج انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال السبتية قال
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا
فيها فاني احب ان البسها وسبب تسميته بذلك فيما لغة ما كان عليه اهل الجاهلية
حيث كانوا ينتعلون في رجل واحدة وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الانتعال
في رجل واحدة فقال لا يمش احدكم في نعل واحدة لينتعلهما جميعا او ليخلعهما
جميعا ومن اسمايه في الكتب التي نزلت على من قبله من الانبيا المتوكل لان له
القدم الراسخ في باب التوكل لانه من نتايج التوحيد وكل من رسخ قدمه في التوحيد

رسخ فى التوكل وجميع العالمين عيال على سيد الاولين والاخرين فى التوحيد فلا جرم كان
ارسخهم قدما فى التوكل ولهذا سرى ذلك فى امته حتى دخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب
ومع كل واحد منهم سبعون الفا وهم الذين على ربهم يتوكلون والمختار لان الله تعالى اختاره
من بين العرب والعجم لما اراد به من الخير ومقيم السنة اي سنة من مضى من الانبيا الذين
جاؤوا بالهدى ومعنى اقامتها اظهار شعارها بسبب تقريرها للناس على وجهها من
قولهم اقام العود اذا قومه او من قولهم قامت السوق اذا انفقت واقمتها اذا جعلتها
نافقة قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا (من المتقارب)
فانه جعل السنة كالبضاعة النافقة بعد الكساد واعراض الناس عنها ورغبتهم
فى طرائق الضلال والمقدس اي المعظم الممجد عما ينسب اليه اهل الضلال لان
التقديس معناه التعظيم وقيل معناه المطهر من الاخلاق المذمومة وقيل معنى التقديس
الصلاة فالمراد الذي يصلى الله وملائكته والمومنون كذا وروح الحق اي الاسم الاعظم (لعله الذي يصلى عليه)
لانه مظهر اسم الله تعالى الاعظم ذكره الشيخ محيي الدين بن عربي فى الفصوص وهو معنى
البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
اعلم انه وقع تسميته به في انجيل يوحنا وفى بعض نسخه الفارقليط بالفا وبعدها (قوله الفها كذا بالخط وكان مراده بمرجع الضمير البارقليط بالباء والفارقليط بالفاء)
الفها را مفتوحة وقاف ويجوز سكون الرا مع فتح القاف ويجوز الرا مع سكون القاف كسرها
اسم اعجمي غير منصرف للعجمة والعلمية ومعناه روح الحق اي خلاصة الحق ويمكن ان
يكون من اضافة الموصوف الى الصفة اي روح هو حق والروح هو العلم لان بالعلم
حياة النفوس من الجهل وفى النهاية الاثيرية انه اسم من الكتب السالفة فارقليطا
اي يفرق بين الحق والباطل وفى الحديث محمد فرق بين الناس اي يفرق بين المومنين
والكافرين بتصديقه وتكذيبه وقيل معناه الحامد وقيل الحماد وقيل الحمد واكثر النصارى
على ان معناه المخلص ومن اسمائه فى الكتب الالهية ماذ ماذ بميم ثم الف ثم ذال

معجمة

ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة

معجمة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة ايضا وضبطه الشهاب الحجازي تلميذ الحافظ ابن حجر في
حاشيته على هذا الكتاب ناقلا عن السهيلي انه بضم الميم واشمام الهمزة بين الواو
والالف ممدودة وقال نقلته عن رجل اسلم من بني اسرايل وقال معناه طيب طيب
وحمطايا ضبطه البرهان الحلبي والمحشي بمهملة مفتوحة وميم مشددة وطا مهملة
بعدها الف فمثناة تحتية فالف وفى المواهب اللدنية لشيخ مشايخنا الشهاب القسطلاني
بفتح الحا المهملة وسكون الميم فمثناة تحتية فالف فطا مهملة فالف قال الهروي معناه
حامي الحرم قال ابو عمر سالت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم
ويمنع الحرام ويوطئ الحلال وكان حاصله انه مبطل ما كانت عليه اهل الجاهلية من الانكحة
الذميمة كنكاح الشغار والخادم والحاتم بالحا المهملة والخاتم بالخا المعجمة حكاه كعب
الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا
فى القاموس الحاتم القاضي ورسول الله صلى الله عليه وسلم اقضى خلق الله اي اعلمهم
بالقضايا والاحكام الشرعية ولهذا كان قضاؤه حقا مطلقا ولو عن اجتهاد لانه
معصوم عن الخطا حتى فى اجتهاده واما قصة اسرى بدر فمحمولة على ارتكاب خلاف
الاولى لا على الخطا ويسمى اي النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشقح فى المواهب
هو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالقاف المشددة المفتوحتين ثم حا مهملة وروى بالقاف
بدل الفا وفى كتاب شعيب قد صرح بتسميته به والمنحمنا هو بضم الميم وسكون
النون وفتح الحا المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة مقصور
وضبطه بعضهم بفتح الميمين ومعناه بالسريانية محمد واسمه فى التورية ايضا
احيد الذي في نسخ الشفا انه بضم الهمزة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية
ساكنة ثم دال مهملة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحا وفتح المثناة
التحتية وفى نسخة بفتحها وكسر الحا وسكون المثناة ونقل النووي رحمه الله في تهذيبه

(انظر ان للشهاب الحجازي حاشية على هذا الكتاب وانه تلميذ الحافظ ابن حجر)

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد
وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد عن امتي نار جهنم روى ذلك عن
ابن سيرين وهو من اعلم التابعين ومعنى صاحب القضيب اي السيف سمي السيف
قضيبا لانه من قضبه يقضبه قطعه فقضيب بمعنى فاعل وهو البالغ في القطع ومنه
السيف القاضب اي القاطع اي صاحب السيف الذي لا يرده في قطعه راد لانه يايد
بالحجج الظاهرة وسيف من عداه وان كان قاضبا لكنه ليس قضيبا اي وان كان له
قطع في الجملة لكنه ليس مبالغا في قطعه وقع ذلك مفسرا اي بهذا التفسير في الانجيل قال
معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي
كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفا قال ابن فارس وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم محجن ومخصرة تسمى العرجون وقضيب يسمى الممشوق وفي الحديث
انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن بمحجنه قال ابن الجوزي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قضيب وهو اليوم عند الخلفا وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يحب العراجين ولا يزال في يده منها فدخل المسجد فراى نخامة في
قبلة المسجد فحكها ثم اقبل على الناس مغضبا فقال ايسر احدكم ان يبصق في وجهه ان
احدكم اذا استقبل القبلة انما يستقبل ربه عز وجل والملك عن يمينه فلا يتفل عن يمينه
ولا في قبلته وليبصق عن يساره وتحت قدمه فان عجل به امر فليفعل هكذا والمحجن
عصا معقفة كالصولجان والميم زائدة والمخصرة ما يختصره الانسان فيمسكه من
عصا او عكازة او مقرعة او قضيب وقد تقدم منا كلام في تسميته بصاحب القضيب
ينبغي ان يكون هو المعول عليه واما الهراوة التي وصف بها حيث كان من اسمائه صاحب
الهراوة فهي في اللغة العصا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عصا يتوكا عليها ففي كتاب
الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال التوكؤ على العصا من اخلاق الانبياء

عليهم

عليهم الصلوة والسلام وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكا عليها ويامر بالتوكؤ
على العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي
لاهل اليمن اي ابعد الناس حتى يدخل اهل اليمن الى الحوض فيشربون منه قال النووي
وهذا ضعيف لان المراد تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدلون بها على صدقه وانه
المبشر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح تفسيره بعصا تكون في الاخرة واقول
يمكن ان يكون مراد القاضي تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بامر يختص به لا يشاركه
فيه مشارك ومسك العصا في يده مما يشارك فيه بخلاف ذود الناس عن حوضه
بتلك العصا فلا مشارك له فيه والمقصود ذكر اسما النبي صلى الله عليه وسلم وقد يسمى
باسما كنية اخروية كصاحب الشفاعة لكن لو حمل على العصا التي انقلبت سيفا في غزوة
بدر مع عكاشة بن محصن الاسدي حليف بني عبد شمس بن عبد مناف والتي انقلبت
سيفا في غزوة بدر ايضا مع سلمة بن اسلم بن حريش الليثي والتي انقلبت سيفا لعبد الله
ابن جحش يوم احد لكان اولى ولكان مميزا له صلى الله عليه وسلم اتم تمييز مع اختصاصه (أولى ؟)
به وظهور معجزة بها فاقت على عصا موسى كما قال الصرصري في نونيته
وعصاه لما مسها بيمينه ۝ فضلت عصا صارت الى ثعبان ۝ وللشيخ علم الدين (من الكامل)
السخاوي من قصيدته التي سماها الدرر في معجزات سيد البشر صلى الله عليه وسلم

(من الطويل)
۝ واعطيت عودا يوم بدر عكاشة ۝ جهارا فعاد العود عضبا مهندا ۝
۝ كذلك في بدر قضيب ابن اسلم ۝ تحول في كفيه سيفا مجردا ۝
۝ وعاد عسيب النخل في احد كذا ۝ حساما به عاد ابن جحش مقلدا ۝

واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب ۝
وقد تقدم ذكر شي من عمامته وقد روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث ان ۝
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سودا قد ارخى ۝

طرفيها بين كتفيه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عصابة دسما والعصابة العمامة والدسما السودا وكان اذا اعتم يدير كور العمامة على راسه ويغرزها من ورايه ويرخي لها ذوابة بين كتفيه ويمكن ان يراد بالتاج القلنسوة وقد كان له صلى الله عليه وسلم قلنسوة بيضا مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات اذان يلبسها في السفر وله قلنسوة طويلة ذكر ذلك كله في كتاب الوفا واوصافه والقابه اي اعلامه التي فيها اشعار بمدحه صلى الله عليه وسلم وسماته اي علاماته المذكورة في الكتب السالفة مشهورة كثيرة وفي ماذكرنا مقنع ان شا الله تعالى مصدر ميمي من قنع اذا رضي بما قسم له وليس من القنوع بضم القاف الذي هو الذل والسوال ومن دعايهم نسال الله القناعة ونعوذ به من القنوع وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم بابنه الاكبر وهو اول من ولد له لم يسبقه ذكر ولا انثى ومات وهو ابن سنتين وقيل عاش حتى مشى وقيل بلغ ان يركب الدابة ويسير على النجيب ثم ولد له بعد القاسم زينب تزوجها ابو العاص بن الربيع ولدت له عليا وامامة التي حملها في الصلاة وتزوجها اي امامة علي بعد موت فاطمة رضي الله عنها ثم ولد للنبي صلى الله عليه وسلم رقية ثم ام كلثوم التي تزوجها عثمان بن عفان فماتت عنده فزوجه رقية وماتت عنده وولدت لعثمان ولدا اسمه عبد الله مات صغيرا ثم ولد له صلى الله عليه وسلم فاطمة اصغر بناته ثم ولد له صلى الله عليه وسلم عبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل ان الطيب والطاهر غيره والصحيح الاول فهولا كلهم من خديجة وروي عن انس انه لما ولد ابرهيم جاه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابرهيم وهو ولده الذي اتاه من مارية القبطية فالحاصل ان بناته اربع بلا خلاف والصحيح في البنين انهم ثلاثة وكلهم ماتوا قبله الا فاطمة فانها عاشت بعده وفات المصنف ان يذكر من كناه ابا الارامل ذكره ابن دحية وابا المومنين وقري شاذا وازواجه امهاتهم وهو اب لهم

فصل في تشريف الله له اي اعلاء الله مقامه وقدره بما اي

بسبب

مطلب

بسبب ما سماه الله به من اسمايه اي الله الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول اي ما احلقه لانخراطه في سلك مضمونها اي عدة جزييا من جزييات مضمونها بان يعد مضمونها امرا كليا له افراد وما تضمنه هذا الفصل فرد منها فقد شبه المصنف المضمون بلالي منضومة في خيط من غير تصريح بشي من اركان التشبيه الا المشبه فهو استعارة مكنية واثبات السلك الى المضمون استعارة تخييلية لان السلك من لوازم المشبه به لاننا اعتبرناه اللالي بقيد كونها مضمونة في سلك وامتزاجه بعذب معينها اي ماءها الطيب والمراد ما فيها من المباحث التي هي في حسنها كالما العذب المعين فتشبيه ما فيها من الابحاث بالما العذب استعارة تصريحية لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه اي استخراجه من نصوص الكتاب والسنة ولا اثار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه اي مباحثه التي هي كالجوهر في النفاسة فهو استعارة مصرحة وذكر الاستخراج ايهام الاغتراف الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيايه بكرامة خلعها عليهم اي البسها اياهم بطريق التفضل المقرون بالاكرام المتفضل عليه كما هو شان الخلعة التي يخلعها الملك او الامير على من يروم اكرامه ففي خلعها استعارة تصريحية تبعية لوقوعها في الفعل من اسمايه من هنا تبعيضية كتسمية اسحق واسماعيل وهما ابنا ابرهيم الاول من سارة والثاني من هاجر بعليم وحليم على طريق اللف والنشر المرتب فانه تعالى وصف اسحق بعليم في سورة الحجر في قوله تعالى حكاية عن ضيف ابرهيم قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ووصف اسماعيل بانه حليم في سورة الصافات في قصة الذبيح حيث قال فبشرناه بغلام حليم بنا على ان الذبيح اسماعيل وعليه اكثر اهل العلم فان قلت وصف اسماعيل بانه حليم صدر من الله تعالى لكن وصف اسحق بانه عليم صدر من الملايكة والله تعالى حكاه عنهم قلت المراد وصفه بذلك في كتابه تعالى

ومع ذلك فالله حكاه عنهم واقره وارتضاه حيث لم يعقبه برادع له وايضا الملائكة لا
يستقلون بكلام وانما كلامهم صادر منهم عن امر منه تعالى لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وابرهيم بحليم اي ووصف ابرهيم بانه حليم في سورة هود قال تعالى
ان ابرهيم لحليم اواه منيب ونوحا بشكورا اي ووصف الله تعالى نوحا بانه شكور في سورة
الاسرا قال تعالى واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا من
دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا فاكثر المفسرين على ان الضمير راجع الى
نوح اي ان نوحا كان مكثرا من الثنا على شكر الله تعالى وهو صرف العبد جميع ما انعم الله به
الى ما خلق لاجله وكان شكره انه لا يرى الخير الا من الله تعالى وقال قتادة كان اذا لبس
ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله كذا رواه عنه معمر وروى معمر عن منصور عن
ابرهيم قال شكره اذا اكل قال بسم الله واذا فرغ من الاكل قال الحمد لله وقال سلمان
الفارسي لانه كان يحمد الله على طعامه وقال عمران بن سليم انما سمي نوحا عبدا شكورا لانه
كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا لاجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي
سقاني ولو شا لاظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شا لاعراني واذا
احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا لاحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي
اذهب عني الاذى ولو شا لحبسه في وفي ذلك ايما الى ان انجاه من الغرق ومن الله
تعالى عليه بالسفينة التي صارت اية تذكر الى يوم القيمة انما كان ببركة شكره لله تعالى
وفيه حث للذرية على الاقتدا بابيهم الصالح وان خير من يقتدى به العاقل صلحاء السلف
وقيل ان الضمير المنصوب راجع الى موسى وفيه بعد ويحيى وعيسى ببرا اي ووصف
الله تعالى يحيى وعيسى بان كلا منهما بر في سورة مريم قال تعالى في يحيى وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا وفي شان عيسى وبرا بوالدتي فان قلت عيسى هو الذي وصف
نفسه بذلك قلت لما قال ذلك في وقت الطفولية والمهدية لم يكن ذلك الا من الله تعالى

لان

لعله وشرابه

لعله اي انه انجاه

انجاه مصدر مضاف لا فعل ماض كما توهم القاضي اعني ابرهيم بن الملا اعياض منه

لان الله تعالى هو الذي خلق فيه النطق وليس لاختياره فيه مدخل اذ هو من باب خرق
العادة فهو على اسلوب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان قلت من اسمائه تعالى
البر غير مقيد وهما وصفا بانهما بران بابويهما فقد وصفا بالبر المقيد قلت من كان برا
بابويه كان برا اذ المطلق موجود في ضمن المقيد على ان المراد ان الله تعالى اطلق
اللفظ الذي حمل على ذاته الشريفة لحمل هو على مخلوق بمعنى يليق بالمخلوق كما
ان اطلاق ذلك عليه بمعنى يليق بجلاله وموسى اي ووصف موسى بكريم في قوله تعالى
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم احسن ما يقال فيه انه كريم على
الله تعالى لانه مقام مدح وذلك حيث ارتضاه الله تعالى لرسالته وكلامه وتلقي كتابه
وقيل كريم على قومه لانه عريق فيهم ذو حسب ونسب طاهر وقيل كريم الاخلاق
والقولان الاخيران وان كان فيهما اشعار بالثنا عليه الا ان المدح الاكمل الكريم على الله
وقوي في قوله تعالى حاكيا عن بنت شعيب اذ قالت لابيها عليه الصلوة والسلام
يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين ووصفته بالقوة
مستندة الى رفعه الحجر مستقلا مع عدم قدرة جميع من قومها على اقلاله وبالامانة
مستندة الى ميله الى عدم رويتها حين مشت معه الى ابيها ويوسف اي ووصف
يوسف بحفيظ عليم في قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
اي حفيظ للخزائن عن تطرق الخلل اليها عليم بوجوه صرفها وفيه جواز ان يصف
الانسان نفسه بما فيه من الكمال ان امن شر النفس من العجب المبغي والريا وجواز
ان يتولى الانسان المومن ولاية من تحت يد ظالم اذا استقل بالولاية ولم يكن
تابعا لظلم الظالم وان للانسان ان يسال الولاية وفي الحديث رحم الله اخي يوسف
لو سكت لم يتم حتى يتولاها لكن سالها فاخر سنة حتى ولاه اياها ولو قال ان
شا الله لم يقم من مجلسه حتى يتولاها وايوب اي ووصف ايوب بصابر في قوله تعالى

في شانه انا وجدناه صابرا نعم العبد اي صابرا على فقد ماله وولده وبلائه في جسده
فان قلت لم يوافق هذا الاسم اسما الله تعالى اذ من اسمائه تعالى الصبور والصبور
يغاير الصابر اذ هو اخص منه قلت هو قد وافقه في دلالته على الصبر والوصف بالصبر
والله تعالى قد وصف بالصبر في قوله صلى الله عليه وسلم ما احد اصبر على اذى يسمعه من
الله ولا شك ان الوصف بصبور يستلزم الوصف بصابر واسماعيل اي ووصف
اسماعيل بصادق الوعد الجمهور على انه اسماعيل بن ابرهيم الذبيح ابو العرب ووصفه
به وان كان ذلك شان كل الانبيا لانه وقع منه كثير او صار له فيه خوارق منها
ما ذكره الزمخشري عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره
سنة وذكر القشيري فلم يبرح من مكانه سنة حتى اتاه جبريل فقال ان التاجر الذي
سالك ان تقعد له حتى يعود هو ابليس وقيل انه لم يعد بشي الا وفى به وناهيك بوفائه
وعد ابيه حتى مكنه من ذبح نفسه وتسليم لامر الله وقيل ان اسماعيل الذي وصفه
الله تعالى بصدق الوعد هو اسماعيل بن حزقيل غير الذبيح وهو نبي بعثه الله الى
قومه فسلخوا جلدة راسه فخيره الله تعالى فيما شا من عذاب قومه فاستعفاه
ورضي بثوابه وفوض امرهم اليه في ما شا من عفوه وعقوبته واكثر المفسرين على
الاول كما نطق بذلك الكتاب العزيز اي الغالب على كل كتاب من كتب الله تعالى بكثرة علومه
واستيعابه ما فيها مع زيادة بل زيادات لا تحصى او على من عارضه من فصحا بني عدنان
وقحطان الذين اليهم انتهت البلاغة فلم يقدروا على ان ياتوا بمثل اقصر سورة منه
والنطق حقيقة في الكلام اللساني سمي به ما يستفاد من القران مجازا فكانه شبه
دلالة القران على الشي بالنطق به فهو استعارة تصريحية تبعية وانما قال كما نطق ولم يقل
كما دل لان الدلالة قد تكون لا في محل النطق فتكون دلالة مفهوم والدلالة في محل النطق اصرح
بالمراد ودلالة المفهوم ضعيفة بالنسبة الى دلالة المنطوق من مواضع ذكرهم في محل وقوله

نصب

نصب على انه حال اي مستفادا ذلك من مواضع ذكر الانبيا كما بيناه في كلا هنا موضعا موضعا
وفضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان حلاه اي تحليته اياه اي نعته ووصفه في كتابه
العزيز اي المعهود وهو الفرقان الذي انزله الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم وعلى السنة
انبيائه بحلية متعلق بحلاه كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكراي
التذكر فهو مضموم الذال ويجوز كسرها ويجوز ان يقتصر على كسر الذال ويراد بالذكر القران
اي استحضار القران لاستخراج ما فيه من الاسما التي حلاه الله تعالى بها وهي من اسمائه تعالى
اذ لم نجد تحليله لا عمال الفكر واحضار الذكر اي انا اعملت فكري واحضرت ذكري او المحفوظ
القران لاني لم اجد اي اصادف احدا من العلما جمع منها فوق اسمين وهما الاسمان المذكوران نسخه
صريحا في سورة براءة وهما روف رحيم ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين اي نوعين من
الاسما وحررنا في هذا الفصل منها نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى اي ارجوه كما الهم الى علم
منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح علمه يجوز ان يقرا بضمتين وهو
الباب المغلق ويكون قد شبه خفا هذه المباحث بالباب المغلق فهو استعارة تصريحية وذكر
الفتح ترشيح وان يقرا بفتحتين وهو الشي الذي يغلق به الباب فان المغلاق اذا ازيل سهل
فتح الباب ويكون قد شبه ما اقتضى تغيير هذه المباحث بغلق الباب فهو استعارة تصريحية
ايضا وذكر الفتح ترشيح وان يقرا بفتحة ثم كسرة على وزن كتف يقال كلام غلق اي مشكل
وتكون الاستعارة حينئذ في يفتح بان تشبه ايضاح المشكل بفتح الباب بجامع سهولة
الوصول في الاستعارة تصريحية تبعية فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود بنا على ان
فعيلا فيه بمعنى مفعول لانه حمد نفسه فذاته الكريمة محمودة بحمده اياها وحمد عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد ففعيل فيه بمعنى فاعل فهو تعالى حامد لنفسه ولاعمال الطاعات اي
ويحمد عباده لاجل عملهم للطاعات وقضيته ما في شرح اسما الله الحسنى لابي حامد الغزالي انه
يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم الحميد بوزن فعيل قال فيه الحميد من العباد من حمدت

عقائده واخلاقه واعماله كلها من غير مشنوبه وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم ومن يقرب منه من
الانبيا ومن عداهم من الاوليا والعلما وكل واحد منهم حميد بقدر الحمد عن عقائده واخلاقه
واعماله واقواله واذا كان الفعل واحدا عن مذمه ونقص واكثرت محامده فالحميد المطلق هو
الله تعالى وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود اي يشكر كثيرا فاصل المعنى
وان كان في محمد من المبالغه ما ليس في محمود اذ هو الذي حمد مرة بعد اخرى كما ان المكرم من اكرم
مرة بعد اخرى فان قلت لم لم يسم الله بمحمد فانه احرى بكثرة المحمودية قلت في اسمائه ما
يشعر بكثرة المحمودية كحميد ومع ذلك فكمال واجب الوجود الذي اقتضته ذاته الاشرف
غني عن ذلك بخلاف من خلع الله عليه من كرمه خلع الكمال فلا بد من لفظ يشعر باختياره عن
ابنا جنسه من المخلوقين فسبحان من منح هذا النبي الكريم من عطاياه التي لا يحصيها حسبان
ولا يحصرها قلم راقم ببنان وكذا وقع اسمه في زبور داود اي سماه الله تعالى في الزبور محمود
واحمد قيل جعله علما على ذاته الشريف بمعنى اكبر حمدا لما فيه من صيغة افعل المشعرة
بالتفضيل واجل من حمد لكن في بنا اسم التفضيل من اسم المفعول شذوذ وقد اشار النحو
هذا اي الى ترادف محمد ومحمود وانه بمعناه حسان بن ثابت الانصاري احد شعرا النبي
صلى الله عليه وسلم وهو الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم ايده بروح القدس
بقوله ٥ وشق له من اسمه ليجله ٥ فذو العرش محمود وهذا محمد ٥ هو من بحر من الطويل
الطويل من الضرب الثاني من ضروبه وقائله حسان وقبله

٥ اغر عليه للنبوة خاتم ٥ من الله من نور يلوح ويشهد ٥
٥ وضم الاله اسم النبي الى اسمه ٥ اذا قال في الخمس المؤذن اشهد ٥

وشق له الى اخره واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب
يقول وشق له من اسمه ليجله الى اخره وموت ابي طالب كان سابقا على الهجرة وحسان لم
يسلم الا بعد الهجرة ويمكن ان يكون ابو طالب هو المنشي لهذا البيت وذكره حسان في قصيدته

تضمينا

[illegible]

تضمينا والشق اخذ كلمة من كلمة كالاشتقاق وقوله من اسمه جار ومجرور متعلق بمحذوف
وقع صفة لموصوف محذوف تقديره شق له اسما من اسمه وفاعل شق وقوله فذو العرش
اي خالقه وموجده من العدم فان قلت لم جر ليجله باللام التعليلية مع اجتماع شروط نصبه
على انه مفعول لاجله فيه قلت عند اجتماع الشروط لا يجب النصب بل هو جائز ومع
ذلك يجوز تاخر من اجلاله عن زمن الشق بان يكون شق له في الازل اسما من اسمه
ليجله عند تعلق كاينه بعد ذلك فيكون جره باللام واجبا نحو على حد قوله ٥ فجئت وقد من الطويل
نضت لنوم ثيابها ٥ لدى الستر الا لبسة المتفضل ٥ ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم
وهما بمعنى متقارب لان الرؤف هو المتصف بالرافة وهي شدة الرحمة وهي ابلغ انواع
الرحمة والرحيم فسر بمريد الخير لعباده والرؤف فسر بمريد مزيد الخير لعباده ولهذا
فسر في شرح المواقف للسيد الجرجاني بمريد التخفيف عن عباده في عبادته وسماه
اي الله نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه بذلك اي بالرؤف الرحيم فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم كان بعضهم راحة بامته انه لا يرضيه الا دخولهم الجنة ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره اي الثابت ما اقتضته ذاته من الكمالات التي
لا يشوبها نقص وفسر ايضا بانه الموجد للشي بحسب ما تقتضيه الحكمة قال تعالى فذلكم
الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال وقد يقال الحق للموجد بفتح الجيم بحسب مقتضى
الحكمة فيقال فعل الله كله حق كقولنا الموت حق والبعث حق ومنه قوله تعالى ما خلق الله
ذلك الا بالحق ويقال للاعتقاد في الشي المطابق لما عليه الشي في نفس الامر وكذلك
المبين اي البين امره والهيته بظهور اثاره التي تقضي بديهة العقل لنا حالها بانه
واحد احد بان وابان بمعنى يشير به الى جواب سوال مقدر تقريره ان يقال انت
فسرت المبين بالبين امره والهيته والبين صيغة من بان اللازم والمبين اسم فاعل
ابان المتعدي فلا بد ان يكون معناه ابان شيئا فلا يكون معناه البين في نفسه فانه يشعر

بلزوم فعله فاجاب بما حاصله ان المبين اسم فاعل من ابان اللازم فان افعل يأتي
لازما كثيرا كاكب فبان المجرد يأتي لازما فقط وعلى الابنية تقول ابنته فبان ويأتي
متعديا وتقول بنته بكسر البا وضحته وابان يأتي لازما ومتعديا ففي القاموس
بين وتبين وابان واستبان كلها لازمة متعدية ويكون بمعنى المبين لعباده امر
دينهم وفي شرح اسما الله تعالى الحسنى لابن برجان يجوز ان يكون المبين نعتا
لاسمه الحق في قوله عز وجل وان الله هو الحق المبين وان ظاهره كظاهر قوله تعالى
كتاب مبين ورسول مبين فيكون معناه المبين عن نفسه بما اظهر من دلائله وبين من
شواهده المبينة للحق الدافعة للباطل فهو مقيم البرهان ومميز الحق من الباطل ويجوز
ان يكون من الاسما المعدودة فيقال فيه انه هو الله المبين كما يقال الله الحي والله القيوم
والله الحق فيكون معناه الجاعل الشي البين بينا لا خفا به على متامله فهو الذي يوضح الحق
ويعلنه باقامة البرهان وقد يكون بمعنى القاطع والفاصل من قولهم ابان السيف يبين
اذا قطع وابان الحاكم في حكمه اي فصل بحكمه بين الحق والباطل واقول انما اشتبه على ابن برجان
جعله تابعا ولم يجعله اسما مستقلا من ذكره ابدا مقارنا لاسمه تعالى الحق في كتابه العزيز
ونحن نقول بل الظاهر انه اسم مستقل بدليل ذكره في رواية اسما الله تعالى التسعة والتسعين
مفردا غير مقرون باسمه تعالى الحق والسبب في قرنه معه في القران كونهما من واد واحد
ولله در القاضي حيث قرن بينهما اشعارا بانهما من قبيل واحد وبين كل واحد منهما على حدة
اشعارا باستقلال كل منهما بالاسمية له تعالى والحاصل انه تعالى ابان لعباده امر دينهم فمنه
ما ابانه في كتبه ومنه ما ابانه على لسان انبيائه ومنه ما ابانه بالهام المجتهدين الذين هم الراسخون
في العلم وكذلك معادهم اي يوم القيمة ببيان شاف تام على لسان انبيائه وسمى اي الله تعالى امره
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بالحق المبين في كتابه المعهود وهو الفرقان فقال حتى جاءهم الحق
المبين اي الداعي الى التوحيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما فسره به القرطبي ورسول مبين يجوز

ان يكون

ان يكون من ابان اللازم فمعناه ظاهر الرسالة بما له من المعجزات وان يكون من ابان المتعدي
فمعناه المبين التوحيد بالحجج والبينات وقال وقل اني انا النذير المبين اي انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله واقع بكم ان لم تومنوا وقال فيه بتعريف الجزئين مع توسط ضمير الفصل :.
المفيد للحصر كانه يقول لا نذير مبين الا انا وهو بالاضافة الى زمنه صلى الله عليه وسلم اذ كان
المحصور فيه مطلق الانذار والى كل زمن ان كان المحصور فيه الانذار الكامل المبين بيانا
كاملا وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القران ومعناه
هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول وفي تفسير البيضاوي الحق الثابت
الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر
اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج والمبين المبين امره ورسالته اي بنا على انه ماخوذ
من ابان اللازم او المبين عن الله ما بعثه به ان كان ماخوذا من ابان المتعدي كما قال لتبين
للناس ما نزل اليهم هذه الاية تبين الحكمة في انزال القران وهي ان الرسول صلى الله عليه وسلم
يبين ويظهر للناس ما نزل اليهم في القران مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم سواء
كان ذلك التبيين بنص على المقصود او بوحي اليه بالمفهوم سوا كان مفهوم موافقة ام
مخالفة او كان يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ومن اسمايه تعالى النور
ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المومنين
بالهداية هذا بنا على ان المراد بالنور في اطلاقه على الله تعالى معناه الحقيقي فيحتاج الى تقدير
مضاف اي ذو النور او حمله على المبالغة والاظهر ان اطلاق النور عليه بطريق الاستعارة
وفي شرح الغزالي على الاسما الحسنى النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فان الظاهر
في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود
ولا ظلام اظلم من العدم فالبري عن ظلمة العدم بل عن امكان العدم المخرج كل الاشيا من ظلمة العدم
الى ظهور الوجود جدير بان يسمى نورا والوجود نور فايض على الاشيا كلها من نور ذاته فهو

نور السموات والارض وما بينهما وكما انه لا ذرة من نور الشمس الا وهي دالة على وجود
الشمس المنيرة فلا ذرة من موجودات السموات والارض وما بينهما الا وهي بجواز
وجودها دالة على وجوب وجود موجدها وسماه اي الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نورا فقال
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل النور محمد وقيل القران فعلى التقدير الاول يشكل افراد
الضمير في قوله بعد ذلك يهدي به الله اذ المراد بالكتاب القران ومحمد والقران متغايران بحسب
الذات لكن يمكن ان يقال انما افرد الضمير لانهما في حكم واحد واما على التقدير الثاني فلما كان
المراد بالنور والكتاب واحدا افرد الضمير باعتبار صدق الوصفين على ذات واحدة وهو هذا
اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز باقصر سورة منه وقال اي الله تعالى فيه اي
في رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في شانه وسراجا منيرا سماه الله تعالى على طريق الاستعارة مراجاً
التصريحية او التشبيه البليغ على اختلاف علماء البلاغة في مثل زيد اسد وذلك لان المشبه
مذكور وقد جعل ذا حال وذو الحال والحال مثل المبتدا والخبر ووجه الشبه بين السراج
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كون كل منهما يستضاء به فالسراج يستضاء به عن الظلمات
الحقيقية ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستضاء به عن ظلمات الجهل وكان السراج يقتبس
منه كذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقتبس منه في ازالة الشكوك من البصاير ووصفه
بالانارة لان من السرج ما لا انارة له لقلة سليطه وضعف فتيلته سمي بذلك اي بالنور
لوضوح امره اي ظهوره بحيث يحاكي النور في الظهور وبيان نبوته مصدر اضيف الى
مفعوله اي لبيان جميع الانبياء الذين قبله لنبوته وتقريرهم لاحمهم شانه وتنوير قلوب المومنين
والعارفين بما جاء به اما قلوب المومنين فباكتساب الهداية منه واما قلوب فللترقي في العارفين
فهم المعارف الالهية منه ومن اسمايه تعالى الشهيد ومعناه العالم ان قلت قضية ذلك
ترادف العالم والشهيد مع ان كلام حجة الاسلام الغزالي في شرحه لاسماء الله تعالى الحسنى
مقتضى لاخصية الشهيد ولفظه معنى الشهيد يرجع الى العليم مع خصوص اضافة

فانه

فانه تعالى عالم الغيب والشهادة والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر وهو الذي
يشاهد فاذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم واذا اضيف الى الغيب والامور الباطنة
فهو الخبير واذا اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد فقضية ذلك ان كل شهيد
عليم وليس كل عليم شهيدا قلت بل الحق ان جهة خصوص الشهيد ليس تعلقه بالشهادة
وانفراد العلم بتعلقه بالغيب فان الغيب بالنسبة الى علم الله تعالى شهادة بل الشهيد
هو الذي علم الاشيا مع قيد حضور المعلوم فليس كل من علم شيا شاهده بل كل من شاهد
شيا علمه ولا عكس لو يده تفسير السيد الشريف في شرح المواقف الشهيد بانه العالم
بالغايب والحاضر وقول ابن برجان في شرح اسمايه تعالى الشهادة لا تتم الا بثلاثة
اجزا كل منها داخل في مفهوم لفظ الشهادة وهي الحضور والوعي والادا وعلى كل حال فقد
فسر الاخص بالاعم وقيل في معنى الشهيد هو الشاهد على عباده يوم القيمة بما علمه
وشاهده منهم ولذا قيل انه الشهيد الحقيقي لان كل شاهد فهو يودي الشهادة اما
عنده تعالى او عند خلفايه من الانبيا ونحوهم واما هو فانه يودي الشهادة عند نفسه
تعالى وتقدس وسماه اي النبي صلى الله عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك اي سمى الله النبي صلى الله عليه وسلم
شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا في صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى بنوح يوم القيمة فيقول لبيك وسعديك يا رب
فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول
من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا وروي
ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم
اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق ذلك
فيوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم فان قلت هذه

شهداء لهم لا عليهم فكيف عديت في الاية بعلى قلت في تعديتها بعلى اشعار بان الرسول
صلى الله عليه وسلم كان رقيبا عليهم واعلم ان هذه الشهادة الصادرة من امة النبي صلى الله
عليه وسلم خاصة بهذه الامة وفي الاية اشعار حيث قدم الصلة اعني عليكم على متعلقها
وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي روى ابان وليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن
الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت امتي ثلاثا لم تعطها
امم الانبيا كان الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعني استجب لك وقال لهذه الامة
ادعوني استجب لكم وكان الله تعالى اذا بعث النبي قال له ما جعل الله عليك في الدين
من حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله تعالى اذا بعث
النبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهدا على الناس وهو اي الشهيد
الذي هو وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الاول اي الشهيد الذي جعل صفة
لله تعالى وهو العليم كما تقرر ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المتفضل
وقيل العفو وقيل العلي ولله در ابي حامد الغزالي فانه فسره بانه الذي اذا قدر عفا
واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولمن اعطى وان رفعت
حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفا عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا
ويغنيه عن الوسائل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم
المطلق وذلك هو الله تعالى فقط وهذه الخصال قد يتجمل العبد في اكتسابها ولكن
في بعض الامور ومع نوع تكلف فلذلك قد يوصف بالكريم ولكنه ناقص بالاضافة
الى الكريم وكيف لا يوصف به العبد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
لشجرة العنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم وقيل انما وصف شجرة العنب بالكرم
لانه لطيف الشجرة طيب الثمرة سهل القطاف قريب التناول سليم عن الشوك والاسباب
المؤذية بخلاف النخل وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم قضية ما يفهم من كلام

القوم

على اسمه تعالى الكريم

المطلق ح

م ت

القوم ان الكريم الحقيقي هو تعالى والاكرم لغيره الا على طريق الاطلاق الاسم من غير وجود معناه الحقيقي
فافعل التفضيل في الاكرم ليس على بابه بل معناه الكريم نعم اذا اريد ان غيره يشاركه في صورة
احوال النعم فيطلق عليه اسم الكرم لذلك كان اسم التفضيل على بابه وفي الكشاف الاكرم
الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عليهم فلا
يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل
توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امده منتهى وسماه تعالى كريما
بقوله انه لقول رسول كريم قيل الرسول الموصوف بكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل وقد
رجح الثاني على الاول بامرين الاول ان كون القران قول صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر لا يشكل فيه مخاطب فلا احتياج في ثبوته الى قسم بقوله تعالى والليل اذا عسعس الاية
ويمكن ان يقال ان القسم انما هو على ثبوت هذه الاوصاف لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كانت
هذه الصفات له فهو صادق والثاني انه وصفه بانه ذو قوة والقوة من صفات الملائكة
فعن ابن عباس قال من قوته قلعه لمدائن قوم لوط بقوادم جناحه ويمكن وصف النبي صلى
الله عليه وسلم بالقوة باعتبار قوته على تبليغ ما اوحي اليه وحمل اعبا الوحي التي لو انزلت
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهو القول الثقيل الذي القاه الله
تعالى اليه قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا واما قوله عند ذي العرش مكين اي ذي
منزلة ومكانة فلا دليل على ترجيح انه جبريل لان منزلة محمد صلى الله عليه وسلم اعلى من
منزلة جبريل واما مكانة جبريل بانه يدخل سبعين سرادقا بغير اذن فلمحمد صلى الله
عليه وسلم من المنزلة اعلى من هذا ولا تنس مقام قاب قوسين ولله در ابي القاسم
الابوصيري حيث قال ٥ حتى اذا لم تدع شاوا لمستبق ٥ من الدنو ولا مرقى لمستنم ٥
٥ خفضت كل مقام بالاضافة اذ ٥ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم ٥
ولا دليل عليه في قوله مطاع ثم اي في السموات فان قلت قال ابن عباس من طاعة الملائكة

جبريل انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل لرضوان خازن الجنة افتح له
ففتح فدخلها وراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فراها قلت وان كانت
الطاعة صورة لجبريل فهي في الحقيقة لمحمد صلى الله عليه وسلم واي مانع يمنع من كونه صلى الله
عليه وسلم مطاعا في اهل السموات كلهم وكيف لا والاصح انه مرسل اليهم ايضا فبهذا
الاعتبار نبينا صلى الله عليه وسلم مطاع في السما اكثر من جبريل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم
ولد ادم اي اكرمهم شرفا وارفعهم قدرا واقربهم منزلة فقد سمى نفسه الكرم فان قلت لم
يورد شاهدا على ان الله سماه بذلك قلت حيث سمى نفسه به لم يكن ذلك من تلقا نفسه
وانما هو باذن الله تعالى وامره فكان الله سماه به بل الله سماه به تحقيقا اذ لا ينطق رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الهوى وانما هو وحي يوحى ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشان الذي كل شي دونه وذلك لان المراد به العظيم المطلق الذي ليس عظمه بالاضافة
الى شي اذ العظيم في اصل اللغة ما ياخذ من العين ما اخذ لزيادة مساحته طولا وعرضا
وعمقا فكلما زاد على غيره فذلك فهو عظيم بالنسبة الى ما زاد عليه والذي لا يتصور عادة
ان يحيط البصر باكنافه فهو عظيم بالنسبة الى ما يحيط البصر به واما من لا يمكن ان
تحيط بتصاراه وكنهه جميع البصاير فضلا عن المبصرات فهو العظيم المطلق وهو
الله سبحانه وتعالى فثبت ان كل شي دونه وسمى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم وانك
لعلى خلق عظيم قيل على دين عظيم لا دين احب الى الله تعالى منه ولا ارضى منه وفي صحيح
مسلم عن عايشة ان خلقه كان القران اي ادبه وقيل الخلق العظيم رفقه بامته
واكرامه اياهم وقيل هو الطبع الكريم فان قلت ما وجه الاستشهاد بالاية على انه
صلى الله عليه وسلم سمي عظيما قلت وجهه ان الخلق عرض من الاعراض القايمة بذي
الخلق والعرض تابع لمحله وجودا فاذا وصف التابع بانه عظيم فالمتبوع احرى بان
يوصف به فيصير المعنى بل هو صلى الله عليه وسلم عظيم لانه قام به وصف عظيم ووقع في

علم اسمه تعالى العظيم ه

اول

اول سفر من التورية السفر يطلق على الكتاب الكبير وعلى جز من اجزا التورية اي جزء
كان عن اسماعيل وستلد عظيما لامة عظيمة وهذا ابلغ في الوصف بالعظيم من وصفه
نفسه بذلك لانه من لازم اتصافه بالعظم والجلالة سرى ذلك الى اتباعه فصاروا عظما
واي عظم ممن اتباعه بسببه صاروا عظما فصلى الله وسلم على من اسعدنا الله بسببه
ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح قال الراغب الاصفهاني في مفرداته الجبر اصلاح
الشي بنوع من القهر يقال جبرته فانجبر وقيل القاهر اي مجردا عن ملاحظة الاصلاح
ومنه سمي السلطان جبرا في قول الشاعر ه وانعم صباحا ايها الجبر ه لقهره الناس على ما
يريده او لاصلاح امورهم والجبار في صفات الانسان صفة ذم يقال لمن يجبر بادعا
منزلة من التعالي لا يستحقها قال تعالى وخاب كل جبار عنيد وقيل العلي العظيم الشان
وقيل المتكبر وفي شرح حجة الاسلام الغزالي على اسمائه تعالى الحسنى هو الذي تنفذ
مشيئته على سبيل الاجبار في كل احد ولا تنفذ فيه مشيئة احد فلا يخرج احد من قبضته
وتقصر الايدي دون حمى حضرته فالجبار المطلق هو الله تعالى فانه يجبر كل احد ولا يجبره احد
ولا استثنا في حقه في كل من الطرفين وسمى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
في كتاب داود الذي هو الزبور او غيره ان ثبت ان الله انزل عليه شيا غير الزبور
جبارا اي بهذا الاسم فقال تقلد ايها الجبار سيفك اي اجعل قلائده وحمايله في
عنقك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك في النهاية الاثيرية الناموس
صاحب سر الملك وقيل الناموس صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر
وناموس النبي صلى الله عليه وسلم جبريل لان الله خصه بالغيب والوحي اللذين لا يطلع
عليهما احد والمراد هنا وحي ناموسك وتنفيذ ما اتى به من العلوم ومعناه في
حق النبي صلى الله عليه وسلم اي معنى الجبار الذي سبق ثابت في حق النبي صلى الله عليه وسلم
فالجار والمجرور مستقر هو خبر معناه وليس هو قوله اما الاصلاح الامة بالهداية والتعليم

علم اسمه تعالى الجبار ه

قوله وانعم صباحا ايها الجبر
كذا هو بخط شيخنا الشارح
وهو غير موزون فاعلم الكر

لان هذا وما عطف عليه ينبغي ان يكون علة لثبوته للنبي صلى الله عليه وسلم اولقهره اعداءه
اولعلو منزلته على البشر المستلزم لعلوها على الملائكة لان من كان اعلى قدرا من جميع البشر
فهو اعلى قدرا من جميع الملائكة وعظيم خطره من اضافة الصفة الى الموصوف اي خطره
اي قدره العظيم ولله در ابي حامد الغزالي حيث قال الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع
ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتدا
به ومتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتاثر ويستتبع
ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت
الى ذاته ولا يطمع احد في استدراجه واستتباعه وانما حظي بهذا الوصف سيد البشر
صلوات الله عليه وسلامه حيث قال لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه الا اتباعي وانا
سيد ولد ادم ولا فخر انتهى ونفى عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى في القران جبرية
التكبر [٧] الناشئة من عدم تزكية النفس ومن خبث الطوية فقال وما انت عليهم — التي لاتليق به صح
بجبار اي متكبر لكن سياق الاية يقتضي ان يفسر بالمسلط لان الله حكى عن كفار مكة
انكارهم للبعث ثم امره ان ينذرهم فقط ولا يقهرهم على الايمان بالبعث ويكتفي في شانهم
بمجرد علمه تعالى باقوالهم الخبيثة فقال نحن اعلم بما يقولون اي وعلمي كاف واطلاعي على
انكارهم يكفيهم في الانتقام منهم وانت يا محمد لا تقهرهم على الايمان ولا تتسلط عليهم حتى
يؤمنوا فتكون الاية منسوخة باية السيف كيف وسورة قاف مكية والامر
بالقتال ونزول اية السيف كان بالمدينة ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع — على اسمه تعالى الخبير
بكنه الشيء عدي المطلع بالباء لتضمينه معنى العالم والا فمعناه الحقيقي يتعدى بعلى وفي
القاموس الكنه بالضم جوهر الشيء وغايته وقدره ووقته ووجهه واكتنهه بلغ كنهه
العالم بحقيقته اي بماهية الشيء هو هو بحيث لا يفوته شيء من معانيه الخاصة والعامة
ماخوذ من الخبر بضم الخاء وهو استكشاف باطن المخبر وهتك الستر الحائل دونه

حتى

حتى يستوي باطنه في العلم وظاهره ولذلك قيل لحارث الارض خابر لانه يشقها بالحرث
فيجعل باطنها ظاهرا وقيل لشقوق تكون في الارض خبار فالخبير اخص من العليم لانه
العالم بالخفايا الباطنة فقط والعليم اعم منه فكل خبير عليم ولا ينعكس وقيل معناه
المخبر والله تعالى يخبر عباده باعمالهم التي عملوها في الدنيا يوم القيمة لم يعزب عن علمه تعالى
منها شيء ففعيل بمعنى فاعل وقال تعالى الرحمن فسئل به خبيرا اي فاسئل الله تعالى
على عرشه خبيرا بمعناه ولا تجاوزه انت ايها المتعلم الجاهل بمعنى الاستواء على
العرش المنسوب الى الله تعالى وتقدس خبيرا به قال القاضي بكر بن العلا المامور
بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المخاطب بسل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيكون من قبيل خطاب شخص وارادة غيره والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى
هذا يكون خبيرا مفعولا به لسل وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول
الله وعلى كل حال فخبيرا مفعولا به لسل فالنبي خبير بالوجهين [٧] لانه ان كان هو المسؤول — المذكورين ح
فخبيرا مفعول به وقد اطلق عليه الخبير لفظا ونسب اليه العلم بصيغة فعيل التي هي — قوله العلم كذا بخطه وغيره بعضهم الى الفعل
من صيغ المبالغة وان كان هو السائل فيكون قد نسب الخبرة التزاما اليه لانه
امره بسؤال الخبير العليم فاذا علمه صار باعلام الله تعالى على غاية من الخبرة والعلم ولذا
علله بقوله قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته
مخبر لامته بما اذن له من اعلامهم به فان قلت لم يكن خبيرا حالا من فاعل سل
والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والتقدير سل به حال كونك خبيرا قلت لانه لا معنى
لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم حال كونه خبيرا بل ولا يجوز ان يكون حالا من مفعول
سل الذي هو الله تعالى بان يكون التقدير سل الله به حال كونه خبيرا لان الاصل في الحال
الانتقال وهذا وصف لا يفارق ذات الله عز وجل وعلى كل حال فالباء في به بمعنى
عن مثلها في قوله تعالى سال سائل بعذاب واقع اي عنه وقال الشاعر

هلا سالت الخيل يا ابنة مالك ٥ ان كنت جاهلة بما لم تعلمي ٥ وقال امرو القيس

فان تسالاني بالنسا فانني ٥ خبير بادوا النسا طبيب ٥

اذا شاب راس المرا وقل ماله ٥ فليس له في ودهن نصيب ٥

ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده والفتح في اللغة ازالة الاغلاق والاشكال وذلك ضربان احدهما يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح الغلق والقفل والمتاع كما في قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم ولو فتحنا عليهم بابا من السما والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو ازالة الغم وذلك ضربان احدهما في الامور الدنيويه كهم يفرج وفقر يزال باعطا المال ونحوه كقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي اي وسعنا ومنه قوله تعالى فتحنا عليهم بركات من السما والارض اي اقبلت عليهم الخيرات والثاني فتح المغلق من العلوم كقولك فتح فلان من العلم بابا مغلقا ومنه على بعض الاقوال انا فتحنا لك فتحا مبينا اي فتحنا على امتك ما اغلق من العلوم والهدايات ما لا يحصى والحاكم بين العباد انما يكون بازالة ما اشكل من الخصومات ببينات القوانين الشرعية على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم او معناه فاتح ابواب الرزق بمعنى مسهل طريق تحصيله من حيث لا يعلم المرزوق او يعلم لكنه عاجز عن الولوج في هاتيك الابواب والرحمة بتيسير طاعات لا قوة للعبد عليها اذا وكل الى نفسه ومنه قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها والمنغلق اي وفتح ابواب المنغلق من امورهم عليهم صلة المتغلق ~~مقدرة والتقدير المنغلق عليهم~~ من امورهم ومن بيانية [۲] عليهم متعلقا بفاتح او بفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ومنه على احد الاقوال قوله تعالى انا فتحنا لك اي فتحنا قلوب امتك لمعرفة الحق والهم الصواب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي من اليقين ما لم تعط امة من الامم ويكون الفتاح بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاكم

الفتح

بلغ مقابلة على خط المولف

ويجوز ان يكون [illegible]

الفتح اي ان تستنصروا فقد جاكم النصر هذا خطاب من الله تعالى لاهل مكة ابي جهل واحزابه المقتولين يوم بدر تعلقوا باستار الكعبة قبل خروجهم من مكة فقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فالله اجابهم بانكم نصرتم على سبيل التهكم وقيل معناه مبتدى الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح الذي هو بمعنى الفتاح غاية الامر ان في الفتاح من المبالغة ما ليس في الفاتح والمبالغة لا تنافي مشاركة غير ذلك اللفظ للفظ الذي هي فيه في اصل المعنى في حديث الاسرا الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدى بهداية الامة او المبدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث ثم اعلم ان ما وقع في حديث الربيع انما هو تعديد مراتب اختص بها لا يشاركه فيها مشارك وتفسير الفاتح والخاتم بما عدا الاخير من تفاسيره فيه نظر اذ غيره كان حاكما وكان فاتحا لابواب الرحمة ولبصائر المسترشدين وناصرا للحق ومبتديا بهداية الامة لكن لم يشاركه مشارك في انه اول من خلق الله تعالى واخر نبي بعثه الله نعم يمكن حمله على انه مختص بكل ما سبق على الوجه الاكمل والطريق الاتم وغيره وان اتصف ببعض هذه الصفات الا انه ليس وجه التمام ولا يصل الى الحد الذي وصل اليه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بل ما وصل اليه غيره من هذه الكمالات فانما كان على طريق الخلافة واسلوب النيابة عنه اذ هو النبي الحقيقي صلى الله عليه وسلم وغيره بطريق الخلافة عنه كما ذكره كثير من شراح الفصوص ومن اسمائه تعالى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وهذا التفسير نعص فالحق

ان الشكور هو الذي يجازي على يسير من الطاعات كثيرا من الاجور والدرجات ويعطي على
عمل العبد في ايام معدودة وهي ايام عمره في الدنيا نعيما لاحد له في الدار الاخرة فالشكور
الحقيقي ليس الا الله تعالى لانه يعطي عباده المومنين الجنة التي لا اخر لثوابها و
نهاية لنعيمها في مقابلة ما سلف من العبد في تلك الايام القليلة والله تعالى وتقدس يقول
كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية واذا نظرت الى كل مثن فانما يثني على
عمل غيره والله تعالى لا يثني الا على نفسه لان اعمال عباده من خلقه فاذا كان الذي اعطى
بالبنا للمفعول فاثنى على معطيه شكورا فالذي يعطي بالبنا للفاعل ومع ذلك يثني على
اعطائه باعتبار ظهوره في عبده بان يكون شكورا اولى ولهذا قال ابن عطاء الله في الحكم من
عظيم نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك اي ومع ذلك يثني بفضله واحسانه
عليك كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وكقوله نعم العبد انه اواب وقيل المثني
على المطيعين اي مع ان طاعتهم له مخلوقة له فان قلت المعتزلي ينكر ذلك قلت هو
مع ابتداعه وضلاله لا ينكر ان الله تعالى خلق الاقدار على الطاعة واهل السنة يقولون
ان الله تعالى خلق كل جزء جزء من اعمال العبد ووصف اي الله تعالى بذلك
اي بالشكور نبيه نوحا عليه الصلوة والسلام فقال في حقه انه كان عبدا شكورا
ولهذا انجاه من الغرق وجعله من اولي العزم وهذا مبني على ان الضمير في انه لنوح
وعليه اكثر المفسرين وهو اقرب مذكور واما ان قلنا ان الضمير عائد الى موسى عليه
الصلوة والسلام فالموصوف به موسى وقد تقدم في حديث الشفاعة ما يدفع احتمال
عود الضمير الى موسى وتقدم فيه كلام حسن في هذه الاية فارجع ان شئت اليه فان
قلت المص في صدد ان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بشكور كما سمي به الله تعالى فما له ذكر
تسمية نوح عليه الصلوة والسلام به واي فائدة في ذكر اسم سمي به نوح عليه الصلوة والسلام
قلت الاشارة الى ان المفضول اذا جاز تسميته به جاز تسمية الفاضل لانه ثبت انه

ما من

غير بعض من وقف على كلام المصنف قوله لا يثني الا على نفسه فاثبت مكانه لا يثني على عمل نفسه فليحرر ذلك

ما من نعت شريف ووصف كريم ثبت لغيره من الانبيا الا ومثله او اعلى منه ثابت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على انه لو لم يرد نص بثبوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لكان اطلاقه على نوح صلى الله عليه وسلم كافيا في جواز اطلاقه على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف وقد ورد نص صريح في صحاح الاثار كما اشار اليه بقوله وقد وصف النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون شكورا وقع ذلك في حديث المغيرة المروي في
البخاري قال قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفي حديث عائشة رضي الله عنها المروي في
البخاري ايضا قالت ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت
عائشة لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا احب
ان اكون عبدا شكورا فلما كثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع وقوله افلا
اكون الى اخره معطوف على مقدر تقديره فعلت ذلك افلا اكون والاستفهام دخل على ما
بعد الفا لكن لما كانت الهمزة عريقة في الاستفهام جاز تصديرها على العاطف وليس لشي
من حروف الاستفهام هذه المرتبة قال تعالى فهل من مدكر فقدم الفا على حرف الاستفهام وقول
الزمخشري يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة ضعيف وهذا الاستفهام انكاري يفيد ان
ما بعده منفي ونفي النفي اثبات اي معترفا بنعم ربي حيث وفقت في خدمته وقوفا ادى
الى ان تورم قدماي من غير خوف من عتابه عارفا بقدر ذلك اي بمقدار النعمة مثنيا عليه
حيث منحني رتبة لم ينلها احد قبلي وادنى هذه المرتبة الى اي التحقيق ان اكون شافعا
في فصل القضا بدليل قول عيسى في حديث الشفاعة ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر مجهدا نفسي اي مكلفا اياها المشقة ومحملها الجهد في الزيادة
اي في طلبها من ذلك اي من النعم الاخروية التي منحني اياها ربي عز وجل وانما كنت طالبا
لزيادة النعم بسبب الاكثار من الشكر لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فانه تعالى وتقدس

وعد بالزيادة وعدا صريحا موكدا بالقسم الذي استفيد من اللام التي وقعت جوابا له وجعلها
مسببة عن الشكر حيث جعل الشكر في حيز الشرط والزيادة في حيز الجزا فان هذه المقالة
نقلها الله عن موسى عليه الصلوة والسلام مخاطبا بها بني اسرايل بقوله واذ تاذن ربكم لئن
شكرتم لازيدنكم وتاذن بمعنى اذن الا انه ابلغ اي بالغ ربكم في الاعلام والاخبار لكم يا بني
اسرايل لئن شكرتم الى اخره ومع ذلك هي جارية في حقنا معشر المحمديين بالطريق الاولى فان
لله تعالى لطايف لم توجد في امة من الامم ونحن المخصوصون من بين الامم بجلايل الالطاف
ودقايقها وفي الاية لطيفة اخرى وهي انه تعالى صرح فيها بالوعد موكدا اياه بالقسم ولم
يصرح بالوعيد وانما عرض به حيث قال ولئن كفرتم ان عذابي لشديد اي فلربما اصابكم
بكفركم عذابي الشديد وهذا شان الكريم ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد فكيف بمن
هو اكرم الاكرمين ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ومعناها
يرجع الى اثبات انه تعالى اتصف بالعليمية على الوجه الاتم والنعت الاكمل وهي ان يحيط
علما بكل شي ظاهرا او باطنا جليله ودقيقه اوله واخره عاقبته وفاتحته وهذا من حيث
الوضع والكشف على اتم ما يمكن بحيث لا يتصور مشاهده وكشف اتم منه ولا اظهر ثم
لا يكون مستفادا من المعلومات بل هي مستفادة منه وهذا لا يكون الا الله تعالى وتقدس
والعبد وان اتصف بالعلم الا ان علمه مفارق لعلم الله تعالى من وجوه ثلاثة الاول ان معلومات
العبد داخلة تحت الحصر ومعلوماته تعالى لا تدخل تحته الثاني انه كشفه وان اتضح لا يبلغ في
كشف الاشيا لوجوهها جل جلاله الثالث ان علم العبد مستفاد من المعلومات وعلم الله
يستفاد منه المعلومات ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه في الصحاح
المزية الفضيلة تقال له عليه مزية ولا يبنى منه فعل قال اي الله تعالى مخاطبا به نبيه صلى
الله عليه وسلم وعلمك ما لم تكن تعلم اي من خفيات وغوامض المعارف والمغيبات التي لم
يطلع عليها مخلوق الا انت او من امور الدين واحكام الشريعة وكان فضل الله عليك عظيما

فائدة
لا يبنى من لفظ
المزية فعل

اذ الافضل

اذ الافضل اعظم من ان جعله افضل الانبيا وسيد المخلوقين وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فان قلت دخل كل من الكتاب والحكمة في عموم قوله ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون قلت المراد بالعلم الثاني غير الاول اذ المراد به تعليم طرق النظر والاستدلال
وكانوا في غفلة عن ذلك حتى جا رسول الله صلى الله عليه وسلم فابان الحق واوضحه وازال
الاشكال وزحزحه ومن اسمايه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشيا قبل
وجودها والباقي بعد فنايها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر اي جمع بالوجود الكامل بين
هذين الوصفين والانسان وان كان وجوده ليس له ختام لكنه وجود مستفاد من الله تعالى
ملتجي الى فضل الله تعالى والوجود على وجه الاستقلال وتمام الاستغنا مع عدم الافتتاح
والاختتام ليس الا لله تعالى وفي شرح حجة الاسلام اعلم ان الاول يكون اولا بالاضافة الى شي
والاخر يكون اخرا بالاضافة الى شي وهما متناقضان فلا يتصور ان يكون الشي الواحد
من وجه واحد بالاضافة الى شي واحدا ولا واخرا جميعا بل اذا نظرت الى ترتيب الوجود
ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة فالله تعالى بالاضافة اليها اول اذ الموجودات
كلها استفادت الوجود منه واما هو فموجود بذاته وما استفاد الوجود من غيره
ومهما نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السايرين اليه فهو اخر اذ هو اخر ما
يرتقي اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته والمنزل
الاقصى هو معرفة الله تعالى فهو اخر بالاضافة الى السلوك اول بالاضافة الى الوجود فمنه
المبدا واليه المرجع والمصير اخر انتهى فان قلت اذا اعتبرتم ان وجوده اخر الوجود
واولها باعتبار الكمال والاستقلال وعدم الافتقار الى شي وغيره وان ثبت له وجود
فهو بخلاف ذلك فينبغي ان يسمى بالمتوسط ايضا لانه على كل حال لا يتصف بالوجود
على هذا الوجه غيره قلت يبعد القول بان اسما الله تعالى توقيفية لا تطلق عليه تعالى
الا ما ورد السمع به المراد انه وجد في الادلة على وصف الالوهية ونعت الربوبية

من غير منازع ولم يوجد بعد قيام الساعة على هذا الطريق ايضا وفيما بينهما وجد المنازع
وعرى التعريف في العالم الى غيره على طريق الباطل ونهج الضلال فتدبره وقال صلى الله
عليه وسلم واصفا نفسه بالاولية والاخرية وذلك بمنزلة وصف الله تعالى اياه بهما
اذ لا ينطق عن الهوى وانما هو وحي يوحى كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في
البعث وتقدم الكلام عليه بما لا مزيد عليه وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا في الذكر مع تاخره في الزمن المفسر لهذا
التفسير هو ما رواه قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال
كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث وقال مجاهد هذا في ظهر ادم وقد اشار الى نحو
من هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون اي الاخرون
زمنا السابقون منزلة والمراد ان هذه الامة وان تاخر وجودها عن الامم الماضية
فهي سابقة لهم في الاخرة فانهم اول من يحشر واول من يحاسب واول من يقضى
بينهم واول من يدخل الجنة وقيل المراد بالسبق الى القبول والطاعة التي حرمها اهل
الكتاب فقالوا سمعنا وعصينا وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم
وقد تقدم منا الكلام على معاني هذه النعوت فيما سبق ومن اسمائه تعالى القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر لكن القوي اخص من القادر لدلالته على القدرة
التامة فاعتبار وصف التمام فيه يشعر بانه اخص والمتين اخص من القوي لانه
شديد القوة والله تعالى من حيث انه بالغ القدرة تامها قوي ومن حيث انه
شديد القوة متين وقد وصف الله تعالى بذلك اي بالقوة وقرب منها المتانة
فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين اي ذي مكانة اي رتبة عليه ومرتبة سنية

على اسمه تعالى القوي وذي القوة المتين

قيل

صلى الله عليه وسلم

قيل في تفسيره ان المراد بذي القوة محمد قدمه لان الاستشهاد انما هو على تقديره وان
كان القول بانه جبريل اصح وقيل جبريل وبه استدلت المعتزلة على تفضيل جبريل على
النبي صلى الله عليه وسلم حيث وصف جبريل في الاية بهذه الاوصاف السنية ولم يصف
محمدا صلى الله عليه وسلم الا بنفي الجنون وهو ضعيف لانه في صدد الرد على من زعم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان له رئي من الجن وانه ياتي بهذه الاخبار من ذلك الرئي فنفاه
بانه لم يعلمه الا ملك عظيم ذو قوة لا جني كما زعمتم ولم يعهد منه صلى الله عليه وسلم جنون
وليس في صدد بيان فضائل كل منهما حتى يبطل ما زعمت ايها المعتزلي ومن اسمائه تعالى
الصادق في الحديث المأثور وقد ذكره ابن برجان في شرحه اسماء الله الحسنى وتكلم عليه
شرحا وافيا وورد في الحديث ايضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق المصدوق اي الذي
هو في نفسه صادق والذي يعزى اليه الصدق كل احد حتى اعداؤه فقد كان يسميه
اعداؤه بالامين الصادق فما بالك بباقي الناس او الذي يصدق تصديقا عاما في
يوم القيمة بحيث لا يبقى احد من الامم الا ويصدقه سيما حين يعلن بلال باذانه بين
يديه في ارض المحشر ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وكون الله ناصرا
ظاهر فانه يقمع اعدا الدين وينصر اوليا قال تعالى الله ولي الذين امنوا وقال ذلك بان
الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ناصر هذا في حق الله تعالى
واما العبد فالولي من العباد هو من يحب الله تعالى ويحب اولياءه وينصره وينصر
اولياءه ويعادي اعداءه ومن اعدائه النفس والشيطان والدنيا فمن خذلهما
ونصر امر الله ووالى اولياءه وعادى اعداءه فهو الولي من العباد وهذا المعنى لم يتم
لاحد من العباد كتمامه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي عادى عميه
ابا طالب وابا لهب لله تعالى وقتل اقوامه وهجر اوطانه هجرا كليا لله تعالى ولم يحك عمن
ارتقى الى درجة النبوة ما حكي عن نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد وقع في القران

اطلاق الولي على النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وفي السنة قال صلى الله
عليه وسلم انا ولي كل مومن هذا مقتطع من حديث رواه البخاري عن ابي هريرة واحمد وابو داود
عن جابر بلفظ انا اولى بكل مومن من نفسه وفي البخاري انا اولى بالمومنين من انفسهم
فمن مات وعليه دين ولم يترك وفا فعلينا قضاوه ومن ترك مالا فلورثته وفي رواية
من ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه وهذا مما يستدل به على وجوب قضاء دين
المعسر المسلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند اتساع المال وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسال هل ترك
لدينه من قضا فان حدث انه ترك وفا صلى عليه والا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم
فلما فتح الله عليه الفتوح قام فقال انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن توفي من المومنين
فترك دينا فعلي قضاوه ومن ترك مالا فلورثته وحكى امام الحرمين وجها انه لم يكن
واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وبه جزم الماوردي فكان يقضيه من مال المصالح
وقيل من خالص ماله وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم فسر بما سبق من انه كان
يجب عليه قضا دين من لم يترك وفا وبانه اولى بهم من نفوسهم الموقعة لهم في غضب الله
تعالى واقتحام المهالك لانه صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى محض النجاة والكل فيهم كسبيل
النصيحة المخلص لهم من وبال الاخرة علما منه بانه لا وبال اشد منه ففي صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي كمثل رجل
استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وانا آخذ بحجزكم وانتم تقحمون
فيه والحجزة السراويل ومعقد الازار وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه
وجه الاستدلال به انه اطلق على نفسه صلى الله عليه وسلم الولاية وفي حديث رواه احمد
عن رياح بن الحارث قال جا رهط الى علي رضي الله عنه بالرحبة فقالوا السلام عليك
يا مولانا فقال كيف اكون مولاكم وانتم عرب قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه قال رياح فلما مضوا اتبعتهم فسالت من
هولا قالوا نفر من الانصار فيهم ابو ايوب الانصاري والمولى يطلق على الرب والمالك
والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر
والعبد والمعتق بفتح التا والمنعم عليه واكثرها قد جا في الحديث فيضاف كل الى ما
يقتضيه الحديث الوارد فيه فمعنى هذا الحديث من كنت اتولاه فعلي يتولاه من الولي
ضد العدو وقال الشافعي رضي الله عنه يعني ولاء الاسلام وقيل من كنت ناصره
فعلي ناصره وبالجملة فشبهة الشيعة في التمسك بهذا الحديث على اولوية علي
بالخلافة واهية ومقالتهم داحضة ورد اهل السنة عليهم ذكر في شرح التجريد
للاصفهاني والقوشي وشرح المواقف وليس هذا محل بيانه ومن اسمائه تعالى العفو
ومعناه الصفوح الاظهر ان معناه الذي يمحو السيات ويتجاوز عن المعاصي وهو
قريب من الغفور لكنه ابلغ منه فان الغفران ينبي عن الستر والعفو ينبي عن المحو
والمحو ابلغ من الستر وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم فان قلت
ما معنى العفو في حق النبي صلى الله عليه وسلم قلت معناه في حق كل عبد ان يعفو عن
كل من ظلمه بل يحسن اليه كما ترى الله تعالى في الدنيا محسنا الى العصاة والكفرة غير
معاجل لهم بالعقوبة بل ربما يعفو عنهم بان يتوب عليهم فاذا تاب عليهم محا سياتهم
اذ التايب من الذنب كمن لا ذنب له وهذا غاية المحو للجناية ولعمري ان نبينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاز في هذا المعنى قصب السبق واحكم هذه الرتبة بحيث عفا عن
كل من اذاه بعد القدرة عليه وقابله بخلق حير الافكار وتواتر نقله في صحاح الاخبار
فالقرآن ان قلت لم يقع في القرآن وصفه به فكيف يعزو القاضي الى القرآن ذلك
قلت وقع فيه ذلك التزاما لان الله تعالى امره به ويلزم من امر الله تلبسه به بعد
ان سمع الامر واذا تلبس به كان عفوا فان قلت لا يلزم من تلبسه بالعفو ان يكون

على اسميه تعالى العفو

عفوا وانما يلزم ان يكون عافيا اذ المبالغة لا تستفاد من مجرد نسبة الفعل الى الفاعل
قلت الامر وان لم يقتض التكرار كما عليه جمهور الاصوليين لكن القرينة مقتضية
لان يكون المعنى اجعل العفو دابك وديدنك ومن صار خلقه العفو كان عفوا بلا ريب
المبالغة المستفادة من صيغة فعول والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو
الاستشهاد بهذه الاية مبني على تفسير العفو بالصفح والتجاوز وعليه اكثر المفسرين
اي خذ من اخلاق الناس هذه الاخلاق الثلاثة فانها مقبولة عند الله تعالى وروي انه
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى
اسال ربي عز وجل فسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك واما اذا فسر بالعفو من اموالهم
وهو الفضل عن العيال وهو معنى قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل العفو ثم
نسخت هذه باية الصدقات فلا استشهاد في الاية وحديث جبريل الذي
ذكرناه واشار اليه القاضي لا اعلم مخرجا الا ان البغوي ذكره في تفسيره بصيغة
التمريض ورواه القرطبي في تفسيره عن سفيان بن عيينة عن الشعبي وقال الله
تعالى في التورية والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح رجل فظ اي سيء الخلق فان قلت كيف نفى عن النبي صلى الله
عليه وسلم صفة الغلاظة على الاطلاق وقد اثبتها له النساء اللاتي كن رافعات
اصواتهن بحضرته صلى الله عليه وسلم فلما دخل عمر رضي الله عنه ابتدرن الحجاب
فكان من قولهن لعمر حين لامهن على ان هبنه ولم يهبن النبي صلى الله عليه وسلم
انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث مذكور بتمامه في صحيح
البخاري حيث اتين بصيغة اسم التفضيل المقتضية للمشاركة في اصل
المعنى قلت اجيب عنه بوجهين احدهما ان مراد النساء اثبات اصل

الغلاظة

الغلاظة لعمر واسم التفضيل قد يخرج عن موضوعه كقولهم الاشج والناقص
اعدلا بني مروان بناء على انه ليس في بني مروان عادل غيرهما وثانيهما يجوز ان يكون
للمفاضلة ولكن فيما يجب من الانكار والغلظة على اهل الباطل وكان عمر في ذلك
اغلظ من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم كان رؤفا رحيما
فالغلاظة المنفية عنه صلى الله عليه وسلم الغلاظة باهل الايمان هذا وقد سبق
منا في شرح هذا الحديث كلام لا مزيد عليه ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق
الله لمن اراد من عباده هذا تفسير للهداية التي في ضمن الهادي فانه يلزم من معرفة
الهداية معرفة الهادي اذ معنى الهادي من قامت به الهداية التي هي توفيق الله والا
فالمصدر لا يحمل على اسم الفاعل بحمل هو هو واللام في لمن اراد زائدة للتقوية والتوفيق
مصدر متعد بنفسه لا يحتاج الى التعدية بحرف الجر والمعنى اي معنى كل من الهداية
والتوفيق الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى
صراط مستقيم تفسير الهداية والتوفيق بذلك وقع من المعتزلة تفريعا على اصلهم
الفاسد ان افعال العباد غير مخلوقة له تعالى والحق ان الهداية عبارة عن خلق الله الهدى في
العبد اي الايمان بل الحق ان هداية الله العبد لا تنحصر في مجرد الايمان بل تتنوع انواعا لا
يحصيها عدد وانحصرت في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار بقوله تعالى
وهديناه النجدين وقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى الثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم الرابع ان يكشف عن قلوبهم
السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص

بنيه الانبيا عليهم الصلوة والسلام والاوليا واياه عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولو كان معنى التوفيق والهداية الدعوة لكانا عامين
عموم الدعوة ولصدق على كل مدعو انه مهدى وانه موفق ولكان ابو جهل موفقا ومهديا
فانه بولغ في دعوته الى الله ولم يزدد الا عتوا وايضا نحن مامورون بطلب التوفيق
والهداية ولو كانا مجرد الدعوة لكان طلبا لتحصيل الحاصل فان كلا منا مدعو الى الخير على
لسان الانبيا والحكما والاوليا فان قلت لعل المصنف ذكر معناهما اللغوي قلت يمكن
لكنه اخل بقيدين الاول عدم ذكر اللطف والثاني كون الدعا الى الخير فان معناهما اللغوي
الدلالة باللطف على الخير واما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على طريقة التهكم والحق
في التوفيق ان معناه خلق قدرة الطاعة في العبد كما ان الخذلان خلق قدرة المعصية فيه
واصل الجميع اي جميع الايات والمواضع التي وقع فيها لفظ الهداية ماخوذ من الميل
ومنه قول عائشة رضي الله عنها في مرض موت النبي صلى الله عليه وسلم خرج يهادى بين
اثنين بين عباس ورجل اخر هو علي بن ابي طالب رضي الله عنهما اي يمشي بينهما
معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله قال ذو الرمة يهادين جما المرافق وعثة ٥ كليلة حجم
الكعب ريا المخلخل ٥ قال في الصحاح وكذلك المراة اذا تمايلت في مشيها من غير ان يماشيها
احد قيل تهادى عن الاصمعي قال الاعشى ٥ اذا ما تأتى يريد القيام ٥ تهادى كما قد
رايت البهيرا ٥ وقيل جميع مواد هدى ماخوذ من التقدم قال في الصحاح وهداه اي
تقدمه قال طرفة ٥ للفتى عقل يعيش به ٥ حيث تهدي ساقه قدمه ٥ وقيل في تفسير
طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم انما فسره بذلك لانه قيل ان الطا افتتاح
اسم الله الطاهر والها افتتاح اسم الهادي ولا يكون هناك ندا على هذا التقدير ولكن هو
خبر مبتدا محذوف تقديره انا الطاهر الهادي وقد ذكر ان لله تعالى اسما هو الطاهر واخر
هو الطيب ابن برجان في شرح اسما الله الحسنى وقال له تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم

اورده

اورده شاهدا على نسبة الهداية الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لا يتم الا على قراة تهدى
بالبنا للفاعل واما على قراة لتهدى بالبنا للمفعول فلا يتم بل فاعل الهداية على ذلك التقدير
هو الله تعالى وقال الله تعالى فيه اي في شانه وحقه وداعيا الى الله باذنه لم يظهر لي سبب
تعبير المصنف في الاية الاولى بله وفي الثانية بفيه مع صحة ان يقال في الثانية له لانه
خاطبه بها كما خاطبه في الاولى وانما قيد كونه داعيا الى الله بقوله باذنه للاشعار بعظم
شان الدعوة الى الله وانك لا تقدر عليها الا بمعونة الله تعالى سيما دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم فانها شملت الخلق كافة مع بقائها واستمرارها الى قيام الساعة ولا يخفى ما ينضم
اليه دوام هذا المدد نفعنا الله بعلومه ومدده والله تعالى مختص بالمعنى الاول اي لا
يوجد المعنى الاول وهو كون الهداية بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده الا في الله جل
ذكره اذ لا يخلق التوفيق في قلوب العباد غيره اذ لا خالق غيره وقال تعالى انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشا استدل بهذه الاية على عدم وجود المعنى الاول في
غيره تعالى اذ لو وجدت لكان الاحق بوجودها فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه
احق بهذه المكرمة من جميع الكائنات ولكان الاحق ان يسعد بها عمه صنو ابيه الذي
كان يحنو عليه وهو ابو طالب فان هذه الاية نزلت في شانه وشان اخيه العباس
فصدرها في ابي طالب واخرها في العباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على ابي طالب في مرضه الذي مات فيه فقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله وكان عنده ابو جهل واضرابه من روسا قريش فقالوا اترغب
عن ملة عبد المطلب فكان اخر ما قال هو على ملة عبد المطلب فنزل في شانه انك
لا تهدي من احببت وفي شان العباس ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة
اي والهداية بمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومنه واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى وقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن

على اسميه تعالى
المومن المهيمن
٥

قيل هما بمعنى واحد اي لان لفظهما من مادة واحدة وهي آمن بالمد الذي هو ماضي باب
الافعال فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده عباده مفعول اول ووعده
مفعول ثان ولو عبر بالجر لكان اولى لان صدق يتعدى لاثنين يقال صدقته الحديث
فيكون بمعنى قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده ويمكن ان يجعل عباده مفعولا لوعده
والمصدق صفة مشبهة مبالغة الصادق والمصدق قوله الحق اي كلامه الذي
نزل على محمد صلى الله عليه وسلم صدق ما هو حق من الكتب السالفة والمصدق عباده
المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه فهو آمن بنفسه لانه لا يطلع على كمالاته
بطريق التفصيل الا هو فلم يومن احد به كايمانه بنفسه وذاته المقدسة غاية
الامر ان من سواه يوصله توحيدا قاصرا الا ان ما خفي عليه من كمالاته لا يحصى ولا يعد
والحاصل ان المومن يجوز ان يكون من الايمان الذي هو التصديق وانه يكون من
الامن الذي هو ضد الخوف فعلى ما تقدم يكون ماخوذا من الايمان الذي هو التصديق
واما على قوله وقيل المومن عباده من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه فهو ماخوذ
من الامن الذي هو ضد الخوف وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت
الهمزة هاء هذا سهو من قائله لامرين الاول ان تصغير امين امين بضم الهمزة
وتشديد يا التصغير لا مويمن ثم تقلب الهمزة يا وجعله تصغيرا شاذا لا داعي
اليه بل هذه اليا ليست يا التصغير وانما هي كيا مسيطر الذي هو اسم فاعل سيطر
ومبيقر الذي هو اسم فاعل بيقر بل على تقدير ان يكون من الامن فيجوز انه يكون
من قبيل تكثير اللفظ لتكثير المعنى فاصله مهيمن الثاني انه يجب صيانة اسمائه تعالى
من التصغير اللفظي والمعنوي لما فيه من ايهام امر لا يليق بعزته وقدسه وقد
قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم بدل من قوله ان قولهم منه اسما الله تعالى ومعناه معنى
المومن قال ذلك هلال بن يساف ومجاهد وعلى هذا قيل ان اصله القصر فادخلت

عليه

عليه همزة الندا ونقل النووي عن ابن عمر قول انه هذا لا يصح لانه ليس في اسما الله تعالى
اسم مبني ولا اسم غير معرب مع ان اسماه تعالى لا تثبت الا بقران او سنة متواترة وقد
عدم الطريقان في امين بل الاصح في معناه انه افعل يا الله وقال الترمذي معناه لا تخيب
رجانا وقال عطية العوفي كلمة عبرانية او سريانية وليست عربية وقال عبد الرحمن بن
زيد امين كنز من كنوز العرش لا يعلم احد تاويله الا الله وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والطلق على الله تعالى لانه شاهد على خلقه قائم عليهم باعمالهم وارزاقهم واجالهم
وقيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه فكل مشرف على كنه الامر مستول عليه
حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلا الى كمال القدرة
والحفظ الى الفعل والجامع بين هذه المعاني اسمه تعالى المهيمن ولن يجتمع ذلك على
الاطلاق والكمال الا لله تعالى ولذلك قيل انه من اسما الله تعالى في الكتب القديمة
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن اي يطلق عليه هذه الاسما الثلاثة
وان خالف معناها فيه صلى الله عليه وسلم معناها في الله عز وجل وقد سماه الله تعالى
امينا فقال مطاع ثم امين هذا مبني على قول بعض المفسرين ان المراد بالرسول الذي
وقعت هذه الصفات له هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعنى مطاع على هذا انه
مطاع عند مصدقيه او ان الله تعالى من عليه بكثرة المطيعين له لانه اكثر الانبيا تابعا
والاشارة في ثم الى الارض جميعها انه كانت دعوته خاصة باهل الارض واليها والى
السما انه كانت عامة لاهل السموات ومعنى الامين انه امين على وحي الله تعالى
وجمهورهم على ان المراد به جبريل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين اي يعرفه
جميع الناس به من امن به ومن لم يومن وشهر به قبل النبوة وبعدها فان قلت
هو في صدد بيان ما سماه الله تعالى به من اسمائه ولا يلزم من تسمية الناس له باسم
ان يسميه الله به وقريش وجميع العرب كانوا يسمونه بالامين لاشتهاره فيما بينهم

بصفة الامانة قلت هو صلى الله عليه وسلم اقرها ورضي بها ولولم ياذن الله له في اقرارها
لما اقرها وربما سماه بها بعض الناس وهو يسمع فلم ينكر ذلك بل سماه كعب بن زهير
في شعره الذي ارسله الى اخيه بجير مامونا اخذا له من الامانة فهو مرادف الامين فقال
سقاك بها المامون كاسا روية فانهلك المامون منها وعلكا ه فلما سمع الشعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مامون والله وسماه اي النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن
عبد المطلب عمه مهيمنا في شعره الذي مدحه به وقد تقدم ذكر غالبه في قوله
ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق ه قيل المراد بالمهيمن
قاله القتبي والامام ابو القسم القشيري اقول لله در القاضي حيث ضعف هذا
القول واورده بصيغة قيل المؤذنة بضعفه وكيف يجوز تقدير حرف الندا قبل
اسم معرف بلام التعريف وتقديرها مع حرف الندا لم يقل به نحوي وكان الاولى
بالمصنف ان لا يستشهد على اطلاق المهيمن على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة
الواهية ونحن نقول ان شعر العباس يشعر باتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بالمهيمن
لان لفظ المهيمن وقع صفة للبيت والمراد بالبيت العز والشرف على حد قوله
ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول ه اي عزا وشرفا اي عزك
وشرفك المهيمن واذا كان عزه وشرفه مهيمنا كان هو مهيمنا لان عزه عرض من
الاعراض المتصف هو بها والمهيمنية وقعت صفة لذلك العرض وصفة الصفة
صفة هذا وقد قدمنا شرح هذا البيت مع بقية ابيات العباس في الباب الثالث
اونقول ان المهيمنية انما جاءت لبيته منه لان كل مجد نالته اقوامه انما سرى اليهم م ش
منه بل هذا اقوى في وصفه بالمهيمنية من وصفه بها صريحا لانه من شدة
اتصافه بها كان بيته كله مهيمنا وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
هذه الاوصاف نعت الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم ردا على المنافقين حيث

كانوا

كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقولون اذا بلغه ما نقول فيه نعتذر اليه
ونحلف له فيقبل ذلك منا لانه اذن اي مستمع لكل ما يقال له فالله تعالى قال في شانه
هو اذن خير اي مستمع للخير لا للشر ولم يكن قبول لاعتذاركم جهلا بحالكم بل يعلم حالكم
لكنه يظهر لكم القبول رفقا بكم ورحمة لكم فهو يؤمن للمؤمنين اي يصدقهم فالمؤمنين وقع
مفعولا ليؤمن وهو متعد بنفسه لا يحتاج الى تعديته بحرف جر فاللام فيه زائدة للتقوية
وزيادتها في المفعول به المتاخر عن الفعل سماعية كما في ردف لكم بخلاف زيادتها في
معمول ما كان عاملا فرعيا كاسم الفاعل والمصدر فانها قياسية وكذلك زيادتها فيما تقدم
على عامله ولو كان فعلا نحو ان كنتم للرؤيا تعبرون فانها قياسية وقال ايضا النبي صلى
الله عليه وسلم انا امنة لاصحابي هذا مقتطع من حديث لانه محل الشاهد وهو
انه صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بانه مؤمن اي يوجد الله الامان في اصحابه
بسببه والحديث بتمامه النجوم امنة السما فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما توعد
وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا
ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون اراد بوعد السما انشقاقها وذهابها يوم القيمة
وذهاب النجوم تكويرها وانكدارها واعدامها واراد بوعد اصحابه ما وقع بينهم من
الفتن وكذلك اراد بوعد الامة والاشارة في الجملة الى مجي الفتن عند ذهاب اهل
الخير فانه لما كان بين اظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه فلما توفي حالت الآراء
واختلفت الاهوا فكانت الصحابة يسندون الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول
او فعل او دلالة حال فلما فقدت الانوار وقويت الظلم وكذلك حال السما عند
ذهاب النجوم والامنة في هذا الحديث جمع امين وهو الحافظ واقول ما احق النبي
صلى الله عليه وسلم من بين سائر المخلوقين بان يسمى مهيمنا لقول الامام حجة
الاسلام الغزالي في شرح اسماء الله تعالى الحسنى ان كل عبد راقب قلبه حتى اشرف على اغواره

واسراره واستولى مع ذلك على تقويم احواله واوصاله وقام بحفظها على الدوام على
مقتضى تقويمه فهو معيق بالاضافة الى قلبه فان اتسع اشراقه واستيلاؤه حتى
قام بحفظ بعض عباد الله تعالى على نهج السداد بعد اطلاعه على بواطنهم واسرارهم
بطريق التفرس والاستدلال بظواهرهم كان نصيبه من هذا المعنى وفر وحظه اعظم
قلت لاشك ان النبي صلى الله عليه وسلم حاز قصبات السبق في هذا المعنى كيف
واستيلاؤه على بواطن اتباعه باق الى يوم القيمة ومن اسمائه تعالى القدوس بضم على اسمه تعالى القدوس
القاف وفتحها وقد قرئ بهما وليس في كلام فعول سواه اي بضم القاف واما
فعول بفتحها فقد ورد نحو كلوب وسمور ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من
سمات الحدث ولهذا تسبح به الملائكة فيقولون سبوح قدوس رب الملائكة والروح
وقال تعالى حكاية عنهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك اي نطهرك عن الاشياء ان
تسامى بك وفي الكشاف القدوس البليغ في النزاهة عما يستقبح وفي المعجم الاوسط
للطبراني من طريق عطا بن ابي رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل هل يصلي ربك قال نعم قال وما صلاته قال سبوح قدوس سبقت
رحمتي غضبي وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب في المقدس لغتان مسالة لم سمي بيت المقدس به كذا
فتح الميم واسكان القاف وكسر الدال ويقال بضم الميم وفتح القاف وفتح الدال
المشددة فان خففت الدال فهو اما مصدر ميمي اي بيت القدس والطهارة
فان من زاره تقدس وتطهر من الذنوب ويبرى من قبائح العيوب واما اسم مكان
ومعناه حينئذ بيت المكان الذي جعل الله تعالى فيه الطهارة فكان المراد بالبيت
المضاف المسجد الاقصى والمراد بالمكان المضاف اليه الصخرة لانها من الاماكن المشرفة
وان شددت الدال على انه صفة فيجوز ان تجعل الاضافة على بابها ومعناه حينئذ
بيت الرب المقدس عن النقائص المنزه عن صفات المحدثات ولك ان تجعلها من

اضافة

اضافة الموصوف الى صفته كصلاة الاولى ومسجد الجامع ثم انهم جوزوا في بيت
وجهين الاول التعريف باللام والثاني تجريده منها فعلى الاول في المقدس الوجهان
وجه التخفيف على انه صفة للبيت على وجه المبالغة حيث جعل الحدث المستفاد
من المصدر صفة للذات فهو على حد زيد عدل واما على تجريده منها فقد تقدم وان
شددت الدال مع تعريف البيت فذلك ظاهر فان قلت ما معنى كون البيت مقدسا
قلت معناه تطهيره من موجبات غضب الله تعالى ولعنته ومن عبادة الاصنام
وقبائح الاثام ومنه الوادي المقدس وهو طوى بضم الطاء وكسرها وهو واد
عميق شبيه بالطوى اي البير وانما كان ذلك الوادي مقدسا لانه تقدس ببركة
كلام الله تعالى فيه لموسى عليه الصلوة والسلام وقيل معنى طوى ان التقديس
طوي له فكانه تقدس مرتين وروح القدس اي ومنه روح القدس وهو جبريل
قال حسان ٭ وجبريل رسول الله فينا ٭ وروح القدس ليس به خفاء ٭ والمراد من الوافر
بالقدس هنا هو الله عز وجل وسمي جبريل روح الله لانه خلق بتكوين الله عز وجل
وقيل المراد بروح القدس الذي ايد الله تعالى به عيسى عليه الصلوة والسلام الاسم
الاعظم الذي كان يحيي به الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وقيل المراد الانجيل كما سمى
الله القران روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ووقع في كتب الانبيا
في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال اي الله تعالى
في شانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فان قلت هذه مزية لا ينفرد بها
نبينا صلى الله عليه وسلم بل سائر الانبيا فيها مشاركون قلت نعم لكن لم يخاطب الله
بهذه المكرمة نبيا غيره صلى الله عليه وسلم وفي ذلك ايما الى ان امرك يا محمد ليس كسببيا
بل هو محض عناية مني وان قلنا ان المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تاخر
منها ولكن خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان المكرمة منشاها

مثل وانت مصدرها فهذا امر اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم ليس له فيه مشارك
ثم ان قلت بشاركة غيره له في ذلك فوجه التسمية لا يلزم اختصاصه بالمسمى مع
انه نال من هذه الفضيلة ما لم ينل غيره منها وان شاركه فيها والذي يتطهر به من
الذنوب ويتنزه بابتعاده عنها اي يتباعد عنها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان
نزه اي بعيد عن المعاصي اي انما سمي النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوس لانه يقدس
اتباعه ويطهرهم من الذنوب بمعنى انه سبب في ذلك لانه دعا الناس الى اتباعه الموجب
لامرين احدهما المغفرة الذنوب والثاني لمحبة الله تعالى لمتبعه كما قال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم كما قال ويزكيهم اي يطهرهم
عن موجبات البعد عن الله الشرك والمعاصي وقال اي الله تعالى في حقه صلى الله
عليه وسلم ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والمعاصي الى الايمان والطاعة
فتشبيه ما لا يرى بالعين بما يرى بها ليتقوى التشبيه وانما جعل الكفر ظلمة لما
فيه من الحيرة والوحشة والايمان نورا لان مع الايمان اهتداء واستقامة وانسا
بثلج اليقين او يكون النبي صلى الله عليه وسلم مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية بل اقول هو الحقيق من بين البشر والملائكة بان
يسمى بالقدوس لان قدس العبد تنزيه ارادته وعلمه فينزه علمه عن المتخيلات
والمحسوسات والموهومات وكل ما يشاركه فيه البهائم من الادراكات
بل يكون تردد نظره وتطواف علمه حول الامور الازلية الالهية المنزهة عن
ان تقرب فتدرك بالحس او تبعد فتغيب عن الحس بل يصير متجردا في نفسه
عن المحسوسات والمتخيلات كلها ويقتني من العلوم ما لو سلب آلة حسه
وتخيله بقي ريانا بالعلوم الشريفة الكلية الالهية المتعلقة بالمعلومات الازلية
الابدية دون الشخصيات المتغيرة المستحيلة واما ارادته فينزهها عن

ان

ان تدور حول الحظوظ البشرية التي ترجع الى لذة الشهوة والغضب ومتعة
المنكح والمطعم والملبس والمنظر وما لا يصل اليه من اللذات الا بواسطة الحس
والقالب بل لا يريد الا الله عز وجل ولا يبقى له حظ الا في الله تعالى ولا يبقى له شوق
الا الى لقاء الله تعالى ولا فرح الا بالقرب منه ولو عرضت عليه الجنة وما فيها من النعيم
لم تلتفت همته اليها ولم يقنع من الدار الا برب الدار حتى كانت همته الى تحصيل
ما يخرج منه لم يكن همته الا بقدر ما يحتاج منه ولعمري انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ظفر من هذه المرتبة باسناها ومن هذه المقامات باعزها واهناها فكان
حقيقا بان يسمى بما يدل على المبالغة في هذا الوصف صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب قال الراغب العزة حالة مانعة للانسان
من ان يغلب ومنه قولهم ارض عزاز اي صلبة وتعزز اللحم اشتد او الذي لا
نظير له يوصف بهذا الوصف الشمس فانه لا نظير لها والارض مع انها لا يوصفان
بالعزة ولهذا فسر الغزالي العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد
الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم تجتمع هذه المعاني الثلاثة لم يسم عزيزا
والكمال في قلة الوجود وعدم النظير ان يكون واحدا ويستحيل وجود مثله والشمس
وان كانت واحدة لكن وجود مثلها ممكن والباري تبارك وتعالى واحد يستحيل
وجود مثله فالعزة الحقيقية له ليس الا والمعز لغيره فعيل بمعنى فاعل
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله قدم الخبر للاشارة الى الحصر القلبي ردا على ما
توهم ابن ابي سلول من انه الاعز فنفى ان يكون لغير الله عزة الا لمن منحه ابن مح
من فضل عزه اي القوة والمنعة ليست الا لله لا للذي مال ولا للذي خول
فاثبت بهذه الاية اطلاق العزيز على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله اثبت
له العزة ومن ثبتت له العزة كان عزيزا لا محالة والمراد بالعزة التي ثبتت

ابي جو

لرسول الله صلى الله عليه وسلم الامتناع وجلالة القدر وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله في اهم امورهم وهو الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه وشاركهم في العز من يتفرد بالقرب من درجتهم في عصره كالخلفا وورثتهم من العلما قلت حيث كان العزيز من هو بهذه الرتبة فلا احد في الكائنات والمخلوقات اعز من كامل نسعد بارشاده اكثر من الحصى والثرى جزاه الله عنا افضل الجزاء وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة البشارة هي الخبر السار سمي بذلك لانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقها البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال رجل لعبيده من يبشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا كلهم في هذه الحالة واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والنذارة قال في الصحاح هي الابلاغ ولا يكون الا في التخويف فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وكلا مر ان الله تعالى وصف نفسه بالبشارة ونسبها الى نفسه الكريمة لكن بطريق اسناد الفعل الى فاعله ولم يرد نص بتسمية الله تعالى مبشرا ومنذرا والمصنف في صدد بيان اسما سمى الله بها نفسه وسمى بها نبيه صلى الله عليه وسلم وعدها منها ولا يتاتى ذلك الا على راي القاضي ابي بكر الباقلاني من الاشاعرة القائل بان كل لفظ دل على معنى ثابت لله تعالى جاز اطلاقه عليه بلا توقيف اذا لم يكن اطلاقه موهما لما لا يليق بكبريائه فمن ثم لم يجز ان يطلق عليه لفظ العارف لان المعرفة قد يراد بها علم يسبقه غفلة وقد ورد نسبة المعرفة اليه تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ولا لفظ الفقيه لان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه وذلك مشعر

في سورة ال عمران في شان زكريا ان الله يبشرك بيحيى وفيها في شان مريم ان الله يبشرك بكلمة منه

بسابقة

بسابقة الجهل ولا لفظ العاقل لان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا ينبغي ماخوذ من العقال وانما يتصور ذلك لمن يدعوه داع الى ما لا ينبغي ولا لفظ الفطن لان الفطنة سرعة ادراك ما يراد تعريضه على السامع فتكون مسبوقة بجهل ولا لفظ الطبيب لان الطب يراد به علم ماخوذ من التجارب الى غير ذلك من الاسما التي فيها نوع ايهام لما لا يصح عليه تعالى واما على راي الاشعري وموافقيه فلا يصح ان يطلق على الله تعالى لفظ المبشر والمنذر لعدم ورود لفظها مطلقا عليه تعالى وتقدس فانه يقول لا بد من التوقيف في اطلاق الاسما عليه تعالى وسماه اي النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس هو قول مروي عن ابن عباس والمشهور عنه ان معنى طه يا رجل وهي لغة معروفة في عكل قال الشاعر

من الطويل

دعوت بطه في القتال فلم يجب ۞ فخفت عليه ان يكون موائلا ۞

وقيل معناه رجل بلغة الحبشة واما يس فقد قال اشهب سالت مالكا هل ينبغي لاحد ان يسمى بياسين قال ما اراه ينبغي فان الله تعالى يقول يس والقران الحكيم يقول هذا اسمي ياسين قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع مالك من التسمية بياسين لانه اسم من اسمائه تعالى لا يدرى معناه فربما كان له معنى ينفرد به الرب تبارك وتعالى فلا يجوز ان يقدم عليه العبد وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اما طه فقد تقدم تسميته به في حديث لي عند ربي عشرة اسما وذكر منها طه ويس واما يس فقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميدي

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة ۞ على المودة الا ال ياسينا ۞

ولبعضهم في مدح اهل البيت

بشراكم بالهدى يا ال ياسينا ۞ يا انجم الحق اعلام الهدى فينا ۞

فصـــل قال القاضي ابو الفضل اي عياض صاحب هذا التاليف وفقه الله
وهاانا اذكر كذا وجد في نسخ الشفا وقد استعمل حرف التنبيه وهو ها داخلا على ضمير
الرفع المنفصل من غير اخبار عنه باسم الاشارة مع انه لابد من اسم الاشارة في هذا
الموضع بان يقول وها انا ذا اذكر حتى قيل بان ها كانت داخلة على اسم الاشارة
تقدمت وان ها انتم اولا انتم هولا واعترض عليه بقوله تعالى ها انتم هولاء واجيب بانها   اصل ذ م
اعيدت توكيدا نكتة اي فايدة لها تاثير في القلب اذا ادركها العقل واحاط بها الفهم
اذيل بها هذا الفصل بالذال المعجمة اي اجعلها كالذيل للفصل السابق والجهة
الجامعة كونها في اخر الكلام كالذيل يكون في اخر القميص مع انه لا يتم امر القميص بدونه
فالاستعارة تصريحية تبعية واختم بها هذا القسم هذه الجملة كالتفسير للجملة التي قبلها   حاصله
وازيح اي اذهب الاشكال بها اي بهذه النكتة اي بسببها فيما تقدم من الاشكال عن
كل ضعيف الوهم الظاهر ان المراد بالوهم الذهن والادراك وليس المراد القوة
المعارضة للعقل فان الاشكال في الامور العقلية التي ادركها العقل انما ينشا
من قوة الوهم على مقتضى العقل لا من ضعفه والا فلو كان ضعيفا لكان العقل هو
القوي فيزول الاشكال وكان قوله بعد ذلك سقيم الفهم بمنزلة التوضيح لهذا الوصف
تخلصه من مهاوي التشبيه جمع مهواة وهي ما بين الجبلين وهي مكان مهلك غالبا
وهو من قبيل اضافة المشبه الى المشبه به على حد لجين الما اي تخلصه من تشبيه
الواجب المنزه جل ذكره بمخلوقيه الذي هو كالمهواه من سقط فيها هلك وتزحزحه
اي تباعده عن شبه التمويه في القاموس موه الشي طلاه بفضة او ذهب وتحته
نحاس او حديد والمراد بشبه التمويه الشبهة التي ترد بصورة الحق وهي
ساترة الباطل يظنها ضعيف العقل انها حق والبصير يدرك بطلانها
وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه اي غلبته على كل من سواه وملكه
وسلطانه

وسلطانه وملكوته اي عزه وسلطانه وحسنى اسمائه وعلا صفاته لا يشبه شيئا من
مخلوقاته ولا يشبه به اي بوجه من وجوه المشابهة والمماثلة ليس كمثله شي فليس
الباري تبارك وتعالى بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا في مكان وجهة ولا في زمان ومدة
ولا قابل الاعراض ولا محل للحوادث ثم ان هذا الكلام ساقه المصنف دافعا به
شبهة تولدت مما سبق تقريرها انك قلت ان الله تعالى لما تسمى وقد سمى نبيه صلى
الله عليه وسلم ببعضها كما قررنا والاسم دال على المسمى فيلزم اشتراك رب العزة جل
جلاله ونبيه صلى الله عليه وسلم في المسمى فاجاب عن ذلك بقوله اذ ما جاء ما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا يراد باللفظ من حيث اطلاقه على الخالق المعنى الذي
يراد من حيث اطلاقه على المخلوق فليس معنى الكريم الذي اطلق على رب العزة جل
جلاله هو معنى الكريم الذي اطلق على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ساير المخلوقين وقد
قررنا تفصيل ذلك فيما سبق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته ~~تبني على الاصح من مذهبين~~ لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا
تشبه صفات المخلوقين نفى المصنف المشابهة بين ذاته وذات غيره تعالى مبني على
الاصح من مذهبين قال بكل منهما جماعة من المتكلمين الاول ان ذاته مخالفة لساير الذوات
لذاته لا لامر زايد عليه وهو مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري وابي الحسين البصري
فهو منزه عن المثل اي المشارك في تمام الماهية والند اي المثل المناد اي المنازع
الثاني مذهب قدما المتكلمين ان ذاته مماثلة لساير الذوات في الذات الحقيقية
وانما يمتاز عنها باحوال اربعة الوجوب والحياة والعلم التام والقدرة التامة وهذا
قول الجبائي زاد ابنه ابو هاشم انه يمتاز بصفة خامسة تسمى الالهية اذ صفاتهم لا تنفك
عن الاعراض اذ صفات المحدثات اعراض واما صفاته فليست بعرض لانه تعالى منزه
عن ان يتصف بشي من الاعراض المحسوسة بالحس الظاهر او الباطن حتى اللذة خلافا

للفلاسفة خذلهم الله وسائر الكيفيات النفسانية من الخجل والحزن والخوف ونظائرها
فانها كلها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المنافي للوجود الذاتي والاغراض جمع غرض
وهو العلة الباعثة على فعل الشي فان الاشاعرة لا يجوزون تعليل افعاله تعالى بشي من
الاغراض واليه ذهب جهابذة الحكما نعم قالت الفقها بجوازان يتبع افعاله حكم ومصالح
تفضلا واحسانا وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه اي انه تعالى
متصف بصفاته مسمى باسمائه من الازل اذ لو كان اتصافه بصفاته متجددا حادثا
لكان ذاته محلا للحوادث وهو محال والحادث الذي يمتنع ان يقوم بذاته ما عدا النسب
والاضافات واما هي فيجوز تجددها بالاتفاق من العقلا حتى يقال انه موجود مع العالم
بعد ان لم يكن معه واما الاحوال فلم يجوز تجددها في ذاته تعالى الا ابو الحسين من المعتزلة
فانه قال بتجدد العالمية فيه بتجدد المعلومات واما صفاته السلبية والوجودية
فهي قديمة ازلية وكفى في هذا اي في تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقين قوله ليس كمثله
شي فانها صريحة في ان ما اتصف به من الصفات لا يشبه صفات المخلوقين تعالى
وتقدس ولله در من قال من العلما في القاموس لله دره اي عمله ولا ذر دره اي لا
زكا عمله العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة
من الصفات المراد بعدم تعطيله من الصفات ان يثبت له صفات سوا كانت
زائدة على ذاته كما تقوله الاشاعرة والسلف ويسمى الفريقان بالصفاتية فيقولون
ان الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة سميع بسمع بصير ببصر مريد بارادة
متكلم بكلام باق ببقا وهذه الصفات زائدة على ذاته تعالى وهي موجودة ازلية وهي
قائمة بذاته تعالى وحقيقة الالهية ان يكون ذات ازلية موصوفة بتلك الصفات
الازلية وزاد بعض السلف قديم بقدم كريم بكرم جواد بجود الى ان عد عبد الله بن
سعيد الكلابي خمس عشرة من غير فرق بين صفات الذات وصفات الافعال ام

غير زائدة كما تقوله المعتزلة فانهم صاروا الى انه تعالى عالم قادر حي لذاته لا لامر زائد وزاد
هذه النكتة بيانا الواسطي رحمه الله وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات اي ليس
لحقيقته حقيقة فلا مشارك له في حقيقته اذ لو شورك فيها لخالفه المشارك في
التعين ضرورة الاثنينية فان المتشاركين في تمام الماهية لا بد ان يتخالفا بتعين
وتشخص ولا شك ان ما به الامتياز غير ما به الاشتراك فيلزم التركيب وهو ينافي الوجوب
الذاتي ولا كاسمه اسم لان معاني اسمائه غير معاني اسما غيره تعالى وان تشاركا في مجرد
اللفظ فليس معنى المومن الذي هو اسم من اسمائه تعالى بمعنى المومن الذي هو اسم
لغيره كما قررنا ذلك في محله ولا كفعله فعل لان فعل غيره عرض من الاعراض ومعلل بالعلل
والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك كما قررنا ولا كصفته صفة لان صفات من سواه
حادثة واما صفته فقديمة ازلية لا افتتاح لاتصافه بها ولا زوال له تعالى وتقدس الا
من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة اذ لو كان
له تعالى صفة حديثة لكان ذاته محل الحوادث وهو محال كما برهن عليه في فن الكلام كما
استحال ان يكون للذات الحديثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله عنهم فان قلت كيف ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ادم
على صورته وروى ابن خزيمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقولن احدكم لعبد قبح الله وجهك ووجها اشبه وجهك فان الله خلق
ادم على صورته فان ذلك مقتض للمشابهة بين العبد وبين الله تعالى قلت على تقدير عود
ضمير صورته الى الله تعالى فالمراد من الصورة الصفة فالمعنى حينئذ ان ادم امتاز عن
سائر الاشخاص والاجسام بكونه عالما بالمعقولات قادرا على استنباط الحرف
والصناعات وهذه صفات شريفة مناسبة لصفات الله تعالى من بعض الوجوه ولا
يلزم من ذلك المشاركة في الالهية لان المشاركة في بعض اللوازم البعيدة مع حصول

المخالفة في الامور الكثيرة لا يقتضي المساواة في الالهية ولهذا قال تعالى وله المثل الاعلى
او يقال ان الاضافة اضافة خلق وايجاد ولا يلزم من ذلك ان تكون الصورة قائمة به
تعالى والاضافة مع ان الله تعالى خالق كل صورة اضافة تشريف كناقة الله فذروها
تاكل في ارض الله وبيت الله ونحو ذلك فكان المراد خلقه على صورة شريفة يصح اضافتها
الى الله اضافة تشريف وقال الامام الغزالي ليس الانسان عبارة عن هذه البنية بل هو
موجود ليس بجسم ولا جسماني ولا تعلق له بهذا البدن الا على سبيل التدبير والتصرف
فقوله ان الله خلق ادم على صورته اي نسبة ذات ادم الى هذا البدن كنسبة الله تعالى
وتقدس الى العالم من حيث ان كل واحد منهما غير حال في هذا الجسم وانه كان موثرا فيه بالتصرف
والتدبير واشتراكهما في اصل التصرف مع التفاوت التام بين تصرف الانسان في هيكله
والرب تبارك وتعالى في عالمه وقد فسر الامام ابو القسم القشيري قوله هذا اي قول
الواسطي المذكور رحمه الله بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية لان وجوده تعالى
لذاته لا لغيره ليكون مفتقرا اليه ولو كان لغيره لزم من ارتفاع الغير ارتفاعه فلم يكن واجبا
لذاته وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو اي فعله تعالى لغير جلب انس او دفع نقص
حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن
هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم يعني ان النفس الفت ادراك ما تدركه في صورة فربما يقع في بعض الاوهام ان
للباري تعالى وتقدس صورة كصور الموجودات من وجه ويد وقدم واصبع سيما ان
سمعت اطلاق مثل هذه الاشياء عليه من الشارع بحسب اللفظ فربما يرتسم في وهم
المرء من ذلك صورة فكلما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك تعالى وتقدس وليس مراد
هذا القائل ان الله لا يدرك فانه يدرك بصفاته بالنظر الصحيح بل الفطرة السليمة الانسانية

شهدت

شهدت بضرورة فطرتها وادركت ببديهة فكرتها ان للعالم صانعا عليما قادرا حكيما
قال تعالى افي الله شك وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم وقال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله حتى لو غفلوا عن هذه الفطرة في
حال السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء قال تعالى دعوا الله مخلصين له الدين
وقال تعالى واذا مسكم الضر ضل من تدعون الا اياه ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود
الصانع وانما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وقال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ولهذا جعل النزاع
بين الرسل وبين الخلق في التوحيد قال تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وقال اذا
ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة فالباري تعالى مدرك بالنظر الصحيح
بصفاته واسمائه وتنزيهاته فليس كل مدرك بالعقل محدثا لكن هو تعالى لا يدرك بكنهه
وقال الامام ابو المعالي الجويني المعروف بامام الحرمين راس الشافعية في عصره وهو
شيخ الغزالي ومقتداه اسمه عبد الملك وهو الذي قيل فيه ه ما شاهدت عيني فتى ه
تحت اديم الفلك ه مثل امام الحرمين الثبت عبد الملك ه وقيل فيه لما مات
ه قلوب العالمين على المقالي ه وايام الورى شبه الليالي ه ايثمر غصن اهل الفضل يوما
وقد مات الامام ابو المعالي ه من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره بحيث يقطع ان الباري
هو هذا الموجود فهو مشبه لانه ادركه بكيفية حصره فيها وقوله اطمان يقتضي ان لا يكون
مشبها بمجرد خطور ذلك بباله من غير جزم ولا طمانينة بل قيل ان الطمانينة ارق من اليقين
اذ لا يتطرق اليها شك بخلاف اليقين ولهذا طلبها ابرهيم عليه الصلوة والسلام بعد
ثبوت درجة الايمان له قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي لكن المراد هنا
بالطمانينة اليقينية الواصل الى درجة الاعتقاد وان خطر بباله موجود من غير اعتقاد
فلا يؤاخذ به ويكون وسوسة وحديث نفس وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز

متغير مسبح

عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به او تتكلم وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم
لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك
شيا فليقل امنت بالله ورسله وقد اثبت النبي صلى الله عليه وسلم لاصحاب الوسوسة
من غير قبول ولا اذعان صراحة الايمان وخلوص الايقان ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال جا ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه انا نجد في انفسنا
ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان وحاصله
ان النفس منهمكة في عالم الحس الفت احوال الشهادة والعقل مدرك لاحوال المغيبات
والاعتبار ربما يدركه العقل ويقضي به لا بما يختلج في النفس من غير اذعان لها فيقول اللهم
املا قلوبنا من اليقين الصادق واجرنا من الشيطان وشركه يا ارحم الراحمين ومن اطمان الى
النفي المحض فهو معطل اي لا يجل ولا يعتقد للعالم صانعا ولم ينقل احد من اهل العقول
لهذه المقالة ولا نعد مقالة الا ما نقل عن شرذمة من الدهرية انهم قالوا العالم كان في
الاول اجزا مبثوثة تتحرك على غير استقامة فاصطكت اتفاقا فحدث عنها العالم
بشكله الذي نراه ودارت الاكوار وكرت الادوار وحدثت المركبات قال الشهرستاني
ولست ارى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف به لكنه يحيل سبب
وجود العالم على البحث والاتفاق ولعمري ان هذه مقالة لا تحتاج الى ان يقام على
بطلانها دليل وان قطع بوجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن
قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه
في الاشيا بلا امزاج يجوز ان يراد به المزاج اللغوي وهو المخالطة اي بلا مخالطة للغير
معه في صنعه وان يراد به المزاج الاصطلاحي وهو كيفية متشابهة تحصل من
تفاعل عناصر متصغرة الاجزا المتماسة بحيث تكسر سورة كل منها سورة كيفية الاخر
وذلك لا يكون الا في المركبات العنصرية والله تعالى منزه عن ذلك وعلة كل شي صنعه ولا علة

لصنعه

لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا الكلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير
اي الجملة الاخيرة من هذا الكلام وهي قوله وما تصور في وهمك تفسير لقوله ليس كمثله
شي والثاني تفسير لقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون اي لا يساله الخلق عن
قضائه في خلقه وهو يسال الخلق عن عملهم لانهم عبيده وقيل المعنى لا يواخذ على عمله
وافعاله وهم يواخذون روي عن علي ان رجلا قال له يا امير المومنين ايحب ربك ان
يعصى اي يريد ذلك قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني الهدى ومنحني
الردى احسن الي ام اسا قال ان منعك حقك فقد اسا وان منعك فضله فهو فضله
يوتيه من يشاء ثم تلا لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث اي الفصل الثالث
وهو اول الجمل الثلاث وهو قوله ان يعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج الى اخره
تفسير وتوضيح لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون المراد من ذلك
تمثيل تاثير قدرته في مراده بامره المطاع للمطيع في حصول المامور من غير امتناع
وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة ثبتنا الله
واياكم على التوحيد والاثبات لعله اراد اثبات الصفات الزائدة على الذات لا
اثبات الواجب والا لم يكن ذكره مفيدا لانه يلزم من التوحيد الاثبات والتنزيه
اي تنزيه ذاته المقدسة عما لا يليق به من صفات المحدثات وجنبنا طرقي الضلالة
اي العدول عن الطريق المستقيم والغواية اي اعتقاد الباطل من التعطيل والتشبيه
بمنه ورحمته

الباب الرابع

في ما ظهر الله على
يديه من المعجزات جمع معجزة وهي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة
فخرج غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم والخارق بلا تحد والمراد بالتحدي طلب النبي
من المرسل اليهم المعارضة كان يقول لهم ائتيكم بهذه المعجزة فعارضوني ان قدرتم
كقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وخرج ايضا

الباب الرابع

الخارق المتقدم على التحدي والمتاخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية والسحر والشعبذة
فان الخارق على ثمانية اقسام لانه ان قارن التحدي فمعجزة او سبقه كتسليم الحجر على النبي
صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فارهاص للنبوة اي تاسيس لها من ارهصت الحائط اذا
اسسته وبعضهم ادخله في المعجزة او تاخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية
فكرامة او ظهر بلا تحد على يد مطيع لله تعالى لا يدعي النبوة فكرامة او على يد غيره فسحر
او معونة او استدراج او شعبذة كما كل صاحبها الحيات وهي تلدغه ولا تتاثر بها او
اهانة كما روى انه قيل لمسيلمة الكذاب ان محمدا صلى الله عليه وسلم يضع يده على عين
الاعمى فيبصر فان كنت نبيا لم لا تفعل ذلك فقال ائتوني باعمى فوجدوا هناك اعور
فوضع يده على عينيه العوراء فعميت الصحيحة وروى انه دعا للاعور ان تصير عينه
العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عوراء فالفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب
الكرامة لا يدعي النبوة وصاحب المعجزة يدعيها واما الفرق بين السحر والمعجزة فان
السحر يحصل باعمال واسباب والمعجزة ليست كذلك وايضا المعجزة تظهر على يد
تقي صالح ناسك والسحر يظهر على يد الفاسق وشرفه الله به من الخصائص اي
الفضائل التي اختص بها من بين سائر الانبياء وليس المراد بالخصائص الاحكام
التي اختص بها دون امته كوجوب صلاة الضحى عليه وتحريم خائنة الاعين فان
المصنف لم يتعرض لها مع انه ينبغي ان يكون كتابه مشتملا عليها وقد ذكرها الفقهاء
في اول كتاب النكاح وافردت بالتاليف افردها القطب الخيضري والسراج
ابن الملقن في غاية السول والجلال السيوطي في انموذج اللبيب والكرامات اي
الخوارق التي لم تقارن التحدي قال القاضي ابو الفضل مجيبا عن سؤال اورد عليه
في هذا المقام تقرير السؤال انكم بادرتم الى ذكر معجزاته ومجرد ذكر المعجزة لا يؤدي
الى التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم بل هو موقوف على معرفة حقيقة المعجزة وافادة

المعجزة

المعجزة صدقه امر نظري يتوقف على اثباته بدليل يردون به شبه البراهمة المنكرين
للنبوات ثم على شروط المعجزة المذكورة في كتب الكلام ثم تعريف التحدي وذكر شروطه
وعلى ابطال شبهة اليهود المنكرين لنسخ الشرائع المستلزم لتكذيب عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام فاجاب عن ذلك بقوله حسب المتامل فدفع هذا السؤال ان
يتحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا الطاعن في معجزاته
فنحتاج منصوب وقع في جواب النفي المحض وان كان فيه خلاف لبعض المغاربة
فانه لا يجيز نصب الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب لم النافية وقد جاء النصب
في قول الشاعر * لم الق بعدهم حيا فاخبرهم * الا يزيدهم حبا الي هم * الى نصب البراهين
اي اقامة الدلائل القطعية عليها اي على افادة المعجزة صدق مدعي النبوة التي ظهرت
على يديه وتحصين حوزتها بالحاء المهملة والزاي المعجمة وهي بيضة الملك والمراد
حفظ ما يقتضيه المعجزة وسيتلزمه من اللوازم حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر
شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده جرت
عادة المتكلمين ان يذكروا في اول اثبات نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم بحث ابطال قول
من ابطل نسخ الشرائع لانه موقوف عليه اذ اليهود التجاوا الى تكذيب عيسى ثم نبينا
صلى الله عليهما وسلم بابطال نسخ الشرائع متمسكين بمقالة نقلت عن نبيهم موسى عليه
الصلوة والسلام مقتضية لتابيد شريعته ونحن نقول انها لم تصح ويقطع بعدم
صحتها لظهور المعجزات على يد عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم بل الفناه لاهل ملته المليين
لدعوته اي المجيبين لها بلفظ لبيك المتلبسين بمقتضى ذلك باطنا المصدقين لنبوته
ليكون اي ما جمعناه والفناه تاكيدا في محبتهم له اذ المحبة تقبل الزيادة ومنماة لاعمالهم
اي مبلغا اعمالهم الى الله عز وجل على وجه الاصلاح وفي النهاية الاثيرية يقال نميت
الحديث انميه اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير فاذا بلغته على وجه الافساد

مطلب في ان البراهمة تنكر النبوات

مطلب في ان اليهود غضب الله عليهم ينكرون نسخ الشرائع

مطلب في ان بعض المغاربة لا يجيز نصب المضارع بعد الفاء الواقعة في جواب لم النافية

من البسيط

مطلب ما وقع من مسيلمة الكذاب

والنميمة قلت نميته وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فان الايمان يقبل الزيادة وان كان هو التصديق فقط خلافا للامام الرازي فانه قال اذا كان الايمان هو التصديق لا يقبل الزيادة لان الواجب فيه اليقين وهو لا يقبل التفاوت لانه انما هو لاحتمال النقيض واليقين المحتمل النقيض محال والحق ان اليقين يقبل التفاوت كما برهن عليه في الكلام وبيتنا اي قصدنا المصمم ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل اي يستدل بها المومن على عظيم قدره عند ربه عز وجل واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثرها ما بلغ القطع لكثرة توافق الائمة على نقله وما كان منه في الصحيحين مقطوع بصحته على مرجح ابن الصلاح واما عند النووي رحمه الله فانه اختار انه مظنون الصحة لكن ذلك في غير ما احتف بالقرائن ومعجزاته من هذا القبيل فما في الصحيحين منها مقطوع بصحته اتفاقا او كاد ان يبلغ درجة القطع ولم يبلغها اي قارب ذلك بان كانت تفيد الظن القوي فالقطع اعم من ان يكون علما ضروريا كان يكون الخبر متواترا او نظريا كان يكون صحيحا واحتف بالقرائن وكثر مخرجوه واما اذا كان صحيحا او حسنا ولم يحتف بالقرائن فانه يفيد الظن ودرجات الظن متفاوتة واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة مما بلغ درجة الظن الا انه ظن قوي وتقويته بسبب تخريج الائمة كالمعجزات المذكورة في دلائل النبوة للبيهقي فان جلالة البيهقي تودي الى انه يعتمد كل ما يخرجه واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره الاثر بقية الشي ويطلق على ما يفعله الانسان ويبقى بعده انه اثر لانه من بقايا حياته وقد يكون جميلا كعلم علمه وولد صالح بقي بعده وصدقة جارية وقد يكون سيا كاشاعة باطل وانشاء ظلم وتاسيس جور اي من افعاله الحسنة التي تركها تروى وتحكى في الدفاتر والصدور وعلى السنة العلما والعارفين بالله تدور وحميد سيره اي سيره المحمودة جمع سيرة وفي القاموس السيرة بالكسر

السنة

السنة والطريقة وبراعة علمه في القاموس برع ويثلث براعة وبروعا فاق اصحابه في العلم وغيره اي علمه صلى الله عليه وسلم الذي ليس فوقه علم الاعلم رب العالمين الذي تفضل عليه بروامله ورجاحة عقله اي عقله الذي لو وزن بعقل غيره لكان ارجح وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله اي مقاله الذي هو صواب لم يمتر اي يتردد في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به وان لم ير معجزة فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام بتخفيف اللام وكان او لامن اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جيته لانظر اليه فلما استبنت وجهه اي رايته رويته واتضحته بحيث لم يخف علي منه شي عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب اعلم ان مجرد ذلك لا يكفي عبد الله بن سلام في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بل خلق الله تعالى فيه علما ضروريا منشاه من رويته وجهه الشريف استفاد صدقه وقطع به مع ان في قصة اسلامه ما يقتضي انه اعتماد ابن سلام على الوقوف على صفته في التورية وغيرها من الكتب السالفة وانه لما راى وجهه قطع بصدقه لمطابقة صفته الذي راه لما ذكره من صفته في الكتب السالفة ففيها انه قال لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه عندكم مكتوبا في التورية باسمه وصفته فاني اعلم انه رسول الله واومن به واصدقه واعرفه وهذا كما اعتمد النجاشي وقيصر على ما علما من صفته وفهما من نعوته الجميلة فوفق الله النجاشي ومات قيصر على كفره خوفا من زوال الملك وعن ابي رمثة هو بكسر الراء وبعدها الميم الكنة ثم مثلثة والرمث ضرب من النبات التيمي نسبة الى تيم الله والتيم لغة العبد اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي لانه راى في وجهه من مخائل الكمال ما يقطع بانه نبي ثم قال والله موكدا ذلك بالقسم

وروى مسلم وغيره من حديث ابن عباس ان ضمادا لما وفد عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم
اي قدم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله بجوز فيها التخفيف وفتح الهمزة والتشديد
مع كسرها اي كل فرد فرد من افراد الحمد ملك لله وهذا ثنا منه على الله تعالى بصفة واحدة
وهي انه مالك لجميع الحمد ثم قال نحمده اي نصفه بجميع صفاته لان الحمد لغة هو الثنا
بالجميل وكل من صفاته تعالى جميل فكان للاتيان بنحمده بعد قوله الحمد لله تعميم بعد تخصيص
وان كان الحمد بالصيغة المشهورة وهي الحمد لله اوقع في النفس من حيث التفضيل
ونستعينه اي نطلب منه ان يعيننا في الهداية الى الطريق القويم من يهده الله فلا
مضل له استينافا وقع جوابا لسوال نشا من طلب الاعانة كان قائلا قال لم
خصصت الله بطلب الاعانة منه فاجاب بانه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له لا شك ان دخول لا النافية للجنس يفيد نفي كل فرد من افراد المضل والهادي
نصا لانها من المفيدة للاستغراق فيه مقدرة واشهد اي اعلم واعتقد ان لا اله اي لا معبود
بحق في الوجود الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هولا لا يخفى ان اولا اسم اشارة يشار به الى الجمع مطلقا سوا كان لمذكر ام لمونث لكن
الغالب استعماله في من يعقل وقد يستعمل في ما لا يعقل ومنه هذه المقالة وقول الشاعر
ذم المنازل بعد منزلة اللوى ۞ والعيش بعد اولئك الايام ۞ فلقد بلغن قاموس البحر — من الكامل
اي البعد موضع فيه غور فكيف فكيف لا يصل الى قلب الانسان فان قلت رب شي يبلغ
السماوات ولا يصل الى قلب ابن ادم لغلبة الشقي عليه قلت ذاك لوجود مانع والا
فلو خلي ونفسه لوصل الى ابعد من قلب الانسان والمراد بوصولها اذعان القلب لها
وتصديق القلب بمضمونها هات يدك بكسر التا اي اعطني يدك ابايعك بجزم على انه
جواب الامر ووجه استشهاد المصنف بهذا الحديث ان ضمادا لم يتلعثم حين راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبان وجهه الشريف والافادبان ضمادا لم يستند

الى مجرد ما سمع من هذه الكلمات اذ لا اعجاز فيها وانما استدل بمخايل الصدق وامارات
وامارات الحق ودلائل الكمال وقال جامع بن شداد هو جامع بن شداد المحاربي ابو صخر كوفي
صحب النبي صلى الله عليه وسلم توفي في رمضان سنة ثمان عشرة ومائة وقيل سنة سبع
وعشرين ومائة كان رجل منا يقال له طارق هو ابن عبد الله المحاربي راى النبي صلى الله عليه
وسلم بسوق ذي المجاز وابو لهب يتبعه يرميه بالحجارة وانما قال منا لان كلاهما محاربي
وكوفي فاخبر اي طارق انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المذكور في الثقات لابن حبان
انه راه بارض مكة في سوق ذي المجاز فانه سوق بينه وبين ارض عرفة فرسخ
فقال هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا البعير اي معنا هذا البعير نبيعه قال بكم قلنا بكذا
وكذا وسقا من تمر الوسق ستون صاعا واحمل بعير فاخذ بخطامه هو شي يعلق في
انف الدابة بعد خرقه لتقاد به الدابة وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل استعمال
باع متعديا بمن وقع من الفقها في كتبهم كثيرا وكذا تعدية زوج وانكح وقد عده جماعة
من لحن الفقها وقالوا صوابه باعه كذا بنفسه قال النووي وهذا الانكار غير صحيح بل
قد صح استعمالها عن العرب ففي صحيح البخاري في حديث وصية الزبير عن عبد الله
ابن الزبير قال باع عبد الله بن جعفر نصيبه من معوية بستمائة الف وفي حديث اخر
فباع منه فرسا وفي مسند ابي يعلى الموصلي قال سال ابن عباس عن بيع الخمر من اهل
الذمة وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه قال معقل بن يسار زوجت اختا لي
من رجل وفي صحيح مسلم قال جابر بن عبد الله لو بعت من اخيك تمرا وفي صحيح البخاري
عن علي رضي الله عنه اردنا ان نبيعه من الصواغين وغير ذلك
ذلك مما لا يحصى وجوز ان تكون زائدة بناء على مذهب الاخفش الذي لا يشترط في
الزيادة ان تقع في سياق النفي وجعل منه ذلك قوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين لا ندري من هو
اي لا نعرف جواب السوال عنه بمن هو جملة من هو معلق عنها العامل ومعناه طعنه بالقنا

السوق مونث في لغة وقد يذكر

تعدية باع وغوه بمن

ذكر صحة استعمال العرب لتعدية باع بمن

مطلب ان الاخفش لا يشترط في زيادة من وقوعها في سياق النفي

وجه تسمية المرأة بالظعينة

مطلب اطلاقات الظعينة

المثناة الظعينة في الاصل الراحلة التي يرحل ويظعن عليها اي يسار ولكن المراد
هنا المراة وانما سميت ظعينة لانها تظعن مع الزوج حيث ما ظعن او لانها تحمل على
الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المراة في الهودج ثم قيل للهودج بلا امراة
وللمراة بلا هودج ظعينة كذا في النهاية الاثيرية فقالت اي الظعينة انا ضامنة
لثمن البعير الذي لزم ذمة المشتري وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
وجه رجل مثل القمر ليلة البدر استيناف وقع جوابا لسوال نشا من ضمانها
للثمن الذي في ذمته صلى الله عليه وسلم كانه قيل لها لم ضمنتيه مع علمك به وعدم علم
اذنه لك في الضمان وضمانك اياه مود الى غرم الثمن وذهاب مالك فقالت رايت
الواضح ولم ترد الانوار الوجه المعهود الحاصل من صلاح القلب لا النور الحسي
لانها استدلت به على كمال امانته وتمام ديانته وهما من صفات القلب ومنشاهما
من صلاحه وصلاح القلب قد يحصل اثاره في الوجه ويدرك ذلك من له نظر بنور
الله ولعل المراد بهذه المراة حبرا فاراها من انواره الناشئة من صلاح سره
ما لم يره الرجال لا يخيس بكم اي يغدر بكم او لا يخلف وعدكم وفي النهاية يقال
خاس بعهده يخيس وخاس بوعده اخلفه فاصبحنا اي دخلنا في الصباح
فاصبح هنا تامة تكتفي بفاعلها على حد قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم
استيناف جواب لسوال نشا من الاخبار بانه رسوله فكانهم قالوا له فيما
ذا ارسلك فقال يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا اي لاستيفا ثمن البعير
حتى تستوفوا مفعوله محذوف اي تاخذوا ثمن البعير وافيا تاما لا ينقص منه شي
وقوله حتى تستوفوا غاية لتكتالوا لا لتاكلوا فان الاكل قد سمح به صلى الله عليه وسلم ولم يجعله من
الثمن ويكون ذلك من قبيل انه صلى الله عليه وسلم اقترض بكرا ورد رباعيا وقال ان من

كون اصبح تامة فتكتفي بفاعلها

خياركم

خياركم احسنكم قضا ففعلنا اي ما امرنا به من الاكل ومن الاكتيال حتى نستوفي
ووجه الاستشهاد بهذا الحديث ان طارقا اسلم بلا شك فلعل هذا بمجرده كان
سبب اسلامه ولم يحتج الى ان يرى معجزة غيره وفي خبر الجلندا في القاموس
وجلندا بالضم اوله وفتح ثانيه ممدوده ومقصوره اسم ملك عمان ووهم الجوهري
فقصره مع فتح ثانيه وقال الاعشى ٥ وجلندا في عمان مقيما ٥ ثم قيسا في حضرموت المنيف ٥
واقول هكذا رايناه في القاموس ولا ادري ما سبب وهم الجوهري الا ان كان اقتصاره
على القصر مع انه يجوز مده فتامل ملك عمان في القاموس عمان كغراب بلد باليمن وصرف
اي لعدم زيادة النون حتيه وفي بعض النسخ ملك غسان بالغين المعجمة وتشديد
السين كشداد وهي اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة فكان
الجلندى ملكها لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال
الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي قيل هو نسبة الى الامة الامية التي هي
على اصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان
نبيكم صلى الله عليه وسلم اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الله تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما
انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الحديث وقيل نسب النبي صلى الله عليه وسلم
الى ام القرى ذكره النحاس انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به اي عامل به ولا
ينهى عن شي الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر البطر الطغيان عند النعمة
وطول الغنا ويغلب بالبنا للمالم يسم فاعله فلا يضجر اي يتبرم ويضيق
ذرعا ويفي بالعهد وينجز الموعود اي يفي به واشهد اي اعلم واعتقد انه
نبي فعقد الكتفي بمجرد ما تواتر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الكمالات
وحكي عنه من هذه الاثار وقال نفطويه المشهور في ضبطه وضبط امثاله كسر

من الخفيف

انظر الى صاحب القاموس وهم الجوهري في ذلك

النون وسكون الفا وفتح الطا وفتح الواو وسكون اليا مختوما بها لكن ابن الصلاح نقل
عن بعض المحدثين انه بضم الطا وسكون الواو وفتح اليا مختوما بها وهو ابرهيم بن محمد
ابن عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي ذو المصنفات الجيدة والشعر الحسن منه

قوله ٥ استغفر الله مما يعلم الله ٥ ان الشقي لمن لم يرحم الله ٥
٥ هبه تجاوز لي عن كل مظلمة ٥ واسوتا من حيائي يوم القاه ٥

في قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا وعلى هذا يجعل الضمير في مثل
نوره لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الكلام تم عند قوله الله نور السموات والارض ورسول
الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيت
نبوته اي تقاربت نبوته ان تظهر للناس وان لم يات بمعجزة وفي الاية ابحاث شريفة
سبق الكلام عليها كما قال ابن رواحة هو عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري
الخزرجي شهد العقبة وكان ليلتئذ نقيب بني الحارث ابن الخزرج وشهد بدرا
واحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضا والمشاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا فتح مكة وما بعدها فانه توفي قبل غزوة الفتح في غزوة موتة
وقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجيش بعد جعفر وهو الذي شجع المومنين
في غزوة موتة على لقا الكفار وكان المسلمون ثلاثة الاف والكفار مايتي الف
استشهد عبد الله بن رواحة في غزوة موتة في جمادى سنة ثمان من الهجرة ولم يعقب

٥ لو لم تكن فيه ايات مبينة ٥ الكان منظره ينبيك بالخبر ٥ هذا البيت ظاهره مشكل من
جهة ان منظره ينبيك بالخبر ولو كانت فيه ايات وهذا من قبيل ان لو تدل على تقرير
الجواب مطلقا وجد الشرط او فقد لكنه مع فقده اولى فاذا كان منظره ينبيك بالخبر
عند عدم الايات فعند وجودها الذي هو فقد الشرط لان فقد لم يكن فيه ايات

مبينة

مبينة كانت فيه ايات مبينة اولى فهو على حد قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى ان
انتفا المعصية مع ثبوت الخوف اولى ويمكن ان يجعل لو هنا من قبيل انها امتنع جوابها
لامتناع شرطها بان يراد لكان منظره فقط بدون ضم شي اليه ينبيك بخبر صدقه
وانه نبي وامتنع لنفي ايات مبينة فامتنع ان منظره فقط ينبيك بخبره بل الذي
ينبي بخبره المنظر مع الايات لا المنظر فقط كما هو عند عدم الايات وقد اتى اي اتى
وقت ان ناخذ اي اخذنا في ذكر النبوة والوحي والرسالة ولعله في معجزات القران
وما فيه من برهان اي دليل قاطع على انه من عند الله تعالى ودلالة بحيث يلزم من الوقوف
عليه العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه من عند الله تعالى

فصل

اعلم ان الله جل اسمه صدر هذا البحث بلفظ اعلم ليفيد ان المخاطب ينتبه لما
يلقيه اليه ويحضر ذهنه ويلقي سمعه وهو شهيد وذلك اهتماما بما يذكر بعد لفظ
اعلم قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وهو ان يعلم ان الله تعالى ذاتا
لا تشبه الذوات وصفاته التي وصف بها نفسه مع تنزيهه عما لا يليق بجلاله
واسمائه التي سمى بها نفسه وسماه بها نبيه صلى الله عليه وسلم وجميع تكليفاته التي
الكرم بها عباده المكلفين في الافعال والتروك والاعتقادات ابتدا ودون واسطة
لو شا كما حكى عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض المفسرين في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي مشافهة بقرينة عطف قوله او من ورا حجاب عليه
كما كلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا كفاحا قال سعيد بن جبير قال له الم اجدك يتيما
فاويتك الم تكن ضالا فهديتك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة حرام على الانبيا حتى
تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك وكلم الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام
من ورا حجاب وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك

ذلك
الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبيا سوا كان الملك جبريل ام غيره
كاسرافيل ورضوان فانه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بوحي واية قرانيه وسوا راى
النبي الملك ام لم يره قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل جبريل عليه السلام على كل نبي
فلم يره منهم الا محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى وموسى وزكريا ومع ذلك فلم ينزل على احد
قدر ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولا راه احد قدر ما راه محمد صلى الله عليه وسلم ولا راه
على صورته التي خلق عليها الا محمد صلى الله عليه وسلم او من جنسهم كالانبيا مع الامم
فان الامم لا قدرة لهم على روية الملائكة في صورهم ولو راوهم في صورهم التي هم عليها
لماتوا ولم يرهم من البشر احد الا محمد صلى الله عليه وسلم بقوته القدسية وكان يرى
جبريل غالبا في صورة دحية ولا مانع لهذا من دليل العقل اي ان تعليم الله عباده ما
سبق ليس من المستحيلات التي يحيلها العقل لذاتها كاجتماع الضدين وانقلاب
الاجناس اذ ليس في ان يامر الرب تبارك وتعالى عبدا من عباده بان يامر ونهي
ويشرع لا هلكم ما يمنع نعم البراهمة احالوه عقلا لا لذاته بل بنا على التحسين والتقبيح
العقليين ونحن نجيبهم اولا بمنع التحسين والتقبيح العقليين ولان سلمناهما
حالا فلا نسلم ان في ارسال الرسل قبحا بعينه بخلاف الظلم والضرر المحض ونحوهما
ولا يتعلق قبحه بامر يتعلق بغيره فانه لا يمتنع ان يقع في المعلوم كون الانبعاث
لطفا يومن عنده العقلا ويلتزمون قضية العقول ولولاه لجحدوا وعتوا فهذا
قاطع في اثبات النبوات واذا جاز هذا اي ارسال الله تعالى الرسل ولم يستحيل
عقلا لذاته ولا لغيره وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجز انهم بان لاحد قسمي ما
دل على التصديق لانه قسمان الاول المعجزة الثاني تصديق من جا بالمعجزة لنبي يدعي
النبوة وقد اجتمع القسمان في نبينا صلى الله عليه وسلم لانه اتى بمعجزات زادت على
معجزات سائر الانبيا وصدقه كل نبي بعثه الله تعالى وجب تصديقهم في جميع ما

ذكر من راى جبريل عليه السلام من الانبياء عليهم الصلاة والسلام

اتوا

اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله لان القدرة الالهية مستقلة في ايجاد هذا الفعل ثم ان
العلما اختلفوا في دلالة المعجزة على صدق الرسول فذهب الاشعري ومحققو اصحابه
الى انها ليست عقلية لان ما دل عقلا يرتبط بمدلوله لنفسه ولا يجوز تقديره غير دال
كما في دلالة الفعل على الفاعل ودلالة المعجزة ليست كذلك اذ يجوز خرق العادات
لغير الرسول كالولي والكاذب ولا سمعية لان صدق السمع متوقف على صدق الرسول
فلو توقف صدق الرسول عليه لزم الدور بل دلالتها عليه عادية لانه تعالى جرت
عادته بان يخلق العلم بصدق الرسول عقب ظهور المعجزة من غير تخلف وهي قائمة
مقام التصديق القولي فان التصديق القولي كما يكون بصريح المقال يكون بقراين الاحوال
فان من قال للقوم انا رسول الله اليكم واية صدقي ان ينتق الله الجبل ويوقفه على
روسكم فان كذبتموني وقع على روسكم وان صدقتموني انصرف عنكم ثم نتق الله الجبل
عند ذلك واوقفه على روسهم فكلما صدقوه انصرف عنهم وكلما هموا بتكذيبه قرب منهم
اضطر القوم الى تصديقه وكان ذلك بمنزلة قول الله تعالى صدق عبدي وضرب الاصحاب
لذلك مثلا فقالوا اذا جلس ملك عظيم على سرير مملكته في محفل عظيم ثم قال واحد من القوم
انا رسول هذا الملك اليكم واية صدقي انه اذا قلت للملك خالف عادتك واقعد في غير
الموضع المعتاد ففعل الملك ذلك وجلس في غير الموضع المعتاد علم القوم قطعا ان
الملك لم يفعل ذلك الا تصديقا له وانه بمنزلة القول الصريح ويكفيك شاهدا على دلالة
المعجزة على صدق الرسول ان الله تعالى ما ارسل نبيا الى قومه الا صاروا اعداه وراموا
ابطال مقالته واسكاته ومع ذلك يصرفهم عن معارضته في الدعوى والتحدي فكيف
بالخارق للعادة ولهذا لا تجد احدا من اخصام الانبيا عليهم الصلوة والسلام عارضهم
في دعواهم فان قلت كيف تقول في مسيلمة الكذاب فانه عارض نبينا صلى الله عليه وسلم

انظر ان المعجز مع التحدي من النبي بمثابة ما ذكر

مطلب الخلاف في دلالة المعجزة على صدق الرسول [illegible]

اي المعجز مع التحدي من النبي بمثابة قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه كما تقدم ذكره من المصنف المحرر

في دعواه قلت صنيع مسيلمة لا يسمى معارضة لانه لم يقل له لست نبيا بل انا
النبي بل قال انت شريكي في النبوة وقد كتب اليه ان الارض بيني وبينك نصفان وهذا
كما انه مسلم من وجه متحكم من وجه اخر وكتب اليه ان جعلت لي الامر من بعدك تبعتك
فهذه مقالة رجل طالب للرياسة مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه غير انه حملته
على ذلك قوة باس قومه ومناظرتهم لقريش وغلبة قريش عليهم بظهور هذا الكامل
منهم ولما تراءى كذبه حتى لقومه وخاصته وعلم علما قطعيا لكل احد غير ان الحمية والهوى
حملتاه على المكابرة فادعى الرحانية فكان من جهة لو كان منازعا لسيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه يقول عبد الله ورسوله لا شريك الله في الرحانية وشريك رسوله م ت
في الارض فاعرف ذلك والنبوة التي هي وصف قائم بالنبي فيها لغتان الهمز
وتركه فهي في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز اي لفظة النبوة
على هذا التاويل اي على جعلها ماخوذة من النبا تسهيلا بان تقلب الهمزة واوا
لمجانسة حركة ما قبلها لان ما قبلها ضمة ثم تدغم الواو في الواو والمعنى ان الله
تعالى اطلعه على غيبه اي لم يطلع عليه باقي عباده الا من كان مجانسا له واعلمه انه
نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا بما بعثه الله به اي من
الاحكام الشرعية والاوامر والنواهي والقصص واحوال البعث والحشر
والنشر ويوم القيمة والبرزخ ومنبا بكسر البا بما اطلع عليه فهو فعيل بمعنى فاعل
ويكون لفظ النبي عند من لم يهمزه من النبوة وهو اي لفظ النبوة معناه ما
ارتفع من الارض وجوزوا على هذا التقدير ان يكون ماخوذا من النباوة وهي
بمعنى النبوة معناه انه له رتبة شريفة ومكانة نبيهة اي منزلة شريفة
عند مولاه منيفة اي فاضلة كاملة فهو على هذا التقدير ايضا اما بمعنى فاعل
لانه مرتفع الرتبة عالي المكانة واما بمعنى مفعول لان الله رفع مقامه فهو مرفوع

فالوصفان

فالوصفان في حقه مؤتلفان اي مجتمعان سواء جعلا بمعنى فاعل ام بمعنى مفعول الهمزة
هذا والاصح من القولين الاول وهو انه ماخوذ من النبا وهو الخبر قال سيبويه ليس احد
من العرب الا ويقول تنبا مسيلمة لعنه الله بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه
في الذرية والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الثلاثة ولا
يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى
مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه
من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير
التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى اي هما
مترادفان او بمعنيين فقيل هما سوا في المعنى بان كانا مترادفين ويلزم منه ان
يكونا متساويين لان المتساويين هما المتحدان في الماصدق وان كانا متخالفين
في المفهوم والمترادفين هما المتحدان مفهوما ويلزمه الاتحاد في الماصدق
واصله من الانبا وهو الاعلام واستدلوا اي القائلون بالمساواة بقوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي اقول لا وجه للاستدلال بهذه الاية من جهة انه
علق فعل الارسال بهما لان ارسل يستعمل في ما اخبر الله تعالى قال ارسلنا اليكم
ريحا وجنودا وهما ليسا بنبي كما في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين وهما ليسا بنبيين بل
تدل الاية على انه النبي اعم ويكون ذكره بعد ذكر الرسول من باب الترقي من الاخص
الى الاعم قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا ويرده ان عدد الانبياء
اكثر من عدد الرسل كما نص عليه في الحديث وقيل هما متغايران من وجه الافتراق انما هو
من جهة لفظ النبي اذ يصدق على من ليس رسولا فافتراقهما من وجه واحد فكل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا فان لهما الى موجبة كلية وسلب جزئي اذ قد اجتمعا في النبوة
التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او اشتركا في الرفعة بمعرفة

علم ما الفرق بين المترادفين والمتساويين

معا فقد اثبت لهما الارسال وهو من اغلاط الشارح

مطلب تعريف للمصنف من الشارح

ذلك بناء على انها ماخوذة من النبوة وهي الرفعة وحوزه رتبتها اي درجة النبوة
وافتراقها في زيادة الرسالة التي للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا
اعتبر المصنف هذا الفرق من جهة المفهوم كاعتبار ان الخاص يفارق العام بزيادة
قيد في مفهومه لم يعتبر في العام وهذه طريقة لم يسلكها المناطقة في كتبهم كاغيرهم
ممن ذكر النسب بين المفهومات فانهم لم يعتبروا الافتراق والاجتماع الا من
جهة الماصدق فقالوا مثلا ان الرسول لا يفارق النبي اذ لم يوجد في الخارج رسول
بشري الا وهو نبي وقد يوجد فيه نبي وليس برسول فالنبي يفارق الرسول
ولا عكس وما ذكره المصنف يتضح به العموم والخصوص المطلق الا انهم لم يعتبروا
ذلك لرجوع النسب الى القضايا التي يعتبر في موضوعها الافراد وفي محمولاتها

الانسب كما موضوعاتها

المفهومات كما هو معروف فيه وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين سيما
مع قرن العاطف بكلمة لا المقتضية لتغاير مدخولها لما قبله ولذكرنا اي لفظ
النبي والرسول شيئا واحدا ما حسن تكرارها اي التكرار الواقع بذكرهما معا
فان ذكر شي بعد ذكر مرادفه تكرار وليس المراد انه كرر كلا منهما في الكلام البليغ و
لا يخفى ان التكرار المناسب ولو بلفظين متخالفين مع اتحاد المعنى والمقام ليس مقام
الاطناب ولا ارادة تاكيد ويسمى هذا تطويلا لا جدوى له ولا فائدة فيه فيكون من
قبيل قول الشاعر ۞ وقددت الاديم لراهشيه ۞ والفى قولها كذبا ومينا ۞ فانهم

من الوافر

حكموا في مثله بالتطويل المنافي للبلاغة بخلاف قوله تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك
فاولى فان المقام مقام تاكيد وتركه حذف للايجاز فالوا والمعنى وما ارسلنا من
نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد واقول لا يخفى ان كلمة ولا بعد ذكر نفي
سابق تستعمل في الفرق يعرف ذلك من ممارسة الكلام البليغ ولهذا استدل
المعتزلة على تفضيل الملك على خواص البشر بقوله لن يستنكف المسيح ان يكون

مجدا

عبد الله ولا الملائكة المقربون ولا شك ان هذه الاية تشعر بترقي بذكر النبي بعد الرسول
والترقي هنا ليس لان النبي اعلى مقاما من الرسول بل لان صدق لفظ النبي على اكثر مما
يصدق عليه لفظ الرسول ومن اذا زيدت في سياق النفي افادت العموم ومن الواقعة
على لفظ نبي اوسع عموما من من الواقعة على لفظ رسول كما لا يخفى ويمكن ان يقال ان
الترقي هنا لان وصف النبوة افضل من وصف الرسالة كما ان وصف الولاية افضل من
وصف النبوة لان الولاية جهة تدعو الى الفناء في الله تعالى والنبوة جهة ملكية اذ بها
تحصل المناسبة لعالم الملائكة فياخذون الوحي منهم والرسالة جهة بشرية للمناسبة
بين المرسل وبين البشر واليه اشار الشيخ محيي الدين بن عربي بقوله

من المتقارب

مقام النبوة في برزخ ۞ دوين الولي وفوق الرسول ۞ واعلم ان تعبيرهم هذا المقام
ان الرسول افضل من النبي ومن الولي لان كل رسول فهو جامع بين الاوصاف
الثلاثة اذ لا يتصور رسول الا وهو نبي وولي والنبي افضل من الولي الذي اتصف
بمجرد الولاية لان فيه الوصفين النبوة والولاية ودونهما الولي فقط فولاية الرسول
افضل من نبوته ونبوته افضل من رسالته وقول ابن عربي دوين الولي على تقدير مضاف
اي دوين ولاية الولي وفوق رسالة الرسول ونقل هذا القول عن العز بن عبد السلام
والذي يظهر ان الرسول كما انه اخص من النبي والولي الرسالة ايضا اخص منهما والنبوة
اخص من الولاية لان دلالة النبوة على الولاية دلالة الكل على الجزء كما ان دلالة الرسالة
عليهما كذلك والخاص اشرف من العام فلا ينبغي ان يعول على هذا القول وقد ذهب بعضهم
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ويجوز فيه فتح التاء وكسرها على انه يكون حالا من
شرع واما من الضمير المستكن في جاء ومن لم يات به اي بشرع مبتدا نبي غير رسول
وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح الذي عليه الجم الغفير لم يات به منصوبا تبعا
للكسائي القائل بانه ينصب في موضع التمام ويرفع في موضع النقصان وههنا وقع

مطلب ما نقوله الجم الغفير واعرابه

مبتدا اهو في موضع نقصان واصل هذه الكلمة كما في النهاية الاثيرية من الجموم والجمة وهو
الاجتماع والكثرة والغفير من الغفر وهو التغطية والستر فجعلت الكلمتان في موضع
الشمول والاحاطة وانكر في النهاية مجيبه مرفوعا وجوز فيه وجوها من التعريف
والتنكير والمد والقصر ولم يجوز احد رفعه الا ابن الكسائي وابن الانباري ومعنى هذه الكلمة
لجميع الشريف والوضيع ولم يتخلف احد منهم وهم كثيرون وارادة جميع العلماء هنا
مشكل من جهة ان كثيرا منهم مال الى التسوية بين الرسول والنبي ولعله لم يعتد بخلافهم .
ورأى ان قولهم كالعدم ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وجهة خصوص الرسول
وعدم اعتباره في النبي او باعتبار ان الرسول ينسخ بعض شرع من قبله بخلاف النبي
فانه يأتي مقررا الشرع من قبله كيوشع فانه مقرر لشرع موسى عليهم جميعا الصلوة والسلام
ومن قال بترادفهما فمعناهما واحد وهو انسان اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه
والكتاب والنسخ امر اخر لا يدخل في مفهومهما وجعل ابن الجزري بين الرسول والنبي
عموما من وجه وجهة افتراق الرسول في مثل جبريل عليه السلام فهو رسول وليس
بنبي وكلام المصنف ونحوه محمول على الرسول البشري ثم اعلم انه لاختلاف
معنى الرسول والنبي منع ابن الصلاح وجمهور المحدثين المحدث اذا سمع من شيخه
لفظ الرسول انه يبدله بلفظ النبي وعكسه وكان الامام احمد بن حنبل فيما رواه
ابنه عبد الله اذا سمع من لفظ المحدث رسول الله ضرب من كتابه نبي الله وكتب
ذلك بدله لكن قال الخطيب ان ذلك على طريق الاستحباب لا اللزوم ولقد سال
صالح بن احمد بن حنبل اباه فقال يكون في الحديث رسول الله فيجعل الانسان
مكانه النبي فاجاب ارجو ان لا باس به وصوب هذا القول النووي لان المقصود هذه
الذات الشريفة وكلا الوصفين وصف وهما صادقان عليه صلى الله عليه وسلم
فان قلت في حديث البراء في تعليم ما يقال عند النوم حيث قال امنت بكتابك الذي

انزلت

الرسول اما باعتبار وصف الامر بالتبليغ في الرسول دون النبي واما باعتبار الكتاب مع صح

انظر منع ابن الصلاح دعوى ابدال لفظ احدهما بالاخر للمحدث اذا سمع من شيخه لفظ احدهما
م ت

١٤
انزلت ورسولك الذي ارسلت فقال له قل وبنبيك الذي ارسلت بمنع القياس
بجواز الابدال قلت لا يمتنع لان الاذكار الفاظها توقيفية يقتصر فيها على الوارد واول
الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ان قلت كيف قال في حديث الشفاعة لما
ياتي الناس نوحا يقولون له انت اول الرسل الى اهل الارض قلت اجاب المصنف
عن ذلك في شرح مسلم بانه السؤال يدفعه قولهم الى اهل الارض وادم وشيث
وادريس لم تكن رسالتهم هكذا بل كانت خاصة واما نوح فرسالته عامة بدليل
دعائه على كفار اهل الارض وتعذيب اهل الارض كلهم بالغرق ولم ينج الا من امن به
وفي حديث ابي ذر عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانبيا مائة الف واربعة
وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم هذا الحديث
اخرجه احمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وابن حبان وهو اصح شيء ورد
في عدد الانبيا والرسل كما قاله القرطبي والا فقد ذكر ابو الليث السمرقندي في
تفسيره عن كعب الاحبار انه قال كان الانبيا الفي الف ومائتي الف وقال
مقاتل كان الانبيا الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرين الفا وروى
انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت على اثر ثمانية الاف
من الانبيا منهم اربعة الاف من بني اسرائيل فعلم بان لكل معنى النبوة والرسالة وان
الرسالة البشرية اخص مطلقا من النبوة بدليل كثرة الانبيا ومفارقتهم للرسل
وعدم مفارقة النبوة لوصف الرسالة ولنسبتا اي النبوة والرسالة عند
المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية نسبة الى محمد بن كرام بفتح
الكاف وتشديد الراء على المشهور وبه ضبطه الخطيب وابن ماكولا وقال ابن الصلاح
لا يعدل عنه وخالف في ذلك محمد بن الهيصم متكلم الكرامية فقال المعروف في السنة المشايخ
يعني مشايخهم انه بالفتح والتخفيف وزعم انه بمعنى كرامة او كريم قال ويقال

بكسر الكاف على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي بلدة محمد بن
كرام وقال ابو الفتح البستي ان الذين بجهلهم لم يقتدوا بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه ابي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام وهذا شاهد للتخفيف
فيه وهو السجستاني الذي كان عابدا زاهدا ثم خذله الله كما قال ابن حبان فالتقط
من المذاهب ارداها ومن الاحاديث اوهاها وكان من الذين يجوزون الكذب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه لكن في خصوص الترغيب والترهيب
وله في الاعتقاد حماقات لا تحصر ولا تحصى مات بالقدس في صفر سنة خمس وخمسين
ومائتين وحاصل مذهب الكرامية في ذلك انهم قالوا النبوة والرسالة صفتان
قائمتان بذات الرسول سوى الوحي وسوى امر الله له بالتبليغ عنه وسوى
المعجزة والعصمة وصاحبها رسول بسبب اتصافه بها وان لم يرسله الله تعالى وجب
على الله ان يرسله لا غير فاذا ارسله كان مرسلا ايضا وان لم يرسله كان رسولا
لا مرسلا فكل مرسل رسول ولا ينعكس ويجوز عزله عن كونه مرسلا دون
الرسول فانه لا يتصور عزله عن كونه رسولا ونحن نقول الرسول من قال له
الله تعالى بلغ عني ونحو ذلك والله يمن بها على من يشاء من عباده لا بسابقة عمل ولا
استعداد كسبي والله اعلم حيث يجعل رسالته وهذا معنى قول المصنف في تطويل
لهم وتهويل في القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة المضارمه والزينة
والحلي ويجوز ان يراد كل من هذه المعاني هنا لان مقالاتهم هنا مضطربة فهي
شبيهة بالالوان المختلفة ولانها مزينة بزينة الباطل فهي شبيهة بزينة
المضارم او هي مزخرفة اذا سمعها الجاهل ظنها شيئا وهي ليست بشيء ليس عليه
تعويل اي كل فرد من افراد التهويل والاعتبار منتف عن قولهم هذا لان النكرة
الواقعة في سياق النفي ظاهرة في العموم واما الوحي فاصله في اللغة الاسراع ومنه

قول

قوله صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كانت
خيرا فتوحه اي اسرع واما السكت فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم لانها امور
يخلقها الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر ومن ذلك الهام البهائم وما يخلق
الله تعالى فيها من درك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها قال ابرهيم الحربي
لله عز وجل في السموات قدره ما ندري ما هي لم ياتها رسول من عند الله تعالى
ولكن الله تبارك وتعالى عرفها ذلك اي الهمها وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
وفي حديث الحرث الاعور قال قرات القران في سنتين والقران هين والوحي اشد
منه اراد بالوحي الكتابة وبالقران القراءة ووحى الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب اي
زكريا عليه الصلوة والسلام على الارض والكتابة تسمى وحيا كما قال الشاعر وهو
ذو الرمة سوى الاربع الدهم اللواتي كانها بقية وحي في بطون الصحائف
وقال عنترة كوحي صحائف من عند كسرى فاهداها لاعجم طمطمي ومنه قولهم
الوحا الوحا اي السرعة جوزوا في الوحا هذا المد والقصر ومعناه العجلة
والاسراع وهو منصوب بفعل مقدر على الاغراء وقيل الوحي السر والاخفاء وسمي
الالهام وحيا اي لانه ياتي من الله خفية وسرا ومنه قوله تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم اي يلقون فيها الجدال والمراد
بالشياطين مردة الجن وباوليائهم كفرة قريش وقيل مردة الانس من مجوس
فارس ومنه اي من قبيل الوحي الذي هو الالقاء في القلب قوله تعالى واوحينا
الى ام موسى اي القى في قلبها بطريق الالهام وقيل اوحى اليها في المنام وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اوحى اليها كما اوحى الى النبيين وقد قيل ذلك في قوله تعالى

من الكامل

من الطويل

من الوافر

منتهم

اصل ح

ومكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي مايلقيه في قلبه دون واسطة والصحيح ان
المراد بالوحي في الاية المشافهة ككلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
وكلامه لموسى عليه الصلوة والسلام في طوى والطور

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
فهي ماخوذة في اللفظ من العجز وهي عبارة شايعة استعملت على طريق التجوز
والتوسع فان المعجز في الحقيقة خالق العجز جل جلاله والذين تعلق بهم التحدي
لا يعجزون عن معارضة النبي فان المعجزة انما تكون خارجة عن مقدور البشر فلا يتصور
ايضا عجز المتحدين بالمعجزات فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا عن معارضته
لوجدت المعارضة ضرورة والعجز تعذرته والمعني بالاعجاز الانباء عن امتناع المعارضة
من غير تعرض لوجود العجز الذي هو ضد القدرة وقد يتجوز باطلاق العجز عن انتفاء
القدرة كما يتجوز باطلاق الجهل على انتفاء العلم وانما سميت هذه معجزة لكونها سببا
في ظهور امتناع المعارضة على الخلائق وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة
البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم اي اليهود عن
تمني الموت وهو معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم فانهم لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
كذبهم الله والزمهم الحجة وقال لهم قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من اعتقد انه من اهل الجنة كان الموت
احب اليه من الحياة في الدنيا لما يصير اليه من نعيم الجنة ويزول عنه من اذى الدنيا
ولما امتحنهم الله بذلك كانوا احرص الناس على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ولو باللسان
فلم يقدروا ان يقولوا نحن نتمنى الموت والله تعالى صرفهم عن ذلك وقهرهم على الامساك
ليجعل ذلك اية للنبي صلى الله عليه وسلم فكان صرفهم عن فعل هو مقدورهم اية ومعجزة
للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم بمعنى ان العرب
كانت قادرة على كلام مثل القران قبل البعثة لكن الله صرفهم عن معارضته واختلفوا في كيفية
الصرف فقال الاستاذ ابو اسحق من الاشاعرة والنظام من المعتزلة صرفهم الله تعالى مع
قدرتهم عليها بان صرف دواعيهم اليها مع كونهم مجبولين عليها خصوصا عند توفر الاسباب
الداعية في حقهم كالتقريع بالعجز والاستنزال عن الرياسات والتكليف بالانقياد
فهذا الصرف خارق للعادة فيكون معجزا وقال المرتضى من الشيعة بل صرفهم الله
بان سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة بان كانت عندهم حاصلة وسلبوا
عنها وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى الذي وقع
لابراهيم ولعيسى ولنبينا صلى الله عليه وسلم كما سياتي وقلب العصا حية الذي وقع
لموسى عليه الصلوة والسلام ومثله بل اغرب منه قلب العكاكل سيفا وقد وقع لنبينا
صلى الله عليه وسلم مرتين واخراج ناقة من صخرة الذي وقع لصالح صلى الله عليه وسلم
وكلام شجرة مع بقائها على شجريتها وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ونبع الماء من
بين الاصابع وخروجه من نفس الجلد واللحم وقد وقع ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم
كما سياتي وانشقاق القمر وقد وقع ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم مما لا يمكن ان يفعله
احد الا الله فكونه ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز
له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية اي اغلبهم بحيث ان
اياته غلبت ايات الرسل كلها وفي القاموس بهر القمر كمنع غلب ضوءه ضوء الكواكب
واظهرهم برهانا كما سنبينه يوخذ من عبارة المصنف هذه ان خارق
الانبياء يسمى اية ومعجزة ودليلا وبرهانا فان قلت اي الاسماء احق واولى ان
يطلق على ذلك قلت ان كبار الائمة يطلقون على الخارق الذي اتى به الانبياء

ذكر كيفية الصرف عند ابي اسحق الاسفرايني والنظام المعتزلي

انظر المعنى بالاعجاز الانباء عن امتناع المعارضة

ذكر انقسام المعجزة الى القسمين المذكورين

دلائل النبوة وايات النبوة ولهذا سمى البيهقي وهو من اعيان احبار هذه الامة
كتابه المشهور بدلائل النبوة ولا يخفى ان المعجزة اخص من الدليل والاية لان الدليل
يطلق على ما لم يقارن التحدي ودعوى النبوة ولم يرد في القران لفظ المعجزة بل ولا في
السنة وانما فيهما لفظ الاية والبينة والبرهان كما في قصة موسى صلى الله عليه وسلم
فذانك برهانان من ربك في العصا واليد وفي حق نبينا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم
برهان من ربكم واما لفظ الاية فكثير بل هو اكثر من ان يحصر كقوله تعالى واذا جاءتهم
اية وان في ذلك لاية واما لفظ المعجزة فلم يرد به الاية الا اذا فسر به فان قلت هل يطلق
على الخارق الذي اتى به الولي معجزة قلت منع منه علماء الكلام وسموا خوارق الاوليا
كرامات وعلى هذا استقر مشي العلماء المتاخرين لكن السلف كانوا يسمون هذا
وهذا معجزة كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان اية وبرهانا على نبوة النبي فانه يجب
اختصاصه به وقد يسمون الكرامات اية لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي
لان الولي لم يكرمه الله بهذه الخوارق الا لانه ارتضى طريقته فلو لم يكن ذلك النبي على الحق
لما اكرم الله تعالى من متبع طريقته وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدها وهو
القران لا يحصى عدد معجزاته بالالف ولا الالفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى
بسورة منه فعجز عنها البلغاء الفصحاء وعجزهم عنها متواتر اذ لو قدروا عليها لبادروا
اليه تسكيتا له واقل ما قاله اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات
منه اي من القران بعددها حروفا وكلمات وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما
سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته قسمان قسم منها علم قطعا ونقل الينا
متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان
انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وهو انكار لامر بديهي كانكار ثبوت
حقائق الاشيا الذي يصدر من السوفسطائية وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به

وليقوم

مطلب الخوارق الاولياء كرامات عند علماء المتاخرين والسلف سموها معجزات

وسيقوم الدليل القطعي على انه حجة لازمة وبينة قاطعة في بحث بيان اعجازه فهو في
نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ووجه اعجازه ~~معجز~~ معلوم ضرورة ونظرا كما
سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه الصلوة
والسلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها
اي مجموعها فانه تواتر على الاجمال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر على يديه خوارق الحجت اولئك
الفراعنة الذين كانوا في زمنه من سائر الاديان واذلت له الملوك وجعلت مثل ابي جهل
على عتوه طريحا في القليب ومثل ابي سفين ابن حرب منقادا لعمر بن الخطاب يقف على
بابه ويصير من جملة اتباعه ومثل النجاشي وهرقل يقران بنبوته ومثل عمرو بن العاص
بعد عتوه وطغيانه وخالد بن الوليد بعد عداوة ابيه له يقاتلان بين يديه ويهلكان
انفسهما في محبته الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يمكن ان هذه النفوس العاتية التي لم تذل
لمثل كسرى وقيصر تذل لمحمد صلى الله عليه وسلم الا لايات عظيمة ومعجزات ازالت شبههم
وخوارق قطعت حجتهم فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مومن ولا كافر
انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى بل زعم الجاحد الضال
المعاند انها كهانة وان محمدا صلى الله عليه وسلم كان كاهنا وان ما ظهر على يديه من الخوارق
فعل الجن لقدرتهم على فعل امور شاقة وشوون عظيمة كما قال تعالى في شانهم يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب فليكن هذا القران كلامهم وكذلك
قتال المشركين يوم بدر المنسوب الى الملائكة فعل الجن وكذلك مجي الشجرة لما دعاها
من قبيل قلع الجن اياها وجرهم لها وحنين الجذع صوت جني وكلام الذراع وكذلك
اخباره بالمغيبات لاخبار جني بها لهم ونحن نقول والله يقول الحق هذا الكلام باطل
ومعارضة واهية لا يليق ان يلتفت اليها مع ما اظهره النبي صلى الله عليه وسلم من شواهد
قطعية كصدق حديثه الذي شاع في الناس وعلم له العدو والصديق والمومن والكافر

ضرورة

وكيف يكون هذا القران من كلام الجن وهم الداعون الى معاصي الله وهذا القران اكبر داع
الى طاعة الله تعالى وايضاهم الدعاة الى الشرك بالله وهو اعظم داع الى توحيد الله الذي لا
يشوبه ذرة شرك وايضاهم الذين يسعون في نسيان الدار الاخرة والكفر بما يقع فيها من
حساب وصراط وميزان ودخول احدى الدارين وهذا غاية سعيهم وكتابنا الحاث
على الاخرة والداعي اليها والمحبب فيها والمقيم البراهين على المعاد الجسماني واي شيطان
يامر بهذا ويدعو اليه وهل يقدر على اعادة شجرة الى منبتها كلا كانت الا الله تعالى كما هو
معلوم من بديهة العقل وقد قال تعالى قل أؤنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
أفاك أثيم فانه الله لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين بقوله
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون
وذلك لانه مشروط في تنزله بمشاركة في صفا الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش
بالصور الملكية الملكوتية ونفوس الشياطين خبيثة مظلمة شريرة بالذات
لا تقبل ذلك والقران مشتمل على محض الخير والنصح وتعظيم الله تعالى والحث على
الايمان بالرسل والكتب السالفة والتصديق بالوعد والوعيد فكيف يكون ممن
طبع على خلاف ذلك وما فيه من الحقائق والمغيبات لا يمكن ان يتلقى الا من قبل
الملائكة اكد بقوله قل أؤنبئكم الاية فبين فيها ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان
يكون ممن تنزلت عليه الشياطين من وجهين احدهما انها انما يكون الذي تتنزل
عليه شريرا كذابا كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب
والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما ان الكاهن يلقى السمع الى
الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على
حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني
فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم

فان

الكاهن يلتقي ... الغيب الا انه يتلقون بذلك ... يتلقون منهم

فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى ولم يتخلف منها شيء بل طابق كلها ثم انه لو كان المقاتل
مع النبي صلى الله عليه وسلم الجن دون الملائكة لكان النبي صلى الله عليه وسلم هو المغلوب لان
الشياطين الموالين لذلك الحزب اكثر من حزب نبينا صلى الله عليه وسلم فان المناسبة
بينهم وبينهم اكثر بل لا مناسبة الا بين هؤلاء وبين الجن ومع ذلك فكانوا هم المغلوبين
والمقام يحتمل اكثر من هذا لكن الاشتغال برد مثل هذه الخرافات لا يخلو من عبث والا
فلو راى ذو اللب نقيا من اتقيا امة محمد صلى الله عليه وسلم ظهر على يديه خوارق لاحال
ان يكون ذلك من قبل الشياطين لما يرى من حسن سيرته وطيب طويته ما يبعد
ان يكون بينه وبين الشياطين نوع مناسبة فكيف بسيد الاتقيا ومنهل المعارف
ومحل العلوم والمواهب على ان الشيطان الاكبر الذي هو ابليس كان اذا سلك
واحد من اتباعه في سلك هو في غير فجه وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
فانه الذي قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه يا ابن الخطاب ما راك الشيطان
سالكا في الاسلك فجا غير فجك وقوله منا لو لا اي هذه المعجزات التي زعم المعاند
انها ليست من قبل الله تعالى من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة اي بمقام ماخوذ من مثابة
البير اي مقام الساقي حين يقف ويستقي منها قوله اي قول الله تعالى صدقت
فيما ادعيت من كونك رسولا من عندي فقد علم وقوع مثل هذا الجنس من نبينا
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف
لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والحاصل من كلام المصنف ان
ظهور الخارق على يد نبينا صلى الله عليه وسلم تواتر معنى والتواتر المعنوي هو
حصول العلم بامر كلي من الاخبار بامور جزئية لم يحصل بكل واحد منها العلم
كما اذا اخبر واحد عن حاتم انه اعطى دينارا واخر انه اعطى فرسا واخر انه اعطى بعيرا

وهكذا فقد اتفقوا على معنى كلي وهو الاعطاء والجود ويستفاد من كلام المصنف ان
المتواتر سواء كان لفظيا ام معنويا يفيد العلم الضروري بمعنى انه يحصل عند
سماعه العلم من غير احتياج الى نظر وكسب لحصوله لمن لا يتاتى منه النظر كالبله
والصبيان وهو قول الجمهور خلافا لامام الحرمين والرازي فانهما ذهبا الى انه
يفيد العلم النظري بمعنى انه يتوقف على مقدمات حاصلة عند السامع هي
المحققة لكونه مفيدا للعلم من كونه خبر جمع وكونه بحيث يؤمن تواطؤهم على الكذب
وكونه عن محسوس لا عن معقول لجواز الغلط فيه كخبر الفلاسفة بقدم
العالم فان اتفق الجمع المذكور في اللفظ والمعنى فهو التواتر اللفظي وان اختلفوا
في اللفظ مع وجود معنى كلي فهو المعنوي ثم ان المخبرين ان اخبروا عن عيان بان
كانوا طبقة فقط فذاك ظاهر كالمخبرين بوجود مكة والا فيشترط وجود الجمع
المذكور في كل الطبقات كالمخبرين بان محمدا صلى الله عليه وسلم وجد في الدنيا وادعى
الرسالة واقام الحجة وربما ينقطع التواتر فيما بعد الطبقة الاولى كالقراءات
الشاذة فانها كانت متواترة في بدء الاسلام ثم انقطع تواترها وصارت احادا
فمن ثم جاز لمن تواترت عنده القراءة فيها ولم يجز لنا الان ان نقرا بها بخلاف
العشرة فانها متواترة الى الان ثم ان حصول العلم بالخبر المتواتر علامة حصول
شرائطه ولا يشترط فيه عدد معين ولا اسلام من يخبر به ولا عدالته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين مشهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة الاخبار والسير كنبع الماء من بين
الاصابع وتكثير الطعام يريد ان هذا القسم لم يصل الى حد يفيد العلم الضروري لكونه
غير متواتر ولم يبلغ في الكثرة درجة التواتر بل اشتهر وانتشر وهو المسمى عند
اهل الحديث بالمشهور والمستفيض والفرق بينه وبين المتواتر ان المتواتر

بلغت

مطلب قول الجمهور المتواتر يفيد العلم الضروري

تعريف المتواتر اللفظي والمعنوي

مطلب انقطاع التواتر بعد الطبقة الاولى كالقراءات الشاذة

بلغت رواته مبلغا جعلت العادة تواطؤهم على الكذب مستحيلا والمشهور لا ينتهي
الى ذلك بل افاد الامن من التواطئ على الكذب وحصل الوثوق به لغلبة الظن وتاكده
ولهذا لا يفيد علما لا ضروريا ولا نظريا وجعله ابن فورك من الاحاد فيفيد والبزدوي من
الحنفية مفيدا للعلم القطعي وقال ابن فورك وابو اسحق الاسفرايني يفيد المشهور
علما نظريا جعلاه واسطة بين المتواتر المفيد للعلم الضروري والاحاد المفيد للظن
والجمهور على خلاف ذلك وقد جزموا بانه ما رواته ثلاثة فاكثر ومشى عليه ابن حجر في
شرح النخبة ويشترط فيه ان يكون شهرته عن اصل فان اشتهر لا عن اصل يسمى
بالمشهور على الالسنة وهذا لا يعتد به المحدثون ما لم يعلم اصله ونوع منه اخص
به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره يريد بذلك ان هذا
النوع لم يصل الى حد الشهرة الذي اقله ثلاثة فصاعدا ولم يصل الى حد التواتر فان كان
الخبر به عزيزا وهو ما رواه اثنان او غريبا وهو ما رواه واحد فهذا الخبر لا يفيد
العلم الا بقرينة كما زعمه التاج السبكي في جمع الجوامع وقال الاكثر هو لا يفيده
مطلقا وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه يفيده مطلقا بشرط عدالة راويه
مستدلا بانه يجب العمل به وكل ما وجب العمل به يفيد العلم اما الصغرى فلانه
صلى الله عليه وسلم كان يبعث الاحاد الى القبائل والنواحي لتبليغ الاحكام كما
هو معروف فلولا انه يجب العمل بخبرهم لم يكن لبعثهم فائدة واما الكبرى فلقوله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله في ذم اقوام ان يتبعون الا الظن واجيب بمنع
دلالة الاية على ذلك لان ذلك فيما المطلوب به العلم من اصول الدين كوحدانية الله
تعالى وتنزيهه عما لا يليق به لما ثبت من العمل بالظن في الفروع ومع ذلك فنحن لا
نسلم ان هذا احاد بل منه ما انضم الى غيره فصار متواترا معنويا في قدر مشترك
هو اتيان محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجز ومنه ما تواتر بخصوصه كانشقاق القمر

م ت

ح المشهور والمستفيض عند الاكثر ما رواته ثلاثة فصاعدا

مطلب المشهور لا عن اصل لا يعتد به المحدثون

ما رواه اثنان فهو العزيز او واحد فغريب

مطلب انه يعمل بالظن في الفروع

ونبع الما وتكثير الطعام وسلام الحجر وسعي الشجر وما وقع له ليلة الاسرا كما اشار الى ذلك المصنف بقوله لكنه اذا اجتمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل وانا اقول لا اشك ان انا اصله كان تاكيدا لفظيا للضمير المستكن في اقول والتاكيد فاعل معنوي ثم فسخ عن التبعية وصار مبتدا فافاد الحصر او الاهتمام لكن الظاهر انه للاهتمام اذ هذه المقالة لم يقلها المصنف بمفرده وانما قالها جمع كثير من العلما ويمكن ان يفيد الحصر بالنظر الى اطلاعه ووقوفه صدعا بالحق يجوز ان يكون مفعولا مطلقا لاقول اي قولا صدعا وان يكون مفعولا له وان يكون حالا اي حالة كوني صادعا بالحق والصدع هو الاجهار والاظهار ماخوذ من الصديع وهو الفجر يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا والصدع في الزجاجة الابانة وقيل معناه التفرقة بكلمة الحق بين ما هو في نفس الامر حق وبين ما هو باطل ان كثيرا من هذه الايات الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع العلم القطعي شامل للضروري والنظري ومراده بذلك ان معجزاته اما متواترة تفيد علما ضروريا على الاصح واما مشهورة تفيد علما نظريا ويشمل القسمين العلم القطعي اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه لانه عبر فيه بصيغة الفعل الماضي وجملة انشق القمر في محل نصب حال من فاعل اقتربت وقد مضت وقرى وقد انشق القمر فالتصريح بقد صريح في وقوع الانشقاق وانه جرى ويشهد له الاخبار الاتية بعد هذا في بحث ذكر المعجزات وقول بعضهم انه لو وقع لراه الناس كلهم مردود لانها اية ليلية قد تخفى على بعض الناس ولا يعدل عن ظاهره اي ظاهر القران المقتضي لوقوع ذلك بالفعل الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة اصحها ما رواه الشيخان في صحيحيهما فان فيه مقنعا سيما على ما قاله الشهاب بن حجر في شرح النخبة فانه رجح فيه ان ما

اخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ التواتر يفيد العلم النظري فانه احتف به قراين جلالتهما في هذا الشان وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما وتلقي العلما لكتابيهما بالقبول وهذا التلقي وحده اقوى في افادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن درجة التواتر ثم قال وممن صرح بافادة ما اخرجه الشيخان العلم النظري الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ومن ائمة الحديث ابو عبد الله الحميدي وابو الفضل بن طاهر وغيرهما فلا يوهن اي يضعف عزمنا خلاف اخرق في القاموس الاخرق الاحمق ومن لا يحسن الصنعة منحل عرى الدين اي عرى اعتقاده منحلة اي لم يستند اعتقاده الى دليل قطعي ولا نظر صحيح فتشبيه الدلائل التي يستند اليها المومن في اعتقاده بالعروة استعارة تصريحية فان كانت متينة كانت وثقى وان كانت ضعيفة كانت منحلة رخوة لا تصلح للتمسك ولا تليق للتشبث ولا يلتفت الى سخافة مبتدع اي رقة عقله يلقي الشك على قلوب المومنين بل نرغم بهذا انفه هو في الاصل معناه يلصق انفه بالرغام وهو التراب ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره كذا في النهاية الاثيرية ونقذه بالعراء اي نطرح بالفضا الذي لا بنا فيه سخفه كناية عن اهماله او انه شبه اهماله هذا الاحمق بالنبذ اي الطرح في فضاء مقفر فهي استعارة تصريحية تبعية وحاصله ان قوله تعالى وانشق القمر ظاهر في وقوع الانشقاق وانه اية من ايات النبي صلى الله عليه وسلم وحمله بعضهم على خلاف ذلك فمنهم من قال ان المعنى اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السما بما فيها من القمر وغيره ونقل هذا القول عن القشيري وارتضاه الماوردي قال لانه اذا انشق ما بقي احد الا راه لانها اية والناس في الاية سواء وقيل معنى انشق القمر وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح قال الشاعر اقيموا بني امي صدور مطيكم

العلم القطعي هنا شامل الضروري والنظري

واخبر بوجوده صح

ضعفاء ح

فقد حمت الحاجات والليل مقمر ۝ وشد لمسطات مطايا وارحل ۝ وقيل
انشقاق الفجر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في اثنايها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق
الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه قال النابغة فلما ادبروا وله دوي ۝
دعانا عند شق الصبح داعي ۝ واقول السبب الذي حمل قايل هذه المقالة عليها احد
امرين اما عدم تتبعه الكثير للسنة واما كثرة الفه باقوال الحكما الضالين المنكرين
لقبول الفلك للخرق والالتيام والا فهذه كتب الحديث والسير مشحونة بهذه
القصة مروية بطرق تكاد ان تبلغ حد التواتر ولنذكر فيها كلاما اكثر من هذا في بحث
ذكر هذه المعجزة وكذلك قصة نبع الماي من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير
الطعام رواها الثقاة والعدد الكثير عن الجم الغفير اي عن جميع العلما والتابعين
شريفهم وصغيرهم ولم يتخلف منهم احد وقد تقدم في عدد الانبيا معنى الجم
الغفير والكلام عليه غير انا القاضي استعمله هنا مجرورا ولم ينقل احد من العلما
بجواز جره بل اوجبوا نصبه سوى ابن الانباري فانه اجاز رفعه عن العدد
الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة في القاموس وجا الناس
كافة اي كلهم ولا يقال جات الكافة لانه لا يدخلها ال ووهم الجوهري ولا يضاف
انتهى والمصنف استعملها معرفة مقلدا لصاحب الصحاح في وهمه متصلا عن
من حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في
يوم الخندق اي يوم غزوته وهي غزوة الاحزاب جمع حزب وهو الطايفة وسميت
بالخندق لانه حفر فيها الخندق حول المدينة بامره صلى الله عليه وسلم وهو حفر فيه
بنفسه ولم يكن اتخاذ الخندق من شان العرب وانما هو من مكايد الفرس وكان
المشير به سلمان رضي الله عنه وسميت بالاحزاب لاجتماع طوايف من المشركين على
حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود وكانت في شوال سنة اربع
وقيل

انظر الجم الغفير لم يجوز جره احد من العلماء ده عن المصنف

مطلب وهم المصنف في ادخال ال على كافة تقليدا للجوهري

انظر صاحب القاموس انه قال كافة ... ولا يقال بالكافة

وقيل سنة خمس وفي غزوة بواط في القاموس بواط كغراب جبال جهينة على ابراد من
المدينة منه غزوة بواط غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش انتهى وفي نسيرة
مغلطاي ثم غزوة بواط جبل لجهينة من ناحية رضوى بينه وبين المدينة اربعة برد
وقعت في ربيع الاول وقيل الاخر اي سنة اثنتين واستخلف سعد بن معاد وقيل
السايب بن عثمان بن مظعون في مايتين يعترض عيرا فيها امية بن خلف فرجع ولم
يلق كيدا انتهى وعمرة الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهي بير سمي المكان
بها وقيل شجرة وقال المحب الطبري قرية كبيرة قريبة من مكة اكثرها في الحرم وهي
على تسعة اميال من مكة خرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا يوم الاثنين هلال
ذي القعدة سنة ست فصده المشركون ووقعت فيها بيعة الرضوان تحت
الشجرة وغزوة تبوك وهو مكان معروف هو نصف طريق المدينة الى دمشق
تقريبا والا فقد ذكر النووي في تهذيبه ان بينها وبين دمشق احدى عشرة مرحلة
وبينها وبين المدينة اربع عشرة مرحلة وتسمى غزوة العسرة لانها كانت في
عسرة من الما والظهر وقلة النفقة وكانت لعثمان بن عفان رضي الله عنه فيها اليد
البيضا ونشرت له فيها الراية الحميدة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين
فيها وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري
انها بعد حجة الوداع قيل خطا من النساخ او لعله لم يلتزم الترتيب في التاريخ
وانفردت هذه الغزوة بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يورّ فيها كما كان يوري في ساير
الغزوات لبعد المسافة وشدة الحر حتى ياخذ الناس اهبتهم ولم يغز رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها غزوة بنفسه وانما كان يرسل السرايا ويجوز في تبوك
الصرف وعدمه نظرا الى الموضع والبقعة كما هو شان اسما المواضع وامثالها من
محافل المسلمين جمع محفل وهو موضع الاجتماع ومجمع العساكر جمع عسكر وهو

بواط جبال جهينة

انظر وقوع بيعة الرضوان تحت الشجرة في عمرة الحديبية سنة ست

تحديد تبوك من المدينة ودمشق

مطلب تسمية غزوة تبوك بغزوة العسرة ... الفاضحة

ذكر انه لم يغز النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه بعدها وانه لم يور فيها كغيرها

مطلب [illegible]

الجمع الكثير من كل شي وهي كلمة فارسية ولم يوثر عن احد من الصحابة اي لم ينقل عنهم
مخالفة للراوي بل اقروا كلامه فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم راوه كما راه بل
سكتوا حين قال الراوي رايت كذا وكذا فقد وافقوه على انهم راوا مثل ما
راى فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة في كذب فان الاكثر من العلما السلف والخلف على ان الصحابة كلهم
عدول لقول النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وروى
الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير امتي قرني ومن طرا لهم منهم قادح
كسرقة او زنى عمل بمقتضاه وسوا كانوا قبل قتل عثمان رضي الله عنه ام بعده
وسوا الذين قاتلوا عليا ام غيرهم لانهم مجتهدون في قتالهم له فلا ياثمون وان
اخطاوا بل يوجرون وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم من انكار ما كان كذبا
ولو كان ما سمعوه منكرا وغير معروف لديهم لانكروه فان قلت يجوز ان يكون
غير معروف ولا ينكروه عملا بخبر الواحد قلت هذه الامور لا يعمل فيها في عصر الصحابة
بخبر الواحد لانها مما تتوفر الدواعي على نقلها نعم يجوز ان تصير في اعصار اخبار
احاد لان هذه الامة اكتفت بالقران الذي هو معجزة باقية وقل نقل باقي المعجزات
حتى صارت خبر واحد عند عامة المسلمين وان كانت متواترة عند العارفين
بالحديث المطلعين على كتبه الملازمين للوقوف على ما ورد فيه كما انكر بعضهم على
بعض اشيا رواها من السنن والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك كما خطا عبد الله بن عباس عبد الله بن الزبير في انكاره نكاح
المتعة فخطاه عبد الله بن الزبير ورد عليه في محفل من الناس ردا شنيعا واوعده
بالرجم ان فعل ما هو معلوم فهذا النوع كله الذي يتوهم انه ورد من طريق الاحاد
يلحق بالقطعي من معجزاته وان كان احادا ظاهرا فهو كالمتواتر لما بيناه وايضا فان

بلغ مقابلة على خط المولف

مطلب لحول ما يتوهم انه من طرق الاحاد [illegible] بالقطعي المتواتر

امثال

امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس
واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارية اي اخبار الفتن التي لا اصل لها كما جرى في اخبار مسيلمة مع قوة
وشجاعة قومه وكثرتهم وحميتهم واتباعهم له فلما كان الا زمن يسير صارت اكاذيبه
هبا منثورا واخباره مقرونة باللعن عليه ولم يبق له اسم حتى عند الخلف من قومه
الا مسيلمة الكذاب ووصفوه بهذا العنوان وقبيح المقام بخلاف ما كان عليه
المصطفى صلى الله عليه وسلم فان كونه افضل خلق الله تقرر في صدور جميع العالم حتى
انا راينا معظم اليهود والنصارى يعترفون بنبوته ومنهم من يمنعه من الدخول في
دينه صعوبة العيش مع اهله وعشيرته ومنهم من يقول هو نبي العرب فقط واصبح
شانه العظيم كما هو في نفس الامر معتبرا عند جميع العالم اظهر من الشمس واعلام
نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا مع
تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه بالخذال قط اي حثه والمبالغة في
امره على توهينها اي تضعيفها وتضعيف اصلها كقوله كيف ينشق القمر مع عدم
قبول الفلك للخرق والالتيام وقد قام البرهان الهندسي على ذلك وما علم ان
البراهين الهندسية اضحت اضعف من الشعر والمشاغبة والسفسطة بسبب
الدلايل الشرعية وما انزله الله تعالى في الكتب على انبيايه من ان السما تطوى كطي
السجل للكتاب ومن ان السما تنشق بعد ان تصير وردة كالدهان ومن ان
الشمس تكور كل ذلك واقع يوم القيامة فانشقاق القمر ليس فيه بعد ان وجد
التصديق بما ورد عن الله تعالى ورسله واجتهاد الملحد اي المخالف للحق التارك
للمنهج القويم على اطفا نورها اي نور هذه الايات شبه ظهورها وقوة حجتها
بالنور والسعي في توهين ما هو قوي منها واخماد ما هو ظاهر بالاطفا وكل ذلك على

قوله معتبرا بالنصب خبر اصبح ه

سبيل الاستعارة المصرحة الا قوة وقبولا وللطاعن عليها طعن لا يتعدى بعلى
وانما يتعدى بفي كما ذكره في القاموس ولعله انما عداه بعلى على طريقة التضمين بان
تضمن معنى العدوان اي وللمعتدي عليها الاحسن وغليلا اي حقدا وضغنا في
صدره وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون كاخباره بالدجال وتفاصيل
لاحواله ولصفاته مما لم يخبر به نبي قبله وبياجوج وماجوج ودابة الارض والمهدي
وما بين يدي الساعة وبما كان كاخباره عن احوال الانبيا والامم الماضية
وعن بدء خلق السموات والارض والعرش والكرسي معلوم من اياته على الجملة
بالضرورة اما اخباره بما يكون فانه معجزة ظاهرة لا سيما وقد وقع كثير منه ظاهرا
لم يمتر فيه من سمع الخبر واما اخباره بما كان فانه كان اميا لم يجالس عالما ولا
قرا كتابا ونشا بين قوم جهال فاظهر هذه العلوم التي لا يعلم بعضها من
مارس الكتب وخالط العلما طول عمره معجزة عظيمة كما قال ابو القاسم
الابوصيري رحمه الله تعالى • كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم
وهذا احق لا غطا عليه اي جلي تتهم حقيقته بادنى توجه وقد قال به اي لم اكن
اول قائل به بل قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر اما الاول فالظاهر
انه القاضي ابو بكر بن العربي شارح الترمذي واما الثاني فالظاهر انه ابو بكر
الباقلاني او بالعكس وكونهما من ائمته باعتبار انهما اشعريان او انهما
مالكيان موافقان للمصنف اما في اتباع طريقة الاشعري في اصول الدين
واما في اتباع مذهب الامام مالك في فروع الفقه لكن كون القاضي ابي بكر
ابن العربي مالكيا لا نزاع فيه وان تلمذ للغزالي واما كون ابي بكر الباقلاني
مالكيا ففيه نزاع فقد عده المصنف في طبقات المالكية وقال انه كان راس
المالكية في عصره ونازع في ذلك التاج ابن السبكي وعده في طبقات الشافعية

قوله القاضي ابن العربي مالكي قطعا والباقلاني فيه خلاف بين المصنف والتاج ابن السبكي

الكبرى

يريد المصنف اراد بقوله من ائمتنا اي من ائمة دين الاسلام او من ائمة طريقة الاشعري الذي هو طريقة المصنف ايضا

الكبرى وبالجملة فهما من ائمة دين الاسلام على اي مذهب كانا وغيرهما رحمهم الله وما عندي
ظرف متعلق بقوله اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر
الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن
اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد جواب عن شبهة تورد ههنا تقريرها لو كانت
هذه الاخبار وصلت الى حد التواتر عند مطالع الاحاديث والمعتني بطريق المنقول
والسير لتواترت عند غيره كما تواتر القران عند الجميع وحاصل الجواب منع الملازمة
فانه لا بعد في ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر وبهذا يرد على
القائل بان البسملة ليست من القران في غير سورة النمل لعدم تواتر كونها منه
ويقال رب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين ولو لم يتواتر عند الشافعي
ونحوه كونها منه لم يجترئ على القول بانها منه فان اكثر الناس يعلمون بالخبر ان
بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس
لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك رضي الله
عنه بالضرورة اي علما حاصلا لهم بالضرورة اي البداهة التي منشاها التواتر عن
امامهم مالك رضي الله عنه وتواتر النقل عنه فيما بينهم بحيث رواه من تحيل العادة
تواطئهم على الكذب ان مذهبه اي رايه الذي ذهب اليه باجتهاده ايجاب
قراءة ام القران للمنفرد والامام بخلاف المأموم واجزاء النية اي نية صيام
رمضان في اول ليلة من رمضان فانها تجزئ عما سواه اي سوى الاول فلا يحتاج
كل ليلة من رمضان الى نية وان الفرض تجديد النية كل ليلة من رمضان
والاقتصار اي جواز في المسح على بعض الراس ولو شعرة او بعض شعرة وان
مذهبهما اي مالك والشافعي رضي الله عنهما القصاص اي لولي المقتول ان يقتص

القصاص

البسملة متواترة عند قوم وغير متواترة عند اخرين

مطلب اجزاء النية في صوم رمضان في اول ليلة منه عند مالك فلا يحتاج الى نية كل ليلة خلافا لامامنا الشافعي

في القتل بمحدد او غيره كالمثقل والسعوان قال سحري يقتل غالبا وايجاب النية
في الوضو واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفها في هذه المسائل اي
مذهبه مخالف لها في ذلك والا فابو حنيفة لم يخالف الشافعي فانه لم يره فكيف
يخالفه وكثيرا ما يستعمل مخالفة المتقدم للمتاخر بهذا المعنى ونحوه وغيرهم اي غير
الفقها من اصحاب هذه المذاهب ممن لم يشتغل بمذهبهم ولا روى اقوالهم
لا يعلم هذا من مذهبهم فضلا عمن سواه اي من دقائق مذهبهم او يقال
المتبع لمذهب الشافعي مثلا ولم يسمع مذهب مالك لا يعلم هذا من مذهب مالك
فضلا عن العامي الجاهل الذي لم يتتبع مذهب احد من العلما **فصل**
في اعجاز القران اي في بيان الوجوه التي بسببها ظهر كون القران معجزا اعلم وفقنا
الله واياك جرت العادة بين المصنفين ان يصدروا البحث الذي يليق ان يصغا
الاصغا اليه واقبال الفكر عليه بلفظ يدل على تنبيه المخاطب واحضار ذهنه
ليلقى السمع اليه وهو شهيد ثم دعا للمخاطب بالتوفيق الذي يكون معه ادني تنبيه — وهو
واسهل دليل ومع الخذلان والعياذ بالله لا يكفي البراهين القطعية ولا المقدمات — بالله
البديهية مقوما نفسه كما هو اللائق في المطالب الاخروية ان كتاب الله العزيز
والمراد به القران وقد صار الكتاب علما عليه بالغلبة في عرف اهل الشرع الاسلامي
بحيث لم يبق اطلاقه عليه مفتقرا الى تقييد ولا توضيح والمراد به هنا الذي وقع
به التحدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعجاز باقصر سورة منه فهو اللفظ
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته اي ما يصدق
عليه هذا من اول سورة الحمد الى اخر سورة الناس الذي يحتج المجتهدون
والعلما بابعاضه خلاف المعنى بالقران في اصول الدين وهو الكلام النفسي
القائم بذات الله تعالى الذي هو مدلول ذلك اللفظ كذا قيل واقول بل الحق انه

هذا المكتوب في المصاحف المقروء بالالسنة هو القائم بذاته فقد قال العلامة
عضد الدين الايجي في نقل عن الاشعري انه قال ان معنى اللفظ قائم بذات الله تعالى
حاصله ان لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ واخرى على المعنى القائم بالغير
فالشيخ الاشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم بعض اصحابه منه ان مراده
مدلول اللفظ وحده وانه هو القديم عنده واما العبارات فانما تسمى كلاما مجازا لدلالتها
على ما هو كلام حقيقة حتى صرحوا بان الالفاظ حادثة على مذهبه ايضا لانها ليست
كلامه حقيقة وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من
انكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع انه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى
حقيقة وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي وكعدم كون المقروء والمحفوظ
كلامه حقيقة الى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الاحكام الدينية فوجب حمل
كلام الشيخ على انه اراد المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده امرا شاملا
للفظ والمعنى جميعا قائما بذات الله عز وجل وهو المكتوب في المصاحف
المقروء بالالسنة المحفوظ في الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ
الحادثة وما نقل من ان الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه ان ذلك
الترتيب انما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الالة فالتلفظ حادث
والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوث علمنا به دون حدوث
الملفوظ جمعا بين الادلة وهذا الذي ذكرناه وان كان مخالفا لما عليه متاخروا
اصحابنا الا انه بعد التامل تعرف حقيقته هذا كلام العضد وهذا المحمل لكلام
الشيخ مما اختاره محمد الشهرستاني في كتابه المسمى بنهاية الاقدام ولا شبهة
في انه اقرب الى الاحكام الظاهرة المنسوبة الى قواعد الملة فخرج عن ان
يسمى قرانا اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الاحاديث التي وردت عن النبي

الله

محشيه مفيد لعضد الدين العلامة انظر ان لفظ المعنى له اطلاقان

مطلب ان لفظ المعنى في كلام الشيخ الاشعري يتعين حمله على المعنى الشامل من لفظ المعنى الذي ذكره

صلى الله عليه وسلم غير الربانية والتوراة والانجيل مثلا وبالاعجاز اي اظهار صدق
النبي في دعواه الرسالة مجازا عن اظهار عجز المرسل اليهم عن معارضته الاحاديث
الربانية المسماة بالاحاديث القدسية كحديث الصحيحين انا عند ظن عبدي الى آخره
وغيره والاقتصار على للاعجاز وان انزل القرآن لغيره ايضا لانه المحتاج اليه في
التمييز وقوله بسورة منه اي اي سورة كانت من جميع سوره حكاه لاقل
ما وقع به الاعجاز الصادق بالكوثر اقصر سورة ومثلها منه فيه قدرها من غيرها
بخلاف ما دونها ولو قال للاعجاز به لاوهم انه وقع بكل القرآن وقد قال تعالى وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة منه وبالمتعبد بتلاوته اي ابدا
ما نسخت تلاوته منه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة قال عمر رضي الله لعله نحو
عنه فانا قد قرأناها قرآنا رواه الشافعي وغيره مشتمل على وجوه من الاعجاز كثيرة
وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه حسن تاليفه اي تركيبه
للالفاظ المفردة التي كل منها فيه زيادة النغم مع غيره فعلى هذا التاليف اخص من
التركيب وقيل هما مترادفان والتئام كلمه اي موافقة بعض كلماته لبعض كانها
افرغت في قالب واحد اشد موافقة واكملها بدليل تعبيره بوزن الافتعال
المشعر بالمبالغة والا فاصل الموافقة موجود في غيره وهذا الوزن يقال لام
ملائمة اي وافقه والكلم اسم جنس للكلمة لا جمع لها على الصحيح بدليل ان
الفارق بينهما التاء فهو ككلم ولبنة ونبق ونبقة وسدر وسدرة وفصاحته
ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب اعلم ان الفصاحة مقولة بالاشتراك
اللفظي على ثلاثة معان احدها فصاحة الكلمة الواحدة اي ما ليس بكلام مركب حينئذ
فيدخل فيها المركب التقييدي والاضافي ثانيها فصاحة الكلام الذي هو مركب حينئذ
ثالثها فصاحة المتكلم يقال كاتب فصيح وشاعر فصيح ولا يمكن تعريف الفصاحة

بتعريف

بتعريف شامل للاقسام لان الاشتراك اللفظي يشعر باختلاف الماهيات فلا جرم ان
نعرف كل قسم على حدة فنقول الفصاحة في الكلمة ان تكون خالصة من تنافر الحروف والغرابة
ومخالفة القياس فلا فصاحة في نحو مستشزرات في قول امرئ القيس غدائره مستشزرات
الى العلى تضل العقاص في مثنى ومرسل لان الذوق السليم يستثقلها ولا فصاحة
في مسرجا في قول العجاج ومقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا مسرجا لكونها كلمة وحشية
غير ظاهرة المعنى ولا مانوسة الاستعمال ولا فصاحة في الاجلل في قوله الحمد لله العلي الاجلل
بفك الادغام لمخالفة القياس واما الفصاحة في المركب المفيد فهي ان يكون خالصا
من ضعف التاليف بان يكون على القانون النحوي وتنافر الكلمات والتعقيد وان
يكون كلماته التي تركب منها فصيحة فلا فصاحة في كلام منعه النحاة كضرب غلامه زيدا
بجعل غلامه فاعلا وزيدا مفعولا لان فيه عود الضمير الى متاخر لفظا ورتبة ولا
يجيزه النحاة الا في ضرورة الشعر ولا فصاحة في قوله وليس قرب قبر حرب قبر ولا في قوله
كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي لثقله على اللسان
بسبب تكرير امدحه مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة ولا في قول الفرزدق
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه لخلل النظم ولا في قوله
الحمد لله العلي الاجلل لان في كلماته ما ليس فصيحا واما البلاغة فهي توفية الكلام بحسب
اقتضاء المقام حقه من فوائد التراكيب ومن مراتب الدلالة فالاول يحصل ما لم
يكن بالسجية من علم المعاني والثاني من علم البيان ولها طرفان اسفل يزيد على
اصل المعنى بحيث لو نقص عنه التحق باصوات الحيوانات واعلى وهو المعجز
وهو كلام يمتنع ان يوجد ما هو اشد منه تناسبا في افادة معناه وفي المفتاح
ان البلاغة تتزايد الى ان تبلغ حد الاعجاز وهو الطرف الاعلى وما يقرب منه فكلاهما
يخرج عن قدرة البشر معارضته والاعجاز شأنه عجيب يدرك ولا يمكن التعبير عنه

وفرسان الكلام هم
لفظ الشارح

بالتعريف والتحديد وذلك لانهم اي العرب كانوا ارباب اي اصحاب هذا الشان اي
البلاغة كانهم ملكوا زمامها ويتصرفون فيها تصرف الملاك لانها سجية لهم لم ينالوها
بكسب ولا ممارسة علم ولا تتبع تراكيب غيرهم فلذا حضوا من البلاغة والحكم جمع
حكمة وهي ما يحث على الاخلاق الجميلة بما لم يخص به غيرهم من الامم لو قال بما لم
يوجد في غيرهم لكان اقرب الى مراده لكنه عبر بالتخصيص للمشاكلة والا فالبلاغة
الموجودة فيهم لم توجد في غيرهم اصلا ولا يلزم من نفي التخصيص نفي الوجود كما
لا يخفى لكن نفي الوجود في غيرهم علم من اثبات التخصيص لهم واوتوا اي منحهم الله
واعطاهم من ذرابة اللسان بالذال المعجمة بعدها را مهملة اي طلاقة وحدة ما لم
يوت انسان ليس من العرب فان قلت ليس في طلاقة اللسان مدح اذ ربما
يتكلم طلق اللسان بما لم يوبه به كما هو مشاهد قلت طلاقة اللسان تشعر
بازدحام المعاني في القلب وكثرتها وعي اللسان يشعر بقلة حصول المعاني في
القلب ولهذا جعل العي من العيوب المنقصة مراتب اهل الكمال ومن فصل
الخطاب ما يقيد الالباب اي من الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود
من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوهما وسميت اما بعد بفصل الخطاب
لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمدلة والصلاة وقيل هو الخطاب
الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وقوله ما يقيد الالباب جمع لب
اي يمنع العقول عن الوصول الى دركه وفهم جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقه
اي لا مكتسب من خدمة علمي البلاغة كما للغيرهم من ذلك لان من نال البلاغة من
طول خدمة هذين العلمين لا يصل الى ادنى غبار من كان ذلك فيه طبيعة وفيهم

غريزة

غريزة اي طبيعة وسجية ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجبن والجراة غرائز
اي اخلاق وطبايع وقوة معطوفة على مفعول جعل يأتون منه على البداهة هي في
الاصل اول الشي والمراد هنا ما ياتي به الانسان من الكلام الحسن من غير فكر ولا
اعمال روية بالعجب اي الذي لا يكون مألوفا ويدلون به الى كل سبب هو ماخوذ
من الادلا وهو هنا التوسل ومنه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاستسقا
وقد دلونا اليك مستشفعين بعم نبيك صلى الله عليه وسلم العباس اي توسلنا
قيل هو ماخوذ من الدلو لانه يتوصل به الى الما وقيل المراد به اقبلنا وسقنا من
الدلو وهو السوق الرفيق والمراد بالسبب المطلب العالي الشبيه باسباب
السموات اي نواحيها كانه شبه ذلك المطلب في عزة نيله بنواحي السما والعرب
كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما نالوه من القرائح والطبائع الزكية ولعل
المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وكلامهم ياتي مطابقا لها والقدرة على
مطابقة الكلام لمقتضى الحال امر عزيز بها الوصول الى فهم الاعجاز ولا ينال ذلك
الا بالاكثار من ممارسة علمي البلاغة وبالطبع الجبلي الذي خلقه الله تعالى في العرب
العربا ومعنى ذلك انه كلما وقعت حال اقتضت شيا يتوصلون الى ان يتكلموا بما
يطابق مقتضاها بفصاحتهم وبلاغتهم العزيزة وقرينة ذلك قوله فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب الخطبة الكلام المنثور المسجع والخطيب
الشان اي ان العرب من شدة قوة غرائزهم ومتانة سجيتهم اذا وقع مقام
يقتضي امرا من غير تفكر واعمال روية واذا وقع شان شديد وامر عسير في
الحال من غير تفكر ولا اعمال روية يوردون كلاما مسجعا مقتضيا للحال بحيث
لو تفكر فيه خادم هذين العلمين لا يقدر على ان ياتي بمثله في مدة طويلة وهذا
امر مشاهد مسموع ومن وقف على اخبارهم وعلم اثارهم حقق ذلك ويرتجزون

به بين الطعن والضرب في القاموس الرجز بالتحريك ضرب من الشعر وزنه مستفعلن
ست مرات سمي به لتقارب اجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو
انصاف واثلاث ومعنى يرتجزون اي ينظمون ابياتا من بحر الرجز المذكور بين الطعن
والضرب اي في هذه الحالة التي تنسد فيها طرق الروية وتذهل فيها الافكار ومع
ذلك ينقاد اليهم سجاياهم من غير كلفة ويمدحون ويقدحون بابلغ مدح واعظم قدح
اما الاول فكقول قائلهم ٥ الستم خير من ركب المطايا ٥ واندى العالمين بطون راح ٥
فانه امدح بيت قالته العرب واما الثاني فكقول قائلهم ٥ قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لامهم بولي على النار ٥ فتمسك البول خوفا ان تجود به ٥ وما تنزله الا بمقدار ٥
ويتوسلون ويتوصلون اي يجعلون بلاغتهم وسيلة الى مقاصدهم ويتوصلون بها
الى مرادهم ويرفعون مقادير اقوام بمدحهم ويضعون اقدار اخرين بقدحهم
فياتون من ذكر بالسحر الحلال شبه بيانهم الذي ياتون به بالسحر في تاثيره في العقول
كتاثير السحر وحذف اداة التشبيه فكان استعارة مصرحة ووصفه بانه حلال
ليكون قرينة على ارادة المعنى المجازي لان السحر الحقيقي حرام ويطوقون مدوحيهم
اجمل من سمط اللآل اي اذا مدحوا احدا يصفونه بصفات تشبه الطوق الذي
يجعل في العنق وهو احسن من طوق يكون بسمط اللآلي وهو الخيط المنظوم
فيه اللآلي ونحوها من الخرز فاذا خلا عن ذلك فهو سلك كما ذكره في الصحاح فشبه
مدحهم للممدوحين بالتطويق فهي استعارة تصريحية تبعية وفضل هذا التطويق
على سمط اللآلي لانه اجمل الاطواق الحسية ولا شك ان ثبوت صفات الكمال اجمل
من وضع طوق في العنق من سمط اللآلي فيخدعون الالباب اي يمكرون بفصاحتهم
وبلاغتهم بالعقول ويذللون الصعاب اي يخرجون الامور الصعبة من حيز
الصعوبة الى ضدها وهو الذل بضم الذال المعجمة وكسرها بفصاحتهم ويذهبون

الاحن

من الوافر

هامن البسيط

الاحن جمع احنة بكسر الهمزة وتحريك الحاء الحقد وعتب اي من حسن تعبيرهم
ووضوح بيانهم اذا خاطبوا من بينهم وبينه حقد اذهبوا ذلك الحقد من قلبه
ويهيجون الدمن اي يثيرون الدمن بكسر الدال وفتح الميم جمع دمنة بسكون الميم
وهي الحقد القديم ويجرئون الجبان الجبان الرجل الهيوب الذي لا يقدم على الامور
لكونه يهابها ويجرئون اي يجعلون فيه الجراة على وزن الجرعة ويجوز فيها الجراة على
وزن الكراهة والجراية على وزن الكراهية وهي الشجاعة والاقدام ويبسطون
يد الجعد البنان فاضاف الجعد الى البنان اضافة لفظية لانه صفة مشبهة اي قصير
الاصابع وهو هنا البخيل اي يجعلون البخيل جوادا وفي الصحاح يقال للكريم من الرجال
جعد فاما اذا جعد اليدين او جعد الانامل فهو البخيل وربما لم يذكروا معه اليد ولا شك
ان المراد هنا البخيل لايهامه ذكر البسط ويصيرون الناقص كاملا بذكر محاسن له
تنسي نقائصه ويتركون النبيه خاملا اي يدعون الفطن الذي من شانه الشهرة
والذكر الجميل ساقطا عن الاعتبار لا يذكر بين الناس ولا شهرة له منهم البدوي
اي المنسوب الى البدو وهو خلاف الحضر وفي القاموس والنسبة اليه بداوي
كسماوي وقد تكسر الباء وبدوي محركة نادرة فقد استعمل المصنف اللغة النادرة م ت
ذو اللفظ الجزل بسكون الزاي وهو خلاف الركيك والقول الفصل بالصاد
المهملة اي المفصول الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه او بمعنى الفاصل اي هو الذي
يفصل بين الحق والباطل والصواب والخطا والطبع الجوهري الطبع السجية التي جبل عليها
الانسان والجوهري المنسوب الى الجوهر وهو خيار المعادن اي الطبع النفيس
الذي يخرج الجوهر ويبيعه فقد وصف طبعه بانه بياع جوهر على اسلوب التشبيه
البليغ الذي حذف منه اداة التشبيه كانه لكثرة ما يخرج من الالفاظ النفيسة والمعاني
الحسنة المشبهة بالجوهر اطلق عليه انه جوهري اي يبيع الجوهر والمنزع القوي

اي ياتون بالكلام الذي يريدونه من بين انواع الكلام ويخرجونه منه اخراجا قويا بحيث
اذا سمعه السامع لا يعلم من ذلك النوع لكونهم يكسونه رونقا بفصاحتهم واساليبهم
العجيبة ومنهم الحضري اي المنسوب الى الحضر بفتح الضاد المعجمة وهو والحضرة
والحاضرة بكسر الضاد وقد تفتح خلاف البادية ذو البلاغة تقدم انفا تفسيرها
البارعة اي الفائقة غيرها من بلاغات العرب لكن لا تبلغ حد الاعجاز بقرينة ما ياتي
والالفاظ الناصعة اي الواضحة المالوفة التي ليست وحشية يفتقر سامعها
الى الفحص عن معناها و التفتيش في كتب اللغة والكلمات الجامعة اي مع وجازتها
لمعان كثيرة والطبع السهل اي المنقاد مع صاحبه الى مراده ومامول والتصرف
في القول القليل الكلفة ينبغي ان يكون القليل صفة للتصرف لا للقول اي ان من
شان من تصرف في مقال ان يتكلف فيه لكن تصرف العرب العربا في المقالات قليل الكلفة
اي عديمها فان القليل يطلق على المعدوم ويمكن ان يجعل صفة الكلام اي الكلام خال عن
الكلفة اي يفهم المعنى المراد منه من غير مشقة ولا احتياج الى تخريج على وجه من الوجوه
المناسبة وليس هو كقول من قال وعقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا مسرجا فان
فهم المعنى المراد من مسرجا ممتنع الا بالكلفة والمشقة فمن ثم لم يكن بليغا الكثير الرونق
اي الحسن الرقيق الحاشية هي في الاصل جانبا الثوب وههنا كناية عن ان
الدخول الى مقاصدهم سهل وان كلا منهم غير آب عن اقتطاف ثمراته وكلا البابين
اي القسمين البدوي والحضري كلاهما الفا وقعت في جواب شرط مقدر تقديره واما
كلا البابين الحجة البالغة اي اذا وقع التساجل والخصام في دعوى البلاغة فكلاهما
له الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات
او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وثبات مقصده وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد
اثبات الحكم وتطلبه والقوة الدامغة اي التي تصل في نيل مقصودها الى انها تهشم الخصم

الى حد تدمغ راسه اي توقع به جراحة الدامغة وهي شجة بليغة تصل الى الدماغ بل هي اخر
الشجاج العشر المرتبة وهي قاشرة وحارصة وباضعة ودامية ومتلاحمة وسمحاق
وموضحة وهاشمة ومنقلة وامّة ودامغة والقدح بكسر القاف السهم قبل ان يراش
وينصل الفالج اي الفائز من السهام والمهيع الناهج اي الطريق الواضح لا يشكون ان الكلام
اي في ان الكلام وحذف حرف الجر قبل ان لان حذفه قبلها مطرد طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها
وعلوا صرحا اي بناء عاليا لبلوغ اسبابها ماخوذ من اسباب السما اي مراقيها
وفواتحها وابوابها وحاصله انه شبه البلاغة او الابرحل ممتنع لا ينقاد الى من يطلبه
الانقياد فهي استعارة مكنية واثبت لها الطوع الذي هو من خواص ذوي العقول فهي
من لوازم المشبه به فهي استعارة تخييلية ثم شبهها ثانيا بدابة شكسة الانقياد
اصلا فهي استعارة مكنية ايضا واثبت لها القياد الذي هو من لوازم المشبه به فهي استعارة
تخييلية وثالثا بالسما في امتناع الصعود اليها والوصول اليها فهي استعارة مكنية
واثبات الاسباب لها وهي من لوازم المشبه به استعارة تخييلية وسلكنا في ذلك
كله على مسلك صاحب التلخيص فانه المذهب المشهور والقول المنصور فقالوا في الخطير
والمهين يجوز ان يكونا صفتين لرجل اي اطلقوا السنتهم مدحا وقدحا في من يكون
ذا شرف ورتبة عالية وفي من يكون حقيرا ذليلا ذا رتبة دنية وحقارة ثابتة او في
الامر الخطير والحقير وذلك لمتانة ملكتهم في ادارة الكلام وايقاع كل كلام فيما يليق به
من المقام وتفننوا في الغث والسمين اي اظهروا اضروبا من الكلام وانواعا من
المقال بنوعيه الواهي والمتين القوي الذي لا قوة فوق قوته فان الغث هو المهزول
والسمين بخلافه وتقاولوا في القل والكثر اي في الامر القليل والكثير بحيث ياتون في
القليل بما يناسبه ويطابق مقتضى حاله وفي الكثير كذلك لمتانة ملكتهم على خلق

محل تأمل !!

الكلام وتساجلوا في النظم والنثر اي تفاخروا في نظم الكلام على وجه مخصوص ووزن مخصوص
وهو المسمى بالنظم من قبيل نقل اسم العام الى الخاص فان النظم اسم لمطلق تاليف
الكلام ثم نقل الى تاليفه على وجه مخصوص ووزن مخصوص وتفاخروا ايضا في النثر الذي
هو خلاف النظم فراعهم اي افزعهم الا رسول اي لم يقدر على ان يزحزحهم عن هذه المزايا
التي كانوا عليها والمراتب التي نالوها من الفصاحة والبلاغة الا رسول من الله تعالى اليهم جاء
في اته واتاهم من حيث لا يحتسبون فجعل تلك البلاغة هباء منثورا واضحت تلك الحالات
كان لم تكن شيئا مذكورا كريم اي حسن او وسط قومه نسبا عزيزا امامن العزة وهي القلة لانه انما
عديم النظير واما بمعنى الغلبة ومنه قولهم من عزبز اي من غلب سلب وقرانا غالب غير
مغلوب واما بمعنى القوة ولا كتاب امتن من هذا الكتاب ولا اقوى لا ياتيه الباطل اي
التبديل من بين يديه ولا من خلفه اي من كل جهة بل هو مصون عن التغيير محفوظ عن ان
يدخل فيه حرف واحد ليس منه تنزيل من حكيم في خلقه وتدبيره حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر
عليه من نعمه احكمت اياته اي نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل من جهة اللفظ ولا من جهة
المعنى او منعها الله تعالى من الفساد والنسخ فان المراد من الايات السور وليس فيها منسوخ
او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على
امهات الحكم النظرية والعملية وفصلت كلماته بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او فصلت بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او انها فصلت فارقة بين الحق
والباطل وبهرت اي غلبت بلاغته العقول اللام فيه للاستغراق اي صارت غالبة لكل عقل
حيث لم يقف عقل من العقول على غاية ما فيه من النكات الغريبة والمعاني العجيبة وحيرت
الالباب اضح الناس الذي يسبق الكلام على بعض قومه في باب البلاغة وفي القدرة على تنميق
الكلام وظهرت فصاحته الظهور هنا ضد الخفا على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه الذي وجدته
في النسخة التي بيدي من الشفا ان تظافر بالظاء المعجمة الى اخره ولا اجد له معنى يليق

تفسير

تفسيره يليق كتب اللغة الصحاح والقاموس ولا في نهاية ابن الاثير والذي يظهر لي انه تظافر
بالظاء المهملة اي بالغ في الطفرات جمع طفرة وهي كما في القاموس الوثبة مع ارتفاع اي ان الجازه
اشتهر بحيث يشاهده كل احد فكان ذلك شبيها بالمكثر من الطفرة والايجاز الاتيان بالمعنى
المراد بلفظ ناقص عن اصل معناه واف به وقولنا واف احتراز عن المخل بالمعنى كقول الشاعر
والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا ه ومعنى الكلام العيش الناعم في ظلال الحمق
خير من العيش الخشن في ظلال ذوي العقل واللفظ غير واف بهذا المعنى كما ترى والاعجاز
بلوغ الكلام في مطابقته لمقتضى الحال حدا هو اعلى طبقات البلاغة بحيث يعجز البشر عن
معارضته وتظاهرت حقيقته ومجازه اي صار كل من الحقيقة والمجاز ظهيرا للاخر
ومعينا له في ادا المقصود ففيه ارتضا كون المجاز واقعا في القران خلافا للظاهرية بل ربما
يكون المجاز اولى من الحقيقة ولهذا كثر في القران وروده بانواعه المرسل والاستعارة
والعقلي الواقع في الاسناد ومنه قوله تعالى الله نور السموات والارض وقوله ومكر الله وقوله
تعالى الله يستهزئ بهم وقوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها ومثال ذلك كثير يبلغ في الكثرة الى حد يفيد الجزم بوقوعه على ان المنكر له من الظاهرية
انما هو ابو بكر بن داود الاصفهاني حض انكاره بالاستعارة منه وكذا ابن القاص من
قدماء الشافعية والا فالجميع مطبقون على وجوده في القران والسنة وتبارت في
الحسن مقاطعه ومطالعه تبارت تعارضت والمقاطع مواضع الوقف من القران
والمطالع مواضع الابتداء منه يعني ان حسن اوائل الايات معارض لحسن اواخرها
فان حسن اواخر الايات من جهة حسن اوائلها من جهات اخرى وكذلك العكس فلا
يمكن السامع ان يحكم على الاخر بانه احسن من الاول ولا على الاول بانه احسن من الاخر لما
يرى في كل منهما من جهات الحسن ما ليس في الاخر وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه
يريد بذلك ان في القران سورا جامعة لما في الكتب الى الغير وسورا خص الله بها محمدا صلى

الله عليه وسلم فهي مبتدعة بالنظر الى انها اول ما ظهرت على لسانه ولم يتكلم بما فيها نبي قبله
كالمفصل ومع ذلك فالقران حاز جميع البيان لم يترك شيا من ما ينبغي ذكره الا ذكره فيها
على اتم وجه واكمل نظام واعتدل مع ايجازه حسن نظمه يعني ان الكلام الموجز الذي هو في
غاية الايجاز يكون غالبا مشتملا على تعقيد ما وقلما يوجد كلام هو في غاية الايجاز الا
ووجد فيه عسر في النظم الا كلام رب العالمين فانه مع الايجاز البليغ نظمه حسن وفهم المراد
منه سهل وهذا من الوجوه الدالة على عجز البشر عن الاتيان بمثله وانطبق على كثرة فوائده
مختار لفظه يريد بذلك ان هذا القران وجد فيه ما لم يوجد في غيره وذلك ان من رام ان ياتي
بكلام يحتوي على فوائد كثيرة فلا يساعده مع ذلك الاتيان بالالفاظ المنتقاه المختارة
فصاحة وانسجاما فلا جرم انه يضطر الى ان ياتي بما ليس بمختار من الالفاظ الا كلام رب
العالمين عز وجل فانه مع جموم فوائده وكثرتها الفاظه خير الالفاظ وافصحها وعباراته احلى
العبارات واملحها وهم اي قريش ونحوهم من العرب افصح ما كانوا في هذا الباب اي باب
ما ذكر من البلاغة والاتيان باوجز العبارات وتحري كثرة المعاني مجالا هو محل الجولان والحركة
والترداد اي ليس فيهم صفة من الصفات هي اقوى من هذه الصفة ولا مجال في باب من
الابواب اوسع من هذا الباب واشهر في الخطابة بفتح الخاء رجالا اي ليس في الرجال الخطب
من قريش ونحوهم من العرب والخطابة كلام منثور مسجع واكثر في الشعر والسجع سجالا
اما الشعر فكلام موزون مقفى تقفية مخصوصة بقصد واما السجع بالسين المهملة
بعدها جيم فهو كلام مقفى على روي واحد والسجال المباراة والمفاخرة يعني ان قريشا
ونحوهم كان ديدنهم المفاخرة بالشعر والسجع ومن كان ديدنه شيا سيما مع المباراة
والمفاخرة فانه يتقنه غاية الاتقان ويرسخ قدمه فيه غاية الرسوخ واوسع في الغريب
واللغة مقالا اي ليس في الناس من اتقن غريب اللغة مثلهم وهو ما يحتاج في فهم
معناه الى تنقير وتفتيش في كتب اللغة هذا بالنظر الينا الان واما بالنظر الى العرب

العربا

العربا فهو ما لم يكن متداولا بينهم في المحاورات وجاريا في عموم المكالمات والمخاطبات بلغتهم
الجار والمجرور صفة لكتاب المذكور سابقا اي ليس بلغة غيرهم والضمير راجع الى قريش
ولهذا قال عثمان او الصديق رضي الله عنهما اذا اختلفتم في شيء من القران فاكتبوه بلغة قريش
فانه نزل بلغتهم التي بها يتحاورون اي يتراجعون الحديث فيكلم كل صاحبه بها ومنازعهم
معطوف على لغتهم جمع منزع وهو ما يرجع اليه الرجل من رايه وطريقته اي اتى هذا الكتاب
بما هو دينهم دائما لا يتركونه اصلا بل يناضلون عنه اي يدافعون عنه فكل يدعيه لنفسه
ولا يثبت لغيره فيه شيا وهذا يشعر بانهم من كثرة الاكباب عليه وتداوله بينهم كل منهم
يناضل صاحبه فيه صار خايلهم اي بكفار قريش حال من رسول وسوغ مجيئه ذا حال وصفه
بالصفات السابقة حتى تعين وصار كانه معرفة اذ لم يات رسول موصوف بما سبق
الا محمد صلى الله عليه وسلم والصارخ الصائح صيحة شديدة اي لما اتاهم بهذا الكتاب لم يخفه منهم
بل اظهره وطلب المعارضة منهم اظهارا ابلغ كل واحد منهم خبره بحيث كان يتحدى به في كل
حين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في كل حين الى الله عز وجل ويقرا عليهم
القران ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما التقريع التعنيف والتثريب والبضع بكسر الباء
وتفتح ما بين الثلاث الى التسع او الى الخمس او ما بين الواحد الى الاربعة او من اربع الى
تسع او هو سبع واذا جاوزت العشر ذهب البضع ولا يقال بضع ومائة ولا الف كذا في
القاموس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وبعث على راس
الاربعين فيكون مقدار نبوته ثلاثا وعشرين سنة لم يال جهدا في تعنيف قريش ونحوهم
من عبدة الاوثان وذم دينهم واحتقار معتقدهم فلو كان لهم ادنى قوة في رد دلائله ولو هين
حججه لسارعوا الى ذلك كما هو معلوم من حال من يوهن دين قوم كيف يفعلون به وبما ذا
يقابلونه ثم ان المصنف اتى بلفظ بضع مذكرا مع ان المعدود مذكر وهو العام ومن العوائد
المقررة ان بضعا يذكر في المونث ويونث في المذكر فلعل نقل في القاموس عن مبرمان ان البضع

المتن بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون

هذه عبارة المتن وشيخنا حرفها وكانه تبع في ذلك ما وجد في ما عنده من نسخ المتن فاعلم ذلك

زين الدين

الكلام على بضع

بضع يذكر مع المونث ويونث مع المذكر

ص

مع المذكورين ومعها بغيرها بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امراه ولا تعكس على
روس الملا اي لجماعة اجمعين كناية عن انه صلى الله عليه وسلم كانه يقرعهم غير مبال بهم
ولا يلخذ طريق الدنيه وانما كان يتكلم فوق روسهم لما يعلم من قوة برهانه وسطوع حجته
ام يقولون افتراه ساق المصنف ايات التحدي الثلاثة بعجز اولئك الذين قرعهم
النبي صلى الله عليه وسلم اتم التقريع وعنفهم اكمل التعنيف زاعمين انه صلى الله عليه وسلم
وحاشاه من ذلك افترى ما اتى به من هذا القران فاتى باية التحدي التي هي ارق
الايات فيه لانها تشعر بعجزهم وعجز كل من سوى الله تعالى عن سورة منه وهي
قوله تعالى ام يقولون افتراه اي بل ايقولون فام منقطعة افتراه اي محمد صلى الله عليه
وسلم القران والهمزة فيه للانكار قل في رد قولهم فاتوا بسورة مثله في البلاغة
وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافترا فانكم مثلي في العربية والفصاحة
ودابكم النظم والعبارة وانا لم اشتغل بشي من ذلك وادعوا من استطعتم مع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله اي سوى الله تعالى فانه قادر
على ذلك ان كنتم صادقين في قولكم انه افتراه ثم اتى باية اخرى هي نحو الاية الاولى
في ذلك وهي قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا فقد ذكر تعالى فيها ان هذا القران افحم كل فصيح منطيق
واخرس من طولب بمعارضته من مصاقع الخطبا ومن العرب العربا مع كثرتهم
وافراطهم في المضارة والمضاددة وتهالكهم على معاداة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعرفهم الطريق الذي به يزول عن قلوبهم الريب في انه من عند الله تعالى ويتيقن
انه من الله تعالى وهو اختبار انفسهم وتجريب بلاغتهم هل يقدرون على ان ياتوا
بسورة منه ولعمري ان افكارهم كلت واذهانهم ذلت ولو قدروا على بعض
ذلك لاتوا به وخلصوا انفسهم مما ذاقوا من سطوات رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم من قتل اشرافهم واذلال اكابرهم وسبي ذراريهم ونهب اموالهم والاقدام على
دمائهم وقد تحداهم الله تعالى على الوجه الذي اوقع الريبة عندهم وهو كون القران نزل
نجما نجما بحسب الوقائع على اسلوب الشعر والخطابة وهذا اقوى في ازاحة
الشبهة كانه يقول انكم ارتبتم من جهة نزوله منجما وقلتم لولا انزل عليه هذا
القران جملة واحدة فاتوا ان كنتم في ريب بمثل نجم من هذه النجوم مما يبلغ اقصر سورة
منه ومع ذلك استعينوا بكل شهيد لكم ومعين من الجن والانس ثم انكم اذا اجتهدتم
في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر حينئذ انه معجز
وانه ليس الا من عند رب العالمين وان التصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب ثم اتى باية ثالثة دالة على اعجازه وهي قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية فانه صدرها بالقسم المقدر الذي دلت عليه
اللام الموطئة لافادة تاكيد هذا المعنى ووقع قوله تعالى لا ياتون بمثله جواب القسم ولولا
لكان جواب الشرط الجازم غير مجزوم وانما لم يذكر الملائكة مع المعينين لان اتيان الملائكة
بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا كما لا يخفى وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فاتى في
هذه الاية بام المنقطعة الملاحظ معها الاستفهام التوبيخي موبخا لهم على هذه المقالة
المردودة بقوله قل فاتوا بعشر سور فتحداهم بعشر سور من مثل القران في حسن
النظم والبيان فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة كما علم مما قبله ووصف المثل باعتبار
كل واحد فقال لهم افتروا عشر سور كما افتريت على زعمكم فانكم عرب مثلي بل انتم اقدر
مني على ذلك لاشتغالكم بالقصص والاشعار وتداولكم القريض في الليل والنهار ومع
ذلك استعينوا بمن شئتم من دون الله وما احسن ختم هذا التحدي بهذا الوعيد
والتهديد بقوله عز من قائل فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله
الا هو فهل انتم مسلمون وذلك ان المفترى اي المكذوب اسهل لان معناه

ليس واقعا ليفتقر واضعه الى مطابقته بل معناه اختلقه المتكلم به ووضع الباطل
والمختلق على الاختيار اي الكلام الذي اختلقه الانسان واختاره من عند نفسه
اقرب الى الايجاد من الكلام الذي ليس من عند نفسه واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
اي الواقع في نفس الامر كان اصعب لاحتياج المنشي الى ايجاد الفاظ مطابقة للمعنى
الواقع وهذا في غاية العسر ولهذا يقال فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
لان المعنى الذي يريده الانسان قائم بنفسه واي لفظ اتى به لا ينتقد بخلاف
المعنى الذي يعلم ويشاهد لو طلب من الكاتب ان يكتب الفاظا تطابق ذلك المعنى
الذي يعلمه الناس عسر عليه ذلك فيحتاج ان يكون قدمه راسخا في فن الكتابة ولهذا
قال وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد اي شوط وامد ولهذا المعنى
سهل على القسم بن علي الحريري ان يكتب المقامات المشهورة بالفصاحة المذكورة
في جميع البلاد بالالفاظ العجيبة ولم يقدر على كتابة مكتوب الى صاحب خراسان
فقد نقل القفطي في تاريخ النحاة قال لما علمت بلاغة الحريري تقدم السيد
الخليفة بان يجعله كاتب انشا في ديوانه فلما حضر اليه رسم له ان يكتب كتابا الى
صاحب خراسان واجلس على دكة هناك واحضر الدواة والدرج فاخذه وقعد
وقتا طويلا فارتج عليه وعجز فلم يكتب شيا وتركه وانصرف فتعجب الناس من
امره وليس له علة الا انه ليس ذا باع طويل في كتابة ما يقال له ولهذا قيل الحريري
صاحب مقامات وليس صاحب انشا حتى قيل ان المقامات ليست له وليس كذلك
بل هي له ولكن بسببه ما ذكرنا ولهذا قيل في حقه ۰ شيخ لنا من ربيعة الفرس ۰
ينتف عثنونه من الهوس ۞ انطقه الله بالمشان وقد ۰ الجمه في العراق بالخرس ۞
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم
الاحلام العقول والتسفيه النسبة الى السفه وهو الخفة والطيش اي يحكم على

قوله تامل

قضية الحريري اذ طلب ان يكتب كتابا فلم يقدر ه

من المفرح

عقول

عقول العرب قريش وغيرهم بالطيش والخفة حيث عبدوا من دون الله تعالى ما لا ينفع
ولا يضر ولا يغني شيا ولا عقل افسد من عقل من يفعل ذلك ويحط اعلامهم جمع علم وهو
لفظ يطلق على الجبل العظيم او مطلق الجبل ويطلق على الراية وما يعقد على الرمح وعلى
سيد القوم وكل منها محتمل هنا اي يخفض قدر اكابرهم الذين كل واحد منهم في علو مقامه
كالجبل العظيم فاطلاق الاعلام عليهم استعارة مصرحة او يخفض راياتهم وهو
كناية عن ايقاعهم في المغلوبية كما هو شان الجيشين اذا تقاتلا فتنكيس احدى
الرايتين امارة على مغلوبية ذوي تلك الراية او انه يخفض مقامات كل سيد فيهم
وعلى هذا التقدير لا استعارة في لفظ بخلافه على الاول ويشتت نظامهم اي يفرق
ملاك امرهم فصارت امورهم بعد انتظامها متفرقة لاختلاف الاراء ودخول الحق بينهم
والحق اذا دخل شتت الباطل وقل جاء الحق وزهق الباطل ويذم الهتهم واباءهم
لعبادتهم اياها ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته
نكص عن الامر احجم وتكأكأ واذا قيل نكص على عقبيه فالمراد رجع عما كان فيه من الخير
ولا يستعمل في الشر ووهم الجوهري في اطلاقه عليه ايضا كذا في القاموس محجمون عن
مماثلته محجم بتقديم الحا على الجيم اسم فاعل من احجم عن الامر كف عنه ونكص هيبة
يعني انهم لشدة ما راوا من براهينه القطعية هابوه في قلوبهم فكلما ارادوا ان
ياتوا نكصوا ورجعوا القهقرى خائبا دليلا ولله العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم
مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب المخادعة اظهار خلاف ما في النفس
والتشغيب تحريك الشر والمعنى ان قلوبهم انطوت على تصديقه صلى الله عليه وسلم
فاذا طالبتهم نفوسهم بتصديقه خدعوها باثارة الشر بتكذيبه فتميل الى ان تكون
مقهورة بسبب ما حصل من الشر ولو صدقته لغلبت فلم يزل هذا ديدنهم حتى قضى
الله عليهم بالشقا الابدي والاغترا بالافتراء اما ماخوذ من غري به كرضي اي اولع

بل ... المصنف بعد ... فالاشبع ... الكلام ...

واما من غرى السمن قلبه اي لصق به وغطاه ولا شك ان صيغة افتعل تفيد مبالغة ليست في المجرد فالمعنى انهم بالغوا في الولوع بالافترا والكذب والاتيان بالبهتان او ان الافترا لزق بقلوبهم وصار ملازما لها وقولهم معطوف على الافترا اي والاغترا د بقولهم ان هذا الا سحر يؤثر اي ما هذا القران الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم وليس هو سماويا من عند رب العالمين جل جلاله بدليل تاكيده بقوله ان هذا الا قول البشر ولهذا ترك عطف هذه الجملة على ما قبلها لما بينهما من كمال الاتصال وسحر مستمر اي متتابع وذلك لانهم كلما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حصة من القران علموا اعجازها فدام ذلك واستمر ولم ينقطع مدة ظهور الايات ونزول المناقب والمعجزات وقيل معنى مستمر محكم متقن من قولهم امررته فاستمر اي احكمته فاستحكم وقيل مستبشع من قولهم استمر الشي اشتدت مرارته وقيل مار ذاهب لا يبقى وافك افتراه اي كذب اختلقه واساطير الاولين اي ما يسطره الاولون من القصص والمباهتة اي الاتيان بالباطل الذي يتحير من بطلانه والرضى بالدنية اي الصفة الساقطة الحقيرة كقولهم قلوبنا غلف قاله اليهود وهم من جملة من ارسله الله اليهم عز وجل وغلف ماخوذ من الاغلف الذي لم يختتن فالمعنى انها مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به يا محمد ولا تفقهه وهذه مقالة مغلوب عاجز عن المعارضة وقيل غلف جمع غلاف فخفف ومرادهم ان قلوبنا اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته وهي لم تع ما تقول فلو كان ما تقول علما لوعيناه او ان قلوبنا مملوءة علما فهي مستغنية عما تقول وعلى كل حال فلا بد للمغلوب من ايراد العذر وفي اكنة اي قلوبنا في اكنة جمع كنان وهو الغطا مما تدعونا اليه وهو القران وما يقتضيه وفي اذاننا وقر اي صمم واصله الثقل ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل قال القاضي البيضاوي ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا منهم ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم

اليه

اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول انتهى وهذا منه على طريق اللف والنشر المرتب فاصرف كل تمثيل الى ما يليق به ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه اي بعد ان عجز ابو جهل واضرابه عن معارضة هذا القران ارادوا ان يفعلوا فعلا يمنعون من يقراه من قراته وهو انه كلما قرا واحد منه شيا لغوا فيه اي عارضوه بانواع الخرافات ورفعوا اصواتهم بها ليشوشوا على قاريه عليهم فيمتنع ولو قدروا على معارضة شي منه لاستغنوا عن مثل هذه الجهالات التي لا تصدر من مجنون ولهذا قالوا لعلكم تغلبون قاريه وهلا غلبوه بكلام مثله وانما غلبوه بالجهل والسفه كما هو شان العاجز عن المعارضة المصمم على باطله والادعا مع العجز اي ادعا المعارضة مع العجز عنها وان لم يعترفوا به لكنهم تلبسوا بحالة تنادي عليهم بالعجز فانهم قالوا لو نشا لقلنا مثل هذا مع صبرهم على السيوف المرهفة وسلب الاموال وسبي الذراري والاجلا من الاوطان فهلا عارضوه بمعارضة تكافيه واكتفوا هذه المصايقات وقائل هذه المقالة النضر بن الحارث واسندها اليهم كلهم من باب اسناد ما يقوله الرئيس الى المرؤوسين فانه كان قاضيهم قال البيضاوي وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا من ذلك فما منعهم ان يشاوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة منه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان واقول تامل ما جرى منهم من الانكار المحض الخالي عن الدليل وتشبثهم بصفات المغلوبين حيث قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم وقد قال الله تعالى ولن تفعلوا اتي بلن النافية المستغرقة للنفي في الزمن المستقبل فما فعلوا ولا قدروا ومن تغالطي ذلك من سخفائهم جمع سخيف وهو من الضعف بالسخفة كوخصة او السخف كسخف به وهي رقة العقل كمسيلمة الكذاب

هو ابن حبيب وقيل ابن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن عفان بن
ذهل بن الدول بن حنيفة كنيته ابو ثمامة الحنفي نسبا هو اول من ادخل البيضة في
القارورة ولا عقب له جمع جموعا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب
وغوغائهم وقصد قتال الصحابة على اثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهز اليه
ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الجيوش واميرهم خالد بن الوليد سنة احدى عشرة من
الهجرة فقاتلوه فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرا بالله تعالى وقد قال الزهري ومقاتل
في قوله تعالى ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة اهل اليمامة قوم مسيلمة
وقيل هم فارس والروم ففي هذه الاية دليل على صحة امامة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
لان ابا بكر دعا الى قتال بني حنيفة وعمر دعا الى قتال فارس والروم وتشارك في قتل
مسيلمة عبد الله بن يزيد بن عاصم ووحشي وزيد بن الخطاب وقد اتى بعد ان ادعى
النبوة معترفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه رسول الله غير انه يقول اني اشركت
معه في الامر وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما
بعد فاني اشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش
يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فاخفى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وزعم انه وصل اليه كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالشركة معه وكتب بذلك كتابا عن النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه الى الصحابة
وقال ثمامة بن مالك الحنفي من قوم مسيلمة يخاطب مسيلمة ٥ مسيلمة ارجع ولا تمحك ٥ من المتقارب
فانك في الامر لم تشرك ٥ كذبت على الله في وحيه ٥ هواك هوى الاحمق الانوك ٥
فما في السماء لك من مصعد ٥ ولا لك في الارض من مبرك ٥ قال ابن اسحق ارتد اهل
اليمامة عن الاسلام غير ثمامة بن اثال الحنفي كشف عواره اي عيبه لجميعهم وذلك انه لعنه الله

لما ادعى الاشتراك في النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
من ياتيه باخباره فينقل اليه من القران الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيجعل يقراه على
قومه ويزعم انه نزل عليه وحين سمع بذكر الرحمن سمى نفسه بالرحمن فلما اشتهر القران عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يمكنه دعواه اخذ يصنع قرانا في زعمه فجاء بالهجر وتخليط كقوله
والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا
والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على
اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر يا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين نصفك
في الماء ونصفك في الطين ويروى نقي ما تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين
لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين ويروى ولا الشارب تمنعين لقد انعم الله على الحبلى
اذ اخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشا وكقوله الفيل وما الفيل له ذنب طويل
ومشفر وقيل وان ذلك من خلق ربنا لقليل وكقوله والليل الاطخم والذيب الازلم
والجذع الازلم ما انتهكت اسيد من محرم وذلك نحو ذكر في خلاف بني قوم اتوه من
اصحابه وقال ايضا لعنه الله والليل الدامس والذيب الهامس ما قطعت اسيد
من رطب ولا يابس وكان يقول والشاء والوانها والشاء السود واللبن
الابيض انه لعجب محض وقد حرم الله المذق فما لكم لا تجمعون هذا وان الامام
ابا عبد الله الحسين الحليمي صاحب شعب الايمان اطال الكلام على ركاكة هذه
الاسجاع بما الامر مستغنى عنه فان بديهة العقل قاطعة ببطلان هذه
المقالات ولو ان صبيا بليدا اراد ان يتكلم بمثل هذه الترهات لقدر على احسن منها
وافصح ولهذا لم يلتفت الى كلامه عقلاء الناس بل احتملت بعض بني حنيفة
الحمية فراموا مناظرة قريش والاتيان بما يشبه باساجيع الكهان واراجيز
الاعراب الجنسة وقد وقع في سجع سطيح وشق الكاهنين وفي كلام سيف

ذي يزن وغيرهم من السجع ما هو اعلى كلاما واوضح معنى مما اتى به الكذاب قال السر الطيبي

متن البسيط

ورام رجس كذوب ان يعارضه • بسخف افك فلم يحسن ولم يطل • منبج بركيك الافك ملتبس •
ملجلج بزربي الزور والخطل • ثم انه اللعين لم يقصد معارضة القران بل كان يعترف بان
قرانا من الله تعالى غير انه كان يدعي ان قرانه ايضا من الله تعالى والمعارضة لا تكون كذلك
كما لا يخفى وروي انه سال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لبعض بني حنيفة عن هذه
الترهات فاخبره بشي من ذلك فقال اين ذهبت عقولكم يا بني حنيفة ان هذا كلام لم
يخرج من ال اي من حضرة الله تعالى وبالجملة فذكر عيوب هذه المقالات وخروجها عن
نمط البلاغة فكيف بالاعجاز امر لا يحتاج الى التنبيه عليه واشتغال الحليمي بذلك تضييع
وقت وكانه رد على من قال ان السما تحتنا والارض فوقنا وعلى سوفسطاي ينكر
البديهيات والا فاي عقل يصدق بنبيا هذه معجزته واي لب يعزي هذه المقالات
الى الحضرة المقدسة ولله در السر الطيبي حيث قال بعد ما تقدم
يمج اولا فسمع سامعه • ويعتريه كلال العجز والملل • كانه منطق الورها شذ به •
ليس من الخبل او مس من الخبل • فتشبه كلام هذا اللعين بكلام امراة ورها اي حمقا
وسكلم الحمقها بالايهم ثم انه لعنه الله وضع عن قومه الصلاة واحل لهم الخمر والزنى
وسلبهم اي قريشا وسائر العرب الفصحى ما الفوه اي اعتادوا عليه من فصيح كلامهم
وهذا معطوف على قوله ما فعلوا والا اي وان لا يسلبهم الله ما الفوه من الفصاحة
في المقال فلم يخف على المميز منهم اي العقل الذي من شانه التمييز والفرق بين الحسن
والقبيح وادخال المصنف الفا في قوله فلم يخف غير صحيح لان هذا يجب فيه اسقاط الفا
لصلاحيته لان يكون فعل شرط فاذا وقع جزا وجب اسقاط الفا منه انه ليس من
نمط فصاحتهم اي طريقها ونوعها ولا جنس بلاغتهم بل ولو اعنه مدبرين فلم
يعارضوه لعدم قدرتهم ولا اذعنوا له لكمال حميتهم وعظيم شقاوتهم واتوا من عنيت

الله صح

اهل م

مكرر تامل وتدبر

مسلمين

م ش

مسلمين لعلو شانه واعجازه ما بين محقق كعمر بن الخطاب لما سمع سورة طه دخلت
الى شغاف قلبه فاهتدى وسعد سعادة لن يشقى بعدها ابدا رضي الله تعالى عنه ومعترف
عجيب من اعجازه ومتحير في بلاغته واستمر على كفره كالوليد بن المغيرة ولهذا اي وللفتنة
التي حصلت لهولا الكفار عند سماع القران لما سمع الوليد بن المغيرة ابو خالد بن الوليد
قبل كافر من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة اي حسنا وقبولا وبهجة وهي مثلثة الطا وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر شبهه بالنخلة العظيمة النافعة التي اسفلها مشتمل على
اغصان كثيرة واعلاها على ثمر نافع اذ رب نخلة معدقة لا ثمر لها ورب نخلة مثمرة لا
اغصان لها والنخلة الكاملة هي الجامعة بين الصفتين الحاوية لكلا النعتين فقد شبه
القران بهذه النخلة ففي استعارة تصريحية ثم انه لما عجز عن استقصا نعوته قال ما يقول
هذا البشر ومراده بذلك تبرئة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يكون افتراه والا فالجن
ايضا لا يقولون هذا وقد اشار الوليد الى عجز الجن عنه في خبره هذا والمصنف اقتصر على
هذا القدر منه والاقعد هذا الخبر بعد قوله ما يقول هذا البشر وقال اي الوليد لقومه ما فيكم
رجل اعلم بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه
الذي يقول شيا من هذا وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته هكذا رواه البيهقي
في الدلائل والاعتقاد عن الوليد المذكور لكن ذكر القرطبي ان القاري على الوليد ليس
النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو عثمان بن مظعون قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه ما
اسلمت ابتدا الا حيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية وانا عنده
فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فاعدت
فقال ان له لحلاوة الى اخره ولا تنافي في ذلك ما في الاحيا لحجة الاسلام الغزالي وما في
استيعاب ابن عبد البر ان قائل ذلك والمقرو عليه خالد بن عقبة فلعلهما قضيتان وقعتا

لهذا وهذا وفي سيرة ابن هشام وان اسفله لغدق بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من
الغدق وهو الماء الكثير فيكون قد شبه اسفله بما يشتمل على ما كثير في جموم الفوائد فهي استعارة
تصريحية ايضا وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تومر اي اجهر به من صدع
بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز قال البيضاوي
وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تومر به من الشرائع واقول الاجاز ان تكون
مصدرية لان التقدير حينئذ فاصدع بامرك وهو مصدر لكن من المبني للمفعول وهو مبني
على مذهب من يجيز ان يكون المصدر من المبني للمفعول بمعنى ان والفعل والصحيح عدم جوازه
ولا جائز ان تكون موصولة بالتقدير الذي قاله البيضاوي لان العائد المجرور لا يجوز حذفه
الا اذا جر بما جر به الموصول واتحد متعلقا وههنا تعلق الموصول باصدع والعائد
بتومر نعم يجوز ان تكون موصولة على تقدير ان يكون الاصل بما تومر به فحذف حرف الجر
فانتصب الضمير وحذف لانه منصوب وحذف العائد المنصوب جائز مطلقا فسجد له
فقال سجدت لفصاحته يجوز ان يعود الضمير للرجل اي لفصاحة هذا القارئ حيث
نطق بمثل هذا الكلام ويجوز ان يعود للكلام اي لفصاحة هذا الكلام والمراد بالفصاحة
البلاغة فانها تطلق على هذا المعنى كثيرا وقد وقع في هذه الاية انه شبه تبليغ النبي صلى الله
عليه وسلم ما اوحي اليه بالصدع الذي هو كسر الزجاجة والجامع التاثير البليغ بحيث يمتنع
الالتئام فالمعنى في الاية ابن الامر الذي اوحي اليك ابانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة المسمى
بالصدع لا يلتئم اصلا وقد ذكر الصدع بصيغة اصدع وهو المشبه به فهي استعارة
تصريحية لكن تبعية حيث عبر بلفظ الفعل وسمع اخر اي اعرابيا اخر اي غير الاعرابي
الاول رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا الضمير في استيأسوا عائد الى
اخوة يوسف والضمير في منه الى يوسف اي لما يئسوا لما طمعوا من يوسف من
تسليم بنيامين اليهم ولم يجبهم الى سوالهم انفردوا فيما بينهم نجيا اي متناجين

يتحدثون

يتحدثون خفية فنجيا حال من الواو في خلصوا وانما لم يطابقه بل هو واحد وذو الحال جمع
لانه يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمونث كهم نجي ونظيره هم صديق وانت صديق في
المذكر وانت صديق في المونث فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم اي برجل قائم على
راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم هو جمع بطريق وهو
الحاذق بالحرب وامورها بلغة الروم وهو ذو منصب وتقدم عندهم كذا في النهاية
الاثيرية ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من
كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي نسبة الى
اصمع بفتح الهمزة والميم وهو اسم جده لانه عبد الملك بن علي بن اصمع والاصمع في الاصل
الصغير الاذن او السيف القاطع انه سمع كلام جارية فقال قاتلك الله ما افصحك
فقالت اويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية
فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه
متفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين يعني ان ما ذكرنا من
اثبات كون القران في اعلى درجات البلاغة امر ثابت له في ذاته وهو احد انواع اعجازه
وقوله على الصحيح من القولين يشير الى ان في وجه اعجازه قولين بل اقوال فقيل هو ما
اشتمل عليه من التاليف الغريب والاسلوب العجيب المخالف لنظم العرب ونثرهم في
مطالعه التي هي اوائل السور والقصص وفواصله التي هي اواخر الايات فانها وقعت
في القران على وجه لم يعهد في كلامهم وكانوا عاجزين عنه وعلى هذا البعض المعتزلة والصحيح
في وجهه انه في درجة عالية من البلاغة لم يعهد مثلها في تراكيبهم وتقاصرت عنها درجات
بلاغتهم وعلى هذا اكثر المحققين واهل العربية ثم انهم قالوا في تفسير البلاغة انها التعبير

مناقشة مع البيضاوي

فسجد وقال سجدت لفصاحته

باللفظ المعجب بخلوصه عن معايب المفردات وتاليفاتها واشتماله على المعنى المناسب
للمقام بلا زيادة ولا نقصان في البيان وقد ثبت ان القران في الدرجة العالية الخارجة عن
طوق البشر لان من تتبع من العارفين بالبلاغة وجمع فنونها باسرها من افادة المعاني
الكثيرة باللفظ القليل ومن ضروب التاكيد وانواع التشبيه والتمثيل واصناف
الاستعارة وحسن المطالع والمقاطع وحسن الفواصل والتقديم والتاخير والفصل
والوصل اللائق بالمقام وتعريه عن اللفظ الغث الركيك والشاذ والنادر بحيث لا يرى
المتصفح له المميز بين فنون البلاغة وانواعها الاوجه احسن ما يكون ويراه مشتملا
على جملتها لم يغادر منها شيا ولا يقدر احد من البلغا الواصلين الى ذروة البلاغة من
العرب العرباء وان استفرغ وسعه وطاقته الا على نوع او نوعين منه وان رام
غيره لم يواته ومن كان اعرف بفنون بلاغة العرب كان اعرف باعجاز القران

ذكر ابي الطيب المتنبي

فهذا المتنبي الشاعر المشهور بعد ان نزل على بني كلب وادعى بينهم النبوة وانه
يوحى اليه وتبعه في ذلك جماعة من جهلتهم ورعاعهم وسفلتهم وزعم انه انزل عليه
قران فمنه قوله والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي خسار
امض على سننك واقف اثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك من الحد
في دينه وضل عن سبيله قال ابن عساكر وهذا من هذياناته وفشاره ولو لزم قافية
مدح المنافق بالنفاق والهجا والكذب والشقاق لكان اشعر الشعرا وافصح
الفصحا ولكن اراد بجهله وقلة عقله ان يقول ما يشبه كلام رب العالمين الذي لو
اجتمعت الانس والجن والخلائق اجمعون على ان ياتوا بسورة من اقصر سورة لما
استطاعوا ولما اشتهر خبره بارض السماوة وانه قد التف عليه جماعة من اهل
الغباوة خرج نائب حمص من جهة بني الاخشيد وهو الامير لولو بيض الله
وجهه فقاتله وشرد شمله واسره مذموما مدحورا وسجنه دهرا طويلا فمرض

في

في السجن واشرف على التلف فاحضره واستتابه وكتب عليه كتابا اعترف ببطلان
ما ادعاه من النبوة وانه قد تاب من ذلك ورجع الى دين الاسلام فاطلق الامير سراحه
ثم بعد ذلك اركسه الله بما كسب فنزل به الى دائرة الشعر التي هي ابغض الصفات الى
الله سيما الشعر المشحون بالكذب والنفاق كشعره وما احقه بقول بعضهم في شانه
اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا * عاش حينا يبيع في الكوفة الما
وحينا يبيع ماء المحيا * ويكفيه ان الله تعالى وسمه بسمة الكذب والبهتان وسماه
باسم لا يمحوه الملوان وهو لفظة المتنبي الدالة على الكذب بل على اقبح الكذب وهو الكذب
على الله تعالى فان معناها الذي يدعي النبوة وهو كاذب واي كذب اشنع من الكذب على
الله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله ثم بعد ذلك كان اذا قيل له هذا القول ينكره ان امكنه والا اعتذر
عنه باسمج الاعذار والقى سلاحه بعد ذلك ودخل في زمرة المعترفين بان كتاب رب
العالمين لو اجتمعت الانس والجن متظاهرين على ان ياتوا باقصر سورة منه لم يقدروا
على ذلك والحمد لله رب العالمين وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به
معلوم بالضرورة وكونه متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة
وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجاز بلاغته واذا انت تاملت انت فاعل بفعل محذوف دل عليه تاملت
الذي بعده لئلا يلزم دخول اذا الشرطية على الجملة الاسمية فهو على حد اذا السماء
انشقت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه

فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا واشباههما من الاي بل اكثر القران حققت جواب لما ما
بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عباراتها اي حسنها وزينتها وحسن تاليف
حروفها وتلاؤم كلماتها وان تحت كل كلمة منها جملا كثيرة وفصولا جمة اي مجتمعة بوصف الكثرة
وعلوما زواخر ماخوذ من زخر البحر اي مد وارتفع جدا والمراد علوما هي كالبحار الزواخر
فحذف اداة التشبيه فهو اما تشبيه بليغ واما استعارة تصريحية على اختلاف
المذهبين بين علماء البلاغة في ذلك ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت
المقالات في المستنبطات عنها والفرق بين المستفادات والمستنبطات ان الاول
يوخذ من اللفظ بما جرى الدلالات الثلاث والثاني يوخذ بطريق الاشارة والرمز
ولهذا عبر في الاول بمن المشعرة بالابتدا وان المستفاد منشاه من القران والثاني بعن
المشعرة بالتجاوز وان المستنبطات تجاوزت الفاظ القران وقد وقفنا لبعض علماء
البلاغة على بعض كلام على هذه الايات اما قوله تعالى ولكم في القصاص حياة فان معناه كثير
ولفظه يسير لان معناه ان الانسان متى قتل كان ذلك داعيا الى ان لا يقدم على القتل
فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان ارتفاع القتل
حياة وليس فيه حذف شي مما يودي به اصل المعنى المراد فان قلت فيه حذف متعلق الجار
والمجرور الذي وقع خبرا قلت ذاك حذف شي في اللفظ ما يغني عنه بل لو ذكر لكان
تطويلا والمعنى مستفاد من الجار والمجرور وقد كان لفصحاء الجاهلية في هذا المعنى جملة
يفتخرون بايجازها يريدون بها هذا المعنى وهي قولهم القتل انفى للقتل لكن كلام رب العزة
ارجح من تلك العبارة بامور منها ان ما يناظره من الاية في القصاص حياة واما لكم فلا دخل
له في المناظرة وهو اقل حروفا من قولهم القتل انفى للقتل لان حروف ما في الاية المناظر مع
التنوين احد عشر حرفا وحروف قولهم اربعة عشر حرفا نظرا الى ما في اللفظ لا بالنظر الى ما في
الكتابة لان الايجاز يتعلق به لا بها ومنها ان في الاية نصا على المطلوب الذي هو الحياة

وقوله

وقولهم مستلزم للمطلوب ولما كان المقام مقام زجر عن القتل فلا بد من النص على المطلوب
ولا يليق ان يوتى بما يستلزمه ومنها ان اتيانه بالحيوة نكرة يفيد تعظيم الحيوة فان
التنكير يفيد التعظيم وذلك التعظيم هو ان مشروعية القصاص منعت ما كانوا عليه
في الجاهلية من قتل جماعة بواحد فحصل لهم في القصاص حياة عظيمة او يقال ان التنكير
فيه للنوعية اي لكم في القصاص نوع من الحياة وهو الحياة الحاصلة للذي اريد قتله
بسبب كف القاتل عن قتله وللذي يريد القتل بارتداعه عن القتل لمكان العلم
بالاقتصاص ومنها ان عبارة قراننا مطردة لان القصاص سبب للحياة مطلقا بخلاف
القتل فانه قد يكون انفى للقتل كما في القصاص وقد يكون ادعى له كالقتل ظلما ومنها
اشتمال قولهم القتل انفى للقتل على التكرار بخلاف كلام الله عز وجل فانه خال عنه
ومنها احتياج قولهم الى تقدير اي القتل انفى للقتل من غيره بخلاف كلام الله عز وجل ومنها
اشتمال مقالة الله عز وجل على الطباق الذي هو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة
كالقصاص والحياة ولم اقف لاحد من علماء البلاغة على كلام على هذه الايات سوى
على قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك الى اخرها فانهم تكلموا عليها بكلام حسن يوافق
غرضنا الذي نحن فيه قيل ان قريشا وغيرهم من اهل مكة كانوا علقوا القصائد السبع على
باب الكعبة ويقولون لا نتركها حتى نطلع على ما هو افصح منها وكانوا يعاندون في افصحية
ما ينزل من ايات القران حتى نزلت هذه الاية فلم يبق لهم طريق الى العناد واذعنوا لها
ونظر البشر فيها من جهات اربع من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا علم
البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية اما من جهة علم البيان
ففي ما فيها من مجاز واستعارة وكناية وما يتصل بها من قرينة وترشيح وتعريض فنقول
انه عز سلطانه لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد الى الارض ما انفجر منها فارتد وان ينقطع
طوفان السماء فانقطع وان يغيض الماء النازل من السماء فغاض وان يقضي امر نوح عليه

عليه الصلوة والسلام وهو انجاز ما كان وعد الله تعالى من اغراق قومه فقضي وان تستوي
السفينة على الجودي فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بني الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي
لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين الامر بالامر الجزم النافذ في تكوين المقصود
تصوير الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته تعالى
ايجادا واعداما ولمشيته فيها تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا
علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل رضاه وتصوروا
مزيد اقتداره فعظمت مهابته في نفوسهم وضربت سرادقها في افنية ضمائرهم فكما يلوح لهم
اشارته كان المشار اليه مقدما وكما يرد عليهم امره كان المأمور به متمما لا تلتفت لاشارته بغير
الامضاء والانقياد وللامره بغير الاذعان والامتثال ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال
جل وعلا قيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب
للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال كما ترى يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة
للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه
بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي استعارة بالكناية عند السكاكي والحق انها استعارة تصريحية
تبعية لانه شبه تنشيف الارض الماء بالبلع وصرح بالمشبه به في ضمن ابلعي فتكون
تبعية ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيها له بالغذاء بجامع ان كلا منهما
تحصل به التقوية وقرينة الاستعارة لفظ ابلعي الموضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء
ثم امر الارض بقوله ابلعي تشبيها لها بالعقلاء المميزين بجامع الانقياد لامر الله تعالى
وخاطب في الامر ترشيحا لاستعارة النداء ثم قال ماءك مضيفا الماء اليها تشبيها
لاتصال الماء بالارض باتصال المملوك بالمالك ثم شبه احتباس المطر بالاقلاع الذي
هو ترك الفاعل الفعل بجامع عدم ما كان ثم خاطب السماء تنزيلا لها منزلة ما من
شأنه ان يخاطب وهم العقلاء المميزون ثم قال وغيض الماء وما عطف عليه ولم يصرح

بفاعل

بفاعل هذه الافعال للعلم بان هذه الامور العظيمة لا تتأتى الا من ذي قدرة لا تكتنه قهار
لا يغالب فلا سبيل الى ذهاب الوهم الى ان يكون غيره جلت عظمته قائل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي ولا غائض ما غاض ولا قاضي مثل ذلك الامر الهائل وان يكون تسوية السفينة
واقرارها بتسوية غيره واقراره وختم الكلام بعد ذلك بما يفيد التعريض بان هذا العذاب
يستحقه كل من سلك هذا المسلك وانه لم يفعل بهم ذلك الا من حيث ظلمهم لانفسهم
وان قيامه الطوفان الهائل لم تكن الا لهذا نسأل الله النجاة ورعاجئينا واما من جهة
علم المعاني فيقال انما اتى بيا من بين حروف النداء لانها للبعيد فهي مشعرة باستهانة
المنادى بفتح الدال وبعده عن ساحة العزة وابداء شأن العزة والجبروت لذي الملك
والملكوت تعالى وتقدس ولهذا ايضا لم يضفها اليه تحقيرا لها بالنسبة الى ساحة عزه
وعظيم سلطانه فلم يقل يا ارضي ولهذا ايضا قال ويا سماء اقلعي ولم يقل يا سمائي ولم
يأت بصيغة الجمع في الارض مع انها تجمع ارضين لان المقام مقام اظهار الكبرياء والجبروت
ولا يخفى ما في صورة الجمع من الاستكثار المشعر بنوع عزة للارض وللسماء والمقام
مقام تحقيرهما بالنسبة الى كبرياء الله تعالى وانما لم يترك المفعول لئلا يستلزم تركه بلع غير
الماء من الجبال والتلال والبحار وساكنات الماء وقدم الارض على السماء لانها هي الاصل في
الطوفان ولان سببه وهو ظلم اهلها انفسهم نشأ منها واما من جهة الفصاحة في المعاني
فهي ذات نظم لطيف وتأدية للمعنى ملخصة لا تعقيد فيها يعثر الفكر ولا التواء يشبك
الطريق تجد عند اختبار الفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق الفاظها فما من
لفظة تسبق الى سمعك الا ومعناها يسبق الى ذهنك وقلبك واما من جهة الفصاحة
اللفظية فالفاظها عربية جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة
عذبة على العذبات سلسة على الاسلات قال السكاكي ولله در التنزيل لا يتأمل
العالم آية من آياته الا ادرك لطائف لا تتسع لحصرها ما ذكرناه من لطائف الآيتين وجوناه

للعلماء والامن لم ادنى ادراك اذا سمع ايات القران انشرح صدره الى مسايل يدركها وان لم
يمكن ان يعبر عنها بعبارة ولا يحوم حولها باشارة ثم هو في سرد القصص الطوال اي في ذكرها
بطريق المتابعة والجار متعلق بقوله بعد اية لمتاملها واخبار القرون السوالف القرن في
الاصل زمن مخصوص قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من
الزمان ثم نقل عرفا الى اهل الزمن قال تعالى حكاية عن فرعون قال فما بال القرون الاولى اي
اهل الازمنة الماضية وفي الحديث خير القرون قرني ثم الذين يلونهم اي الصحابة ثم
التابعين اي خير القرون اهل زمني الذين شاركوني في ايامي والسوالف جمع سالفة اي
ماضية التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام لانها حكاية امر خارجي فيفتقر
البليغ الى مطابقته وهو في غاية العسر كما يشهد بذلك التجربة ويذهب ماء البيان معطوف
على يضعف فيقدر في الكلام ضمير يرجع الى الموصول لان المعطوف على الصلة صلة اي
يذهب ماء البيان عندها والمراد بالبيان المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وذهاب ماءه
كناية عن ذهاب رونقه وزوال بهجته لتقيد الفكر بمطابقة القصص بخلاف ها يتسكل
القصص الواقعة في التنزيل فانك تجدها في مقام حيرة الالباب وذروة لا يمكن الوصول
بجهد ولا التطرق الى ساحتها بباب اية لمتامله اي علامة دالة على صدق المتحدي
به صلى الله عليه وسلم لمن يتاملها من ربط بيان لوجه كونه اية اي وجه كونه اية هو ربط الكلام
بعضه ببعض بحيث يعلم سامعه كانه افرغ في قالب واحد وكانه عقد في سمط تناسبت
لالئه والتئام سرده اي موافقة ايراده بحيث تكون كل كلمة مع صاحبتها في مقامها
اللائق بها الذي يقتضيه اساليب البلاغة وتطلبه قواعد الفصاحة وتناصف
وجوهه اي وقوع وجوهه على اسلوب اللياقة والانصاف الخالي عن طرفي الافراط
والتفريط كقصة يوسف النبي او ردها على طولها في نفس الامر في قدر قليل بالنسبة
الى ايراد غيره اياها ثم اذا ترددت قصصه اختلف العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد

كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها يشير بذلك الى ان قصصه وان تكررت في سور متعددة
كقصة ابليس مع ادم وحوا وقصة موسى عليه الصلوة والسلام مع فرعون وقصة ابرهيم عليه
الصلاة والسلام كل واحدة منها وقعت بعبارات تطابق مقتضى المقام الذي وردت فيه وتحتوى
على اساليب تناسب ما سيقت لاجله وكلما قرات القصة في موضع نسيت ايرادها في
الموضع الاخر ورايت ذكرها في كل من المواضع يحتوي على محاسن تعادل محاسن الموضع
الاخر بحيث تصير كانك سمعتها الان وكانها لم تطرق سمعك قبل الان وتناصف في الحسن
وجه متقابلتها اي يصير كانها هي ومقابلتها تناصفا كل الحسن فاخذت هذه نصفا
والاخرى نصفا اخر وهذا كناية عن ان النكات التي اشتملت عليها هذه القصة غير النكات
التي اشتملت عليها حين ذكرت في الموضع الاخر وان كانت القصة واحدة فقصة ادم
وحوا وابليس المذكورة في سورة البقرة اشتملت على محاسن لا تعد ولا تحد طابقت
المقام الذي ذكرت فيه وناسبت الموطن الذي وردت فيه وحين ذكرت في سورة الاعراف
وفي سورة الكهف وفي سورة الحجر وفي سورة ص وغير ذلك رايت فيها من مقتضيات
الاحوال امورا تنسيك في موضع تلك القصة في موضع اخر ولهذا لا تنفر النفوس من
ترديدها ولا معاداة لمعادها اي النفس من شانها انها تنفر من ترديد الشيء الواحد وانها
تعادي اي تمقت وتكره الكلام المعاد والقصص التي في القران ولو اعيدت مائة مرة
كلما سمعتها النفس سيما نفوس العلماء الذين اطالوا خدمة فني البلاغة ازدادت لذة
بسماعها فاحل تكرار فباي آلاء ربكما تكذبان في سورة الرحمن بحيث كلما سمعها الانسان
مرة كانه لم يسمعها قبل ذلك وان كان يتراءى ورودها في قالب واحد الا ان كل واحدة
طابقت الحال التي ذكرت فيه فكانت كل واحدة منها غضة جديدة مغايرة للتي سبقتها
وللتي لحقتها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب
اي تركيبه والاسلوب الغريب اي الطريق الذي في كتاب الله ليس له مشارك في كلام

كل واحدة

يعني قول المصنف موجه نظمه العجيب

العرب المخالف لاساليب كلام العرب حيث قال ونثرها ومناهج اي طرق نظمها اي العرب
والمراد بالنظم هنا غير النظم الاول اذ المراد هنا الكلام الموزون بوزن مخصوص بقرينة ذكر
النثر في مقابلته الذي جا اي كلام الله عليه اي على ذلك الاسلوب قال القاضي ابوبكر
الباقلاني ان نظم القران على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود
من نظام جميع كلامهم ومباين للمالوف من ترتيب خطابهم وله اسلوب يختص به
ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد وذلك ان الطرق التي يتقيد بها الكلام
البديع المنظوم تنقسم الى اعاريض الشعر على اختلاف انواعه ثم الى انواع الكلام
الموزون غير المقفى ثم الى اصناف الكلام المعدل المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع
ثم الى ما يرسل ارسالا فيطلب به الاصابة والافادة وافهام المعاني المعترضة على
وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيه بجملة الكلام
الذي لا يتعمل ولا يتصنع له وقد علمنا ان القران خارج عن هذه الوجوه لهذه الطرق
قال ويبقى علينا ان نبين انه ليس من باب السجع ولا فيه شي منه وكذلك ليس من
قبيل الشعر لان من الناس من زعم انه كلام مسجع ومنهم من يدعي ان فيه شعرا
واذا تاملنا هذا القران الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه علم انه
خارج عن هذه الاصناف كلها وعن اساليب كلام العرب كله وعن طرز خطابهم وانه
معجز من وجوه اعجازه اذ ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة
والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب
في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر وانما ينسب الى
حكيمهم كلمات معدودة والفاظ قليلة والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها
ما نبينه لك بعد هذا من الاختلال ويعترضها ما نكشف من الاختلاف ويقع فيها
ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف وقد جا القران على كثرته وطوله

متناسبا

متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله به فقال عز من قائل الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فاخبر ان كلام
الآدميين ان امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال ومنها ايضا ان نظم العجيب
وتاليفه البديع لا يتفاوت ولا يتباين على ما ينصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها
من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم واحكام واعذار وانذار ووعد ووعيد
وتبشير وتخويف واوصاف وتعليم اخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ونحو ذلك
من الوجوه التي يشتمل عليها ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع
يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم
من يبرز في الهجو دون المدح ومنهم من يسبق في التقريظ دون التابين ومنهم من يجود في
التابين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الابل او الخيل او سير الليل او وصف
الحرب او وصف الرياض او وصف الخمور او الغزل او غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر
ويتناوله الكلام ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس اذا ركب وبالنابغة اذا رهب وبزهير
اذا رغب ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر اجناس الكلام ومتى تاملت
شعر الشاعر البليغ رايت التفاوت في شعره على حسب القوة التي يتصرف فيها
فياتي بالغاية في البراعة في معنى فاذا جا الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف
على شعره ولذلك ضرب المثل بالذين سميناهم لانه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر
ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم فاذا كان الاختلال بينا في شعرهم لاختلاف
ما يتصرفون فيه استغنينا عن ذكر من دونهم ويستغنى به عن ذكر مثله في الخطب
والرسائل ونجد من يجود نظم في الرجز ولا يقدر على نظم قصيد اصلا ومن الناس من
ينظم القصيد وهو في الرجز راجل ومن الناس من يجود في المرسل فاذا اتى

الظ ضرب المثل بهولاء

بالموزون قصر ونقص نقصا عجيبا ومنهم من هو على ضد ذلك وقد تاملنا نظم القران
فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد وسنن عال في حسن
النظم وبديع التاليف والترصيف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن الرتبة العليا ولا
اسفاف فيه الى الرتبة الدنيا وكذلك تاملنا ما ينصرف اليه من وجوه الخطابات من
الايات الطويلة والقصيرة فراينا الاعجاز فيها على حد واحد لا يختلف وكذلك قد
يتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة فراينا غير مختلف ولا
متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة فعلمنا بذلك انه غير مقدور للبشر
لان الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه
واختلاف الاسباب التي تتباين ووقعت مقاطع اياته معطوف على صلة الموصول
اي الاسلوب الذي وصلت اليه مقاطع الايات اي منتهاها واخرها فانه اسلوب
مخالف لاساليب مقاطع السجعات التي تاتي بها العرب وانتهت فواصل كلماته اليه
اي ان للقران اسلوبا عجيبا في انتهاء فواصل الايات فانها تنتهي الى حد عجيب جدا
باسلوب مخالف لسائر الاساليب ولهذا قال ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا
استطاع احد مماثلة شي منه فان قلت ما الفرق بين الاية والفاصلة قلت رسموا الفرق بين الفاصلة والاية والسجع والقافية
الاية بانها قران مركب من جملة فاكثر ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة
والفاصلة بكلمة في اخر اية كقافية الشعر وقرينة السجع فان قلت هل يجوز تسمية
فواصل قوافي قلت الجمهور على عدم الجواز لان الله تعالى سلب عنه اسم الشعر فوجب لعله الايات
سلب القافية عنه ايضا لانها منه وخاصة به وكما يمتنع استعمال السجع في القران يمتنع
استعمال الفاصلة في الشعر لانه صفة كتاب الله عز وجل فلا تتعداه الى غيره بل حارت
فيه عقولهم لانهم راوه مخالفا لاسلوب كلام البشر ولكن مع كونه من البلاغة
في الحد الذي ليس فوقه رتبة والخذلان والعياذ بالله حملهم على ان لا يعترفوا انه كلام رب
العلمين

العلمين عز وجل فلم تقدر عقولهم على سلوك جهة واحدة في شانه بخلاف المومن فانه قضى
بانه كلام رب العلمين واندفعت عنه الحيرة وتدلهت دونه احلامهم تدلهت اي تحيرت
والاحلام الالباب والعقول واحدها حلم بالكسر وفي النهاية كانه من الحلم وهو الاناة
والتثبت في الامور وذلك من شعار العقلا ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم اي لم
يقفوا لبعد اطلاعهم على كلام جميع الفصحا من جنس العرب على كلام يماثل كتاب الله تعالى
في سائر انواع النظم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد بن المغيرة هو ابو خالد مات على كفره وقرا اي النبي صلى الله عليه وسلم عليه
اي على الوليد القران قراة مبلغ ناصح رق اي مال الى الحق وذهب عنه العتو والكفر
فجاء ابو جهل قتل كافرا يوم بدر منكرا عليه حيث استحسن القران ورق لسماعه فقال
اي الوليد رادا لانكار ابي جهل ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي
يقول اي النبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذا اي من الشعر وفي خبره اي الوليد الاخر حين
جمع قريشا عند حضور الموسم هو الوقت الذي يجتمع فيه الحاج كل سنة كانه وسم بذلك
الوسم وهو مفعل من الوسم اسم للزمان لانه معلم لهم بفتح اللام وسكون العين يقال وسمه
يسمه وسما وسمة اذا اثر فيه بكي ومنه الحديث كان يسم ابل الصدقة اي يعلم عليها بالكي
فقال ان وفود العرب ترد جمع وفد وهم القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد
وكذلك الذين يقصدون الامرا لزيارة او استرفاد او انتجاع وغير ذلك ووفد على الشي اشرف
فاجمعوا فيه رايا بجوز فيه قطع همزة اجمعوا على ان يكون من الاجماع بمعنى العزم اي اعزموا
فيه على تحصيل راي سديد يخلصكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز وصلها على انه من
الجمع ضد التفريق اي اجعلوا رايكم مجتمعا لا تفريق فيه بحيث يذهب كل انسان منكم الى
مذهب ويرى كل انسان فيه رايا يخالف راي الاخر بقرينة قوله لا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن اي هو كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل

الزمان ويدعي معرفة الاسرار وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان
يزعم ان له تابعا من الجن ورئيا يلقي اليه الاخبار ومنهم من كان يزعم انه يعرف الامور
بمقدمات واسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يساله او فعله او حاله وهذا
يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشي المسروق ومكان الضالة ونحوهما قال اي
الوليد والله ما هو بكاهن اي فان قلتم انه كاهن فقد كذبتم وظهر كذبكم وكانوا يرون
الكذب مع كفرهم عارا عظيما ما هو اي القران بزمزمته الزمزمة بزايين معجمتين بينهما
ميمان وهي صوت ضعيف قال السهيلي كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء
ويقال ايضا زمزم الرعد وهو صوته قبل الهدر وكذلك الكهان كانت لهم زمزمة الله
اعلم بكيفيتها ولا سجعه السجع الكلام المستوي الذي ياتي على نسق واحد وكانت الكهان
يروجون باطلهم بالكلام المسجع وفي حديث الجنين لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بغرة عبد
او امة قال له رجل كيف ندى من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انما هذا من اخوان الكهان وانما قال ذلك لهذا السجع الذي اتى به فان اتى
بسجع اشتمل على باطل كان كلامه معابا وليس كل من اتى بسجع عيب عليه ما لم يشتمل
سجعه على الباطل قالوا مجنون اي نقول في شانه هو مجنون اي به دا الجنون قال اي
الوليد ما هو بمجنون وزاد الباقي خبر ما النافية لتشعر بالمبالغة في نفي الجنون عنه
لان للجنون علامات منها الخنق فلهذا قال نافيا لعلامة الجنون المستلزم لنفي العلة
ولا بخنقه بالخا المعجمة وسكون النون وكذا في نونه الفتح والكسر وهو هيئة تحصل
لذي الصرع من انواع المجانين ولا وسوسته وهي هيئة تحصل لبعض المجانين يحدث
نفسه ويخلط في مقاله فان قلت باي شبهة نسب اليه الجنون قلت لما اتى بخوارق
للعادة والخوارق تصدق في دعوى النبوة والجن لهم قدرة على الاتيان ببعض الخوارق
فنسبوا اليه ان ما اتى به من الخوارق فعل الجن وان بينه وبين الجن مشاكلة ويكون ذلك

ولها

داعيا الى تكذيبه في دعوة الرسالة من الله تعالى قال اي الراوي لهذا الحديث عنهم انهم
قالوا فنقول شاعر قال اي الوليد ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وهما نوعان من الشعر معروفان وهذا دليل على ان الرجز شعر ومبسوطه الظاهر ان
المراد به ما كان مبسوطا من الاشعار اي مستطيلا وهو بهذا المعنى شامل للطويل
والمديد والبسيط والكامل والوافر والرجز والهزج والرمل ونحوها ومقبوضه
الظاهر ان يراد ما كان قصيرا من اشعارهم كالمنسرح والخفيف والسريع والمقتضب
والمتقارب والمتدارك وقريضه القريض الشعر مطلقا فهو من عطف العام على
الخاص او اريد به نوع مخصوص منه قالوا فنقول ساحر قال اي الوليد ما هو بساحر
لان الساحر هو الذي يستعين على ما ياتي به من الخوارق بمقاربة الشياطين وذلك
لا يحصل الا لمن نشا في الشر وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام
والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي ولا نفثه هو في الاصل النفخ مع ريق
والساحر يتعاطى النفث كثيرا فلهذا صار علامة له ولا عقده العقد الربط والساحر
يكثر منه عقد الخيوط فصار ذلك علامة له قالوا فما نقول اي فما نقول من الاقوال التي
تكون قريبة من الصدق عند من لم يمعن النظر قال ما انتم بقائلين من هذا شيا الا وانا
اعرف انه باطل اي وغيري اذا فحص يطلع على بطلانه وان اقرب القول انه ساحر يجوز في
ان هذه وجهان فتح الهمزة وكسرها لانها وقعت بعد مبتدا هو في المعنى قول ووقع خبرها
قولا فالفتح بنا على ان ان وصلتها موولة بمصدر هو خبر عن قوله اقرب والتقدير اقرب
القول سحر فاقرب مبتدا وسحر خبره ومن كسر جعل انه ساحر جملة باقية على جمليتها
لم توول بمصدر واريد بها لفظها والتقدير اقرب القول هذا المقال الذي هو انه ساحر
كما تقول اول قراتي سبح اسم ربك الاعلى فجملة سبح اسم ربك الاعلى خبر عن اول ولا يحتاج
هذه الجملة الى رابط لانها نفس المبتدا في المعنى فهو مثل نطقي حسبي الله وكفى فانه اي ما

اتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحر يفرق بين المرء وابنه كما فرق بين ابي بكر الصديق وابيه
ابن قحافة والمرء واخيه كما فرق بين حمزة وابي لهب وهما اخوان فصارا عدوين
والمرء وزوجه كما فرق بين رقية وزوجها والمرء وعشيرته كما فرق بين عثمان بن عفان
وبني امية لكن هذا القائل لعنه الله فاته انهم ما فارقوهم الا في الله تعالى لكونهم تركوا دين وتركوهم لله
الله ولو عادوا الى الدين لكانوا احب الناس اليهم والسحر لا يكون على هذا النمط فتفرقوا
وجلسوا على السبل اي الطرق يحذرون الناس اي من اتباع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجملة يحذرون الناس حال من الضمير المرفوع في تفرقوا وفي جلسوا فتنازع
فيها عاملان ويمكن ان تكون جملة يحذرون الناس حالا من ضمير جلسوا وجملة
جلسوا حال من ضمير تفرقوا باضمار قد والتقدير تفرقوا وقد جلسوا على الطرق يحذرون
الناس فتكون حالا متداخلة وصفة تحذيرهم انهم يقولون لمن راوه من العرب
ان هذا الرجل ساحر وقالوا هذه المقالة لمن لقوه من العرب ثم ان العرب صدرت
من ذلك الموسم وقد فشا فيهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبليغه عن الله تعالى
وعيبه الاصنام وسبه لها وكان لهم الشغف الزائد بها والاكباب على عبادتها
فعند ذلك خشي ابو طالب دهاء العرب ان يركبوه مع قومه فقال القصيدة مضمونها
انه يعيذ فيها بحرم مكة ومكانه منها ويتودد فيها لاشراف قومه وهو مع ذلك يخبرهم
وغيرهم انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يهلك دونه وهي نيف وثمانون
بيتا اوردنا اخرها لما فيه من مدح النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو طالب

من الطويل

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد ۝ واخوته داب المحب المواصل ۝
فمن مثله في الناس اي مومل ۝ اذا قاسه الحكام عند التفاضل ۝
حليم رشيد عادل غير طائش ۝ يوالي الها ليس عنه بغافل ۝
فوالله لولا ان اجي بسبة ۝ تجر على اشياخنا في المحافل ۝

لكنا

لكنا اتبعناه على كل حالة ۝ من الدهر جدا غير قول التهازل ۝
لقد علموا ان ابننا لا مكذب ۝ لدينا ولا يعنى بقول الاباطل ۝
فاصبح فينا احمد في ارومة ۝ يقصر عنها سورة المتطاول ۝
حدبت بنفسي دونه وحميته ۝ ودافعت عنه بالذرا والكلاكل ۝

ثم ان قريشا استمرارهم للشقا الذي اصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن اسلم معه منهم فاغروا به سفهاءهم فكذبوه واذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة
والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لامر الله تعالى لا يستخفي به مباد لهم بما
يكرهون من عيب دينهم واعتزال اوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم وانزل الله تعالى في
الوليد الذي دلهم على هذه المقالة الكاذبة الشنيعة وحملهم على هذه الفرية الفضيعة
ومن المعلوم ان من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها قوله ذرني
ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة مات على كفره مقتولا يوم بدر
قاتله عبيدة بن الحارث لكن لم يذفف عليه فكر عليه الاسدان حمزة وعلي ابن ابي طالب
فذففا عليه والمستحق لسلبه عبيدة لانه الذي ازال منعته حين سمع القران
يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيا الا وقد علمته وقراته وقلته للجملة حال من شيا
سوغ وقوعه ذا حال وقوعه نكرة في سياق النفي فعمت وزال منها الابهام المانع
من وقوعها ذا حال بسبب العموم والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط
ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة فان قلت نفي
كونه شعرا ظاهر لان للشعر اوزانا معروفة وهذا القران لا يراد منه الوزن المعروف
ولا غيره ونفي كونه كهانة ظاهر ايضا لان اساجيع الكهان معروفة مستندة الى رئي من الجن
واما كونه ليس سحرا فمن اين عرف ذلك قلت عرف من شان الذي ظهر منه فانه لم يعرف
بصفات الساحرين قط ولا نسب اليه عدو ولا صديق انه تعاطى شيا من اسباب

السحر وان رمي به رميا مفترى غير مستند الى سبب والسحر له اسباب معروفة لا
يوجد الا منه وقومه كانوا اعرف الناس به ولو تعاطى شيا من هذه الاسباب لكانت لهم
متمسكا في عداوته مع انهم رموه بالسحر على طريقة لا يكذبهم الا المتامل حال النبي صلى الله
عليه وسلم كما قدمنا وتقدم معنى الكهانة فعل الكاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الغايبات
وكان في العرب كهنة كثيرون كشق وسطيح وان منهم من له رئي جني يلقي اليه الخبر عن المغيبات
ومنهم من يدعي معرفتها باسباب ومقدمات وهذا يخص باسم العراف وقال النضر بن

مطلب الفرق بين الكاهن والعراف

الحارث هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف واللام ابن عبد مناف بن
عبد الدار بن قصي القرشي العبدري مات على كفره قتل بعد وقعة بدر تولى قتله
علي بن ابي طالب بامر النبي صلى الله عليه وسلم نحوه اي قريبا من مقالته عتبة وقد
يلتبس هذا باخيه النضير بالتصغير ابن الحارث وهذا مومن مهاجر وكان مشهورا
بالحلم قتل يوم اليرموك شهيدا رحمه الله ورضي عنه وفي حديث اسلام ابي ذر اي
الغفاري الذي اختلف في اسمه اختلافا كثيرا اصح ما قيل فيه انه جندب بن جنادة
وقيل برير بالتصغير ابن عبد الله وقيل جندب بن سكن كان من فضلا الصحابة والكابرهم
لم يتقدمه في الاسلام سوى اربعة وكان خامسهم ثم رحل الى قومه فكان عندهم حتى قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقدم عليه ووصف اخاه انيسا فقال اي ابو ذر
في شان اخيه والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا
في النهاية الاثيرية المناقضة مفاعلة من نقض البنا وهو هدمه اي ينقض قولهم
وينقضون قوله واراد به المراجعة والمرادة وهذا يشعر بقوته في الشعر لان
من غالب اثني عشر شاعرا فهو من القوة في الشعر بمكان في الجاهلية اي قبل
ظهور الاسلام وانما خص شعرا الجاهلية بذلك لقوتهم المعلومة في الشعر وفصاحتهم
التامة بخلاف شعرا الاسلام فانهم دونهم في ذلك انا احدهم يعني ابو ذر نفسه

مطلب النضر والنضير ابنا الحارث وهو النضر الاول قتل كافرا واخوه النضير بالتصغير قتل مومنا شهيدا فسبحان من يسعد ويشقي

وحديث

وحديث اسلام ابي ذر هذا رواه مسلم في صحيحه وليس فيه ذكر وصف ابي ذر اخاه بما
ذكر ولعله في حديث اخر غير الذي رواه مسلم فيكون جملة ووصف اخاه جملة فعلية جاهزة
في محل نصب حال من ابي ذر والعامل فيه متعلق الجار والمجرور الواقع خبرا وقد هنا
مضمرة وصح وقوع المضاف اليه حالا لان المضاف مثل جزيه وانه انطلق الى مكة الواو
هنا هو مبتدا وخبره قوله وفي حديث اي هذا اللفظ ثابت في حديث اسلام ابي ذر وجا
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت ما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقرا الشعر اي طرقه وبحوره وانواعه
وقيل هي قوافيه التي تختم بها كاقرا الحيض التي ينقطع عندها فلم يلتيم اي يتناسب
مع الشعر وما يلتيم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون اي
اني قطعت وجزمت بانه ليس بشعر ولا يمكن ان احدا غيري يحكم بانه شعر لان للشعر
اوزانا مخصوصة وقوافي معلومة لا يلتيم على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كما يعتبر
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز اي الاتيان
باقل من عبارة المتعارف من غير اخلال والبلاغة اي كون الكلام مطابقا لمقتضى الحال
بذاته اي لا بصرف الله الناس عن معارضته كما توهمه بعضهم والاسلوب الغريب الذي
لم يسبق اليه بذاته اي حصل له الاعجاز في نفسه وذاته لا بصرف الله الناس عنه كل
واحد منهما على حدة نوع اعجاز على لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد
خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ايمة المحققين
وحاصله ان بعض العلما ذهب الى ان اعجاز القران بنظمه الغريب وتركيبه العجيب واسلوبه
المخالف مطالعه ومقاطعه وفواصله لما استنبطه العلما من اساليب كلام العرب
وذهب الى هذا بعض المعتزلة فجعل وجه اعجازه هذا فقط ومنهم من ذهب الى ان
وجهه هو ما اشتمل عليه من كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها

على التحقيق

وتفوق سائر الدرجات ويتقاصر عنها سائر ضروب البلاغات وهذا مذهب الجاحظ من
المعتزلة واهل العربية ومن خص من الفريقين وجه الاعجاز في وصف لم ير الاخر معجزا
والحق ان كل واحد من الاوصاف معجز فلا يقدر احد على الاتيان بالمجازه ولا باسلوبه
الغريب ولا ببلاغته وذهب بعض المقتدى بهم في الدين وهو القاضي ابو بكر الباقلاني
الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه
القلوب والصحيح ما قدمناه من ان كل وصف على حياله معجز والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه الارهاف السن يقال ارهفت السكين اي سننتها وهو كناية عن
ممارسة الخاطر للعلوم المذكورة والاكثار من الاعتناء بها وقد اختلف ائمة اهل السنة
في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته اي قوته ومتانته ومنه
جزل الغضا اي حطبه القوي الشديد وفي الحديث اجمعوا لي حطبا جزلا اي غليظا شديدا
والمراد من القوة المضاف الزيادة كانه يقول في زيادة قوته ولو قيل ان للقوة قوة
لصح ونصاعة الفاظه اي خلوصها من التعقيد والجفا ومج الاسماع وفي الحديث المدينة
كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها اي تخلصه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة اي عادة عن اقدار
الخلق عليها كاحيا الموتى الذي وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم ولابرهيم الخليل عليه الصلوة
والسلام وقلب العصا ثعبانا كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام وتسبيح الحصا الذي وقع
لمحمد صلى الله عليه وسلم والحاصل ان عجز العرب عن معارضة القران امر لا شك فيه لكن العجز
عن الشي اما ان يكون لامر قام به لا يمكن القوى البشرية ان تصل اليه كاحيا الموتى
وحنين الجذع فان خروج صوت من خشبة بلفظ فصيح مقرون ببكا ونحيب امر خارق
للعوائد لو بلغ البشر في القوى البشرية مهما بلغ لم يصل الى هذا الحد والقران عند جمهور

العلماء

انظر الى الحق ان كل واحد من الاوصاف معجز

اي في قول المصنف قوة جزالته ع ا لجزالة بمعنى القوة

حنين صح

العلماء الاعجاز فيه من هذا الوجه فان له فصاحة وجزالة ونظاما مقرونا بمعنى صحيح حسن في مقام
لا سبيل الى عقل بشر ولا الى نطقه ان ياتي بمثل اقصر سورة منه فعجزوا عن معارضته عجز من
لم يقدر على الامر في نفسه اولا واخرا لا عجز من له قدرة عليه ولكن الله تعالى لم يهيئ له اسباب
المعارضة كعجز من ربط واوثق في مطمورة فلم ير الشمس والقمر ولولا مانع الربط لراهما
بل من قبيل عجز من لم يقدر على الصعود الى السما فالقران معجز من حيث هذه الامور الثلاثة
والعرب قد احست من انفسها ان القران خارج عن جنس كلامهم جملة ولذلك كل من كان
له ادنى معرفة بالعربية يعرف اعجازه الا ان البلغا يعرفون وجوه الاعجاز فيه على قدر
مراتبهم في البلاغة ومن كان افصح وابلغ كان معرفته اشد واوضح كما ان من كان اسحر
في زمن موسى عليه الصلوة والسلام كان علمه بوجه اعجاز العصا اوفر ومن كان احذق
في الطب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام كانت معرفته باعجاز احيا الموتى وابراء
الاكمه والابرص اكثر ومن كان اعلم في علم الطبيعة في زمن الخليل عليه الصلوة والسلام
كان تيقنه باعجاز السلامة من النار اشد واصدق واما ان يكون عجزهم عن معارضته
لصرف الله تعالى اياهم عنها فعجزهم لذلك لا لانه بلغ مبلغا لا يمكن البشر معارضته واليه
اشار بقوله وذهب الشيخ ابو الحسن الظاهر انه الاشعري وبه جزم الشارح البرهان
الحلبي الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه
لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه هذا القول
مذهب من يقول ان وجه اعجازه الصرفة اي المنع من المعاد وقد كانت العرب قادرة على
كلام مثل القران فصرفهم الله عن معارضته لا بمعنى ان الله تعالى سلب عنهم القدرة على
التلفظ بما يساوي القران في الفصاحة بل بمعنى ان الله تعالى صرف دواعيهم الى المعارضة
مع ان اسباب توفر الدواعي كانت حاصلة من التقريع بالحق والاستنزال عن
الرياسات والتكليف بالانقياد والخضوع وهذا قول النظام من المعتزلة والاستاذ

هذا المحل الذي هو الا مقال الذاهبين الى الصرفة اي ان الله اعجزهم بسبب انه صرفهم عن ذلك كما سلف تقريره ذكر كله ستقوله ... ابرهيم

منا او بمعنى ان الله تعالى سلب عنهم العلوم التي لا بد منها في الاتيان بمثل القران في البلاغة وهذا
مذهب المرتضى من الشيعة قال ان العلوم التي لاجلها يمكن الاتيان بكلام مساو للقران
في البلاغة او مقارب له كانت حاصلة عند العرب والعلم بنظم القران كان حاصلا عندهم
والمعتاد ان كل من حصل عنده هذان العلمان يكون ممكنا من الاتيان بمثل القران ثم كلما
حاولوا ذلك ازال الله عنهم تلك العلوم فيعجزون ونقل هذا عن الاشعري لم اقف عليه
الا في كلام المصنف والمعروف ان الاول هو مذهب ابي الحسن الاشعري اللهم الا ان
يريد بابي الحسن رجلا اخر وعلى الطريقين اي سواء قلنا بان اعجاز القران لامر ثابت
له او قلنا بالصرفة فعجز العرب عنه ثابت اذ لو قدروا على معارضته لما صار لهم ما صار
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة
البشر لازم وهو ابهر اية واجمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال قال امام
الحرمين في ارشاده فان قيل ما الذي يؤمنكم ان القران عورض ثم كتم ما عورض به قلنا
هذا محال اذ لو كان كذلك لظهر الامر واشتهر للخطب العظيم والاخفى في مستقر العادة
وادعاء ما ذكره السائل بمثابة ادعاء خليفة قام بامر المسلمين قبل ابي بكر رضي الله عنه
وذلك يعرف بطلانه على الضرورة والذي يعضد ما قلناه ان الكفرة من لدن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى زماننا بادلوا جهدهم في ان يتكافوا القران باقصى الامكان فلو كانت
المعارضة ممكنة غير متعذرة لاحتالوا فيها على كرور الدهر وطول العصور ولو خفيت
معارضته لا ستجد مثلها ثم ان كان هذا السوال صادرا من القائلين بالنبوات انعكس
عليهم جميع ما اوردوه في معجزات نبيهم فيقال لليهود ما يؤمنكم ان موسى عليه الصلوة
والسلام عورضت اياته ثم تواضع بنو اسرائيل على طمس الخبر عاجزين عن معارضته
انتهى بل صبروا على الجلاء بفتح الجيم والمد الخروج عن الدار والمال وفي حديث العقبة انكم

تبايعون

تبايعون محمدا صلى الله عليه وسلم على ان تحاربوا العرب والعجم مجلية والجلاء مثله وهو مصدر
اجليته وهو وجليته بمعنى واحد وكلاهما ياتي لازما ومتعديا فيقال جليت اي خرجت عن
الوطن وجليته اي اخرجته واجليت اي خرجت عنه واجليته اي اخرجته والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل عطف تفسيري شبه ما نالهم من الذل بمشروب ردي وضع
في كاسات فهي استعارة تصريحية وذكر التجرع ترشيح وذكر الكاسات واراد ما فيها
من قبيل اطلاق المحل وارادة ما حل فيه والكاسات جمع كاس وهي الاناء فيه شراب ولا يقال
لها كاس الا اذا كان فيها شراب وقيل هي اسم لهما على الانفراد والاجتماع ولفظة الكاس
مهموزة وقد يترك الهمزة تخفيفا وكانوا من شموخ الانف الشموخ العلو وهو كناية عن
الارتفاع والتكبر واباية الضيم اي الامتناع من فعل يوجب الضيم والمشقة على علم
بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من
قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح اي الاصابة للمطلوب وقطع العذر
وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما
منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في
ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم النطفة يقال للماء
الكثير والقليل وهو بالقليل اخص ومن اطلاقها على الكثير قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال
الاسلام يزيد واهله وينقص الشرك واهله حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى
جورا اراد بالنطفتين بحر المشرق وبحر المغرب وقيل اراد ماء الفرات وماء البحر الذي
يلي جدة ومن اطلاقها على القليل ما في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
هل من وضوء فجاء رجل بنطفة في اداوة اي ماء قليل ومنه سمي المني نطفة لقلته والماء
المعين هو الجاري السهل الماخذ فاضافة معين الى مياههم من اضافة الصفة الى الموصوف
فشبه فصاحتهم المستمرة التي وصلوا فيها رتبة يسهل عليهم كلما راموا من تراكيب

عن بعض المصنف ... هذا ... الاشعري

بلغ مقابلة على خط المؤلف

و ... القراءة ...

الكلام بانواعه بحيث ياتون منه بشي كثير ومع ذلك فما اتوا من معارضة كلام الله تعالى بعد التحدي
باقصر سورة منه بشي قليل من ذلك يشبه قطرة الآفي قلته فهي استعارة تصريحيه وذكر النطفه
ترشيح مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد اي تعاونهم على ذلك بل ابلسوا
المبلس الساكت من الحزن والخوف والابلاس الحيرة فما نبسوا اي ما نطقوا وفي حديث
ابن عمر رضي الله عنهما في صفة اهل النار فما ينبسون عند ذلك ما هو الا الزفير والشهيق
اي ما ينطقون قال في النهاية ولا يستعمل الا في النفي ويشكل ذلك بقول الراجز
ان كنت غير صائدي فنبس ٭ ومنعوا عن معارضته فانقطعوا عنها ولم يقدروا
عليها قال امام الحرمين في ارشاده فان قيل بم تنكرون على من يزعم ان العرب ما انكفت
عن معارضة القران عن عجز وانما تحجزت عنه لقلة الاكتراث به قلنا هذا دليل من
القول لا يبوح به من شدا طرفا من الاداب فان العرب في تحاورها وتفاوضها كانت
تتشمر اذاتها جت لمعارضة الركيك من الشعر والرصين المتين فما ضر ان نعلم ان
القران في اعتقادهم لم ينحط عن شعر لشاعر ونثر لناثر حتى يحملهم الازدرابه عن الانكفاف
عن معارضته كيف وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وانصاره يقولون لو عارضتم سورة
من القران لالقينا اليكم السلم واثرنا التحاجر بعد التناجر وادعنا لكم وان تكن الاخرى
القيتنا ضرام الحرب وادمنا مرامها واحكمنا اساسها ومددنا الايدي الى قتل النفوس
وهتك السجف عن العواتق العربيات وكيف يخط العاقل وقد ظهرت كلمة الاسلام
وخفقت على المسلمين الرايات والاعلام بان تؤثر الكفار اهوالا تشيب النواصي
واهوالا تزيل الرواسي ولا يعارضوا سورة اهون عليها من ذلك فقد ثبت المعجزة
والتحدي بها والعجز عن معارضتها انتهى فهذان نوعان من اعجازه اي القران

فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه اي القران من الاخبار
بالمغيبات وما لم يكن اي يوجد عطف على المغيبات ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه

الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه
المسجد الحرام امنين محلقين روسهم ومقصرين فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا
انهم يدخلون مكة في ذلك العام فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم وانزل الله تعالى هذه
الاية ومضمونها ان دخولكم محقق لا شبهة فيه غير انه في العام الذي ياتي فهو اخبار
بمغيب فوقع كما اخبر لم يتخلف منه ذرة واخبرهم فكان كما اخبر فان قلت حيث كان
دخولهم محققا فلم اتى بان شا الله قلت للتادب باداب الله تعالى وقيل ان بمعنى اذ وقيل
المعنى ان شا الله ان لا يموت منكم احد وقيل الاستثنا متوجه الى الامن وقوله تعالى
وهم اي الروم من بعد غلبهم اي غلب فارس اياهم سيغلبون وذلك ان فارسا كانوا اهل
جهل وليسوا اهل كتاب والروم اهل كتاب وكان الفريقان ملوك الارض يومئذ واهل مكة
منهم مشركون شبيهون بفارس ومنهم مسلمون شبيهون بالروم فكان اذا تحاربت فارس
والروم يتمنى المشركون غلبة فارس لانهم مثلهم في الجهل ويتمنى المسلمون غلبة الروم لانهم
مثلهم في انهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم وبعث قيصر جيشا اخر فالتقيا
باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك
المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح كفار مكة لانهم توهموا بذلك ان طالع الجهل ظهر وغلب
على طالع اهل الكتاب وقالوا نحن اميون وهم اميون وانتم اهل كتاب والروم اهل كتاب
وقد بدا خذلانكم بدليل خذلان اخوانكم من اهل الكتاب فحصل للمسلمين بذلك كسر في
الجملة فانزل الله هذه الاية فخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى الكفار حلقة المشركين
فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس كما اخبرنا به نبينا
صلى الله عليه وسلم في كتاب ربنا الذي انزله عليه فقام اليه امية بن خلف الجمحي فقال له
كذبت فقال انت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيننا وبينك اجلا اناحبك عليه

انطلق القمار لم يكن يومئذ محرما

ذكر ان البضع ما بين الثلاث الى التسع

اي اراهنكم على عشر قلائص وعشر قلائص منكم فان ظهرت الروم على فارس غرمت لهم الكل
وان ظهرت فارس على الروم غرمت بفتح التاء ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء
ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده
في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر رضي الله عنه فلقي ابي بن خلف فقال لعلك
ندمت قال لا تعال ازايدك في الخطر واماد في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة
قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف
ان يخرج ابو بكر رضي الله عنه من مكة اتاه فلزمه فقال اني اخاف ان تخرج من
مكة فاقم لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما فلما اراد ابي بن
خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما فلزمه فقال اني
اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ورجع ابي
ابن خلف ومات بمكة من جراحة جرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية عند راس سبع سنين من مناصبتهم
وقيل كان يوم بدر ولم تمض تلك المدة حتى قمر ابو بكر رضي الله عنه ابيا بعد
موته واخذ ابو بكر رضي الله عنه مال القمار من ورثته بعد موته قبل تحريم القمار
وجاء به بجملة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق به
فان قلت لم امره النبي صلى الله عليه وسلم بالتصدق به مع انه لو انتفع به لجاز اذ لم
يكن القمار اذ ذاك حراما قلت شكر الله تعالى حيث ابان صدق نبيه وكتابه
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ليظهره على الدين كله اي
ليغلبه ويجعل دين محمد صلى الله عليه وسلم غالبا على جنس الدين كله بنسخ بعض ما
كان حقا من احكام باقي الاديان واظهار فساد ما كان باطلا من الاديان وبتسليط

الموبنين

المومنين على سائر اهل الاديان اذ ما من دين من الاديان الا وقد قهر المسلمون عليهم
وشتتوهم في اطراف البلاد واخذوا من ايديهم ما كان فيها من البلاد كجليلها كالشام
فانه كان في ايدي الروم والان في ايدي المسلمين وبلاد مصر وبلاد الروم وما وقع في
نزر من الزمان نوع نصرة للكفرة الا وقد صار امثالها للمسلمين حتى في هذا العام الذي

مطلب في وقعة يانق ه

وقعت كتابة هذا المحل فيه وهو عام خمسة والف من الهجرة وقعت كائنة غريبة
وجب ذكرها في هذا المحل لانها من معجزات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وذلك ان السلطان
الوقت قبل الان مراد خان بن سليم بن عثمان الذي ملك معظم الارض واتسعت دائرة
ملكه كان قبل الان ارسل جيشا كثيفا جعل اميره مرة سنان باشا الوزير الاعظم
وتارة فرهاد باشا الوزير الاعظم ايضا وكان بين هذين الوزيرين تخالف وتباغض
ادى الى اختلاف كلمة عسكر السلطان فحصل للنصارى الذين ارسل الجيش اليهم
نوع نصرة واخذوا بعض قلاع العثمانيين من ايديهم وقتلوا من عسكر الاسلام جماعة
كثيرة وذلك بعد اخذ المسلمين من ايديهم قلعة يانق في طرف روملي وهي قلعة حصينة
ورأى من فتحها من عسكر الاسلام رجالا لابسين بيض الثياب ثم لم يلبث السلطان
مراد ان توفي في ذلك العام اعني سنة ثلاث والف وتسلطن ولده السلطان محمد
فاظهر عدلا عظيما وسطوة لم تكن في ابيه فادب العساكر بقتل متمرديهم ثم قتل
فرهاد باشا وزيره الاعظم لانهم اسندوا اليه امورا الله اعلم بها ثم اعقبه موت الوزير
الاخر سنان باشا قيل مات بالسم وقيل حتف انفه ثم زال الاختلاف الذي منشاه
هذان الوزيران والتفت السلطان ادامه الله الى جهة الجهاد في سبيل الله لهولاء
النصارى الذين تمردوا على المسلمين وقتلوا منهم من قتلوا واسروا من اسروا فخرج
بنفسه مجاهدا في سبيل الله تعالى الى بلاد بعيدة بينها وبين تختة الذي هو قسطنطينية
مسيرة ثلاثة اشهر فقطع الفيافي فوصل الى اول حدهم الكعبية وهي مدينة اكري

ولها قلعة عجيبة يحوطها سبعة اسوار ولها بساتين وكروم لا تحصى فحاصرها اربعة ايام
وفي اليوم الخامس جاء اهلها مسلمين لها وخرجوا منها اذلة صاغرين فاقام حولها
ما اقام وعمر ما انهدم في حالة القتال من اسوار القلعة ثم اراد الانصراف فجاءه نصرانى
فاسلم وكان صحبته من العلماء شيخ ابيه سعدي افندي وصحبه ايضا على قانون بني عثمان
قاضيا العسكر لناحية روميلي وناحية اناطولي والثاني منهما هو محمد افندي بن سعدي
افندي شيخ ابيه فقال له الذي اسلم بحضرة شيخ والده جيشك محذرا من جيوش النصارى
فانهم تعاهدوا وتعاقدوا على الموت وجاوا في عسكر لا قبل لك به فلكن على حذر منهم
وكان السلطان فرق عساكره وهو امن بعد حصول الفتح والظفر فارسل في جمعهم فما
تم ذلك اليوم الا والنصارى اقبلوا عليه في كبعمائة الف مقاتل ومعهم من المدافع ما
يوازن كل واحد مائة الف دينار ذهبا هكذا قالوا وضربوا السلطان وعسكره بانواع
البارود والنار وظهر منهم حالات مرعبة فاختفى السلطان وظهرت النصرة للنصارى الى
عصر يوم السبت ثم ان حسن باشا بن محمد باشا الذي كان ابوه وزيرا اعظم للسلطان وكذا السلطان مراد
سليمان والسلطان سليم وسنان باشا بن جغال وهما من خيار عسكر السلطان اقبلا بعد
ان اختفى وزير السلطان الاعظم وهو ابرهيم باشا في قلعة اكريه وفرها ورام الفرار اى
وحمل السلطان على الفرار فقال ويلك اين افر واترك جيوش الاسلام فقهر ولم يبال
بالسلطان فجاء ابن جغال فسال عن السلطان فخرج واركبه فرسا وامره بالتبرك بالعلم
الذي يحمل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولبس بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
اعطاها النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير حين مدحه ببانت سعاد واخذها معوية بن
ابي سفيان رضي الله عنهما من ابنه وتوارثها الخلفا ووصلت الان الى سلطاننا حفظه
الله وركب فرسه وامر بدق الطبل الحربي فجاشت همة عساكر الاسلام بعد ان دخل
الكفرة الى خلال العسكر الاسلامي بل جلسوا في فساطيطهم واذا بالنصر اقبل ولبس

عسكر

عسكر الاسلام حالة عجيبة فتساقط النصارى من ظهور الخيل موتى بقتل وبغيره حتى راى
النصارى العجب من شانهم فلم ينج منهم احد بل قتلوا كلهم بعد ان استشهد من عسكر
الاسلام جمع يسير ومدت القتلى مقدار فرسخ او اكثر وهم جيف ملعونة والسلطان في
ايام اقامته هناك يركب ويتنزه في روية قتلاهم وما ذاك الا ببركة رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اني سالت بعض حاضري الوقعة من عسكر الاسلام فقلت له النصرة على يد
من كانت فقال والله ما كانت من احد وانما كانت ببركة مقتدى هذه الامة صلى الله
عليه وسلم هذا بعد تفريق العساكر الاسلامية ظاهرا واختلافهم باطنا ولكن شملتهم بركة
الاسلام وعمتهم امدادات محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان اي وجد
جميع هذا اي ما تضمنته هذه الايات من الوعد بغلبة الروم وظهور دين الاسلام
على سائر الاديان واستخلاف الله المومنين في ارضه وابدالهم بعد الخوف امنا
وانتصار النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش وعلى سائر العرب حوله وعلى اليهود ودخول
الناس في دين الله افواجا فكان الوعد كما قال فغلبت الروم فارس لانه غير منصرف
للتانيث المعنوي والعلمية لانه علم على قبيلة في بضع سنين وتقدم ان ذلك وقع في سبع
سنين بعد المخاطرة بين الصديق وابي بن خلف ودخل الناس في دين الله افواجا
وذلك ان الناس كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب فما مات صلى
الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض
هذا مبني على ان الوعد في الاية التي فيها وعد الله الذين امنوا وعد لجميع الامة في ملك الارض
كلها تحت كلمة الاسلام وان الله تعالى مكن فيها دينهم وهو الاسلام بان ثبتهم عليه وجعل
غالبهم من ثباته على دين الاسلام يختار القتل على الرجوع عن دينه من اقصى المشارق الى
اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض اي جمعت لي فكل زويته اي و...

تترك صرف فارس م

كانوا قبل ذلك يدخلون واحدا واحدا
واثنين واثنين فلما فتحت
مكة دخلوا افواجا اي
جماعات متكاثفة

وملكهم اياها

زيا ومنه دعا السفر وازولنا البعيد اي اجمعه والموه فرايت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقال الضحاك هذه الاية تتضمن خلافة
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لانهم اهل الايمان وعملوا الصالحات وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة والذي قاله المصنف هو
الذي صححه ابن عطية وهو الحق وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر اي القران وانا له لحافظون
فالمراد بالذكر المعهود وهو القران بخصوصه فان الله لم يتكفل بحفظ كتاب من كتبه
المنزلة الا بحفظ القران بخصوصه من التحريف والزيادة والنقص بان جعله
معجزا مباينا لكلام البشر وانا لحافظون بصيغة اسم الفاعل الدال اشارة
الى استمرار حفظه تعالى له وقد وكل حفظ باقي الكتب الى الامم المنزلة عليهم
كما قال بما استحفظوا من كتاب الله فكان كذلك اي محفوظا وقد توجهت
همم بعض الملاحدة الى تغييره فابى الله ذلك فلا تكاد تجد من سعى في تغييره
وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة اي للشرائع لا سيما القرامطة هم قوم من المبتدعة
الذين بدعتهم ادت الى كفرهم لقبوا بالقرامطة لان اولهم الذي دعا الناس الى مذهبهم
رجل يقال له حمدان قرمط بالاضافة وقرمط قرية من قرى واسط ويسمون ايضا
بالخرمية لاباحتهم المحرمات ونكاح المحارم وقد ظهروا في زمن العباسيين وكانوا
يسمون بالباطنية لقولهم ان للقران ظاهرا وباطنا والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم
من اللغة ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب الى القشر والمتمسك بظاهره
معذب بالمشقة في الاكتساب وباطنه مؤد الى ترك العمل بظاهره وتمسكوا في ذلك
بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ويلقبون ايضا بالسبعية لانهم زعموا ان النطقاء بالشرائع سبعة ادم ونوح
وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومحمد المهدي سابع النطقاء

وبين

انظر الى كتاب الله سبحانه قد انا تكفل الله بحفظه وعهد حفظ الكتب المنزلة وكل حفظ الى الامم كما هي الاية

القرامطة

تسمية القرامطة بخرمية ايضا وباطنية

وبين كل اثنين من النطقاء سبعة ائمة يتممون شريعته ولا بد في كل عصر من سبعة يقتدى
بهم ويهتدى ويلقبون ايضا بالبابكية لاتباعهم لبابك الخرمي في الخروج على الخليفة
باذربيجان ويسمون في بلادنا بالاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر
الصادق والحاصل انهم من اكبر اعداء القران حتى انهم سرقوا الحجر الاسود واقتلعوه من
محله واستمر عندهم مدة طويلة ثم عاد وقد راموا ان يكيدوا القران فاجمعوا الى الملاحدة
لا القرامطة بخصوصهم كيدهم وحولهم وقوتهم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على
اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه
والحمد لله والمنة وقوله نيفا على خمسمائة عام ليس تاريخا لمحاربة القرامطة لان ظهور
القرامطة لم يبلغ الى زمن المصنف خمسمائة عام كما لا يخفى وانما هو تاريخ لمحاربة
الملحدين الذين راموا اطفاء نور القران منذ ظهور النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به الى زمن
المولف وذلك يزيد على خمسمائة عام ومن المغيبات التي اخبر عنها القران قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر وذلك لانه اخبر عنه قبل وقوعه وقد وقع يوم بدر وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال لما نزلت لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبس الدروع ويقول سيهزم الجمع فعلمته قال ابن عباس كان بين نزول هذه
الاية وبين بدر سبع سنين وقالت عائشة رضي الله عنها لقد انزل الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
رواه البخاري في صحيحه فاخبر الله في كتابه بذلك قبل وقوعه بسنين وقوله تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية فان فيها اخبارا بالغيب ووقع طبق ما اخبر الله وهو النصر عليهم
وان الله يعذبهم بايديهم فلم يبق شيء من انواع عذاب الدنيا الا ووقع بهم على ايدي
المسلمين فاخرجوهم من ديارهم وقتلوا روساهم وسبوا ذراريهم وصاروا امتحنت ايديهم
مقهورين معهم واخزاهم الله تعالى بعد عزهم وشكيمتهم وشفى الله صدور المومنين بما

انظر تسمية القرامطة بالبابكية ايضا وفي بلادنا بالاسماعيلية

اليوم ج

صار للكفار من الذلة والصغار روي ان بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا
فان الفرج قريب وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية فان فيها
اخبارا بغيب وهو اظهار الله هذا الدين على جميع الاديان وكان كما قال وجرى طبق ما
اخبر وقد تكلمنا على هذه الاية قريبا وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فان فيها الاية
اخبارا بغيب وهو ان اهل الكتاب اعني اليهود اذا قاتلوا المسلمين يولوهم الادبار بان
ينهزموا وانهم لا ينصرون على المسلمين اصلا وقد اخبرهم بان اليهود وان اذوا المسلمين
فاذاهم شي يسير حقير فاصبروا عليه وذلك انهم كانوا يطعنون في المسلمين ودينهم
ويهددونهم تهديدا عاجزا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقاتل اليهود الا وخذلوا وقد
اخرج صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم بعد قوتهم كما انبات عنه سورة الحشر وكذلك
قهر بني قينقاع ويهود خيبر ولم يقم لهم قائمة بعد ذلك فكان اية وجد فهي تامة كل ذلك
وما فيه اي القران من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم اي الخفي الذي لا يطلع
عليه احد وكذبهم اي المنافقين في حلفهم كما قال تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله
يشهد انهم لكاذبون وذلك شي كثير منه قصة مسجد الضرار فان بني عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم
من بني تميم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم فيه ابو عامر الراهب الذي سماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عامر الفاسق اذا قدم من الشام حيث ذهب اليه ليأتيه
من جانب قيصر بجنود فيقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخرجه من المدينة فمات
في ارض الشام غريبا وحيدا فريدا بدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه فكان في نفوسهم حيث
لم يطلع عليه الا الله تعالى ان ذلك المسجد لابي عامر المحارب لله ولرسوله كما قال تعالى
وارصادا لمن حارب الله ورسوله واظهروا ان مرادهم الخير وانهم بنوه بنية صالحة

ذكر موت ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم فاسقا بدعائه عليه

فلما

فلما اموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة
والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثوبه ليقوم معهم فنزلت اية مسجد الضرار وفيها وليحلفن الاية فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وغيرهما فقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه وحرقوه ففعلوا ذلك واتخذه الناس كناسة فسبحان علام الغيوب
وتقريعهم اي قهرهم بالكلام بذلك اي بسبب حلفهم الكاذب كقوله ويقولون في انفسهم لولا
يعذبنا الله بما نقول الضمير في يقولون الى اليهود والمنافقين فانهم كانوا يتناجون فيما
بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فعادوا لمثله وكانوا اذا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيوه بقولهم السام عليك
او انعم صباحا والله تعالى حياه بقوله سلام على عباده الذين اصطفى فيفعلون هذه
القبائح ويقولون في انفسهم حيث لا يعلم بما فيها الا الله تعالى هلا يعذبنا الله ولو كان محمد
نبيا لانتقم الله تعالى له فالله تعالى قال بعد ان كشف ما في سرائرهم واظهر ما في نفوسهم حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الضماير راجعة الى
المنافقين المعبر عنهم بقوله في صدر الاية وطائفة قد اهمتهم انفسهم وذلك ان المنافقين
يوم احد لم يغشهم النعاس الذي غشي المومنين امنة من الله تعالى فلم يكن لهم هم الا خلاص
انفسهم من القتل وقد ظنوا ظن الجاهلية وهو ان القدر ليس من الله خيره وشره واتهموا
استهماما انكاريا عن النصر والظفر الذي وعد الله به عباده المومنين ويقولون في انفسهم
خفية اولا بالجنسهم حيث لا يعلم المومنون ذلك لو كان لنا نصر وظفر ما قتلنا ههنا
اي قتل اكابرنا في احد فكشف الله ذلك واخبر نبيه صلى الله عليه وسلم به وقوله تعالى ومن
الذين هادوا سماعون للكذب صدر الاية هكذا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب

فيجوز ان يكون من الذين هادوا خبرا مقدما وسماعون مبتدا موخرا فالسماعون مختصون
بانهم من اليهود على هذا وهو ظاهر ما مشى عليه المصنف ويجوز ان يكون من الذين هادوا
معطوفا على ما سبق من قوله من الذين قالوا امنا وقوله سماعون خبر مبتدا محذوف
تقديره هم سماعون ويكون السماعون من المنافقين واليهود ووجه استدلال المصنف
بهذه الاية ان اليهود والمنافقين او اليهود فقط كانوا يقبلون كلام احبارهم الذين
يبدلوا التورية ويروون مقالهم وكذبهم على الله تعالى حقا ولا شك ان القبول امر خفي لانه
كامن في نفوسهم لا يطلع عليه الا علام الغيوب وقد اخبر عنهم الله تعالى في كتابه فكان من
الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القران وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله في الدين فان هذه الاية اشتملت على اخبار غيبية عن افعال اليهود الذين كانوا
معاندين رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه الاول انهم حرفوا اي ميلوا الكلم عن مواضعها لك التي
التي وضعها الله تعالى عليها بازالتها واثبات غيرها كصفة محمد صلى الله عليه وسلم كانت
مذكورة في التورية بما هي عليه فغيروها الى ما لا ينطبق عليه وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
كانت اليهود ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم
ياخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بتحريف الكلم تاويلها على
ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله تعالى بذلك التاويل الذي هو غير مراد ولا شك ان تحريفهم
الكلم امر خفي لم يطلع عليه ابناء جنسهم وقد فضحهم الله تعالى في كتابه الثاني قولهم سمعنا قولك
وعصينا امرك فان هذه المقالة وان برزت منهم لكنهم كانوا يخفونها جدا لانهم لم يكن لهم
شوكة يقدرون على المنعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ابرزها الله تعالى وجعلها
في حيز الظهور الثالث قولهم اسمع غير مسمع فانه يتضمن سبا خفيا وان كان ظاهره
لا سب فيه لان معناه بحسب الظاهر اسمع منا ونحن لا نسمع منك ويتضمن الدعاء
عليه بانه لا يسمع اما لآفة في سمعه من صمم ونحوه او موت وقد ابرز الله تعالى هذه

الخفية

الخفية الرابع انهم قالوا راعنا فظاهر معناه انظرنا من المراعاة وهي الانتظار ومرادهم بالتعبير
بهذا اللفظ نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرعونة وهي الحمق فقد تضمن سبا خفيا بما
هو صورته المدح وهذا مراده بقوله ليا بالسنتهم اي يفتلون السنتهم فتلا فيحرفون
الكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير
مسمع المشابه لما كانوا يدعو بعضهم على بعض به موضع لا اسمعت مكروها فضموا ما يشبه
الدعاء والتوقير الى ما يشبه السب والتحقير نفاقا منهم وطعنا في الدين بالاستهزاء والسخرية
وقد قال اي الله تعالى مبدلا اي مظهرا ما قدره الله من قتل صناديد قريش يوم بدر بعد
ان خرجوا في النفير واعتقده المومنون يوم بدر في قلوبهم ولم يظهروه لاحد من انهم ارادوا
العير لقلة من فيها من المقاتلين واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم اي القوة والحدة بكثرة السلاح والرجال وهي العير فانها كانت قليلة السلاح
والرجال وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام مع ابي سفيان فاعلم جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم بها فلما علم الصحابة بذلك سروا واحبوا الخروج اليها فلما علمت قريش بذلك خرج
ابو جهل بجميع مقاتل مكة دافعا عنها وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ بالعير على طريق الساحل فنجت فقيل لابي جهل ارجع بالناس فقد نجت العير
فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باحدى الطائفتين
اما العير واما النفير فكانت الصحابة في قلوبهم يودون العير لما فيها من المال وقلة الرجال
والسلاح والله تعالى قدر في الازل انهم يلقون العدو وينتصرون عليه ويقطع دابر
الكافرين فقتل في ذلك اليوم معظم صناديد قريش وتايد دين الاسلام فكون المومنين
يودون العير كان امرا كامنا في قلوبهم والله تعالى قد ابرزه وابانه ومنها اي مما وقع في
القران من الاخبار بالغيب قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وكان ذلك قبل وقوعه ولما
نزلت هذه الاية بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزؤن

قصة المستهزئين

فقرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وهم خمسة من روسا كفار قريش الوليد
ابن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث
ابن اسد بن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم
اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث
ابن قيس بن الطلاطلة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم والمستهزون يطوفون بالبيت
فقام جبريل وقام النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف
تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيتكه واوما الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة
نبّال يريش نباله وعليه برد يماني وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه
الكبر ان يطامن فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منها ومات ومر به
العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل الى
اخمص رجله وقال قد كفيتكه فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا
من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت
لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات
مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا قال عبد سوء فاشار بيده الى
عينيه وقال قد كفيت فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضرا فذهب بصره
ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وفي رواية اتاه جبريل وهو قاعد
في اصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب بوجهه الشوك فاستغاث
بغلامه فقال غلامه لا ارى احدا يصنع بك شيا غير نفسك حتى مات وهو يقول
قتلني رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجده فقال
بئس عبد الله على انه خالي فقال كفيت واشار الى بطنه واستسقى بطنه فمات
حبنا وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا

فان

فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد صلى الله عليه وسلم
ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى راسه
فقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس اكل حوتا مالحا فاصابه العطش
فلم يزل يشرب عليه الما حتى انقد بطنه فمات وفي ذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
وقيل هم المرادون بقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وان ذلك كناية عن موتهم
سريعا كموت من يخر عليه السقف وقد اشار الى ذلك الامام ابو القاسم الابوصيري
في همزيته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال

من البحر الخفيف

وكفاه المستهزئين وكم سا   ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء ال   بيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء   والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب اي   عمى ميت به الاحياء
ودها الاسود بن عبد يغوث   ان سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم   قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا   ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سا   ل بها راسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار   ض فكف الاذى بهم شلاء

ووجه استشهاده بقصة المستهزئين انه تعالى اخبره بذلك قبل وقوعه ثم وقع طبق ما
اخبر فكان من الاخبار بالمغيبات وهو من مقتضيات اعجاز القران وقوله تعالى والله
يعصمك من الناس قيل انها نزلت بمكة وان ابن عباس رضي الله عنهما قال ان سبب
نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بعثني الله تعالى برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت
ان من الناس من يكذبني فانزل الله تعالى هذه الاية وكان يرسل ابو طالب كل يوم مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا عماه ان الله قد عصمني من الجن والانس فلا احتاج الى من يحرسني
والصحيح انها مدنية وان العلماء اجمعوا على ان سورة المائدة مدنية وان سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه اتاه ليحرسه بعد مقدمه الى المدينة فحرسه اول البلد فلما كانت الليلة
الثانية اخرج النبي صلى الله عليه وسلم راسه من قبة ادم وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني
الله تعالى فان قلت قد شج في يوم احد وجهه وكسرت رباعيته وهذا ينافي العصمة قلت
في تفسير الموفق الكواشي ان هذه الاية نزلت بعد ذلك لكن الظاهر انها نزلت قبله
والمراد بالعصمة عصمة النفس من القتل فقط او من اضرار لا يحتمل ووجه الاستشهاد
بالاية انه صلى الله عليه وسلم وعده الله بالعصمة من الناس فكان كذلك اي معصوما من ضر
جميع الناس الاضرار الذي لا يحتمل على كثرة من رامه اي قصد ضره وقصد قتله والاخبار بذلك
معروفة صحيحة من ذلك خبر غورث بن الحارث الاتي ذكره وفي صحيح مسلم عن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فادركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من
اغصانها قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رجلا اتاني وانا نائم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على راسي
فلم اشعر الا والسيف صلتا في يده فقال لي من يمنعك مني قال قلت الله ثم قال في الثانية
من يمنعك مني قال قلت الله قال فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما يطول الكلام وغيره **فصل** الوجه الرابع
من وجوه اعجاز القران ما انبا به اي القران من اخبار القرون السالفة جمع قرن وهو
اهل كل زمان وهو مقدار التوسط في اعمار كل زمان ماخوذ من الاقران فكانه المقدار
الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل

ثمانون سنة

مطلب ان آية العصمة مدنية على الصحيح

الكلام على معنى القرن قد سبق قبيل فصل الوجه الثاني من اعجازه فراجعه

ثمانون سنة وقيل مائة سنة وقيل هو مطلق الزمان وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح راس
غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة والمراد اخبار اهل الازمنة الماضين من سائر
الملل والبلاد ولا يطلع على ذلك الا عالم متتبع التواريخ او رجل عمر طويلا وطاف البلاد
وكلا الامرين منتف في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضرورة والامم البائدة اي
الجماعات الهالكة ماخوذ من باد يبيد اي هلك واباده يبيده اهلكه وفي حديث الحور
العين نحن الخالدات فلا نبيد اي لا نهلك ولا نموت والشرائع الداثرة اي التي لم يبق لها
شيء من الاثار والشرائع جمع شريعة والشرع وضع الهي لما يتعرف العباد منه احكام
عقائدهم وافعالهم واقوالهم يترتب عليه صلاحهم في داري المعاش والمعاد ويطلق على
الموضوع وكذلك الشرع واصل معنى شرع اظهر والشريعة الطريق الظاهر ومورد
الماء والمناسبة بين معنييها المنقول عنه والمنقول اليه انه شبه الشريعة في اتباع
ما دلت عليه من الاحكام وعدم الزيغ عنه بالطريق الظاهر في اقتفاء سالكه جادته
وعدم الميل عنه وبالمورد الذي ينتابه اي ياتيه بالنوبة كل احد للحاجة العامة مما
كان لا يعلم القصة الواحدة الا الفذ بذالين معجمتين مدغمة اولاهما في الثانية اي
الواحد يقال فذ الرجل عن اصحابه اذا شذ عنهم وبقي فردا من احبار اهل الكتاب جمع
حبر بفتح الحاء وكسرها وهو العالم وكان يسمى ابن عباس بالحبر لسعة علمه والمراد
بالكتاب التورية والانجيل الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم
على وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم
وقد علموا ان النبي صلى الله عليه وسلم امي اي باق على اصله حين ولدته امه لم يتعلم الكتابة
ولا قرا العلوم بل على جبلته الاولى وفي الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب
وفيه ايضا انه صلى الله عليه وسلم بعثت الى امة امية لا يقرا اي شيئا قبل القران ولا يكتب
ان قلت ورد في حديث الحديبية لما اتاه سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك

كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال النبي صلى الله
الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال اما الرحمن الرحيم فوالله لا ادري ما هو
ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن
الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن
اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني وفي
رواية لمسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم امحه فقال ما انا بالذي امحاه وهي لغة في امحوه
قال العلما وهذا الذي فعله علي من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبي صلى الله
عليه وسلم تحتيم محوه على نفسه ولهذا لم ينكر عليه حيث لم يمحه ولو كان حتما لما ساغ لعلي
رضي الله عنه ترك محوه ثم قال صلى الله عليه وسلم اريني مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفي
رواية البخاري في المغازي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النسائي واحمد ولفظه فكتب مكان
محمد رسول الله محمد بن عبد الله فهذا يقتضي انه كان يعرف الكتابة قلت ان قصة الحديبية
لم تكن متعددة وصح ان الكاتب فيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقوله فكتب اي امر عليا رضي
الله عنه بالكتابة جمعا بين الروايات وقوله وهو لا يحسن الكتابة بيان لسبب سواله
بقوله اريني اياها وكثيرا ما يطلق كتب على امر بالكتابة كقول القايل كتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى كسرى والى قيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من قدرته على كتابة اسمه الشريف
في ذلك اليوم ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف
صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسما ولا يخرج بذلك عن كونه اميا
ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على
وفق المراد فيكون معجزة اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وتعقب هذا

السهيلي

السهيلي في روضه فقال ان هذا وان كان ممكنا ويكون اية اخرى لكنه يناقض كونه اميا
لا يكتب وهي الاية التي قامت بها الحجة وافحم بها الجاحد وانحسمت بها الشبهة فلو
جاز ان يصير كاتبا بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن ان يكتب لكنه يكتم ذلك
والمعجزات لا يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله فكتب امر عليا رضي الله عنه بالكتابة
واما تمسك ابي الوليد الباجي بظاهر هذا الحديث ونسبته النبي صلى الله عليه وسلم الى معرفة
الكتابة بعد انه لم يكن يحسنها فقول مردود ونسبة غير صحيحة وهذه حالات رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اختلافها وكثرتها وكثرة تنقلاتها لم ينقل احد عنه انه كتب قط ولهذا لما
قال الباجي هذه المقالة شنع عليه علما الاندلس الى الزندقة ومخالفة صريح القران والسنن
الصحيحة المشهورة حتى قال قايلهم في شانه • برئت ممن شرى دنيا باخرة • وقال
ان رسول الله قد كتبا • ولا اشتغل بمدارسة اي لم يسبق له قبل ان ياتي بهذا العلم
الجم الكثير اشتغال بما هو طريق لكسبه وهو الدرس فيه واصل الدرس الرياضة والتعهد
للشي ثم اطلق على مداولة القران والعلم ليحفظ ولا ينسى ولا مثافنة بالثا المثلثة ثم فا موحدة
ثم نون وفي نسخة اخرى مثاقبة بثا مثلثة ثم قاف مثناة ثم با موحدة تحتيه وفي نسخة
مناقنة بنون بعدها ثم فا موحدة ثم ثا مثلثة اما المثافنة فهي المجالسة ماخوذة من
من الثفنة وهي ما ولي الارض من ذات الاربع عند جلوسها كالركبتين والمنافنة
فهي الالقا اي من غير القا معلم واما المثاقبة فهي التعلم بفطانة او مجالسة العلماء
الفطنين وهذا اقرب لم يغب عنهم مدة يمكن ان يتعلم فيها اما غيبته عنهم كذا في طريق حليمة
فكان في شي لا يتوهم فيه التعلم وسفره الى الشام مع ابي طالب عمه وكذا مع ميسرة
غلام خديجة فلم يفارقه فيهما قومه لانه كان في قافلة اكثرهم من قومه ولم يعهد انه سافر
غيرهما تين السفرتين الا بعد النبوة ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما
يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكر القصص

من البسيط

قوله موحدة مما تفرد به شيخنا في ضبط الفا فيها علم ولذا قوله قاف مثناة وكذا قوله با موحدة تحتيه

الانبيا مع قومهم كقصة هود مع قومه وصالح مع ثمود وشعيب مع مدين وخبر موسى والخضر
المذكور في سورة الكهف وموسى هو موسى الكليم نبي بني اسرايل على الاصح والخضر هو
المراد بقوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا الاية ويوسف واخوته في القرطبي روى ان
اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة قال
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم
زمنا فقالوا لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك فتلاه عليهم زمنا فقالوا لو حدثتنا
فنزل الله نزل احسن الحديث قال العلما ذكر الله اقاصيص الانبيا في القران وكررها
بمعنى واحد في وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة
يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ولا على معارضة غير المتكرر
والاعجاز لمن تامل واصحاب الكهف وذي القرنين روى ابن اسحق ان قريشا بعثوا
النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود وقالا لهما سلوهم عن محمد صلى الله
عليه وسلم وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا
من علم الانبيا فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التورية وقد جيناكم لتخبرونا
عن صاحبنا هذا فقال لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث نخبركم بهن فان اخبركم بهن
فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان
امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها
ما كان نباه وسلوه عن الروح ما هي فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل
فانه رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن
ابي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جيناكم بفصل ما بيننا
وبين محمد صلى الله عليه وسلم قد امرنا احبار اليهود ان نسالهم عن اشيا امرونا بها فان
اخبركم

اخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم فجاوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت لهم قصة
عجيبة وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم عما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه
فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة لا يوحي الله اليه في
ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم
خمس عشرة ليلة قد اصبحنا منها لا يخبرنا بشي عما سالناه حتى احزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما تكلم به اهل مكة ثم جاء جبريل من الله عز وجل
بسورة الكهف وفيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من الفتية والرجل
الطواف والروح انتهى خبر ابن اسحق فقوله فيه وخبر ما سالوه معطوف على سورة الكهف
ولا يستقيم عطفه على معاتبته اياه لان الروح لا ذكر لها في سورة الكهف فتامله
ولقمن كان حكيما ولم يكن نبيا غير ان عكرمة قال بنبوته هو ابن اخي ابرهيم وقيل
ابن اخت ايوب وابنه اسمه انعم وقيل مشكم واشباه ذلك من الانبا التي لا يعلمها والقصص
الا من مارس العلوم او منحه العلم بها الحي القيوم عز وجل وبدء الخلق كخلق السموات
والارض وما في التورية والانجيل مما لا يعلمه الا من مارسها ومن هو امي لا يعلمه الا بوحي
الله عز وجل والزبور وصحف ابرهيم وموسى ما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق
له من خير كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ومن شقي معاند حاسد ككعب بن
الاشرف ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على
تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة
سوالهم له عليه الصلوة والسلام وتعنيتهم اياه العنت لفظ مشترك بين معان والمراد

هذا الغلط والخطا اي اتباعهم اياه في العنت اي الغلط عن اخبار انبيائهم الذين لم يكونوا
من العرب ولا للعرب احاطة باحوالهم فيخبرهم صلى الله عليه وسلم باصح خبر واصدقه كانه
كان بينهم واسرار علومهم اي علومهم الخفية التي لا يطلع عليها الا خواص خواصهم
ومستودعات سيرهم كاخباره اياهم بانهم اشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم واعلامه لهم
بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم فان النبي صلى الله عليه وسلم كذب يهود في انكارهم وجوب الرجم
على الزاني المحصن وصرح وجوبه في التورية بعد ان كتموه وما حرم اسرايل على نفسه
المراد باسرايل يعقوب ففي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم اخبرنا ما حرم اسرايل على نفسه قال كان يسكن البدو فاشتكى عرق
النسا فلم يجد شيا يلازمه الا لحوم الابل والبانها فلذلك حرمها قالوا صدقت وقيل انه
نذر ان برا منه ليتركن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحوم
الابل والبانها قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس
من حين هرب من اخيه عيص وكان رجلا بطيشا قويا فلقيه ملك فظن يعقوب انه
لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد السما ويعقوب ينظر اليه فهاج
عرق النسا ولقي من ذلك بلا شديدا فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت له زقاء اي
صياح فحلف يعقوب ان شفاه الله عز وجل ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمها على
نفسه فجعل بنوه بعد ذلك يتبعون العرق يخرجونها من اللحم وسبب غمز الملك فخذ
يعقوب انه كان نذر ان وهبه الله عز وجل اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا
ان يذبح اخرهم فكان ذلك للمخرج من نذره فان قلت تحريم يعقوب ما حرم على نفسه
هل كان بوحي او باجتهاد قلت بل باجتهاد بنا على جواز الاجتهاد للانبيا وهو الصحيح
ويلزم امته اتباعه ولا يكون مخصوصا به وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت

احلت لهم

احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وهو المشار اليه في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
فان الله تعالى حرم عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة
والاوز والبط وقيل هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحرم عليهم شحوم
البقر والغنم وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما علق من الشحوم بالظهر والجنب وهو المراد
بقوله تعالى الا ما حملت ظهورها وكذا ما علق من الشحم بالحوايا وهي الامعا وكذا الشحوم التي
اختلطت بعظم وكانت هذه الاشيا حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم ببغيهم وظلمهم من قتل
الانبيا وصدهم عن سبيل الله واخذهم واستحلالهم اموال الناس بالباطل وقد كذبهم الله تعالى بهذه
الاية حيث قالوا ان الله تعالى لم يحرم علينا شيا وانما نحن حرمنا على انفسنا وكتموا تحريم
الله عليهم لانه مسبب عن بغيهم وظلمهم فبينه الله تعالى في كتابه اتم بيان وقد علموا وعرفوه
كما يعرفون ابناهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل الاية وغير ذلك من امورهم
اي امور اهل الكتاب التي نزل بها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه ان واسمها وخبرها في تاويل مصدر في محل رفع على انه نايب فاعل لم يحك السابق
قبل ذلك بل اكثرهم صرح بصحة نبوته منهم من وفقه الله كالنجاشي ملك الحبشة ومنهم من
استمر على كفره اما لحب الرياسة واما لقوله انه رسول الله الى العرب خاصة وصدق
مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران هي بفتح النون واسكان الجيم
بلدة كانت منزلا للنصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة وليست من الحجاز
لكن صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا ياكلوا الربا فاكلوه ونقضوا العهد فامر
باخراجهم من ارضهم فاجلاهم عمر رضي الله عنه فان الحجاز مكة والمدينة واليمامة
ومخاليفها وقد نشا هل الحارمي في عد نجران من مخاليف مكة وسنذكر قصة اهل نجران
مستوفاة في شرح قوله فصل ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار في اخريات بحث المعجزات وابن صوريا هو عبد الله بن صوريا اسلم

وعده الذهبي في الصحابة وصوريا يجوز فتحه ومده ويقال صوري وتذكر ان شاء الله قصته في
ذلك الفصل ايضا وابني اخطب هما يهوديان معروفان هلكا على كفرهما وتذكر قصتهما ثم
وغيرهم ممن ياتي ومن باهت في ذلك بعض المباهتة اي نسبه صلى الله عليه وسلم الى الباطل كان
قال عنه انك يا محمد لم تقل الحق وادعى ان فيما عندهم لما حكاه مخالفة دعاه الى اقامة الحجة
وكشف دعوته اي اظهار صفتها الثابتة لها في نفس الامر من حق او باطل فقيل له قل فاتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون وذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم تزعم انك على ملة ابرهيم وانت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وابرهيم ما كان
كذلك فالله عز وجل كشف عوارهم وابطل مدعاهم بقوله قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين وقيل ان الصحابة قالوا لهم ان الله عز وجل انما حرم عليكم الطيبات لبغيكم وظلمكم
لقوله ذلك جزيناهم ببغيهم فانكروا ذلك وقالوا انما حرمت قبل واستمر التحريم وقيل انهم
ادعوا انها حرمت عليهم بتحريم التورية فنزلت هذه الاية ردا عليهم وتوهينا لقولهم وردا
لمدعاهم وقد رد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قصة رجم الزاني المحصن ففي صحيح البخاري
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان اليهود جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة
قد زنيا فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم قالوا نحممها ونضربهما فقال لا تجدون في التورية
الرجم فقالوا لا نجد فيها شيا فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم فاتوا بالتورية فاتلوها ان
كنتم صادقين فوضع مدراسها الذي يدرسها كفه على اية الرجم فطفق يقرا ما دون يده
وما وراها ولا يقرا اية الرجم فنزع يده عن اية الرجم فقال ما هذه فلما راوا ذلك قالوا هذه
اية الرجم فامر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد قال فرايت صاحبها يجنا عليها
يقيها الحجارة فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومن
متواقح اي متعاط قلة الحيا والجراة في الكلام وانكار الحق يلقى اي يوجد على فضيحته اي
على حال تودي الى كشف مساويه واظهار قبائحه من كتابه بيده فيكتب بيده شيا

ومن زوده .

ويعزوه الى الله عز وجل ويقابل ما كتبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوثر ان واحدا
منهم اظهر خلاف قوله من كتبه التي نزلت من الله تعالى او الفوا علما اهل الكتاب السابقين على
الزمن النبوي ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله عز وجل يا اهل الكتاب قد
جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين او رد هذه
دليلا على انه صلى الله عليه وسلم اظهر كثيرا من العلوم التي كان اهل الكتاب يخفونها من صفته
وصفة امته ومن ان الله عز وجل فرض عليهم ترك دينهم والتمسك به ومن اية الرجم
ومن قصة اصحاب السبت الذين مسخوا قردة وخنازير فانهم كانوا يخفونها وترك كثيرا
من علومهم لم يبينها بل اعرض عنها مع امكان ان يبينها بتعليم الله تعالى اياه **فصل**
هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه اي وردت جمع اية وهي كلام من القران متصل الى انقطاع بتعجيز قوم
في قضايا جمع قضية وهي الحادثة والواقعة التي يقضى فيها واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله عز وجل لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة الاية فان اليهود لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابنا الله واحباوه كذبهم الله
تعالى والزمهم الحجة فقال قل يا محمد ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين في اقوالكم لان من ايقن انه من اهل الجنة كان الموت احب اليه من الحياة
في الدنيا لما يصير اليه من نعيم الجنة ويزول عنه من اذى الدنيا فاحجموا عن تمني ذلك فرقا
من الله تعالى لقبح اعمالهم ومعرفتهم بكفرهم في قولهم نحن ابنا الله وحرصهم على الدنيا ولهذا
اخبر الله عنهم بقوله عز وجل وقوله الحق ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم تحقيقا
لكذبهم وايضا لو تمنوا الموت لماتوا وراوا مقاعدهم من النار وقيل ان الله تعالى صرفهم

ترجمة الزجاج

هـ

هو محمد بن ... وذكر انه مات سنة ست عشرة ... كرر

عن اظهار التمني وقصرهم على الامساك ليجعل ذلك اية لنبيه صلى الله عليه وسلم قال ابو اسحق
الزجاج هو ابرهيم بن السري بن سهل الزجاج سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج وهو تلميذ
المبرد وله كتاب معاني القران وكان من اهل السنة جميل العقيدة حسن المذهب ومعظم
المباحث التي ذكرها الزمخشري في كشافه ماخوذة من كتابه معاني القران مات يوم الجمعة
لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخرة سنة احدى عشرة وثلثمائة رحمه الله
في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة اي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت في النهاية
الاثيرية يقال غصصت بالماء اغص غصصا فانا غاص وغصان اذا شرقت به
او وقف في حلقك فلم تكد تسيغه انتهى وهو كناية عن سرعة وقوع الموت لهم وهذا
الحديث رفعه المصنف ولم يذكر مخرجه من الائمة وقد رواه البيهقي بهذا اللفظ من طريق
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس واخرجه احمد بسند جيد عن ابن عباس مرفوعا بلفظ
لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله
عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه واحد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا
ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الموصلي من اعجب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم
عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم فان قيل التمني
يكون باللسان وبالقلب فمن اين لكم نفي تمنيهم مطلقا مع انه يجوز ان يكونوا تمنوه
بقلوبهم قلت نمنع اولا ان التمني يكون بالقلب اذ هو قول الانسان ليت كذا ولم ينقل
عن احد انه قاله ولو قاله احد لنقل لتوفر الدواعي على نقله كيف والمنكر والجاحد كثير
وقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم فظهر به معجزة من معجزاته سلمنا انه يكون بالقلب ايضا

فلو

فلو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم ردا على النبي صلى الله عليه وسلم وابطالا لحجته وهم
احرص الناس على هذا لكنه لم يظهر فلم يقع وكذلك اية المباهلة وهي كما في النهاية الملاعنة
وهي ان يجتمع قوم اذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا من هذا المعنى
اي من جميل صرف الله نصارى نجران عن المباهلة والرضى باخذ الجزية لعلمهم بانه نبي مرسل
حيث وفد عليه اي قدم وورد اسقف نجران جمع اسقف وهو عالم رئيس من
علماء النصارى ورؤسائهم وهو اسم سرياني وقيل عربي ومعناه طويل الانحناء سمي
الاسقف بذلك لطول انحنائه في عبادته وتقدم ان نجران بلدة كانت للنصارى بين
مكة واليمن وانها على سبع مراحل من مكة وانها ليست من ارض الحجاز وابوا الاسلام
فانزل الله اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه اي خاصمك في امر عيسى من بعد ما جاءك من العلم بما هو الحق
من انه عبد الله ورسوله لا ابنه فامتنعوا منها اي من المباهلة ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما قط نبي فبقي كبيرهم
ولا صغيرهم ووفد نجران كانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلاثة يؤول اليهم امرهم
العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه واسمه
عبد المسيح والسيد ثمالهم اي غياثهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة
ابن علقمة اسقفهم وحبرهم وكان ابو حارثة هذا قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت
ملوك من الروم اهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وكان يعرف امر النبي صلى الله عليه وسلم
وشانه وصفته مما علم من الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية
لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند اهلها دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال يقول من راهم
ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلوة في مسجد رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من
الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن
عيسى عليه الصلوة والسلام ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى وفيما
تلاه عليهم من القران فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى المباهلة بامر الله له بذلك فقالوا
حتى ننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان
ذا رايهم يا عبد المسيح ماترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
والله ما لاعن قوم نبيا قط وبقي كبيرهم ونبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن
فان ابيتم الا الاقامة على دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى دياركم وفي بعض كتب
المغازي ان قائل ذلك هو السيد الذي كان يسمى ايضا شرحبيل فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد غدا صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسن والحسين رضي الله عنهما
وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها والحسنان رضي الله عنهما
هما المرادان بابناءنا والبتول عليها السلام هي المرادة بنساءنا والمرتضى هو المراد بانفسنا
معه صلى الله عليه وسلم فان العرب تسمي ابن عم الرجل نفسه كما قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي
اخوانكم وهو صلى الله عليه وسلم يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله عز وجل ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان
لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب قد تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله
حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا وزاد في رواية ابن مسعود
عند الحاكم ثم قالا نعطيك ما سالتنا وابعث معنا رجلا ولا تبعث معنا الا امينا
فقال لابعثن معكم رجلا امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة وفي رواية يونس بن بكير انه صالحهم
على الفي حلة ومع كل حلة اوقية فضة وذكر ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد
ذلك واسلما واقول دلت هذه القصة على مشروعية المباهلة عند المخالفة اذا اصر
بعد طول الحجة ووقع ذلك لجماعة من السلف والخلف قال شيخ اشياخنا الشهاب
احمد القسطلاني في المواهب اللدنية انه مما عرف بالتجربة ان من باهل وكان مبطلا لا تمضي
عليه سنة من يوم المباهلة ومثله اي مثل الاعجاز الذي في اية المباهلة قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم تعالى انهم لا يفعلون كما كان
بقوله ولن تفعلوا وهي جملة معترضة بين الشرط وجزائه اتيا بلن المفيده لنفي الفعل
في الزمن المستقبل قيل تفيده بتاكيد او تابيد والاصح انها لا تفيد شيا من ذلك بل هو
حرف نفي كلا الا انه ابلغ منها فان قلت اذا كان قوله ولن تفعلوا مفيد النفي فعلهم
في الزمن المستقبل فلم اتى بنفي فعلهم مقرونا بصيغة الشك وهي ان لانها حرف شرط
يفيد الشك في مدخوله فكان مقتضى الحال الاتيان باذا المقتضية للجزم بالشرط قلت
القائل هو الله عز وجل وهو لم يكن شاكا في عجزهم ولكن خاطبهم بان الشكية تهكما بهم
وخطابا لهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم بل كانوا شاكين
فيه او جازمين بالقدرة على المعارضة فلما تاملوا تحققوا العجز وهذه الاية ادخل في

باب الاخبار عن الغيب للن فيها تحديا بنفي فعلهم في الزمن المستقبل بخلاف آية المباهلة فان
فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة المستلزم لانها لا تقع في الزمن المستقبل منهم فكان الاخبار عن
الغيب فيها من لوازمها ومقتضياتها لا من صريحها بخلاف آية البقرة لكن فيها مثل التعجيز الذي في التي
قبلها فانه تعالى طلب منهم في اية البقرة الاتيان بمثل سورة من القران الصادق باقصر
سورة وهي الكوثر التي هي ثلاث ايات فعجزوا عن ذلك كما هو معلوم ضرورة وطلب في اية
ال عمران المباهلة فلم يقدروا على التهجم عليها واحجموا عنها مع انهم في صدد دعوى
انهم على دين حق وانهم ثابتون عليه فافادت العجز عنها كما افادت تلك العجز عن الاتيان باقل
سورة من سور القران **فصل** ومنها اي من وجوه الاعجاز الروعة اي الفزعة
التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم وانما عطف الاسماع على القلوب ليفيد ان هذه
الروعة تلحق من يفهم كلامه ومن لا يفهم لعجمة او جهل عند سماع طرقه لتلحق والهيبة التي
تعتريهم اي تغشاهم وتصل اليهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره الانافة العلو حيث
يشرف لعلوه على من عداه والخطر القدر والرتبة وهي اي هذه الهيبة على المكذبين به
اعظم منها على المصدقين لان المصدق تعتريه هذه الهيبة بمقتضى انه ليس من كلام البشر
ثم تنقلب بانس وسكينة كما يشهد اهل الذوق والحس واما المكذب فلا تزال جواذب
الخذلان تنفر نفسه الخبيثة منه حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم اي سماعه نفورا كما قال تعالى
اي تباعدا عن الحق ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان القران
صعب مستصعب على من كرهه هذا مقتطع من حديث طويل رواه الديلمي وغيره عن
الحكم بن عمرو وسياتي بطوله في القسم الثاني والصعب العسر الفهم والمستصعب الذي
صار صعبا وهو اشارة الى انه في ذاته يتاب عن من يكرهه والله تعالى جعل كذلك وهو
الحكم اي النافذ حكمه الماضي امره فانه يفصل بين المومن والمنافق وكيف لا وهو الفرقان
واما المومن فلا تزال روعته به بفتح الراء اي فزعه وخوفه من منزله تعالى وتقدس الحاصلة

له ليسبب

وهو الحكم رح

له بسببه او وهيبته اياه الهيبة تطلق على الخوف وعلى التعظيم اي خوفه اياه او تعظيمه اياه
مع تلاوته توليه انجذابا اي تعطيه تلك الروعة التي حصلت له بتلاوته جذبا كليا الى
حضرات القدس ابتداء من غير ان يكون ذلك في مقابلة شي وفي النهاية الاثيرية وكل من اعطيته
شيا ابتداء من غير مكافاة فقد اوليته وتكسبه هشاشة في القاموس الهشاشة
والهشاش الارتياح والخفة والنشاط لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فانه تعالى وصف
كتابه في هذه الاية التي عبر عنه فيها باحسن الحديث باوصاف ثالثها انه تقشعر منه
جلود الذين يخشون الله والقشعريرة حالة تعرض للانسان عند عروض خوف
او مزيد خشية وذلك اذا سمع المومن ايات الوعيد وتلين عند سماع ايات الوعد
وفي الحديث اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات
عن الشجرة اليابسة ورقها وفي تفسير الكواشي قال قتادة هذا نعت اولياء الله
نعتوا بانهم تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم لذكر الله ولم ينعتوا بذهاب عقولهم
والغشيان عليهم وانما ذكر في اهل البدع ونقل القرطبي عن اسماء بنت ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما ان ما يحصل من الغشي عند سماع القران من فعل الشيطان
ونقل مثل ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا
قرئ عليهم القران قال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم
يقرأ عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق وقال ابو عمران الجوني
وعظ موسى على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام بني اسرائيل ذات يوم فشق
رجل قميصه فاوحى الله الى موسى عليه الصلوة والسلام قل لصاحب القميص لا يشق
قميصه فاني لا احب المبذرين يشرح لي عن قلبه واقول من تتبع صنيع القرطبي في
تفسيره يجده منكر الاحوال الصوفية متحاملا عليهم وهذا لا يليق بجلالة مثله فان الوجد

الذي يودي الى الغشي بل الى الموت لا ينكره من تواتر عنده اخبار السلف رضي الله عنهم فكم من
صادق مات عند سماع اية ثم من كان في غاية التمكين فان وجده يقصر عن هذه الحالة وعلى هذا
ينزل حال الصحابة رضي الله عنهم فانهم في غاية التمكين واما انكار اسما وابن سيرين وابن عمر
وقصة صاحب القميص فانما هي في شان جماعة غير صادقين في وجدهم وفي الاحيا لحجة
الاسلام الغزالي واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد
ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن
يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره او يكون له
في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر
عليه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان
على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس
ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد
يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عن السري رحمه الله حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان
ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه ولم يرجع معناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا الحد
في بعض الاشخاص انتهى وبالجملة فصدق بعض الافراد في الوصول الى حد يغيب عن
احساسه ويسقط سقطة المغمى عليه امر لا ينكره ذو لب وقد وقع من اجمع الناس
على حسن حال كذي النون المصري والشيخ عبد القادر وابن الرفاعي رضي الله عنهم
وعدم صدور ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم انما هو لقوة حالهم ولهذا قال ابو الحسن محمد
ابن احمد وكان من اهل البصرة صحبت سهل بن عبد الله التستري ستين سنة فما رايته تغير عند
شي كان يسمعه من الذكر او القران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يوخذ
منكم فدية الاية فرايته ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا
حبيبي

حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم
وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لا يرد
عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله ولا تغيره الواردات وان كانت قوية قال حجة الاسلام
الغزالي وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استوا الاحوال بملازمة الشهود
كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر
مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا
وشربه مستمرا بحيث لا يوثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاذ الدينوري اشرف
على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما
شغل همي ولا شفي بعض ما بي وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية وجه
استشهاده بهذه الاية ان الخشوع والخشية عند سماع القران يعتري كل من صدق به من جميع
الكائنات حتى الجمادات ولا ينقطع الا عمن قسا قلبه بمقتضى الشقا الذي قدره الله تعالى
عليه فقيل هذا الكلام على حقيقته وانه حث على تامل مواعظ القران وانه لا عذر في
ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه
ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة اي ذليلة متصدعا اي متشققة من خشية
الله تعالى وقيل خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشية الله ان يعصيه
فيعاقبه وقيل هو على وجه التمثيل للكفار لقوله وتلك الامثال نضربها للناس اي
انه لو انزل هذا القران على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المقهورون
باعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده وقيل هو تمثيل لحال النبي صلى الله
عليه وسلم اي يا محمد لو انزلنا هذا القران على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله فانظر الى
نعمة الله عليك حيث ثبتك على حمل اعبائه فقد ثبتناك لما لم تثبت له الجبال فسبحان
من تفضل عليه بما حير الافكار صلى الله عليه وسلم وقيل على ان هذا اي الروعة والخشوع

الذي يحصل عند سماعه وتلاوته خصص اي قراننا به فلا يوجد في غيره من الكتب انه يعتري
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره وهذا امر وجداني يعلمه من تتبع ذلك كما روي عن نصراني
انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل مم بكيت قال للشجا هو يطلق على ضدين الحزن
والطرب وكل منهما يمكن ارادته هنا والنظم اي حسن التاليف وانسجام التركيب وهذه
الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام اي قبل اسلام الذين اعترتهم وبعده اي بعد
اسلامهم فزادتهم خشوعا وايمانا فمنهم من اسلم لها لاول وهلة يجوز فيها سكون
الهاء وتحريكها و واهلة بالالف والمراد اول الشيء وهي في الاصل المرة من الفزع اي
لاول فزعة فزعتها بسماع كلام وامن به اي بالقران ومنهم من سمعها وكان مؤمنا
فحملته على الاقبال على الله بالكلية وذلك شيء كثير منه ما ذكره ابو المطرف عبد الرحمن بن
مروان القلانسي بسنده الى الحسن بن داهر قال سئل عبد الله بن المبارك
وكان سيد زمانه علما وعملا وزهدا عن بدء زهده قال كنت يوما مع اخواني في بستان
لنا وذلك حين حملت الثمار من الوان الفواكه فاكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت
مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليالي فضربت بصوت يقال له
راشين السحر واراد انسان يغني وطائر يصيح فوق راسي على شجرة والعود بيدي لا
يجيبني الى ما اريد واذا به ينطق كما ينطق الانسان وهو يقول الم يان للذين امنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى والله وكسرت العود وصرفت من
كان عندي فكان هذا اول زهدي وتشميري وبلغنا عن الشعر الذي اراد ابن المبارك
ان يضرب به العود انه

الم يان لي منك ان ترحما ۝ وتعصي العواذل واللوما
وترثي لصب بكم مغرم ۝ اقام على هجركم مأتما
يبيت اذا جنه ليله ۝ يراعي الكواكب والانجما

(هامش: مطلب ان لوهلة يجوز سكون هائها وتحريكها وبالالف — من المتقارب)

وفي رسالة القشيري عن الفضيل بن عياض ان سبب توبته واقباله على الله عز وجل انه
عشق جارية فواعدته ليلة فبينما هو يرقى الجدران اليها اذ سمع قاريا يقرا الم يان للذين امنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد ان فاواه الليل الى خربة وفيها
جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق فقال الفضيل اراني
بالليل اسعى في معاصي الله تعالى وقوما من المسلمين يخافونني اللهم اني قد تبت اليك
وجاورت في الحرم الشريف ومنهم من كفر كما سياتي عن عتبة بن ربيعة فحكي في الصحيح
هو حديث صحيح رواه الشيخان عن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف اسلم في فتح
خيبر وقيل يوم الفتح قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه
الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي يطير وفي رواية
وذلك اول ما قر الايمان في قلبي هذه الرواية رواها البخاري ايضا لكن في بحث المغازي
قيل كان جبير اذ ذاك في اسارى بدر وقيل في فدا اسارى بدر وكان اذ ذاك مشركا وزاد في
رواية للطبراني فاخذني من قراءته الكرب وفي رواية لغير الشيخين فكانما صدع قلبي حين سمعت
القران واستدل به على صحة ما يحمله الراوي حال الكفر وكذا الفسق اذا اداه في حال العدالة
قال الخطابي كانه انزعج عند سماع هذه الاية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته ففهم الحجة
واستدركها بلطيف طبعه وذلك من قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء قيل معناه ليسوا
اشد خلقا من خلق السموات والارض لانهما خلقتا من غير شيء وهم خلقوا من ادم
وادم من التراب وقيل المعنى اخلقوا لغير شيء اي هل خلقوا باطلا لا يؤمرون ولا ينهون
وقيل المعنى اخلقوا من غير خالق وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق واذا انكروا الخالق افهم
الخالقون لانفسهم وذلك في الفساد والبطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق واذا
بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا سبحانه وتعالى ثم قال ام خلقوا السموات
والارض اي ان جاز لهم ان يدعوا خلق انفسهم فليدعوا خلق السموات والارض وذلك

(هامش: قصة توبة الفضيل بن عياض ورجوعه الى الله)

لا يمكنهم فقامت الحجة ثم قال بل لا يوقنون فذكر العلة التي عاقتهم عن الايمان وهي
اليقين الذي هو موهبة من الله تعالى ولا يحصل الا بتوفيقه فلهذا انزعج كبير احتى كاد قلبه
يطير ومال الى الاسلام انتهى وعن عتبة بن ربيعة اي روي ونقل عنه والناقل لذلك
محمد بن كعب القرظي وروى هذا الحديث ابن اسحق في سيرته والبغوي في تفسيره وعتبة
هذا مات على كفره قتله يوم بدر حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه انه كلم النبي صلى الله
عليه وسلم في ما جاء به من خلاف قومه اي من مخالفته اياهم في عبادة الله تعالى وحده ونحو
ذلك وكيفية مكالمته اياه على ما نقله ابن اسحق انه قال يوما وهو جالس في نادي قريش
والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه
واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة
وراوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى فقام اليه عتبة
فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث علمت من السطة
في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم
وسفهت احلامهم وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من اباءهم فاسمع مني
اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا
لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا
نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان الذي ياتيك رئيا لا تستطيع
رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك فانه ربما غلب التابع على
الرجل حتى يداوى منه او كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يستمع منه قال قد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فتلا عليه حم
فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على فم رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف اي سأله بالرحم واقسم عليه به وانما عداه
الى مفعولين لانه ضمن معنى ذكره ويقال نشدته وناشدته ولا يقال انشدته والرحم يقع على
كل من يجمع بينك وبينه نسب وان بعد واطلاق الفقهاء الرحم على من بينك وبينه قرابة
من جهة الام ونحوها من باب النقل من العام الى الخاص وفي رواية فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرأ فان قلت الذي يوضح من جعل هذه انها تفيد ان النبي صلى الله عليه وسلم استمر
يقرأ مع ان جعل هنا من افعال الشروع في الفعل والتلبس بأول اجزائه ولم تأت للاستمرار
قلت هي هنا للشروع ايضا بقرينة الفعل المضارع الذي وقع في خبرها فانه يفيد التجدد
اي كلما انقضت قراءة يشرع في تجديد اخرى وعتبة مصغ جملة حالية من فاعل يقرأ
ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر
اليهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له
وفي السيرة الهشامية فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم
ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي
اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة
يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها في خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم
وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا
ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وقد حكى عن غير واحد ممن رام
معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع بميم مضمومة
ثم قاف مثناة مفتوحة ثم فاء موحدة مشددة ثم عين مهملة في القاموس رجل مقفع
اليدين كمعظم متشنجها وهو ابو محمد عبد الله بن المقفع رجل بليغ مشهور وكان اسمه

ابن المقفع

قوله قاف مثناة

داذبه بن البين ثانيتهما معجمة بينهما الف بعدها باء موحدة وهو الذي صنف كتاب كليلة
ودمنة ويقال هو الذي عربه من المجوسية الى العربية قال المهدوي ما وجد كتاب زندقة
الا واصله من ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد قالوا ونسي الجاحظ وهو
رابعهم ومع هذا كان فاضلا بارعا فصيحا اجتمع بالخليل بن احمد فسئل عنه الخليل فقال
رايت رجلا علمه اكثر من عقله وسئل هو عن الخليل فقال رايت رجلا عقله اكثر من علمه مات
سنة خمس واربعين ومائة وانما لقب ابوه بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده
طلب ذلك اي معارضة القران ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك
فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو بكلام البشر وكان من افصح
اهل وقته وكان يحيى بن الحكم كذا في نسختين حضرتا عندي الان من الشفا الحكم
بفتح الحا والكاف والصواب انه حكيم على وزن فعيل صرح به الذهبي في المشتبه
الغزال هو بتخفيف الزاي بعد الغين المعجمة مات سنة خمسين ومائة في عشر
المائة وكان شاعرا بديع القول بليغ الاندلس في زمنه فحكى انه رام شيا من هذا
فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني
خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة هي الرجوع الى الله تعالى بالتوبة يقال
اناب ينيب انابة فهو منيب اذا اقبل ورجع **فصل** ومن وجوه
اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها فان قلت
اخرج ابن ماجة بسنده الى حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس
الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة
ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه اية ويبقى طوائف من الناس
الشيخ الكبير والعجوز يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله فنحن نقولها
قال له صلة ما تغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة

فاعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه حذيفة
فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا قال القرطبي هذا انما يكون بعد موت عيسى
عليه الصلوة والسلام لا عند خروج ياجوج وماجوج فهذا الحديث صريح في ان القران
لا يبقى ما بقيت الدنيا قلت بقا الدنيا اذ ذاك كلا بقا ووجودها في تلك الايام كلا
وجود لان ذلك الزمان في حكم ايام القيمة مع ما تكفل الله بحفظه فقال تعالى انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون المراد بالذكر القران والمراد من حفظه الحفظ من الزيادة
والنقص ومن ان تزيد الشياطين فيه باطلا او تنقص منه حقا فهو تعالى تكفل بحفظه
ووكل حفظ غيره من الكتب الى من انزل عليهم قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله هذا
بنا على ان الضمير في له عائد الى الذكر وهو الاظهر وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم اي
حافظون محمدا صلى الله عليه وسلم من ان يكاد او يقتل نظيره قوله تعالى والله يعصمك
من الناس ونحن يجوز ان يكون تاكيدا للضمير المنصوب في انا باستعارة المرفوع
للمنصوب وان يكون مبتدا والجملة خبره وهو مع الجملة خبر ان وحفظ الله تعالى
له اما جعله معجزا في نفسه بحيث لا يقدر احد على ان يطرق اليه خللا لكونه في ذاته بيان ٧
معجزا واما بان الله تكفل بحفظه بصرف كل من رامه بسوء على قول الصرفة وقال لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الضمير المنصوب في ياتيه عائد الى الكتاب الواقع في قوله
قبل ذلك وانه لكتاب عزيز بنا على ان جملة لا ياتيه صفة لكتاب ويجوز ان يعود الى ما
عاد اليه الضمير في انه وهو الذكر في قوله ان الذين كفروا بالذكر اي القران بناء على ان
جملة لا ياتيه خبر بعد خبر اي لا ياتي هذا الذكر الباطل اي لا يكذبه ما جاء قبله من الكتب
ولا ياتي بعده كتاب يبطله وقيل هو كناية عن نفي تطرق الخلل اليه من كل جهة وقيل المراد
ان اخباره بما مضى وبما ياتي صادق لا يتخلف منه شي وسائر معجزات الانبيا انقضت
بانقضا وقتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز اي الذي اعزه الله فلا يتطرق اليه

خلل وقيل العزيز الكريم على الله تعالى وقيل العزيز الممتنع الذي صد الشيطان عن ان يوصل
اليه سوا الباهرة اياته اي المضيئة المشرقة التي لظهورها لا تخفى على احد الظاهرة معجزاته
اي كون البشر عاجزين عنه امر ظاهر لا يخفى على ما كان عليه متعلق بمحذوف اي كائن على
ما كان عليه فيما مضى من عصر النبي صلى الله عليه وسلم اليوم ظرف متعلق بمتعلق الخبر
اي كائن وثابت على ما كان فيما مضى عليه اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة
لاول نزوله الى وقتنا هذا وذلك زمن تاليف المصنف هذا الكتاب وانا اقول هذا
القران له في زمن رقمي لهذا المجموع الف عام وثمانية وعشرون عاما لاول نزوله وهو
باق على اعجازه لا يسمعه حلق ولا تركي ولا اعجمي الا علم انه كلام رب العالمين سوا
فهم معناه ام لم يفهم بل الصبية الصغار اذا سمعوه يرتاعون ويرتاحون لسماعه
فلله الحمد والمنة حيث جعلنا من المتمسكين به اللهم ثبتنا على هذا حتى نلقاك وانت
راض عنا فهو منذ نزل الى زمن تاليف المصنف كتابه والى زمن تاليفي هذا الشرح
وهو سنة خمس والف حجة قاهرة لمن عارضها اورامها بانكار او رد ومعارضة
ممتنعة اما لذاته او لصرف الله عنه هم المعارضين وقواهم والاوائل والاعصار
جمع عصر وهو في الاصل الليل والنهار لكن اريد به هنا مطلق الزمان اي الازمنة
كلها طافحة اي ممتلئة باهل البيان اي اصحاب المنطق الفصيح وهما قسمان اما ان يكون
ذلك فيهم سجية بحيث يقدرون على ايراد الكلام مطابقا لمقتضى الحال من غير كسب
ولا حفظ علم واما ان يكون ذلك من حفاظ منهم لعلمي البلاغة المعاني والبيان مع
ان الله تعالى منحهم ذوقا سليما وحملة علم اللسان اي اللسان العربي وهو اثنا عشر
علما علم اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والعروض
وعلم القافية والخط وقرض الشعر وانشاء النثر والمحاضرات ومنه التواريخ
واما علم البديع فهو ذيل لعلمي البلاغة المعاني والبيان وائمة البلاغة وفرسان الكلام

وجهابذ

وجهابذة البراعة جمع جهبذ بكسر الجيم وبالذال المعجمة في اخره وهو النقاد الخبير والبراعة
مصدر برع بتثليث الراء ومعناه فاق اصحابه في العلم وغيره او تم في كل فضيلة وجمال
والملحد فيهم اي المعرض عن طريق الحق في هولاء البلغاء العلماء كثير فلو كانت لهم قدرة على
معارضته لتقوى جهة الحادهم لفعلوا لكن الله تعالى طاطا له الرقاب والمعادي للشرع
عتيد اي حاضر مهيا لم يغب ولم يعدم بل هو موجود فما منهم من اتى اي احد اتى
فمن نكرة موصوفة وقعت في سياق النفي فعمت وشملت كل فرد فرد من افراد
من صدقت عليه كلمة من بشي يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته قدر
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه الا بزند شحيح اي من تكلف وصرف
نفسه لمعارضة هذا القران لم يات بشي الا بشي قليل جدا لان فكره شح لعجزه عن الدخول
الى هذه المقامات والرقي الى هذه الدرجات فكانه كالقادح المستخرج للنار من زند
وهو العودة التي يستخرج منها النار شحيح لعدم اخراجه شيا من النار فشبه
توجيهه ذهنه الى استخراج شي من الكلام لمعارضة هذا القران بالقادح في الزند
والملق عليه القدح فهو استعارة تصريحية تبعية وشبه فكره العاجز عن ذلك بالزند
الشحيح بجامع عدم وفائه باستخراج ما يرام منه فهو استعارة تصريحية ايضا
لكنها اصلية بل المأثور اي المنقول عن كل من رام ذلك التمادي في العجز بيد به اي
باعترافه كما وقع لابن المقفع وابن الراوندي الزنديقين والنكوص على عقبيه في القاموس
نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في
الاطلاقه فان قلت معارضة القران شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين
مع قولكم بانه خاص بالرجوع عن الخير قلت اما ان يقال انها خير في زعمه او اطلق
عليها النكوص على طريق الاستهزاء به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن
اعانة قريش على قتال النبي صلى الله عليه قال تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه

على انه الاصح جواز اطلاق النكوص على العقبين على الشر نادرا فلعل هذا منه **فصل**
وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة بفتح اللام في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه لا
يمله وسامعه لا يمجه المج يطلق على القا الشراب من فيه لكراهته لكنه استعير لكراهة
السمع الشي فيقال هذه كلمة مجها سمعي اي لم يقبلها بل الاكب على تلاوته يزيده حلاوة
اي ملازمة تلاوته تحلوله يقال اكب عليه اذا لازمه ولم يفارقه وترديده يوجب له
محبة لا يزال غضا طريا اي ناعما حديث العهد بالوجود اي كانه هذا الوقت نزل وكانه
لم يطرق سمعه قبل الان وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل اي المبلغ
اللائق به وليس الضمير راجعا للقران لانه لا يمكن ان يبلغ كلام مبلغ القران من البلاغة كما تقرر
الا على طريق الفرض والتقدير اي لو فرض وقدر ان كلاما بلغ مبلغ القران في البلاغة
فان السمع يمله لان كل مسموع مملول مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في
الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات اي الشدائد والضيق فيجد ببركتها فرجا
ومخرجا وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك بل تمل قراءته وسماعه حتى احدث لها
اصحابها لحونا اي اصواتا مصنوعة وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على
قراءتها ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم القران في الحديث الذي رواه الترمذي بانه لا
يخلق اي لا يبلى ولا يمل ويجوز في لام يخلق الضم والكسر والفتح لان ماضيه يجوز ان يكون
ثلاثيا وان يكون كنصر فمضارعه يخلق بضم اللام وان يكون ككرم فهو مضموم اللام ايضا
وان يكون كسمع فهو مفتوح اللام وان يكون ماضيه اخلق مزيدا فمضارعه يخلق مكسور
اللام مع ضم حرف المضارعة ليس الا واذا كان من اخلق فهو لازم وان كان الغالب
على ما كان على وزن افعل التعدية على كثرة الرد اي الترداد وعلى بمعنى مع فهي على حد قوله
تعالى وآتى المال على حبه اي مع حبه وقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
اي معه فذكر الاخلاق واراد به الكراهة بجامع ان الثوب اذا اخلق كره وترك فذكر

الملزوم

الملزوم وهو الاخلاق واراد لازمه وهو الترك ولهذا كان السلف ونحوهم ممن اراد
الله به خيرا يرددون الاية الواحدة ليلة كاملة لاستخراج ما فيها من المعارف وما حوته من
المزايا واللطائف فقد روى ابو ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردد قوله تعالى
ان تعذبهم فانهم عبادك ليلة وردد تميم الداري رضي الله عنه قوله تعالى وهم فيها كالحون ليلة
وردد سعيد بن جبير قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون ليلة حتى اصبح ولو ردد غيره
من الكلام ثلاث مرات لمل ومجه السمع لا تنقضي عبره بكسر العين وفتح الباء جمع عبرة بكسر
العين وسكون الباء وهي الامر العجيب والشان الغريب اي عجائبه لا تتناهى وهو معنى
قوله ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل اي الفاصل بين الحق والباطل وهو
جد لا هزل فيه لا يشبع منه العلماء اي لا يفرغ استخراجهم للعلم منه لانه لا يفرغ علمه
وكلما جالت فيه افكارهم وقفوا على فوائد لم تكن لهم على بال ولا تزيغ به الاهواء اي لا
تضل الاهواء اذا اتبعته فلو تبعه ذو هوى لم يضل وانما ضل من ضل لعدم اتباعه
ولا تلتبس به الالسنة اي لا يختلط به غيره بحيث يشتبه كلامه بكلام غيره لكونه كلاما
معصوما وقيل معناه انزل بكلام عربي مبين لا يلتبس بكلام عجمي حتى قال تعالى لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فلا يقرا بغيره من الالسنة المختلفة لان
الله تعالى جعل لطفه ومزيته بهذا اللسان دون غيره من الالسنة وقيل معناه لا تعسر
قراءته على السنة اهل الايمان فتلاوته هينة عليهم هو الذي لم تنته الجن حين سمعته
اي لم تقف الجن ولم تلبث بعدما سمعته حتى امنوا به من حسن الفاظه وكثرة معانيه
لانهم عرفوا ان هذا الكلام لا يشبه كلام المخلوقين ان قالوا اي عن ان قالوا اي عن قولهم
فان وما بعدها في تاويل مصدر اما في محل نصب على نزع الخافض فهو مثل قوله ع
كما عسل الطريق الثعلب واما في محل خفض وهو على حد قوله اشارت كليب بالاكف
الاصابع ۞ وحذف حرف الجر قبل ان مطرد قياسي انا سمعنا قرانا عجبا اي بديعا

مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وعجبا مصدر وصف به الذات للمبالغة
د قيل هو عجيب في بلاغة مواعظه وقيل في عظم بركته وقيل في عزته وعلام وجود مثله
وقوله يهدي الى الرشد اي لرشد الامور وقيل الى معرفة الله تعالى والله تعالى اخبر عن
الجن بذلك تبكيتا لقريش وتعييرا لهم حيث ادرك الجن من القران في مجلس واحد ما
عجزوا عن ادراكه في سنين عديدة مع حسن فهمهم وسرعة ادراكهم لشئون البلاغة
ولكن غلبت على من كفر منهم الشقوة واعاقتهم عن ذلك قسوة القلب اعاذنا الله من
غضبه ومنها اي من وجوه اعجازه جمعه اي القران لعلوم ومعارف جمع معرفة
والفرق بينهما ان المعرفة تقال للادراك الجزئي او البسيط والعلم للكلي والمركب ولذا
يقال عرفت الله دون علمته فان قلت قد جاء في الخبر ان من العلم كهيئة المكنون لا
يعلمه الا العلماء بالله فان الباء صلة العلماء قلت يمكن ان يقال ان الباء ليست صلة
العلماء وانما هي بمعنى اللام اي الذين هم علماء لوجه الله اي مخلصون لان المخلص من العلماء
يعلم ما لا يعلمه من لم يخلص وفي الحديث من اخلص لله اربعين صباحا تفجرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه وايضا المعرفة تقال للادراك المسبوق بالعدم او للاخير من
الادراكين لشيء واحد اذا تخلل بينهما عدم بان ادرك اولا ثم ذهل عنه ثم ادرك ثانيا
والعلم للادراك المجرد من هذين الاعتبارين ولهذا يقال الله عالم ولا يقال عارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة لمعرفتها لعدان تحقق انه
معصوم منذ ولد الى ان نبي عن الجهل بالله وصفاته واما تفصيل شرائع الدين فعلى
تقدير عدم علمه بها لا يضر ذلك عصمته ولا القيام بها لغموضها وعزة شانها قوله ولا يحيط
بها احد من علماء الامم جواب عن سؤال يعترض هنا تقريره ان يقال لا يلزم من عدم علم العرب
عامة ومحمد صلى الله عليه وسلم بها خاصة ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم علمها من جناب الله
تعالى لجواز ان يكون علمها احد من علماء الامم كاحبار اليهود وعلماء النصارى وان يكون محمد

صلى

واقصى العهد ونحن مسلمون
نعيد والاغبر علينا ان
احصا منه غير الحافظة
الا امه يكن بعيدنا هذا
ولو كان هو

صلى الله عليه وسلم تعلمها منهم وتقرير الجواب ان ذلك لو كان لنقل لاسيما وهم في معرض الخصام
ومتصدون الى تكذيبه صلى الله عليه وسلم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم كتبهم فان كتبهم تقرا وعلمها
كثير من الناس ولو وجد فيها شيء من هذه العلوم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم لكان اقوى
شبهة لهم في التمسك على تكذيبه صلى الله عليه وسلم فجمع فيه من بيان علم الشرائع جمع شريعة
وهي لغة المذهب والملة ويقال لمشرعة الماء وهي مورد الشاربة ومنه الشارع لانه
طريق الى القصد فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين وهي عبارة عن وضع الهي لما
يتعرف منه احكام عقائدهم وافعالهم واقوالهم يترتب عليه صلاحهم في داري المعاش والمعاد
وقيل الشريعة الامر والنهي والحدود والفرائض وقيل البينة لانها طريق الى الحق وقيل
السنة لانه يستن بطريقه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم من الانبيا والتنبيه على طرق الحجج
العقليات يشير بذلك الى ان العقلاء وان اقاموا البراهين والحجج على مدعياتهم وان للعقل
قدرة على اقامة الحجج على وحدانية الله تعالى بالاستقلال من غير احتياج الى معونة من جانب
الله تعالى وانبيائه لكن تلك قدرة على القاصرة قد احاط بها العجز فوقع من زعم الاستقلال
في كفر عظيم وضلال مبين والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة
الالفاظ موجزة المقاصد اي مقاصدها موجزة وصف المقاصد بالايجاز مع ان
الايجاز من صفات الالفاظ باعتبار انه عبر عن المقصود بلفظ موجز اي باقل من
عبارة المتعارف من غير اخلال رام اي قصد المتحذلق في القاموس حذلق اي
بالذال المعجمة اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق وانما وصفهم المصنف بذلك
لان دون ما راموه خرط القتاد وامتطاء الكواكب واني للمخلوق الضعيف ان يصل الى
مثل كلام الخالق عز وجل ولو كان الحذق فيهم حقيقة لا تكلفا لكانوا يلزمون حدود
انفسهم ويعرفون عجزهم ويتادبون مع الصادق صلى الله عليه وسلم بعد مبني على الضم
لانه من الغايات وقد نوى معنى المضاف اليه اي بعد زمنه صلى الله عليه وسلم واما في

الكلام على
الشريعة
تقدم في
هذا السفر

زمنه فان عجز فصحی عدنان وبلغا قحطان مما تواتر وبعد متعلق بمحذوف على انه حال من
فاعل رام وهو المتحدين عن ان ينصبوا ادلة مثلها اي تشابهها في الايجاز وسهولة
الالفاظ فلم يقدروا عليها اي على تلك الادلة كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم فان هذه حجة اقامها الله تعالى على منكري البعث حيث حكى الله عنهم بقوله
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه الاية وتقرير الحجة ان اجسادكم صغيرة وان هيئتكم حقيرة
بالنسبة الى خلق السموات والارض فمن خلق هذه الاجرام العلوية مع عظمها وحسن شكلها
وعجيب اثرها بوقوعه في كتابه وعلى لسان انبيائه سيما محمدا صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن
المعاد الجسماني ما لم يخبر به نبي قبله وقل يحييها الذي انشاها اول مرة فان فيها ايضا ردا
على منكري المعاد الجسماني بقولهم من يحيي العظام وهي رميم وتقرير الحجة ان قدرة الله تعالى
قديمة ازلية وقد انشا الله تعالى العظام اول مرة افترون قدرته تغيرت فان قلتم بذلك فقد
جوزتم تغيير القديم وكيفية خلقها فيعلم سبحانه اجزا الاشخاص التي تفتت والمواد
التي تبددت اصولها وفصولها ومواقعها وطرق تمييزها وضم بعضها الى البعض على النمط
الاول واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها ومثل قوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا فلو بمعنى ان في ان الكلام معها ايجاب والا بمعنى غير فهي ليست
للاستثنا ظهر اعرابها فيما بعدها والله باعتبار وقوعه بعد الا التي بمعنى غير نعت لالهة ولا
يجوز رفعه على البدل لانه يصير المعنى حينئذ لو كان فيهما الله لفسدتا وذلك فاسد وايضا البدل
انما يكون فيما اذا كان الكلام غير موجب ولو بمعنى ان فالكلام معها موجب ولا يجوز نصبه
على الاستثنا لانه يصير المعنى ان فسادهما لوجود الله مع الالهة فقد اثبت الهة غيره تعالى
ولان الهة نكرة والجمع اذا نكر لا يستثنى منه عند المحققين لانه لا يعم المستثنى لولا
الاستثنا وقوله الا الله يوجب ان لا يدبرها الا واحد ويوجب ان لا يكون الا الله تعالى
علاه وجل ثناؤه وانما فسدتا حينئذ لوجود التمانع لان كل امرين اثنين او اكثر لا

تجري على نظام واحد وان كانا حكيمين ويريان المصلحة لان الشي قد يتناوب جهتا الحكم فيه
ولا بد من ايقاع احدهما وبقية الكلام على برهان التمانع مسطور في الكتب الكلامية
الى ما حواه من علوم السير اي الطرائق التي تعزى للانبيا السالفين والامم الماضين
وانبا الامم اي اخبارها بحيث لا يحيط بها الا احد ثلاثة اما من حضر الوقايع او
من كان قارئا يقرأ الكتب والتواريخ او من جالس العلما الذين قرأوها والكل ثابت
الانتفا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعين ان يكون المخبر له بها العليم الخبير
والمواعظ جمع موعظة وهي ذكر ما يلين القلب من الثواب والعقاب والحكم جمع حكمة
وهي مصدر من الاحكام وهو الاتقان في عمل او قول والمراد من الحكمة ما يورث في
العقل والذهن تجافيا عن دار الغرور والاقبال على دار البقا والحبور واختيار الدار الاخرة
ومحاسن الاداب والشيم جمع شيمة وهي الطبيعة قال الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب
من شي الاستدلال بهذه الاية مبني على ان المراد من الكتاب القران والعموم المستفاد من
وقوع من في سياق النفي داخلة على نكرة محضة اما انه باق فان جميع الاشيا في القران اما
تصريحا واما تلويحا وايما واما انه مراد به الخصوص اي من شي يحتاج اليه المكلف فما من
شي من امر الدين الا وقد شرحه القران او اجمله وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم او
من اجماع الامة او من القياس الذي ثبت بالنص ويدل على الاول الاية الاتية فانها
صريحة في ان القران لم يترك شيا الا وبينه او نبه عليه واحال على استخراجه من افكار
الراسخين في العلم ومن في من شي قيل زائدة في المفعول به التقدير ما فرطنا في الكتاب شيا
فان قلت فرط لا يتعدى بنفسه وقد تعدى بفي الى الكتاب قلت يتضمن معنى اغفلنا
وقيل يبقى فرطنا على ظاهره من غير تضمين ومن في من شي زائدة في المصدر وشي عبارة
عن المصدر واما ان اريد بالكتاب اللوح المحفوظ فلا وجه للاستدلال بالاية في هذا
المقام وانزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شي هذه الاية لا احتمال فيها ان يراد بالكتاب الا

القران فقد اضرفيه ان القران بين كل شي مما يحتاج اليه العبد من امور الاخرة واحوال الدنيا
التي تعين على السعادة فالعموم يراد به الخصوص او هو على ظاهره والعموم ادعائي كان ما
لم يبين في القران ليس بشي وان الجهل به غير مضر ولهذا اكتفى صلى الله عليه وسلم في مرض
موته بالاحالة على القران ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل في اية اخرى ولقد صرفنا
للناس في هذا القران من كل مثل والضرب الواقع في هذه الاية معناه البيان اي بينا
والتصريف هو التكرير اي كررنا بوجوه مختلفة زيادة في البيان والتقرير والمثل في
الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثيل كشبه وشبيه ثم نقل الى القول السائر الممثل
مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير
لكل حال او قصة او صفة لها شان وغرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
وقوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله تعالى من كل مثل اي من كل معنى هو كالمثل في غرابته
ووقوعه موقعا في الانفس والاستدلال بهذه الاية مبني على ان من زائدة وكل
مفعول به لكن الجمهور لا يرون زيادتها في الاثبات ولا يراه الا الكوفيون والاخفش
من البصريين واستدلوا بقوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل هذا القران آمرا اي مشتملا على امر الله تعالى وزاجرا اي ناهيا مانعا
وليس المراد من كونه آمرا وناهيا تعلق امره ونهيه بفعل المكلف تعلقا تنجيزيا التكوين
لحال مقدرة وانما المراد اشتماله على الامر واشتماله عليهما مقارن لنزوله فكانت مقارنة لا
مقدرة وسنة خالية اي مشتملا على طريقة من خلا اي ذهب ومضى كاشتماله على ما كانت
عليه بنو اسرايل ومثلا مضروبا فقد اشتمل على ضرب امثال لا حصر لها وانما اشتمل القران
على ضرب الامثال زيادة في توضيح المقال وتعريض فانه اوقع في القلب واقمع للخصم لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا قاله القاضي البيضاوي ولامر ما اكثر الله
تعالى في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبيا والحكما فيه نبا كم المخاطب بذلك الصحابة

وقد

وقد اشتمل القران على الكثير من اخبارهم التي جرت لهم كخبرهم عما وقع في بدر وما جرى في احد وخبر
ما كان قبلكم من قصص الامم الماضية من الانبيا وغيرهم ونبا ما بعدكم من يوم القيمة
واحوال البرزخ وذكر الجنة والنار وما يصير في يوم القيمة وحكم ما بينكم ما موصولة اي الحكم
الذي وقع بينكم اي بين حياتكم وموتكم وما هو دائر بينكم مما هو متصف بالحلال والحرام والكفر
والايمان والطاعة والعصيان وغير ذلك لا يخلق طول الرد خلق الثوب واخلق اذا بلي
اي لا يزول رونقه ولا تقل طلاوته ولذة قراءته واستماعه بكثرة ترداده اي تكرار تلاوته
على السنة التالين واذان المستمعين واذهان المتفكرين مرة بعد اخرى لا تمل طلاوته ولا
توجب سامته بل يصير كل مرة يتلوه التالي الذ لذة وجده على خلاف ما عليه كلام المخلوقين
ولا تنقضي عجائبه اي لا ينتهي احد الى كنه معانيه هو الحق ليس بالهزل في رواية هو الفصل
اي الفاصل بين الحق والباطل والهزل ضد الجد وهو الكلام الخالي عن الفائدة قيل واشتقاقه
من الهزال ضد السمن اي هو حق كله ليس ما يخلو عن اتقان وتحقيق يبنى عن امر خطير وفائدة
عظيمة من قال به صدق في القاموس قال به غلب به ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به
اي من غلب على خصمه بالقران لا يكون في نفس الامر الا صادقا ومن حكم به عدل ومن خاصم به
فلج بفتح الفا واللام وفي اخره جيم يفلج مثل ضرب يضرب وباتي مثل نصر ينصر والفلج الظفر والفوز
ومن قسم به اقسط اي اوقع على مقتضى ما فيه قسمه فقد اقسط اي عدل ومن اسمائه تعالى
المقسط اي العادل واما قسط المجرد فهو بمعنى جار فالهمزة فيه للسلب كما يقال شكى اليه
فاشكاه اي ازال شكايته ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب
الهدى من غيره اضله الله قيل هو دعا عليه من النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اخبار عنه لان
طلب الشي من غير محله ضلال ومن حكم بغيره قصمه الله القصم بالقاف كسر الشي وابانته
وفي الحديث الفاجر كالارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله تعالى ويجوز ان تكون هذه الجملة دعا
عليه من النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون اخبارا عنه بذلك هو الذكر الحكيم اي القران ذكر يتذكر

والنهي

بلغ مقابلة على خط المولف

براي يتعظ وقيل المراد بالذكر ما كان جليلا وفي الحديث القران ذكر فذكروه اي جليل
خطير فاجلوه وقيل الذكر من اسما القران قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وسمي ذكرا لانه فيه ذكر
ما ينبغي والحكيم المحكم اباية العاري من الاختلاف واللغو والعبث فعيل بمعنى مفعل او وصف
لوصف المتكلم به تعالى ومعنى المحكم الذي لا ينسخ الى يوم القيمة ولا تقدر جميع المخلوقات على ان
ياتوا بمثله او ذو الحكمة في تاليفه والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين اي عهده
وامانه الذي يومن به من العذاب وقيل هو نور هداه اذ قد يشبهون النور الممتد بالخيط
والحبل قال تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر اي نور الصبح
من ظلمة الليل وفي الحديث القران كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض اي نور ممدود
وقيل هو السبب القوي والوصلة التي يوثق بها ويعتمد عليها في التمسك والمتين القوي
يعني القران كحبل بين الله وعباده فمن تمسك به وصل الى الله تعالى والشفا النافع اي النفع
الكامل لان غيره وان كان شافيا الا ان شفاه نافع نفعا دنيويا وان كان فيه نفع
اخروي فلا يغني غنا القران فان من داوى قلبه واصلح فساده بايات الله شفي شفا لا
سقم بعده عصمة لمن تمسك به بكسر العين ويجوز ضمها اي منع من وصول الضرر اليه
وحافظا له من ذلك ونجاة اي خلاص لمن اتبعه لا يعوج فيقوم بنصب يقوم
لوقوعه بعد الفا في جواب النفي المحض وهو منصوب بان مضمرة وفاقا للبصريين لا بالخلاف
كما زعمه الفرا ولا بالفا كما زعمه الكوفيون والاعوجاج كناية عن دخول الخلل فيه فيحتاج الى
اصلاح وهو الذي عبر عنه بالتقويم اي ليس هو كسائر الكلام اذا تواردت عليه الافكار
ادخلت عليه الخلل والانتقاد فاحتاج الى الاصلاح ولا كسائر الكتب التي لما وقعت في
ايدي احبار الامم فعلوا فيها ما ارادوا من زيادة او نقص ولما ينزل عيسى بن مريم في اخر
الزمان لتقوم التورية والانجيل بخلاف كتابنا ولا يزيغ فيستعتب بنصب يستعتب
ايضا لوقوعه في جواب النفي المحض اي لا يميل كتابنا عن الحق يقال زاغ يزيغ اذا مال

عن

عن الحق ويخرج عن السنن المرضي ليطلب الرضا ممن وقف عليه يقال استعتب اي طلب
ان يرضى عنه وفي رواية للترمذي ولا تزيغ به الاهوا ومعناه ان من اتبع هوى نفسه وتمسك
بما في القران لا ياخذه القران الا الحق ولا يجد به الا الطريق الاقوم ولا تنقضي عجائبه اي
معانيه الغريبة ونكاته العجيبة لا يصل احد الى غايتها ولا ينتهي فكر الى نهايتها فما توجه اليه
فكر ذي فن من الفنون الا وكل ذلك الفكر ومل ورجع بعد ان يتملى من كثير غرائبه ويقف
على جواهر عجائبه وهذا امر مشاهد محسوس ولا يخلق على كثرة الرد مضارع خلق الثوب
بالضم يخلق كحسن يحسن ويجوز ان يكون مضارع اخلق يخلق يقال خلق الثوب واخلق
اذا بلي اي لا يزول رونقه ولا تمل طراوته ولذة قراته واستماعه بكثرة ترداده اي تكرار
تلاوته على السنة التالين واذان المستمعين واذهان المتفكرين مرة بعد اخرى لا تقل
طراوته ولا تزول حلاوته ولا توجب ذلك السامة منه بل كلما تلاه التالي صار اكثر لذة مما
راه اولا فعلى في قوله على كثرة الرد بمعنى مع على حد قوله تعالى ان الله لذو مغفرة للناس على ظلمهم
اي معه وفي رواية عن كثرة الرد اي لا يخلق ويزول رونقه زوالا ناشئا عن كثرة الترداد
كما هو شان سائر الكلام فانه اذا كثر ترداده مله السامع ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا
م ت يختلف ولا يتشان بفتح اوله ثم مثناه فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم الف ثم نون مشددة
وفي نسخة من الشفا وجد بعد النون همزة من تشانا يتشانا والصواب انه لا همزة بعد
النون وانه ماخوذ من الشن وهو القربة البالية العتيقة فهو بمعنى لا يخلق على كثرة الرد وزاد
في رواية ابن مسعود ~~هذا القران حبرا ولا~~ هذ ولا يتفه بياء مثناة من تحت ثم مثناة من
فوق ثم فا موحدة ماخوذ من الشي التافه اي الحقير الذليل اي لا يصير هذا القران حقيرا ولا
ا ت ذليلا بل هو على ممر الدهور عزيز جليل فيه نبا الاولين اي الامم الماضين والانبيا الذين
والقرون الهالكين والاخرين كانبا هذه الامة واخبار اشراط الساعة وخروج ياجوج وماجوج
والدابة والرمز الى خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك وفي الحديث قال الله

تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة اي كتابا شبيها بالتورية في اشتماله على ذكر الامر
والنهي والوعد والوعيد فاطلاق التوراة على القران استعارة تصريحية وتشبيه هذا القران
مع كونه اجل من التوراة بها باعتبار انها كانت قبل نزوله اشهر منه واكثر ذكرا منه وان كان
بعد ذلك ظهر للقران شان ليس لغيره من الكتب حديثة اي حديث نزولها وان كانت في حد
ذاتها قديمة فلا دليل للمعتزلة بمثل هذا الحديث على حدوث كلام الله تعالى تفتح اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف اي مستورة من
جميع جوانبها فلا تقبل الحق ولا تفهمه فيها ينابيع العلم اي العيون التي تخرج منها العلم والعيون
الذي جرى فيه العلم فتشبيه العلم بالماء الخارج من الينبوع استعارة مكنية واثبات الينبوع له
استعارة تخييلية وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب اي كعب الاحبار عليكم بالقران اي
استمسكوا به فانه فهم العقول اي مفهومها وانما اسنده الى العقول لان العقل لا يدرك الا الحق
والاوهام انما تاتي من الحواس الباطنة ولن يضل العقل وانما يضل بغلبة الوهم قال تعالى ان هذا
القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون دليل على ان هذا القران كشف من الغوامض
التي وقعت بنو اسرائيل في الاختلاف فيها لعدم ايضاح امرها في كتبهم كالتشبيه والتنزيه
وكامر عزير والمسيح وكالاختلاف في شان سليمان هل هو نبي او ملك وكاحوال المعاد الجسماني
وكامر المسيح هل قتل وصلب اولا وانما قال اكثر لان بعض الاحكام الغامضة التي كلفوا
بها ولم نكلف نحن بها ابقاها على غموضها ولم يبين امرها لانا لم نكلف بها وقال هذا بيان للناس
وهدى يجمع فيه مع وجازة الالفاظ مصدر وجز على وزن كرم او علم اي قلتها وجوامع كلم
اي التي معانيها كثيرة والفاظها قليلة بل غلب هذا الوصف على القران بحيث اذا اطلق هذا
اللفظ اريد منه القران ففي الحديث اوتيت جوامع الكلم اي القران فان الله تعالى جمع بلطفه في
الالفاظ اليسيرة معاني كثيرة اضعاف ما في الكتب قبله اي امثالها التي الفاظها على
الضعف منه مرات ومنها جمعه بين الدليل والمدلول كما في سورة الواقعة فانه تعالى بعد ان

حكى

نور حكمة

حكى كلام منكري المعاد الجسماني بقوله وكانوا يقولون ائذا متنا الى اخره قال افرايتم ما تمنون
الى اخر الدلائل فالدليل ما تضمنه قوله افرايتم الخ من صلاحية قدرته تعالى لما هو اصعب من
المعاد الجسماني والمدلول وقوع المعاد الجسماني والاعتراف بصلاحية قدرته تعالى وذكر انه
احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها انه جعل في حيز المنظوم الذي لم يعهد لانه ليس من وزن من اوزان القريض المعروفة ولا
هو على اسلوب النثر ولم يكن في حيز المنثور بل لاشتماله على الفواصل خرج عن كونه منثورا
ولعدم مجيئه على وزن معروف من اوزان الشعر لم يكن شعرا لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى للقلوب اي القلوب اوعى للمنظوم من المنثور فقد جره او عى على القلوب فهو اسم تفضيل
من الفاعل لانه محمول على القلوب والقلوب واعية وليس جاريا على المنثور ليلزم بناء اسم
التفضيل من المبني للمفعول واسمح في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه
اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر الاستدلال بهذه الاية مبني على ان المراد بتيسيرنا سهلنا حفظه واعنا عليه
من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه حتى نعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هياناه
للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال عمر
وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع وقال سعيد بن جبير ليس
من كتب الله تعالى كتاب يقرا كله ظاهرا الا القران وقال غيره ولم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا
يقرؤن التوراة الا نظرا غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم
وعلى نبينا وسلامه اجمعين ومن اجل ذلك افتتنوا بعزير على نبينا وعليه الصلوة والسلام
لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين احرقت وقيل رفعها الله ومحاها لما قتلوا انبياءهم
فجاء عزير فاملاها عن ظهر قلبه فافتتنوا فيه وقالوا انه ابن الله عز وجل سبحانه وقد يسر الله تعالى

من الطويل

على هذه الامة حفظ كلامه ليذكروا ما فيه اي ليتعلموا الذكر والاتعاظ هو ان ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم وقوله فهل من مدكر اي قارئ يقرؤه وقال ابو بكر الوراق وابن شوذب فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه وسائر الامم سائر ماخوذ من السور مهموز العين بمعنى الباقي اي باقي الامم وقرابتي سائر بمعنى الجميع الا انه قليل لا يحفظ كتبهم اضافه الى الامم باعتبار انها نزلت اليهم والا فالمتكلم بالكتاب لنا ولسائر الامم هو الله تعالى الواحد منهم فكيف الجم اي الجمع الكثير على مرور السنين والايام عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة جمع غلام وهو الولد من حين يولد الى ان يشب ومنها مشاكلة بعض اجزائه اي مشابهتها بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتلاف التام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى وهو امر ينبغي للمتكلم ان يتانق فيه وهو الخروج مما ابتدى به الكلام من تشبيب وآداب وافتخار وشكاية الى المقصود مع رعاية المناسبة بين ما شبب به الكلام اي ابتدى به وبين المقصود وانت تشاهد سور القران لحد المقصود من السورة شيا وقد افتتحت السورة بخلافه فبينا انت في ما افتتحت واذا بك قد صرت في المقصود مع انصباب الكلام كله في قالب واحد وانما كان ينبغي التانق في التخلص لان السامع يكون مترقبا للانتقال من الافتتاح الى المقصود كيف يكون فان جاء حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاطه واعان على الاصغاء الى ما بعده والا فبالعكس ولعمري لقد استعار شعر الاسلام من كتاب الله عز وجل هذا التخلص الحسن بحيث الى المقصود مع ملائمة تامة كما في قوله

من البسيط

* تقول في قومس قومي وقد اخذت * منا السرى وخطى المهرية القود *
* امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود *

وقد كان شعر الجاهلية يعتنون بهذا الامر لا يلاحظون تمام الملايمة وقد سمى ذلك علما البيان بالاقتضاب وهو حسن التخلص الا انه غير مشروط برعاية المناسبة التامة

وقد وقع

وقد وقع ذلك ايضا في شعر المخضرمين كلبيد ونحوه كقوله

من الخفيف

* لو راى الله ان في الشيب خيرا * جاورته الابرار في الخلد شيبا *
* كل يوم تبدي صروف الليالي * خلقا من ابي سعيد غريبا *

فالفرق بين الاقتضاب وحسن التخلص عدم المناسبة في الاقتضاب ووجودها في حسن التخلص ولله در الشيخ برهان الدين البقاعي فانه في تفسيره بين مناسبات الاي بعضها مع بعض واذا تطلع الانسان من علوم البلاغة وتامل اي القران لا يجد درة من ذراته ولا لفظة من كلماته الا وهي واقعة في حيزها اللائق الذي لا لياقة فوقه ولا مناسبة اتم منه ذلك الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون والخروج

السوءم

من باب الرغبة مع اختلاف معانيه وانقسام الواحدة على امر عدي انقسام بعلى ملاحظا ان الامر وما عطف عليه كانه مقسوم عليه وان المتكلم عز وجل جعل هذه الالفاظ بعضها لجهة الامر والبعض الاخر لجهة النهي وهلم والامر هنا المراد منه اللفظي لا النفسي وهو اقتضا فعل غير كف مدلول عليه بغير لفظ كف والمراد بالاقتضا سواء كان جازما ويسمى ايجابا ام غير جازم ويسمى ندبا وقولنا غير كف خرج النهي والكف المدلول بلفظ كف ومرادفه كذر واترك يسمى امرا لا نهيا هذا الامر اللفظي واما الامر النفسي فهو القول المقتضي لفعل الخ ونهي والمراد منه اللفظي وهو القول الدال على اقتضا كف عن فعل بغير لفظ كف ونفس الاقتضا هو النهي النفسي وخبر وهو ما احتمل الصدق والكذب بالنظر الى ذاته وان قطع بصدقه او كذبه لامور خارجة كخبر الله تعالى صدقه قطعا بالنظر الى الخبر وقولنا النقيضان يجتمعان كذب قطعا بالنظر الى خصوص هذا الخبر واما اذا قطع النظر عن الخصوص فهو محتمل للصدق والكذب واستخبار اي استفهام ولا شك انه لا يقع من الله تعالى على حقيقته فهو ان كان منه تعالى فهو اما للانكار واما للتقرير واما

للتوبيخ فان كان ما بعده غير واقع في نفس الامر فهو للانكار وان كان واقعا وفاعله ملوم
فهو للتوبيخ والا فللتعيير لكن كما قد يحكيه الله تعالى عن غيره ووعد ووعيد في النهاية الاثيرية
الوعد يستعمل في الخير والشر يقال وعدته الخير ووعدته الشر فاذا اسقط الخير والشر قالوا في
الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد واثبات نبوة كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
الاية وقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم مشعرة بان مثلك وانت امي لا تخبر بهذه
القصص على وجه التفصيل التام الا بوحي من الله تعالى وذلك من الاعجاز المثبت للنبوة وتوحيد
كقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وترغيب وهو حمل الى طلب على ارادة الشي
وفعله كذكر ثواب العبادات الحامل للمخاطب على الاقبال عليها والميل اليها وترهيب اي
تخويف بان يذكر ما يترتب على المعاصي من العقاب فيكون ذلك حاملا على تركها وتقرير
لاحكام التوحيد والشرعيات على اوضح وجه واكمله الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل
فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته اي حسنه
وفصاحته فان الكلام الجزل خلاف الركيك وقل رونقه اي حسنه وبهجته وتقلقلت
الفاظه اي عسرت وصعب فهمها فتامل ص وما جمع فيها من اخبار الكفار كالاخبار اول ص
عن كفار قريش بانهم عجبوا ان جاءهم منذر منهم وبانهم قالوا ان هذا ساحر كذاب الى غير ذلك
مما اخبر عنهم وشقاقهم اي مخالفتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال بل
الذين كفروا في عزة وشقاق وتقريعهم اي توبيخهم باهلاك القرون من قبلهم كقوله تعالى
كم اهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه
وسلم كقولهم ما سمعنا بهذا اي بما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم في الملة الاخرة ان هذا الا
اختلاق وتعجبهم مما اتى به حيث قالوا اانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما
يذوقوا عذاب كانهم انكروا في ذلك كون محمد صلى الله عليه وسلم خص من بينهم بالوحي وهو
مثلهم او دون منهم في الرياسة الدنيوية والشرف ولهذا قالوا لولا نزل هذا القرآن

على

على رجل من القريتين عظيم وذلك كله دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على
الحطام الفاني والجزع عن اجتماع متعلق بالخبر لانه بمعنى الاخبار ملائهم اي جمعهم وهم
اشراف قريش بعدما اجتمعوا في مجلس ابي طالب وذلك انه لما اسلم عمر بن الخطاب رضي
الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انت شيخنا
وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هؤلاء يسالونك ذا السؤال فلا تمل كل
الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسالوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا
وندعك والهك فقال ارايتم اذا اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقاموا من ذلك
المجلس وقالوا امشوا واصبروا على الهتكم الى اخر الكلام وما ظهر من الحسد في كلامهم حيث
قالوا انزل عليه الذكر من بيننا وتعجيزهم حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز
الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب فانهم
لما انكروا تفرد النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم ان النبوة من رحمتي اضعها
حيث شئت ولا مانع لي من ايصالها الى محلها فهم لا يملكون خزائن رحمتي حتى يجعلوها
للنبوة في بعض صناديدهم بل هم لا يملكون التصرف في العالم الجسماني الذي هو جزء
يسير من خزائن رحمتي فمن اين لهم التصرف في شان النبوة فان كان لهم ذلك فليصعدوا
في الاسباب اي المعارج الموصلة الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر هذا العالم
فينزلوا الوحي الى من يستصوبونه وهذا غاية في التهكم بهم وايقاعهم في حالة العجز
والقصور وتوهينهم اي تضعيفهم وجعلهم ضعفاء حقراء اذلة حيث قال في شانهم
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هؤلاء الذين كذبوك يا محمد جند ما اي جند حقير من الكفار
المتحزبين على الرسل مهزوم اي مكسور حقير فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في

على الكفرة

الامور الربانية فلا يكترث بمن هو في هذا المقام وانظر الى من هو مالك امر السموات والارض
ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة حيث قال ما ينظر هولا الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي
من توقف قدر فواق وهو ما بين الحلبتين والاشارة بهولا الى الملا الذين سبق الكلام
عليهم وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله تعالى لهم ووعيد هولا بمثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على اذاهم حيث قال اصبر على ما يقولون الى اخره وتسليته بكل ما تقدم ذكره
من كونهم عجزة اذلة ومن ان الله هو الذي خصك بالرسالة وان فعل هولا وتكذيبهم بمنزلة
العدم لضعفهم وعجزهم وحسدهم وجهلهم ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا كل هذا في
اوجز كلام واحسن نظام ومنه اي من اعجازه الجملة الكثيرة من المعاني التي انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة
ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا نحب ان تعدونها تعاضدا في
اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة في القاموس الفن الضرب من الشي اي
النوع منه وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم اي عن الائمة تعد في خواصه وفضائله لا
اعجازه وانما ذكروه في بحث الاعجاز لانه مشعر بنوع اشعار بانه من عند الله تعالى لان من
كان مومنا يدله ذلك على ان هذا القرآن من عند الله تعالى واما الجاحد فلا يصح جحوده الا
وجوه الاعجاز التي ذكرناها وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها
وما بعدها من خواص القرآن وعجايبه التي لا تنقضي **فصل في انشقاق**
القمر وحبس الشمس الواقع في قصة الاسرا وسكت عن رد الشمس الواقع في قصة علي رضي الله
عنه مع ان معجزته ام لانهما من واد واحد مع ان الحبس اعم لان المراد منه الا من سيرها المعتاد
سوا ردت الى جهة المشرق ام ثبتت من غير سير ولا رد كما وقع ليوشع في قتال الجبارين
قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي
قربت القيامة لانها بالاضافة الى ما مضى قريبة لانه قد مضى اكثر الدنيا وقد روى قتادة

وبالله التوفيق هو

عن انس

عن انس كان خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب فقال ما بقي من
دنياكم فيما مضى الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى وما ترى من الشمس الا يسيرا وقال
كعب ووهب الدنيا ستة الاف سنة نقله القرطبي في تفسيره لكن وردت احاديث
صحيحة ان عمر الدنيا سبعة الاف سنة وذلك في حديث رواه الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول وفي حديث اخر اخرجه ابن عساكر بسنده الى انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لمسلم في الله تعالى كتب الله تعالى له عمر الدنيا سبعة الاف
سنة صيام نهاره وقيام ليله وفي حديث اخرجه ابن عدي بسنده الى انس ايضا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الدنيا سبعة ايام من ايام الآخرة قال الله تعالى وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون وفي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت
انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى وهو صلى الله عليه وسلم اول اشراط
الساعة وقد اخذ الجلال السيوطي من مقتضيات الاحاديث ان الدنيا تبقى بعد
الالف خمسمائة عام او قريبا منها والله اعلم لكن المنجمين قد اكثروا الخوض في وقت انقضا
العالم ولم يقل احد منهم شيئا بعلم ولكن بظن وحدس لانهم اخذوا ذلك من احوال
الكواكب فقال بعضهم عمر الدنيا سبعة الاف سنة بعدد الكواكب السيارة لكل كوكب الف
وقال بعضهم اثنتا عشرة الف سنة بعدد البروج لكل برج الف سنة وقال بعضهم
ثلثمائة وستون الف سنة بعدد درجات الفلك لكل درجة الف سنة لكن لا يعول على
ذلك من الف علوم الشرع لان الكتاب والسنة نطقا بمجي اشراط وحديث الدجال
المروي في صحيح مسلم عن تميم الداري انه راه في دير وسأله عن نبي الاميين صلى الله عليه
وسلم فقال انه بعث فسر الدجال بذلك لقرب خروجه وبعثه من علامات الساعة
وقال تعالى فقد جاء اشراطها وذلك كله مشعر بان ما مضى اكثر مما بقي ومن ذلك
حديث خطبة النبي صلى الله عليه وسلم مع حديث عتبة بن غزوان حيث خطب على منبر

بعثت
ايام الدنيا

٢٤٦٨
٢٥٠

البصرة فقال ان الدنيا قد ولت حذا ولم يبق منها الا صبابة وقوله تعالى وانشق القمر معناه
انه وقع وجرى معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع من بعض من يترائى من كلامه سوء
الفهم او قلة الدين ان ذلك لم يقع وانما هو منتظر يوم القيمة اي اقتربت قيام الساعة
وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السما بما فيها القمر وغيره كذا نقله ابو القاسم
القشيري عن قوم متبرئا منه ولعمري ان هذه مقالة لا ادري ما الذي حمل قائلها عليها ان
كان فلسفيا ينكر ان الافلاك العلوية تقبل الخرق والالتيام فلا كلام لنا معه لانه يكذب
الانبيا والقران القائل فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان واذا الشمس
كورت واذا الكواكب انتثرت الى غير ذلك وان كان لم يثبت عنه فلا كلام اثبت من
كتاب الله الذي ينادي كالصريح ان ذلك وقع وجرى وانه آية من ايات الله تعالى
ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم تصديقا له وان الكفار قالوا انها سحر مستمر فان قلت
التعبير بانشق بصيغة الماضي ليس على بابه وانما المراد لتحقق وقوعه كما في اتى امر
الله وكما في ازفت الازفة وكما في قوله تعالى ونادوا يا مالك وقوله وسيق الذين اتقوا
ونحو ذلك قلت حملنا على جعل ما ذكر من قبيل التعبير عما سيقع بصيغة الماضي لتحقق
وقوعه انه لم يقع فيما مضى يشهد له الحس واما انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم
فقد جا في الصحيحين واخبر به جماعة من الصحابة كما سياتي قال ابو اسحق الزجاج
في كتاب المعاني اجمع المفسرون وروينا عن اهل العلم الموثوق بهم ان القمر انشق على
عهد ~~رسول الله~~ النبي صلى الله عليه وسلم قال وقد زعم قوم عندوا عن الحق والقصد
وما عليه اهل العلم ان القمر ينشق يوم القيمة قال والامر بين في اللفظ واجماع اهل
العلم ثم سرد الاحاديث في ذلك ثم نقول لهذا الجاحد ويلك ما تقول في قراءة وقد
انشق القمر والعجب من ابي الحسن الماوردي حيث جعل هذه المقالة للجمهور وقال
لانه اذا انشق ما بقي احد الا راه لانها اية والناس في الاية سواء مع ان من جبال

الشرع

الشرع ولا احمله في هذه المقالة على خبث الطوية فاني اعيذه بالله من ذلك وانما احمله
على انه لم يكن ذا باع في السنة النبوية والا فوقوع انشقاق القمر آية للنبي صلى الله
عليه وسلم متواتر حتى قال التاج بن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح
عندي ان انشقاق القمر متواتر مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث
شعبة عن سليمان عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق شتى
بحيث لا يمترى في تواتره قال ابن عبد البر قد روى حديث انشقاق القمر جماعة
كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى
ان انتهى الينا وتايد بالآية الكريمة وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
لاجله صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه اية تدل على
صدقه في دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا قدرة لبشر على ايجادها
دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه تعالى منفرد
بالربوبية وان هذه الالهة التي يعبدونها من دون الله تعالى باطلة وانها لا تضر ولا
تنفع وان العبادة انما تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابي انشقاق القمر آية
عظيمة لا يكاد يعدلها شي من ايات الله تعالى التي ظهرت على يد الانبيا وذلك انه ظهر
في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس
مما يطمع فيه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه حيث عبر
بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة المراد بهم علماء
السنة ونقلة الاخبار على وقوعه فان قلت نقلتم عن ابي الحسن الماوردي انكار
وقوعه وهو من المفسرين قلت لا نعني بالمفسرين من جمع تفسيرا فان الماوردي
وامثاله من جامعي التفسير ولم يكن من ائمة التفسير الذين رووه عن النبي صلى الله
عليه وسلم بواسطة او بدونها كمقاتل وابن عباس وسعيد بن جبير واما الماوردي من

المولفين في التفسير فيكون كالزمخشري والبيضاوي والقرطبي والرازي على ان ائمة
التفسير السابقين قد اجمعوا على ذلك ومخالفة المتاخرين من اشراب علوم الفلسفة
في قلوبهم لا يرفع الاجماع السابق كما هو القاعدة المقررة من ان الاختلاف اللاحق
لا يرفع الاجماع السابق اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كنا به تعبيره باخبرنا جار
على ما اصطلح عليه بعض المحدثين من ان اخبرنا انما يستعمل في الاجازة لا في السماع وقد
قال البرهان الحلبي وهو المرجع في عصره في هذا المعنى ان الحسين هذا من شيوخ
المصنف بالاجازة ولم يسمع منه وكان يمكنه السماع منه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله
حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري اي صاحب الصحيح المشهور
حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفين اي ابن عيينة عن الاعمش عن ابرهيم اي
النخعي عن ابي معمر هذا من المخضرمين وهو ازدي كوفي روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وابن مسعود وكان صدوقا فان قلت هذا ذكره الذهبي في ميزانه وهو لا يذكر في هذا الكتاب
الا الضعفا قلت لم يذكره لكون اصطلاح كتابه صادقا عليه وانما ذكره لان في الرواة من
اسمه كاسمه واسم ابيه وليس ثقة لان اسم ابي معمر هذا عبد الله بن سخبرة الا ان كنيته
ابو معمر وهو ازدي ويشاركه في ذلك عبد الله بن سخبرة وهو ضعيف لم يذكره ابو حاتم
في ثقاته ومن ثم ذكره المصنف بكنيته ولم يذكره باسمه لانه انفرد بالكنية عن ذاك عن
ابن مسعود قال انشق القمر على عهد اي زمن فان العهد يأتي بمعنى الزمن صرح به في
القاموس رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقد وقع ذلك له صلى الله عليه وسلم مرة واحدة فان قلت
في صحيح مسلم والترمذي انه انشق مرتين قلت قد جمع بين الرواية المشهورة وبين
ما في صحيح مسلم ابن قيم الجوزية في كتاب اغاثة اللهفان بان المرات يراد بها الافعال
تارة والاعيان تارة واكثر ما تستعمل في الافعال واما الاعيان فكقوله في الحديث

انشق

انشق القمر مرتين اي فلقتين ولا يخفى هذا على من لم يحط علما زعم ان الانشقاق وقع مرة
بعد مرة في زمانين وهذا مما يعلم اهل الحديث ومن له خبرة باحوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة وفي رواية مجاهد وعن
ابي قال ابن مسعود عن نفسه وعن صحبه ونحن اي وقع لهم ذلك حال كوننا مع النبي صلى
الله عليه وسلم وانما جاء المصنف بهذه الرواية لافادتها ان ابن مسعود لم يخبر عن اخبار
غيره له وانما اخبر عن مشاهدة وعيان وفي بعض طرق الاعمش بمنى وقد اختلفت الروايات
في تعيين محل الانشقاق ففي رواية بمكة وفي اخرى بمنى وفي الصحيحين حتى راى
الناس حرا بينهما اي بين الشقتين وفي دلائل النبوة للبيهقي عن عبد الله بن مسعود
قال رايت القمر منشقا شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم
شقة على ابي قبيس وشقة على السويدا فقالوا سحر القمر فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر يقول كما رايتم القمر منشقا فان الذي اخبرتكم من اقتراب الساعة حق
واخرج ابو نعيم في دلائله عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم منهم
الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود
ابن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى وزمعة بن الاسود
والنضر بن الحارث ونظراهم كثير فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق
لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ينادي يا ابا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن الارقم اشهدوا فان قلت هذه
الاخبار ينافي بعضها بعضا قلت لا منافاة لجواز ان يكون بعض الرواة للقصة
كان بمنى فراى ذلك لقرب منى من مكة واما ابو قبيس وقعيقعان فانهما جبلان
متقابلان ومكة بينهما وكان القمر كان على مكة فلما انشق صار في راي العين النصف منه

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلت ذلك اتؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سألوا فامسى القمر قد مثل نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان

على ابي قبيس والنصف الاخر على قعيقعان واما رواية وكشفه على السويدا فلا
تنافي رواية قعيقعان فان السويدا بجانب قعيقعان واما رواية راى الناس
حرا بينهما فهي لا تنافي ما قيل لان حرا جبل قريب من مكة بينه وبين مكة ثلاثة اميال
وبالجملة فالقمر حين انشق كان في السما فمنهم من راه وحرا بين شقتيه ومنهم من
راه وقد حاذى النصف منه ابا قبيس والاخر قعيقعان او السويدا وهذا شان
كواكب السما فان الرائي لها تختلف في محاذيها من الارض ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود لم يميزه المصنف بنسب او نسبة لانه مشهور عند اهل الحديث من
رواة ابن مسعود وهو الاسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان
ابن كهيل بن بكر بن النخع كنيته ابن اخي علقمة بن قيس وكان عمه ايضا من اكابر الراوين
عن ابن مسعود والاسود هذا من اكابر التابعين وثقه ابن معين وابو حاتم يروى
عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى عنه الشعبي وابنه عبد الرحمن وابن اخته ابرهيم
النخعي ومحارب بن دثار وابو اسحق واشعث بن ابي الشعثا وعمارة بن عمير وكثير
ابن مدرك وابو بردة بن ابي موسى له ثمانون حجة وعمرة لم يجمع بينهما وكان يصوم حتى
يصفر ويخضر ويختم القران في ليلتين وكان فقيها زاهدا مات سنة خمس وسبعين
وقال اي ابن مسعود من رواية الاسود المذكور حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر الفرجة
ماخوذة من فرجة الجدار ونحوه وقد ضبطها النووي رضي الله عنه بضم الفا وصاحب
القاموس بتثليثها ورواه عنه مسروق وهو ابن الاجدع الهمداني الكوفي من كبار
التابعين يروى عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة ومعاذ وابن مسعود قيل
في شانه ما ولدت همدانية مثل مسروق كان يصلي حتى تورم قدماه مات سنة ثلاث
وستين وزاد اي مسروق في روايته عن ابن مسعود على ما في رواية الاسود وغيره انه كان بمكة ح
فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة يعنون بابن ابي كبشة النبي صلى الله عليه

وسلم

ترجمة الاسود احد اكابر التابعين ه

ترجمة مسروق احد كبار التابعين ه

ابو كبشة ه

وسلم قال الحافظ الشهاب بن حجر وابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وعادة
العرب اذا انتقصت احدا نسبته الى جد غامض قال ابو الحسن النسابة الجرجاني هو
جد وهب جد النبي صلى الله عليه وسلم لامه وفيه نظر لان وهبا جد النبي صلى الله عليه وسلم اسم
امه عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من اهل النسب ان الاوقص
يكنى ابا كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وفيه نظر ايضا لان ام عبد المطلب سلمى
بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل احد من اهل النسب ان عمرو بن زيد يكنى ابا كبشة
وقيل هو ابوه من الرضاعة واسمه الحرث بن عبد العزى وذكر يونس بن بكير عن
ابن اسحق عن ابيه عن رجال من قومه انه اسلم وكانت له بنت تسمى كبشة يكنى بها وذكر
ابن حبيب في المجتبى جماعة من اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل ابيه ومن قبل امه
كان منهم من يكنى ابا كبشة وفي النهاية الاثيرية كان المشركون ينسبون النبي صلى
الله عليه وسلم الى ابي كبشة وهو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان
وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي صلى الله عليه وسلم في عبادة الاوثان وعبد الله
وحده لا شريك له شبهوه به وقيل انه كان جد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امه فارادوا
انه نزع في الشبه اليه وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف جد النبي صلى الله
عليه وسلم من قبل امه وفيه ايضا انه كنية عم والد حليمة السعدية مرضع النبي صلى الله
عليه وسلم فقال رجل منهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ان كان سحر القمر اي سحر اهل مكة
حتى راوا القمر منشقا وعلق السحر بالقمر باعتبار ان السحر من جهته ومتعلقا
به والا فالسحر على زعمه لعنه الله لم يقع الا لاهل مكة فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر
الارض كلها اي اهل الارض كلهم واعاد الضمير الى الارض وان كان المراد اهلها مراعاة
لجهة اللفظ فاسالوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر

فابعثوا الى اهل الافاق جمع افق اي الناحية حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل
الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر اي ذاهب من قولهم مر
الشي واستمر اذا ذهب قاله انس وقتادة ومجاهد وقال ابو العالية والضحاك محكم
شديد قوي وهو من المرة وهي القوة كما قال لقيط • حتى استمرت على شزر مريرته •
مر العزيمة لاذما ولا ضرعا • وقال الاخفش هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله
وقيل معناه نافذ ماض وقال ابو عبيدة باطل وقيل دائم قال الشاعر
• وليس على شي قديم بمستمر • اي بدائم وقيل يشبه بعضه بعضا اي قد استمرت افعال
محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه فلا ياتي بشي له حقيقة بل الجميع تخيلات
وهذه المقالة مشعرة بانهم راوا قبل ذلك ايات وخوارق متتابعة بعضها
يقفو اثر بعض فلهذا قالوا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة
فصولا اربعة وهم ابو معمر والاسود ومسروق وعلقمة رووا هذا الحديث عن
ابن مسعود وانما قدمها على سائر الروايات لانه لم يذكر احد ممن روى انشقاق
القمر اجل من ابن مسعود مع ان حديثه رواه الشيخان البخاري ومسلم وروايته
ابن مسعود من طريق ابي معمر رواها الشيخان ومن طريق الاسود رواها احمد بن
حنبل في مسنده ومن طريق مسروق رواها البيهقي في الدلائل واما علي رضي الله
عنه وان كان اجل منه ابن مسعود الا ان حديثه لم يخرجه الشيخان وانما اخرجه احمد
والبيهقي فقد اجتمع في حديث ابن مسعود جلالة شانه مع كثرة رواته ومع اتفاق
الصحيحين اللذين رجح ابن الصلاح ان ما اسنده مقطوع بصحته على اخراجه فمن
ثم اهتم به وقدمه في الذكر وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم الضمير
راجع الى موصوف غير اي رواه جمع غير ابن مسعود من ذلك الجمع انس خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يكون حديث انس مرسل صحابي لان الحادثة وقعت في مكة

تكلم الميم
من البسيط

مصراع من الطويل

نقلت رواية
علقمة
غير مخرجه

وانس

وانس لم يبلغ اذ ذاك والظاهر انه لم يشاهدها وهذا من مرجحات رواية ابن مسعود
فانه شاهد القصة وعاينها وابن عباس وابن عمر وحذيفة اما ابن عباس فحديثه
رواه الشيخان واما ابن عمر فمسلم والترمذي واما حذيفة فابن جرير وابن ابي حاتم
وابو نعيم في الدلائل وعلي بن ابي طالب وجبير بن مطعم بكسر العين فقال علي بن رواية
ابي حذيفة الارحبي بهمزة مفتوحة بعدها راء ساكنة ثم حاء مفتوحة ثم باء موحدة ثم
ياء النسبة وهو منسوب الى ارحب قبيلة من بني رحب بفتح الراء والحاء المهملة ثم الباء
الموحدة وهم بطن من همدان قال في القاموس وبنو ارحب بطن من همدان وارحب
قبيلة منهم او محل او مكان وابو حذيفة هذا من الثقات المشهورين روى عن علي
رضي الله عنه واسمه سلمة بن صهيب وقيل ابن صهيبة ويكنى بابي حذيفة كوفي
يروي عن ابن مسعود وعلي وحذيفة بن اليمان وعائشة وقد وقع في بعض نسخ الشفا
غلط في ضبطه فضبط على كيفية مغايرة لما ذكرنا فلا يلتفت اليها انشق القمر ونحن
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم
اية فاراهم انشقاق القمر مرتين وفي رواية فرقتين حتى راوا حراء بينهما وهو
بالمد وكسر اوله ويجوز فيه الفتح والقصر وهو جبل معروف بمكة وقد تقدم هنا ما قال
ابن القيم في كون الانشقاق مرتين رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن
قتادة عنه اي عن انس اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق
القمر ورواه عن جبير بن مطعم محمد وابن ابنه جبير بن محمد يروى عن ابيه ويروى عنه يعقوب
ابن عتبة وحصين والعجب من البرهان الحلبي حيث قال في شانه لا اعلم فيه تجريحا ولا
توثيقا مع ان ابن حبان ذكره في الثقات وكتاب الثقات لابن حبان عند البرهان بخط
البرهان الحلبي ورواه عن ابن عباس مجاهد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
هو احد الفقهاء السبعة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن

ابن محمد

السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي نسبة الى ازد بن الغوث ويقال بالسين ايضا
وهو افصح وفي القاموس انه ابو حي باليمن ومن اولاده الانصار كلهم ازد شنوءة
وعمان والسراة ومسلم هذا هو ابن ابي عمران ويقال ابن عمران كوفي ثقة ويسمى
البطين واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة كيف وفيها ما اتفق الشيخان على تخريجه
وفيها ما رواه احدهما وليس فيها ضعيف اصلا فان قلت تعبيره بالاكثر يشعر
بضعف بعضها قلت ليس هو متوجها الى الضعف وانما هو احتراز عن ان بعضها
منها حسن والحسن له حكم الصحيح في الاحتجاج فالصحيح والحسن حكمهما واحد
من حيث الاحتجاج وان اختلفا من حيث ان الحسن انزل مرتبة من الصحيح ولهذا
تجد بعض الفقهاء يعبر عن الحسن بالصحيح نعم انما يفرق بينهما عند التعارض والاية
مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول اي متصف بان الله تعالى خذله اي اوجد فيه
الخذلان وهو عندنا خلق قدرة المعصية في العبد كما ان التوفيق خلق قدرة الطاعة
فيه والمعتزلة صرفوا التوفيق الى خلق لطف يعلم الله تعالى ان العبد يؤمن عنده والخذلان
محمول على امتناع اللطف ودلائل كل من الفريقين مذكورة في الكتب الكلامية بانه متعلق
باعتراض لو كان هذا اي وجد فكان تامة لم يخف عن اهل الارض اذ هو تعليل
لقوله لم يخف شيء ظاهر لجميعهم لانه مرئي لكل اهل الارض اذ لم ينقل الناس تعليل لقوله لا
يلتفت عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عما لا
يجوز تمالؤهم اي اجتماعهم وتوافقهم لكثرتهم تعليل لقوله لا يجوز على الكذب متعلق بتمالؤهم
لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد اذ قد يطلع على قوم قبل ان يطلع على
اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض فان السماء والارض
كريتان ويجوز ان يكون القمر مرئيا لقوم وعند اخرين خفيا كما اتفق العلماء على جواز ان
يطلع الفجر على قوم ويكون ذلك الوقت عند اخرين ليلا وان الشمس تزول عند قوم فتجب

عليهم

عليهم صلاة الظهر وهو عند قوم وقت الضحوة ولهذا كان المعمول به عند اصحابنا في روية
هلال رمضان اتحاد المطلع وان المطلع اذا اختلف مطلع بلد الروية لا يجب على اهله الصوم
وان ادى ذلك الى تحكيم المنجمين فانه لا يمنع منه الشرع مطلقا بل فيما اذا نص الشارع
على خلافه او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم عقب ذكر سير الشمس على هذا النمط تذكيرا ان ذلك
فعل والله عزيز اي غالب على كل مقدور عليم بسر سير الشمس وسيرها
بقدرته سبحانه تتحير احبار الافكار وتوله العقول والانظار فسبحان الواحد القهار ورؤية
القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو وهو مهموز اللام واصله هدوء
قلبت الهمزة واوا وادغمت في الواو قبلها اي السكون فعطف والسكون عليه عطف
تفسيري واجاف الابواب فسر المعلق الاجاف بالاغلاق ولم اجد ذلك في مجاميع اللغة
كالقاموس وصحاح الجوهري ونهاية ابن الاثير نعم المذكور فيها ان وجف الجرد بمعنى
اضطرب فيجوز ان يكون الاجاف بمعنى الاغلاق ماخوذا من ذلك بان يكون همزة
الافعال زيدت للسلب اي لسلب الاضطراب والباب اذا اغلق فقد سلب
اضطرابه وسكن وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك
واهتبل به اي اعتنى به وبالغ في طلبه ماخوذ من اهتبل الصيد اذا بغاه وطلبه وعدي
بالباء مع ان الماخوذ منه متعد بنفسه لانه ضمنه معنى اعتنى بقرينة المقام ولذلك ما
يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما تحدث الثقات
نصب كثيرا على المصدرية اي تحديثا كثيرا ويجوز نصبه على الظرفية اي حينا كثيرا
وما يجوز ان يكون حرفا زائدا اجي به لتقوية الكلام او لافادة التكثير فهي تفيد تكثيرا بعد
تكثير فان قلت ما الفرق بين الوجهين قلت يراد بكثيرا في الاول مجرد الاثبات وجاءت

بعده ما مفيدة للتكثير وفي الثاني ذكر التكثير مرتين ولا يجوز ان يكون هنا نافية كما
جا في قوله تعالى فقليلا ما يومنون لفساد المعنى على النفي هنا بخلافه في الاية فليتامل
نعم يجوز ان يكون ما هنا مصدريه وصلتها فيتا وبل المصدر في محل رفع على انه فاعل
كثيرا وجاز ان يرفع كثير هنا الفاعل لوقوعه صفة لشي محذوف اي حينا كثيرا وتحديثا
كثيرا بعجايب يشاهدونها من انوار يجوز ان يكون من بيانيه وتبعيضيه ونجوم طوالع
عظام تظهر في الاحيان بالليل في السما ولا علم عندا حدبها وهذا كما انكر ذلك الفلاسفة
متمسكين بان الاجرام العلويه لا تقبل الخرق والالتيام والمراد بالخرق افتراق الاجزا وبالالتيام
افتراقها قالوا في تعليل ذلك ان الخرق والالتيام انما يحصلان بالحركة المستقيمة وهي محال
على الفلك ولا يمكن حصول الخرق بالحركة المستديرة لان ذلك انما يكون بان يتحرك بعض
الاجزا من جهة والبعض الاخر في جهة اخرى او يسكن لكن هذه الافاعيل المختلفة يمتنع على
الفلك لانها اما ان يكون طبيعيه وهو محال لان الفلك له طبيعة واحدة فلا يقتضى الا
امرا غير مختلف او قسريه وهو ايضا محال لعدم القاسر او ارادية وهو ايضا محال لان
الفلك لبساطته فاقد للالات الجسمانية المختلفة التي بواسطتها تصدر تلك الافاعيل عن
النفس الفلكيه بالارادة هكذا قالوا ونحن نقول مقالات الفلاسفة هذه وامثالها
امور ادت اليها عقولهم والعقل عاجز عن ادراك ما قرب على ما هو عليه فكيف يدرك
السموات وكل ما قاله في هذا المعنى مبني على مقدمات كلها ممنوعة والا فالفلك حادث
والحركة المستقيمة جائزة على كل حادث ونمنع ان الافلاك بسيطة لان الداعي الى القول ببساطتها
قولهم بالموجب ونحن لا نقول الا بالفاعل المختار وقولهم في استحالة الحركة انها غير قسرية
لعدم القاسر بل نقول هي قسريه والقاسر هو الذي لا يحدث ذرة في الكون الا بمحض
فعله من غير تاثير لغيره الا ان يكون سببا عاديا وقد قام البرهان القطعي على ان الله خلق العبد
وافعاله وكيف يليق بذي عقل الالتفات الى مقالة حكيم جاهل [redacted] مكذب لله
ولرسله

غبي كافر بالله

ولرسله ويترك مقالة الله اصدق القائلين ونبيه اكمل الخلق صلى الله عليه وسلم فان كان له نزاع
في دين الاسلام وصحة شرعنا في اقامة الحجج على حقيه دين الاسلام وصدق النبيين
عليهم افضل الصلاة والتسليم وبعد ان يصدق بدين الاسلام وبما جا الانبيا سيما محمد صلى
الله عليه وسلم لا يبقى لترهات الفلاسفة عنده وجود ولا يكترث بها لمنابذتها المقالة الصادق
صلى الله عليه وسلم وخرج الطحاوي نسبة الى طحا قرية من قرى مصر وهو احمد ابو جعفر بن محمد
الفقيه الحنفي في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس هي زوجة ابي بكر الصديق وكانت اولا
تحت جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه
وراسه في حجر علي فلم يزل فيه تثليث الحا وهو الحضن فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس شرقها بفتح على الظرفية
اي ردها في جهة شرقها قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر في القاموس الصهبا قلعة خيبر
خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان رواتهما ثقات اعلم ان حديث رد الشمس قال
بعضهم ليس بصحيح بل ذكره ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وقال انه موضوع
بلا شك في سنده احمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني قال
ابن حبان كان يضع الحديث كذا ابن الجوزي وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره
ثم قال وهذا حديث باطل ثم قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم
يلمح عدم الفائدة فيها وان صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضا ورجوع الشمس
لا يعيدها ادا انتهى وقد قلد ابن تيمية ابن الجوزي فحكم بوضعه في كتابه الرد على الروافض
واقول لا يخفى عليك شان ابن الجوزي في هذا الكتاب فانه تحامل كثيرا وذكر فيه ما
ليس موضوعا وخرج عن موضوع كتابه في احاديث كثيرة قال ابن الصلاح في علوم

الحديث ولعل الكتاب الذي جمع في هذا العصر يعني عصره ويعني بذلك ابن الجوزي كما صرح
به العراقي في ألفيته الموضوعات في نحو مجلدين فأودع فيها كثيرا مما لا دليل على وضعه
وإنما حقه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة انتهى بل قال الشمس السخاوي في
شرح نظم العراقي وربما أدرج في كتابه الموضوعات الحسن والصحيح مما هو في أحد
الصحيحين فضلا عن غيرهما وهو مع إصابته في أكثر ما عنده توسع منكر ينشأ عنه غاية
الضرر من ظن ما ليس بموضوع بل هو صحيح موضوعا مما قد يقلده فيه العارف
تحسينا للظن به حيث لم يبحث عنه فضلا عن غيره ولذا انتقد العلماء صنيعه
إجمالا والموقع له في ذلك استناده في غالبه لضعف راويه الذي رمي بالكذب مثلا
غافلا عن مجيئه من وجه آخر وهذا الحديث كما ترى صححه الطحاوي والمصنف وأخرجه
ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن كما حكاه العراقي في
شرح تقريب الأسانيد ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء
ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه
وسلم رأسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام
اللهم إن عبدك عليا ما احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت أسماء
فطلعت عليه الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الأرض وقام علي فتوضأ وصلى
العصر ثم غابت وذلك بالصهباء وقول ابن الجوزي إنه نظر إلى صورة فضيلة ولم
يلمح عدم الفائدة إلى آخره تعقل ثمنه فإن الشمس إذا غابت فاتت صلاة العصر
فوات لا إثم فيه لأنها إنما فاتته بعذر وأي عذر ويكون مثال علي في هذه الحالة مثال
من ربطه إنسان فلم يمكنه من الصلاة لأن التشويش على النبي صلى الله عليه وسلم ربما
يؤدي إلى الكفر فلم يكن عامدا في تأخير الصلاة ثم إنها لما غابت رجع رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم حيث فوت فضيلة تامة فأعاد الوقت له ثانيا وعادت صلاة العصر أداء
بعد ما فاتت قال الشهاب بن حجر المكي في شرحه لإرشاد ابن المقري ولو غربت
الشمس ثم طلعت عاد الوقت لما أخرجه كثير من المحدثين وصححه بعضهم أنه صلى
الله عليه وسلم دعا بعودها حتى صلى علي كرم الله وجهه العصر لاشتغاله به
صلى الله عليه وسلم بنومه في حجره حتى غربت انتهى فإن قلت هذه القصة مما تتوفر
الدواعي على نقلها ولو وقعت لكثر ناقلوها قلت ذلك فيما إذا وقع ذلك في معرض
التحدي والنبي صلى الله عليه وسلم لم يتحد بإظهار هذه القصة لمنكر نبوته وإنما وقع
ذلك حبا لعلي وحرصا على عدم تفويته الفضيلة وأمور السما قد يغفل عنها لا سيما
غيبوبة الشمس فإنه ربما يتوهم من لم يلاحظ حالها أنها دخلت تحت سحاب أو
وراء جبل وأيضا مطلعه على ذلك وكثير من معجزاته صلى الله عليه وسلم نقلها إلينا
الآحاد مع توفر الدواعي على نقله فإن قلت في الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على
أحد إلا ليوشع بن نون حتى قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف
أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى
فحبس عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فهو صريح في أن الشمس لم تحبس إلا ليوشع
ابن نون قلت يحتمل أن يكون قال هذا قبل وقوع الحادثة لأنه إنما نفى وقوع ذلك في
الزمن الماضي بتعبيره بلم ولم ينف أن يقع في الزمن المستقبل فإن قصة علي كانت
في خيبر على أن الحصر إضافي أي بالإضافة إلى الأنبياء بقي شيء وقد قيل إن
المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وكيف لا يكون الحصر إضافيا مع أن النووي في شرح مسلم
في باب حل الغنائم والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي في باب الأذان نقلا
عن المصنف في كتاب الإكمال وعزاه لمشكل الآثار أن الشمس حبست لنبينا
صلى الله عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى أدركها أداء ولما

نقلا عنه ذلك لم يظهر منهما نوع مخالفة له فان قلت الثابت في الصحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى العصر يوم الخندق بعد ما غربت الشمس قلت لا منافاة فان حفر النبي
صلى الله عليه وسلم الخندق كان في ايام متعددة وفي جميعها كانت الشدائد فيه متفاقمة كما
قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا
زلزالا شديدا ويجوز ان يكون فاتته يوما وفي يوم اخر حبست له حتى ادركها وفي اليوم
الذي فاتته دعا على المشركين هذا مع ان البغوي والثعلبي والكواشي في تفاسيرهم نقلوا
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الشمس ردت لسليمان عليه الصلوة والسلام وان
الضمير المنصوب المؤنث في قوله ردوها علي راجع الى الشمس كما ان الضمير المرفوع
فيه راجع الى الملائكة الموكلين بالشمس فان قلت لم يسبق للشمس ذكر قلت قد سبق
في قوله حتى توارت بالحجاب وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله
العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة هذا مما يؤيد صحة الحديث
فان احمد بن صالح هو ابو جعفر الطبري المصري قال ابو حاتم في كتاب الثقات يروي عن
ابن عيينه وعنبسه بن خالد وابن وهب روى عنه عثمان بن سعيد الدارمي مات في
ذي القعدة سنة ثمان واربعين ومايتين وكان ابوه من بخارا وكان احمد هذا في الحديث
وحفظه ومعرفة التاريخ وانساب المحدثين عند اهل مصر كاحمد بن حنبل عند
اصحابنا بالعراق قال ولكنه كان صلفا تياها لا يكاد يعرف اقدار من يختلف اليه وكان
يحسد على ذلك والذي روى معاوية بن صالح الاشعري عن يحيى بن معين ان احمد
ابن صالح كذاب فان ذلك احمد بن صالح الشموني كان بمكة يضع الحديث سال معاوية بن
صالح يحيى عنه فاما هذا فهو يقارب يحيى بن معين في الحفظ والاتقان وكان احفظ
لحديث مصر والحجاز بين من يحيى بن معين وكان بين محمد بن يحيى النيسابوري وبينه
مفاوضة لتصلفه عليه وكذلك ابو زرعة الرازي دخل عليه مسلما فلم يحدثه فوقع

ترجمة احمد بن صالح رحمه الله

بينهما

بينهما ما يقع بين الناس وان من صحت عدالته وكثرت عنايته بالسنن والاخبار
والتفقه فيها فبالحري ان لا يجرح لصلف فيه او تيه وجد منه انتهى بل اذا قال البخاري
في صحيحه حدثنا احمد بن صالح عن ابن وهب فهو المراد فهو من رجال البخاري وقد جاز
القنطرة واندفع كل كلام قيل فيه برواية البخاري عنه في صحيحه وانما ذكرت ترجمته
واعتنيت بها للاشارة الى ان مثل هذا الامام الجليل حث على حفظ هذا الحديث فلو لم يبلغ
عنده درجة الصحة لم يحث على حفظه فلا يعول على تضعيف ابن الجوزي له ولا على
مقالة ابن تيميه وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق لما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة بتثليث الراء الجماعة الذين
ترافقوا اي رافق بعضهم بعضا والعلامة التي في العير اي القافلة وهي الابل والدواب
التي تحمل الطعام وغيره من التجارات ولا تسمى عيرا الا اذا كانت كذلك قالوا متى تجي اي العير
قال يوم الاربعا بتثليث الموحدة والاجود الكسر قاله في المحكم فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار
ساعة وحبست عليه الشمس واعلم ان العير التي فيها العلامة غير الرفقة فان الحديث
يشعر بذلك ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من مسراه قعد حزينا كئيبا فمر به ابو جهل
فجلس اليه فقال له كالمستهزئ به هل استفدت من شي قال نعم اني اسري بي الليلة قال
الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير ابو جهل انه ينكر
ذلك مخافة ان يجحد الحديث قال اتحدث قومك ما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر
بني كعب بن لوي هلم فانتفضت المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما قال فحدث ما
حدثتني قال نعم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت
بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على راسه متعجبا للكذب
الذي توهمه وارتد ناس ممن كان امن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر

رضي الله عنه فقال هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال او قد
قال قال نعم قال لئن كان صاحبي قال ذلك لقد صدق قالوا او تصدقه انه ذهب الى بيت
المقدس في ليلة وجا قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السما
في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق قال وفي القوم من قد اتى المسجد الاقصى فقالوا
هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد الاقصى قال نعم قال فذهبت انعت وانعت ما
شئت انعت حتى التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر فيه حتى وضع دون دار عقيل
فنعت المسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فو الله لقد اصاب ثم قالوا يا محمد
اخبرنا عن عيرنا فهي اهم لنا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت على بني فلان وهم بالروحا وقد
اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته
كما كان فسلوهم هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه اية قال ومررت بعير
بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي مرار فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان
فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه اية اخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا نحن قال
مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم
مثلت له مكانه بالحزورة لعدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها فلان وفلان يقدمها جمل
اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية ثم خرجوا
يشتدون نحو الثنية يقولون والله لقد قص محمد شيا بينا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا
عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد
طلعت وقال اخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال لهم
فلم يومنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين فقد علم ان المراد بالعير في عبارة المصنف الابل
والدواب وهو معناها الحقيقي اذ قد تطلق العير على الرجال المصاحبين المسؤلين
على الابل والدواب وان المراد بالرفقة نفس جماعة المترافقين وان العلامة في عبارة

المصنف

المصنف يراد بها الجنس الشامل لعدة علامات فان الحديث اشتمل على علامات متعددة

فصل في نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثيره اي الما ببركته

لا اشكال ان تكثير مصدر مضاف الى مفعوله وفاعله الله تعالى وتقدس اي تكثير الله الما ببركته
بمعنى ان الله تعالى خلق الما الكثير وجعله كثيرا بعد ان كان قليلا عند وجود بركته صلى الله عليه وسلم
فبركته سبب عادي كالسكين للقطع والنار للاحراق ونحو ذلك وقد تكرر نبع الما من اصابعه
صلى الله عليه وسلم مرات متعددة في مواطن كثيرة ففي بعضها اتي بقدح رحراح وفي
بعضها زجاج وفي بعضها جفنة وفي بعضها كان القوم ثمانين وفي بعضها زهاء ثلثمائة
وفي بعضها ثمانين وفي بعضها سبعين وفي البخاري كانوا الفا واربعمائة وفي رواية
كانوا خمس عشرة مائة قال المزني صاحب الشافعي رضي الله عنهما ان هذه المعجزة اعظم
من تفجير موسى عليه وعلى نبينا افضل السلام والصلاة الما من الحجر لان تفجيره منه امر
معتاد معهود بخلاف خروج الما من اللحم والدم والعروق ولله در من قال ٥ ان كان موسى والبسيط
سقى الاسباط من حجر ٥ فان في الكف معنى ليس في الحجر ٥ وقد صرح اصحابنا بانه ليس
في المياه افضل من الما الذي نبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم بل هو افضل من الكوثر
كما هو ومياه الجنة وزمزم اما الاحاديث في ذلك فكثيرة جدا روى حديث نبع الما من اصابعه
صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود وقول المصنف منهم
بصيغة التبعيض دال على رواية غير هولا فقد وقفنا على رواية رواها البيهقي في الدلائل
عن زياد بن الحرث الصدائي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي ذكرها منا في اواخر
البحث وعلى رواية رواها الدارمي عن ابن عباس وبلال وستاتي ايضا وكل هولا روى عنهم
جماعات خرجت عدتهم عن الحصر فان قلت كيف يصف احاديث النبع بالكثرة جدا مع
انه روى عن هولا الصحابة القليلين قلت مراده بكثرة الاحاديث ان المحدثين اكثروا
من رواية هذه القصة في كتبهم واتفق الكل على تخريجها بحيث كثرت حتى افاد مجموعها القطع

وهو المسمى بالتواتر المعنوي حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه حدثنا
القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا
مالك اعلم ان ابا عيسى هذا اسمه يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي صاحب
الامام مالك رضي الله عنه وراوي الموطا عن مالك رضي الله عنه ويحيى هذا لم يسمع من جده وانما
سمع من ابيه عبيد الله والمصنف في هذا المحل اسقط عبد الله وهو سهو ولا يحمل على
الانقطاع لانه صرح بصيغة التحديث فيلزم ان يكون كذبا قال البرهان الحلبي في تعليقه
وقد سقط رجل بين ابي عيسى وبين يحيى وهو عبيد الله ابو مروان ولا بد منه وقد تقدم على
الصواب ويأتي على الصواب عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر في القاموس حان يحين قرب وان فالتمس الناس
الوضوء الالتماس لغة مطلق الطلب سواء كان من مماثل ام من ادنى ام من اعلى واما تخصيص
بالطلب من المماثل فاصطلاح طار والوضوء بفتح الواو وهو ما يتوضا به فلم يجدوه اي يصادفوه
فاتى رسول الله صلى الله عليه بوضوء بفتح الواو اي ماء واتى بالبناء للمفعول فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين
اصابعه صرح النووي في شرح مسلم ان الماء كان ينبع من نفس لحمه وبه قال القرطبي في شرح مسلم
ويؤيده قول جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه فانه ظاهر في ذلك لا سيما وقد ورد في رواية
اخرى عن جابر فرايت الماء ينبع من اصابعه وقيل تكاثر الماء ببركته ولم يخرج من نفس اللحم والدم وعلى
كل حال فكلاهما معجزة واقول لو كان وضع يده في الاناء لاجل البركة وان الماء تكاثر ببركته مع انه
معجزة عظيمة ايضا لكان يكفي في تكثير الماء الدعاء بتكثيره كما فعل صلى الله عليه وسلم في قصة مزادتي
المراة فانه دعا فيهما بالبركة وكما فعل في الازواد لما دعا بتكثيرها وما وضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده الا لان الماء يخرج منها نفسها فان قلت وضعها لاجل الستر حتى لا يرى الناس
تزايد الماء فيؤدي ذلك الى ان يطروه كما اطرت النصارى عيسى بن مريم على نبينا وعليه

افضل

افضل الصلاة والسلام قلت لو كان مقصوده ذلك لوضع على الاناء منديلا ونحوه من ساتر
ليشمل الاناء بحيث لا يرى الماء فدل هذا على ان الماء كان يفور من نفس اصابعه فان قلت لم
اتى بوضوء لاخراج الماء ولم يخرجه من غير ماء قلت تادبا مع الله وسلوكا للمنهج المعهود فان
الله تعالى هو المنفرد بابداع المعدومات وايجادها من غير اصل وروى ابن عباس رضي الله
عنهما قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب ماء فقال لا والله ما وجدت الماء قال فهل من
شن فاتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود
يشرب وغيره يتوضا رواه الدارمي وابو نعيم وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث
ابي ليلى الانصاري وابو نعيم من طريق القاسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده
فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم من هنا لابتدا الغاية وانما اتى بها داخلة على
عند اخرهم مع ان الابتدا انما هو من اولهم لافادة الاستيعاب يعني توضوا جميعهم
بحيث لو قيل ان ابتدا وضوئهم كان من عند اخرهم لصدق القائل وقد زعم بعض النحاة
ان من تاتي لانتهاء الغاية نقل عن سيبويه ان من في قولك اخذته من زيد لانتهاء الغاية
فانك جعلت زيدا غاية لذلك فيجوز ان تكون هنا من لانتهاء الغاية فان قلت لم لم
يات بالى التي هي موضوعة لانتهاء الغاية قلت لان عنده لا تجر بالى وقول العامة حتى
الى عندك لحن والحق ما قلنا من انها لابتدا الغاية وان ذلك من باب الكناية عن غاية
الاستيعاب والاحاطة والشمول ولم يوافق احد سيبويه على ذلك في اخذت المال من زيد
بل هي فيه لابتدا الغاية كان اخذ المال ابتدا من زيد وانتهى اليك وقال بانا متعلق باتي
الذي تعلق به بوضوء السابق فيه ما يغمر اصابعه في القاموس غمره الماء غمرا واغتمره
غطاه اي ما يغطي اصابعه او لا يكاد يغمر اعلم ان كاد وحصادعها اذا دخل عليها حرف
النفي فعند ابن مالك ان حرف النفي يفيد نفي المقاربة والتقدير هنا انه لم يقارب
الغمر لقلته فيلزم نفي الغمر بالطريق الاولى فاذا قيل كاد فلان يموت فمقاربة الموت

ورواه ايضا عن انس
وقال فيه بانا الخ

ثابتة والموت لم يقع واذا قيل لم يكد يموت فمقاربة الموت منفية ويلزم من نفي مقاربة الموت نفي
وقوعه بزيادة مبالغة كان قائلا قال كاد فلان يموت فرد عليه بان قيل لم يكد يموت وقولك لم يكد
يموت ابلغ في اثبات الحياة من قولك لم يمت ولهذا قيل في قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها
ان معناه لم يرها ولم يقارب ان يراها وفي قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ان معناه لا
يسيغه ولا يقارب اساغته وجمهور النحاة على انها اذا دخل عليها نفي فالخبر مثبت واذا
لم يدخل عليها نفي فالخبر منفي بدليل قوله تعالى وما كادوا يفعلون وقد فعلوا بعد عسر وقولهم
كاد زيد يموت والموت لم يقع ولذلك رجع ذو الرمة في قوله ﴿ اذا غير النأي المحبين لم يكد ﴾
رسيس الهوى من حب مية يبرح ﴿ الى ان جعل بدل يكد يجد بعد ان خطئ في يكد وان كان
في يكد من الجزالة والمبالغة ما ليس في يجد ولو لم يعلم ذو الرمة ان يكاد اذا دخل عليها النفي
صار الكلام مثبتا لما التزم وترك الجزالة وعبر بيجد ولهذا قال ابو العلا في لغز له مشهور

﴿ انحوي هذا العصر ما هي كلمة ﴿ جرت في لساني جرهم وثمود ﴿
﴿ اذا ما اتت في صورة النفي اثبتت ﴿ وان اثبتت قامت مقام جحود ﴿

وقد اجاب عن ذلك العلامة الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله

﴿ سألت رعاك الله ما هي كلمة ﴿ اتت بلساني جرهم وثمود ﴿
﴿ اذا ما اتت في صورة النفي اثبتت ﴿ وان اثبتت قامت مقام جحود ﴿
﴿ يقولون ذا في لو وفي زال واضح ﴿ والا وعندي كاد غير بعيد ﴿
﴿ اذا قلت ما كادوا يرون فقد راوه ﴿ ولكنه من بعد عسر جهيد ﴿
﴿ وان قلت قد كادوا يرون فما راوه ﴿ فخذه ولا تسمح به لعنيد ﴿

ولعمري ان قوله تعالى وما كادوا يفعلون ورجوع ذي الرمة عن لم يكد ينادي بصحة هذا
القول وعدم التعويل على قول ابن مالك واما في هذا الحديث فاذا قلنا بقول ابن مالك
صار المعنى ان ذلك الماء كان قليلا جدا بحيث لا يقارب ان يغمر الاصابع وعدم غمره للاصابع

واع

واقع بالطريق الاولى وعلى قول الجمهور ان الماء غمر الاصابع الا انه لقلته لم يكد يغمرها والاول
الیق بالمقام قال اي الراوي عن انس وهو عبد الله بن ابي طلحة كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة
اي قدره من قولهم زهوت القوم اي حزرتهم وفي رواية عنه اي عن انس وهم بالزوراء
عند السوق هو مكان معروف قرب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عند سوق مدينة صلى الله
عليه وسلم قال الداودي هو مرتفع كالمنار ورواه ايضا اي كما رواه عبد الله بن ابي طلحة
حميد هو الطويل مات وهو قائم يصلي اللهم احسن لنا بالخير سنة اثنتين واربعين ومائة
اخرج عنه الشيخان فقد جاز القنطرة وحكم بتوثيقه وان ذكره في الميزان فترجمة وثابت
والحسن اي البصري عن انس وفي رواية حميد قلت اي لانس كم كنتم قال ثمانين ونحوه
عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من
رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء اي فضلة ماء وهو البقية منه وكذلك الفضالة
بضم الفاء وباقي ما صنيه على زنة نفر وحسب قصبه في اناء ثم وضع كفه فجعل الماء
ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر
عطش الناس يوم الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء كذا قاله الشافعي رضي
الله عنه واهل اللغة وبعض اهل الحديث وقال اكثر المحدثين بتشديد الياء وهما وجهان
فيها مشهوران قال صاحب مطالع الانوار ضبطناها بالتخفيف عن المتقنين واما
عامة الفقهاء والمحدثين فيشددونها قال وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر
هناك عند مسجد الشجرة وهي على نحو مرحلة من مكة ويوم الحديبية كان عمرة ولم يقع
غزوة في ذلك اليوم لكن ذكره البخاري في عداد الغزوات لانه وقع فيه صلح مع المشركين على
ترك القتال ووقعت فيه بيعة الرضوان بايع الصحابة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الموت وعلى ان لا يفروا ويسلموا وعزموا على القتال والعزم والتصميم فعل وكانت

من الطويل

فاي بما في ح

هذه العمرة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة وقيل في رمضان وقيل خرج صلى الله عليه وسلم في
رمضان وكانت في شوال وهذا غلط لانه لم يثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر في
شوال وكانت سنة ست ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة في القاموس
الركوة مثلثة زورق صغير ورقعة تحت العواصر فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ما الا ما في ركوتك والمراد ليس في هذا الركب ما الا ما في هذه الركوة فيكون
الاستثنا متصلا فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
كامثال العيون اي يجيش وينبع نبعا قويا كامثال عيون متعددة وفيه فقلت كم كنتم
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وهو عدد الذين كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية وبايعوا تحت الشجرة فانهم كلهم بايعوا ذلك اليوم بيعة الرضوان
الا الجد بن قيس بن صخر بن خنسا السلمي الانصاري فانه اختبأ تحت بطن بعيره وكان
يُرَنُّ بالنفاق وقيل انه تاب منه وحسن اسلامه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه
وقد اختلفت الروايات في مبلغ عددهم فني الصحيح انهم اربع عشرة مائة قال
البيهقي هذا الثابت في اكثر الروايات وقيل الف وخمس مائة كما هنا وقيل الف
وستمائة وقيل الف وخمسمائة واربعون وقيل الف وخمسمائة وخمسة وعشرون
وقيل الف وخمسمائة وثمانون رجلا وقيل الف وثلثمائة وقد غلط من قال سبعمائة رجل
وجمع ابن دحية بين اختلاف الروايات بان ذلك كان من باب الحزر والتخمين لا
التحديد وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت ولد في اخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم يروي عن ابيه وهو قليل
الحديث وثقه ابن سعد وذكره ابن حبان في الثقات وقد خرج له الشيخان عنه اي عن جابر
في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو اخره
طا مهملة وهي الغزوة الثانية من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاها صلى

الله

الله عليه وسلم في ربيع الاول على راس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة حتى بلغها من ناحية
رضوى بفتح الرا وسكون المعجمة في مائتين من اصحابه يعترض عير القريش فيهم امية بن
خلف الجمحي واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون رضي الله عنهما فرجع ولم
يلق كيدا اي حربا وهذا الحديث ذكره مسلم في اخر صحيحه غير انه مروي عن عبادة بن
الوليد بن عبادة وانما اسنده المصنف الى الوليد لان الوليد كان رفيق ابنه في تلقي هذا
الحديث عن جابر فقد ساق مسلم اسناده الى يعقوب بن مجاهد ابي حزرة عن عبادة
ابن الوليد بن عبادة بن الصامت قال خرجت انا وابي نطلب العلم في هذا الحي من الانصار
الى ان قال ثم مضينا فراينا جابر بن عبد الله وهو حديث طويل اشتمل على عدة معجزات
للنبي صلى الله عليه وسلم والوقوف عليه في محله اتم فائدة وذكره بطوله يغني عنه نظره في
قال م محله والمصنف قد ذكر ما هو محل الاستشهاد فقال اي جابر قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء بفتح الواو اي الما وهو مفعول لفعل محذوف ومفعول
ناد محذوف اي ناد الناس قائلا لهم احضروا الوضوء لنتوضأ به فيه اشارة الى الحث على
طلب الما قبل التيمم اما بنفسه او نائبه الاذن له فلا يجزئ طلب من لم ياذن له وان
الاولى عدم اظهار خارق للعادة قبل الاحتياج اليه فان قلت كان الاولى اظهاره وان لم يحتج
اليه لانه يورث ايمانا للمنكر هذا قلت الجمع الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم كلهم
مومنون فلم يحتج الى ان يظهر لهم خارق يورث ايمانا ومن كان منهم منافقا كان نفاقه قد
حملانا او عنادا ولا يفيد معه اظهار الخارق بعد ما تبين الرشد من الغي وذكر اي
مسلم الحديث بطوله وفيه بعد ما تقدم قال جابر فقلت الا وضوء الا وضوء الا وضوء
ثلاث قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الما في اشجاب على حمارة من جريد الاشجاب جمع شجب وهو
السقا الذي بلي وصار شنا والحمارة اعواد تعلق عليها اسقية الما قال جابر فقال

لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شيء قال فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم اجد فيها الا قطرة في عزلاء اي فم شجب منها اي سقاء عتيق لو اني افرغه لشربه يابسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني لم اجد فيها الا قطرة وهو ما اشار اليه المصنف بقوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب العزلاء بالمد فم السقاء وفي حديث الاستسقاء ارسلت السماء عزاليها شبه السحاب بقربتين فتح عزاليها في كثرة الماء وفي النهاية لابن الاثير الشجب بالسكون السقاء الذي اخلق وبلي وصار شنا وسقاء شاجب اي يابس وهو من الشجب الهلاك ويجمع على شجب واشجاب فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم بالبناء للمفعول والاتي به هو جابر فانه لما لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي اذهب فائتني به قال فاتيت به فاخذه بيده فغمزه اي غمسه بها وتكلم بشيء لا ادري ما هو نقله المصنف هنا بالمعنى والاوفق الحديث فاخذه بيده ثم جعل يتكلم بشيء لا ادري ما هو ويغمزه بيده وقال ناد بجفنة الركب الذي في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر جابرا ان ينادي بجفنة ما وان جابرا خصص جفنة الركب من قبل نفسه فغمزه ثم قال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب والجفنة بفتح الجيم القصعة واضافها الى الركب وهو الجيش الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يصنعون فيها طعاما يشبعهم ويكفيهم نعم وقع في حديث ابي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناد بجفنة الركب وقد ذكر لجفنة الركب تفسيرين احدهما الرجل الجواد الذي يطعم الركب ويسقيهم فيسمى جفنة فان العرب كانت تسمي السيد المطعام جفنة لانه يضعها ويطعم الناس فيها فسمي باسمها وهذا لا يستقيم في هذا المقام فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد الا جفنة اي وعاء للماء الذي يخرج من بين اصابعه وهذا هو التفسير الثاني لكن على حذف مضاف اي ناد صاحب جفنة او يجعل الجفنة متعلقا بمحذوف ومفعول

ناد

ناد محذوف اي ناد القوم ليأتوا بجفنة والقرينة على ذلك استحالة نداء الجفنة واجابتها ولم يرد انه ناداها على طريق العادة وانها اجابت على هذا الطريق لان الرواية تتوقف على نقله ولو وقع لنقل فان قلت كيف ساغ للمصنف نقل هذا الحديث وليس هو بمعنى ما ورد في المنقول منه اذ لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ناد بجفنة الركب وانما قال بجفنة قلت لعله لم يكن في الركب سوى تلك الجفنة وان النبي صلى الله عليه وسلم وان عبر بالعموم لكنه اراد الخصوص ولو لم يفهم جابر ارادته صلى الله عليه وسلم الخصوص لما بادر الى تخصيص جفنة الركب بالطلب فيكون المصنف ناقلا بالمعنى فاتيت بها بالبناء للمفعول فوضعها بين يديه وذكر ان النبي بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه المذكور في الرواية انه صلى الله عليه وسلم وضع يده في قعر الجفنة وان صب جابر كان بامره صلى الله عليه وسلم له بذلك ولفظ الرواية ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فان قلت كيف عبر المصنف بعبارة تشعر بان الصب استبد به جابر مع ان ذلك يسيء الظن بجابر حيث اجترا على نبي الله صلى الله عليه وسلم بالم ياذن به قلت ترك المصنف لذلك للاستغناء بعلمنا بكمال جابر وزيادة ادبه وخلوص ايمانه فكان من المعلوم ان جابرا لا يصب على النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصب الا بامره وليس هذا الصب كالصب عليه حين كان يتوضأ لان هذا صب لاظهار خارق فلا يكون الا باذنه وذلك من التعظيم الذي يؤمر كل مسلم بجميع افراده وقال بسم الله اي اتبرك ويؤخذ منه ان هذا القدر من التسمية مجزئ وان لم يضم اليه الرحمن الرحيم فقد نص الفقهاء على ان اقلها بسم الله واكملها بسم الله الرحمن الرحيم قال اي جابر فرايت الماء يفور من بين اصابعه اي يخرج خروجا زائدا ثم فارت الجفنة واستدارت اي دار الماء فيها حتى امتلات وفي نسختي من صحيح مسلم ودارت وفي بعض نسخ مسلم ثم فارت الجفنة وفارت بتكرير فارت وما ذكره موافق لما في نسختي قال

خرق ح

استدار بمعنى دار وامر الناس اي النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقا فانه قال له يا جابر
ناد من كانت له حاجة بما فاستقوا حتى رووا فقلت اي قال جابر فقلت هل بقي احد له
حاجة اي بالما فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي
هو من كبار التابعين وليس صحابيا وانما روى عن مائة وخمسين صحابيا فحديثه الذي
رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم يسمى مرسلا وانما اورد رواية الشعبي هنا مع الاستغناء
عنها بما ثبت في صحاح الاخبار اما لان المرسل عند المصنف محتج به اذ هو من اتباع
الامام مالك رضي الله عنه ومن منع الاحتجاج بالمرسل فانه يجيز الاحتجاج به لا سيما وهذه
قصة مخالفة لكيفيات نبع الما من بين اصابعه كلها لانه يتضمن خروج الما من اصبع
واحدة اتى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ما في النهاية الاداوة
انا صغير من جلد يتخذ للما كالسطيحة ونحوها وجمعها اداوى وقيل اي قال له اصحابه ما
معنا ما يا رسول الله غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها غمسها في الما وجعل
الناس يجيون ويتوضون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين
ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة اي التي جمعها كثير زائد عن عادة المجالس لانها كانت
في سفر الجهاد ولقا العدو والاجتماع لنصرة نبي من الانبيا ولا يخفى ما يقتضي ذلك من كثرة
الجمع والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهو لا قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجم الغفير له باضافة حضور الى الجم لان الكسائي نسب الى العرب
جواز ان يعرب الجم الغفير على حسب العوامل وفي القاموس معناه الجميع الشريف
والوضيع بحيث لم يتخلف احد بل كانوا كثيرين جدا ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له اي للمخبرين بقصة نبع الما
من بين الاصابع اعلم ان من اخبر بحضرة قوم خبرا ولم يكذبوه ولا حامل على سكوتهم عن تكذيبه

من خوف او طمع في شي فان ذلك الخبر صادق في ذلك الخبر وان سكوتهم عن تكذيبه تصديق
له عادة فقد اتفقوا وهم عدد التواتر على خبر عن محسوس فيكون صدقا قطعا هذا هو
الصحيح عند الاصوليين وقيل لا يلزم من سكوتهم تصديقهم لجواز ان يسكتوا عن تكذيبه
لا لشي ثم ان حديث نبع الما وكثير من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان رايتها مرقومة في
بعض الكتب فانها متواترة تواترا معنويا لان معظمها منقول في جميع كتب المحدثين
التي تلقيت بالقبول وانتشرت في ايدي ~~الخصوص~~ اهل هذا الشان وصارت متواترة
بينهم ورب متواتر بالنسبة الى قوم دون اخرين ولا يلزم من صيرورة بعض الاخبار عند
من لم يلتفت الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم احادا ان يكون غير متواتر عند من له
وقوف على احواله وتتبع لاخباره فان غزوة احد مثلا وما جرى فيها بالتفصيل متواتر
بين المحدثين الواقفين على احواله صلى الله عليه وسلم وقد اصبح كثير ممن يمسك الكتب العاري
لله ويزعم انه بلغ في العلم منتهاه لا يعرف الا ان النبي صلى الله عليه وسلم وقعت له غزوة
عند احد ولو سالته عن شي مما جرى له لرايته خالي الذهن من ذلك فلا يلزم من عدم تواتر
هذه القصص عند الجاهل المتواني ان لا تكون متواترة عند جهابذة هذا الشان ولعمري
لو جردت همتك لرايت قصة نبع الما على كيفيات مختلفة وقعت في اكثر من مائة مصنف
تلقتها الناس بالقبول واشتهرت بين عوام هذه الامة وخواصها ولو سالت من النصارى
عن كلام المسيح على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام في المهد لما رايت يعرف تفصيله
الا القليل منهم ولو طلبته من تاليفهم لكان الذاكر لها قليلا مع انها قصة متواترة نقلها
رب العزة في كلامه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعلى كل حال فقد جرت
العادة بان الامر الذي اشتهر وعرفه الخاص والعام والموافق والمخالف ان يسكت
عن نقله وذكره لانه يكون من قبيل السما فوقنا فنبع الما من بين اصابع النبي صلى الله
عليه وسلم امر اشتهر بين الناس في ذلك العصر وتواتر حتى صار مفيدا للعلم الضروري

لكن بطريق الاجمال وهو ان يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم نبع الما من بين اصابعه واما جابر
وابن مسعود وانس فنقلوا قضايا من ذلك شاهدوها عيانا مع ان المنقول اليهم يعرفون
بطريق الاجمال ان ذلك وقع من النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فقد ذاع امرها بين المحدثين
حتى ان الشيخين اللذين قال ابن الصلاح ان كل ما اسنداه مقطوع بصحته وابن حجر
في شرح النخبة بتواتر ما اتفقا على اخراجه ووافقهما غيرهما قد ذكرا حديث النبع
في اماكن متعددة من طرق مختلفة وكذلك البيهقي في الدلائل وفي كتاب الاعتقاد ثم
ان الامة قد تلقت ذلك وتداولوه بينهم فما من عامي الا ويذكر ذلك ولا عالم الا ويعرف
ذلك منه ولا شاعر مدحه الا ويذكر ذلك في ماثره فاي تواتر اقوى من هذا التواتر
فجعل هذا من قبيل اخبار الاحاد يكون من قصور الباع وعدم الادراك باحوال صلى
الله عليه وسلم تنبيه سكت المصنف عما وقع لزياد بن الحارث
الصدائي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكره البيهقي في الدلائل بسنده الى
زياد بن نعيم الحضرمي قال سمعت زياد بن الحارث الصدائي صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحدث قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام وذكر
الحديث الى ان قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتشى من اول الليل قال يعني
سار من اول الليل فلزمته وكنت قويا وكان اصحابي ينقطعون عنه ويستاخرون
حتى لم يبق معه احد غيري فلما كان اول صلاة الصبح امرني فاذنت فجعلت اقول اقيم
يا رسول الله وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى ناحية المشرق والى الفجر ويقول لا
حتى اذا طلع الفجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبرز ثم انصرف الي وقد تلاحق
اصحابه فقال هل من ما يا اخا صدا فقلت لا الا شي قليل لا يكفيك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اجعله في اناء ثم ائتني به ففعلت فوضع كفه في الما قال الصدائي فرايت بين
اصبعين من اصابعه عينا تفور فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني استحيي من ربي

عز وجل

عز وجل لسقينا واستقينا فاذن اصحابي من كانت له حاجة في الما فناديت فيهم فاخذ من اراد
منهم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فاراد بلال ان يقيم فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ان اخا صداء هو اذن ومن اذن فهو يقيم وذكر الحديث وذكر الدارمي بسنده
الى ابن عباس رضي الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب بلال الماء
ثم جا فقال لا والله ما وجدت الما فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل من شن فاتاه بشن
فبسط كفيه فيه فانبعث تحت يديه عين قال فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضا
فصل ومما يشبه هذا اي نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
من معجزاته تفجير الما ببركته مصدر مضاف الى مفعوله اي تفجير الله تعالى الما بسبب بركته اي
جعله منفجرا اي سائلا فبركته سبب عادي لتفجير الما وخالق التفجير هو الله تعالى وانبعاثه
بمسه اي سيلانه تشبيها للما بالرجل المنبعث الذي ثار من مقامه وسار لحاجته ودعوته
اي طلبته من الله تعالى وانما جعل هذا مشبها وذاك مشبها به لان هذه المعجزة في ذاك ابلغ
لانه كان اعلى حالاته صلى الله عليه وسلم عند فقد الما في سفره وحضره فانه كان اذا فقد الماء
يطلبه اولا من جهة مجرى العادة بوجوده منها فان لم يجده دعا بتكثير الما لانه اخرج قال
من اخراج الما من بين لحم ودم فان لم يجد ماء او وجد شيئا قليلا جدا اظهر هذه المعجزة التي
تتقاصر دونها معجزة الافلاك كما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك
وانهم وردوا العين اي عين تبوك كما صرح به في رواية الا فان قلت هذا الحديث في صحيح مسلم
فلم لم يذكره المصنف معزوا الى مسلم وعزاه الى الموطا مع ان صحيح مسلم اجل من الموطا قلت
الحديث لما كان صحيحا لا شبهة في صحته عزاه الى الموطا ناظرا الى جلالة مصنف الموطا على
مسلم وان كان كتاب مسلم اصح من كتاب مالك في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين اي
عين تبوك كما صرح به في رواية الموطا وهي تبض بضاد معجمة اي تقطر وتسيل بالما وقد
جا في رواية تبص بصاد مهملة اي تبرق وتلمع بشي من ما اي بسببه فالبا للسببية وتنكير

شي هنا للتقليل كان تنكير ما الذي كان مثل الشراك هو احد سيور النعل يكون على وجهها
والمراد ان هذا الما قطعة يسيرة من جنس الما كانت في قلتها مثل شراك النعل في صغره
وقلته وحقارة جرمه فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي كوعا وقدح ولو اريد
الغرف منه بذلك الشي لما امكن لقلة الما فان اليد تغرف اذا كان الما قليلا ما لا يغرفه
الانا كما هو مقرر ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اي في ذلك الشي ويجوز عود
الضمير الى الما اي غسل في ذلك الما وجهه ويديه واعاده اي الما فيها اي في تلك العين
فجرت بما كثير فاستقى الناس وقال في حديث ابن اسحق فانخرق من الما ما له حس
كحس الصواعق اي صوت كصوتها ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان
ترى ما ها هنا قد ملي جنانا اي بساتين اعلم ان المصنف روى حديث الموطا بالمعنى
ولو حكاه باللفظ لكان اكثر فائدة ففيه قال معاذ خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام غزوة تبوك فكان يجمع بين صلاة الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشا جميعا فلما كان
ذات ليلة قال انكم تاتون غدا ان شا الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار
فمن جاها منكم فلا يمس من ماها شيا حتى اتي فجئنا وقد سبقنا اليه رجلان والعين تبض
بشي من ما فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شا الله ان يقول ثم غرفوا
بايديهم من العين قليلا حتى اجتمع شي وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه
ووجهه ثم اعاده فيها فجرت العين بما كثير او قال غزير فاستقى الناس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملي جنانا وفي حديث
البرا وسلمة بن الاكوع اما حديث البرا فانه في صحيح البخاري واما حديث سلمة ففي صحيح مسلم
وحديثه اي حديث سلمة بن الاكوع اتم اي من حديث البرا وسنسوق الحديثين ويظهر
لك وجه التتمة حديث سلمة في قصة الحديبية التي وقعت فيها بيعة الرضوان وهم اربع عشرة
مائة وبيرها لا تروي خمسين شاة انما خص الشاة من بين سائر الحيوانات لانها اقل

بهام

بهام الجيش شربا للما فان شربها له قليل جدا بالنسبة الى الابل والحمير والخيل والبغال فنزحناها
فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بفتح الجيم وبالقصر ما حول البير
واذا كسرت الجيم فالمراد الانا الذي يجمع فيه الما والمراد هنا الاول قال البرا واتي بدلو منها
فبصق ودعا قال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت اي فارت فارووا انفسهم
وركابهم اي رواحلهم من الابل فحديث البرا في البخاري كما سبق قال البرا تعدون انتم الفتح
فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بانا من ما فتوضا فمضمض ودعا
ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا ومعنى اصدرتنا صرفتنا
عنها ونحن روا نحن وابلنا فلم نحتج الى الفتال بها لاجل الما واما حديث سلمة بن الاكوع رضي الله
عنه ففي صحيح مسلم قال سلمة قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة
مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية فاما
دعا واما بسق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعانا للبيعة في اصل الشجرة فبايعته اول الناس ثم بايع وبايع حتى اذا كان في وسط من
الناس قال بايع يا سلمة قال قلت قد بايعتك يا رسول الله في اول الناس قال وايضا
قال وراني رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلا يعني ليس معه سلاح قال فاعطاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجفة او درقة الحديث وانما كان حديث سلمة اتم لاشعاره بان البير من
اصلها ذات ما قليل جدا لانه اخبر انهم حين قدموا الحديبية راوا عليها خمسين شاة لا
ترويها ولم يبين ذلك في حديث البرا لاحتمال انهم نزحوها وكانت ذات ما كثير ولاشعاره
بان تكثير الما كان بمحض دعائه صلى الله عليه وسلم او ببسقه من غير ان يصب عليها ما ولاشعاره
بان الما يجر دما فعل ذلك جاشت وخبر البرا يشعر بانهم تركوها ساعة قليلة ولاشعاره

التنبيه عليه ح

بان الماء لكثرة شربوا منه وسقوا مواشيهم وادخروا منه شيئا بدليل تعبيره بالتعقيب
ولم يستفد ذلك من خبر البراء والاشعار حديث سلمة بان المعجزة وقعت بعد احد
الشيئين اما البصق واما الدعا وحديث البراء مشعر بانهما وقعا منه فلولا البصق ثم دعا
فكان حديث سلمة اتم في بيان هذه المعجزة من حديث البراء من حيث اشتماله على ما يقتضي
ان الخارق وقع من النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الكمال كما لا يخفى وفي غير هذه الروايتين الذي
في النسخ التي وقفنا عليها هكذا بتوحيد اسم الاشارة وتثنية المشار اليه نظرا
الى اتحادهما في المعنى وكونهما قصة واحدة ومن واد واحد في هذه القصة من طريق ابن
شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته بفتح الكاف في القاموس كنانة السهم
جعبة من جلد لا خشب فيها او بالعكس فوضع اي السهم في قعر قليب وهو البئر التي
لم تطو ويذكر ويونث كذا في النهاية ليس فيه ماء فروى الناس اي شبعوا من الماء حتى ضربوا
بعطن ضرب بمعنى اقام ومنه ضرب الخيام اي نصبها للاقامة فالمراد ان الناس اقاموا
ولم يبرحوا من مكانهم ولبثوا في عطن لابل وهو مناخها حول الماء يعني ان الناس لما
راوا الري الزائد والماء الكثير اتخذوا ذلك المكان معطنا لقضاء ماربهم من الماء واعلم ان حديث
السهم في تفجير الماء من البئر رواه البيهقي في الدلائل فيه بسنده الى مروان بن الحكم
والمسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يريد زيارة البيت لا يريد
حربا فذكر الحديث وقالا فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس انزلوا
فقالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فاخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه فقال له انزل في بعض القلب فاغرزه
في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن وقال عروة فذكر خروج
النبي صلى الله عليه وسلم قال وخرجت قريش من مكة فسبقوه الى الماء فنزلوا عليه فلما
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حر

شديد

بلغ مقابلة على خط المولف

شديد وليس فيها الا بئر واحدة فاشفق القوم من الظما والقوم كثير فنزل فيها يمتحونها
ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فتوضا في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر
ان يصب في البئر فنزع سهما من كنانته فالقاه في البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء
حتى جعلوا يغرفون بايديهم منها وهم جلوس على شفتها وقال موسى بن عقبة فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الناس ليس لنا ماء فاخرج سهما من كنانته
فامر به فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن قال ويقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينزل في البئر فنزل خالد بن عباد الغفاري
دلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامته فماج في البئر فكثر الماء حتى روي الناس ويقال
بل الماتح في البئر ناجية بن جندب السلمي وزعم بعض اهل العلم ان البراء بن عازب كان
يقول انا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك كله البيهقي في دلائل
النبوة وعن ابي قتادة وذكر اي ابو قتادة في بعض حديث طويل ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة في النهاية
هي بالقصر وكسر الميم وقد تمد مطهرة كبيرة يتوضا منها ووزنها مفعلة ومفعالة والميم زائدة
فجعلها في ضبنه اي حضنه صرح به ابن الاثير في النهاية وفي القاموس هو ما بين الابط
والكشح والحاصل انه امسكها مسكة تمكن منها ويمكن ان يريد بالضبن الحيازة اي جعلها
في حيازته ومنه تسمية العيال ضبنا وفي الحديث اللهم اني اعوذ بك من الضبنة في
السفر وهي ما تحت يد الانسان من مال وعيال ومن تلزمه نفقته سموا بذلك لانهم
في ضبن من يعولهم ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا ام هي بها معادلة للاستفهام
المقدر اي انفث فحذف حرف الاستفهام لدلالة الكلام عليه فهو على حد قول عمر
فوالله ما ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمار ام بثمان هـ فام هنا متصلة تدل
على ان احد الامرين وقع وصدر فشرب الناس حتى رووا وملوا كل اناء فخيل الي

من الطويل

انها كا اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا و روى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري
حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج مهم مجدا
لاهل موته هي قرية من ارض البلقا من الشام وهي بضم الميم وسكون الواو بغير همز
لاكثر الرواة وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز وحكى
غيرهم الوجهين والمراد باهل موتة الذين امرهم اصحابه الذين ارسلهم لقتال شرحبيل
ابن عمرو الغساني حين قتل رسول النبي صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان
ارسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى هلك بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل
المذكور فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتيل سواه فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة الاف وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر
ابن ابي طالب فان قتل فاميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون
برجل من بينهم يجعلونه عليهم وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوا ابيض ودفعه
الى زيد بن حارثة واوصاهم ان ياتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك الى
الاسلام فان اجابوا والا استعانوا عليهم بالله عز وجل وخرج مشيعا لهم حتى بلغ
ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم سالمين
غانمين فقال ابن رواحة ٥ لكنني اسال الرحمن مغفرة ٥ وضربة ذات فرع تقذف الزبدا ٥
٥ او طعنة بيدي حران مجهزة ٥ بحربة تنفذ الاحشا والكبدا ٥
٥ حتى يقال اذا مروا على جدثي ٥ ارشدك الله من غاز وقد رشدا ٥

من البسيط

قد يتوهم ان المصراع الاخير
وهو ارشدك الله الخ
مكسور الوزن وليس كذلك
غاية الامر انه مستعملت
الاولى منه دخل الطي
وهو حذف الرابع
الساكن فلعلم ذلك
ــــــ
زين الدين

عندما بلغه قتل الامرا اما هنا مصدرية اي عند بلوغ قتل الامرا اياه والمراد بالامراء
المقتولين زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة اما زيد فقاتل حتى
قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللوا جعفر فنزل عن فرس له شقرا فقاتل حتى قتل ضربه رجل
من الروم حتى قطعه نصفين ووجد في احد نصفيه بضعة وثمانون جرحا ثم اخذ اللواء

عبد الله

عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ الراية ابن اقوم العجلاني ثم خالد بن الوليد رضي الله
عنهم والصحيح ان المسلمين انهزموا وقيل غنموا ورفعت الارض لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى راى مقتلهم من مكانه واخبر به طبق ما وقع وراى جعفرا قد ابدله الله جناحين
يطير بهما في الجنة مع الملائكة وهما جناحان حقيقيان ولا يلتفت الى كلام السهيلي فانه
مشوب بمقالة الفلاسفة قال ابن اسحق لما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمصاب القوم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل ثم اخذها جعفر فقاتل
بها حتى قتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار
وظنوا انه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال اخذها عبد الله بن
رواحة فقاتل بها حتى قتل ثم قال لقد رفعوا الى الجنة على سرر من ذهب فرايت في سرير
عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لي مضيا وتردد
عبد الله بعض التردد ثم مضى وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه
وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الما في غد وذكر حديث الميضاة قال والعق
رها ثلثمائة الزهها القدر اي قدر ثلثمائة من زهوت القوم اذا حزرتهم وقال في
كتاب مسلم اي صحيح مسلم المشهور انه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة
رضي الله عنه احفظ على ميضاتك فانه اي الشان سيكون لها نبا اي خبر عظيم
فالتنكير فيه للتعظيم وذكر اي مسلم نحوه اي مثل ما ذكرنا من خبر ابي قتادة السابق
ومن ذلك حديث عمران بن حصين وهو حديث طويل مذكور في الصحيحين ودلائل البيهقي
حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين
من اصحابه المذكور في روايات كثيرة انهما علي بن ابي طالب وعمران بن حصين وفي دلائل
البيهقي ما يقتضي ان عمران نفسه اخبر انه احد الرجلين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
والاخر الزبير بن العوام رضي الله عنه وفي رواية البيهقي ان عليا خرج ومعه نفر من

سريري

اصحابه ولا تعارض بين رواية انهما اثنان وانهم جماعة لجواز ان يكون الرئيس فيهم اثنين
وباقي الجماعة تبع لهما واعلمهما اي النبي صلى الله عليه وسلم انها يحبوان امراة هذه المراة لم يذكروا
اسمها الا انها اسلمت بل في البخاري انه كان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من
المشركين ولا يصيبون الصرم التي هي منه فقالت لقومها ما ارى ان هولاء القوم يعني
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يدعونكم عمدا فهل لكم في الاسلام فاطاعوها فدخلوا في
الاسلام ومعنى كلامها انها لما رات الصحابة لا يغيرون على صرمها ويغيرون على من حوله مع
قوتهم وقدرتهم التامة على صرمها علمت ان تركهم لصرمها ليس غفلة عنهم ولا عجزا بل
تركوهم عمدا باختيارهم لملاحظة ذلك المعروف الذي فعلته مع النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فعلمت بذلك وفا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالعهود ومراعاتهم للمعروف
فاستدلت بذلك على طيب طويتهم وحسن نيتهم فاسلمت وحملت قومها على الاسلام
ومن ثم جعل ابن مالك ما في قولها ما ارى ان هولاء القوم يدعونكم عمدا موصولة لا نافية
اي الذي اعتقده واظنه ان هولاء القوم يتركونكم متعمدين لتركهم لا عن عجز و
غفلة بل وفا بالعهد ومراعاة للذمام مكان كذا نصب على انه ظرف ليحبوان لان لفظ
مكان كذا وان لم يكن مبهما لكنه كالمبهم في انه ينصب بتقدير في لانه مسمى اضافي محض لا
تعرف حقيقته الا بما يضاف اليه فجاز ان ينصب نصب الظروف المكانية المبهمة معهما
بعير عليه مزادتان المزادة بفتح الميم والزاي قربة كبيرة يزاد فيها جلد من غيرها وتسمى
ايضا السطيحة الحديث اي اقرا الحديث ولم يذكر تتمته لخلوها عن الشاهد فيه انهما
انطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين او سطيحتين من ماء على بعير لها فقالا لها اين الماء
فقالت عهدي بالماء امس هذه الساعة ونفرنا خلوف قالا لها انطلقي اذن قالت الى اين
قالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الذي يقال له الصابي قالا هو الذي تعنين
فانطلقي فجابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثاه الحديث قال فاستنزلوها

عن بعيرها

عن بعيرها وقد ذكره المصنف بقوله فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف
جاز لهما ان يستنزلاها عن بعيرها قهرا وهي غير راضية بذلك قلت لانها كانت كافرة حربية
وعلى تقدير انها كان لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض بل اذا
امتنع مالكه من اعطائه قاتله العطشان ولو ادى الى قتله فيكون دم مالكه هدرا لانه بمنعه
صار مهدر الدم ولو مات العطشان من ذلك ضمنه مالك الماء لان العطشان والحالة
هذه مظلوم لا سيما ونفس النبي صلى الله عليه وسلم يجب على كل مسلم فداءها بنفسه
وبماله ومال غيره بل وبنفس غيره فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان
يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية
ويجوز في عزالي الذي هو جمع فتح اللام وكسرها فان قلت كيف جمع مع انهما مزادتان
ولكل مزادة مصب واحد قلت بل الحق ان لكل مزادة عزلاوان من اسفلها فللمزادتين
اربع عزال وامر الناس فملوا اسقيتهم في صحيح البخاري ونودي في الناس اسقوا
واستقوا حتى لم يدعوا شيا الا ملوه وفي القصة انه كان في القوم رجل اصابته
جنابة فامره بالتيمم ثم لما وجد الماء وسقى الناس واستقوا فكان اخر ذلك ان
اعطى الذي اصابته الجنابة اناء من ماء وقال اذهب فافرغه عليك فقدم صلى الله عليه
وسلم مصلحة العطاش ثم الجنب قال عمران ويخيل الي انها لم يزداد الا امتلاء بل
في رواية البخاري انه اقسم وقال وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد
ملئة منها حين ابتدا فيها فقد افادت مع القسم وتحقيق الخبر وتاكيده زيادة عما
رواه المصنف ان التخييل لم يقع لعمران وحده بل له وللحاضرين بدليل اتيانه بضمير
المتكلم مع الغير وحمله على المعظم نفسه يا باه المقام فان قلت هل سقوا ابا عرهم قلت
وقع في رواية مسلم ان عمران قال غير انا لم نسق بعيرا لكن في رواية البيهقي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اشربوا فشربوا حتى رووا ثم قال اسقوا ظهركم

فسقوا حتى رووا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا ما كان لكم من قربة او مطهرة فاملؤها
قال فجاءوا بقربهم ومطاهرهم فملؤها ثم ذكر في اخر هذه الرواية ان المراة ذهبت الى قومها
وقالت بعد ان قال لها قومها ما حبسك عنا قالت حبسني اني رايت عجبا من العجب رايتم
مزادتي هاتين والله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا واخذوا من القرب والمزاد
والمطاهر ما لا احصي ثم هما الان اوفر منهما يومئذ فهذه الرواية تشعر بانهم سقوا اباعرهم
فان قلت كيف تصنع برواية عمران قلت لعل عمران لم يطلع على ما وقع من باقي الناس من
سقي اباعرهم لاهتمامه فكره بما راى من هذه المعجزة وان المراة اطلعت على ذلك لداعي
ضرورتها الى المال الى معرفة حصارفه كما هو معلوم من العادة فان قلت كيف استعمل النبي صلى
الله عليه وسلم الماء من مزادة المشركة مع ان العلماء كرهوا استعمال اواني الكفار حتى نقل
عن احمد بن حنبل واسحاق نجاستها بدليل قوله تعالى انما المشركون نجس وان اجيب
عن ذلك بحمله على نجاسة الاعتقاد قلت الحق لا كراهة في استعمال هذه المزادة لوجهين
الاول انهم لم يجدوا بدا من استعمالها والكراهة تزول بذلك كما صرح به في حديث ابي ثعلبة
المذكور في الصحيحين قال قلت يا رسول الله انا بارض اهل الكتاب ونأكل في آنيتهم
فقال لا تأكلوا في آنيتهم الا ان لم تجدوا عنها بدا فاغسلوها بالماء ثم كلوا فيها الثاني ان
هذه المزادة كانت متيقنة الطهارة وقد صرح النووي في شرح المهذب بزوال
الكراهة اذا تيقنت الطهارة وايضا حمل النووي النهي الواقع في حديث ابي ثعلبة
على الاواني التي نعلم انهم يطبخون فيها لحم الخنزير ويشربون فيها الخمر فان النهي انما وقع
للاستقذار كالنهي عن الاكل في المحجمة المغسولة وقد صرح بذلك في رواية ابي داود
قال ابو ثعلبة يا رسول الله انا نجاور اهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير
ويشربون في آنيتهم الخمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا
وان لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء وكلوا واشربوا ثم اذا نظرنا الى انا كافر ولم نعلم

قوله تأكلوا وقع في خط المصنف [illegible] نأكل بالافراد

طهارته

طهارته ولا نجاسته وان كان من قوم لا يتدينون بالنجاسة اي لا يعتقدون ان استعمال
النجاسة فضيلة ودينا فان في الكفار من يعتقد استعمالها فضيلة ودينا وهم طائفة من المجوس
يرون استعمال ابوال البقر واخثائها قربة وطاعة قال الماوردي ومن يرى ذلك البراهمة
فانه طهارته صحيحة بلا خلاف وان كان من قوم يتدينون بها صحت على الاصح لقوله تعالى
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ومعلوم ان طعامهم يطبخونه في قدورهم ويباشرونه
بايديهم ولحديث عمران في مزادة المشركة ولما رواه الشافعي في مسنده والبخاري
تعليقا ان عمر رضي الله عنه توضأ من بيت نصرانية من جرها ولان الاصل في اوانيهم
الطهارة ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياذن للكفار في دخول المسجد ولو كانوا انجاسا
لم ياذن لهم وحمل اصحابنا الاية على نجاسة الدين والاعتقاد لا نجاسة الابدان
والاواني بدليل انه صلى الله عليه وسلم ادخلهم مسجده واستعمل انيتهم واكل طعامهم واجابوا
عن حديث ابي ثعلبة بان السوال كان عن انية يطبخون فيها لحم الخنزير ويشربون الخمر كما
جاء مصرحا به في رواية ابي داود وبانه محمول على الاستحباب ذكره الشيخ ابو حامد ثم امر
فجمع ولفظ البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها ما بين عجوة
ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا
الثوب بين يديها من الازواد جمع زاد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك
شيا ولكن الله سقانا الحديث بطوله في رواية البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم لها
تعلمين ما رزانا من مائك شيا ولكن الله هو الذي اسقانا وفي رواية مسلم واعلمي
انا لم نرزا من مائك شيا وهذه الرواية التي ذكرها المصنف موجودة في دلائل البيهقي
فعبر باخذه معنى نرزا وظاهر هذه الروايات ان جميع ما اخذه من الماء مما زاده الله تعالى
واوجده وانه لم يختلط فيه شيء من مائها في الحقيقة وان كان في الظاهر مختلطا وهذا ابدع
في المعجزة واغرب وهو ظاهر ايضا من قوله ولكن الله تعالى هو الذي اسقانا ويحتمل ان

للمراة خ

مقدار و

يراد نقصانه من مائة شيء وفيه اشارة الى ما اعطاها صلى الله عليه وسلم من الازواد كان على
سبيل التكرم والتفضل لا في مقابلة ما اخذه منها وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم هل من وضوء بفتح الواو ما يتوضأ به ومن زائدة زيدت في المبتدا مع سبق
الاستفهام بهل فهو على حد هل ترى من فطور ووضوء مبتدا اسوغ الابتداء به وقوعه في سياق
الاستفهام والخبر محذوف فجاء رجل باداوة هي بكسر الهمزة اناء صغير من جلد تتخذ للماء كالسطيحة
ونحوها فافرغها نطفة اذا هنا للمفاجاة وهي حرف عند جمهور النحاة واما الفا فهي زائدة لازمة
عند جماعة منهم وعاطفة عند جمع والارجح عندي ما اختاره ابن مالك ان الفا للمفاجاة ايضا
فهي مؤكدة لاذا تاكيدا لفظيا لانه تاكيد حرف بمرادفه والنطفة تطلق على الما القليل والكثير
اما اطلاقه على الما القليل فكما في هذا الحديث ومنه سمي المني نطفة لقلته واما اطلاقه
على الما الكثير فكما في قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الاسلام يزيد واهله وينقص الشرك واهله
حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا اراد بالنطفتين بحر المشرق وبحر المغرب وقيل
اراد ماء الفراة وماء البحر الذي يلي جدة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة
اربع عشرة مائة اي نحن في هذا المقدار فهو خبر مبتدا محذوف وقد صرح بهذا المبتدا في بعض
الروايات ويجوز ان يكون بدلا من الضمير المرفوع في توضانا وان يكون حالا من الضمير المستكن
في ندغفقه اي ندغفقه حال كوننا بالغين هذا المقدار من العدد وان يكون حالا من الضمير
المرفوع في توضانا وفي النهاية دغفق الماء اذا دفقه وصبه صبا كثيرا واسعا وفلان
في عيش دغفق اي واسع وفي حديث عمر في جيش العسرة اي جيش غزوة العسرة وهي
غزوة تبوك وهو مكان معروف نصف طريق المدينة الى دمشق وسميت بذلك لان
الناس كانوا في عسرة من الما وقلة من الزاد وعدم من الظهر واقتار من النفقة وتسمى
الفاضحة لافتضاح المنافقين بها وكان سفرها بعيدا عن المدينة بالنسبة الى باقي
غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يور صلى الله عليه وسلم فيها كما كان يوري في غيرها وكان

تقدم الكلام على النطفة ورسم الفراة هناك كما رسم هنا بالتا المربوطة فاعلم ذكره

المجهز للجيش فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه فانه كان صاحب اليد البيضا فيها وكانت
يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر اي عمر ما اصابهم اي جيش العسرة
من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه وهو السرجين الذي في الكرش فيشربه
ورغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا رغب اذا تعدى بالى معنا
الضراعة والتذلل اي تضرع ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم وتذلل اليه في ان
يدعو للجيش بانزال الما وانما تضرع اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يميل كثيرا الى عدم اظهار
الخوارق وانما رغب ابو بكر للاحتياج التام الى الما ومشاهدة عدم صبر الناس واما النبي
صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن محتاجا الى الما لانه يبيت عند ربه تعالى يطعمه ويسقيه فرفع
يديه فلم يرجعهما حتى قالت السما فانسكبت فملؤا ما معهم من انية في القاموس يعبر
بقال عن التهيؤ للافعال والاستعداد لها يقال قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم ونحوه
وهي هنا كذلك اي تهيأت السما للامطار ثم انسكبت عقب التهيؤ بلا مهلة ولم تجاوز
العسكر وانما اتى بهذا للاشارة الى انها لم تنزل الا لمجرد منفعة العسكر استجابة لدعائه
صلى الله عليه وسلم وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب هذا الحديث رواه ابن سعد قال اخبرنا
اسحاق بن يوسف الازرق حدثنا عبد الله بن عون عن عمرو ان ابا طالب قال كنت
بذي المجاز ومعي ابن اخي فذكره وهذا حديث معضل لانه سقط منه اثنان لان عمرا
يروي عن ابيه شعيب وهو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص وشعيب
له رواية عن ابيه محمد وله رواية عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص فانه صح ان شعيبا
سمع من جده عبد الله بن عمرو كما صرح به البخاري في التاريخ واحمد ولهذا كان الاصح
ان رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده حجة ويكون الضمير في جده راجعا الى ابيه لان اباه
شعيبا سمع من جده عبد الله بن عمرو الصحابي قال اي ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه
الرديف والردف بالكسر والمرتدف والرداف كجبان الراكب خلف الراكب اي وهو راكب

خلفه بذي المجاز هو موضع عند عرفات كان يقام فيه سوق من اسواق العرب في الجاهلية
سمي به لان اجازة الحاج كانت فيه عطشت ولبيس عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
وضرب بقدمه الارض فخرج الما فقال اشرب فان قلت ابو طالب كافر مات على كفره فكيف
يحتج بقوله قلت لم يورده المصنف على طريق الاحتجاج وانما اورده على سبيل الاستيناس
لا سيما ممن لم يصغ بتصديقه ولا اقر بنبوته ومات على كفره وقد روى مثل هذا الخارق عنه
فكان من قبيل الفضل ما شهدت به الاعداء وقد ضمن هذه القصة الامام الصرصري في

من الكامل

قصيدته النبويه في مدحه صلى الله عليه وسلم فقال • وشكا اليه عمه ظما به •
في موضع خال من الغدران • فسقاه اذ ركض التراب برجله • ما يروي غلة الظمآن •

وقد روى هذه القصة ايضا صاحب الوفا باسناده الى عبد الله بن عون بلفظ ان
ابا طالب قال كنت بذي المجاز ومعي ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فادركني العطش
فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي قد عطشت وما قلت له وانا ادرى ان عنده شيا الا الجزع
قال فثنى وركه ثم نزل فقال يا عم اعطشت قال نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا
بالما فقال اشرب يا عم فشربت والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعا الاستسقا
وما جانسه اما دعواته في الاستسقا فكثيرة منها ما اخرجه الشيخان في صحيحيهما عن
انس بن مالك رضي الله عنه قال اصاب الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك
المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السما قزعه بفتح القاف
والزاي اي قطعة من السحاب فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب امثال
الجبال اي ظهر بعوان كان خفيا ينقطع كبار ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على
لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الاخرى فقام ذلك
الاعرابي او قال غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه

وقال

وقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة
مثل الجوبة بفتح الجيم والواو ثم باء موحدة وهي الفجوة اي صار السحاب حولها وهي خالية منه
ثم قال وسال الوادي وادي قناة شهرا ولم يجي احد الا حدث بالجود اي المطر الغزير
الكثير وفي الصحيحين روايات اخرى قريبة من هذه الرواية وفي كتاب الدلايل للبيهقي
من حديث مسلم الملاي عن انس بن مالك قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
يا رسول الله والله لقد اتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبي يصيح وانشد

من الطويل

• اتيناك والعذرا يدمى لبانها • وقد شغلت ام الصبي عن الطفل •
• والقى بكفيه الصبي استكانة • من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي •
• ولا شي مما ياكل الناس عندنا • سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل •
• وليس لنا الا اليك فرارنا • واين فرار الناس الا الى الرسل •

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداه حتى صعد المنبر ثم رفع يديه الى السما فقال
اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار تملا به الضرع
وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فوالله ما رد يديه الى
نحره حتى القت السما بارواقها وجا اهل البطانة يضجون يا رسول الله الغرق الغرق
فرفع يديه الى السما ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى
احدق بها كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در
ابي طالب لو كان حيا قرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي بن ابي طالب فقال يا
رسول الله كانك اردت

من الطويل

• وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •
• يلوذ به الهلاك من ال هاشم • فهم عنده في نعمة وفواضل •
• كذبتم وبيت الله نبزى محمدا • ولما نقاتل دونه ونناضل •

• ونسلمه حتى نصرع دونه • ونذهل عن ابنائنا والحلائل •

وفي الدلائل عن ابي وجزة يزيد بن عبد الله السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غزوة تبوك اتاه وفد بني فزاره بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر
ابن قيس وهو اصغرهم ابن اخي عيينه بن حصن فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من
الانصار وقدموا على ابل صغار عجاف وهم مسنتون فاتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقرين بالاسلام فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول
الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا وغرثت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان
يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشفع
الى ربي فمن ذا الذي تشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو
يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليضحك من شغفكم وازلكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي ويضحك ربنا يا رسول الله قال نعم
فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعا الا في الاستسقا فرفع يديه
حتى رئي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلادك وبهيمتك وانشر
رحمتك واحي بلادك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا
غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم
اسقنا الغيث وانصرنا على الاعدا فقام ابو لبابه فقال يا رسول الله ان التمر في المرابد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابه يا رسول الله ان التمر
في المرابد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابه يا رسول
الله التمر في المرابد ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا حتى يقوم

ابولبابه

ابو لبابه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السما من قزعة ولا سحاب
وما بين المسجد وسلع من بيت ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت
السما انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فلا والله ما راوا الشمس ستا وقام ابو لبابه عريانا
يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي ساله
ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا على
الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب
الثياب وفي رواية فاسبلت السما ومطرت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاف
الانصار بابي لبابه يقولون له يا ابا لبابه ان السما والله لن تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب
مربدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقام ابو لبابه عريانا يسد ثعلب
مربده بازاره فاقلعت السما وفي شرح البرهان الحلبي على البخاري قال ابو الفتح اليعمري
يريد به ابن سيد الناس في سيرته وفيها اي في السنة السادسة من الهجرة قحط الناس
فاستسقى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا في رمضان وكذا قاله مغلطاي في
سيرته الصغرى في الحروس والظاهر ان مرادها الاستسقا الذي صلى فيه والا فقد
استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات فاستسقى بمكة واستسقى يوم الجمعة على
المنبر بالمدينة في اثنا خطبته واستسقى على منبر المدينة استسقا مجردا في غير يوم الجمعة
ولم يحفظ عنه في هذا الاستسقا صلاة واستسقى وهو جالس في المسجد ورفع يديه
ودعا الله عز وجل واستسقى عند احجار الزيت قريبا من الزورا خارج باب
المسجد الذي يدعى اليوم بباب السلام واستسقى في بعض غزواته لما سبقه
المشركون الى الما واستسقى مرة فقام اليه ابو لبابه فقال يا رسول الله ان التمر في
المرابد الحديث فهذه استسقااته عليه الصلوة والسلام وكل هذه غير المرة التي

انظر الزورآ بالمدينة ه

استسقى به عبد المطلب جده بمكة الذي انشد فيه ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للارامل انتهى واراد المصنف بقوله دعا الاستسقا الادعية

التي كان يدعو بها لسقي الناس عامة وبقوله ما جانسه الادعية التي كان يدعو بها في

الحالات الخاصة كدعائه في بعض غزواته واسفاره بانزال الما والاستجابة في اسرع ما

يكون ففي كتاب الوفا للحافظ ابي الفرج ابن الجوزي بسنده عن عائشة بنت سعد ان

اباها حدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل واديا دهشا لاما فيه وسبقه المشركون

الى القلب فنزلوا عليها واصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونجم النفاق وقال بعض المنافقين لو كان نبيا كما زعم لاستسقى لقومه كما استسقى

موسى عليه الصلوة والسلام فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوقالوها

عسى ان يسقيكم ثم بسط كفيه وقال اللهم جللنا سحابا كثيفا صيفا دلوقا مخلوقا

ضحوكا زبرجا تمطرنا منه رذاذا قطقطا سجلا بعاقا يا ذا الجلال والاكرام فما رد

يديه من دعائه حتى اظلتنا السحابة التي وصف تتلون في كل صفة وصف رسول الله

صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب ثم امطرنا الضروب التي وصفها رسول الله صلى

الله عليه وسلم وافعم السيل الوادي فشرب الناس فارتووا فهذا الحديث واديا

دهشا لاما فيه الدهش بفتحتين والدهاش مثل اللبب واللباب المكان السهل

اللين لا يبلغ ان يكون رملا وليس بتراب ولا طين وقوله القلب جمع قليب وهو

البير وقوله نجم النفاق اي ظهر يقال نجم الشي ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع وقوله جللنا

سحابا كثيفا اي اجعله عاليا يغشانا ويعمنا والكثيف الغليظ والصيف بالتشديد

الي المطر الذي يجي في الصيف وقوله دلوقا الادلاق بالدال المهملة خروج الشي من مكانه

وبالزال المعجمة الحدة والمحلوق المجتمع المتهي للمطر والزبرج السحاب الرقيق فيه حمرة

وقوله تمطرنا منه رذاذا هو بفتح الرا والذال المعجمتين وهو المطر الضعيف وقوله سجلا

اي صبا

اي صبا متصلا يقال سجلت الما سجلا اي صببته صبا متصلا بضم من تحت والعين

المهملة المطر الكثير العريض الواسع وافعم السيل الوادي اي ملاه فصل

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي

رحمه الله قال ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي هو ابو احمد محمد بن عيسى بن محمد بن

عبد الرحمن بن عمرويه بن منصور الزاهد النيسابوري الجلودي بضم الجيم بالاتفاق قال

ابن السمعاني هو منسوب الى الجلود المعروفة جمع جلد وقال ابن الصلاح عندي انه منسوب

الى سكة الجلوديين بنيسابور الدارسة وهذا الذي قاله ابن الصلاح يمكن حمل كلام

ابن السمعاني عليه وانما قلنا ان الجلودي بضم الجيم بالاتفاق لان ابن السكيت وصاحبه

ابن قتيبة قالا في كتابيهما المشهورين ان الجلودي بفتح الجيم منسوب الى جلود اسم

قرية بافريقية وفي صحاح الجوهري نحوه لكن في القاموس وجلود كقبول بلدة

بالاندلس منها حفص بن عاصم واما الجلودي راوية مسلم فبالضم لا غير ووهم الجوهري

في قوله ولا تقل الجلودي بالضم وقول البرهان الحلبي في شرحه والاصح الضم يوهم بل هو

صريح في جواز الفتح وقد علم ضعفه من كلام هذه الجهابذة حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم

ابن محمد بن سفيان راوي الصحيح عن مسلم نفسه حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة

ابن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى

الله عليه وسلم يستطعمه اي يطلب منه الطعام الذي هو غذا البدن وانما قيدت بذلك

لان الاستطعام قد يستعمل في الاحاديث النبوية بمعنى طلب العلم الذي هو غذا الروح على

طريق التمثيل ففي الحديث اذا استطعمكم الامام فاطعموه اي اذا ارتج عليه في قراة

الصلوة واستفتحكم فافتحوا عليه ولقنوه فشبهوا القا القران عليه بالطعام الذي

يدخل في فيه فاطعمه شطر وسق شعير اما الشطر فهو النصف ويقال فيه شطير

كنصف ونصيف وفي الحديث من اعان على قتل ولو بشطر كلمة لقي الله ومكتوب بين

فصل

ترجمة الجلودي

عيينة اليس من رحمة الله تعالى قيل هي ان يقول اف في اقتل واما الوسق فهو بفتح الواو
وكسرها ستون صاعا وهو ثلثمائة وعشرون رطلا عند اهل الحجاز واربع مائة
وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد واضافة وسق
الى شعير اضافة المميز بفتح اليا الى التمييز لانه حذف من المضاف ما به التمام وهو
التنوين اذ الاصل وسق شعيرا فحذف التنوين واضيف فما زال ياكل منه وامراته
عطف على الضمير المرفوع في ياكل ولم يوكده بالضمير المنفصل لان الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه يغني عن التاكيد وقد فصل بينهما بقوله منه وصبيه وفي نسخة
وضيفه بدل وصبيه وفي القاموس ان الضيف يطلق على الواحد والجمع حتى
كاله غاية لاكله يعني انهم اكلوا منه من غير ان ينقص منه شي واستمر اكلهم منه من
غير نقصان الى ان كاله فظهر فيه النقص بعد ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم اي كان كافيا لكم في طعامكم ولم تحتاجوا في القيام
بمعاشكم الى غيره وانه كان قليلا في راي العين فبركته نمى وتزيد ومن ذلك حديث
ابي طلحة اضاف الحديث اليه باعتبار ان القصة وقعت له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس هو راوي الحديث وانما راويه انس وابو طلحة هذا هو الانصاري عم انس
ابن مالك شهد العقبة وكان احد النقبا ليلتها وشهد بدرا واحدا وبيعة الرضوان
ولم يكن كثير الصيام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لاجل القوة على الجهاد مع النبي صلى الله
عليه وسلم وكان يقول في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت ابي طلحة في
الجهاد خير من فئة ولم يتخلف عنه صلى الله عليه وسلم في مشهد من مشاهده توفي
بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه عثمان بن عفان ولما مات النبي صلى الله
عليه وسلم سرد الصوم حتى لقي الله تعالى ثم ان هذا الحديث صحيح مذكور في الصحيحين
وغيرها المشهور اي لانه وجد في معظم كتب الحديث والمعاهد صلى الله عليه وسلم ثمانين

رجلا

ترجمة ابي طلحة الانصاري رضي الله عنه

رجلا او سبعين رجلا من اقراص من شعير جا به اي بذلك الخبز وفي نسخة بها اي بتلك الاقراص
انس تحت يده اي ابطه بكسر الهمزة وسكون البا ويجوز كسرها وهو باطن المنكب ويجوز
فيه التذكير والتانيث فامر بها اي النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الاقراص ففتت وقال فيها
ما شاء ان يقول اختصر المصنف هذا الحديث جدا مع انه في الصحيحين وغيرهما بلفظ طويل
يحتوي على فوائد جمة وكانه اكتفى بشهرته ولم يحتج الى ان يسوقه بتمامه ففي الصحيحين عن
انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا
اعرف فيه صوت الجوع فهل عندك شي فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت
خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي وردتني ببعضه ثم ارسلتني الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد
ومعه اناس فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك ابو طلحة قال فقلت
نعم فقال لطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله قوموا فانطلق قال
فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله
اعلم قال فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو طلحة معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي ما عندك يا ام سليم
فجاءت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عليه ام سليم عكة لها
فادمته فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة
فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى اكل القوم كلهم وشبعوا
والقوم سبعون رجلا وثمانون اخرجاه في صحيحيهما وفي رواية لم يبق منهم احد حتى دخل
فاكل حتى شبع ثم قال هيئاها فاذا هي مثلها حين اكلوا منها وفي رواية ثم اكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واكل اهل البيت وافضلوا ما بلغ جيرانهم وفي رواية فاكل منها بضع

هذا المحل لا يخلو عن قلاقة ه

قوله بضع محله ا

وثمانون رجلا فضل منهم فضل فدفعه الى ام سليم فقال كلي واطعمي جيرانك رواه مسلم
في صحيحه وهذه القصة وقعت بالمدينة ولم تكن في الخندق وقد فهم الشهاب القسطلاني
شيخ اشياخنا ان القصة كانت في الخندق فاحتاج الى ان يؤول قوله فوجدت رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد بانه المراد به المكان المهيا للصلاة في غزوة
الاحزاب فان قلت قد وقع في رواية رواها يعقوب ان الداخلين كانوا ثمانية ثمانية وهذه
تقتضي انهم عشرة عشرة قلت اكثر الروايات انهم كانوا اعشارا ومبنى القول بانهم كانوا
ثمانين على التقريب ولم يتضح القول بتعدد القصة كما زعمه بعضهم فان قلت كيف
ساغ للنبي صلى الله عليه وسلم دعا الجمع كلهم الى دار ابي طلحة من غير اذنه لطعام قليل قلت
هم لم ياكلوا من طعام ابي طلحة وانما اكلوا من طعام خلقه الله لهم وذلك الطعام ملك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم مسلما انه ملك لابي طلحة لكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم او يظن
ان ابا طلحة لم يكن المانع له من الرضى الا قلة الطعام ظانا ان قلته تدوم فلما كثر طابت
نفسه كما صرح به في رواية عمرو بن عبد الله عن انس فقال ابو طلحة انما هو قرص فقال ان
الله تعالى سيبارك فيه فان قلت لم ادخلهم عشرة عشرة قلت لانها قصعة واحدة
فلا يمكن ان يتناول جمع كثير من غير ازدحام كلي والازدحام على الطعام خصوصا مع جوع
القوم وشره النفس يودي الى نزع البركة فادخلهم عشرة عشرة خشية الازدحام
المودي الى نزع البركة وقد وقع في رواية ليعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس
عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال لي ابو طلحة يا انس اذهب فقم قريبا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على
عتبة بابه فقل له ان ابي يدعوك وابو طلحة لم يكن ابا لانس وانما هو عمه والعرب تطلق
على العم اسم الاب وفي هذه الرواية ان ابا طلحة قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله تعالى

سيبارك

سيبارك فيما عندك وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان
في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها وضمير المثنى راجع الى ابي طلحة وام سليم او الى ابي طلحة
وانس حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم
يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت القرص في الجفنة يتسع وفي رواية النضر
ابن انس فجئت بالعكة ففتحت رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وحد
الجوع الذي بلغه النبي صلى الله عليه وسلم حتى ادى ذلك الى ما فعل ابو طلحة سماع صوته
ضعيفا لكن في رواية ابي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن انس انه راه مضطجعا يتقلب
ظهرا لبطن فاجر نفسه بصاع من شعير وعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به وفي رواية
ذكرها مسلم في صحيحه ان انسا هو الذي راى النبي صلى الله عليه وسلم قد عصب بطنه
بعصابة من الجوع فذهب الى ابي طلحة فاخبره فدخل ابو طلحة على ام سليم فقال اعندك
شيء وفي رواية ان ابا طلحة راه يقرئ اهل الصفة سورة النساء وقد عصب على بطنه
حجرا ولا تعارض بين هذه الروايات لجواز ان يكون كل من ابي طلحة وانس راى ذلك وان
يكون ابو طلحة سمع ضعف الصوت الشريف وانس اخبره بوقوع تعصيب البطن
فذهب فراه قد عصب بطنه بالحجر لاطفاء حرارة الجوع ببرد الحجر فاتى فاخبر ام سليم وجرى
ما جرى بعد ذلك ولله در البوصيري حيث اشار لهذه القصة في قصيدته النونية فقال

من الكامل

وحديث ام سليم المروي عن ○ انس وقد بعثته بالرغفان
نحو النبي فردها ودعا لها الـ ○ جفلى وكانت اكلة الجوعان
واتوه ارسالا فلم يصدر فتى ○ عن تلك الا ذا حشا شبعان

وحديث جابر عطف على حديث ابي طلحة فهو مبتدا خبره تقدم في حيز المعطوف عليه اي من
ذلك في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق هو خندق مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لما تحزبت عليهم الاحزاب

فيوم الخندق هو يوم الاحزاب وكان في سنة اربع من الهجرة وقيل سنة خمس وكان مدة
حصارهم خمسة عشر يوما ثم ارسل الله على الكفار ريحا وجنودا لم يرها
المسلمون فهزموهم وكفى الله المومنين القتال ولفظه خندق كلمة معربة وهو حفير
حول اسوار المدن الف رجل معمول به لا طعام من صاع شعير وعناق هي الانثى من ولد
المعز لم تبلغ سنة وقال جابر فاقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه اي الطعام الذي قدمناه
لهم وانحرفوا وان برمتنا البرمة هي القدر مطلقا وجمعها برام وهي في الاصل المتخذة من الحجر
المعروف بالحجاز واليمن لتغط اي تغلي فيسمع غطيطها اي غليانها كما هي اي مثل ما
كانت قبل ان ياكلوا منها لم ينقص من الطعام حين كان اول امره شي وان عجيننا ليخبز وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن مينا
وايمن وكلا الروايتين في صحيح البخاري فان قلت المذكور فيه رواية ايمن سابقة على
رواية سعيد فلم قدم المصنف رواية سعيد على رواية ايمن ولم يراع ترتيب البخاري
قلت للاهتمام برواية سعيد لانها اشتملت من تقرير القصة على ما ليس في رواية
ايمن ولفظ الحديث اما رواية ايمن فقد قال اتيت جابرا فقال انا يوم الخندق نحفر
فعرضت كدية شديدة فجاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق
فقال انا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم فقلت يا رسول الله
ائذن لي الى البيت فقلت لامراتي اني رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيا ما كان في
ذلك صبر فعندك شي قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير
حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جيت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة
بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لي فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان
قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قال قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى

اي

اتي فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امراته قال ويحك جا النبي صلى الله
عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سالك قلت نعم فقال ادخلوا
ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه
ويقرب الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي
هذا واهدي فان الناس اصابتهم مجاعة كذا في صحيح البخاري واما حديث سعيد بن
مينا بكسر الميم يقصر ويمد فقال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما
حفر الخندق رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فانكفات الى امراتي اي زوجتي الى
جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت الى
فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تفضحني
برسول الله [redacted] صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول
الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك فصاح
النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا فحي هلا بكم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجي فجئت وجا النبي صلى الله عليه
وسلم يقدم الناس حتى جئت امراتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت
فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيه وبارك ثم قال ادع
خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فاقسم بالله لقد اكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو كذا في صحيح البخاري
ايضا فان قلت كيف يشد النبي صلى الله عليه وسلم بطنه بحجر من الجوع مع انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يجوع لانه كان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما ثبت ذلك وصح في حديث
الوصال قلت اما ان يكون فعل ذلك تعليما للامة واصحابه الذين كانوا لا يبلغون هذه
المرتبة وقد انكر بعضهم ذلك وقالوا ان هذا تصحيف عليه وانما هو بحجز بضم الحا وكون الجيم

وفي اخره زاي اي منطقة لشد الظهر والقوة وفيه نظر لان لظها داي العوارض
البشرية وان كان في الحقيقة منتفية عنه كان صلى الله عليه وسلم يفعل كثيرا وكيف لا وقد
كان اثر الجوع يظهر عليه حتى يفهم جلساؤه ويشهد لذلك حديث ابي طلحة السابق
وحديث جابر هذا وقد اشار الى ذلك العلامة الابوصيري في ميميته حيث قال

• وشد من سغب احشاءه وطوى • تحت الحجارة كشحا مترف الادم •

وقال الصرصري في قصيدته

• كم شد من جهد لمسغبة وكم • اضحى على الكربات ذا ادمات •
• يغدو خميص البطن يعلم انه • لا فخر للمتنعم المبطان •

واما امراة جابر التي وقع لها من المقال ما وقع فهي سهيمة بنت مسعود بن اوس
والاثافي جمع اثفية وهي الحجارة التي يوضع عليها القدر واما قوله وهم الف فهم
عدد الذين اكلوا هذا الطعام القليل الذي لا يكفي ثلاثة الف فان قلت هوان
اهل الخندق الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للقتال معه كانوا ثلاثة الاف قلت لا
مانع لجواز ان يكونوا متفرقين والذين كانوا حاضرين مع النبي صلى الله عليه وسلم
الف وهم الذين قال لهم حي هلا بكم واما قوله صلى الله عليه وسلم قد صنع لكم سورا
فهو بضم السين وسكون الواو لا بالهمزة فهي كلمة فارسية كما اشار اليه البخاري
في صحيحه حيث قال باب من تكلم بالرطانة واستشهد بحديث جابر هذا
ومعناها الطعام الذي يدعو الناس اليه واما السؤر الذي هو مهموز العين فهي كلمة عربية
ومعناها البقية واما رواية دلائل النبوة للبيهقي فلفظها قال جابر كنا يوم الخندق
نحفر الخندق كدانة وهي الجبل فقلنا يا رسول الله ان كدانة عرضت لنا فقال رسول فعرضت في الخندق ح
الله صلى الله عليه وسلم رشوا عليها ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاها وبطنه
معصوب بحجر من الجوع فاخذ المعول او المساحة وسمى ثلاثا ثم ضرب فعادت

كثيبا

كثيبا اهيل فقلت له ائذن لي يا رسول الله الى المنزل ففعل فقلت للمراة هل عندك
من شيء فقالت عندي صاع من شعير وعناق فطحنت الشعير وعجنت وذبحت
العناق وسلختها وخليت بين المراة وبين ذلك ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجلست عنده ساعة ثم قلت ائذن لي يا رسول الله ففعل ذلك فاتيت
المراة فاذا العجين قد امكن فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان
عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله انت ورجلان من اصحابك فقال وكم هو فقلت
هو صاع من شعير وعناق فقال للمسلمين جميعا قوموا الى جابر فقاموا قال فلقيت
من الحياء ما لا يعلم الا الله تعالى فقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على
امراتي اقول افتضحت جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجند اجمعين فقالت
هل كان سالك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم نحن قد اخبرناه بما
عندنا فكشفت عني غما شديدا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخدمي ودعيني
من اللحم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثرد ويغرف اللحم ثم يخمر هذا ويخمر هذا فما
زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املا ما كانا ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلي واهدي فلم تزل تاكل وتهدي يومها اجمع كذا في
دلائل البيهقي وفيه في رواية قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ثم قال
لاصحابه لا تضاغطوا ثم برك على التنور وعلى البرمة فجعلنا ناخذ من التنور الخبز
وناخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف ونقربه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجلس على الصحفة سبعة او ثمانية فلما اكلوا
كشفنا التنور والبرمة فاذا هما قد عادا الى املا ما كانا فنثرد ونغرف ونقدم
اليهم فلم نزل نفعل كذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما املا
ما كانا حتى شبع المسلمون منهما وبقيت طائفة من الطعام فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان الناس قد اصابتهم مخمصة فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا كل
ونطعم وعن ثابت مثله اي مثل حديث جابر في تكثير الطعام القليل ببركته صلى الله عليه وسلم
عن رجل من الانصار وامراته لم يسمها لان تسميتهما ليس فيه كبير امر اذ المقصود معرفة ما
حوته القصة من هذه المعجزة الغريبة العجيبة ودعها تكون مع اي كائن كان قال وجي بمثل
الكف اي من شي يوكل كسمن ونحوه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الانا
ويقول ما شاء الله فاكل من في البيت والحجرة والدار الفرق بين الثلاثة اما الدار فهي ما
كان جامعا لابنية متعددة واما البيت فاما ان يكون من شعر نصب في تلك الدار واما
ان يكون من مدر في تلك الدار واما الحجرة فهي الغرفة العالية وكان تلك الدار امتلات
هي وحجرتها والبيت الذي فيها سوا كان من شعر ام من مدر وكان ذلك اي ما سبق
من البيت والحجرة والدار قد امتلا ممن قدم معه اي مع النبي صلى الله عليه وسلم للاكل
اي لاجل ذلك الطعام وبقي بعدما شبعوا اي هو صلى الله عليه وسلم والقادمون معه
مثل ما كان اي قدر من الطعام مماثل اي مشابه مشابهة كلية لما كان موجودا في
الانا قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وحديث ابي ايوب عطف على
حديث ابي طلحة فهو مبتدا خبره سبق ذكره في المعطوف عليه اي من ذكر وهذا
الحديث صحيح رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل وابو ايوب هو خالد بن زيد بن كعب
بن ثعلبة الانصاري النجاري من بني غنم بن مالك بن النجار غلبت عليه كنيته امه
هند بنت سعد الخزرجيه ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا من مكة نزل
عليه ولم يزل عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة وبنيت مساكنه ثم انتقل صلى
الله عليه وسلم الى مساكنه شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد وآخى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير وكان مع علي بن ابي طالب رضي الله
عنه في جميع حروبه ثم مات بالقسطنطينية من بلاد الروم في زمن معاوية وكان
غازيا

غازيا تحت راية يزيد بن معاوية اذ كان امير على الجيش الذي غزا القسطنطينية سنة خمسين
او احدى وخمسين او اثنتين وخمسين ولما خرج مع يزيد في تلك الغزاة مرض فلما ثقل
في مرضه قال لاصحابه اذا انا مت فاحملوني فاذا صاففتم العدو فادفنوني تحت اقدامكم
ففعلوا وقبر ابي ايوب قرب سورها معلوم الى اليوم يستسقون به فيسقون وذلك
حين كانت قسطنطينية في ايدي النصارى واما الان فانها في ايدي المسلمين ولقبره
من الجلالة ما لا يوصف وذلك كله دون مقامه رضي الله عنه انه صنع لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما اي قدر ماخوذ من زهوت القوم
اذا حزرتهم فقال له النبي صلى الله عليه ادع ثلاثين من اشراف الانصار اي ذوي المقامات
العلية بينهم وانما خص الاشراف بالدعوة لانهم لم يكونوا اذ ذاك اصلوا في الايمان فاراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية يندفع بها الشك عن قلوبهم وقد كانوا راوا منه خوارق قبل ذلك
الا ان شرفهم كان يعيقهم عن تمام الانقياد الى النبي صلى الله عليه وسلم متشبثين بشبهة ضعيفة
فدفعها صلى الله عليه وسلم عن قلوبهم بهذا الخارق فدعاهم اي ابو ايوب رضي الله عنه بعدما تردد
غاية التردد في دعوتهم زاعما ان ذلك الطعام لا يكفيهم كما صرح بذلك في الرواية فاكلوا حتى تركوه
اي بتمامه لم ينقص منه شي ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى
تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع فان قلت هذا يقتضي انهم لم يكونوا مسلمين قبل
ذلك وهو مناف لكونهم انصارا قلت من كان منهم مسلما مخلصا جدد اسلامه ومن كان
مرتابا زال عنه الريب ثم اسلم اسلاما مخلصا فيه ومن كان منهم كافرا وقد اطلق عليه اسم
الانصار تغليبا فقد اسلم في ذلك الوقت قال ابو ايوب فاكل من طعامي الذي اعددته
لرجلين فقط مائة وثمانون رجلا ثم ان الذي في الدلائل ان ابا ايوب لما امره النبي صلى الله
عليه وسلم بدعوة ثلاثين رجلا شق عليه ذلك وقال طعامي قليل وما عندي شي ازيده
فتغافلت عن ذلك فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا اذهب فادع لي ثلاثين من اشراف

الانصار ولله در الصرصري حيث اشار الى هذه القصة في النونية فقال

ودعا ابو ايوب اكرم مرسل … وطعام يقتاته رجلان

واتاه مع مائة ثمانون اكتفوا … وقرا ابي ايوب ليس بفاني

وقد استفدنا من هذين البيتين مثل ما استفدناه مما ذكره المصنف وهو ان طعام ابي ايوب لم ينفد بل استمر على حاله حيث قال وقرا ابي ايوب ليس بفان اي جرى ذلك والحال ان طعام ابي ايوب لم يفن ولم ينفد اصلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون هذا حديث رواه الترمذي والبيهقي وصححاه والنسائي وقد ذكر المصنف بعضه ولو ذكر تتمته لافاد ففي الترمذي عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فمم كانت تمد قال من اي شي تعجب ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الى السما وفي دلائل البيهقي فتعاقبوها الى الظهر منذ غدوة فقال رجل اما كانت تمد بشي قال سمرة فمم تعجب لو كانت تمد بشي لم تعجب فان قلت لم اسند امدادها الى جهة السما قلت لان السما موضع القضا والقدر والعرش محل التدبير كما ان ما دونه محل التصريف الا ان الله تعالى وتقدس لا تحويه جهة قال تعالى يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقد اشار الامام الصرصري في منظومته النونية الصرصرية بقوله

كانت تمد من السما جفانه … بتضاعف البركات للجفان

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة يجوز ان يكون خبر كان ومع النبي حالا من اسم كان وان يكون مع النبي خبر كان وثلاثين خبرا بعد خبر وذكر في الحديث اي الراوي عن عبد الرحمن وهو ابو عثمان النهدي انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها اي الكبد وهو ما يدل على طهارته وحله قال صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان وفسر الدمين بالكبد والطحال ثم قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر وايم الله

هي كلمة

هي كلمة من الفاظ القسم كقولك ليمن الله ويمن الله وفيها لغات كثيرة بفتح همزتها وكسرها وهمزتها همزة وصل وقد تقطع واهل الكوفة من النحاة يزعمون انها جمع يمين وغيرهم يقول هو اسم موضوع للقسم ونقل عن الزجاج والرماني انه حرف والصحيح انه اسم مشتق من اليمن وقول الكوفيين انه جمع يمين وان همزته همزة قطع مردود لجواز كسر همزته وفتح ميمه ولا يجوز مثل ذلك في الجمع من نحو افلس واكلب وهو مرفوع على انه مبتدا وخبره محذوف وجوبا اكتفاء بجواب القسم عنه وقد جوز ابن درستويه جره بحرف جر القسم ولا يضاف الا الى لفظ الله تعالى مسماه خلافا لابن مالك حيث اجاز ان يضاف الى الكعبة وكاف الضمير وجوز ابن عصفور ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي قسمي ايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون فيه دليل على جواز التاكيد باجمع وان لم تات تابعا لكل ومنه قوله تعالى لاغوينهم اجمعين وفضل في القصعتين فحملته على البعير والمذكور في الصحيح لفظ شبعنا بعد قوله فاكلنا اجمعون وكان ينبغي للمصنف ذكره لانه مما لا بد منه في القصة لكن قوله وفضل في القصعتين يشعر بوقوع الشبع اذ لو لم يشبعوا لم يبقوا بقية الا ان ذلك غير لازم لجواز ان يكونوا تركوا البقية تعففا ومجاهدة لانفسهم او نحو ذلك وبالجملة فذكرها لا بد منه وقوله وفضل يجوز فيه ثلاث لغات الاولى كدخل يدخل والثانية كحذر يحذر من باب علم يعلم والثالثة فضل بكسر الضاد ويفضل بضم الضاد وهذه لغة شاذة واللغتان الاوليان هما الفصيحتان او هي من تداخل اللغتين هذا اذا كان معنى فضل ماخوذا من الفضل وهو البقية واما اذا كان معناه من قولك فضلته اي غلبته في الفضل فليس فيه الا الفتح في الماضي والضم في المضارع والى حديث عبد الرحمن هذا اشار الصرصري في نونيته بقوله

ودعا مع المائة الثلاثين الالى … شبعوا بما مقداره مدان

ولهم سواد البطن حز فكلهم … قد نال منه ابرك اللحمان

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه وقد اخرجه ابن سعد والبيهقي
في الدلائل ومثله حديث لسلمة بن الاكوع وقد رواه مسلم في صحيحه وابي هريرة عطف على
سلمة وقد ورد حديث ابي هريرة مسلم ايضا وعمر بن الخطاب وقد رواه ابو يعلى باسناد جيد
فذكروا المخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه الذي في صحيح مسلم من
حديث ابي هريرة ان ذلك وقع في غزوة تبوك وفي دلائل البيهقي عن ابي خنيس الغفاري
وقوعه في غزوة عسفان وفي الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحديبية كلمه بعض اصحابه قالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا
الحديث فنقلوا احاديثا وقصة بعين حديث سلمة بن الاكوع وابي هريرة وذلك يدل على وقوعه
مرارا وسياتي ذكر الحديثين بلفظهما والمخمصة مثلثة الميم وهي المجاعة والمغازي مواضع
الغزو وقد عا ببقية الازواد فجا الرجل اللام فيه للعهد الذهني الذي يسميه النحاة بالجنس
ويتبع ذلك من الزمخشري في كشافه كثيرا وهو ان يشار باللام الى الماهية في ضمن فرد لا
على التعيين كقوله ادخل السوق حيث لا عهد وقوله تعالى واخاف ان ياكله الذئب اي
ذئب من الذئاب كما ان المراد هنا رجل من الرجال اذ ليس المعهود من ذلك رجلا معينا كما لا
يخفى بالحثية اي بالغرفة اي بما يسع اليد فقط من الطعام وفوق ذلك ظرف متعلق بفعل
محذوف اي وياتي رجل اخر بطعام فوق ذلك اي اكثر من الحثية واعلاهم الذي اتى بالصاع
فجمع اي ما اتوا به على نطع في القاموس النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك كعنب بساط
من الاديم قال سلمة فحزرته اي قدرته كربضة العنز اي كبركها ثم دعا الناس باوعيتهم
فما بقي في الجيش وعا الا ملوه وبقي منه واقول لم يف المصنف بما اشتملت عليه
القصة مع انه لو استوعبها لافاد واجاد ولنقتصر على سرد روايتي سلمة وابي هريرة
فان باقي الروايات بمعناها سوى ما ذكرنا من تعيين الغزوة اما حديث سلمة بن الاكوع
ففي صحيح مسلم قال سلمة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فاصابنا جهد حتى

همنا

هممنا ان ننحر بعض ظهرنا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا مزاودنا فبسطنا له
نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فتطاولت لاحزره كم هو فحزرته كربضة العنز ونحن
اربع عشرة مائة قال فاكلنا حتى شبعنا جميعا ثم حشونا جربنا ثم نقل قصة تكثير الماء
الى بقية ومن صحيح مسلم عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة او عن ابي سعيد شك
الاعمش قال لما كان يوم غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة فقالوا يا رسول الله لو اذنت لنا
فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال افعلوا فجا عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان فعلت
قل الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكف تمر
والاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شي يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء
الا ملوه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة واخرجه
مسلم من طريق اخر عن ابي هريرة وما احسن ما قال الصرصري في تضمين هذه القصة في نونيته

وشكا اليه الجوع جيش همهم ۝ نحر الحمولة ربة الكيران ۝ — الكيران الرواحل
فاتوا بزاد مثل شاة رابض ۝ فدعا له بالنشر والنميان ۝
والقوم الف مع مئات اربع ۝ كل غدا بالزود الملآن ۝

وعن ابي هريرة هذا الحديث اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف والطبراني في الاوسط بسند جيد
امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة هي اناء كالقصعة المبسوطة وجمعها صحاف فاكلنا ما شئنا وفرغنا
وهي مثلها حين وضعت في كميه مقدارها فيها الان فيها اثر الاصابع اي ولم يكن ذلك
موجودا فيها قبل ان ياكلوا منها اعلم ان اهل الصفة كانوا اضياف الاسلام قال
النووي رحمه الله في تهذيبه اصحاب الصفة زهاد من الصحابة رضي الله عنهم وهم

بحث اهل الصفة رضي الله عنهم اجمعين

الفقراء الغرباء الذين كانوا ياوون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم في اخره صفة وهي مكان
منقطع من المسجد تظلل عليه يبيتون فيه وياوون اليه قاله ابرهيم الحربى والقاضي عياض
واصله من صفة البيت وهي شي كالظلة قدامه وكان ابو هريرة عريفهم حين هاجر وكانوا
يقلون ويكثرون ففي وقت كانوا سبعين وفي وقت غير ذلك فيزيدون بمن يقدم عليهم
وينقصون بمن يموت او يسافر او يتزوج انتهى وفي معالم التنزيل للبغوي انهم كانوا نحوا
من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر كانوا في المسجد يتعلمون القران بالليل
ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي تفسير
القرطبي كان اهل الصفة نحوا من اربعمائة رجل يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لهم اهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لهم اهل
الصفة قال ابو ذر رضي الله عنه كنت من اهل الصفة وكنا اذا امسينا حضرنا باب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيامر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقي من اهل الصفة عشرة او
اقل فيوتى النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه فنتعشى معه فاذا فرغنا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ناموا في المسجد ونقل في عوارف المعارف للسهروردي انهم كانوا يجتمعون منا المفتي
متصاحبين لله وفي الله لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة يحتطبون ويرضخون
النوى نهارا ويشتغلون بالعبادة وتعلم القران وتلاوته ليلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم وياكل معهم وكان صلى الله عليه وسلم
اذا صافحهم لا ينزع يده من ايديهم وكان يفرقهم على اهل الجدة والسعة يبعث مع واحد
ثلاثة ومع اخر اربعة وكان سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين رجلا يطعمهم وقال
ابو هريرة لقد رايت سبعين من اهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه
فاذا ركع احدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته وقال بعض اهل الصفة جئنا جماعة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله احرق بطوننا التمر فسمع ذلك

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال اقوام يقولون احرق بطوننا التمر
اما علمتم ان هذا التمر هو طعام اهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به
والذي نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان الما والتمر ونقل صاحب العوارف بسنده الى
ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اهل الصفة
فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت
الذي انتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيمة وفي معالم التنزيل في سورة
الكهف انهم كانوا سبعمائة رجل لا ياوون الى زرع ولا الى ضرع يصلون صلاة وينتظرون
اخرى وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب الجمع
اليه صلى الله عليه وسلم لانه سبب امراد القصة تقتضي ان الجامع الحقيقي لهم علي
رضي الله عنه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سياتي ذكره بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة بالجيم ثم الذال المعجمة وهي ماخوذ من الجذع وهو
من اسنان الدواب وهو ما كان شابا فتيا وهو من الابل ما دخل في السنة الخامسة
ومن البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية وقيل البقر في الثالثة ومن الضان ما
تمت له سنة وقيل اقل منها والمراد هنا الشاة اي في القوم من ياكل شاة تامة ولا يلزم
من ذلك ان يكون ذلك للاكل واحدا الجواز ان يكون بعضهم ياكل شاة تامه مع ان الذي
صنع لهم من الطعام رجل شاة اي ان بعضهم ياكل شاة تامه مع ان المصنوع لهم بعض
شاة لا يجي ربعها ومع ذلك كفى الجميع وصدر واعن طعام كثير يقارب ما كان عليه اولا
ويشربون الفرق هو مكيال يسع ثلاثة اصع صنع لهم مدا من طعام مضموما الى اللحم والمد
رطل وثلث برطل بغداد فاكلوا اي الاربعون من بني عبد المطلب حتى شبعوا وبقي كما هو
ثم دعا بعس اي قدح كبير وهو اقل من الفرق فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وهذا

وهذا حديث رواه احمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في الدلائل بسند جيد ولفظ رواية
الدلائل بعد ان سرد سنده الى ابن عباس رضي الله عنهما عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ورواه عن
هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ان بادات قومي بها رايت منهم ما اكره فصمت
عليها فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك ان لم تفعل ما امرك به ربك عز وجل عذبك ربك
قال علي فدعاني فقال يا علي ان ربي قد امرني ان انذر عشيرتي الاقربين فعرفت اني ان
باداتهم بذلك رايت منهم ما اكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان لم تفعل
ما امرك به ربك عذبك فاصنع لنا يا علي رجل شاة على صاع من طعام واعد لنا عس لبن
ثم اجمع لي بني عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او
ينقصون منهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم
تلك الجفنة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها جذبة فشقها باسنانه ثم رمى بها في نواحيها
وقال كلوا بسم الله فاكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى الا اثار اصابعهم والله ان كان الرجل لياكل
مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا
وايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره
ابو لهب الى الكلام فقال لقد سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من
الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل ان اكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له
فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهلوا عنه وايم الله ان كان
الرجل منهم لياكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب
فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب الى الكلام فقال لقد سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم
يكلمهم

يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عد لنا بمثل الذي
صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل ان اكلم
القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهلوا
عنه ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وايم الله ان كان الرجل لياكل مثلها ويشرب مثلها ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا من العرب جاء قومه
بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة فهذا الحديث كما ترى يقتضي اختصاص هذا
الانذار ببني عبد المطلب وهذا غير الانذار الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الاية
فيما رواه البخاري بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين
صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى
اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب
وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا
نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك
سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب
ولعل انذاره صلى الله عليه وسلم لبني عبد المطلب سابق على تعميمه لبطون قريش قاصدا
بذلك ان يستعين على حمل اعباء ما كلف به باقاربه وذويه الذين هم اقرب بطون قريش اليه
صلى الله عليه وسلم والى هذه القصة التي ذكرها المصنف ورواها البيهقي كما سلف اشار
الصرصري في نونيته بقوله

ودعا رجالا شرب كل منهم • فرق ويأكل جذعة من ضان •
شبع الرجال الاربعون بمده • ورووا بشرب العس ري بطان •

وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب الابتناء والبناء الدخول بالزوجة
والاصل فيه ان الرجل كان اذا تزوج امراة بنى عليها قبة ليدخل بها فيها فيقال بنى الرجل على

اهله وباهله ووهم الجوهري فمنع ان يقال بنى باهله وهذا الحديث يرد عليه فقد عدي ابتنى بالباء
والمراد بزينب هذه زينب بنت جحش التي هي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
امها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم وكان زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة
فمكثت عنده مدة ثم طلقها فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة
اذهب فاذكرني لها قال فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيا حتى اوامر ربي عز وجل فقامت الى
مسجدها فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن اخرجه مسلم وقال المنافقون حرم محمد صلى الله عليه وسلم نساء الولد وتزوج
امراة ابنه لانه صلى الله عليه وسلم كان تبنى زيدا فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
فكانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اباؤكن وزوجني الله عز
وجل من فوق سبع سموات رواه الترمذي وصححه وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه
وسلم زينب تزوجها صلى الله عليه وسلم سنة خمس وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات من
ازواجه بعده قالت عائشة في شانها لم يكن امراة خيرا منها واتقى لله واصدق حديثا واوصل
للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله عز
وجل وكان له صلى الله عليه وسلم زوجة اخرى اسمها زينب وهي زينب بنت خزيمة الهلالية
وتسمى ام المساكين امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت منصوب بفعل محذوف
والجملة محكية بقول محذوف يدل عليه ما قبله اي وقال له رسول الله صلى الله عليه ادع لي
كل من لقيت حتى امتلا البيت اي فامتثلت امره فدعوتهم فدخلوا اليه حتى امتلا البيت
والحجرة اي الغرفة العلية وقدم اليهم تورا في النهاية لابن الاثير هو اناء من صفر او حجارة
كالاجانة وقد يتوضا منه فيه قدر مد من تمر المد رطل وثلث بغدادي والرطل بغدادي مائة
وثلاثون درهما تقريبا ثم جعل حيسا في النهاية هو الطعام المتخذ من التمر والاقط

التور بالمثناة من فوق مر به المصنف بعد ٦ اوراق

قوله ...
ويظهر ...

والسمن

والسمن وقد يجعل عوض الاقط الدقيق او الفتيت فوضعه قدامه وغمس ثلاثة اصابعه وجعل
القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور اي ما فيه من الغدا والا فنفس التور باق لم يتغير
ولكن ذكر التور واراد ما فيه فهو مجاز مرسل نحوا اي قريبا مما كان وكان القوم احدا واثنين
وسبعين رجلا وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء اي قدر
ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ارفع فلا ادري حين
وضعت كانت اكثر ام حين رفعت اعلم ان هذا حديث صحيح متفق عليه وهذا اللفظ وقع
في رواية مسلم وقد اختصر المصنف الحديث جدا حتى اخل بفوائد جمة اشتمل عليها الحديث
ولفظ الحديث كما في مسلم قال انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بزينب بنت
جحش فدخل باهله قال فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فقالت يا انس
اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امي وهي تقرئك السلام
وتقول ان هذا لك منا قليل يا رسول الله قال فذهبت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان امي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يا رسول الله فقال ضعه ثم قال
اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت وسمى رجالا قال فدعوت من سمى ومن
لقيت قال اي الجعد الذي روى عن انس قلت لانس عدد كم كانوا قال زهاء ثلثمائة وقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس هات التور قال فدخلوا حتى امتلات الصفة والحجرة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه قال فاكلوا
حتى شبعوا قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم فقال لي يا انس ارفع قال فرفعت
فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت الحديث وهذه كانت في زواجه لزينب
وقول البرهان الحلبي ان هذه وقعت في زواجه لصفية فيه نظر وكانه التبس عليه ان وليمة
صفية كانت حيسا ايضا وانه جاء في رواية للبخاري ان وليمة زينب كانت باللحم والخبز
ولا مانع كما قال ابن حجر في فتح الباري ان يكون صنع النبي صلى الله عليه وسلم الخبز واللحم وارسلت

ام سليم حيسا فجعله من جملة الوليمة على ان الحيس الذي صنع في وليمة صفية كان صانعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اكلهم له في موضع نقال له سد الصهبا واكلهم للحيس الذي
في وليمة زينب كان في المدينة وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر عن علي
يجوز في علي هذا ان يكون عليا الاصغر الملقب بزين العابدين وهو ابن الحسين بن علي
ابن ابي طالب وهو والد محمد الباقر وعلى هذا لم يرد فاطمة لانه ولد بعد موتها بمدة فيكون
هذا الحديث مرسلا لانه سقط فيه الصحابي فجعل البرهان الحلبي له مرسلا مبني على ان
عليا هذا هو الاصغر وان كان المراد بعلي علي بن ابي طالب وان الباقر رواه عنه فقد
سقط بين الباقر وبين علي جده الاعلى رجل او اكثر فالحديث على هذا اما منقطع ان
كان الساقط واحدا واما معضل ان كان الساقط اكثر من واحد وقد وقع للجلال السيوطي
انه سمى هذا الحديث منقطعا بنا على ان عليا هو علي الاكبر رضي الله عنه وعلى كل حال
فالحديث ضعيف وقد اجمعوا على ان الحديث يعمل به في المناقب ويستدل به والكلام في
العمل انما هو في الاحكام ان فاطمة طبخت قدرا نتغدى به وفي نسخة لغدائهما فعلى
النسخة الاولى يجوز في علي الوجهان كما سبق وعلى الثانية يتعين ان يراد بعلي علي
الاكبر الا ان يكون الضمير المثنى راجعا لفاطمة وعلي زوجها وان لم يسبق له ذكر لانه
مقارنها عرفا فكان على حد قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ووجهت عليا في طلب النبي
صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما اي مع فاطمة وعلي فامرها اي النبي صلى الله عليه وسلم
فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة هي انا كالقصعة المبسوطة وجمعها صحاف ثم لم
صلى الله عليه وسلم ولعلي اي ثم غرفت له ولعلي صحفة فاكلا معا من صحفة واحدة فلم
معطوف على جميع والمفعول محذوف من المعطوف لدلالة ذكره في المعطوف عليه ثم ان
تعليق الغرف بالصحفة من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اي غرفت طعاما يملا الصحفة
ثم لها وانما اخرت نفسها في الاكل لانها كانت تخدم القوم وخادم القوم اخرهم اكلا بدليل

رضي الله عنه

انها

انها طبخت وغرفت ثم رفعت القدر قيل هو مونث ليس الا وقيل يجوز تانيثه وتذكيره
وانها لتفيض جملة حالية من القدر قالت فاكلنا منها ما شا الله وهذا الحديث رواه
ابن سعد في الطبقات وامر اي النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يزود اي بان يزود
بحذف حرف الجر لاطراده حذفه قبل ان اربع مائة راكب من احمس هم بطن من ضبيعة
فقال اي عمر ما هي اي الود يعة التي عندي اي ليس هذا التمر الذي عندي يكفي هولا كلهم
لانه ليس الا اصوع وهي جمع صاع وهو مكيال يسع اربعة امداد والمد مختلف فيه فعند
الشافعي رضي الله عنه هو رطل وثلث بالعراقي وبه قال فقها الحجاز كلهم وعند فقها العراق
كابي حنيفة رضي الله عنه هو رطلان عراقيان وهو الصواع كما صرح به في القاموس لكن في كتب
التفسير في قوله تعالى نفقد صواع الملك انه انا مستطيل يشبه المكوك كان يشرب فيه الملك
وهو السقاية تشبه الطاسة قال الحسن الصواع والسقاية شي واحد وقدر في القاموس
الصاع باربع حفان من كفي رجل معتدل الخلقة لا يزيد على ذلك ثم اتيانه بصيغة جمع القلة
يشعر بانها كانت دون العشرة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب اذهب فزودهم
فزودهم منه وكان اي التمر قدر الفصيل اي ولد الناقة الذي فصل عن امه الرابض اي
الجالس البارك اي قدر جثته في تلك الحالة من التمر وبقي بحاله اي بعد ان زودهم
واعطاهم وكانوا اربعمائة رجل وراكب ما تكفنا له في ابن اسمه بحاله من رواية دكين الاحمسي
ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب
من مزينة وهي قبيلة واختلاف الروايات في تعيينهم اهم من احمس ام من مزينة مشعر
بتعدد القصة وقول المصنف الخبر بعينه يريد به ان القضية وقعت مع عمر ولا مانع
ان يكون تعددت مع عمر رضي الله عنه ويكون ذلك معجزتين وقعتا للنبي صلى الله عليه وسلم
ومن ذلك اي من افراد معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام حديث جابر بن عبد الله
الانصاري في دين ابيه عبد الله بعد موته اي موت ابيه عبد الله شهيدا مقتولا في غزوة

احد وقد كان اي جابر بذل اي اعطى الغرماء ابيه جمع غريم وهو لفظ مشترك بين الضدين
فيقال لكل من الدائن والمديون غريم والمراد هنا الدائنون اصل ماله فلم يقبلوه لانه لا يفي
بقدر دينهم ولا يساويه ولم يكن في ثمرها اي ثمر اموال المستفاد منه ذكر ماله ولعل
المراد بالثمر مطلق الفوائد المستفادة من الاموال فيشمل الالبان الحاصلة
من المواشي والنتاج الحاصل منها والثمار الحاصلة من الشجر والزروع الحاصل من الزرع
سنتين ظرف مستقر ولا يجوز ان يكون لغوا لجعل ثمرها بالمعنى المصدري الحدث ليصح تعلقه
بالظرف لان المراد بالثمر العين المخصوصة وارادة الحدث بعيدة جدا فيكون مستقرا على
انه اما صفة لثمرها واما حال من ثمرها لانه مفعول له في المعنى كفاف دينهم اي مساويه
بحيث لا يفضل منه شيء ويكون بقدر الحاجة اليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليعد ان امره
بجذها اي الثمرة وهو بذال معجمة مدغمة في ذال مثلها اي قطع الثمرة وجعلها اي
الثمار والضمير في جعلها راجع الى الثمار المستفادة من الثمرة لان الاضافة في الثمرة
للاستغراق وهو معنى الجمع بيادر مفعول لجعل لانه بمعنى صير وهو جمع بيدر وفي القاموس
بادر الطعام كومه والبيدر موضع الذي يداس فيه فعلى هذا البيدر خاص بطعام يداس
كالحنطة والشعير ونحوهما والمال المذكور هنا تمر وتكويم التمر لا يقال له بيدر الا على طريق
التشبيه اي جعل تلك الثمار شبيهة بالبيدر في التكويم والاجتماع في اصولها فضم
كل نوع من التمر الى اصله وجعل كل نوع بيدرا على حدة كما سيأتي التصريح عند سرد ما
للروايات فمشى فيها اي بينها ويجوز ان يكون دخل فيها برجليه واطاها باقدامه الشريفة
لتحصل بركتها في ذلك التمر فبارك فيه ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه اي كلهم وفضل
مثل ما كانوا يجذون اي يقطعون من التمر كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم وهذه
الرواية تقتضي ان الفاضل اكثر مما كانوا يجذون كل سنة لما تقدم من انه لم يكن في ثمر اموالهم
سنتين كفاف دينهم فكان الفاضل حيث كان مساويا لما اعطاهم مساويا لتمر سنتين.

فلهذا اذكر هذه الرواية لان فيها من كمال المعجزة ما ليس في الرواية الاولى قال وكان الغرماء
يهود فتعجبوا من ذلك والمصنف كما ترى نقل القصة بالمعنى والا ففي القصة فوائد جمة روى البخاري
في صحيحه بسنده الى الشعبي قال حدثني جابر بن عبد الله ان اباه استشهد يوم احد وترك ست بنات
وترك عليه دينا كثيرا فلما حضر جداد النخل اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله قد علمت ان والدي استشهد يوم احد وترك عليه دينا كثيرا فانا احب ان يراك الغرماء فقال
اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ففعلت ثم دعوته فلما نظروا اليه اغروا بي تلك الساعة
فلما رأى ما يصنعون اطاف حول اعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال ادع اصحابك فما
زال يكيل لهم حتى ادى الله امانة والدي وانا والله راض ان يؤدي الله امانة والدي ولا ارجع
الى اخواتي بتمرة فسلم والله البيادر كلها حتى اني لانظر الى البيدر الذي عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانه لم ينقص منه تمرة واحدة كذا في البخاري وفيه ايضا عن وهب بن كيسان عن جابر انه
اخبره ان اباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فابى ان ينظره
فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع اليه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم اليهودي
لياخذ ثمر نخله بالذي له فابى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى فيها وقال يا جابر
جذ له فاوف له الذي له فجذه بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوفاه ثلاثين وسقا
وفضل له سبعة عشر وسقا فجاء جابر ليخبره بالذي فعل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
العصر فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فاخبره انه اوفاه واخبره الفضل الذي فضل له
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ذلك ابن الخطاب فذهب جابر الى عمر فاخبره فقال عمر
لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن الله فيها كذا في البخاري قال البيهقي
في الدلائل وهذا لا يخالف الاول فان الاول في سائر الغرماء الذين حضروا وحضر النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اوفاهم ديونهم وهذا في اليهودي الذي اتاه بعدهم وطالب بدينه فامر النبي صلى
الله عليه وسلم جابرا ان يجز ما بقي على النخلات وايفائه حقه وفي رواية اخرى عن جابر ان اباه قتل

يوم احد شهيدا وعليه دين فاشتد الغرماء في حقوقهم قال جابر فاتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكلمته فسالهم ان يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا ابي فابوا فلم يعطهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حائطي ولم يكسره لهم ولكن قال ساغدو عليك فغدا علينا حين اصبح فطاف في
النخل ودعا في ثمرها بالبركة قال فجددتها فقضيتهم حقوقهم وبقيت لنا من ثمرها بقية
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر
وهو جالس اسمع يا عمر ما يقول قال ان لا يكن قد علمنا انك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله انك لرسول الله كذا في صحيح البخاري ومعنى كلام عمر رضي الله عنه انه لو فرض عدم علمنا
برسالتك لكانت هذه الاية كافية في وجوب تصديقك فيما جئت به هذا وقد اشار
العلامة الصرصري في نونيته الى هذه المعجزة بعقب مشيرا الى جابر الذي سبق ذكره في ابيات اخرى

۝ وقضا دين ابيه من تمر له ۝ لم يوف للغرما بالسهمان ۝
۝ فقضاهم والتمر بعد بحاله ۝ ارضى الغريم ووارث المديان ۝

وقال ابو هريرة رضي الله عنه هذا حديث مزود ابي هريرة رواه الترمذي وقال انه حديث حسن
والبيهقي في الدلائل اصاب الناس مخمصة المخمصة والخمصة الجوع والمجاعة فقال لي — الخمص ح
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء هو مرفوع المحل على انه مبتدا سوغ الابتداء به وقوعه
في سياق الاستفهام وخبره محذوف اي هل شيء موجود واشعر بالخبر ذكر هل فانه لا يستفهم
بها الا عن امر تصديقي لا تصوري ولعدم خبره شيء من المعاني العامة كالموجود والثابت
ونحوهما قلت نعم شيء من التمر في المزود هو مبتدا ايضا وخبره محذوف والجار ان بعده صفة — م ت
لشيء ووصفه بها هو المسوغ لوقوعه مبتدا والمزود شيء يجعل فيه الزاد للسفر
قال فاتني به اي بذلك الشيء من التمر الكائن في المزود او الضمير الى المزود المحتوي على التمر فادخل
يده في المزود فاخرج قبضة بفتح القاف وضمها اكثر ما يقبض عليه من شيء فبسطها ودعا
بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم هذا الشبع
وشبعوا ح
بان

بان ذلك وقع منه في غزوة وقد وقع التصريح فيما ياتي من الروايات به قال خذ ما جئت به وادخل
يدك واقبض منه شيا ولا تكبه فقبضت على اكثر ما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد
حملت من ذلك التمر كذا كذا من وسق في سبيل الله عز وجل وقد اجمل المصنف قصة المزود
في الجملة وقد جاءت في روايات اخرى مبسوطة فروى الترمذي وقال انه حديث حسن
عن ابي العالية عن ابي هريرة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت ادع لي فيهن بالبركة
قال فقبضهن ثم دعا فيهن بالبركة ثم قال خذهن واجعلهن في مزود او قال في مزودك فاذا
اردت ان تاخذ منهن فادخل يدك فخذ ولا تنثرهن نثرا قال فحملت من ذلك التمر كذا كذا وسقا
في سبيل الله تعالى وكنا ناكل ونطعم وكان المزود معلقا بحقوي لا يفارق حقوي فلما قتل عثمان
رضي الله عنه انقطع واخرج البيهقي في الدلائل عن ابن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فاصابهم عوز من الطعام فقال يا ابا هريرة عندك
شيء قال قلت شيء من تمر في مزودي قال جئ به قال فجئت بالمزود قال هات نطعا فجئت
بالنطع فبسطته فادخل يده فقبض على التمر فاذا هو واحد وعشرون تمرة ثم قال ⁘
بسم الله فجعل يضع كل تمرة ويسمي حتى اتى على التمر فقال به هكذا فجمعه فقال ادع فلانا
واصحابه فاكلوا حتى شبعوا وخرجوا ثم قال ادع فلانا واصحابه فاكلوا حتى شبعوا وخرجوا
وفضل تمر فاخذه فادخل في المزود فقال لي يا ابا هريرة اذا اردت شيا فادخل يدك فخذ ولا
تكفئ فيكفا عليك قال فما كنت اريد تمرا الا ادخلت يدي فاخذت منه خمسين وسقا في
سبيل الله تعالى وكان معلقا خلف رحلي فوقع في زمن عثمان رضي الله عنه فذهب وعن
زيد بن منصور عن ابيه عن ابي هريرة قال اصبت بثلاث مصائب في الاسلام لم اصب
بمثلهن بموت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وقتل عثمان رضي الله عنه والمزود
قالوا وما المزود يا ابا هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال يا ابا هريرة

امعك شيء قال قلت نعم تمر في مزود معي قال جيء به فاتيته به قال فمسه فدعا فيه ثم قال
ادع عشرة فدعوت عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى اكل الجيش كله وبقي من تمر
المزود قال يا ابا هريرة اذا اردت ان تاخذ منه شيئا فادخل يدك ولا تكبه قال فاكلت منه
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واكلت منه حياة ابي بكر رضي الله عنه كلها واكلت
منه حياة عمر رضي الله عنه واكلت منه حياة عثمان رضي الله عنه كلها فلما قتل عثمان
رضي الله عنه انتهب ما في يدي وانتهب المزود الا اخبركم كم اكلت منه اكثر من مائتي
وسق كذا في دلائل البيهقي والى هذه القصة اشار الامام الصرصري في نونيته بقوله

وحديث تمر ابي هريرة ظاهر الاعجاز متضح لذي تبيان
عشرين تمرة اسعدو تمرة بجرابه لم يبله الملوان
يجبى على طول المدى فكانه يجنيه من نخل لها صنوان
ولقد غدا الدوسي منه مزودا خمسين وسقا في رضى الرحمن
كان الجراب لديه محفوظا الى قتل الامام المرتضى عثمان

فمراده بالدوسي هو ابو هريرة لانه من قبيلة دوس بن عدنان وقوله خمسين وسقا
وقد بلغها في الرواية الاخرى الى مائتي وسق ولا منافاة بينهما لان العدد الاقل لا ينفي
الاكثر كما هو مقرر والمراد بالجراب هو المزود المذكور وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة
تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة يعني انه جاء في رواية اخرى تعيين الغزوة التي
وقعت هذه المعجزة فيها وهي غزوة تبوك ولم يقع فيما مضى عدة التمر فاخبر في هذه الرواية
انه كان بضع عشرة تمرة والبضع في العدد بالكسر وقد يفتح ما بين الثلاث الى التسع
وقيل ما بين الواحد الى العشرة لانه قطعة من العدد وقال الجوهري تقول بضع سنين
وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت لفظ العشر لا تقول بضع وعشرون وهذا مخالف
لما نطق به في الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة

الواحد

الواحد ببضع وعشرين درجة ومنه اي من تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم حديث
ابي هريرة المروي في صحيح البخاري حين اصابه اي ابا هريرة الجوع فاستتبع النبي صلى
الله عليه وسلم اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم منه ان يتبعه بان قال له اتبعني فوجد اي
النبي صلى الله عليه وسلم لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره اي النبي صلى الله عليه وسلم ابا هريرة
ان يدعو اهل الصفة قد سبق منا كلام على الصفة مفيد قبل هذا باوراق قليلة قال اي
ابو هريرة فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها
فان قلت الشيخ في هذه المقالة نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما لا يليق قلت هذه
مقالة وقعت منه في خاطره وهو اجس نفسه ولم يبدها ولم يتكلم بها وهو غير مواخذ
بمثل هذا الهاجس وتعبيره بالقول لا يستلزم ان يكون منطوقا به اذ القول يطلق على ما
يقع في الخاطر ويحدث به النفس مع انه لو عبر به وقاله لم يكن فيه الا نسبة النبي صلى الله عليه
وسلم الى ارتكاب خلاف الاولى في زعمه وذلك سائغ للنبي صلى الله عليه وسلم كما يقع منه
ذلك كثيرا للبيان للجواز فدعوتهم اي اهل الصفة وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له اي
لابي هريرة ان يسقيهم اي بان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الظاهر ان هذا القدح لم يكن للنبي
صلى الله عليه وسلم فانه جاءته الهدية فيه او لعل اللبن افرغ في قدح من اقداحه وقد كان للنبي صلى
الله عليه وسلم اقداح متعددة ذكر البرهان الحلبي في شرح البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان له قدح
يسمى الريان ويسمى مغنيا واخر مضبب يقدر اكثر من نصف المد فيه ثلاث ضبات من
فضة وحلقة كانه للسفر وثالث من زجاج وقدح اخر من عيدان بفتح العين يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل قال فهذا الذي استحضر من اقداحه وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا قال
فاخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة الظاهر ان حمده متقدم على البسملة وليس هذا

بلغ مقابلة على خط المؤلف

حمدا على الطعام فانه لم ياكل شيا ولم يشرب الا بعد ان حمد فحمده ليس الا على ما ظهر على يديه من
هذه المعجزة وتكثير هذا اللبن القليل واشباع هذا الجمع الكثير من هذا اللبن القليل والمصنف كما ترى
اوجز في نقل هذه القصة والمقام مقام استيعابها باسرها وذكرها كما جرت في صحيح
البخاري ودلايل البيهقي ان اباهريرة كان يقول والله الذي لا اله الا هو ان كنت لاعتمد
بكبدي على الارض من الجوع وان كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على
طريقهم الذي يخرجون فيه فمر بي ابو بكر رضي الله عنه فسالته عن اية من كتاب الله تعالى ما
سالته الا ليستتبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر رضي الله عنه فسالته عن اية من كتاب
الله تعالى ما سالته الا ليستتبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
فتبسم حين راني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال يا اباهر قلت لبيك يا رسول الله
قال الحق ومضى فاتبعته فدخل واستاذنت فاذن لي فدخلت فوجدت لبنا في قدح
فقال من اين هذا اللبن قالوا اهداه لك فلان او فلانة قال يا اباهر قلت لبيك رسول
الله قال الحق باهل الصفة فادعهم لي قال واهل الصفة اضياف الاسلام لا
ياوون الى اهل ولا مال اذا اتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيا واذا
اتته هدية ارسل اليهم فاصاب منها واشركهم فيها فساني ذلك قلت وما هذا اللبن
في اهل الصفة كنت ارجو ان اصيب من هذا اللبن شربة اتقوى بها وانى الرسول
واذا جاوا امرني ان اعطيهم وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله
تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد فاتيتهم فدعوتهم فاقبلوا حتى استاذنوا فاذن
لهم واخذوا مجالسهم من البيت فقال يا اباهر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ
واعطهم فاخذت القدح فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح
فاعطيه الاخر فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فاخذ القدح فوضعه على يده ونظر الي وتبسم وقال

يا اباهر

يا اباهر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت انا وانت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد
فاشرب فقعدت وشربت فقال اشرب فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول
اشرب فشربت حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا قال فاذن فاعطيته
القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة كذا فيهما والى هذه القصة اشار الامام الصرصري
في نونيته بقوله

هل يوخذ من هذا الحديث جواز الشبع مكرر

واسمع حديث ابي هريرة اذ غدا ° وفواده بالجوع ذا اشجان °
فاتى النبي المصطفى متعرضا ° فليبشر الدوسي بالاحسان °
فاتاه قعب مملوه لبنا فلم ° يملك طعامه جائع لهفان °
قال ادع لي الفقرا اهل الصفة الشعث الروس الخمر الابدان °
فاتوا فلم يصدر وفي من قعبه ° الا بصدر ناعم ريان °
ثم ارتوى الدوسي بعد ايابهم ° علا على نهل فتق ببيان °

وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة اي ان خالدا اعطى النبي صلى
الله عليه وسلم شاة ليذبحها وفي الحديث بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا فمر وابا عرابي
له غنم فقالوا اجزرنا شاة اي اعطنا شاة تصلح للذبح وكان عيال خالد كثيرا اي الذين
يلزم خالدا مونتهم ونفقتهم واخبر عنهم بكثير لانه صيغة فعيل يستوي فيه المفرد والجمع
قال تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير يذبح الشاة استيناف وقع جوابا لسوال نشا من الاخبار
عن عيال خالد بالكثرة كان قايلا قال ما بلغت كثرتهم فقال بلغت حد اي ذبح الشاة فلا تبد عياله
عظما عظما اي لو تفرق بينهم وتقسم بينهم عظما عظما اي ياخذ كل واحد منهم عظما عليه
لحمه الا كفتهم الشاة بتمامها وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة التي اجزرها اياه
خالد بن عبد العزى وجعل فضلتها في دلو خالد هو شي يستقى به الما وكان خالد كان
بيده انا يشبه الدلو لو وضع ما عسى ان يحتاج فيه او كان ذلك الشي دلوا حقيقة
يستقى به الما ووضع النبي صلى الله عليه وسلم فيه تلك الفضلة ودعا له اي لخالد بالبركة

ولفظه صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم بارك لابي خناش وابو خناش بضم الخاء وتخفيف النون
بعدها وفي اخره شين معجمة كنية خالد المذكور فنثر اي خالد ذلك اي الذي وضعه النبي صلى
الله عليه وسلم في الوليمة اي لاجلهم حتى ياكلوه فاكلوا وافضلوا اي ابقوا بعد ان شبعوا
من الطعام فضلة لم يحتاجوا اليها فان قلت يجوز ان لا يكونوا شبعوا بل اكل كل انسان لقمة
مثلا وتركوا الباقي فلا يكون في ذلك خارق قلت التعبير بافضلوا مشعر بانهم ابقوه لعدم
يكونوا محتاجين اليه لان الفضلة انما تكون بعد دفع الحاجة لان الفضل فيه معنى الزيادة
والزيادة هنا عن الحاجة ذكر خبره اي خبر خالد الدولابي في كتاب الاسما والكنى فان قلت
لم يعز المصنف الاخبار السابقة الى من رواها فلم عزا هذا الخبر الى راويه الدولابي قلت
لان الاخبار السابقة موجودة في احد الكتب الستة المتداولة فذكرها على طريق انها
معهودة معلومة واما كتاب الدولابي فليس مبتذلا ولا متداولا كتلك على ان هذا الخبر ذكره
البيهقي في دلائل النبوة ايضا فلو احال عليه لكان اولى ومن حديث الاجري في نكاح
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد
او خمسة وذبح جزورا لوليمتها الجزور البعير ذكرا كان او انثى الا ان اللفظة مونثة تقول
هذه الجزور وان اردت ذكرا فانيثه بذلك فطعن في راسها اي راس الجزور لاجل البركة
ثم ادخل الناس رفقة رفقة اي جماعة جماعة مترافقين متصاحبين ياكلون منها ينبغي
ان تكون جملة مستانفة او حالا مقدرة والاظهر كان حالا غير مقدرة لكان اكلهم مقارنا
للدخول وليس كذلك حتى فرغوا اي من قضا وطرهم من الاكل وبقيت منها اي من تلك
الجزور والامداد الطعام فضلة زائدة على قدر حاجة المدعوين الى الوليمة فبرك فيها
اي دعا فيها بالبركة وحمل منها اي بعضها منها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن
اي جاءكن وفي حديث انس المروي في الصحيحين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم اي بصفية
بنت حيي وكان زواجه لها ودخوله بها بموضع يقال له سد الصهبا مرجعه من خيبر

فصنعت

فصنعت اي ام سليم وهي احدى نسا الانصار الصالحات القانتات كان لها عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم منزلة ومقام يعلم تفاصيل ذلك من تتبع احوالها حيسا اي طعاما
متخذا من تمر واقط وسمن وقد يجعل عوض الاقط الدقيق او الفتيت فجعلته اي
ام سليم في تور بالتاء المثناة وهو انا من صفر او حجارة كالاجانة وقد يتوضا منه
فذهبت بضمير المتكلم العائد الى انس به اي بذلك الاناء الذي فيه الحيس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع
اي اترك احدا لقيته الا دعوته امتثالا لامر النبي صلى الله عليه وسلم حيث امره بدعا الناس
عموما بدليل التعبير بمن الموصولة وهي من صيغ العموم وذكر اي انس انهم اي المدعوين
الاكلين من ذلك الحيس كانوا زهاء ثلثمائة اي قدر ثلثمائة من زهوت القوم اي حزرتهم
حتى ملاوا الصفة اي صفة بيته صلى الله عليه وسلم وهي مكان مظلل قدام البيت
وهي غير صفة كانت في مسجده صلى الله عليه وسلم مجلس الفقرا المنقطعين من
المومنين رضي الله عنهم والحجرة اي المكان المنفرد من البيت فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه
وقال ما شا الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت هذا الحديث سبق نظيره من المصنف في هذا الفصل من
رواية انس بحيث يكاد ان يكون الحديث السابق هو هذا بعينه والمعجزة التي حكيت
ثم هي هذه غير ان ذكر المصنف لها وهو من جبال العلم مرتين يشعر بالتغاير
ولو كانت القصة واحدة لبعد ان يذكرها مرتين في فصل واحد وليس المراد بعيدا
ليحمل على النسيان منه ولا استشهد بها من جهتين مختلفتين بل كلا القصتين اوردهما
شاهدا على تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم فتعين ان يكون المصنف ممن يرى تعدد
القصة وان هذا وقع للنبي حين تزوج بزوجتين مرة وقع له اذ تزوج بزينب

بنت جحش ومرة لما تزوج لصفية بنت حيي فان المصنف ذكر في شرح مسلم ان القصة
كانت في زواجه صلى الله عليه وسلم بصفية وفي الصحيحين ان القصة حين تزوج بزينب
وقد استشكل المصنف في شرح مسلم ما وقع في هذا الحديث من ان تكثير الطعام كان في
وليمة زينب وان التكثير وقع في حيس ام سليم بان المشهور من الروايات انه أولم عليها
بالخبز واللحم ولم يقع في الروايات وقوع معجزة تكثير الطعام في وليمة زينب وانما فيها
انه اشبع الناس من الخبز واللحم قال المصنف هذا وهم من راويه وتركيب قصة في اخرى
وان القصة وقعت في زواج صفية فادخلها مع نزول اية الحجاب التي نزلت
في زواج زينب وتعقبه القرطبي بانه لا مانع من الجمع بين الروايتين والاولى ان
يقال لا وهم في ذلك فلعل الذين دعوا الى الخبز واللحم فاكلوا حتى شبعوا وذهبوا لم يرجعوا
ولما بقي النفر الذين كانوا يتحدثون جاء انس بالحيس فامر بان يدعوا اناسا اخرين
ومن لقي فدخلوا فاكلوا حتى شبعوا واستمر اولئك النفر يتحدثون وهو جمع لا باس به واولى
منه ان يقال ان حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم فاكلوا كلهم من كل ذلك قال الحافظ
ابن حجر في شرح البخاري وعجبت من انكار القاضي عياض وقوع تكثير الطعام في قصة الخبز
واللحم مع ان انسا يقول انه اولم عليها بشاة ويقول انه اشبع المسلمين خبزا ولحما وما
الذي يكون قدر الشاة حتى تشبع المسلمين جميعا وهم يومئذ نحو الالف لولا البركة التي
حصلت من جملة اياته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام واقول ارى عياضا في هذا الكتاب
نقل ان هذا التكثير وقع في زواج زينب كما سبق واورده نقله ثانيا هنا ساكتا في نكاح
اي زوجة وقع والظاهر انه يرى انها صفية فاشار بذلك الى تعدد القصة فان قلت من
المعلوم ان وليمة صفية كانت في سفره وانها كانت من حيس صنعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت يجوز ان يكون ام سليم اهدت له حيسا لفرحها بزواجه ولو بعد قدومه الى
المدينة مع انه ايضا صنع حيسا اخر واطعم للناس في سفره واكثر احاديث هذه

الفصل

الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة
ومجامع مشهورة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق فلا يسكت الحاضر لها على ما انكر وقد
رويت بحضرة من حضرها من الصحابة وكبار التابعين فاقروها وصدقوها من غير
انكار ولو لم تقع لكانوا اسرع الناس انكارا لها كيف وهم اسرع الناس انكارا لما
عسى ان يكون فيه شبهة وبالجملة فلا يقرون الا على ما هو حق صرف وصدق محض

فصل في كلام الشجر اي تكليمها اياه الكلام المتعارف من الحروف
واصوات يخلقها الله تعالى فيها بطريق خرق العادة والشجر كل نبات له ساق اذا
عصفت رياح الخريف لا ينفسد وشهادتها اي الشجر له صلى الله عليه وسلم بالنبوة
واجابتها دعوته

هكذا ابقى المصنف
بياضا في هذا المحل
فاعلم ذلك

حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح في اجازته استعمل المصنف اجاز الذي يستعمل
في اجازة العلم والحديث متعديا بنفسه الى مفعوليه المجاز فيه والمجاز له وايضا مفعوله الثاني
نفس الحديث لا رواية الحديث وهذه لغة نقلها ابن فارس صاحب مجمل اللغة فانه يجوز
تعديته الى مفعوليه سواء عدي اليهما باتصالهما ام بانفصال احدهما اخذا له من جواز الماء الذي
تسقاه الماشية والحرث تقول منه استجزت فلانا فاجازني اذا اسقاك ماء لارضك او ماشيتك
فكان هذا اجازك ماء كذلك العالم اذا ساله طالب العلم ان يجيزه فيقال اجازني علمه وايضا
اجاز ابن فارس في اجازة العلم انه لا تذكر الرواية على ان يقول اجزته صحيح البخاري وان
لم تذكر رواية صحيحه كما يقول السقي اجزت فلانا ماء بئري وانه لم يقل شرب ماء بئري لكن
المعروف انه يقال اجزت له رواية مسموعاتي فالاحسن ان يقول المصنف فيما اجاز روايته
لي بذكر حرف الجر مع التصريح بالرواية اخذا لها من معنى التسويغ والاذن والاباحة ولا اشكال
ان الثلاثة لا تتعدى الى مفعولين الا الى مفعول واحد صريح والاخر بحرف الجر فيقال سوغت
لفلان دخول داري واذنت لفلان فيه وابحته لفلان وكذا لا يتعدى هذه الاشياء الا وحدها
من الاحداث كالرواية ونحوها فان قلت لم نص على ان ذلك بطريق الاجازة قلت لان لفظ حدثنا
حدث يستعمل في السماع ايضا والاجازة دون السماع في المرتبة فلا جرم احتاج الى ان
يبين كيف وقع التحمل لهذا الحديث عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم
البغوي هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان ومعنى المرزبان كبير الفلاحين المسند
ابو القاسم البغوي نسبة الى بغ او بغشور قرية بين هراة ومرو اصله منها وهو بغدادي
وهو سبط الامام الجليل احمد بن منيع شيخ اهل العراق في عصره ولد البغوي سنة اربع عشرة ومائتين
وسمع وهو صغير جدا باعتناء عمه علي بن عبد العزيز وجده ابي امه عاش مائة سنة وثلاث
سنين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلثمائة وقد احتج به عامة من خرج الصحيح
لا رحمه الله وهو غير الحسين بن مسعود البغوي محيي السنة وصاحب الشرح

ترجمة البغوي

هو غير محيي السنة صاحب معالم التنزيل

و

المصابيح

والمصابيح ومعالم التنزيل وان اشتركا في النسبة الى بغ ونبهنا عليه لان هذا هو المشهور
في هذه الاعصار بالبغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي مات في حدود سنة ثلاثين
ومائتين قال العجلي لا باس به والذهبي تكلم فيه قال ابو زرعة تركوه ثنا ابو حيان التيمي
هو امام ثبت مات سنة خمس واربعين ومائة ووجد في نسختي التي بيدي من هذا
الكتاب على الهامش ما لفظه سقط بين احمد بن عمران وبين ابي حيان التيمي رجل ولعله
محمد بن فضيل وكان صدوقا هذا توثيق لابي حيان التيمي اما من المصنف واما من
الراوي عنه وهي كلمة تستعمل في التعديل وجعلها ابن الصلاح من المرتبة الثالثة من
مراتبه وجعلها ابو حاتم في المرتبة الثانية من مراتبه عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي نسبة الى الاعراب على غير
القياس لان الجمع لا ينسب اليه ولو نسب الى المفرد لالتبس بالعربي والاعراب هم
سكان البادية من العرب فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم له يا اعرابي اين تريد اي اي
مكان تقصد قال الى اهلي عداه بالى مع ان عامله المقدر وهو اريد بقرينة وقوعه في
السؤال متعد بنفسه لانه ضمنه معنى اتوجه كانه قال اريد متوجها الى اهلي فان قلت
لم سأله هذا السؤال قلت قصد بذلك ازالة الوحشة التي تعتري الاسماع عند لقاء
الاكابر مع ما كساه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من المهابة والجلالة حتى يسمع الاعرابي
بما يلقنه مما يسعده في الدارين ولو دامت هيبته في قلبه لما انتفع به فقال هل لك
الى خير اي هل لك ميل الى خير فلك خبر مبتدا محذوف تقديره ميل والى خير متعلق بمحذوف
تقديره كائن الى خير ولا يجوز تعلقه بميل لانه مصدر والمصدر لا يعمل محذوفا لضعفه في
العمل قال اي الاعرابي وما هو اي الخير قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له فان قلت لم اردف لا اله الا الله بقوله وحده لا شريك له مع انها تغني عن ذلك قلت لان
مشركي العرب كانوا يعظمون الله تعالى اكثر من جميع الهتهم غير انهم يثبتون لها الهية

اذ القياس مح

فيمكن ان يقول احدهم لا اله الا الله ويحصر الالهية فيه تعالى ادعا كان غيره من الالهة كالاله
فلما اتى بقوله وحده وبقوله لا شريك له اندفع هذا الاحتمال وان محمدا عبده ورسوله
انما اتى بعبده حذرا من ان تطريه امته كما اطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام قال اي الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم من يشهد لك على ما تقول اي تدعيه فان
قوله هل لك الى خير الى اخره يتضمن دعوى هي نفي ما سوى الله تعالى من الالهة واثبات
النبوة بل الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم فطلب الاعرابي على هذا المدعى شاهدا قال اي
النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فاعل الفعل محذوف لقرينة مقالية هي قوله من يشهد لك اي
يشهد لي هذه الشجرة السمرة بضم الميم هي شجرة من شجر الطلح وهي شجر عظام من العضاه
وهي جمع عضة واصلها عضهة وقيل واحد العضاه عضاهة وهي شجر ام غيلان وكل
شجر عظيم له شوك وهي بشاطئ الوادي جملة حالية من هذه الشجرة هو فاعل والشاطئ
الطرف والجانب قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فادعها اي الشجرة فانها تجيبك قال ابن
ابي عمر كان الاعرابي تخلف عن دعائها كانه ظن ان دعاها من باب العبث الذي لا
يليق بذوي العقول وابن عمر كان يعلم ما يجري على يد النبي صلى الله عليه وسلم من الخوارق
فعلم ان دعاها ليس من العبث في شي فدعوتها فاقبلت تخد الارض جملة حالية من
الضمير المستكن في اقبلت اي اقبلت حال كونها خادة الارض اي شاقتها وجاعلتها
اخدودا حتى قامت اي الشجرة بين يديه اي يدي النبي صلى الله عليه وسلم فاستشهدها
اي طلب منها ان تشهد له على مدعاه ثلاثا فشهدت انه كما قال اي بانه لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله ثم رجعت الى مكانها وهذا الحديث نقله المصنف بسند فيه من تكلم
فيه مع سقوط في بعض سنده ولو رواه عن البيهقي والبزار فانهما روياه بسند صحيح
وكذلك الدارمي رواه بسند صحيح لكان اولى فان قلت لم دعا النبي صلى الله عليه وسلم
الشجرة لتشهد له ولم يستشهدها وهي في مكانها قلت لاظهار معجزتين احداهما

نطق الشجرة

نطق الشجرة وثانيتهما انقلاعها من مغرسها ثم عودها اليه فان قلت المطلوب ان تشهد
له فقط والاخرى لم تطلب منه فلم اتى بها قلت لو استشهدها وهي كائنة مكانها لربما
وقع في نفس ذلك الاعرابي ان هذه كشجرة العزى يسمعون منها نطقا شيطانيا لكن قلعها
من مغارسها ومشيها الى حضرته ثم عودها لا سبيل لمخلوق ان يفعله بل الفاعل له الله
تعالى ليس غير فانضم ذلك الى نطقها فعلم ان نطقها معجزة من الله تعالى وحده لا شريك له

ترجمة بريدة الصحابي رضي الله عنه

وعن بريدة هو صحابي وهو ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج بن سعد بن
رزاح بن عدي بن سهم من الصحابة المهاجرين كنيته ابو عبد الله لحق النبي صلى الله عليه وسلم
قبل قدومه المدينة فقال يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته وشدها
في رمح ومشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم قدم المدينة ويقال كنيته ابو سهل
وقيل ابو ساسان انتقل الى البصرة واقام بها زمانا ثم خرج الى سجستان ثم خرج منها
الى مرو في امارة يزيد بن معاوية ومات بها قال اي بريدة سال اعرابي وهو من يسكن
البادية من العرب النبي صلى الله عليه وسلم اية اي شي يكون علامة على صدق مدعاه واصل
اية اوية بفتح الواو وقلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
له اي لذلك الاعرابي السائل قل لتلك الشجرة اتى باسم الاشارة البعيد لانها كانت بعيدة
بعدا حسيا بدليل ما جاء في رواية اخرى انها كانت بشاطئ الوادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوك قال اي بريدة فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فان قلت
كيف يتصور ان يكون للشجرة يمين وشمال وخلف وقدام مع ان هذه الجهات الاربع من
الجهات الاضافية التي تتبدل بتبدل النسب والاضافات فان ما يلي اقوى الجانبين
الغالب من نهايتي الامتداد العرضي يمين وما يلي الاضعف منهما يسار وما يلي الظهر
من نهايتي الامتداد العمقي خلف وما يلي البطن منهما قدام والشجرة ليس لها شي من
ذلك قلت هذا اما على طريق التمثيل فكانه لما جرى منها امر لا يجري الا من ذوي العقول

شبهها بهيئة من طلب فبادر بالامتثال وكان يعيقه نبات رجليه في طين ونحوه فاول
ما يقلع اليمين ثم ينزع المعيقات شيئا بعد شيء الى ان يتخلص ويسعى ممتثلا واما ان اليمين
والشمال ونحوهما كانت للذي دعاها فتقطعت عروقها وقد جرت العادة بان الشجرة اذا
تقطعت عروقها ضعفت ثم انه هذه الشجرة لما عادت الى منبتها فان عاد اتصال عروقها كان
ذلك معجزة اخرى تقارب المعجزة الاولى والابقاء من غير فساد معجزة اخرى ثم جاءت
تخد الارض اي تشقها كالاخدود تجر عروقها اي الذي سلم ~~من عروقها~~ منها ولم تقطع وهذه
جملة حالية اما من فاعل تخد فهي متداخلة واما من فاعل جاءت فهي مترادفة مغبرة اي مهيجة
للغبار لمرورها في ارض ترابية حتى قامت بين يديه اي امامه وبالقرب منه كما يقف الخادم
بحضرة المخدوم ولا شك ان نفس هذه الوقفة شهادة منها له برفعة المقام وجلالة
المقدار فقالت بالنطق العرفي لا بلسان الحال السلام عليك يا رسول الله سلام المخلوق
على مخلوق مثله معناه السلامة اي لك يا رسول الله السلامة وذكر الازهري فيه قولين
احدهما معناه اسم السلام الذي هو من اسماء الله تعالى عليك اي معك اي ناصرك ومؤيدك
والثاني سلم الله عليك تسليما وسلاما ومن سلم الله تعالى عليه سلم من الافات قال
الاعرابي مرها اصله امرها بهمزتين اولاهما همزة الوصل والثانية فا الكلمة فحذفت
الهمزة الثانية الساكنة لثقل اجتماع همزتين فاستغني عن همزة الوصل بسبب ان ما
بعدها متحرك فحذفت همزة الوصل ايضا فقيل مرها فلترجع الى منبتها الفا عاطفة لما
بعدها على ما قبلها ولترجع مقول لقول محذوف اي مرها فقل لها لترجع الى منبتها وحذف
القول وابقا مقوله كثير في الكلام جدا والفا افادت هنا التعقيب والتعقيب هنا من
قبيل ايراد المفصل عقب المجمل فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت وايراد الفا
في عطف هذه الافعال اشارة الى ان كل فعل منها وقع عقب ما قبله من غير مهلة ولا
تراخ وان مثل ذلك لا يصدر الا من القادر على كل شيء فكان ذلك معجزة واي معجزة فقال

الاعرابي

الاعرابي اي قال عقب ما راى هذه الخوارق من غير مهلة ائذن لي اسجد لك هو مجزوم على
انه جواب الامر اي ان تاذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المراة ان تسجد لزوجها لتاكد حقه عليها وامر الله تعالى اياها بطاعته اعلم ان السجود في
اللغة الخضوع والتطامن الى الارض والظاهر ان الاعرابي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسجد له السجود الشرعي وهو وضع جبهته على الارض مكشوفة مع باقي اعضاء
السجود المعلومة وشريعتنا جاءت محرمة لهذا الفعل الا مع الله تعالى ومن ثم حرموا سجود بعض
الجهلة من الصوفية بين يدي المشايخ واما قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
بناء على ان الضمير في له راجع الى يوسف عليه السلام فقد كان ذلك جائزا في شريعتهم ثم نسخ في
شريعتنا وان كان شرع من قبلنا شرعا لنا لان الاحاديث مصرحة بالنهي عن ذلك وقيل كان
ذلك ايماء بالراس وقيل كان انحناء كالركوع ولم يكن خرورا على الارض وهكذا كان سلامهم
كالتكفي والانحناء وقد نسخ الله تعالى ذلك كله في شرعنا وجعل الكلام بدلا عن الانحناء وقد اجمع
المفسرون ان سجود يعقوب واولاده ليوسف عليهم الصلوة والسلام على اي وجه كان
فانما كان تحية لا عبادة قال قتادة هذه كانت تحية الملوك عندهم واعطى الله هذه الامة السلام
تحية اهل الجنة ومع هذا فقد جاءت الاحاديث بالتصريح بالنهي عن ذلك فقد اخرج ابو عمر بن
عبد البر في التمهيد بسنده الى انس بن مالك رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا
الى بعض اذا التقينا قال لا قال قلنا فيعتنق بعضنا بعضا قال لا قلنا فيصافح بعضنا
بعضا قال نعم وهذا الحديث رواه عن انس ايضا الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي انه حسن
قال اي الاعرابي فائذن لي اي ان لم تاذن لي في السجود لك فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له
فيه اشارة الى استحباب تقبيل المفضول يدي الفاضل ورجليه وتمكين الفاضل المفضول
من ذلك قال النووي رحمه الله في اذكاره اذا اراد احد تقبيل يد غيره ان كان ذلك لزهده
وصلاحه او علمه وشرفه وصيانته او نحو ذلك من الامور الدينية لم يكره بل يستحب والانكار

لعناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند اهل الدنيا ونحو ذلك فهو مكروه شديد
الكراهة وقال المتولي من اصحابنا لا يجوز فاشار الى انه حرام روينا في سنن ابي داود عن
زارع رضي الله عنه وكان في وفد عبد القيس قال فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل
يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله وفي سنن ابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال
فيها فدنونا يعني من النبي صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده وفي الصحيح اللام للعهد والمراد
صحيح مسلم لان هذا الحديث مروي فيه في حديث جابر بن عبد الله الطويل صفة
للحديث والحديث مذكور في صحيح مسلم بطوله ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به من جدار ونحوه ولو قدر موخرة الرحل وهو ثلثا
ذراع طولا ويقرب منه قاضي الحاجة ثلاثة اذرع فاقل ولو كان ذلك ذيل القاضي للحاجة فاذا
بشجرتين خبر مبتدا محذوف اي فاذا هو بشجرتين بشاطئ الوادي اي ناحيته وجانبه
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ غصنا من اغصانها فقال
انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده
المخشوش هو الذي يجعل في انفه الخشاش والخشاش مشتق من خش في الشيء اذا
دخل فيه لانه يدخل في انف البعير وفي الحديث خشوا بين كلامكم لا اله الا الله اي ادخلوا
والخشاش عويد يجعل في انف البعير يشد به الزمام ليكون اسرع لانقياده وقوله
يصانع قائده اي يداريه من شدة انقياده له فهو يشير الى ان صاحبه قادر عليه قدرة
تامة ومن شان المقدور عليه ان يداري القادر وذكر انه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد
اي المحل الذي هو وسط بينهما بحيث صارت المسافة بينهما على حد سوا قال اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم التئما على ماخوذ من لائم بين الشيئين اي جمع بينهما
ومعناه اجتمعا علي باذن الله تعالى يشير بذلك الى ان هذه الخارقة وان ظهرت على يدي فليس

لي فيها الاعجاز كونها ظهرت على يدي وهي بمحض خلق الله تعالى لا شريك له وسائر افعاله صلى الله
عليه وسلم كافعال جميع العباد وان كانت كلها بخلق الله تعالى على ما عليه اهل السنة الا انهم كاسبون
لها بخلاف هذه الخارقة فليس للنبي صلى الله عليه وسلم فيها دخل سوى انها جرت على يديه فلهذا
نطق بقوله باذن الله رافعا من صدور المومنين ما عسى ان يتوهموه مما اطرت النصارى به
عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتامتا اي اجتمعتا عليه حتى قضى حاجته بينهما فان
قلت اظهار هذا الخارق لاجل الستر يقتضي انه صلى الله عليه وسلم انما فعل ذلك لوجوبه عليه
مع انه صلى الله عليه وسلم قال من اتى الغائط فليستتر فان لم يجد الا ان يجمع كثيبا من
رمل فليستتر به فان الشيطان يقاعد بني ادم من فعل فقد احسن ومن لا فلا حرج
عليه فهذا يشعر بعدم وجوب التستر قلت محل عدم وجوبه اذا لم يكن هناك من لا يغض بصره
عن عورته ممن يحرم عليه نظرها والا وجب التستر مطلقا كما نص عليه النووي في شرح مسلم
فان قلت اليس من الواجب على من حضر غض البصر فينبغي ان يجوز الكشف لقضاء
الحاجة قلت وجوب غض البصر لا يمنع الحرمة فان قلت قد جوزوا للمراة ان تخرج
مسفرة وعلى الرجال الغض فلم لا يجوز هنا كشف العورة وعلى الحاضرين الغض قلت
شان العورة اقبح وبروزها مضر للعرض على ان هذا كله في غير النبي صلى الله عليه وسلم اما
هو فيجب عليه التستر لان روية عورته تورث العمى فيجب عليه دفع الضرر عن الناس
وفي رواية اخرى انما ذكر هذه الرواية لانها تشعر بانها مرة غير الاولى المرقوم فقال يا جابر قل لهذه
الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت
فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما لان احداهما لم تكن تكفي في التستر لانه لم تكن
لها عرض يحجز عن روية العورة فان قلت ما بال الفقهاء اكتفوا في ستر القبلة بمجرد
شخص قائم وان لم يكن له عرض يحجز قلت لان القصد هنا ستر العورة لان كشفها يخل
بالمروة وثم القصد تعظيم القبلة فيحصل وان لم يكن للساتر عرض فخرجت احضر جملة

بان انقياد الشجرة لبيان باهرة
كما بين خفي لا يبلغ حد الاعجاز
حيث انقادت لكن معجزة
وانقادت ايضا تكرر القضية
كان سياقها يشعر به

حالية من فاعل خرج اي خرجت محضرا اي خرج من قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جلس
صلى الله عليه وسلم خلف الشجرتين استحيا منه لئلا يسمع له صوتا محضرا بضم الميم وفتح
احضر مضارع احضر اي عدا والحضر بضم الحا والضاد المعجمة العدو وانما عدا جابر ليبعد
عنه صلى الله عليه وسلم لتحصيل ما كان يحبه صلى الله عليه وسلم من المبالغة في الستر والبعد عن
الناس عند قضا الحاجة بل صح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا كان بمكة يذهب الى المغمس
لقضا الحاجة والمغمس على نحو ميلين من مكة قالوا وهذه المبالغة منه صلى الله عليه وسلم
في البعد عند قضا الحاجة لعلها كانت لعذر كانتشار الناس حوالي مكة او طيب هوا ذلك
المحل فيحصل له استراحة في قضا الحاجة ثمة فان قلت لم عدا جابر وكان يحصل مقصوده
من تحصيل ما يحبه صلى الله عليه وسلم من الستر بمجرد مشيه على تؤدة قلت لاجل
الاسراع في تحصيل ما يهواه صلى الله عليه وسلم وليس من الادب ان يمشي على تؤدة فيقف
النبي صلى الله عليه وسلم منتظرا له حتى يبعد بعد زمن فيه طول او يقضي حاجته مع علمه
بقرب جابر منه فيقضيها وهو منغص حيث لم يحصل ما يحبه من بعد الناس عنه قال
جابر وجلست لعيدان ابعدت عنه احدث نفسي بهذه المعجزة الغريبة والآيات
الهذه المنقبة التي تذهل لها العقول وما احسن ما قال العلامة الشيخ علم الدين
السخاوي تلميذ الشاطبي في قصيدته الرائية حين اخذ يقابل معجزات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام بمعجزاته صلى الله عليه وسلم فقال

قليس العصا تسعى باعجب منه اذ ٭ دعا ذات اعراق فجاءته تخط
وقامت عليه وهي تشهد انه ٭ رسول وعادت وهي خضرا تثمر

فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل بالرفع خبر لقوله رسول الله ووجد
في بعض النسخ مقبلا بالنصب فهو منصوب على انه حال من فاعل فعل مقدر تقديره
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جا مقبلا والجملة خبر المبتدا وهي حال موكدة لعاملها

على حدة ولي مدبرا والشجرتان قد افترقتا جملة اسمية هي حال من الضمير المستكن في مقبل فقامت
كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال هكذا يمينا وشمالا
منصوبان على الظرفية لقال الذي معناه حرك او اشار اي اشار براسه في جهة اليمين
وفي جهة الشمال وروى اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وهذا
الحديث اعني حديث اسامة اخرجه البيهقي في الدلائل وابو يعلى بسند حسن نحوه اي مثل
الحديث السابق قال اي اسامة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
اي موضع خال لقضا حاجة الانسان بسبب وجود الناس فيه فالباء في بالناس
سببية فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة هل ترى اي تبصر من نخل من هنا
زائدة في سياق الاستفهام اي هل ترى نخلا او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات فان
قلت لم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة مع ان ابصاره صلى الله عليه وسلم اقوى
من ابصار اسامة كيف وقد صح انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وكان يبصر بجميع
الشريف من ورا ظهره قلت كان صلى الله عليه وسلم في اسفاره يجلس في قبة من ادم
فلعله كان في القبة واسامة كان في خدمته فامره بالتفحص كما هو شان الخادم مع المخدوم
قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة انطلق فقل لهن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمكان خروجه
لقضا الحاجة وقل للحجارة مثل ذلك وانما جمع بين النخل والحجارة لان احدهما لم تكن
كافية للستر فاحتاج الى ان يجمع بين النخل والحجارة ففعلت ذلك لهن فوالذي بعثه
بالحق لقد رايت اي ابصرت النخلات يتقاربن جملة يتقاربن حال من النخلات وليس
مفعولا ثانيا لان راى بصرية حتى اجتمعن والحجارة اي ورايت الحجارة يتعاقرن
اي تتضام حجرة الى حجرة حتى صرن ركاما اي بعضها فوق بعض خلفهن ظرف متعلق

بركما اي جرن متراكمات خلفه النخلات فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن مفعول قل محذوف
ويفترقن جواب الامر اي قل لهن افترقن ان تقل لهن يفترقن فو الذي نفسي بيده لرايتهن اي
النخلات والحجارة معطوف على الضمير المنصوب في رايتهن اي رايت النخلات يفترقن ورايت
الحجارة يفترقن ولو جعلنا الحجارة مفعولا معه لغات هذا المعنى كما لا يخفى حتى عدن الى
مواضعهن والمصنف ذكر هذا الحديث كما ترى باختصار مع انه مذكور في دلائل البيهقي
باطول من هذا ففي الدلائل بسند حسن الى اسامة بن زيد قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الحجة التي حجها حتى اذا كنا ببطن الروحا نظر الى امراة تؤم اي تقصده
تحبس راحلته فلما دنت منه قالت يا رسول الله هذا ابني والذي بعثك بالحق ما افاق من يوم
ولدته الى يومه هذا قال فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فوضعه فيما بين صدره
وواسطة الرحل ثم تفل في فيه وقال اخرج يا عدو الله فاني رسول الله قال ثم ناولها
اياه وقال خذيه فلا باس عليه قال اسامة فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته
انصرف حتى اذا نزل بطن الروحا اتته المراة بشاة قد شوتها فقالت يا رسول الله
انا ام الصبي الذي لقيتك به في مبدئك قال وكيف هو فقالت والذي بعثك بالحق ما رايت منه
شيء بعد فقال لي يا اسيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاه رخمه خذ منها
الشاة ثم قال يا اسيم ناولني ذراعها فناولته وكان احب الشاة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقدمها ثم قال يا اسيم ناولني ذراعا فقلت يا رسول الله انما هما ذراعان وقد
ناولتك فقال والذي نفسي بيده لو سكت ما زلت تناولني ذراعا ما قلت لك ناولني
ذراعا ثم قال يا اسيم انظر هل ترى من حجم لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا
رسول الله قد دهس الناس الوادي فما فيه موضع فقال ترى من نخل او حجار
فقلت يا رسول الله قد رايت نخلات متقاربات ورجاما من حجارة قال انطلق الى النخلات
فقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تداينن لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقل

وقل للحجارة مثل ذلك قال فاتيتهن فقلت ذلك لهن فو الذي بعثه بالحق نبيا لقد جعلت انظر الى
النخلات يخددن الارض خدا حتى اجتمعن وانظر الى الحجارة يتنافرن حتى صرن ركاما خلف النخلات
فاتيته فقلت ذلك له قال خذ الاداوة وانطلق فلما قضى حاجته وانصرف قال يا اسيم عد الى
النخلات والحجارة وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان ترجعن الى مواضعكن
كذا رواه البيهقي بشواهده في الدلائل قوله في حديث البيهقي ببطن الروحا البطن الوسط
وفي الحديث ينادي مناد من بطنان العرش اي من وسطه والروحا بفتح الرا واسكان الواو
وبالحا المهملة ممدود وهو موضع من عمل الفرع بضم الفا واسكان الرا بينها وبين مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستة وثلاثون ميلا كذا جا في صحيح مسلم وحكى صاحب المطالع ان
بينهما اربعين ميلا وفي كتاب ابن ابي شيبة ثلاثون ميلا وقوله يا اسيم تصغير اسامة هو
من باب تصغير الترخيم والرجم في هذا الحديث ضبطه الهروي في كتاب الغريبين بفتح الرا والجيم
ثم قال قال الاصمعي هي الحجارة المجتمعة يجمعها الناس للبنا وطي الابار وهي الرجام وفي الصحاح
الرجم بالضم واحد الرجم والرجام وهي حجارة ضخام دون الرضام وربما جمعت على القبر
ليسنم والرضام صخور عظام يرصم بعضها فوق بعض وقال يعلى بن سيابة بسين مهملة مفتوحة
بعدها يا مفتوحة معجمة باثنتين من تحت وبعد الالف با مفتوحة موحدة نسبة ههنا الى
سيابة وهي امه وينسب فيما ياتي الى مرة وهو ابوه فقد جعل المصنف يعلى بن سيابة ويعلى
ابن مرة رجلا واحدا وكذا الذهبي في تجريد الصحابة والامير بن ماكولا ولم يجعلهما اثنين الا ابو حاتم
فانه نسب الى من جعلهما واحدا الوهم ولم يجزم بصحبة يعلى بن سيابة وفي تهذيب الكمال
لابن الجوزي يعلى بن سيابة هو يعلى بن مرة وامه ثم قال بعد هذا يعلى بن مرة بن وهب الثقفي
ويقال العامري هو يعلى بن سيابة شهد خيبر والحديبية والفتح وحنينا والطائف
يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وعنه ابناه عبد الله وعثمان وراشد بن سعد وسعيد بن
راشد وعطا بن السائب مرسلا وجماعة وفي الكاشف للذهبي يعلى بن مرة الثقفي ويقال

العامري هو يعلى بن سيابة شهد خيبر وعنه ابن جريج وشعبة وبالجملة فالرجل صحابي جليل بلا
شك ولا عبرة بمقالة ابي حاتم يقال ان له صحبة وحديث يعلى هذا اخرجه احمد والبيهقي والطبراني
بسند صحيح كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين
تثنية ودية بفتح الواو وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية وهي الصغيرة من الفسيل
وهي صغار النخل وضبطه في النهاية بتشديد اليا فانضمتا اي انضم احداهما الى الاخرى
وفي رواية اشائتين في النهاية الاشا بالمد والهمز صغار النخل الواحدة اشاة وهمزتها
منقلبة عن اليا لان تصغيرها اشي ولو كانت اصلية لقيل اشي وهذا الحديث كما ترى
رواه المصنف عن يعلى بن سيابة الذي هو يعلى بن مرة وقد روى البيهقي في الدلائل نظير
هذا الحديث عن يعلى بن مرة عن ابيه قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت
منه اشيا عجبا نزلنا منزلا فقال انطلق الى هاتين الاشائتين فقل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لكما ان تجتمعا فانطلقت فقلت لهما ذلك فانتزعت كل واحدة
منهما من اصلها فمرت كل واحدة الى صاحبتها فالتقتا جميعا فقضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاجته من ورائهما ثم قال انطلق فقل لهما فلتعد كل واحدة الى مكانها فاتيتهما
فقلت ذلك ورجعت كل واحدة الى مكانها فهذا نقله عن يعلى بن مرة عن ابيه وابوه مرة
كان صحابيا ايضا روى عنه ابنه يعلى ثم ان البيهقي روى نظير هذا عن يعلى نفسه وانه هو
الذي شاهد القصة ولا بعد في ان يكون القصة شاهدها يعلى وابوه فان مقتضى ما في
الاخبار ان هذا الامر كان يقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا وعن غيلان بن سلمة
الثقفي مثله في شجرتين حديث غيلان رواه ابو نعيم وقصة غيلان نقلها الحافظ
ابو القسم في تاريخه في ترجمة غيلان بن سلمة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرأينا منه عجبا مررنا بارض فيها اشا متفرق فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم يا غيلان
ائت هاتين الاشائتين فمر احداهما ان تنضم الى صاحبتها قال ففعلت فجاءت احداهما ثم انقلعت

تخد في

تخد في الارض حتى التصقت الى صاحبتها فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ خلفهما ثم ركب
وعادت تخد في الارض الى موضعها ثم ذكر معجزات اخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدها
منه في تلك السفرة وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى
ابن مرة اي الثقفي وهو ابن سيابة كما تقدم انفا ايضا اي كما انه ابن مرة وذكر اشيا راها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة هي شجرة عظيمة من شجر العضاه او سمرة
هي ايضا من شجر العضاه والشك من الراوي في لفظ الذي شاهد القصة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان
تسلم علي وانما احتاجت الى الاستيذان لان سلامها عليه على الذي يصدر من العقلا
ليس من طبع الشجر وهذه الشجرة قد ارادت صدور ذلك عنها فسالت المولى تمكينها ذلك
فالمراد بالاستيذان طلب القدرة على ان تسلم عليه تسليم العقلا وفي حديث عبد الله بن مسعود
الذي رواه الشيخان اذنت اي اعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
او نحوها تعالي بفتح اللام يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل حديث الاول فقوله في الحديث
الاول اذنت تشعر بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له شعور بهم وانما وقف يصلي ويقرأ القرآن
وكان ابليس ابو الجن ورئيسهم حين حرست السما ورموا بالشهب بعد ان كانوا يسترقون
ارسل سرايا من الجن ليتعرف الخبر اولهم ركب نصيبين وهم اشراف الجن فلما بلغوا بطن نخلة
وهي مكان بينه وبين مكة ليلة واحدة سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة
وفي المواهب كان يصلي في جوف الليل وذكر بعد منصرفه من الطائف وعرضه نفسه على
اولاد عبد ياليل والحديث الثاني يقتضي انه انذرهم وادعى النبوة عندهم وانهم طلبوا
منه شاهدا على صدق مدعاه فاستشهد بشاهد لا ترد شهادته وهو الشجرة فان قلت
اما كان يكفيهم اعجاز القران الذي قراه عليهم فلم سالوه معجزة اخرى قلت اعجاز القران لا يظهر في

بادي الراي وانما يظهر بعد توجه النفس الى معارضته وعجزها عنها ومع ذلك لم يقع منه صلى
الله عليه وسلم تحد بالقران مع الجن اذ ذاك فطلبوا معجزة فانطق الله له الشجرة ويظهر لي وجه
اخر وهو ان هولا الجن كانوا يهود ولهذا قالوا انزل من بعد موسى واليهود تعرف نفوسهم
معجزة موسى وهي العصا التي كانت تنقلب حيوانا فاراهم النبي صلى الله عليه وسلم معجزة من
جنس معجزة نبيهم بل ابلغ لانها نطقت مع بقاها على شجريتها ولم تتحول الى هيئة اخرى ولم
يقع من العصا نطق لموسى بل تحركت بحركات حيوانية بعد انقلاب هيئتها الى هيئة الحيوانات
فان قلت كيف التوفيق بين ما يقتضيه الحديث الاول من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشعر
بهم وما يقتضيه الحديث الثاني من انه صلى الله عليه وسلم انذرهم واظهر لهم معجزة قلت
الذي نطقت به الاحاديث ان الجن كان لهم مع النبي صلى الله عليه وسلم اجتماعات متعددة
منها لما سمعوا منه القران فذهبوا الى قومهم فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ومنها انهم جاوه فيها
ارسالا وارسلوا اليه من يدعوه اليهم لينذرهم فخرج اليهم او ان الله تعالى وحى اليه لذلك خرج
الى الجن فقد اخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة
بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جا من قبل حرا فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك
فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران بات
قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم الحديث فهذه ليلة اخرى اجتمع بهم فيها وانذرهم وكانت
في مكة قبل الهجرة ومنها ما رواه الطبراني بسند حسن عن الزبير بن العوام قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال ايكم يتبعني
الى وفد الجن الليلة فسكت القوم ولم يتكلم منهم احد قال ذلك ثلاثا فمر بي يمشي فاخذ بيدي
فجعلت امشي معه حتى تباعدت عنا جبال المدينة كلها وافضينا الى ارض براز فاذا رجال
طوال كانهم الرماح مستذفرين ثيابهم من بين ارجلهم فلما رايتهم غشيتني رعدة شديدة حتى د

ماتمسكني

ما تمسكني رجلاي من الفرق فلما دنونا منهم خط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بابهام رجله
في الارض خطا وقال لي اقعد في وسطه فلما جلست ذهب عني كل شي اجده من ريبة ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينهم فتلا قرانا رفيعا حتى طلع الفجر ثم اقبل حتى مر بي
فقال الحق بي فجعلت امشي معه فمضينا غير بعيد فقال لي التفت فانظر هل ترى حيث
كان اولئك احدا قلت يا رسول الله ارى سوادا كثيرا فخفض رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه الى الارض فنظم عظما بروثة فرمى به اليهم ثم قال هولا وفد جن نصيبين سالوني
الزاد فجعلت لهم كل عظم وروثة قال الزبير فلا يحل لاحد ان يستنجي بعظم ولا روثة ثم ان
نقل المصنف هذين الحديثين عن ابن مسعود لا يلزم منه ان يكون ابن مسعود شاهد
القصة وحضر ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان للعلما خلافا في حضور
ابن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فروى الدارقطني عن عبد الله بن لهيعة
قال حدثني قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس رضي الله عنهما عن ابن مسعود رضي
الله عنه انه وضا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن بنبيذ التمر فتوضا به وقال شراب
وطهور وابن لهيعة ضعيف الحديث لا يحتج به ولهذا السند عن ابن مسعود رضي الله
عنه انه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امعك
ما يا ابن مسعود فقال معي نبيذ في اداوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبب
علي منه فتوضا وقال هو شراب وطهور قال الدارقطني وقيل ان ابن مسعود لم يشهد
ليلة الجن مع النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال علقمة بن قيس وابو عبيدة بن عبد الله
وغيره عنه انه قال ما شهدت ليلة الجن قال الدارقطني حدثنا ابو محمد بن صاعد قال حدثنا
ابو الاشعث قال حدثنا بشر بن المفضل ثنا داود بن ابي هند عن عامر بن علقمة بن قيس
قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة الجن العهد
او داعي الجن قال لا قال الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته وعن عمرو

ابن مرة قال قلت لابي عبيدة حضر عبد الله بن مسعود ليلة الجن فقال لا قال القاضي
ابو الفضل يعني المصنف فهذا ابن عمر و بريدة وجابر وابن مسعود و يعلى بن مرة ذكر البيهقي
في الدلائل ليعلى بن مرة الذي هو ابن سيابة روايتين احداهما اخبر فيها عن نفسه انه شاهد
القضية والثانية انه رواها عن ابيه مرة وانه هو الذي شاهدها واسامة بن زيد وانس
ابن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم كغيلان بن سلمة قد اتفقوا على هذه
القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها في
القوة حيث هي وحسبك في ذلك اتفاق الشيخين على تخريج القصة وتلقي الامة بالقبول
لكتابيهما وجعل ابن الصلاح ما فيهما من المسندات مقطوعا بصحته والشهاب ابن حجر في
شرح النخبة ان ما فيهما مما وافقهما عليه غيرهما بلغ مبلغ التواتر والقصة تواترت بين المسلمين
حتى عرف بذلك من ليس اهل النظر كالعوام والصبيان وحصل عندهم علم ضروري بوقوعها
وصدقها بل هي متواترة بين اهل الحديث المتصحفين لكتبه المعتنين بجمعه ولا تغتر بما وقع
من بعض المتكلمين من عدم تواترها لان ذلك لعدم وقوفه على السنة وعدم سعة للاخبار
والاثار ومن له ادنى وقوف على السير والاخبار يجد كل الكتب اتفقت على تخريج هذه القصة من
طرق مختلفة وعن صحابة كثيرين وعن تابعين ضعفهم وذكرت في اخبار مرسلة ومنقطعة ذكرا
زائدا على الحصر وكيف يقع في العقل جواز ان يتواطأ هؤلاء الصحابة الكمل على الكذب او كيف يتفق
هؤلاء المصنفون على تخريج شيء فيه ادنى طعن وهم ينتقدون على من انصف بادنى شيء ينتقد
وذكر ابن فورك هو عالم متقن ممن جمع بين الفقه والحديث والكلام انه صلى الله عليه وسلم سار في
غزوة الطائف ليلا اما الطائف فهو بلد كبير على ثلاث مراحل او مرحلتين من مكة من جهة
المشرق كثيرة الاعناب والفواكه وقيل انما سمي لان جبريل اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب
الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها
وكانت اولا بنواحي صنعا واسم الارض وج بتشديد الجيم وغزوة الطائف غزاها رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم عليهم في شوال سنة ثمان وفيها رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالمنجنيق
فكان اول منجنيق رمي به في الاسلام وفيها فقئت عين ابي سفيان بن حرب ابي معوية فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم وهي في يده ايما احب اليك عين في الجنة ام ادعو الله ان يردها عليك قال بل
عين في الجنة ورمى بها وشهد بعد ذلك اليرموك فقتل وفقئت عينه الاخرى كما ذكره الولي العراقي
في شرح تقريب الاسانيد وفيها قيل له يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا
وائت بهم وفيها قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بين قريش فسمعت بذلك الانصار
فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم
فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجمع الانصار في قبة من ادم ثم قال لهم اما ترضون ان
يذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فوالله ما تنقلبون به
خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا وهو وسن جملة حالية من فاعل سار اي سار
مقارنا للوسن والوسن بكسر السين اسم فاعل كسنان و يبعان ماضيه وسن
كفرح والوسن والسنة ثقلة النوم واوله اي كان صلى الله عليه وسلم متلبسا بمبادي النوم
فاعترضته سدرة واحدة سدر وهو شجر النبق فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما
وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك ظرف متعلق بقوله معروفة ويجوز ان
يكون هناك ظرفا مستقرا خبر لهي ومعروفة خبر بعد خبر معظمة لكونها من اثار النبي
صلى الله عليه وسلم وبقيته معجزة وقعت له فان قلت لم نقل هذا الخبر عن ابن فورك ولم
يذكر مخرجه وابن فورك لم يرده بسند وانما ذكره تعليقا قلت اكتفى بشهرة القصة
وتواترها فانه تواتر ان هذه الشجرة وقع لها مع النبي صلى الله عليه وسلم ما وقع ولعمري ان
مثل هذا التواتر يفيد علما ضروريا ولهذا قال بعد حكاية القصة عن ابن فورك على بقاء
الشجرة وتواترها تلك الشجرة وان القصة لم يبرح يتحاكاها الناس كابرا عن كابر حتى
ان اخبارها واصلة الى البلاد النائية عن بلد الشجرة ونواح قاصية ومثل هذا التواتر يستغني

به عن صحة الخبر وعن معرفة راويه ومخرجه ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وراه حزينا اي وجد فيه حزنا نشا من امر وهو تكذيب قومه له وعدم اذعانهم له
فقال اي جبريل اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من
ورا الوادي فقال اي جبريل ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع
فسارت الى مكانها وحديث انس هذا صحيح اخرجه الدارمي وابن ماجة والبيهقي وعن علي
رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا
شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له فان قلت
لم تسلى النبي صلى الله عليه وسلم برؤية هذه الاية قلت لانه علم ان عدم تصديق قومه محض عناد
لانه عرف نبوته الجمادات فكيف خفيت على ذوي العقول الا ان ينضم الى ذلك الخذلان الالهي
او ان الله تعالى تفضل عليه بهذه المعجزة تاييدا لمعجزته الاخرى وهي القران فاراه جبريل
انقيادها له فيما بينه وبينه فيعلم انها تنقاد اليه ايضا في الملا كما ان موسى امره الله تعالى ان
يلقي عصاه في حضرة الكلمة ليتالف على انقيادها له في الملا فلا يهابها ولا يرى ما وقع منها
غريبا لانه اعتادها في خويصة نفسه وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم اعلمه جبريل بان لا تحزن
فان الله معك اية اخرى هي انقياد الشجر لدعوتك وجرب ذلك في خلوتك فيسهل عليك
ابرازه بين الناس وذكر ابن اسحق هو الامام الثقة صاحب المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال لها ارجعي
فرجعت اما ركانة فهو بضم الراء وتخفيف الكاف وبالنون ليس في الاسماء ركانة غيره
وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي الحجازي ثم المكي
ثم المدني اسلم يوم فتح مكة وكان شديد الباس كثير القوة متين الهيكل وهو الذي صارع
النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الغني المقدسي وهذا
امثل ما روي في مصارعة النبي صلى الله عليه وسلم فاما ما روي في مصارعة النبي صلى الله عليه وسلم

ابا جهل

ابا جهل فلا اصل له ولركانة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث روى عنه ابنه يزيد وابنه ابنه
علي واخوه طلحة توفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين واربعين واما
خبر مصارعته له وقصة الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت وكان ذلك سبب
اسلامه فقد ذكرها البيهقي في الدلائل وذكر فيها روايتين احداهما متصلة والاخرى مرسلة
ففي الدلائل بسنده الى ابي امامة قال كان رجل من بني هاشم يقال له ركانة وكان من افتك
الناس واشدهم وكان مشركا وكان يرعى غنما له في واد يقال له اضم فخرج نبي الله صلى الله
عليه من بيت عائشة ذات يوم فتوجه قبل ذلك الوادي فلقيه ركانة وليس مع النبي صلى الله عليه
وسلم احد فقام اليه ركانة فقال يا محمد انت الذي تشتم الهتنا اللات والعزى وتدعو الى
الهك العزيز الحكيم ولولا رحم بيني وبينك ما كلمتك الكلام حتى اقتلك ولكن ادع الهك العزيز
ينجيك مني اليوم وساعرض عليك امرا هل لك ان اصارعك وتدعو الهك العزيز الحكيم يعينك
علي وانا ادعو اللات والعزى فان انت صرعتني فلك عشرة من غنمي هذه تختارها فقال عند
ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم نعم ان شئت فاتحني ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الهه ان يعينه
على ركانة ودعا ركانة اللات والعزى اعني اليوم على محمد فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه
وجلس على صدره فقال ركانة قم فلست انت الذي فعل بي هذا انما فعله الهك العزيز
الحكيم وخذلني اللات والعزى وما وضع احد جنبي قبلك فقال له ركانة عد فان انت صرعتني
فلك عشرة اخرى تختارها فاخذه نبي الله صلى الله عليه وسلم فجلس على كبده فقال له ركانة
قم فلست انت الذي فعلت بي هذا انما فعله الهك العزيز الحكيم وخذلني اللات والعزى
وما وضع احد جنبي قبلك فقال له ركانة عد فان انت صرعتني فلك عشرة اخرى تختارها
فاخذه نبي الله صلى الله عليه وسلم ودعا كل واحد منهما الهه فصرعه نبي الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ركانة لست انت الذي فعلت هذا بي وانما فعله الهك العزيز الحكيم وخذلني اللات
والعزى فدونك ثلاثين شاة من غنمي فاخترها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اريد

ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام انه اولى وانفس بك ان تصير الى النار انك ان تسلم تسلم فقال له
ركانة لا الا ان ترينى اية فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم الله عليك شهيد ان انا دعوت ربي
فاريتك اية لتجيبني الى ما ادعوك اليه قال نعم وقريب منه شجرة سمرة ذات فروع وقضبان
فاشار اليها نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال لها اقبلي باذن الله تعالى فانشقت باثنتين
فاقبلت على نصف شقها وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدي نبي الله صلى الله عليه وسلم
وبين ركانة فقال له ركانة اريتني عظيما فمرها فلترجع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عليك
الله شهيد لئن انا دعوت الله عز وجل فامرتها فرجعت لتجيبني الى ما ادعوك اليه قال
نعم فامرها فرجعت بقضبانها وفروعها حتى التامت بشقها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اسلم تسلم فقال له ركانة ما بي الا ان اكون رايت عظيما ولكني اكره ان يتحدث نساء
المدينة وصبيانهم اني انما جئت لرعب دخل قلبي منك ولكن قد علمت نساء اهل المدينة
وصبيانهم انه لم يضع احد جنبي قط ولم يدخل قلبي رعب ساعة قط ليلا ولا نهارا
ولكن دونك فاختر غنمك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ليس لي حاجة في غنمك اذا ابيت
ان تسلم فانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم راجعا واقبل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
يلتمسانه في بيت عائشة رضي الله عنها فاخبرتهما انه توجه قبل وادي اضم وقد عرفا انه
وادي ركانة لا يكاد يخطئه فخرجا في طلبه واشفقا ان يلقاه ركانة فيقتله فجعلا
يصعدان على كل شرف ويتشرفان مخرجا له اذ نظرا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم مقبلا
فقالا يا نبي الله كيف تخرج الى هذا الوادي وحدك وقد عرفت انه جهة ركانة وانه من اقتل
الناس واشدهم تكذيبا لك فضحك اليهما النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اليس يقول الله عز وجل
والله يعصمك من الناس انه لم يكن يصل الي والله تعالى معي فانشا يحدثهما حديثه والذي
فعل به والذي اراه فعجبا من ذلك فقالا يا رسول الله اصرعت ركانة فلا والذي بعثك
بالحق انه وضع جنبه انسان قط فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني دعوت ربي فاعانني

عليه

عليه ببضع عشرة قوة عشرة كذا في الدلائل وهو حديث مرسل لكنه جاء من طرق فصار
به صحيحا لغيره فان قلت لم اسند المصنف هذا الحديث الى ابن اسحق صاحب المغازي
ولم يسنده الى البيهقي قلت كانه من الطرق التي رواها البيهقي لم يصح عنده وقد صحت
عنده رواية ابن اسحق فان قلت هذا الحديث يقتضي جواز المصارعة مع ان البغوي من
اصحابنا الشافعية قال بحرمتها قلت الحق ان المصارعة ان جرت على مال فهي حرام ولا يجوز
السباق عليها وان لم تجر على مال فهي بالنسبة الى ما فعله صلى الله عليه وسلم مع من رزقه قوة بحيث
كان يصرع كل العرب حتى القاه النبي صلى الله عليه وسلم كالعصفور بين يديه حلال بالاجماع لانها
اظهار خارق يرجى به اسلام ركانة الاسلام فكان نظير ابطال كيد السحرة بما ظهر من العصا على يد
موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على ان ما ذهب اليه البغوي مرجوح عندنا وقد
صارع شاب من الصحابة شابا اخر منهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن جائزا لما
فعل بحضرته صلى الله عليه وسلم ثم ان هذا الحديث يقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد الغنم على
ركانة في ذلك الوقت مع ان الدميري في شرح المنهاج ذكر انه ردها عليه وقت اسلامه وان
ركانة اسلم يوم الفتح ثم ان ابن الجزري صاحب النشر ذكر في الجمال مختصر تهذيب الكمال والذهبي
في الكاشف ان النبي صلى الله عليه وسلم صارع ركانة مرتين وهذا الحديث يقتضي انه صارعه
ثلاثا واقول مراده بالمرتين في زمانين مختلفين وفي كل مرة اعاد الصراع ثلاثا الاولى
حين كانا بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنيمة لابي طالب والثانية في المدينة
ومع ذلك كله لم يسلم الا يوم الفتح وعن الحسن الظاهر انه الحسن بن علي سبط رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد حكم الجلال السيوطي على هذا الحديث بالارسال مع ان الحسن بن علي
صحابي ومراده انه مرسل صحابي وحكمه الرفع لان الحسن لم يشاهد القصة فيكون من
قبيل اخبار عائشة رضي الله عنها ببدء الوحي ولا يعد هذا من قسم المرسل الذي اختلف
فيه العلماء نعم ان كان المراد بالحسن الحسن البصري فهو تابعي كبير وحديثه حيث عزاه

الى النبي صلى الله عليه وسلم مرسل مختلف في الاحتجاج به في الاحكام واما في الفضائل والمناقب فهو مقبول وان كان مرسلا انه صلى الله عليه وسلم اشتكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسالم اية يعلم بها ان لا مخافة عليه ان هنا الخفيفة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والجملة بعدها خبران فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا ان هنا مفسرة لاوحى فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك اي ذلك الغصن ففعل فجا يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شا الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي وذكر البيهقي في الدلائل خبر الحسن بلفظ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شا الله من تكذيب قومه اياه فقال رب ارني ما اطمئن اليه ويذهب عني هذا الغم فاوحى الله تعالى اليه ادع اي اغصان هذه الشجرة شئت فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خد في الارض حتى جا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى مكانك فرجع الغصن يخد في الارض حتى استوى كما كان فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وطابت نفسه ورجع وقد كان قال المشركون اتضلل اباك واجدادك يا محمد فانزل الله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون الى قوله وكن من الشاكرين ونحوه منه اي قريب منه عن عمر اي روي عنه فنحوه مبتدا سوغ الابتدا به مع كونه نكرة وصفه بالجار والمجرور وقال فيه اي فيما روي عن عمر ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه حديث عمر بن الخطاب رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن ولفظ رواية البيهقي في الدلائل بسنده الى ابي رافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على الحجون كئيبا لما اذاه المشركون فقال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها قال فامر فنادى شجرة من قبل عقبة المدينة فاقبلت تخد الارض حتى انتهت قال ثم امرها فرجعت الى موضعها قال فقال لا ابالي من كذبني بعد هذا من قومي وروى هذا الحديث عن عمر ابن سعد في طبقاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق

بكسر العين

بكسر العين بعدها ذال معجمة الكباسة وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب كذا في الصحاح واما العذق بفتح العين وبالذال المعجمة فهو النخلة بتمامها من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فجعل ينقز اي يثب حتى اتاه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال فيه هذا حديث حسن صحيح وخرجه ايضا البخاري في تاريخه والدارمي في جامعه والبيهقي وفي الدلائل بسنده عن ابي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل من بني عامر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عندي طبا وعلما فما تشتكي هل يريبك من نفسك شي الى من تدعو قال ادعو الى الله عز وجل والى الاسلام قال انك لتقول قولا فهل لك من اية قال نعم ان شئت اريتك اية وبين يديه شجرة فقال لغصن منها تعال يا غصن فانقطع الغصن من الشجرة ثم اقبل ينقز حتى قام بين يديه فقال ارجع الى مكانك فرجع فقال العامري يا ال عامر بن صعصعة لا الومك على شي قلته ابدا وقد رويت هذه القصة من طرق كثيرة وقد اشار الامام الصرصري في قصيدته النونية التي ذكرها فقال ودعا بعذق من اعالي نخلة فاتى اليه وعاد نحو اهان ٭ والاهان بكسر الهمزة اصل العذق وهو العرجون الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولله در العلم السخاوي حيث قال في قصيدته

٭ وانت دعوت العذق من راس نخلة ٭ وجا فقلت ارجع فعاد مصعدا ٭

ولبعضهم في قصيدة في مدحه صلى الله عليه وسلم

٭ والعذق حين دعا واتاه في صبب ٭ وعاد في صعد من امره العالي ٭
٭ دعاه وهو على راس نخلته ٭ فانقض كالنجم من عال الى عال ٭
٭ وقال حين دنا منه ارجع فثنى ٭ زمامه راقيا منه بارقال ٭

فصل في قصة حنين الجذع الحنين مصدر مضاف الى فاعله والجذع بكسر الجيم اسم لساق النخل والحنين صوت الحزين وفي الصحاح الحنين الشوق وتوقان

من الطويل

النفس تقول منه حن اليه يحن حنينا فهو حان والحنان قال تعالى وحنانا من لدنا اي رحمة
لابويه وغيرهما وتعطفا وتعطفها وشفقة وانشد سيبويه فقالت حنان ما اتى بك ههنا
اذو نسب ام انت بالحي عارف وحن بمعنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة
وقيل لله تعالى حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة وتعديته حن بالى لتضمينه معنى اشتاق
قال الهروي في الغريبين الاصل في الحنين ترجيع الناقة صوتها اثر ولدها وقد استعمل هنا على
شوق الجذع بما ظهر له من الصوت وهذا الجذع الذي حن اليه صلى الله عليه وسلم كان من سواري
المسجد فان سواريه كلها كانت جذوع نخل في حياته صلى الله عليه وسلم وسقفه كان من
جريد النخل وهذا الجذع احد سواريه قال ابو سعيد في كتاب شرف المصطفى روي انه
صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني المسجد قال لابي بكر احتاج الى جذوع المسجد ووصفها
فقال ابو بكر رضي الله عنه ان لي بمكة بيتا جذوعه عددها كيت وكيت ووصف طولها
وعرضها ثم قال لو كانت ههنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتريد ذلك قال اللهم نعم فدعا
النبي صلى الله عليه وسلم الجذوع فخلق الله تعالى لكل منها جناحين فطارت الى المدينة واستعملت
في المسجد ويعضد هذه الاخبار اي يقوي اخبار كلام الشجر وسعيه اليه حديث حنين
الجذع لان معجزته اقوى من معجزة كلام الشجر وشهادته له لانه جماد يبس وصار في حكم الحجر
وذهبت منه القوة النامية والنفس النباتية التي هي موجودة في شجرة خضراء فيها قوة
النما والنفس النباتية لان النباتات ما دامت خضرا لها حياة في الجملة بدليل ان النبي
صلى الله عليه وسلم اثبت لجريدة النخل تسبيحا ما لم تيبس فاذا يبست ذهب تسبيحها
فدل ذلك على انها قبل اليبس لها قرب من الادراك بخلاف الجذع اليابس فانه لا ادراك له
اصلا ومع ذلك فقد حن واشتاق ونطق وبث الم الفراق فهي معجزة اقوى من معجزة الشجر
فكانت عاضدة لها مصدقة لوقوعها وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر يعني
ان الخبر به بلغ حد الشهرة وهو ما رواه عدد محصور زاد على الاثنين ولم يبلغ حد التواتر

على

على اصطلاح المحدثين لكنه متواتر بالنظر الى التحدث والاخبار بوقوعه فان قلت كيف يكون
متواترا مشهورا مع ان درجة المشهور قاصرة عن درجة المتواتر قلت يجوز ان يكون
ذلك على طريق الترقي فاثبت له الشهرة ثم ترقى فاثبت له التواتر ويجوز ان يكون بالنظر
الى اصطلاح المحدثين مشهورا وهو متواتر بالنظر الى كثرة المخبرين به قال التاج ابن السبكي في
شرح مختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان حنين الجذع متواتر وقال الحافظ ابن حجر في
فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من
يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك قال البيهقي قصة حنين الجذع
من الامور الجلية التي حملها الخلف عن السلف ولله در امامنا الشافعي رضي الله عنه حيث
قال ما اعطي نبي من الانبياء ما اعطي محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له فقد اعطي عيسى عليه الصلاة
والسلام احيا الموتى فقال اعطي محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حتى سمع صوته وهي اكبر
من ذلك خرجه اهل الصحيح اي من التزم ان لا يذكر في كتابه الا ما صح من الحديث كالشيخين
ورواه من الصحابة بضعة عشر صحابيا في القاموس البضع من العدد ما بين الثلاث
الى التسع او الى الخمس او ما بين الواحد الى الاربعة او من اربع الى تسع او هو سبع واذا
جاوزت لفظ العشر ذهب البضع فلا يقال بضع ومائة وقال المبرد ان البضع ما بين
العقدين من واحد الى عشرة ومن احد عشر الى عشرين ومع المذكر بهاء ومع المؤنث بلا هاء
بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امراة ولا تعكس انتهى ولما كان المعدود هنا
الصحابي وهو مذكر اتى فيه بالهاء منهم ابي بن كعب اخرج حديثه الدارمي وابن ماجه
والبيهقي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما اخرج حديثه البخاري وانس بن مالك اي خادم
النبي صلى الله عليه وسلم اخرج حديثه الترمذي وعبد الله بن عمر اي احد العبادلة الاربعة
اركان الدين اخرج حديثه البخاري وعبد الله بن عباس هو احد العبادلة ايضا اخرج حديثه
الدارمي والبيهقي وسهل بن سعد اخرج حديثه الشيخان وابو سعيد الخدري اخرج

تكرر الكلام على البضع في هذا السفر

حديثه الدارمي وبريده هو ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج الاسلمي فان قلت
كان على المصنف ان يميزه بما ذكرنا من النسب فان في الصحابة من اسمه بريدة بن سفيان
الاسلمي فقد شاركه في القبيلة وان خالفه في الاب قلت لم يميز المصنف هذا لان الحق ان
ذاك ليس صحابيا وعده في الصحابة ضعيف بل هو تابعي وتكلم المحدثون فيه ومن ثم ذكره
الذهبي في ميزانه اذ لا يذكر فيه الا من فيه طعن وحديث بريدة هذا اخرجه الدارمي وام سلمة
هي ام المومنين رضي الله عنها اخرج حديثها البيهقي والمطلب بن ابي وداعة اخرج
حديثه الزبير بن بكار في اخبار اهل المدينة والمطلب هنا هو المطلب بن السائب بن
ابي وداعة بن صبرة بن سعد بن سهم يروي عن حفصة ام المومنين رضي الله عنها وله
صحبة ذكره الذهبي والمزي انه من مسلمة الفتح روى عنه ابنه ابرهيم بن المطلب وهو ختن
سعيد بن المسيب رضي الله عنه زوجه اياها على مهر درهمين قال الترمذي وحديث انس
صحيح قال جابر صدر الكلام بحديث جابر لانه صحيح مجمع على صحته اخرجه البخاري كما سبق
مع انه محتو على معظم القصة وحديث سهل بن سعد وان اخرجه الشيخان فهو ارقى في
الصحة من حديث جابر الا انه لم يفصل القصة كما فصلها حديث جابر فمن ثم بدا بحديث
جابر وجعله عنوانا لهذه القصة كان المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجد
المدينة مسقوفا على جذوع نخل بان كانت الجذوع سواري والسقف موضوع عليها
فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها عدى يقوم بالى مع انه لا يعدى به بهذا
المعنى لتضمينه معنى يستند فلما صنع له المنبر قصة صنعه مذكورة في صحيح البخاري
ففيه سالوا سهل بن سعد رضي الله عنهما من اي شي المنبر فقال ما بقي من الناس اعلم مني
به هو من اثل الغابة عمله فلان مولى فلانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه حين
عمل وصلى الحديث الاثل بفتح الهمزة وبالثاء المثلثة الساكنة وباللام شجر يشبه الطرفا لكنه
اعظم منه وقيل هو الطرفا نفسها وفي بعض روايات البخاري صنع من طرفا الغابة فدل على انه

شبيهها

شبيهها او هو هو واما الغابة فهي بالغين المعجمة وبعد الالف باء موحدة مفتوحة ثم ها قال في
المطالع الغابة قوليه مال من اموال عوالي المدينة وقد فسره بعضهم بانه موضع الشجر التي ليست
بمربوبة لاحتطاب الناس ومنافعهم فغلط من وجهين وبالجملة فالغابة في اصلها الشجر
الملتف او الاجمة وهي هنا موضع بالمدينة جعل هذا اللفظ علما عليه بالغلبة وقد نقل
بعض شارحي البخاري في صانع المنبر النبوي اقوالا فهو اما ميمون النجار او قبيصة المخزومي
او صباح غلام العباس بن عبد المطلب او ابو رهم او باقوم بالميم او باللام غلام لسعيد بن العاص
حكى هذه الاقوال ابن الاثير وقيل مينا وقيل تميم الداري وقيل عمله غلام لسعد بن عبادة الخزرجي
نقله ابن التين عن مالك واشكل عليه ما صرح به في الحديث الصحيح انه مولى لفلانة وقد جمع
ابن حجر في فتحه باحتمال ان يكون في الاصل مولى امراة فنسب اليه مجازا او مولاه ونسب في
الحديث الصحيح الى امراة مجازا واما المراة المخاطبة بقوله صلى الله عليه وسلم مري غلامك النجار فلا
نعرف اسمها لكنها انصارية واما قول الكرماني انها عائشة الانصارية فقال وفي الانصار جماعة عوائش
وقد عمل هذا المنبر في السنة الثامنة من الهجرة وقيل السابعة منها وعلى القول بانه يفا لجمع فيكون
في التاسعة لان تميما اسلم سنة تسع الا ان يكون عمله وهو كافر وهو اول منبر صنع في الاسلام وكان
ثلاث درج ومن قال درجتين اسقط موضع المقام وفي كلام بعض الفقهاء ما يدل على انه كان اكثر
من ثلاث درجات وكان طوله في السما ذراعين وثلاث اصابع وعرضه ذراع راجح وطول
صدره وهو مستند النبي صلى الله عليه وسلم ذراع وطول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما النبي
صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر واصبعان وعرضه ذراع في ذراع وعدد
درجاته ثلاث بالمقعد وفيه خمسة اعواد من جوانبه الثلاثة هذا ما كان عليه المنبر في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلما حج معوية بن
ابي سفيان رضي الله عنهما في خلافته كساه بقبطية ثم كتب الى مروان وهو عامله على المدينة ان
ارفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الارض فدعا النجارين ورفعوه عن الارض وزاد من اسفله

ست درجات ورفعوه عليها فصار المنبر تسع درجات بالمجلس ثم ان هذا المنبر تهافت على طول
الزمن فجدده بعض خلفا بني العباس واتخذ من بقايا اعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم امشاطا
للتبرك بها قوله وفي الحديث سمعنا لذلك الجذع اي الذي كان يقوم اليه حين يخطب صوتا كصوت العشار
بكسر العين وبالشين المعجمة هي النوق الحوامل واحدها عشرا على زنة خلفا وقيل هي التي اتى
لحملها عشرة اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل هي النوق التي ولد بعضها وبعضها لم يلد وقال
الداودي هي التي معها اولادها وانما شبه صوته بصوتها لانها اذا كانت هي الحامل التي دنا
وضعها فلان لها صوتا ناشئا من الم الحمل وثقل الولد بسبب دنو وضعه وان كانت هي
التي ولدت فلها صوت عند فراق ولدها معهود محتو على حزن والم وان كان ولدها
غير غايب صوتت صوت شفقة عليه وحب له لدنو ولادته وفي رواية انس التي
رواها الترمذي بعد قوله كصوت العشار حتى ارتج المسجد لخواره الارتجاج الاضطراب
ولعل المسجد من شدة صوته تحركت جدرانه كما هو مشاهد في الجدران عند ظهور صوت
مزعج والباء في بخواره للسببية اي اضطرب المسجد لخواره والخوار بضم الخاء المعجمة هو
من صوت البقر والغنم والظبا اي ظهر منه صوت يشبه خوار البقر ونحوها وجعل صوت
الجذع خوارا على طريق الاستعارة التصريحية وفي نسخة بجواره ماخوذ من قولهم جار على محل تأمل
ربه دعاه وجار كمنع وفي القاموس الجوار رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة
وجارت البقرة والثور صاحا ويمكن اسناد كل الى الجذع فيمكن ان يكون تضرع بالدعاء
والتضرع لتعود اليه النعمة التي كانت فيها وان يكون شبه صياحه بصياح البقرة فجعله
خوارا على طريق الاستعارة التصريحية وفي رواية سهل التي في الصحيحين وكثر بكاء
الناس لما راوا به اي للشوق الذي راوه به فما موصول اسمي وعائده ضمير منصوب
حذف ويجوز ان يكون راى بصرية والجار والمجرور في محل النصب حال من الضمير الذي
هو عائد الموصول فان قلت الشوق لا يرى بالبصر بل يعلم قلت راوا اثاره فان قلت

هم

هم سمعوا صوته ولم يروا بابصارهم منه شيئا قلت المسموع في حكم المبصر فيصح جعله مفعولا للرؤية
البصرية وان جعلت راى قلبية فالمفعول الثاني هو الجار والمجرور وفي رواية المطلب اي
∴ ابن ابي وداعة وان حتى تصدع وانشق غاية لخواره وما ظهر عليه من اثار الحزن اي حصل
له قلق اثر فيه بحيث تصدع وانشق عطف الانشقاق على التصدع تفسيري وانما عبر بالصدع
للاشارة الى انه كان صلبا لان الصدع هو الشق في شي صلب حتى جا النبي صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره اي غير المطلب من الصحابة الذين شاهدوا
القصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر حين ترك النبي
صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر والمراد بالذكر ذكر الله تعالى الذي كان يجري من النبي صلى
الله عليه وسلم عنده من الخطب والمواعظ والثنا على الله تعالى لا سيما الثنا الصادر من
بحر العلوم اللدنية والمعارف الربانية ويمكن ان يراد بالذكر القران الذي كان يتلوه
صلى الله عليه وسلم بجانبه لان من اسما القران الذكر ويمكن ان يراد به النبي صلى الله
عليه وسلم لان من اسمائه الذكر وان لم يكن اسماله فالذكر صفة له فان قلت حيث كان
بكاء الجذع لفقد الذكر فليس في هذا معجزة لان الارض والسما وجميع البقاع وما فيها
من شجر وحجر ومدر اذا فقدت ذكر الله تعالى بكت على ذلك قال تعالى فما بكت عليهم السماء
والارض الاية قلت لا شك في ذلك الا ان بكاها بوجه يليق بها لا يدركه البشر ولا
الجن فظهور بكا الجذع على طريق البكا البشري بصوت حزين واظهار حاله المختص
بالعقلا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر وزاد غيره اي غير الغير الاول والذي
نفسي بيده هذا القسم من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لو لم التزمه اي اعتنقه لم يزل
هكذا الى يوم القيمة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعول له لما يلزم من قوله
لم يزل هكذا اي ثبت على البكا والخوار والصياح الى يوم القيمة لحزنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يات بما هو مقتضى الظاهر وهو تعبيره بضمير المتكلم كان

يقول تحزنا علي بل عبر عن نفسه برسول الله صلى الله عليه وسلم ليشعر بما هو علة الحزن
كانه قال انما حزن علي لاني رسول الله فان من القواعد المقررة ان تعليق الحكم بالمشتق
يشعر بعلية المأخذ فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر ان اراد بلفظ
تحت ظاهره وان الجذع دفن تحت المنبر فهذا قول قاله بعضهم وقال بعضهم دفن في المسجد
وقيل بل دفن عن يسار المنبر وقيل بل شرقي المنبر فعلى هذه الاقوال يكون لفظ تحت لم
يرد ظاهره وانما اراد به ما يحاذي جهة التحت واطلق عليه تحت بطريق المجاز كذا في
حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس اسحق هذا هو اسحق بن عبد الله
ابن ابي طلحة الانصاري المدني يروي كثيرا عن عمه انس بن مالك روى عنه الاوزاعي
ومالك مات سنة اربع وثلاثين ومائة وقيل سنة ثنتين وثلاثين ومائة كنيته ابو يحيى
كان ينزل في دار ابي طلحة الانصاري وكان متقدما في رواية الحديث والاتقان فيه
وكان له اخ يقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي طلحة اصغر من اخيه اسحق وكان ينزل في
دار ابي طلحة فان قلت لم اقتصر في باقي الروايات على ذكر الصحابي في ذكر المطلب وسهلا
ولم يتعرض لذكر التابعي وفي رواية انس ذكر التابعي قلت فعله لكل تقوية للحديث حيث
رواه عن انس مثل هذا المتقن المتقدم في رواية الحديث على من سواه بالاتقان والوثيق
والضبط المتين وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في
السقف الضمير المؤنث راجع الى الجذع الذي سبق ذكره وانثه باعتبار الخشبة لان
الجذع كان جذع خشبة فيجوز تذكيره وتأنيثه بالاعتبارين المذكورين فان قلت
عبر بالتذكير في جميع ما سبق فلم غير الاسلوب وانث قلت حكى لفظ الرواية التي وقع
هذا الكلام فانه انث الضمير فيها وصرح اولا بذكر الخشبة والحديث رواه البيهقي في
الدلائل ولفظه هكذا بعد ان ذكر سنده الى سهل بن سعد قال اذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقوم يوم الجمعة اذا خطب الى خشبة ذات فرضتين قال اراها من دوم

كانت

كانت في مصلاه وكان يتكي اليها فقال له اصحابه ان الناس قد كثروا فلو اتخذت المنبر
وقيام النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال فحنت الخشبة اليه فاقبل الناس عليها فرقوا
من حنينها حتى كثر بكاؤهم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت
فامر بها فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف قوله في هذا الحديث ذات فرضتين
اي شقين وقوله من دوم هو بفتح الدال قال في القاموس هو شجر المقل والنبق وضخام
الشجر ما كان وقوله اراها اي اظنها صيغة تشعر بانه لم يجزم بانها دوم وانما قال ذلك
ظنا فلا يعارض جزم من جزم بانه من جذوع النخل وفي حديث ابي هو ابن كعب الانصاري
فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى
ان اكلته الارض كذا في النسخة التي وقفت عليها والظاهر انه الارضة وعاد رفاتا
الرفات الحطام على وزن غراب وهو ما تكسر من اليبيس ورواية ابي هذه ذكرها البيهقي
في دلائله وفي اخرها فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم فاصغى اليه الجذع
فقال له اسكن ثم التفت فقال ان تشا اغرسك في الجنة فياكل منك الصالحون وان تشا
اعيدك رطبا كما كنت فاختار الاخرة على الدنيا فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى
ابي فلم يزل عنده حتى اكلته الارضة والحديث في مسند احمد وفي سنن ابن ماجة
واقتادفعه الى ابي واخذ ابي له بهدم المسجد والمراد بهدمه هدمه في زمن عمر رضي الله عنه
فان ابيا مات في خلافة عمر وذلك ان المسجد هدم في خلافة عمر ففي صحيح البخاري بسنده
الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابو بكر رضي الله عنه
شيئا وزاد فيه عمر رضي الله عنه وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
باللبن والجريد واعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان رضي الله عنه فزاد فيه زيادة كثيرة
وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه

بالساج وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض اي يجعل فيها خرقا اي الشق وطاءته واسرع اجابته فالتزمه اي عانقه ثم امره فعاد الى مكانه هذا الخبر كما ترى نقله عن الاسفرايني وعبر فيه بذكر ولم يعبر بروى ولا اخرج لان الاسفرايني لم يكن راوي حديث ولا روى هذا الحديث بسنده وانما ذكره في كتبه الكلامية وهو ابرهيم بن محمد ابن ابرهيم بن مهران الاستاد الاسفرايني الامام في الكلام والاصول والفقه وغيرها وهو من اصحابنا الشافعية فان قلت لم عزاه الى الاسفرايني مع انه لم يذكره بسند قلت لان ابا اسحق كان من الائمة المقطوع لهم بالضبط والديانة والحفظ التام والمتانة وزهده في الدنيا اشهر من ان يذكر وفضله غني عن ان يبسط حتى ذكر عبد الغافر الفارسي انه بلغ حد الاجتهاد لتبحره في العلم واستجماع شروط الامامة من العربية والفقه والكلام والاصول ومعرفته بالكتاب والسنة قال وكان من المجتهدين في العبادة المبالغين في الورع قال وفوائده وفضائله واحاديثه وتصانيفه اكثر من ان تستوعب في مجلدات مات سنة ثمان عشرة واربعمائة فدينه وسعة علمه ومتانة ضبطه تحاشيه عن ان يذكر في كتبه ما لم يكن له به سند معتمد به سيما وقد اورده في كتبه في معرض الاستدلال على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بذكر معجزات له ثابتة ان لم تكن متواترة فلا اقل من ان تكون صحيحة مقطوعا بصحتها على ان هذا الحديث رواه بسنده البيهقي في الدلائل والحافظ ابو القسم في تاريخه عن العباس ابن عبد المطلب وفيه فلما صعد المنبر وحن الجذع اليه دعاه فاقبل يخد الارض والناس ينظرون فالتزمه وكلمه ثم قال له ارجع يسمعون عد الى مكانك فرجع حتى عاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه اي البستان الذي كنت فيه وانت شجرة رطبة تنبت لك عروقك الجملة بدل من اردك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص اسم جنس مفرده خوصة وهو بضم الخاء ورق النخل وثمره بالثاء المثلثة وثمرته التمر بالتاء المثناة وان شئت اغرسك في الجنة مفعول شئت محذوف تقديره ان

شئت

شئت غرسك في الجنة اغرسك فيها فاغرسك مجزوم على انه جواب الشرط الجازم فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله تعالى واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء وكان الحسن هو البصري الامام التابعي الكبير اذا احدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه اللام للتعليل وهو علة متداخلة لان قوله شوقا علة للحن ولمكانه للشوق اي انما اشتاقت اليه الخشبة لجلالة قدره وعلو مقامه ولانه حبيب خالق الكائنات كلها مع ان الخشبة جماد ولم يرسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا هي مكلفة بحبه فانتم معشر من كلفه الله بحبه وتعظيمه احق ان تشتاقوا الى لقائه من الخشبة فان قلت هل حن الجذع بعد ان خلق الله تعالى فيه حياة وعقلا او بقي على جماديته قلت نفس ظهور صوت منه لا يستلزم خلق حياة فيه لكن الشوق الروحاني الذي ظهرت اثاره منه وقد اثبته له النبي صلى الله عليه وسلم كما صرح به في بعض الروايات الشوق اليه وكذلك الكلام النفسي وفهم لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك يستلزم الحياة لان مذهب الاشعري ان الكلام النفسي والذكر المعنوي يستلزمان الحياة وكذلك الشوق ولذلك سماه الصحابة حنينا لان الحنين صوت المتعطش الى اللقاء المشتاق وبالجملة فهي معجزة عظيمة دونها عصا موسى واحياء الموتى لعيسى عليهما الصلاة والسلام للاجماع ومن ثم قال العلم السخاوي

وان كان عيسى اخرج الميت فالذي ... بدا من حنين الجذع اوفى واوفر

وتضمن هذه القصة قول ابن رشد الفارقي

جلي المزايا فهو للرسل خاتم ... وللحق برهان وللرشد منهج

جماد الحصى والنبت من معجزاته ... وحسبك من جذع يحن وينشج

ولله در الامام الشيخ الطيبي المعري قال في قصيدته

والجذع حن لان فارقه اسفا • حنين ثكلى شجتها لوعة الثكل •
ما صبر من صار من عين الى اثر • وحال من حالك من حالي الى عطل •
حتى فمات سكونا ثم مات لونا • حتى حنينا فاضحى غاية المثل •

والصرصري حيث قال في الوترية •

والجذع حن اليه عند فراقه • شوقا حنين الهائم الولهان •
فاتى يسكنه وقال مخيرا • ان شئت ترجع اخضر العيدان •
اوان تشا في الجنة العليا تكن • فاختار غرس ساقي نعيم جنان •

والقائل الاخر •

وحن اليه الجذع شوقا ورقة • ورجع صوتا كالعشار مرددا •
فبادره ضما فقر لوقته • لكل امرئ من دهره ما تعودا •

هذا المصراع في شعر المتنبي وهو مطلع قصيدة له

والقائل الاخر •

والقى حتى في الجمادات حبه • فكانت لاهدا السلام له تهدى •
وفارق جذعا كان يخطب عنده • فان انين الام اذ تجد الفقدا •
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة • فليس وفا ان يطيق له بعدا •

والابوصيري حيث قال في البائية •

والجذع حن له فبات كمغرم • قلق بفقد حبيبه يتكرب •

والابوصيري رحمه الله تعالى حيث قال ايضا في الحائية من ديوانه معددا معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الى ان قال

اعجبت ان غدت الغمامة اية • لمحمد يغدو بها ويروح •
اوان اتت سرح اليه مطيعة • فكانما انت الرياض سروح •
ولمنبع الما المعين براحة • راح الحصى وله بها تسبيح •

اوان

اوان يحن اليه جذع يابس • شوقا ويشكو بثه وينوح •
حتى دنا منه النبي ومن دنا • منه نأى عن قلبه التبريح •

رواه اي حديث حنين الجذع عن جابر حفص بن عبيد الله اي ابن انس بن مالك سمع من جده انس وحديثه عن جابر في صحيح البخاري ويقال عبيد الله بن حفص والاول الصواب وايمن هو الحبشي وثقه ابو زرعة وزعم ابو حاتم انه لم يروعنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن الصواب ان التوثيق ازال الجهالة وابو نضرة هو المنذر بن مالك العوقي كان ثقة فصيحا مفوها وابن المسيب معلوم وسعيد بن ابي كرب له ترجمة في ميزان الذهبي وقد وثقوه وكريب هو مولى ابن عباس رضي الله عنهما وابو صالح اي السمان واسمه ذكوان وسمي بالزيات ايضا وكان يجلب السمن والزيت الى الكوفة فنسب اليهما وهو والد سهيل بن ابي صالح مات سنة احدى ومائة ورواه عن انس بن مالك الحسن اي البصري وثابت هو ابن اسلم البناني البصري من اصحاب انس بن مالك مات سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة واسحق هذا هو ابن عبد الله بن ابي طلحة سبق الكلام عليه في هذا الباب قريبا ورواه عن ابن عمر نافع هو مولى ابن عمر رضي الله عنهما وابو حية بالحاء المهملة وبعدها مثناة من تحت وثقه ابو زرعة وذكر الذهبي له في الميزان لا يضر بعد توثيق ابي زرعة له ورواه ابو نضرة بالنون ثم الضاد المعجمة هو المنذر بن مالك بن العوقة من اهل البصرة يروي عن ابي عمرو ابي سعيد الخدري وكان من فصحاء الناس فلج في اخر عمره مات سنة ثمان او تسع ومائة وصلى عليه الحسن البصري بوصيته وابو الوداك اسمه جبر بن نوف البكالي كان ثقة ولا التفات الى ذكر الذهبي له في الميزان بعد ان اخرج له مسلم في صحيحه فقد جاز القنطرة وقطع طعن الطاعنين عن ابي سعيد اي الخدري وعمار بن ابي عمار اي مولى بني هاشم وثقوه واخرج له مسلم في صحيحه عن ابن عباس وابو حازم هو سلمة بن دينار الاعرج وثقه احمد ابن حنبل رضي الله عنه وابن معين وابن حزيمة

وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل فهذا كما تراه خرجه اهل الصحة
ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا
العدد يقع العلم لمن اعتنى لهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات يجوز في مثل ان يكون فاعلا لفعل محذوف اي وورد مثل هذا
اي نطق الجذع وادراكه وتشوقه الى النبي صلى الله عليه وسلم وسعي الشجر في سائر اي باقي
الجمادات ويجوز ان يكون مثل مبتدا والاشارة في هذا ايضا راجعة الى ما سبق من حنين
الجذع وسعي الشجر وكلامها وفي سائر الجمادات متعلق بمحذوف تقديره وارد في سائر
الجمادات وهي جمع جماد وهو ما كان جامدا يابسا ثم اطلق على شي لا حركة له اختيارية من
كل ما ليس ذا روح حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نسبة الى قبيلة
ابوها اسمه تميم بن ادبن طابخة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب
ابو القاسم تكنيته هذا بابي القاسم مبنية على ان المنع من التكنية بكنية النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة بزمنه صلى الله عليه وسلم كما قال به بعض الائمة ومذهبنا المنع منها مطلقا كما
رجحه النووي رحمه الله من اصحابنا حدثنا ابو الحسن القابسي نسبة الى قابس كناصر بلدة
بالمغرب بين طرابلس وسفاقس حدثنا المروزي هو ابو زيد المروزي من ائمة اصحابنا
اصحاب الوجوه في مذهبنا وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام النظار البارع
التحرير المدقق الزاهد العابد يروي صحيح البخاري عن الفربري نفسه حدث به عنه في
مكة وبغداد توفي بمرو سنة احدى وسبعين وثلثمائة وهو الذي قال كنت نائما بين الركن
والمقام فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابا زيد الى متى تدرس كتاب الشافعي
ولا تدرس كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد بن اسماعيل البخاري وقد ذكر
ابو حاتم في الثقات شخصا اخر اسمه ابو زيد المروزي وهو متقدم جدا يروي عن زيد بن ارقم

ويروي

مطلب ان المنع من التكني بابي القاسم مطلقا مذهبنا كما رجحه النووي

ترجمة الامام المروزي رضي الله عنه

ويروي عنه شعبة بن الحجاج وهذا الاصلح ان يكون هو المراد هنا حدثنا الفربري حدثنا
البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيري نسبة الى الزبير جده لانه ابو احمد محمد بن
عبد الله بن الزبير ثقة اخرج له البخاري ومسلم وبعد ذلك لا عبرة بان الذهبي ترجم في
الميزان لانه جاز القنطرة حدثنا اسرائيل هو ابن يونس السبيعي الكوفي وثقه احمد وهو
من رجال الصحيحين ولا عبرة بتضعيف ابن المديني له عن منصور اي ابن المعتمر اعلم اهل
الكوفة عن ابرهيم اي النخعي والمراد هنا ابن يزيد لا ابن سويد فانهما نخعيان ويرويان
عن علقمة اي ابن قيس عن عبد الله اي ابن مسعود قال اي ابن مسعود لقد كنا اللام
وقعت جواب قسم مقدر اي والله لقد كنا وانما اقسم مع انه في غاية الصدق بل عليه
المعول في دين الله تعالى دفعا لاستبعاد من الف العادات وان المراد ليس التسبيح العام
الذي دخل في عموم قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده بل هو تسبيح على الاسلوب المعتاد
بنطق جلي يسمعه السامع ويفهمه الفاهم فلهذا اتى بالقسم وقال لقد كنا نسمع تسبيح
الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه انما ذكر هذه الرواية لان فيها تصريحا بان ذلك
كان ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن الصب
انما يستعمل فيما كان مائعا فيراق والمراد انه وضع الحصى في كف ابي بكر رضي الله عنه
على هيئة الصب فشبه وضعها في يده بالصب ففي استعارة مصرحة تبعية ثم في
ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو داود وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما
وقد روى البيهقي حديث تسبيح الحصى مفصلا في دلائله باسناده الى سويد بن
يزيد السلمي قال سمعت ابا ذر يقول لا اذكر عثمان الا بخير بعد شي رايته كنت رجلا
اتتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يوما خاليا وحده فاغتنمت خلوته

فجمعته حتى جلست اليه فجا ابو بكر فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
جا عمر فسلم فجلس عن يمين ابي بكر ثم جا عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر وبين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات او تسع حصيات فاخذهن فوضعهن في كفه
فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن
في يد ابي بكر رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن
فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم
وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا
كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة
واخرج الحافظ ابو القسم في تاريخه عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
حصيات في يده فسبحن حتى سمعنا التسبيح ثم صيرهن في يد ابي بكر فسبحن حتى سمعنا
التسبيح ثم صيرهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح ثم صيرهن في يد عثمان فسبحن
حتى سمعنا التسبيح ثم صيرهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن فان قلت
ما السر في عدم تسبيح الحصا في يد علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان كان تسبيحها في ايدي
الثلاثة لانهم خلفا النبوة فهو ايضا خليفة بل ابنه الحسن ايضا خليفة النبوة بدليل
قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا فعلي كان
من جملة الخلفا بل ابنه الحسن كذلك فلم لم يسبح الحصيات في يده قلت اما اولا فلم يرد
نقل انه كان حاضرا وصبت في يده فلم يسبح سلمنا انه دخل في عموم قوله في الرواية
الاخرى ثم صبهن في ايدينا رجلا رجلا فلم يسبح فلعل عدم تسبيحها في يده لانه ادرك
زمن الفتنة وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قتل عثمان سل سيف الفتنة فخلافته وخلافة
ابنه مشوبة باكدار الفتن ولهذا قيل لما قتل عثمان افلت خيرات كثيرة ومن علامة
افول خيرات كثيرة فقد مزود ابي هريرة الذي تقدم الكلام عليه وهو من معجزات النبي صلى الله
عليه

عليه وسلم وما احسن ما قيل في شان عثمان رضي الله عنه حين قتل

فكف يديه ثم اغلق بابه ۝ وايقن ان الله ليس بغافل ۝
فكيف رايت الخير ادبر بعده ۝ عن الناس ادبار النعام الجوافل ۝
وكيف رايت الله صب عليهم ۝ العداوة والبغضا بعد التواصل ۝

على ان عدم هذه المنقبة لا يشين مقام امير المومنين علي رضي الله عنه فكم مناقب سوى
هذه لا تدخل تحت حصر حاصر فان قلت ايما اعلى معجزة هذه المعجزة ام معجزة داود حيث كانت
الجبال يسبحن معه قلت الظاهر ان هذه المعجزة اعلى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبح
معها بل امسكها في كفه الشريف وبمجرد روية طلعته سبحت ولله در العارف محمد بن
ابي الوفا ذلك حيث اشار الى ذلك في قوله ۝ لتسبحه ذاك الوجه قد سبح الحصا ۝
ومن سبح سحب الكف قد سبح الرعد ۝ بخلاف الجبال فانها كانت تشارك داود
عليه الصلاة والسلام في التسبيح وايضا الجبال لم تسبح الا معه لا مع خلفائه ايضا كما
وقع لخلفا نبينا صلى الله عليه وسلم فان ذلك يشعر اشعارا ظاهرا بعلو مقامه وسريان
مدده ثم ان الجبال والحجارة قد وصفها الله تعالى بانها تخشى الله تعالى قال تعالى وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن الاية وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وقال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الما الاية لكن تسبيح الطعام امر عجيب وشان غريب لم يعهد
ولا وصف الطعام بانه يخشى الله فهذه منقبة ليس لنبي مثلها وقال علي كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل
الا قال له السلام عليك يا رسول الله حديث علي هذا اخرجه الدارمي والترمذي
وحسنه وذكره صاحب الوفا عن علي ايضا رضي الله عنه بلفظ فلا يمر بشجر ولا
حجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة

والسلام اني لاعرف حجرا كان بمكة يسلم علي يجوز ان يكون قوله بمكة خبر كان ويسلم علي خبر بعد
خبر ويجوز ان يكون الخبر يسلم علي وبمكة ظرف متعلق بيسلم قيل انه الحجر الاسود وقيل هو حجر
غيره بزقاق يعرف بمكة بزقاق الحجر والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به ثم ان حديث جابر بن سمرة صحيح رواه مسلم في صحيحه
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل
بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله فان قلت ما المراد
باستقباله بالرسالة قلت هو قوله له انت رسول الله فقد صح انه راه في منامه ثم خرج في
صبيحة تلك الليلة الى جبل حرا قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتا من
السما يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل الى اخر القصة ثم ان الاظهر في هذا التسليم
ان يكون حقيقة وان الله تعالى انطق الحجارة كما انطق الجذع وان لم يكن للحجر حياة ولا علم
ولا ارادة اذ ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف العلم ولا الارادة ولا العقل لانه
صوت كساير الاصوات والصوت عرض عند الاكثرين خلافا للنظام المعتزلي فانه زعم انه
جسم وعند الاشعري هو من الالوان فان كان الكلام قايما بنفس الحجر والشجر فلا بد من
اشتراط الحياة في الحجر والشجر مع الكلام وان كان صوتا مجردا عن الحياة والعلم خلقه الله
في الحجر لم يشترط فيه علم ولا عقل ولا حياة وعلى كلا التقديرين هو معجزة للنبي صلى الله عليه
وسلم لكن خلق الله تعالى فيها الحياة والعلم مع الكلام ابلغ معجزة واليق بمقام النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ان المحققين على ان الجمادات والحيوانات غير الادمي لا عقل لها وما ورد
فيها مما يقتضي ان تكون من صفات العقلا كالاباء عن حمل الامانة وكتسبيح الجبال مع داود
ونحو ذلك فهو محمول على ان الله تعالى خلق لها حياة وعقلا حالة وجود هذه الاشيا منها ثم
سلبها اياها قال بعضهم ولا يمتنع ان تكون للجماد معرفة بربه تعالى وان كنا لا نعرف كيفية ذلك
ولا ينكر العقل ذلك من قدرة الله تعالى وليس للانسان اذا اعتقد وقوع شي على وجه ان ينكر

ووقوعه

ووقوعه على غير ذلك الوجه وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة هي بضم الميم والالف الممدودة الريطة كذا في القاموس فتفسيرها بالريطة تفسير للاعم
بالاخص اذ الملاءة شاملة لما كانت ذات لفقتين ولما كانت نسجا واحدا واما الريطة فهي
ما كان نسجا واحدا ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فان قلت سترهم من
النار انما يكون بحجاب عظيم يمنع وصول النار اليهم والستر بالملاءة ستر يسير وحجاب رقيق
فكيف يشبه ذلك الستر العظيم بهذا الستر الرقيق مع ان شان المشبه به ان يكون اعلى
من المشبه في وجه الشبه قلت مراده صلى الله عليه وسلم المشاركة بينهما في مجرد الحجب ومع
ذلك سترهم بالملاءة اعلى من سترهم الذي يسترهم من النار لكونه محسوسا حاضرا مشاهدا
وذاك غيبي وهذا كتشبيه روية الله تعالى في الجنة برؤية القمر ليلة البدر وكتشبيه المسلك
الذي على الصراط بشوك السعدان مع ان المطلوب منه لا يعلم قدره الا الله تعالى لكن مراد النبي صلى
الله عليه وسلم تقريب احوال القيامة فيقيسها على امور مشاهدة وحالات مرئية
فامنت اسكفة الباب في القاموس اسكفة كقطبة خشبة الباب التي يوطا عليها
وحوايط البيت امين امين اي قايلة امين امين فهو مقول قول محذوف تقديره قايلة
ذلك وفي القاموس امين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود ويمال ايضا قال الواحدي في
البسيط هو اسم من اسما الله تعالى ومعناه اللهم استجب او كذلك فليكن او كذلك فافعل
والحديث رواه البيهقي في الدلايل عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك غدا اي لا تفارقه انت وبنوك حتى اتيكم
فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جا بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم قالوا
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله تعالى فكيف
اصبحت بابينا وامنا انت يا رسول الله قال اصبحت بخير احمد الله فقال تقاربوا
تقاربوا تقاربوا رحف بعضكم الى بعض حتى اذا امكنوه اشتمل بملاءته فقال يا رب

هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملائتي هذه قال فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت امين امين وفي الدلائل الا يعلم ان بني العباس الذين
شملتهم الملاءة سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة وابو الخلفا وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم
ومعبد ولم حبيبة وفيهم يقول عبد الله بن يزيد الهلالي ما ولدت نجيبة من فحل
بجبل نعلمه او سهل كستة من بطن ام الفضل اكرم بها من كهلة وكهل عم النبي المصطفى ذي الفضل
وخاتم الرسل وخير الرسل وقد اشار الى هذه القصة البرعي في النونية بقوله
واتى الى العباس ثم دعا له ولولده في الدار بالغفران فتلاه تامين الجدار وقبلها
لم يسمع التامين من جدران وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق هو في الاصل غطا تغطى به الاشيا ثم جعل لوعاء على هيئة الغطا توضع فيه
الفواكه فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح هذا الحديث لم نطلع عليه
مخرجا في كتاب من كتب الحديث فان قلت لم لم نذكره مع اخبار تسبيح الطعام قلت لان
هذا الطعام الذي اتى به جبريل ينبغي ان لا يعد من جنس الطعام السابق لان ذلك
ذاك قلبته حالات عالم الكون والفساد ودخل تحت كره الاثير واما هذا الطعام فانه
طعام علوي ليس من ذلك القبيل نعم هو من جنس الجمادات فذكره في جملتها وعن انس صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان اما احد فهو الجبل المعروف بالمدينة سمي به لتوحده وانقطاعه
عن باقي جبال المدينة وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم احد جبل يحبنا ونحبه
قيل اراد باحد اهله وهم الانصار واسند الحب اليه للمجاورة وقيل انه كان اذا راه استبشر
بالوصول الى المدينة فيفرح بالوصول الى وطنه وقيل بل يحبه حبا حقيقيا بان خلق الله
له عقلا وادراكا سكن حب النبي صلى الله عليه وسلم اصالة واصحابه تبعا فيه كما وضع
الحب والشوق اليه في الخشبة التي حنت اليه وفي الحديث الصحيح ان احدا يوم القيمة عند
باب الجنة

باب الجنة من داخلها وفي حديث اخر انه ركن لباب الجنة ذكره ابن سلام في تفسيره وفي مسند
احمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احد يحبنا ونحبه وهو على باب من ابواب الجنة
قال وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من ابواب النار واثبات الحب له مشعر بانه
مع النبي صلى الله عليه وسلم لان المرء مع من احب وقد سمى الله هذا الجبل بهذا الاسم لمشاكلة
اسمه لمعناه للاشارة الى ان محبيه هم الذين يبصرون التوحيد وهم اهل المدينة الانصار
والنبي المبعوث بالتوحيد يكون استقراره عنده حيا وميتا فلاجرم كان مع النبي صلى الله
عليه وسلم في الجنة ورفيقه فيها وفي احد هذا قبر هارون اخي موسى عليهما الصلاة والسلام مر مع
اخيه حاجين او معتمرين وانما امره النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات وعلل الامر بقوله فانما
عليك الى اخره لان الوجد باظهار الطرب انما يكون اذا كان ذو الوجد في دائرة الحجاب واما اذا
صار في دائرة اللقا والكشف فاظهار الطرب غير لائق بل الاولى الثبات ولهذا قال له النبي
صلى الله عليه وسلم اثبت ولا تظهر الوجد فانك في محل القرب وعلى ظهرك نبي وصديق وشهيداه
والوجد لا محل له عند الحضور ولهذا قال الجنيد كانت تاتينا الحالات فننشطح والان تاتينا
باقة فلا تحرك من تحتنا طاقة ثم تلا وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وانشد
الجنيد في هذا المعنى • وكان يطربني وجدي فاقعدني • عن رؤية الوجد من في الوجد موجود •
• والوجد يطرب من في الوجد راحته • والوجد عند حضور الحق مفقود •
ومثله عن ابي هريرة في حرا وهو بمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف وهو جبل على
ثلاثة اميال من مكة قال الخطابي اهل الحديث يخطئون فيه في ثلاثة مواضع يفتحون حاه
ويكسرون الراء وهما مفتوحان ويقصرونه وهو ممدود وهو عن يسار الذاهب من
مكة الى منى وزاد معه اي مع ذكر حرا في هذه الرواية وعلي وطلحة والزبير وقال فانما
عليك نبي او صديق او شهيد والخبر عن حرا ايضا اي كما انه روي عن ابي هريرة روي عن عثمان
قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين

انظر حراء

وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه اما خبر انس فرواه البخاري في صحيحه
وقد ذكره المصنف بتمامه واما خبر ابي هريرة فرواه مسلم في صحيحه ولفظه بعد ان ذكر سنده
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جبل حرا فتحرك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وعليه النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر المصنف في
خبر ابي هريرة سعدا مع انه مذكور في احدى روايتي مسلم والاخرى غير مذكور فيها وكان المصنف
لم يلاحظ الرواية وهي في صحيح مسلم واما خبر عثمان رضي الله عنه فرواه الترمذي
والنسائي وقد وقع في هذه الاحاديث مع تحريك الجبل وارتجافه لمكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه اخباره بان هولاء شهدا وماتوا كلهم غير النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
رضي الله عنه شهدا اما عمر فقتله ابو لولوة غلام المغيرة وهو في الصلاة واما عثمان
فقتله قوم حصروه في داره وتعيين قاتله مختلف فيه واما علي فقتله ابن ملجم الشقي
واما الزبير فقتله ظلما في وادي السباع بقرب البصرة منصرفا تاركا للقتال وطلحة
اعتزل الناس تاركا للقتال فاصابه سهم فقتله وقد ثبت ان المقتول ظلما شهيد فان
قلت سعد بن ابي وقاص لم يقتل فكيف عده شهيدا قلت قال المصنف في شرح
مسلم سمي شهيدا لانه مشهود له بالجنة واقول يلزم من ذلك استعمال لفظ الشهيد في
حقيقته ومجازه ولعله كان شهيدا حكما وله اجر الشهيد لانه حضر مشاهد ووطن
نفسه فيها على القتل منها بدر ومن كان كذلك فله اجر شهيد وان لم يكن شهيدا حقيقة
وقد اشار الصرصري الى هذه المعجزة بقوله

وعلاه حرا ذات يوم فانثنى ۞ لجلاله متزلزل الاركان
فغدا يسكنه ويشعره بمن ۞ فوقه من خلص الاعيان

وروي انه حين طلبته قريش اي قاصدين قتله قال له ثبير هو جبل بالمزدلفة وللعرب
جبال

جبال اربعة اخرى حجازية كل منها يسمى ثبيرا اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري
فيعذبني الله فقال حرا الي يا رسول الله فان قلت كيف يعذبه الله بقتل اعدا الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم مع انه لا ذنب له في ذلك قلت لما يعلم من سنة الله تعالى ان الارض التي يعصى
عليها الله تعالى تكون محل اللعنة والغضب الا ترى ان بير ذروان لما وضع فيها السحر الذي
سحر به صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب الله عليها فهو قد ثبت بكراهة الوضو من مائها
وقال في شانها كان ماها نقاعة الحنا وكان نخلها روس الشياطين وجرت عادته تعالى
بانه اذا غضب على قوم غضب على ارضهم كما هو معلوم فان قلت فما بال حرا لم يبال بخوف
قتله على ظهره وقال الي الي قلت لما كان حرا الجبال لم يبال مع لحب ان يفعل به اعدا الله
تعالى شيا قدره الله تعالى عليه وهو لا يرضى به الا ترى ان زكريا عليه السلام قتل في بيت المقدس
ولم يغضب الله تعالى الا على القاتلين وكذلك يحيى ابنه ذبح في ارض الشام ولم يغضب الله
تعالى على ارضه لانها كانت محبة لانبيا الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وكذا عيسى عليه السلام
راموا قتله في بيت المقدس فرفعه الله الى السما وغضب على اليهود ولم يغضب على الارض
بل هي ارض رحمة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما
قدروا الله حق قدره هذه الاية اوردها النبي صلى الله عليه وسلم في جواب حبر من احبار اليهود
اتى اليه فقال يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع
والجبال والشجر على اصبع والما والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع فيقول انا الملك انا
الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرا وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما
يشركون وفي جامع الترمذي ان سبب نزول هذه الاية ان يهوديا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم يا يهودي حدثنا فقال كيف تقول يا ابا القاسم اذا وضع الله السموات
على ذه والارض على ذه والما على ذه وساير الخلق على ذه واشار ابو جعفر بن الصلت بخنصره

بلغ مقابلة على خط المولف

ثم تابع حتى بلغ الابهام فانزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره وحاصل كلام الخطابي هنا
المبالغة في انكار الاصبع وقال الاصبع لم توجد في كتاب ولا سنة مقطوع بصحتها حتى
يلزمنا القول بها كاليد فانها ثبتت بتوقيف شرعي وليس في هذا الحديث تصديق لقول
هذا الحبر ولا تكذيب والنطق صلى الله عليه وسلم بحرف يشعر بتصديق ولا تكذيب وانما
ظهر منه الضحك المخيل للرضا مرة وللتعجب والانكار اخرى واقول الذي يظهر لي ان
اليهودي وقع منه في هذه المقالة شيئان احدهما نسبة القدرة التامة الى الله وانه قادر
على تخريب هذا العالم اتم قدرة وعبر عن ذلك بوضع الكائنات على اصابعه وهو
صادق في ذلك الثاني تعبيره بالاصبع والهز ويترآى من كلام هذا اليهودي انه فهم ان
لله اصابع كاصابع المحدثات بقرينة ضم الهز الى وضع الكائنات على اصابعه والهز انما
يكون في الاصابع الحقيقية وحديث ابن عباس المروي في الترمذي تشعر بذلك حيث
اشار ابو الصلت بخنصره حاكيا فعل ذلك فاشارته بخنصره تشعر بانه فهم ان لله
اصابع كاصابع المحدثات وانه لم يحمل ذلك على التمثيل وهو بذلك مستحق لان
يضحك على مقالته ويتعجب منها حيث نسب الى الله عز وجل ما لا يليق بجلاله والحق
هذا الحبر بهذا التوهم الفاسد ان يرد عليه بانه ما قدر الله حق قدره اي ما عظم
في نفسه حق عظمته ولا اجله اجلالا يليق به حيث شبهه بخلقه ووصفه بصفات
مخلوقاته وهو منزه عن ذلك بل الواجب انه يؤمن بان الارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه فيؤمن بان لله تعالى قبضة وله يمينا يليقان بجلاله
مع تنزيهه عما لا يليق به وهو مذهب من لا يتجرأ على التأويل ويعتني في مثل ذلك
بالتفويض قائلا نؤمن بان لله يمينا يليق به ولا ناتي بما يوهم صفات المحدثات حتى
لو اشار بيمينه حين قال ان لله يمينا لاثم في ذلك لانه يوهم بالاشارة ما لا يليق
بقدسه تعالى ولقد قال بعضهم ان اشرت بيمينك حين هذه المقالة قطعت يمينك وهذا

ولنا صلى الله عليه وسلم على اسلوب تمجيد الله تعالى اذا اردنا ان نمجده تمجيدا لا ننسب
الى سوء الادب به ان نمجده بما مجد به نفسه ولا ناتي بتمجيد نستبد به من عند انفسنا
فاشار الى ذلك بقوله يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال اي عن وقال صح
اوصاف لا تليق بجلاله فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه فان قلت لم لم يقل النبي صلى الله
عليه وسلم للمنبر اسكن فانما عليك نبي كما قال لاحد وحرا قلت لان شوق احد كان للنبي
صلى الله عليه وسلم واتباعه الذين كانوا معه فبعد حضورهم وقعودهم عليه لم يبق لطرب
الشوق لياقة ولم يحسن منه ذلك بخلاف شوق المنبر فانه لما سمع ثناء الله تعالى
اشتاق الى لقائه فتركه النبي صلى الله عليه وسلم وشانه حتى كمل وجده وطربه وبث ما
عنده وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت اي الكعبة ستون وثلثمائة
صنم هكذا ثبت في كثير من الروايات ان هذه الاصنام كانت حول البيت مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل
يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها وانما لم يمسها بيده لانها رجس بنص القرآن
والله كره له مسها حتى نقل السهيلي في روضه عن بعضهم ان سبب شماس البراق
ليلة الاسراء انه مس بيده الصفا وهو اسم صنم ولم يمسها الا تحقيرا لها لكنه باشر
مسها بيده فالله تعالى اراه شماس البراق كراهة لهذا الفعل وان كان مسه لها
في تحقير ويقول جاء الحق وزهق الباطل اي اتى الحق وهو الاسلام والتوحيد
وهلك الباطل وهو الكفر والشرك ان الباطل كان زهوقا اي ثبت له الزهوق وهو
الهلاك والاضمحلال فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه الظاهر ان هذا الاستثناء مفرغ
اي ما اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى وجه صنم وقد تلبس بحالة الا حالة انه قد وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم هذه الاصنام التي كانت حول البيت باشر
النبي صلى الله عليه وسلم ازالتها بيده وكانت اشارته اليها قيل بقوس في يده وقيل كانت

بعود وقيل كانت بقضيب وقيل بقصبة كانت بيده وكل ذلك ثبت في روايات صحيحة
ولم يلصق يده بها لان ذلك كان منهيا عنه كما اشرنا اليه في قصة شاس البراق وانه لم يكن
مسه لها تعظيما لها واما الاصنام التي كانت في جوف الكعبة فانه امر باخراجها ولم يباشر
تنكيسها بيده ففي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
قدم مكة ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة فامر بها فاخرجت فاخرج صورة ابرهيم
واسمعيل وفي ايديهما الازلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله
لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر عمر بن الخطاب زمن الفتح بالبطحى ان ياتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها
ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيها ثم ان حديث ابن عباس هذا اخرجه البزار والطبراني
فان قلت هذا الحديث او ما يقرب منه مذكور في الصحيحين فلم لم يخرج حديث الصحيحين
المتفق على صحته قلت هو في صدد بيان اطاعة الجمادات له صلى الله عليه وسلم وهذه
الرواية فيها اشعار بذلك لان الاصنام التي كانت حول الكعبة كانت مثبتة الارجل بالرصاص
في الحجارة ومع ذلك انقادت للنبي صلى الله عليه وسلم بمجرد الاشارة ولو عولجت اتم العلاج
لما قلعت فقلعها بهذه الاشارة يكون من قبيل قلع الشجرة من منبتها بالدعوة واما
حديث الصحيحين ففيه ذكر سقوط الاصنام بالاشارة وليس فيهما انها كانت مثبتة
الارجل بالرصاص في الحجارة فاشعار هذه الرواية بالمعجزة اتم من اشعار تلك بها والى
ذلك اشار تميم بن اسد الخزاعي بقوله ٭ وفي الاصنام معتبر وعلم ٭ لمن يرجو الثواب او العقابا ٭
وقال فضالة الليثي في ذلك ٭ لو ما رايت محمدا وجنوده ٭ بالفتح يوم تكسر الاصنام ٭
لرايت نور الله اضحى بينا ٭ والشرك يغشى وجهه الاظلام ٭ وفي حديث ابن مسعود
الذي اخرجه الشيخان فجعل يطعنها في تعليقة البرهان الحلبي يطعن بضم العين وقد وقال جم
تفتح واقول مقتضيته ان الافصح الضم وان الفتح نادر قليل وفي القاموس طعنه بالرمح كمنعه م ت

ونصره

ونصره طعنا ضربه ووخزه فعبارة القاموس كما ترى موذنة بتساوي الفتح والضم بل ربما
توذن بارجحية الفتح على الضم حيث قدم مماثلته لمنع الذي مضارعه يمنع مفتوح العين على نصر
الذي مضارعه ينصر مضموم العين والتقدم من مقتضيات الترجيح في الجملة ويقول جاء
الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ما يجوز ان تكون نافية اي ان الباطل وهو الشرك هلك
وتلاشى واضمحل حتى انه لا يبدئ ولا يعيد فان المضمحل الهالك لا ابداء له ولا اعادة
ويجوز ان تكون استفهامية في محل نصب على انها مفعول ليبدئ ويعيد مقدم عليهما
والاستفهام انكاري فمعناه النفي ايضا ولفظ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
بتمامه هكذا قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة
وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ
الباطل وما يعيد وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فان قلت اي فائدة في ذكر
رواية ابن مسعود مع انها لا تشتمل على التصريح بما هو بصدده من اطاعة الجمادات له
صلى الله عليه وسلم وتلك الرواية الاولى التي رواها عن ابن عباس وفت بالمقصود
فلم اردفها بهذه الرواية قلت قررنا ان حديث ابن عباس رضي الله عنهما ليس في
الصحيحين ولا في احدهما فذكر رواية ابن مسعود المخرجة في الصحيحين للاشارة الى
ان هذا الحديث اصله في الصحيحين غاية ما في الباب ان روايتهما سكتت عن كون ارجل
الاصنام كانت مثبتة بالرصاص فاصل الحديث في الصحيحين من رواية ابن مسعود
ورواية ابن عباس فيها زيادة وهي من الثقة مقبولة ومن ذلك حديثه اي النبي صلى
الله عليه وسلم مع الراهب اي المتصف بالرهبانية وهي في الاصل المخافة ثم نقلت عرفا
الى صفة يفعلها ويتصف بها النصارى كالاختصاء واعتناق السلاسل ولبس
المسوح وترك اكل اللحم ونحوها وهذا الراهب هو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء
المهملة مقصور وضبطه بعضهم بالمد قال الذهبي راى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل البعث وآمن به فهو من الصحابة بنا على ان الصحابي من راى النبي صلى الله عليه وسلم ولو
قبل البعثة مومنا به فدخل في حد الصحابي مثل هذا وكزيد بن عمرو بن نفيل وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم في شانه انه يبعث امة وحده وقد عده في الصحابة في الاحاد والمثاني
ابن ابي عاصم وابن منده وكذلك لو راه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى العجز من
بعثته صلى الله عليه وسلم واسلم ثم مات ولم يره فان قلت ما بالهم لم يذكروا القاسم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابة وذكروا فيهم ابرهيم وعبد الله قلت ذلك مبني على
اشتراط ان تكون الرؤية بعد البعثة والحق عدم اشتراطه على ان بعضهم ذكر القاسم
ايضا فيهم وفي المعارف للعتبي سمع قبل الاسلام هاتف يهتف الا ان خير الارض
ثلاثة بحيرا ورياب بن البرا الشني والثالث المنتظر فكان الثالث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان قبر رياب وقبر ولده لا يزال عليهما الطش وهو المطر الضعيف
وكان بحيرا من عبد القيس واسمه سرجس في ابتدا امره قيل كان ابن تسع سنين
وقيل ابن اثنتي عشرة سنة اذ خرج اي النبي صلى الله عليه وسلم تاجرا مع عمه
المتبادر من هذه العبارة ان تاجرا حال من الضمير المستكن في خرج وذو الحال ضمير النبي
صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا مع عمه وانما كان عمه التاجر
وهو تابع له وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم تاجرا مع غلام خديجة ميسرة وعندي
ان تاجرا حال من عمه لانه مفعول في المعنى اذ هو في قوة مصاحبا لعمه حال كونه تاجرا
ويمكن ان يكون تاجرا بالمجاورة اي لمجاورته للتاجر اطلق عليه اسم التاجر وكان
الراهب لا يخرج الى احد اي كان محل صومعته ممر القوافل قريش اذا ارادوا الذهاب
الى الشام فكان من عادته انهم اذا مروا الى الشام لا يخرج اليهم مع نزولهم بالقرب من صومعته
لشغله بالعبادة واقباله على خويصة نفسه فخرج اي بحيرا مع عدم اعتياده بالخروج
تاركا عادته وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قال هذا سيد العالمين

يبعثه

يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك اي اي نوع من انواع
العلم هذا الذي قلته والمراد بالعلم هنا مطلق الادراك اي ادراكك لسيادته على الناس
من اي نوع من انواع الادراك اهي شك ام تخيل ام ظن ام يقين واذا كان يقينا
فالى اي سبب يستند الى الحس ام الى العقل ام الى الخبر الصادق فاجاب عن كل
بان علمي هذا يقين ومستنده الحس ولهذا قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا
له ولا تسجد الا لنبي فعلمت ذلك من هذه الخارقة التي وقعت له صلى الله عليه وسلم وقصة
بحيرا اخرجها الترمذي في جامعه وذكرها ابن اسحق مفصلة قال ابن اسحق ثم ان ابا
طالب ابا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيا للرحيل واجمع المسير صب به النبي
صلى الله عليه وسلم اي لصق وتعلق به وكان سنه اذ ذاك تسع سنين وقيل اثنتي عشرة
سنة فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا او كما قال
فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة
له وكان اليه علم النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب يصير اليه علمهم
عن كتاب يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به
قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع
لهم طعاما كثيرا وذلك انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب
حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر
الى الغمامة حتى اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى استظل تحتها فلما راى ذلك بحيرا نزل من صومعته وامر بذلك الطعام فصنع
ثم ارسل اليهم فقال قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فانا احب ان تحضروا كلكم
صغيركم وكبيركم عبدكم وحركم فقال رجل منهم والله يا بحيرا ان لك لشانا اليوم فما كنت
تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم قال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول

ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلوا منه كلكم فاجتمعوا اليه
وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت
الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش
لا يتخلفن احد منكم عن طعامي قالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك احد ينبغي ان يأتيك الا غلام
وهو احدث القوم سنا فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام
معكم قال فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى ان كان للؤم بنا ان يتخلف
ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام فاحتضنه واجلسه مع القوم
فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده كان يعرفها يجدها عنده
من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام بحيرا فقال له يا غلام اسالك
بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه
يحلفون بهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيئا فوالله
ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال
سلني عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله ونومه وهيئته واموره فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عنده من صفته فنظر الى ظهره فراى خاتم
النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده قال صاحب الوفا فقبل بحيرا موضع
الخاتم وقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا وجعل ابو طالب لما يرى من
من الراهب ما يرى يخاف على ابن اخيه قال ابن اسحق فلما فرغ اقبل على عمه ابي طالب
فقال ما هذا الغلام منك فقال له ابني فقال بحيرا ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام
ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت ارجع
بابن اخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه
شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شان عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا

حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفي سيرة المنذري لما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فراه بحيرا
الراهب فعرفه بصفته فجاء واخذ بيده فقال هذا سيد العالمين هذا رسول
رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك قال انكم حين
اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي وانا نجده
في كتبنا وسال ابا طالب ان يرده خوفا عليه من اليهود واخرجه الترمذي عن ابي موسى
وقال حديث حسن غريب وغرابته من جهة اسناده واما متنه فمشهور
وذكر ابو الحسين احمد بن فارس قال فلما اتت له اثنتا عشرة سنة وشهران
وعشرة ايام ارتحل به ابو طالب تاجرا قبل الشام فنزل تيما فراه حبر من احبار
يهود تيما يقال له بحيرا الراهب فقال لابي طالب من هذا الغلام منك قال ابن
اخي قال اشفيق انت عليه قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشام لتقتلنه
اليهود انه عدو لهم فرجع به الى مكة وقد وقع له صلى الله عليه وسلم عودة اخرى الى الشام
تاجرا بمال خديجة زوجته ام المؤمنين رضي الله عنها مع ميسرة غلامها فجرت
له خوارق كثيرة مع نسطورا الراهب وقصته بتمامها نذكرها ايضا في اخبارات
المعجزات من هذا الكتاب فيما اخبر به الاحبار والرهبان من اخباره قوله وذكر القصة
هي هذه التي اشرنا اليها ثم قال واقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله
فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه وفي القاموس
الفيء ما كان شمسا فينسخه الظل كذا قاله في باب الهمزة ولا يستقيم ان يفسر به الفيء المذكور
هنا لكنه ذكر في مادة الظل انه نقيض الضح اي شعاع الشمس او هو الفيء او هو بالغداة
والفيء بالعشي فيستقيم ان يفسر به الفيء هنا لان المراد به الظل والغمامة هي السحابة
وقيل السحابة البيضاء وقد خرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ان في هذه السفرة

اقبل سبعة من الروم يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم قالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعثنا اليه باناس فقال افرايتم امرا اراد الله تعالى ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا قال فتابعوه فاقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا فهذا الحديث بعد تحسين الترمذي له وتصحيح الحاكم له لا يبالي بما وقع من الذهبي من تضعيفه وجعله من المناكر وما بري الى ذهن الذهبي الاجترا على هذا الحديث الا من قوله في اخره وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر لم يتاهل اذ ذاك لمثل هذه الفعل لصغر سنه جدا ولم يكن اشترى بلالا وانما اشتراه بعد البعثة ومن ثم قال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث الذي رواه الترمذي والحاكم في شان بحيرا رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة فيه مقتطعة من حديث اخر وهما من احد رواته واظلال الغمامة له وقعت مرات سنذكرها في اخر باب بحث المعجزات ولله در ابي عبد الله محمد بن احمد المقدسي حيث قال في قصيدته

ويوم بحيرا اذ اتاك مسلما ۝ ومستخبرا عما احاط به خبرا ۝
راى منك ايات النبوة قد اتت ۝ بها رسل الافاق يتلونها تترا ۝
فاثبتها في الكل مراى ومسمعا ۝ وطاب بها نفسا وعينا بها قرا ۝
فاشرب ايمانا وما زاغ قلبه ۝ وآمن ايقانا ولم يستزد فكرا ۝
راك و[illegible] ظل الغمامة ساطع ۝ عليك وباقي الركب عن ظلها حسرى ۝
ووردت له شجار في البر سجدا ۝ بروبا كل لما شرفت ذلك البرا ۝
وعاين ايضا للنبوة خاتما ۝ به ختمت فازداد في امره امرا ۝
وردا ناسا قد اتوك لغيلة ۝ واوسعهم نصحا وحذرهم غدرا ۝

~~فصل في الايات اي المعجزات والخوارق التي ظهرت على يديه في ضروب~~

~~الحيوانات~~

بلغ مقابلة على خط المولف
في مجالس اخرها ضحوة
السبت اليوم السادس
من شهر رمضان من شهور
سنة احدى وثلاثين بعد
الالف على يد العبد الضعيف
لحق زين الدين بن احمد
الحلبي الحنفي المعروف
بالاشعافي وبالشعيفي
وكان ذلك بطلب محمد
وصلى الله وسلم على خير
البرية وعلى اله من
ال واصحابه وذريته
امين